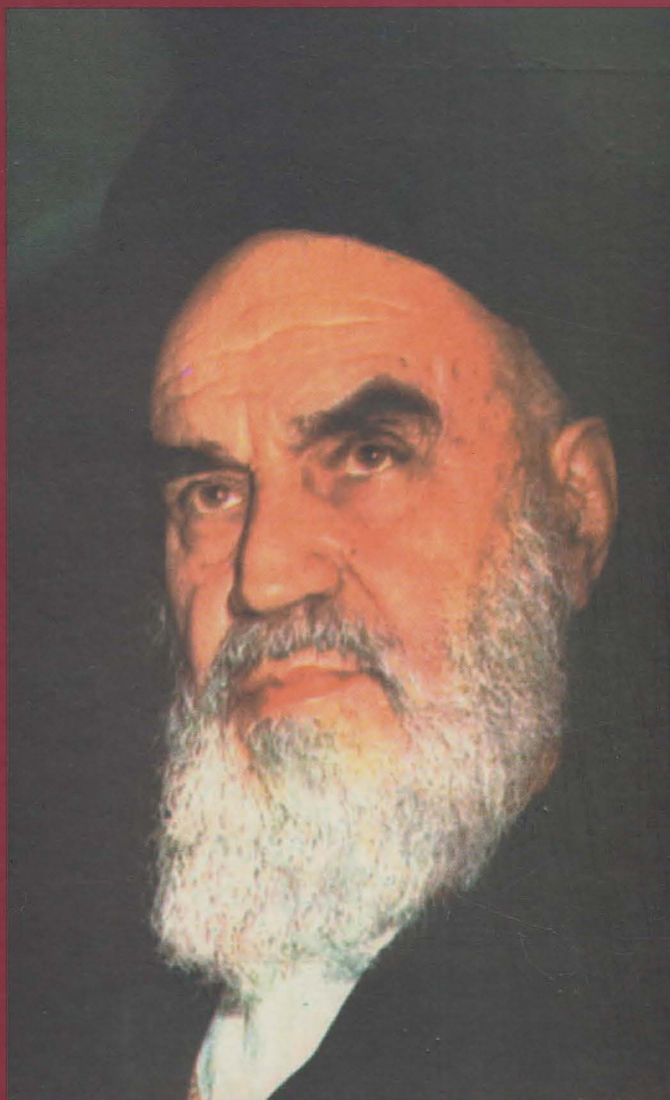


ثورة الفقيه ودولته

قراءات في عالمية مدرسة الإمام الخميني (قدس سره)

إعداد وحوار
حميد حلمي زادة

الطبعة الثانية



المؤلف في سطور

- حميد حلمي زادة... صحفي وباحث
- ينحدر أصلاً من عشيرة «ريزَوَنْد» القاطنة في منطقة جبال غرب ايران.
- ولد في بغداد عام ١٩٥٧ حيث كان يقيم والداه الى جانب الجالية الايرانية.
- أتمّ تحصيله العلمي التمهيدي هناك، كما تابع دراسته الأكاديمية في كلية الإدارة والاقتصاد - جامعة بغداد، الى أن اضطرته ظروف ترحيل المغتربين الايرانيين قسراً من العراق عام ١٩٨٠، الى الانقطاع عن الدراسة. وبعد عودته الى الوطن الاسلامي، بدأ ميلاده الجديد في خدمة أهداف الثورة والدولة.
- عمل مدرساً محاضراً في بداية الثمانينات لمادة اللغة العربية في العديد من المدارس المتوسطة والثانوية في العاصمة طهران، واستمر في هذه المهنة مدة سبع سنوات.
- حصل على وظيفة في مؤسسة كيهان للصحافة والنشر عام ١٩٨٣ وتدرج في عمله مدققاً ومترجماً ومسؤولاً للأخبار الخارجية، ثم مسؤولاً للأخبار الداخلية (السياسية). ومن ثم تفرّغ لقسم الدراسات والتحقيقات الاعلامية.
- في الفترة (١٩٩١ - ١٩٩٣) عمل مراسلاً لمجلة العالم التي كانت تصدر في لندن. من عام (١٩٩٥ - ١٩٩٩) انتدب مديراً لمكتب مؤسسة كيهان في دمشق . وهو
- مايزال عضواً عاملاً في أسرة تحرير جريدة كيهان العربي - الطبعة الدولية. ترجم عشرات البحوث والدراسات من الفارسية الى العربية. وقد كتب مقالات
- عديدة في الصحافة السورية واللبنانية فضلاً عن الايرانية، كما عقد العديد من الندوات السياسية والفكرية في دمشق. له مخطوطات كتب جاهزة للطبع.. يتمنى إصدار كتاب حِواريٍّ عن شخصية
- أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام إن شاء الله تعالى.



ندوة مخاطر اتفاقية «واي بلانتيشن» - كانون الأول ١٩٩٨
المكان : مكتبة السفارة الايرانية في دمشق



ندوة ذكرى مئوية الإمام الخميني (قدس سره)
المكان : قاعة اتحاد الكتاب العرب في سورية - دمشق



ندوة أهداف الإمام الخميني من اعلان يوم القدس العالمي
كانون الثاني ١٩٩٩ - المكان : مكتب ممثلية الإمام الخامنئي
في منطقة السيدة زينب (ع) - ريف دمشق



ندوة مشروع التعاون لأقطار العالم الإسلامي
تموز ١٩٩٧ - المكان : فندق سميراميس في دمشق



ندوة «دور طالبان في الاستراتيجية الأميركية»
في آسيا الوسطى - أيلول ١٩٩٨ - دمشق



ندوة أبعاد مذبحة قانا في جنوب لبنان
نيسان ١٩٩٦ - المكان : مكتب كيهان في دمشق



ندوة الذكرى السنوية (٢١) لانتصار الثورة الإسلامية -
شباط ١٩٩٩ - المكان : قاعة منظمة الحج الايرانية في دمشق



ندوة رؤية الإمام الخميني لمفهوم إزالة
«اسرائيل» من الوجود - حزيران ١٩٩٨ - دمشق

بسم الله الرحمن الرحيم

ثورة الفقيه ودولتُه

قراءات في عالمية مدرسة الإمام الخميني «قدس سرّه»

كتاب : ثورة الفقيه ودولته

قراءات في عالمية مدرسة الإمام الخميني «قدس سرّه»

إعداد وحوار :

حميد حلمي زادة

موافقة وزارة الاعلام السورية على الطباعة والتداول

رقم : ٧٢٧٥٣ تاريخ ٢٠٠٢/٧/١٤

الطبعة الثانية

١٤٢٣ - ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٢ - ٢٠٠٣م

تصميم الغلاف

د. عزت السيد أحمد

حميد حلمي زادة



تنفيذ الكتروني

تمام عمراني

عدد النسخ : ٢٠٠٠

طباعة : الجمعية التعاونية للطباعة

دمشق - شارع خالد بن الوليد - الاطفائية

يطلب الكتاب من جميع المكتبات المعروفة في دمشق

والمحافظات السورية الأخرى

وفي ريف دمشق - السيدة زينب

يطلب من مكتبة دار الحسنين (ع) - هاتف : ٦٤٧٠٦٥٤

وفي لبنان يطلب من مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر

بيروت - بئر العبد - هاتف : ٥٥٣١١٩ / ٠١

ثورة الفقيه ودولته

قراءات في عالمية مدرسة الإمام الخميني (قدس سره)

إعداد وحوار
حميد حلمي زادة

بسم الله الرحمن الرحيم

الذين إن مكّناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور [الحج ٤١]

صدق الله العلي العظيم



ولي أمر المسلمين سماحة آية الله العظمى

الإمام السيد علي الحسيني الخامنئي (دام ظله الوارف)

تمهيد الإمام الخميني في حديث القائد الخامنئي

الإمام الخميني (رضوان الله تعالى عليه) كان عالماً جليلاً، وفقيهاً رسالياً، وفيلسوفا عظيماً، ومصلحاً كبيراً وسياسياً مقتدراً، وكان يتمتع بسجايا أخلاقية سامية[1].

إن المبادئ الإسلامية التي أرساها الإمام الخميني (قدس سره) لاطلاق الثورة الإسلامية، والتي عرفها القاصي والداني في هذا العالم الفسيح، تشكل بعداً آخر في غاية الأهمية في شخصية الإمام الخميني الراحل يجدر بأن تولى الإهتمام الجاد.

لقد امتاز الإمام الخميني، بقدرته الفائقة على إحباط محاولات القوى الكبرى التي استهدفت محو الهوية الإسلامية، على غرار ما حدث في فترة المشروطة (الحركة الدستورية) وفي مرحلة تأميم النفط [2]، لأنه (طاب ثراه) قام بالثورة الإسلامية انطلاقاً من قواعد وركائز رصينة، قوامها الإستقلال، وبهذا فإن سماحته فوت الفرصة على الأعداء، وقوض مساعيهم لتفريغ الثورة والدولة في ايران، من مرتكزاتهما الإسلامية.

وعلى خلفية الأسس التي وضعها إمامنا الراحل، فإن الجمهورية الإسلامية باعتبارها حدثاً عصرياً بلا نظير، أحيت روح الأمل في المجتمعات الإسلامية والأمم غير الإسلامية، ولهذا فقد رأينا بأن القوى العظمى ومنذ بدايات انتصار الثورة الإسلامية في إيران، وحتى يومنا هذا لم تدخر وسعاً لإخماد هذا الوهج النوراني، وقد حشدت طاقاتها لإطفاء جذوة هذا الأمل. لكن على الرغم من كل المؤامرات فإن مسلمي العالم ما فتئوا يتفجرون حيوية واندفاعاً للالتفاف حول هذا النظام الإسلامي.

كما أن شعبنا يثق تماماً بأن المضي قدماً نحو تحقيق أهداف الثورة وتوجيهات الإمام الراحل، والتمسك بثوابتهما، هو وحده الذي يفضي الى سبيل السعادة في الدنيا والآخرة. والإمام الراحل (اعلى الله مقامه الشريف)، حدد المعالم والخطوط العريضة للتحرك وهي أمور لا يمكن التراجع عنها، حفاظاً على الثورة ومكتسباتها [3] .

إن الخطاب الرسمي الأميركي الموجّه إلى شعب ايران العظيم، يعتمد منطق الغطرسة والتهديد والإهانة، لكن هذا الشعب العظيم واستناداً إلى تمسكه بمبادئ العزة والكرامة والإستقلال يتحدى تماماً هذه المواقف، وهو لن يسمح لأي نظام، بأن

يسئ إليه، أو أن ينتقص منه. وإزاء ذلك يتعين على الشعب والمسؤولين، التزام اليقظة والحذر في مواجهة ممارسات الأعداء.

إن الحرب والحملة الأميركية الشعواء، على الشعب الأفغاني المغلوب على أمره، تثير اشمئزاز الشعوب بشكل كبير ضد الولايات المتحدة، وإني لأحذر أية حكومة تتوجس خوفاً من عنجهية الإدارة الأميركية، بأنها إذا ما استسلمت أمام مثل هذا الخوف، فإنها بذلك تحفر قبرها بيديها، لأننا واثقون بأن الشعوب باستقامتها وصمودها، قادرة على لجم الفطرسة الأميركية.

إن الوحدة الوطنية، هي ضمان لمواجهة وقاحات أميركا، وان الشعب والمسؤولين والتيارات السياسية، مطالبون جميعاً، بصيانة هذه الوحدة، لأن الالتفاف حول أهداف الإمام الخميني (رض) وثوابته، كفيل بإحباط التهديدات الأميركية، وصمام أمان لإدامة المسيرة التي قدم شعبنا تضحيات جمة ومتتابعة لكي تتواصل وتحقق مقاصدها السامية.

ان شعبنا الذي سطر التضحيات بالأموال والأنفس وما يزال، من أجل حراسة الثورة واتّباع نهج الإمام ومبادئه، إذا ما أحس بأن ثمة ضرورة مصيرية تستدعي منه التدخل، فانه سيشق طريقه كالسيل العارم إلى الساحة بكل شجاعة وتفان، وسيعمل بأمضى مما كان قد قدم إبان فترة الدفاع المقدس[٤]. ولو تجرأ العدو على ارتكاب أية حماقة فإن جماهيرنا ستمرغ أنفه في التراب.

إننا إذ نعيش أجواء المقاومة الباسلة، تغمرنا الفرحة والسعادة، ونحن نرى الشعب الفلسطيني خرج كله عن بكرة أبيه لمقارعة الكيان الصهيوني المحمي بدعم ومساندة أميركا التي تشاركه في حمل أوزار الجرائم المروعة ضد أبنائه العزل[٥]. ان الشعب الفلسطيني يخوض الآن صراعاً مريراً ضد المحتلين الصهاينة وهو يقدم التضحيات تلو التضحيات عن وعي وإيمان، وان العمليات الإستشهادية لشباب فلسطين المؤمنين، باتت شبحاً مخيفا للعدو الصهيوني والاستكبار العالمي.

ان الكيان الصهيوني، كيان زائف ولا مشروع، وان أية مفاوضات معه هي مفاوضات هشة وعقيمة وغير قانونية، فضلا عن أنها ستكرس الاعتراف به. ان فلسطين لابد أن تعود إلى اصحابها الحقيقيين، ليقرر ابناؤها من جيل اليوم أو الغد، مصيرها في انتخابات حرة إن شاء الله تعالى.

هوامش المعد :

[1] ألقى الامام الخامنئي (دام ظله الوارف) هذه الكلمة بمناسبة الذكرى السنوية الثالثة عشر لرحيل مفجر الثورة الإسلامية الإمام الخميني (قدس سره) بتاريخ ١٤خرداد ١٣٨١هـ.ش (٢٠٠٢/٦/٤) أمام الحشود الكبيرة من أبناء الشعب الإيراني وكبار المسؤولين وضيوف البلاد الذين اجتمعوا في مزار ضريح الإمام الراحل خارج العاصمة طهران.

[2] حركة المشروطة حدثت في عام ١٩٠١م، وتأميم النفط تم في ١٩٥٢م، وفي كلا الحدثين كان لعلماء الدين المجاهدين دور رئيسي في إدارة الصراع مع النظام الشاهنشاهي العميل، لكن الغرور الذي استحوذ على بعض الزعامات الوطنية، وتمكّن الوصوليين والمتغربين والطفيليين من ركوب التيار، أديا إلى حرف مسيرة تينك الإنتفاضتين التاريخيتين، الأمر الذي وفر الأرضية لإزاحة الزعامات الدينية، أو إجبارهم على الإعتكاف، او تصفية بعضهم جسدياً، ما جعل الشعب الإيراني يسحب ثقته، لانحيازه دائماً إلى موقف المرجعية الدينية والعلماء المجاهدين، لما كان يشاهده من تراجع عن الأهداف والمبادئ المعلنة. فاستغل الإستكبار هذه الثغرة للإلتفاف على إرادة الجماهير مرتين الأولى في زمن الحكم القاجاري، والثانية في عهد الشاه محمد رضا بهلوي. وقد أفلح في الإمساك بمقاليد الأمور ومواصلة هيمنته على البلاد من خلال عمالة النظام، إلى أن هيّأ الله سبحانه وتعالى القيادة الحكيمة للإمام الخميني الذي نجح في الإطاحة بالحكم الملكي واستبداله بالحكم الجمهوري الاسلامي ، انطلاقاً من متطلبات الحاضر والمعاصرة، كما أنه (رض) استلهم من تجارب الماضي ما يعزز المسيرة متجاوزاً الأخطاء التي ارتكبت في المشروطة والتأميم، وهذا هو المراد من اشارة القائد الخامنئي. ولسماحته (مد ظله) كلمة مأثورة حول الدور المصيري للإمام الراحل قال فيها: (ان هذه الثورة لا تعرف في أي مكان من العالم إلا باسم الخميني).

[3] جدير بالذكر بأن عام ١٤٢٠هجري قمري سمي من قبل القائد الخامنئي، باسم عام الإمام الخميني (رض) وذلك بمناسبة الذكرى المئوية لميلاده الميمون (ولد الإمام في ٢٠جمادى الآخرة من عام ١٣٢٠هجري) وقد وجه سماحته نداءً دعا فيه إلى إحياء تلك المناسبة جاء فيه : (ان إمامنا الكبير رحمة الله عليه كان رمزاً لتجديد حيوية الشعب الإيراني والأمة الإسلامية كافة. فالإمام الخميني بفكره النيِّر، وأسلوبه الحكيم، وإرادته الصلبة، وحزمه وتعبّده، وإيمانه الحقيقي، كان تجسيداً لطموحات الجماهير و قد حمل أهدافها وجسّد تطلعاتها. وحينما وجد الشعب أن آماله تتماهى وخطاب هذا الرجل، سار على نهجه. وبدوره فقد نجح الإمام في إنقاذ إيران ووضع الأمة في مسار جديد، واليوم فان الشعب الإيراني، شعب عزيز، وهو يستشعر قدراته وطاقاته وعزته).

[4] الدفاع المقدس، تعبير يستخدم في الإشارة إلى فترة الحرب التي فرضت على الجمهورية الإسلامية من عام ١٩٨٠م إلى ١٩٨٨م والموسومة دولياً بـ((الحرب العراقية – الإيرانية)).

[5] جاءت كلمة الإمام الخامنئي قبل حلول الذكرى السنوية الثانية لاندلاع انتفاضة الأقصى المباركة في فلسطين التي انطلقت بتاريخ ٢٨/ايلول/٢٠٠٠م وذلك تأكيداً على التلازم المصيري بين نهج الامام الراحل والثورة الاسلامية، وقضية تحرير فلسطين من الاحتلال الصهيوني الغاشم.

تصدير

□□ في نظر أغلب الباحثين والمفكرين والخبراء السياسيين، لم يكن الإمام الخميني(رض) فقيها تقليدياً او قائد ثورة فقط، بل كان مدرسة بكل معنى الكلمة، وأسس مشروعا إسلامياً نهضوياً ترك آثاراً عظيمة في واقع المسلمين أنفسهم، وعلى الساحة الدولية برمتها.

ان الإمام الخميني(رض) استطاع ان يلفت أنظار العالم الى قضايا مثيرة لم يكن من السهل طرحها في الواقع الدولي وفق طقوس الهيمنة السائدة قبل انتصار الثورة الإسلامية في إيران وسياسة التقاسم القائم آنذاك بين القطبين الدوليين.

وربما أدخل الإمام الخميني العالم في حيرة، حينما أعلن وبقوة شعار الثورة الإسلامية «لا شرقية ولا غربية»، وكأنه عندما طرح هذا الشعار الذي وضّح خصوصية الثورة الإسلامية وأهدافها، كان يدعو الى التحرر من هيمنة هذين القطبين، ويمارس سياسة الاستقلال وكسر التبعية بقوة أيضا، حتى إذا قررت الولايات المتحدة الأميركية - وقد اصطدمت جميع مؤامراتها بصخرة الثورة - تحريك أحد بيادقها في المنطقة، قرر صدام حسين شنّ حرب عدوانية ضد الجمهورية الإسلامية الفتية، وسارع الاتحاد السوفياتي آنذاك الى دعم العدوان الصدامي بأحدث الصواريخ والدبابات والطائرات، وقد كانت الحرب العدوانية واحدة من أوضح صور التحالف الغربي - الشرقي ضد الثورة الإسلامية المستقلة التي رفضت - وهي في موقف الدفاع الصعب عن نفسها - ان تتنازل عن هويتها وشعارها، وأرسلت الولايات المتحدة الاميركية مبعوثاً متنكراً بجواز سفر كندي وهو (مكفارلين) ليهبط في مطار مهراباد - طهران حاملا التنازلات الاميركية التي رفضتها الجمهورية الإسلامية.

ولسنا هنا بصدد استعراض الامثلة على صعود الثورة الإسلامية وإصرارها على شق مسيرتها مهما كانت العقبات والمشاكل، ولكننا أردنا ان نشير الى أهمية هذا الشعار في ترسيخ هوية الثورة وتثبيت أهدافها، وفي ذلك برهن الإمام على فكره النهضوي الذي يتسع لأكثر من المواجهة والدفاع والاستعداد وبناء الدولة للانطلاق في المشروع الإسلامي المعاصر نحو الأفق العالمي وهو المجال الطبيعي لرسالة السماء.

هذا التفكير الذي ترجمه الإمام الخميني في ظروف دولية بالغة التعقيد، هو الذي أدى لأن تتعزز الثقة بالطرح الإسلامي كمفهوم وكبديل في ساحات أخرى وعزز الصحوة الإسلامية التي تجاوزت جغرافية العالم الإسلامي الى أوروبا ذاتها وفي داخل الاتحاد السوفياتي نفسه.

إن ما أنجزه الإمام الخميني (رض) لم يكن مجرد تأسيس، بل تعداه ليأخذ شكل المدرسة التي استوعبت عناصر النهوض الإسلامي المعاصر، ومن هنا استطاع الإمام الخميني ان يتجاوز عقدة المحاولة او التجربة التي قادت في مراحل سابقة الى تعميق الاحباط والتقهقر لدى المسلمين، وقادت أيضاً –وهو الاخطر- الى انكفاء الفقه الإسلامي على مسائل الحلال والحرام فقط.

ان الإمام الخميني قد وفّر الأسلوب الواقعي والصحيح للتعاطي الإسلامي المنفتح الأصيل الذي يجمع الثابت مع المتغير مكانيا وزمانيا من جهة، وشروط الانطلاق وفق ثوابت التقليد الإسلامي من جهة اخرى، وهذا يعتبر فتحاً إسلامياً كبيراً اذا ما قورن بحقبة زمنية طويلة سابقة ساهمت بكل آثارها واسقاطاتها في تهميش الإسلام وتقليص دوره في الحياة.

لقد شكّلت شخصية الإمام الخميني (رض) محوراً أساسيا لأية دراسة أكاديمية هادفة الى الخوض في آفاق المشروع الإسلامي المعاصر وأبعاده المستقبلية وكانت صحيفتنا (كيهان العربي) مصدراً مهماً من مصادر تعضيد هذه الدراسات وتوثيقها لما بذلته هذه الصحيفة من جهود ونشاطات من أجل عرض سيرة الإمام وحياته الجهادية والسياسية وتغطية خطاباته التي شكّلت أحد أعمدة منهجه النهضوي بالاضافة الى متابعتها الحثيثة لما ينشر عن الإمام من بحوث ودراسات، وإجراء الندوات والمقابلات مع الشخصيات الإسلامية والفكرية والثقافية في كافة انحاء العالم.

ونتيجة لمسيرة اعلامية متواصلة قاربت نحو العقدين من الزمن، استطاعت (كيهان العربي) ان تكون أحد المنابر الاعلامية المهمة التي تحملت مسؤولية توضيح معالم مدرسة

الإمام الخميني وفتحت ملفات وافية عن وصيته الخالدة، وكذلك نشر التراث الضخم والعظيم لمسيرة الثورة الإسلامية وهي -اي الصحيفة- اذ تحاول أن تكون رائدة في مجال المبادرة لإحياء مئوية ميلاد الإمام الخميني، فقد استعانت برصيدها الضخم المتمثل بعلاقاتها الواسعة مع كبار علماء الدين والمفكرين والسياسيين والباحثين والرموز الحركية والاكاديمية والصحافية في مختلف ربوع العالم. وقد تحمّل مكتب مؤسسة كيهان للصحافة والنشر في دمشق خلال الاعوام الاخيرة هذه المهمة بجمع نحو (٧٦) بحثا ومقالا عن شخصية الإمام الراحل (قدس سره) لتشكل كتاباً قيّماً ومهماً.

ولا ننسَ ان نسجل جزيل شكرنا وتقديرنا الفائق للاخ الأستاذ حميد حلمي زادة الذي بذل جهودا مضنية من أجل التوافر على هذا الكم القيّم من الدراسات والبحوث والقراءات وفاءً للإمام الخميني (طاب ثراه) في ذكرى مئويته الاولى.

ان (كيهان العربي) اذ تسجل فائق شكرها وتقديرها لكل الذين ساهموا في بحوث هذا الكتاب المرجعي، انما يحدوها الأمل في ان يساهم هذا المجهود في تبيان معالم مدرسة الإمام الخميني (رض). ولا تنسى شكرها وامتنانها للأستاذ حسين شريعتمداري ممثل سماحة الإمام القائد والمشرف على مؤسسة كيهان للصحافة والنشر على دعمه واسناده لهذا الانجاز الرائع.

ومن الله التوفيق.. والله من وراء القصد

محمد مهدي روحاني

طهران ٢٠ جمادى الثانية ١٤٢٠هـ

[1] رئيس تحرير صحيفة كيهان العربي الصادرة في طهران.

مقدمـــة الطبعة الثانية

حين صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب ما كان في توقعي أن ينال مثل هـــذا الرضا والاستحسان من القرّاء ولاسيما الرواد والباحثين والكتّاب المعروفين في كثير مـــن البلدان العربية والإسلامية، ومن الإخوة الزملاء في وسائل الإعلام المقروءة والمرئيـــة في سورية وإيران ومناطق أخرى من العالم، ممّن أغنوه تنويهاً وقراءة وعرضاً، انطلاقـــاً مـــن حبهم وإكبارهم لشخصية سيدنا الراحل الإمام الخميني (قدس سره) الذي كان مثالاً رائعاً للقائد الغيور على أهداف الأمة وتطلعاتها. وأجد من الـــواجب عليّ أن أتوجه بالشكـــر والعرفان إلى كل من تجـــاوب مع هذا المشروع الفكري، وأعانني - بخاصة - على إنجازه وإخراجه بهذا الشكل اللائق، وبما يتناسب مع مكانة مفجر الثورة ومؤسس الجمهوريـــة الإسلامية في إيران (رض). وأود هنا التنويه إلى النقاط التالية:

- إن كتاب "ثورة الفقيه ودولته" ليس كتاباً في السير والتراجم أو في علم الرجال، ولا هو بكتاب مديح شخصي لعظيم يســـتحق المدح والتكريم حقاً، وإنما هـــو كتـــاب يؤرخ بالدرجة الأولى لأمة في رجل .. لثورة في بطل .. لنهضة عالمية غرّاء صنعها عالم دين رباني في حقبة زمنية مهمة وحساسة جداً من راهننا المعاصر.
- إنه كتاب الإسلام المحمدي الأصيل والمدرسة الحسينية التي أسســـت لنهـــج الجهـــاد والتضحية والفداء وبذل الأموال والأنفس في سبيل الله عزّ وجل، دفاعاً عن العقيدة والأوطان.. المدرسة التي كانت ومازالت ملهماً لشعبنا الإيراني المجاهد، وللمقـــاومين والإستشهاديين الأحرار في لبـــنان وفلسطين، الذين يعبّدون بدمـــائهم ومـــآثرهم، دروب الإنعتاق والحرية والنصر على الطاغوت الصهيونـــي المدعـــوم بالاســـتكبار الأميركي الهمجي.

- على الرغم من أن هذا الكتاب يتناول بالدراسة والتحقيق معالم المشروع الحضاري الإسلامي للإمام الخميني طاب ثراه، فانه يحكي انتصار حزب الله على حزب الشيطان في ٢٦/٤/٢٠٠٠ وطرد العدو الصهيوني الغاشم من جنوب لبنان جاراً وراءه أذيال الخيبة والمهانة على مرأى ومسمع العالم الذي طالما سئم من غطرسته وجبروته الفارغتين. وهو أيضا يروي قصة الثورة الفلسطينية المتصاعدة منذ بدايات القرن العشرين والمتأجّجة بشكل أسطوري منذ ٢٨/٩/٢٠٠٠ تاريخ انطلاقة انتفاضة الأقصى المظفرة ضد القتلة والمجرمين الصهاينة الذين اغتصبوا الأرض ونكّلوا بأصحابها دون شفقة أو رحمة، ودنسوا المقدسات الإسلامية والمسيحية، كالمسجد الأقصى في القدس الشريف وكنيسة المهد في بيت لحم وغيرهما، وبحماية أميركية غربية عمياء.
- يتضمن هذا الكتاب، الردود المقنعة على أباطيل أميركا المستكبرة والغرب المتصهين و"إسرائيل" المجرمة، الذين سعّروا من عدوانيتهم وإرهابهم على المسلمين والعرب في أنحاء العالم بعد حوادث ١١ أيلول ٢٠٠١ في نيويورك وواشنطن، رغم أن الأمة تبرأت مما حصل هناك وأنكرته. إن كتاب "ثورة الفقيه ودولته"، يبيّن سماحة الإسلام ووداعته ويدحض بالأدلة القاطعة اتهام المسلمين بالإرهاب، ويفضح الإرهابيين الحقيقيين من زعماء العولمة والأحادية القطبية، في زمن انحسار القيم والمعايير الاخلاقية عندهم.
- إزدانت هذه الطبعة بآراء شخصيات ورموز جديرة بأن تأخذ مكانها المناسب في هذا الكتاب إلى جانب كوكبة رجالات الفكر والجهاد والسياسة الذين أثروا بأجمعهم مواضيع البحث في طبعتيه الأولى والثانية.
- إنه كتاب المحبة والسلام إلى كل الأمم والشعوب التي تشاطرنا ونشاطرها الأفراح والأتراح، وتدافع عن قضايانا المشروعة بصدق وبوازع من الأخوة الإنسانية وتطابق المواقف والمصير المشترك، كما نبادلهم نحن مثل هذا الشعور.

إن الإمام الخميني لم يكن قائد أعظم ثورة في تاريخنا الحاضر وحسب، بـــل هــو رجل اختزل في شخصه الأهداف العليا للأنبياء والأوصياء (عليهم السلام) ونذر عمـــره الشريف في هذا الاتجاه وضحى بأعز ما كان يملك، وتمكن من إعلاء صوت الحق رغمـــاً عن أنف الطغاة وقدراتهم التدميرية الهائلة. ولهذا فقد كتب المولى العلي القدير على يديه النصر بعد أن عجز عن تحقيقه آخرون، وصنع النهوض الذي عـــزز الآمـــال في نفـــوس المحرومين والمضطـــهدين في الأرض باقتراب الفرج والخلاص. قال تعالى : ﴿ ونريـــــد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون ﴾ (٥-٦/القصص) صـــدق الله العلي العظيم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وأفضل الصلاة وأتم التسليم على محمد وآله الطاهرين وصحبه المنتجبين

حميـــد حلمـــي زادة

دمشق في ٢٠/جمادى الآخر / ١٤٢٣هـــ.ق

الموافق ٢٩ / ٨ / ٢٠٠٢ ميلادي

مقدمة الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ألم تر كيــف ضــرب الله مثــلاً كلمة طيــبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ﴾ (إبراهيم ٢٤ ــ ٢٥)

صدق الله العلي العظيم

إن شخصية فريدة كشخصية الإمام الخميني (رض)، نالت من الشهرة العالمية حــداً، بحيث لم تتوقف المؤسسات البحثية والمراكز السياســية الأكاديميــة في دوائــر الغــرب بالذات، عن مواصلــة دراستها من أوجه مختلفة، ولا زال البحــث في أبعــاد هــذه الشخصية القيادية متواصلاً على الرغم من أن العقل الغربي يقوم بذلك خدمة لأهــداف سياسية بالدرجة الأولى.

ومثلما كان الإمام الخميني (رض) قائداً فريداً في نظر المسلمين والمستضعفين، فقــد كــان رمزاً عالمياً وزعيماً لامعاً في نظر ألدّ أعدائه من الغرب والشــرق. وقــد ســاعد الإجماع العام حول خصوصيات هذه الشخصية اللامعة على أن يخلــد اسم الإمام في ذهن المحبين والخصوم على حدّ سواء بهيئة القائد الشجاع والفقيه البارع الذي صنــع ثــورة كانت بمستوى التحول التاريخي والعالمي.

ومع أن الدراسات والبحوث التي تخصصت في تناول شخصية الإمام الخميني (رض) كثــيرة، لكن يبقى منهج الإمام وفقهــه وعرفانه وحياته حقولاً خصبة للباحثين، فيمــا تتحول هذه الشخصية باستمرار إلى كنز يلهم المظلومين والمعذبين بمشــروع التحــرر الــذي يعتمــد علــى الإرادة والإيمــان بحريــة الإنســان والمجتمــع.

وشخصية الإمام قد تبدو للباحثين والدارسين وللرأي العام صورة فريدة من القيادة الواثقة بمبدئها وشعبها ومستقبل بلادها، لكنها من وجهة نظر تلامذته وأصحابه وأنصاره شيء آخر فهي ترسم لهم الأمل القادر على كسر القيود مهما كانت كبيرة، وترسم لهم أيضاً التفاؤل بمستقبل المشروع الحضاري الإسلامي الذي جعله الإمام حقيقة ماثلة في عالم أضطر بسبب صلابة الخميني الفولاذية، أن يعترف بأنه كان يناطح جبلاً عملاقاً.

إن القائد الخامنئي (حفظه الله) هو أبرز أصحاب الإمام الخميني (قدس سره الشريف)، عاش عن قرب هذه الشخصية المقدسة، وكان خليفته الأمين على مسيرة الثورة الإسلامية المباركة ومنهج المشروع الإسلامي الأصيل. ولذلك فانه كان في طليعة الرجال المؤمنين الخلص الذين يدركون أن الإمام الراحل كان فريداً في كل تفاصيل حياته، وتدل على ذلك أحاديثه المتواصلة عن شخصيته العظيمة، ولهذا فهو يتحدث بلغة الواقع من أن كل ما قيل وكتب عن زعيم الثورة الإسلامية كان قليلاً.

ومن منطلق الوفاء، كما هي الحماسة والرغبة الشديدة لدى القائد الإمام الخامنئي في توضيح معالم هذه المدرسة الربانية، فقد أطلق مبادرة تشكل صورة الإخلاص للقائد الخميني (رض)، حيث اعتبر عام ١٤٢٠ هجري عام الإمام الراحل في ذكرى مئوية ميلاده، ومن صلب المسؤولية الشرعية، ورغبة في الوفاء، وحرصاً على تحمل قدر من المسؤولية المهنية للإعلام، فقد بادرت وانطلاقاً من مكتب صحيفة كيهان في دمشق، الذي أتشرف بأنني كنت مديراً له منذ عام ١٩٩٥ إلى ١٩٩٩م، إلى إعداد العشرات من البحوث والدراسات والمقالات القيمة، وإجراء العديد من الحوارات التوثيقية، والتي تم الحصول عليها عبر التواصل مع (٧٦) شخصية مرموقة من (١٤) دولة في العالم العربي والإسلامي وشبه القارة الهندية وأوربا.

وكانت بداية العمل في مشروع إحياء مئوية الإمام الراحل، عقد ندوة فكرية استضافها الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب في سورية الشقيقة، وبتعاون مثمر وصادق من أمينه العام الأخ الكبير الدكتور علي عقلة عرسان، الذي أود هنا أن أسجل تقديري الخالص له على تجاوبه المستمر معي في مختلف القضايا والمساهمات التي تخدم

عملية التثاقف الإيراني ـــ العربي، وعموم قضايا الأمة الإسلامية.

وبعد أن رأيت أن ثمة مجالات أرحب لتطوير المشروع، عكفت طوال أكثر من أربعة شهور على إكمال هذا المشوار بإجراء اتصالات هاتفية وعبر الفاكس مع كبار علماءالدين ومشاهير رجالات الفكر و السياسة والعمل الجهادي الإسلامي والوطني، وكذلك مع الشخصيات الأكاديمية والثقافية والإعلامية في مختلف الدول ومنها إيران موجهاً الدعوة لهم للمساهمة في هذا المجهود الفكري الرامي إلى سبر أغوار هذا الإمام الهمام في مختلف الأبعاد والاتجاهات.

ولقد تم وضع منهجية واضحة ومدروسة لبلورة المعالم والخطوط العريضة والفرعية المطلوبة لعملية البحث، والتي عرضت بصورة منفصلة ومحددة على كل من الشخصيات التي استجابت باهتمام بالغ لدعوة صحيفتنا (كيهان العربي) لتناول الشخصية الخمينية في إطار فكري تنويري يشتمل قدر الإمكان على أغلب جوانبها المشرقة.

والحق أقول، أن هذا المشروع، لقي تجاوباً منقطع النظير من قبل مختلف العلماء والباحثين والكتاب الإجلاء سواء في سورية (دمشق وحلب واللاذقية) ، أم في البلدان الأخرى، يضاف إليها إيران، على الرغم من أن التواصل مع بعضهم، تم دون سابق معرفة أو لقاء ، حتى أنه لم يتعد أحياناً حدود التحادث الهاتفي فقط. ومن المهم التأكيد على أن الذين رحبوا بهذه الدعوة أخذوا بعين الحسبان أمرين أساسيين :

الأول : أهمية العنوان متمثلاً في جلالة وعظمة قدر وشأن صاحب الذكرى الذي ألهب حماسة المظلومين والمستضعفين بمواقفه الحاسمة وملاحمه الخالدة وإشراقاته الإيمانية الصادقة التي عمت فيوضاتها أنحاء الأرض.

الثاني : معرفتهم السابقة بالمكانة الإعلامية المرموقة لصحيفة (كيهان العربي) التي شقت طريقها حتى الآن بنجاح، وغدت محطة مهمة للقارئ العربي والإسلامي في سبيل توخي حقائق الجمهورية الإسلامية ثورة ودولة ومجريات من جانب، ومواكبة مواقف وأداء رجالاتها البررة فيما يتصل بالقضايا الكبرى والمصيرية للشعب الإيراني والأمة الإسلامية من جانب آخر.

ونظراً لأهمية البحوث والمقالات والحوارات التي تناولت هذه المناسبة العظيمة، فقد أرتأينا أن نجمع هذا الجهد الخير، في كتاب ضخم ليكـــون مصـــدراً رئيســـياً جامعاً يضم الدراسات والتحقيقات الوافية التي تعبر عن وجهات نظر المســـاهمين بها(*) ، وهـــم من جنســـيات ومـــدارس و اتجاهـــات فكرية مختلفـــة، و مذاهب وديانات متعددة، ويمكن اعتبارها توليفة متميزة لقراءات عالمية عن شـــخصيـــة الإمـــام الخميني (رض)، ولو في بعض جوانبها.

وأملنا كبير في أن يسهم عملنا هذا بقدر من الوفاء للزعيم الراحل، ولخليفته الإمام السيد علي الخامنئـــي (دام ظله) على طريق خدمة الإسلام ومشـــروعه الحضـــاري. وأرى من الواجب، اغتنام هذه الفرصة لتقديـــم جزيل الشكر وفائق الاحترام والتقديـــر للشخصيات الكريمة التي رفدت هذا الكتاب وأثرته بأفكارها وآرائها الطيبة واختزنت فيه مشاعرها وعواطفها النبيلة والصادقة إجلالاً وتكريماً لذكـــرى مئويـــة ميـــلاد آيـــة الله العظمـــى الإمام السيد روح الله الموســـوي الخميني (قـــدس ســـره) مفجـــر الثـــورة الإسلامية ومؤسس الجمهورية الإسلامية في إيران ورائد النهوض الإسلامي بل وصانعه في العصر الحديث.

(*) الأبحاث والدراسات و التقييمات الواردة في هذا الكتاب هي مـــحاولات جادة وصادقة لعرض رؤى الإمام الراحل في القضايا المتعددة. و قد سعى المساهمون بها قدر الإمكان إلى تبيان تصورات فقيد الأمة الإسلامية الكبير في مواقفه من القضايا الخاصة و العامة أو في تعامله مع الحركات والتيارات والشخصيات الدينية والفكرية والسياسية التي واكبت نهضته المباركة قبل وبعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران. وليس بالضرورة أن تكون الأفكار المطروحة في هذا المضمار متطابقة مع خط الإمام الخميني لأنها آراء شخصية حاولت قدر الإمكان بلورة معالم صاحب هذه المدرسة في جميع الأبعاد و الإتجاهات. كما ورد في بعض آراء عدد من الشخصيات المشـــاركة في هذا الملف، أحـــاديث ومواضيع خاصة، ربما أراد الباحثون منها الإيحاء إلى جوانب معينـــة من تاريخهم الســـياسي والنضـــالي الذي تزامن مع نهوض المشروع الإسلامي الثوري للإمـــام (رض). وقـــد إرتأينـــا أن تأخذ مجمل هذه القضايا مكانها في هذ المجموعة الكاملة دون تبنٍّ لها بشكل أو بآخر ، إنطلاقاً من الحفاظ على النصوص. (المعد)

ومن الواجب أن أسجل هنا أيضاً جزيل شكري وامتناني لوزارتي الإعلام والثقافة في الجمهورية العربية السورية ، هذه الدولة التي ترجمت الإخلاص للعمل الإيراني العربي المشترك، والوفاء لقضايا المسلمين المصيرية بروح عالية من الأخوة والتلاحم والوئام. فقد وفرت الجهات المعنية في هذا البلد الشقيق لنا فرصاً كافية لخدمة هذه القضايا والتطلعات اعلامياً وفي مقدمتها مساندة الحق الفلسطيني المغتصب، التي شكلت محوراً أساسياً في ثوابت الإمام الراحل وثورة شعبنا الإيراني المؤمن بقيادة الولي الفقيه.

وإذا كان للوفاء في هذا الجهد حصة كبيرة، فإن هذا الوفاء يفرض عليّ شخصياً أن أعترف برعاية ودعم الأخ الأستاذ محمد مهدي روحاني (أعزه الله) مدير مسؤول ورئيس تحرير جريدة كيهان العربي الدولية الذي كان له ــ ولزملائي وزميلاتي المحترمين أعضاء أسرة الصحيفة ــ كبير الأثر في ظهور هذا الكتاب بهذا الشكل الرفيع.

ولا يمكنني هنا أن أغفل أبداً نعمة مجاورتي مزار السيدتين الجليلتين الكريمتين العظيمتين العقيلة زينب الكبرى (عليها السلام) ورقية (عليها السلام)، وكذلك مجاورتي أصحاب المقامات المشيدة في أرض الشام من أهل البيت (عليهم السلام) والصحابة البررة الأخيار (رضي الله عنهم وأرضاهم)، الذين نفحوني دائماً بسبب كرمهم ولطفهم وإلهامهم طيلة فترة وجودي وإقامتي وعملي بين ظهرانيهم، فلهم مني جميعاً كل المحبة والمودة والعرفان بالفضل.

وإذ نأمل ختاماً من كل هذا المسعى رضا المولى عزّ وجل وخدمة قضايا الإسلام، فإننا نسأله تعالى أن يتقبل منا هذا العمل المتواضع، وأن يحشرنا مع الإمام الخميني (رض) يوم القيامة، إنه سميع مجيب.والحمد لله رب العالمين وصلى الله على رسوله المصطفى محمد الأمين وعلى آل بيته المعصومين المطهرين وصحبه المنتجبين.

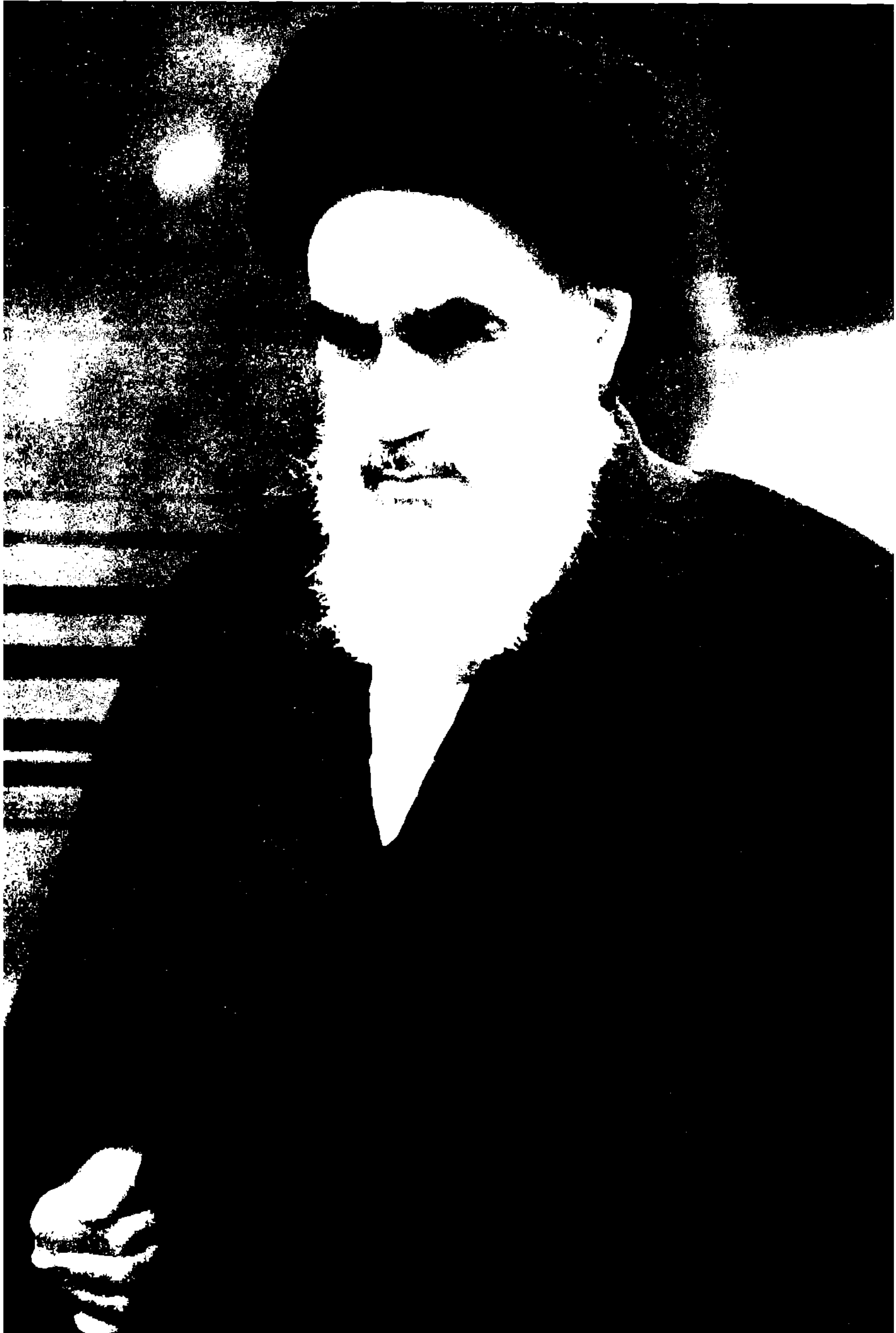
حميد حلمي زادة

دمشق في ٢٠ جمادى الآخرة ١٤٢٠ هجري

الموافق لـ ١ / ١٠ / ١٩٩٩ ميلادي

لبنان

- آية الله السيد محمد حسين فضل الله
- الدكتور الشيخ فتحي يكن
- آية الله الشيخ محمد مهدي شمس الدين
- السيد حسين الموسوي (أبو هشام)
- العلامة الشيخ عفيف النابلسي
- العلامة الشيخ حسين شحادة
- العلامة الشيخ حسين كوراني
- الأستاذ حسين شرف الدين
- الأستاذ حسن حدرج



أبعاد شخصية الإمام الخميني.. نظرة تحليلية

آية الله السيد محمد حسين فضل الله

■ مزايا شخصية الإمام الخميني(رض)

امتاز الإمام الخميني(رض) بأنه لم يكن يعيش ازدواجية الشخصية بين دائرة ودائرة كانت تتحرك فيها عناصر شخصيته، وإني لأتصوره منذ انطلاقته الاولى في الحياة، ذاك الإنسان الذي وعى الواقع الذي يعيشه المسلمون لا سيما في إيران، وعرف طبيعة اللعبة الدولية التي عملت بمختلف مواقعها الدولية الروسية والبريطانية والأميركية على احتواء إيران وإخضاعها للمصالح الدولية بما في ذلك الجانب الثقافي الذي يطلّ على الجانب السياسي والآخر الاقتصادي والثالث الأمني.

ومن خلال ذلك كله نشأ في وجدان الإمام الخميني (رض) نوع من القلق الإسلامي في الخطوط السياسية المنفتحة على اكثر من دائرة، وبدأ يفكر، وربما كانت افكاره جنينية في مستوى الاحساس في البداية، ثم بدأت تتحرك بما يتناسب مع نموّه في الحوزة العلمية كطالب يحاول ان يجد نفسه في عداد المجتهدين الذين يملكون قوة التأثير في الساحة ليستطيعوا تثويرها وتحريكها وتوعيتها في اتجاه الهدف الكبير.

وعندما نتمثل عناصر شخصيته لا نستطيع ان نحكم على هذه الثورة الصاعقة في حركته على أنها نتيجة حالات شعورية طارئة، لذلك فإنني اتصوره قد فكّر كثيراً وعاش بصدق معنى الثورة في حركة الواقع بحيث كان يخطط لذلك في حجم ثقافته وطاقته.

ولقد رأينا صوته يرتفع كمن يغرّد خارج سربه، وربما كان في تاريخ إيران السياسي

(*) من كبار العلماء الشيعة المفكرين في العالم الإسلامي.

غير البعيد بعض الانتفاضات السياسية الإسلامية التي تمثلت في (المشروطة) و(المستبدة) وفي بعض الحركات الإسلامية الصغيرة هنا وهناك كحركة نواب صفوي (فدائيان إسلام) وغيره، لكن الإمام (رض) كان يفكّر بطريقة اكثر واقعية من حيث دراسة العناصر التي يمكن ان تحرّك الشعب الإيراني، طريقة أقرب الى واقعه، بينما كانت تتجه حركة فدائيان إسلام او حركة الكاشاني في إيران الى اعتماد أسلوب الاغتيال السياسي. وغالبا لا يحقق هذا الأسلوب أهدافا كبيرة بل ربما يحاصر الحركة بطريقة لا تجد استنكاراً بيّنا وفاعلا من الشعب، ولهذا فانه منذ بداياته استخدم اسلوب الخطاب الاسلامي التعبوي ولم يكن إذّاك مرجعاً، واستطاع ان يدرك ان المسألة الايرانية لا يتحكم بها الوضع الداخلي بل هي مرتبطة بشكل وثيق بالمسألة الخارجية، وان اللعبة الدولية السياسية ولاسيما الأميركية كانت تعمل على توظيف الحاكم ليحرس مصالحها وليصادر شعبه لحساب مصالح الإستكبار العالمي.

▪ وعي المسألة الداخلية

ومن هنا بدأت حركته انطلاقا من وعيه للمسألة الداخلية وخلفياتها ومؤثراتها الخارجية. ولعل قيمة حركة الامام السياسية في عناصر نجاحها كانت في عدم استغراقها كثيرا في المسألة الخارجية وتركيزها بالنسبة العالية من الاهتمام على المسألة الداخلية كونها المسألة المركزية التي عايشها الشعب، ولم تكن تحتاج الى تنظيرات غير عادية كثيرا ليتحسسها هذا الشعب كما هي الحال في المسائل الخارجية التي يهتم بها عادة الواعون لأبعاد اللعبة الدولية. ولا يفهم من قولنا ان هذه المسألة كانت خارج تفكير الإمام او انه لم يكن واعياً لها كما ينبغي، بل كان واعياً لها تماماً لكنه لم يطرحها كعنوان كبير أساسي في حركته الشعبية لأن الشعب عادة لا يتحسس الخلفيات السياسية الكبرى ولكن المشتغلين في العمل السياسي كاليساريين وامثالهم هم الذين يتحسسونها ولهذا فان الإمام كان قد اعطى للشعب وعي المسألة الخارجية دون ان يجعلها في الواجهة بحيث تُشغله عن المسألة الداخلية، كأن يتحدث عن جوع الشعب وحريته وامتيازات الحاكم وحالة الإستكبار الداخلي، وبالتالي فقد رأينا كيف كانت حكمته ملازمة لحركته لأنه، وهو الإسلامي في حركته، لم يدخل في معركة مع الاتجاهات الاخرى التي تلتقي معه في مواجهة الإستكبار الداخلي، وبذلك جعل كل هذه الاتجاهات تتحرك معه دون ان ينسق معها ليعطيها قوة بالمعنى السياسي للقوة.

■ مشروع الحكومة الإسلامية

اما (مشروع الحكومة الإسلامية) فقد كان حاضراً في ذهنه منذ البداية، ومن نافلة القول ان الإمام الخميني(رض) لا يمكن ان يكون الا إسلامياً، فلقد كان من الوعي بحيث كان يفكر فيما بعد مرحلة اسقاط الشاه، فلا معنى لأن يسقط الشاه ليتسلم الحكم أولئك الذين لا يلتقي معهم في الفكر ولا يثق بكل منطلقاتهم، لأن اليسار كان يرتبط بطريقة وبأخرى بالاتحاد السوفيتي ولأن الجبهة الوطنية كانت تثور على الشاه لكنها ربما تلتقي مع السياسة البريطانية او غيرها في قبال موقفها من أميركا.

وعندما نقرأ فقه الإمام (رض) نجد ان ولاية الفقيه تمثل قاعدة فقهية أصولية للتفكير في مسألة الحكم العام، فمن الطبيعي ان الذي يفكر في ولاية الفقيه العامة لابد ان يكون قد فكر في الحكومة الإسلامية، ولذلك فعندما ذهب الى النجف كانت الفكرة مختمرة في ذهنه بحيث انه حاول ان يطرحها في المدينة التي لم يعهد ان طرحت فيها مسألة ولاية الفقيه بهذه الطريقة التي يمتزج فيها الفقه بالسياسة، لاننا عندما نقرأ كتاب (الحكومة الإسلامية) فإننا لا نقرأ فقهاً تقليدياً ولكننا نقرأ فقها يتحرك من موقع الادلة الفقهية في تثبيت النظرية بحيث ينفتح على الواقع الذي يوحي للآخرين بأن على الفقيه مسؤولية التحرك باتجاه هموم الجماهير، ولا يكون ذلك الا بنزول العلماء الى ارض الواقع ليواجهوا الانحراف السياسي، وان يؤكدوا الإسلام في حركتهم وطروحاتهم، وان لا ينعزلوا عن المجتمع والتغيرات التي تحدث في داخله بين وقت وآخر، مما ينعكس سلباً على واقع المسلمين سواء في داخل إيران او في خارجها. فمسألة الحكومة الإسلامية كانت كفكرة موجودة في ذهن الإمام منذ البداية، وربما كانت تطورات الاحداث ونجاحاته في حركة هنا وحركة هناك، قد عمقت فكرة الثورة والحكومة في نفسه لأنه بدأ يشعر بواقعية المسألة وبأنها ليست تجريداً في الخيال بل يمكن لها ان تجد الفرصة الأكيدة للنجاح.

لكن من خلال دراستنا لحركته في الحكومة الإسلامية بعد نجاح الثورة نرى انه لم يكن يخطط لتفاصيلها، كما رأينا انه اعطى الضوء الاخضر لتشكيل حكومة يغلب عليها الجانب اللاإسلامي حتى ان (مهدي بازركان) لم يكن إسلاميا بالمعنى السياسي كما تفهم الحركات الإسلامية الإسلام، بل كان مثقفا يملك رؤية إسلامية تتجاوز الجوّ التقليدي لكنه لم يكن لديه أية خبرة في المسألة السياسية وهذا ما جعله يبادر الى الاتصال بأميركا معتبراً ذلك أمراً طبيعياً، باعتبار ان أميركا هي التي تمثل الأب للعصر السياسي الإيراني الحديث من خلال الاتكال على إرثها في ايران الشاه.

■ ممارسة العلماء للحكم

ونلاحظ ايضاً ان الإمام الخميني(رض) بادر الى الذهاب الى قم كمرجع وجعل الحكم بيد المدنيين ولم يوافق منذ البداية على ان يدخل العلماء او الروحانيون في الحكم لانه ربما كان يتصوّر ان الروحانيين ليست لهم خبرة في الحكم او في السياسة وان خبرة المدنيين قد تكون أفضل في هذا المجال، وعلى ضوء هذا لم يقبل في البداية ان يتسلّم الروحانيون المواقع الرسمية الكبرى كرئاسة الجمهورية او رئاسة الوزراء بل اقتصر على ما يناسب اختصاصهم كما في حقل الادعاء العام الذي اوكله للدكتور بهشتي (رحمه الله).

وكان يلوح من خلال ظواهر الأمور انه قد قرر الاقامة في قم، ولولا إصابته بالنوبة القلبية التي فرضت ان يأتي الى طهران حيث نصحه الاطباء بالبقاء فيها لبقي في قم مشرفاً على الجو العام دون ان يتدخل في تفاصيل عمل أدوات الحكم القائمة باعتبار ان ذلك قد يساعده على انجاز مشروعه وتحاشيا لإرباك الأجهزة العاملة على استكمال مشروع الدولة، وهذا ما لاحظناه في الكثير من الثورات في العالم الثالث التي كان القائمون عليها مخلصين لفكرتها، لكن العناصر البشرية التي استخدموها للوصول الى الأهداف لم تكن بالمستوى المطلوب.

وربما تصور بعض الإسلاميين آنذاك ان كل السياسيين الذين تعاونوا معهم لم تكن لديهم الخبرة الكافية في إدارة الحكم، وربما كانوا قد درسوا السياسة والادارة في المعاهد والجامعات لكنهم لم يعيشوا التجربة التي تخولهم اكتساب الخبرة والأهلية للحكم لأنهم كانوا إما في السجون او في المنافي، لهذا شعر الامام (رض) بأن التجربة أصبحت في مواقع الخطر، وأن الإستكبار العالمي بدأ يمد يده الى داخل الثورة التي شجعها في البداية لانه كان يأمل ان تكون إيران إسلامية كباكستان، وكان يتصور أن المشايخ لا يستطيعون إدارة الدولة بل كان ينتظر ان تعود ايران اليه طائعة وهذا ما بدا بسرعة من خلال سياسة (مهدي بازرگان) لولا أن الجو الثوري كان من القوة بحيث استطاع ان يُجهض هذه التصورات.

■ إشراف الولي الفقيه

وربما كان الإمام (رض) يتصور أن ولاية الفقيه تقتضي الإشراف على الجو العام من خلال الادوات التي تملك الخبرة في السياسة والادارة، وغني عن البيان ان الإمام حينما قصد قم ليكون مرجعاً لم يكن يريد التخلي عن مسؤولية الولاية بحيث يترك للآخرين

العمل بمعزل عنها، فبكل تأكيد كان(رض) يتحرك على ان يكون الفقيه مرجع الأمور لكنه من خلال ما رأيناه من تجربته بعد ان تسلّمت القوى الإسلامية الحكم، كان يترك للمسؤولين ان يعيشوا تجربتهم، وكان يراقبها فاذا اخطأوا في موقف او كلمة او ما أشبه ذلك، كان ينبههم. ومن الايجابيات الكبيرة التي تسجل له(رض) انه كان ينبههم الى ذلك من خلال الشعب وفي الهواء الطلق، ولم يكن ينبههم في السرّ حتى يتعلّم الشعب ان لا يعيش المجاملات او اجواء ما وراء الكواليس، بل كان يؤمن بالوضوح، فكما كان واضحاً مع الشعب كان يريد للمسؤولين ان يكونوا واضحين معه، وكان يريد ان يكون واضحاً مع الشعب في تنبيه المسؤولين على اخطائهم.

ومن كل ذلك ندرك أن الإمام(رض) كان يفكر برعاية التجربة والاشراف عليها لكن المشكلة هي ان الادوات التي كانت معتمدة في البداية لم تكن إسلامية، وهذا هو الذي جعل شخصاً مثل (بازركان) يخطط للاتصال بأميركا، وشخصاً مثل (بني صدر) ان يكون على رأس الدولة، وبالتالي فقد فشلت تجربة ان يكون المؤمنون بالإسلام الذين يعيشون نوعاً من التقوى الثقافية والسياسية والعملية بعيداً عن ادارة الحكم. ولعل شجاعة الإمام الخميني(رض) هو انه كان يتراجع عما يتبين فشله من خلال التجربة.

■ المؤامرات التي اعترضت التجربة

وبعد ان عاش التجربة الاولى مع (بازركان) والثانية مع (بني صدر) ورأى كيف توجهت كل المؤامرات في الداخل والخارج لنسف الثورة من جذورها مستهدفة شخصياتها الأساسية بالقتل كما في تفجير مقر الحزب الجمهوري واغتيال الشخصيات المهمة مثل الشهيد مطهّري والدكتور مفتح، بعد كل هذا فتح المجال للإسلاميين لإدارة الأمور الأساسية للدولة، فجاءت رئاسة الشهيد رجائي وحكومة الدكتور باهنر كتتويج لهذه النظرة. ولذا فإننا نعتبر ان تجربة الجمهورية الإسلامية كانت قد اعترضتها مشاكل كثيرة ناشئة من عدم الخبرة من جهة او من خلال الاوضاع المتوترة التي عاشتها إيران والثورة الإسلامية وما أحاط بها من مشاكل من جهة اخرى، فلا إشكال ان الكثير من الأخطاء قد وقعت لكن المؤمنين بعد ذلك تربوا على يدي الإمام(رض) ودخلوا في قلب التجربة واستطاعوا ان يعطوا صورة جيدة عن ان الإسلاميين بما فيهم علماء الدين قادرون على ان يفهموا طبيعة اللعبة الدولية والتحرك بين الالغام وقيادة الحرب التي فرضت على إيران وان ينجحوا في ذلك، خاصة وان هدف الأعداء كان إسقاط إيران الإسلام.

▪ صلاحيات الولي كصلاحيات النبي

ومن الطبيعي ان القول بولاية الفقيه العامة يعني ان الفقيه يملك صلاحيات الإمام المعصوم(ع) باعتبار ان الولاية في الحكم والحكومة لم تنطلق من موقع صفته النبوية او الإمامية بل من موقع كونه حاكماً، وهذا هو معنى قوله تعالى ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾[٦ الأحزاب] وهذا هو معنى الدولة بمداها الأشمل، فالنبي اولى بالمؤمنين من انفسهم في المصالح العامة التي تتوقف عليها القضايا الحيوية في المجتمع مما قد لا يرضى بها الناس ولكن المصلحة تفرضها.

ولذا نجد ان النبي(ص) في يوم الغدير عندما أراد أن ينصّب علياً (ع) حاكما، قال: «ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم» لأنه ركّز القاعدة التي تسمح له بأن ينصبه في هذا الموقع، فاذا كانت الولاية متصلة بحاجة المجتمع المسلم الى حاكم فان كل صلاحيات النبي والإمام لابد ان تكون للفقيه ولا دخل للعصمة في ذلك.

ولكن بعض الفقهاء، حتى ممن يرون ولاية الفقيه العامة قد يرى ان للنبي وللامام خصوصية ليست للفقيه أي أنهم يقرون بهذا النوع من الولاية العامة ولكن بحدود.

ولعل الإمام الخميني(رض) اراد في الاشارة الى حديث الثقلين في مستهل وصيته الشهيرة، ان يؤكد بأن الإسلام الاصيل هو الإسلام في خط اهل البيت(ع) فهو الذي يصل بهم الى النتائج الكبرى.

▪ المخالفون لولاية الفقيه

واما اذا درسنا الموقف من ولاية الفقيه خاصة بالنسبة لمن يعارض هذه الولاية، فإننا نقف عند نقطتين: اولاً: ان العلماء ولاسيما المراجع لم يعارضوا ولاية الفقيه من موقع عقدة بل عارضوها من موقع علمي وذلك على أساس ان الادلة التي استدل بها الإمام الخميني(رض) كما استدل بها غيره من قبله او من بعده لم تكن دالة عند هؤلاء العلماء، ولذلك فانهم لم ينطلقوا في رأيهم المخالف من ناحية سياسية في ذلك لأن الابحاث التي بحثوها كانت سابقة على طرح الإمام الخميني(رض) كما بالنسبة للشيخ الانصاري(رض) الذي لم يكن يرى ولاية الفقيه كما اورد ذلك في (المكاسب) وكان سابقاً للامام في رأيه.

ولذا فلا يمكن تفسير معارضة المراجع لولاية الفقيه من ناحية سياسية، فنحن نعرف ان بعض المراجع الكبار الذين لم يقولوا بالولاية - ولاية الفقيه - لم يتحركوا في خط مضاد للجمهورية الاسلامية التي ارتكزت على قاعدة ولاية الفقيه. كما هو الحال بالنسبة للسيد

الخوئي(رض) الذي لم يرَ هذا الاتجاه الا انه رفض كل الإغراءات والضغوط التي وُجهت اليه من قبل النظام العراقي لاتخاذ موقف مضاد للثورة الإسلامية في إيران، بل كان يرخّص لمقلّديه دفع الحقوق الشرعية الى الجمهورية الإسلامية لتجاوز محنة الحرب.

والنقطة الثانية، هي ان التجربة الشيعية او المسار الشيعي التاريخي لم يكن يرى ان مسألة التصدي للحكم هو أمر واقعي، بل كان العلماء يعتبرون حركة الإمام الخميني (رض) حركة في الفراغ وانها ربما تخلق للواقع الشيعي مشاكل كثيرة في إيران والعالم اكثر مما تخلق من مكاسب ومنافع، وقد يكون ذلك ناتجا عن عدم وجود رؤية سياسية واضحة للواقع المعاصر والعناصر التي يمكن للثورة ان تنجح من خلالها في الواقع المتحرك.

وربما كان البعض يعيش في أجواء التاريخ او لأن الثورة الإسلامية لم تكن تملك في تلك المراحل الكثير من فرص النجاح، حتى ان بعضهم اعتبر النجاح صدمة للواقع، وربما فسّرها البعض بالجانب الغيبي، لهذا فإنني أتصور ان المسألة لم تكن مسألة رفض للولاية كما هو الحال في المعارضات السياسية في الواقع السياسي. وفي المحصلة، فان الإمام الخميني(رض) لم يأت بجديد على صعيد ولاية الفقيه، الا ان الجديد هو تحركه نحو اعطاء الولاية حركتها في الواقع.

■ الظروف التي ساهمت في نجاح الثورة

وربما يذكر المحللون ان نجاح الإمام الخميني(رض) في الثورة يلتقي مع ظروف سياسية ملائمة، ولعل بعض هذه الظروف راجع الى ان أميركا بدأت تعدّ العد العكسي للشاه لأنه راح ينتفخ اكثر مما كانت تريد له أميركا، حيث بدأ يفكر في سوق إقتصادية آسيوية، وفي بعض المشاريع التي لا تلتقي مع خطوط السياسة الأميركية في المنطقة.

هذا من جهة، ومن جهة ثانية فان أميركا كانت تفكر بأن حركة الإمام الخميني(رض) هي حركة مشايخ (ملالي) لا يلبثون حتى يعطوا الحكم للعلمانيين او السياسيين بالاشتراك مع بعض المتدينين كما هي الحال في الباكستان. وكانت تتصور ان بامكانها احتواء الثورة وربما كان امتناع الشاه عن انزال الجيش للساحة بشكل مكثف يمثل جانبا من هذه السياسة الأميركية التي لم تسمح له بذلك، او تمنت عليه ان لا يفعل ذلك.

ويرى بعض المحللين ان أميركا قد تفكر في تجديد بعض الانظمة عندما تستنفد مهماتها وادوارها، وربما فكرت بذلك في إيران بطريقة ثورية يمكن لها ان تستوعب الشعب ثم تسير القافلة كما تريد أميركا، لكنها اخطأت الحساب لانها اخطأت فهم شخصية الإمام الخميني(رض) واخطأت فهم حركة الشعب الإيراني مع الإمام

الخميني(رض).

ومن الطبيعي اننا نتحدث عن العناصر الواقعية للمسألة اما العناصر الغيبية فهي هنا كبيرة وكثيرة جداً ولعل منها ان أميركا التي تملك اكبر جهاز للمخابرات في العالم لم تستطع ان تفهم سرّ الثورة الإسلامية وسرّ شخصية الإمام الخميني(رض).

■ الإنجاز الكبير

ويمكن القول بإطمئنان، إن الإنجاز الأكبر الذي حققه الإمام الخميني(رض) في مستوى الدعوة، هو أنه استطاع أن يصدم العالم كله بالإسلام، وأن يدخل الإسلام الى كل عقل وقلب، وان يجعله شيئاً علمياً وعملياً، في الوقت الذي كان الإسلام يعيش الإنكماش في الواقع السياسي والثقافي في العالم، وربما استطاع من خلال ثورته المدوية ان يُسمع كل الشعوب والبلاد التي لم تكن قد سمعت بالإسلام من قبل، بهذا الدين العالمي وكل ذلك كان من خلال ثورته الناجحة التي حققت هذا الهدف الكبير.

كما أن إنجازه الكبير على مستوى الدولة هو نجاحه في تأسيس الدولة الإسلامية وتحريك الواقع الإسلامي في خط الوعي والصحوة الإسلامية بحيث ان الحركة الإسلامية كانت تمثل مجرد سواقٍ هنا وهناك نجح في ان يجعلها كالنهر الكبير الذي يمتد في اكثر من موقع إسلامي في العالم، واستطاع ان يقوّي الحركات الإسلامية في العالم وحركة الصحوة الإسلامية بشكل مباشر او غير مباشر. وربما كان اسم الإمام قد انكمش في العالم بعد غيابه لكن نتائج ثورته مازالت تتفاعل من خلال الواقع الإسلامي كله وان لم يكن من موقع لافتة الثورة.

■ إرادة إيران للإسلام

واذا ما نظرنا الى مقولة مهدي بازركان التي ادلى بها الى الصحافة، وهي انه اراد الإسلام لإيران فيما اراد الإمام الخميني(رض) إيران للإسلام، فاننا نرى ان الإمام الخميني(رض) كان فقيهاً مسلماً حركياً، ومن الطبيعي ان اي فقيه بهذه المواصفات لابد ان يفكر في الإسلام بحجم العالم، وان ينظر الى اي موقع من مواقع الحركة الإسلامية على انها تمثل جزءاً من حركة الإسلام في العالم.

ومن هنا، فإن الإمام أراد إيران للإسلام باعتبار انه كان يفكر في أسلمة العالم، ولذلك كانت شعاراته التي أطلقها تمثل هذا الاتجاه، كما في ندائه «يا ايها المسلمون اتحدوا» فلقد اطلقه للعالم كله. كما انه أراد للمستضعفين في العالم ان يتعرفوا على الإسلام الذي

يتحرك مع المستضعفين من منطلق القضايا الكبرى التي لا تتجزأ، وأراد من خلال ذلك ان يرسي مبدأ تدعيم القوة، فأية قوة لهم تكون قوة للموقع الآخر الذي يمثلهم، وأي ضعف يمنون به يمثل ضعفا في موقع آخر.

والشيء نفسه يقال عن حديثه عن الإستكبار العالمي ونظرته الى العالم كله، فالإمام(رض) لم ينظر الى إيران بشكل خاص بل الى الأفق الإسلامي العالمي عندما تحرك في شعار (جمهورية إسلامية لا شرقية ولا غربية) وان كانت إيران بالنسبة له تمثل المنطلق باعتبار انها مركز القوة الذي استطاع من خلاله ان يهزّ مركز القوة للاستكبار العالمي في المنطقة من جهة، وان يثبت مركز القوة للثورة من خلال القاعدة الإسلامية في العالم من جهة اخرى، كما ان نشاطه بعد نجاح الثورة قد شمل المواقع كلها مما أصبح الغرب يطلق عليه (عملية تصدير الثورة). فلقد كان يريد تثوير العالم الإسلامي، فكان يفكر في إرسال الجيش من إيران الى فلسطين من أجل تحريرها او للقتال ضد الصهاينة.

ومن هذا وذاك، نرى ان الإمام كان يفكر في نجاح الثورة الإسلامية في إيران لتنجح في العالم الآخر من خلالها، ولذلك كان قبل نجاح الثورة يفكر بنجاحها في إيران حصراً، ولم يكن يفكر بتبديد جهوده في متاهات الاوضاع الموجودة في البلاد الاسلامية، ولذلك ركّز جهوده كلها على إيران كمنطلق.

ولعل قراءتنا لكثير من أدبيات الإمام الخميني(رض) تؤكد انه كان حركياً إسلامياً في حجم قضية الإسلام في العالم، ولم تكن الثورة في إيران الا مرحلة في هذه الاستراتيجية الواسعة.

■ العامل الغيبي في الثورة

ومن الطبيعي اننا نؤمن بالغيب وان الله ينصر من ينصره، وان الله خاطب المؤمنين بقوله: ﴿**إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم**﴾ [محمد ٧] وان الله أراد من المؤمنين ان لا يهنوا وان لا يحزنوا وقال لهم؛ ﴿**وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين**﴾ [آل عمران ١٣٩]، وحدّثهم عن الواقع فأراد للمؤمنين ان لا يسقطوا اذا مسّهم قرح، فإن حركة الجهاد كما تفرض على المجاهدين ان يعيشوا قرحاً هنا، وقرحاً هناك، فانهم في المقابل يوقعون القرح في الطرف الآخر، وانهم اذا كانوا يألمون من التحديات فان الآخرين يألمون ايضاً ولكن الفرق ان المؤمنين يرجون من الله ما لا يرجوه اعداؤهم.

ولذا نعتقد بأن الألطاف الخفية التي أحاطت بالثورة من جهة وبالإمام(رض) من جهة اخرى بحيث حفظت حياته في مواقع الخطر وحفظت الثورة من أعدائها ايضا، لكن أن

نفسّر كل شيء بالإمداد الغيبي فهذا على خلاف سنّة الله في الكون.

▪ التوازن بين الواقعين الغيبي والمادي

ولقد استخدم الإمام الخميني(رض) هذا المعنى لكنه في الوقت نفسه كان يتحدث عن الظروف الطبيعية، وكان دوره كفقيه وكمرجع وكعارف ان يربط الناس بالله وان يوحي اليهم ان كل شيء من الله واليه وان دورنا هو دور المنفذين لإرادته وصولاً الى الأهداف.

لذلك نقول بأن الطاقة الروحية التي تتمثل في كل هذا الغنى الروحي الموجود في الآيات الكريمة والسنة النبوية الشريفة ضرورية جداً لكل حركة الصراع لاسيما عندما لا يكون هناك توازن بين هذا الفريق وذاك، لكننا نريد ان نؤكد على نقطة معينة وهي ان اعتبار الأشياء المادية الأسس في كل شيء هي نظرة خاطئة في الواقع وفي الإيمان، كما ان اعتبار الغيب هو السبب المباشر لكل شيء بحيث يجعلنا نبتعد عن دراسة الواقع والتخطيط والأخذ بأسباب القوة لترسيخه نظرة خاطئة أيضا.

فعلينا ان نزاوج بين انفتاحنا على السنن التي اودعها الله في الكون وفي حركة الإنسان وبين الفيوضات الألهية التي تمثل الامداد الغيبي في ساعة العسرة او المواجهة.

ولقد استخدم الإمام الخميني(رض) هذين العنصرين أفضل استخدام مع ملاحظة انه ركز على الجانب الروحي لأن الساحة الإسلامية بفعل الهزائم السياسية والامنية والإقتصادية التي عاشتها تحت ضغط الإستكبار العالمي وظلم الحكم المحلي هنا وهناك، من خلال الأنظمة زادت الناس شعوراً بالإنبهار بالغرب وبالاحساس بالسقوط أمامه، ولذا أراد الإمام ان يقوّي هذا الجانب الإيماني الروحاني في الثقة بالله والانفتاح عليه حتى يستطيع الناس ان يتماسكوا واستطاع ان يطرد كل تلك الثقافة التي ركزت على الجانب المادي لينطلق الناس من خلال الجانب الآخر، وليجدوا فيه ما لم يجدوه في أية قوة مادية.

وأعتقد ان أصحاب الثورات يتحركون جميعاً في هذا الاتجاه، فنحن نستطيع ان نحدث الناس بنقاط الضعف او نوحي لهم بهذه النقاط الموجودة في الإستكبار العالمي. ولعلنا نتذكر هنا (ماو تسي تونغ) وكم هو الفرق شاسع بينه وبين الإمام، عندما قال: «ان أميركا نمرٌ من ورق» وكان يعلم انها نمرٌ يملك انياباً ذرية، ولكنه اراد ان يفرّغ وجدان الشعب الصيني من السقوط تحت تأثير الاحساس بالرهبة والموقف من القوة الأميركية، غاية ما هناك ان «ماو تسي تونغ» استخدمها بطريقة مادية سياسية، ولكن الإمام استخدمها من خلال العناصر الروحية الإيمانية غير البعيدة عن ثقافة الشعب وواقعه.

■ دور الفقاهة السياسية

بعد كل هذا العرض نريد ان نؤكد على ان لفقاهة الإمام دوراً في فهم المسائل السياسية بطريقة فقهية توحي للشعب بأنه عندما يتحرك في ميدان السياسة فهو يتحرك بالطريقة الفقهية التي يتحرك بها في حياته اليومية. وان المسألة السياسية في كل خطوطها العامة والتفصيلية وكذا المسألة الادارية هي مسائل فرعية كما هي المسائل الأصولية الاخرى، بحيث استطاع من خلال شخصيته كفقيه لا كسياسي يحمل شعارات سياسية، ان يخضع السياسة للخطوط الفقهية العامة والتفصيلية بحيث ان الشعب عندما يقاتل او يطبق القانون فانه يشعر انه يتحرك كما لو كان يصلي او يصوم او يمتنع عن شرب الخمر، فهو يؤدي ذلك كجزء من تكاليفه الشرعية.

وعلى هذا فإن صفات المرجعية هي التي تجعل المرجع في الموقع المؤثر للولاية لاسيما أن هناك أناساً لا يتحملون الولاية – ولاية الفقيه – على اعتبار أن التاريخ السياسي الشيعي لم يكن تاريخ ولاية الفقيه بحسب النظرية وبحسب الواقع رغم انهم ينفتحون على المرجعية ،ولذلك فان مرجعية الإمام الخميني(رض) كان لها تأثير كبير في ارتباط الشعب وثقته به وبالثورة.

■ شخصية الإمام العرفانية

وإلى جانب ذلك فإن علينا ألا نغفل شخصية الإمام العرفانية لأن هذه الشخصية استطاعت أن تمنعه مما قد يصيب الكثيرين من الناس الذين يحصلون على سلطة مطلقة بما يمثله الإطلاق من معنى سياسي فيتكبرون ويتجبرون ويظلمون، وينتفخون باعتبار ان التجربة أكبر من طاقاتهم، لا سيما الاشخاص الذين لا يعيشون أخلاقية القيادة الورعة، لذلك نقول بأن الإمام الخميني(رض) بهذا الوعي العرفاني الذي استطاع ان يحمي الثورة من أهواء الغير وأمزجتهم في هذا المقام وهنالك كلمة للإمام زين العابدين(ع) تذهب هذا المذهب «اللهم فكما كرهت لي ان أُظلم فقِني من ان أُظلم». ولذا فإنني أعتبر ان السلطة خطرة سواء كانت سلطة المرجع او سلطة الولي او سلطة الحاكم بل حتى في الدوائر المتدرجة، فالسلطة قد تؤدي بالإنسان الى السقوط اذا لم يربّ نفسه على التقوى ومحبة الله والخوف منه ومراقبة نفسه، وهذا ما نستوحيه من كلمة الإمام زين العابدين(ع): «اللهم لا ترفعني في الناس درجة الا حططتني في نفسي مثلها ولا تحدث لي عزاً ظاهراً الا احدثتَ لي ذلّة باطنة عن نفسي بقدرها» وهذا ما نستوحيه من كلمة الامام علي (ع) ايضا عندما كان يسمع أحداً يمدحه «اللهم اجعلني خيراً مما يظنون واغفر لي ما لا يعلمون».

▪ شجاعة الإمام السياسية

لقد كان الإمام الخميني(رض) عرفانياً ومؤمناً بحركته الإسلامية وكان يرى انها تكليفه الشرعي تماما كما هي الصلاة والصوم، ولذلك كان يريد ان يوصل المسألة الى حافة الهاوية ولم تكن ثمة مشكلة في ان يتجاوز الحافة.

ولذا فان هذه العناصر التي تمثل عمق وعيه لمسؤوليته وتكليفه الشرعي، كانت السبب في شجاعته وصلابته في المواقف، بحيث كان لا يحسب حساباً للإحتمالات السلبية التي يفكر فيها السياسيون عادة، وكان لا يوافق على أنصاف الحلول، كما كان لصلابة شخصيته في عناصرها الذاتية التي انضمت الى كل ذلك، الدور الكبير في شجاعته السياسية التي انطلق فيها متوكلاً على الله ومستمداً القوة منه على طريقة قول المولى: ﴿**إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا**﴾[التوبة ٤].

▪ ثقة الإمام بالشعب

ومن دلائل شجاعته(رض) انه كان يثق بالشعب، واني لأتذكره في إحدى خطاباته وقد اجتمع لديه أركان الدولة كلهم حيث قال «كل ما عندنا من الله واذا كان هناك شيء فهو من الأمة وليس لي شيء في ذلك». فالإمام(رض) كان يؤمن بالشعب ويؤمن بطهارته واخلاصه وإيمانه، وربما كان يعتقد ان سلبيات الشعب قد تكون منطلقة من نقاط الضعف في القيادة من جهة وفي الواقع المحيط من جهة اخرى، لكنه رأى من خلال حركته كيف وقف الشعب معه، ولذلك فإنه لم يفقد ثقته به، وكان لا يحمّله المسؤولية عن أي إخفاق، إنما كان يحملها للذين وقفوا ضد الثورة ممن لا يمثلون الأكثرية الشعبية سواء الذين هم في مراكز القيادة او بعض الاحزاب والتجمعات وغيرها.

كان(رض) يؤمن بالأكثرية الشعبية التي وقفت معه في كل مراحل جهاده ولم تخذله يوماً قط.

▪ التعامل مع المعادلات السياسية

ومما يلفت النظر في الجانب السياسي لشخصية الإمام(رض) انه لم يكن يتجاهل السائد من المعادلات والقوى السياسية الدولية، لكنه كان ينظر الى نقاط الضعف فيها، وكان يؤمن بامتلاك القوة الكبيرة التي يستطيع من خلالها ان ينتصر، بالإضافة الى الجانب الغيبي الذي أخذ عليه كل عقله وقلبه.

كان(رض) حكيماً في دراسته للظروف السياسية الموجودة حوله ولكنه كان خلافا لكثير من القيادات السياسية التي تنظر برهبة الى مواقع القوة لدى الإستكبار العالمي فيما كان هو ينظر الى مواقع الضعف والوهن فيها.

وزبدة القول ان الإمام الخميني(رض) كان يستمد شجاعته السياسية من الله بالاضافة الى ما أودعه الله فيه من عناصر الشخصية، وكان يرى واقعية حركية الشجاعة من خلال الأمة.

▪ إزالة روح الهزيمة

وانطلاقا من ذلك فإن خطة الإمام(رض) كانت تقوم على ازالة روح الهزيمة عند الناس باعتبار انهم يفكرون في حركة الصراع والمواجهة بحسابات القوة والضعف، ومن الطبيعي انهم عندما يواجهون نظاما حديديا كنظام الشاه، او عندما يواجهون الإستكبار العالمي فانهم سوف يسقطون ويضعفون، ولعل الآيات التي اشرنا اليها تدلل على ان المسلمين كانوا يعيشون حالة الضعف، وعندما نقرأ في قوله تعالى: ﴿**وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك أبتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً**﴾ [الاحزاب ١٠-١١] نجد ان الإيمان بالله والإمداد الغيبي والحديث عن نصر الله للمؤمنين، وسائل روحية لا تبتعد عن ثقافة الإنسان المسلم فيما يقرأه في القرآن أو يسمعه من أحاديث النبي(ص) او من المواعظ التي تتحدث عن النصر والهزيمة، وانها ليست محكومة بحسابات العدد ﴿**كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله**﴾ [البقرة ٢٤٩] ولسيت محكومة بالحكم المادي. لقد كان هناك شيء في الغيب يمكن ان يطل على النصر، وهذا المعنى يفرّغ نفوس المؤمنين من الإحساس بالهزيمة النفسية ومن الخوف من الآخر بالطريقة التي يستطيعون ان يصمدوا بها وان يتحملوا البلاء والمشاكل على أساس الامداد الغيبي ﴿**أحَسِبَ الناس أن يتركوا ان يقولوا آمنّا وهم لا يفتنون ولقد فتنّا الذين من قبلهم فليعلمنّ الله الذين صدقوا وليعلمنّ الكاذبين**﴾ [العنكبوت ٢ - ٣].

▪ نجاح الإمام فيما لم تنجح فيه الحركات:

واذا ما أجرينا دراسة مقارنة بين حركة الإمام(رض) وكفاح الحركات الإسلامية التي بدأت بالانتفاضة هنا والتحرك هناك، نفهم ان هذه الحركات لم تكن تملك الشروط الضرورية لنجاحها لأن المنطقة الإسلامية بشكل عام ومنطقة الشرق الأوسط بشكل خاص تعيش في تحركها ومعنى القيادة في ذهنها مع شخصية البطل لا مع شخصية الحزب والحركة، وربما كانت قداسة المرجعية في الذهنية الشيعية ذات دور كبير جداً في هذه

المسألة، باعتبار ما يختزنه المسلمون الشيعة في إيمانهم من وجوب التزام فتوى المرجع وحكمه ذلك ان الراد عليه هو كالرادّ على النبي والإمام وهو بالتالي كالرادّ على الله عز وجل.

ولذلك لم تنجح الحركات الإسلامية في استقطاب المجتمع للثورة، ولم يستطع الاشخاص الذين تحركوا هنا وهناك في احداث ذلك لأن حركتهم كانت في نطاق محدود. لم تكن حركة استراتيجية تنطلق من الأمة، فيما استطاع الإمام الخميني(رض) ان يحرك الشعب نحو معارضة الشاه، وكانت بذور ذلك التحرك منثورة في الواقع الإيراني بشكل عام، ولكنها كانت بحاجة الى من يطلقها ويحركها ويثوّرها ويخرجها من القوة الى الفعل، ولذلك نرى ان المرحلة الاولى التي انطلق فيها الإمام الخميني(رض) كانت مرحلة التوافق بين حركته وبين الواقع الشعبي مقارنا بالحركات الاخرى التي كانت تحارب الشاه، ومنفتحاً على اجواء المنطقة ولاسيما العربية المعارضة للشاه مما جعل الإمام الخميني(رض) آنذاك رمزاً للثورة ولكن كانت هناك معوقات تعترض سبيله، منها ما هو في داخل الواقع الشيعي المرجعي حيث لم يكن آنذاك مرجعا بل أستاذ من كبار اساتذة الحوزة العلمية، ومن هنا تجرأ الشاه على ان يحكم عليه بالاعدام لانه لا يمكن الحكم على المرجع بهذا الحكم، وقد خطط علماء قم لإنقاذه باصدار بيان يؤكد انه من المراجع، وهذا ما ابعده عن المصير الذي لقيه نواب صفوي.

وبعد نفيه، بدأ الإمام يبلور لمشروع الحكومة الاسلامية من خلال درس بحث الخارج، وصدر كتاب بهذا العنوان يشتمل على وجهة نظر الإمام التي طرحها في درسه والتي تمثل الخطوط الأساسية لمشروعه، واصبح الإمام منذ هجرته الى النجف المرجع الذي توجّه التقليد اليه، فيما نشطت الحركة الإسلامية في إيران منطلقة من بروزه كمرجع في الواقع الشعبي، كما ان الإيرانيين المهاجرين وغير الإيرانيين قد دانوا له بالتقليد، الأمر الذي يدلل على نمو مضطرد في حركة الإمام التي يضاف اليها ما كان يُدلي به من أحاديث في الأشرطة التي راحت تنتشر هنا وهناك، وهذا وذاك وغيره راح يطرح الإمام كقائد لحركة الشعب المعارضة، ويمكن القول انه كان يحظى بتنظيم جديد لم يأخذ صفة الحزبية بالطريقة الفنية للاحزاب ولكنه كان تنظيما مركزاً يتوزع فيه معاونوه الادوار.

ثم مثّل إخراجه من العراق وحلوله في باريس تطوراً كبيراً ونوعياً، بل شكل منعطفاً مهما لجهة انفتاح العالم اعلاميا على حركته بشكل مباشر، واستطاع(رض) ان يوصل صوته من خلال هذه المحطة - باريس - عمقاً وامتداداً، الا ان النقطة المهمة هنا هي ان صلابة الإمام في رفض الحلول الوسط وتنامي حركة الشعب في الداخل استطاعت ان

تقرّب مشروعه من نقطة الحسم.

ويضاف الى ذلك شخصية الشعب الإيراني المسلم الذي يختلف عن كل شعوب المنطقة،بما عاشه من صراعات سياسية في قضايا الحكم وتفاصيله قبل ما يقرب من مئة سنة اي منذ ايام (المشروطة) و(المستبدة) فبالاضافة الى تدينه وعلاقته بالعلماء والمراجع كان يملك حركية سياسية لم يكن يملكها اي شعب في المنطقة.

وقد تأتي في السياق (ثورة العشرين) في العراق وتحركات سياسية نهضوية او ثورية محدودة، لكنها لم تنطلق من خلال وعي التفاصيل السياسية في حركة الصراع التي كانت - في إيران بالخصوص - تشمل الشعب كله مما جعله مستعداً لتقبل اية حركة سياسية من خلال وعيه السياسي.

■ ثورة على صعيد المرجعية والحوزة

أما بخصوص الحوزة العلمية، فان الإمام الخميني(رض) لم يتحدث عن المسألة كمشروع يتحرك في التفاصيل، ولكننا عندما ندرس حديثه عن الفئات المتحجرة التي وقفت في مواجهته فإننا نرى انه كان يعبّر عن ذلك بقوله: ان رصاص الأعداء الحي هو أهون على قلبه من رصاص هؤلاء.. وعندما كان يتحدث عن هؤلاء المقدسين المزيفين الذين يقفون ضد الثورة وضد التحرك السياسي الإسلامي فإنه لم يهادنهم او يجاملهم او يسكت عنهم بل كان ينتقدهم في خطاب هنا وخطاب هناك.

وفي الجانب الآخر، نلاحظ انه كان يدفع الحوزة باتجاه الجامعة وهذه باتجاه الحوزة حتى تتكامل الحوزة مع الجامعة والجامعة مع الحوزة، ومن ذلك يمكن ان نخلص الى ان الإمام الخميني(رض) لم يكن ليرتضي هذا المناخ الذي تعيش الحوزة فيه، ولا يقبل بهذا التخلف والتحجر في ذهنيات الكثيرين من الكبار والمراجع.

وربما نلاحظ ايضاً انه كان في بداية ثورته واعلان ولاية الفقيه كشكل للحكومة الإسلامية، يتحدث عن كبار المراجع في نظريتهم حول الولاية الخاصة في مقابل الولاية العامة، او في بعض مواقفهم في التقرّب من الشاه بطريقة وبأخرى.

وعلى هذا يمكن القول ان الإمام الخميني(رض) كان يجد من الضروري للحوزة ان تنفتح على قضايا الإسلام المتحرك في شؤون الإنسان العامة والذي يستطيع ان يركز تحدي الإستكبار والكفر العالمي، وان يرد على التحديات الموجهة من قبله.

ولهذا فان دراستنا لطبيعة حركته ولحركة الذين وقفوا ضده من الرجعيين والمتحجرين

تقودنا الى ان الحوزة التي تخضع لهؤلاء وتتحرك في خططهم هي حوزة لا يرتضيها الإمام، ولقد كان يتحدث عن ضرورة معرفة الفقيه بالواقع ليحيط بتفاصيله، وربما كان ذلك شرطا في اجتهاده واستنباطه وحركته.

ولقد كنّا ولا نزال نتجاوب مع هذه الأفكار لأننا منذ ان كنا في النجف – في بدايات تحركنا – كنا نحمل مثل هذه الافكار، ومن هنا فإننا التقينا مع الإمام الخميني(رض) في أفكاره عن عقلية بعض علماء الحوزة وكان أول مرجع يطرحها بهذه الصيغة وبهذهالصراحة، بل ان حركته ذاتها تمثل ثورة في موقع المرجعية.

▪ الإمام الخميني والقائد الخامنئي

واذا ما أجلنا النظر في الواقع الراهن لنجري مقارنة بين عهدين، فانني عندما أتصور عناصر شخصية الإمام الخميني(رض) في الأبعاد الروحية والمستوى الفقهي والشجاعة السياسية الميدانية، فانني اتصور انه انسان لم يتكرر، ولكن القيادة الحالية ممثلة بالقائد الخامنئي تمثل وعياً إسلاميا منفتحاً على العالم المعاصر ومعرفة دقيقة بالتفاصيل لم يكن للامام الخميني(رض) وقت ليخوض فيها، لاسيما ان القيادة الحالية عاشت تجربة الحاكم المباشر من خلال رئاسة الجمهورية كما عاشت حركية الثورة.

وعندما ندرس الخطاب الإسلامي لدى القائد الخامنئي فإننا نرى انه خطاب ينفتح على الخطوط العامة لخطاب الإمام الخميني(رض) وقد ينفتح على اكثر من ذلك من خلال متابعته للمشاكل التي يعيشها المسلمون في العالم الإسلامي وحذره الكبير من أية حالة يمكن ان يضعف فيها الشعب امام التحديات ليعطي الشعب قوة جديدة حية، وهذا ما لاحظناه عندما كان الوضع السياسي في إيران يقترب من التعقيدات مع أميركا، بحيث ينطلق صوت هنا وصوت هناك لاستعجال إعادة ترتيب العلاقات مع أميركا، كان الصوت الإسلامي الصافي النقي يقف ليزيد العقدة من أميركا من أجل ان يعي الشعب اكثر ما معنى أميركا في إيران، ومعنى أميركا في العالم الإسلامي، لان المسألة انطلقت في فترة السياسة الأميركية وعلاقة إيران بها من خلال الشروط التي فرضها الإمام الخميني(رض) والتي تحاول أميركا ان تتفلت منها، ولكن قيادة السيد الخامنئي استطاعت ان تؤكد هذا الخط.

لذلك، فانني اعتقد ان هناك ايجابيات كبيرة تقترب كثيراً من الايجابيات التي مثّلها الإمام الخميني(رض) ومن الطبيعي فان الظروف الصعبة التي تعيشها إيران الآن تختلف عن الظروف التي عاشتها في عهد الإمام.لان إيران عاشت آنذاك ظروف الحرب التي

تخلط كل شيء وتربك الواقع والتي استطاعت ان تسقط البنية التحتية للجمهورية الإسلامية، وما عاشه الإمام بعد الحرب كان يمثل ذيول تلك الحرب، اما الآن فالأمر مختلف فالمسألة هي مسألة اعادة البناء في ظروف إقتصادية صعبة، وسياسية أصعب، وأمنية لا تقل في خطورتها عن الظروف السياسية والإقتصادية وفي حركة الحريات التي اوجدت في الجمهورية الإسلامية أوضاعا معقدة نرجو ان تتجاوزها، وأعتقد أنها استطاعت على الأقل في هذه المرحلة - أن توحي للعالم بأن الإسلام يفتح المجال للحريات الثقافية بما لا يسقط الخط الإسلامي، والسياسية بما لا يبتعد عن قضايا الحياة.





الامام الخميني استخدم المنبر للتوجيه و الارشاد وكذلك لفضح
ممارسات النظام الشاهنشاهی و للتحذير من المؤامرات الأمريكية

الإمام الخميني
في مواجهة الانحرافات الفكرية والشيطنة الأميركية

الدكتور الشيخ فتحي يكن

تعتبر التحديات الفكرية والثقافية من أخطر التحديات وأشدها فتكا وتدميرا لبنية الأمة وتفتيتا لصفوفها، واجهاضا لمشاريعها، واضعافا لقوتها.

وكما واجه الإسلام في عهد النبوة هذا النوع من التحديات - الى جانب التحديات الاخرى الامنية والعسكرية والإقتصادية - فان الثورة الإسلامية في إيران، واجهت ولا تزال تواجه أقسى المؤامرات وأضراها.

والأمة الإسلامية التي تجابه اليوم كل أنواع المؤامرات العسكرية والأمنية والإقتصادية الأميركية والصهيونية وغيرها، تدرك ان التطبيع الذي يمثل استراتيجية الإختراق الصهيوني لتراث الأمة وثقافتها، هو الأشد خطراً وفتكا من قاذفات القنابل، والطائرات العملاقة، والصواريخ العابرة للقارات، بل وحتى الأسلحة النووية، ذلك ان هذا السلاح يعمل على تدمير المجتمعات من داخلها، وبدون ضوضاء، ومن غير أدنى مقاومة.

ويقول الإمام الخميني: «من جملة المؤامرات التي تركت اثرا كبيرا في مختلف البلدان وبلدنا العزيز، وما تزال آثارها قائمة الى حد كبير، جعل الدول المنكوبة بالإستعمار تعيش الغربة عن هويتها لتصبح منبهرة بالغرب والشرق بحيث انها لاتقيم وزنا لنفسها وثقافتها وقوتها، وتعتبر قطبي الشرق والغرب العنصر المتفوق والارتباط بأحدهما من الفرائض».

(*) داعية ومفكر اسلامي. مؤسس الجماعة الإسلامية في لبنان. يقيم في طرابلس.

ويقول: «الاذاعة والتلفزيون والمطبوعات ودور السينما والمسرح من الوسائل المؤثرة في تدمير الشعوب وتخديرها خصوصا جيل الشباب. فأية خطط كبيرة نفذتها هذه الوسائل سواء في الدعاية المضادة للإسلام والمضادة للروحانية المخلصة، والدعاية للمستعمرين الغربيين والشرقيين. وطبيعي ان لا ندع هذه الاجهزة الخبرية والمطبوعات والمجلات تنحرف عن الإسلام ومصالح البلد، ويجب ان نعلم ان العقل والإسلام يدين الحرية بشكلها الغربي التي هي سبب لدمار الشبان والشابات».

وقبل ان أستعرض معالم مدرسة الإمام الخميني أود ان أتناول وفي الذكرى المئوية لميلاده (رحمهُ الله) محور رؤية مفجر الثورة الإسلامية في إيران لأساليب مواجهة الإنحرافات الفكرية.

انواع التحديات الفكرية[1]

هناك انواع شتى من التحديات الثقافية والفكرية التي واجهت الثورة الإسلامية في إيران وددت ان اصنفها الى ثلاثة عناوين كبرى، على سبيل المثال لا الحصر:

- تحديات فكرية عبر البوابة الإسلامية
- تحديات فكرية عبر البوابة الليبرالية الغربية
- تحديات فكرية عبر البوابة الراديكالية الشرقية

الاول: تحديات فكرية عبر البوابة الإسلامية

هذا النوع من التحديات يعتبر الاخطر لأنه يأتي على البنيان من داخله وبدون سابق إنذار.

والعهد النبوي لم يخل من مثل هذا التحدي، الذي تندرج تحت عنوانه حركة النفاق، وأصحاب مسجد الضرار الذي نزل القرآن الكريم بهدمه.. فقال تعالى **﴿والذين اتخذوا مسجدا ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وارصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفنّ ان أردنا الا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون * لا تقم فيه أبدا لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق ان تقوم فيه * فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطّهرين﴾** [التوبة ١٠٧-١٠٨].

ولقد أشار الإمام الخميني الى أنواع من هذا التحدي:

---

(١) مركز الإمام الخميني الثقافي في بيروت. محاضرة للدكتور فتحي يكن - شباط ١٩٩٩.

ففي نوع منها يقول: «انظروا الهيئات الدينية فستجدون آثار ونتائج تلك الدعايات واضحة، فهنالك البطالون من عديمي الهمم، وهناك الكسالى الذين يكتفون بالدعاء والثناء والتحدث في بعض المسائل الشعرية وكأنهم لم يخلقوا لغير ذلك». ويقول: «الافكار البلهاء التي يثبتها الأعداء مما ذكرنا بعضها، يوجد فينا من يؤمن بها، وفي هذا إدامة للإستعمار والنفوذ الأجنبي، هؤلاء يمنعوننا من الإصلاح والتقدم والنهوض». ويقول: «هؤلاء ليسوا بفقهاء، وقسم منهم قد ألبستهم دوائر الأمن والاستخبارات العمائم هؤلاء يجب فضحهم لأنهم أعداء الإسلام».

وفي نوع آخر يقول: «ان الفقهاء يجب ان يقودوا الشعب ويحصّنوا المسلمين من اندراس معالم الإسلام وتعطل أحكامه. انهم اليوم حجة على الشعب، كما كان الرسول(ص) حجة على الأمة، وكانت الأمور كلها موكولة اليه، فكل راد عليه محجوج».

ويقول: «ان عليكم ان تهذبوا أنفسكم الى الحد الذي يترك سلوككم وأخلاقكم وإعراضكم عن الدنيا أثره في إصلاح الناس، فيقتدوا بكم.. لا أريدكم ان تتركوا التفقه، بل عليكم الدراسة المتواصلة بكل جدية، وما لم تتفقهوا فانكم لن تستطيعوا ان تخدموا إسلامكم».

وفي نوع آخر يقول: «يجب ان نحذف من قاموسنا منطق الهزيمة القائل بأننا لا نستطيع مواجهة القوى الكبرى.. انكم اذا شئتم حققتم ما تريدون بإذن الله».

ويقول: «ان ماحدث في إيران من ثورة يرجع لعاملين، الاول وهو الأهم من غيره، ان الشعب التحم مع الإسلام في مسيرته، بمعنى ان إيران برمتها كانت تطالب بالإسلام، والأمر الثاني ان جميع الأصناف والقطاعات اتحدت وتلاحمت فيما بينها».

ويقول: «أنت أيها الشعب إذا أصررت على الطريق المستقيم، وقمت بالأمر فانك تمسك أزمّة الأمة بيدك. وستصدر منك الأمور وإليك تعود، واذا تحققت الكلمة التي أرادها الإسلام، فان الحكومات الفعلية في العالم لن تستطيع الوقوف أمامها».

ويقول: «ان الإسلام كاد ان ينسى، وكادوا ان يقضوا عليه، وكادوا يسحقون القرآن، الا ان ثورتكم يا شبان، ونهضتكم يا أبناء الشعب هي نهضة إلهية أحيت القرآن، وأحيت الإسلام وأعطت الإسلام حياة جديدة». ويقول: «انني لأخجل حقاً حينما أشاهد هذا الجيل الشاب الذي يطالبني - وهو في عنفوان شبابه - ان أدعو له كي يرزق الشهادة».

ويقول: «إنني انصحكم ايها السادة وانتم على رأس بعض الاقطار الإسلامية ان تسعوا لتحكّموا القلوب لا ان تحكموا الأبدان، والقلوب عنكم بعيدة».

ويقول: «ان احد العوامل التي حققت لكم النصر، هذا التصاعد في الظلم والإرهاب، ذلك ان الرعب والإرهاب عندما يطغيان فإن الانفجار سيتبعه، ويتجمع الحق الشعبي لتطلقه صرخة شجاعة».

ويقول: «وانت اذا كنت لا تمس السياسة الإستعمارية، وكنت في دراستك للأحكام لا تتجاوز النطاق العلمي، فلا شأن لهم معك».

وفي معرض كلامه عن أهمية الدور الذي تقوم به المعاهد والجامعات في إطار البناء والهدم، يقول الإمام الخميني: «يجب ان يعلم الشعب الذي واجه الغارة عليه، ان القسم الأكبر من سبب الضربة المهلكة التي وجهت الى إيران والإسلام في نصف القرن الأخير يعود الى الجامعات. فلو ان الجامعات ومراكز التربية والتعليم كانت تسير وفق برامج إسلامية ووطنية تهدف الى تحقيق مصالح البلد في تعليم الشباب لما امكن أبداً ان تبتلع وطننا بريطانيا وبعدها اميركا وروسيا».

الثاني: تحديات فكرية عبر البوابة الليبرالية الغربية

لقد نشط الغرب في مواجهة الثورة الإسلامية نشاطا استثنائيا على كل صعيد، وفي مقدمة ذلك الصعيد الفكري والثقافي:

- فهو اتهم الثورة بالرجعية والتخلف، وعدم مواكبة العصر.
- واتهمها بالتعصب والعنف والإرهاب.
- وحرك المبهورين به من المستشرقين والمستغربين لتشويه صورتها.
- وحرض العلمانيين على الايقاع بها والنيل منها.

- ثم انه عمد الى تجنيد اقلام الساقطين والمنحرفين، للطعن في الإسلام والقرآن، والرسول (عليه افضل الصلاة والسلام). وفي اشارة ملفتة من الإمام الخميني الى اخطار هذا الفريق من الناس يقول: «ان الكتّاب والخطباء الجهلة المنبهرين بالغرب والشرق يسخرون من ثقافتنا وادبنا وصناعتنا واختراعنا ويقللون من شأن فكرنا وامكاناتنا المحلية ويزرعون فيها اليأس ويروجون بأعمالهم وأقوالهم وكتاباتهم العادات والتقاليد الأجنبية مهما كانت مبتذلة ومنحطة.. واذا كان في كتاب ما او في مقالة او خطابة عدة مفردات اجنبية فانهم يقبلونه باعجاب دون التحقيق في محتواه ويعتبرون الكاتب او الخطيب عالما

ومثقفا».

- وليس المرتدون (سلمان رشدي) و(مصطفى جحا) و(منصور فهمي) و(نجيب محفوظ) الا نماذج لهذه الشريحة التي باعت نفسها لإبليس والشيطان الأكبر.

- لم يتورع (سلمان رشدي) من تسمية كتابه (آيات شيطانية) ولم يخجل من اتهام ابراهيم (عليه السلام) بانه ولد غير شرعي، وان عائشة (رضي الله عنها) داعرة، وان القرآن، الكريم قد أباح الشذوذ الجنسي وشجع عليه، وان القرآن، نفسه من تأليف النبي(ص).

- بل ان زوجة هذا المرتد (ماريان فينغز) لم تخف صهيونيتها من خلال (القصة) التي أعلنت فيها الحرب على المسيحية والإسلام، منفذة نصوص بروتوكولات حكماء صهيون بدقة، ومنها البروتوكول القائل: «لن يكون هنالك سوى دين واحد هو ديننا الذي يرتبط به مصيرنا، ومن اجل ذلك لابد من القضاء على كل العقائد».

من هنا.. كان الحكم بإعدام (رشدي) إجراء وقائيا لوقف هذه العربدة الخسيسة.. ولتحصين العالم الإسلامي والمقدسات الدينية من المروق والفسوق والتخريب.

هذا من جانب ومن جانب آخر يبين الإمام الخميني رأيه في الرأسمالية وموقف الإسلام منها، حيث يقول: «ان الإسلام لا يوافق الرأسمالية المطلقة الظالمة التي تتولى حرمان الجماهير المضطهدة والمظلومة بل انه يدينها بشكل جدي ويعتبرها مخالفة للعدالة الاجتماعية».

الثالث: تحديات فكرية عبر البوابة الراديكالية الشرقية

ومن التحديات الشرسة التي واجهتها الثورة الإسلامية، تحديات الفكر الراديكالي الشيوعي، الذي يعتبر المرتع الخصب لكل أطروحات الزندقة والإلحاد المبنية على مقولة ماركس «لا إله، والحياة مادة».

ولقد واجه الإمام الخميني هذا التحدي باطمئنان المؤمن وثقة الموقن بانتصار الحق واهله، وانهزام الباطل وجنده **﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين * انهم لهم المنصورون * وان جندنا لهم الغالبون﴾** [الصافات ١٧١،١٧٢،١٧٣].

وابتداء ارسل الإمام الخميني رسالة الى غورباتشوف يدعوه فيها الى إعادة النظر بالماركسية ودراسة الإسلام.

وانتهاء أدرك الإمام الخميني ان الفلسفة الماركسية الى زوال، وان الاتحاد السوفياتي الى

أفول، وكان ما كان **﴿فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الامثال﴾** [الرعد ١٧]. يقول الإمام الخميني: «الى اليساريين كالشيوعيين وفدائيي الشعب وسائر التجمعات المتمايلة الى اليسار هي انكم بأي دافع أقنعتم انفسكم واقبلتم على عقيدة هي اليوم في الدنيا فاشلة. انتم لاحظوا منذ بداية وجود الشيوعية كيف ان المدعين لها هم اكثر حكومات الدنيا ديكتاتورية وحباً للسيطرة والأنانية. كم من الشعوب التي سحقت تحت مقامع الشيوعية ..)).

مدرسة الإمام الخميني ملخص منهجية الثورة(٢)

يرى الإمام الخميني ان الغاية هي إقامة الحكومة الإسلامية والتي يعتبرها ضرورة لتطبيق احكام الشرع فترة غيبة الإمام المنتظر حتى لا يدب الهرج والمرج. كما انها الوسيلة لتحقيق الوحدة الإسلامية، وحفظ حقوق الضعفاء ومنع الظلم.

أما آلية التنفيذ فهو يراها على الشكل التالي فيقول: «علينا ان نسعى بجد لتشكيل الحكومة الإسلامية، ونبدأ عملنا بالنشاط الدعائي ونتقدم فيه. ففي كل العالم على مر العصور، كانت الافعال تتفاعل عند مجموعة من الاشخاص، ثم يكون تصميم وتخطيط ثم يبدأ العمل، ومحاولة نشر هذه الافكار وبثها من أجل اقناع الآخرين تدريجيا، ثم يكون لهؤلاء نفوذ داخل الحكومة يغيرها على النحو الذي تريده تلك الافكار او ان يكون هناك هجوم من الخارج لاقتلاع أسسها واحلال حكومة قائمة على هذه الافكار محلها.

والأفكار تبدأ صغيرة ثم تكبر ثم يتجمع من حولها الناس ثم تكتسب القوة، ثم تأخذ بيدها زمام الامور، ولم تكن القوة - كما ترون - حليفة الافكار من اول يوم.. «في هذا كله ينبغي ان نتخذ من الشعب بكل قواه قاعدة رصينة يرتكز عليها ويركن اليها، مع العمل الدائب على التوعية الجماهيرية من اجل فضح خطط الاجرام، وكشف الانحراف الموجود لدى السلطات الوقتية، ويتم تدريجيا استقطاب الجماهير، ويتم الوصول بعدها الى الهدف(٣).

العمل الإسلامي بين النخبوية والجماهيرية(٤)

لإلقاء الضوء على معالم مدرسة الإمام الخميني ينبغي ان نقوم باطلالة - ولو سريعة -

(٢) راجع كتابي (رواد الاصلاح في القرن العشرين) / طبعة بيروت ١٩٩٨ ص ٢٨١.
(٣) المرجع آية الله الخميني (الحكومة الإسلامية) دار الطليعة / بيروت ط١ ١٩٧٩ .
(٤) راجع كتابي: (المتغيرات الدولية والدور الإسلامي المطلوب) ص ٦٧ مؤسسة الرسالة - بيروت /ط ٢ / ١٩٩٥

على مسيرة العمل الإسلامي منذ مطلع القرن العشرين حتى نهايته. فقد شهدت الساحة الإسلامية تجاذب مدارس وتيارات كثيرة.. ولسنا نريد ان نتناول هذه المدراس والتيارات الا من زاوية موقعها، وحدود قربها وبعدها، من نهجي (النخبوية، الجماهيرية) كما لا تدخل في اطار هذه البحث المدارس والتيارات التي لا تحمل مشروعا تغييريا كاملا.

وفي ضوء ذلك كلّه يمكن تحديد ثلاثة محاور أساسية، تمثل ثلاث مدارس حركية تتقاسم ساحة العمل الإسلامي على امتداد العالم.

المدرسة الاولى: وتجمع بين النخبوية والبنيوية والجماهيرية. وقد أسس هذه المدرسة الإمام حسن البنا في (الاربعينات) في أعقاب عدد من المدارس الإسلامية الاصلاحية، كان أبرزها مدارس (الأفغاني، ومحمد عبده، ورشيد رضا).

والمدرسة الثانية: إصطفائية المنحى، نخبوية التشكيل، أسسها الفكر المثالي الذي طرحه الشهيد سيد قطب في الستينات حيث كانت الحركة الإسلامية تتعرض لمحنة ضارية جاوزت في بشاعتها كل التصورات، وتكاتفت على تنفيذها السلطة الحاكمة في مصر، والأجهزة العسكرية البريطانية المتحكمة فيها.

واما المدرسة الثالثة[٥] «وهنا ما يمكن اعتباره مدخلا الى عنوان هذا البحث» فهي «علمائية جماهيرية» شكلتها افكار وطروحات الثورة الإسلامية وبخاصة افكار قائد هذه الثورة الإمام الخميني (رحمه الله).. وهذه المدرسة تقضي بوجوب اشتراك الجماهير بدور أساسي وفعال في نطاق التغيير الإسلامي،وان العلماء يجب ان يضطلعوا بقيادة هذه الجماهير وبقيادة العملية التغييرية برمتها.

الخطاب الإسلامي للإمام الخميني

فيما يلي نثبت بعض أقوال وكلمات الإمام الخميني حول القضايا المحورية للمشروع الإسلامي:

العالمية في المشروع الإسلامي[٦]

يقول الإمام الخميني: « اننا نعتبر الاقطار الإسلامية جمعاء جزءا من وجودنا دون ان يعني ذلك ان تفقد وجودها المستقل، وانما نريد لها ان تتمتع بما يتمتع به الشعب عندنا من

(٥) المصدر السابق ص ٦٨ .
(٦) فتحي يكن (المتغيرات الدولية) ص ١٥٣ .

مزايا الخلاص من براثن القوى الكبرى، وقطع ايديها عن منابعه الحياتية، نريد لهذه الحالة ان يتسع مداها لتشمل كل الشعوب»(٧).

ويقول: «ان الثورة الإسلامية بتأييد الله المنّان تتسع على المستوى العالمي، وهي بمشيئة الله سوف تجر القوى الشيطانية الى التقوقع والانزواء»(٨).

التغيرية في المشروع الإسلامي(٩)

يقول الإمام الخميني: «ان تحطيم الطاغوت، أي القوى المنحرفة الحاكمة في وطننا الإسلامي إنما هو من واجباتنا»(١٠).

ويقول: «لا سبيل لنا الا ان نعمل على هدم الأنظمة الفاسدة المفسدة، ونحطم زمر الخائنين من حكام الشعوب»(١١).

الحكم في المشروع الإسلامي

يقول الإمام الخميني: «ان كل من يتظاهر بالرأي القائل بعدم ضرورة تشكيل الحكومة الإسلامية فهو ينكر ضرورة تنفيذ أحكام الإسلام، ويدعو الى تعطيلها وتجميدها، وهو ينكر بالتالي أصل خلود الدين الإسلامي الحنيف»(١٢) [انموذج علي عبد الرزاق وعموم المستشرقين].

الاصطفائية في المشروع الإسلامي(١٣)

يقول الإمام الخميني: «نحن – أي الفقهاء – مسؤولون عن تهيئة الجو المناسب لتربية وتنشئة جيل مؤمن فاضل يحطم عروش الطغاة»(١٤).

المعنوية القيادية

يقول (رحمه الله): «على المسلمين ان ينهضوا فهم منتصرون في نهاية المطاف، وان أميركا لن تستطيع ان تقف قبال الإسلام»(١٥).

---

(٧) كلام الإمام، ج ١٥، ص ٣١٧ .
(٨) المصدر السابق ج ١٥ ، ص ١٨٧ .
(٩) المتغيرات الدولية / ص ١٥٥-١٥٦ .
(١٠) ولاية الفقيه، ص ٢٠٣ .
(١١) الحكومة الإسلامية / ص ٣٤ .
(١٢) المصدر السابق / ص ٢٧ .
(١٣) المتغيرات الدولية. الفقرات الخاصة بمقولات الإمام الخميني ص ١٥٨ .
(١٤) ولاية الفقيه ص ٢٠٣ .
(١٥) كلام الإمام، ج ١٩ ، ص ١٦٧ .

الإمام الخميني في مواجهة الشيطنة الاميركية[١٦]

لم يكن الإمام الخميني متجنيا على الولايات المتحدة الاميركية او ظالما لها حين سماها ب(الشيطان الاكبر). فلقد كانت شيطانا قبل الثورة الإسلامية في إيران، وتزايد سعارها الشيطاني بعد الثورة التي قادها الإمام الراحل وحتى هذه اللحظة.

وان ما واجهته الثورة الإسلامية في إيران منذ اليوم الاول لسقوط الشاه من مؤامرات وتحديات على كل الصعد دفع الإمام الخميني الى عقد اول مؤتمر في طهران (٢-٦ حزيران ١٩٨٠) عن الجرائم الأميركية... ولكن هل توقفت هذه الجرائم؟

منذ ذلك الوقت وحتى هذه الساعة والولايات المتحدة تتآمر على العالم العربي الإسلامي وعلى العديد من الدول الأوربية والآسيوية والافريقية.. الخارجة على بيت الطاعة الاميركية، وهي تركز بصورة خاصة على إسقاط المشروع الإسلامي وإجهاض الصحوة الإسلامية العالمية.

وواجه المشروع الإسلامي بشكل عام وما يزال يواجه، وبخاصة بعد قيام الثورة الإسلامية في إيران، وسقوط الاتحاد السوفييتي وقيام حالة الإنبعاث الإسلامي في كل مكان تحديات شرسة على كل صعيد، ومن هنا تتضح دقة الصفة التي أطلقها الإمام الخميني على أميركا حينما وصفها بالشيطان الاكبر، وما تمثله من بعد استراتيجي في قراءة الاحداث واستكشاف القوى الظاهرة والخفية.

ولا اذيع سراً حين أقول بأن عدداً من المواقف النوعية والظواهر الصحية قلبت المعادلات الدولية رأساً على عقب.

- فمن معاناة القمع الصهيوني في فلسطين انطلقت انتفاضة (حماس) و(الجهاد الإسلامي) في عام ١٩٨٧

- ومن قلب معاناة الجنوب اللبناني تفجرت المقاومة الإسلامية.

- وفي وجه الإحباط والاذعان العربي أنقل ما سمعته بأذني من الرئيس حافظ الاسد بعد مؤتمر مدريد «لن اسجل في حياتي وحياة سورية انني وقعت على اتفاقات استسلام واذعان مع العدو الصهيوني، اما التطبيع، فلن يكون له اي منفذ الى واقعنا العربي السوري».

---

(١٦) من دراسة قدمتها الى مؤتمر (الثورة الإسلامية والمشروع الحضاري للامام الخميني) الذي عقدته السفارة الإيرانية في مكتبة الاسد بدمشق في ايلول عام ١٩٩٧ .

اما بالنسبة للإمام الخميني فقد كانت قضية فلسطين الشغل الشاغل والقضية المركزية ويكفي ان (يوم القدس العالمي) من شعاراته، وان تحرير القدس هو من أهدافه، وان المقاومة الإسلامية الباسلة أثر من آثاره.

والإمام الخميني الذي أدرك ببصيرته نهاية (الشيطان الاحمر) المتمثل بالاتحاد السوفيتي ودعا الى مؤتمر محاكمة الجرائم الاميركية في بدايات تأسيسه الجمهورية الإسلامية في إيران، يجعلنا نثق اكثر واكثر بأن المشروع الإسلامي والوطني على موعد مع سقوط وانهيار الشيطان الاكبر.

﴿ونريد أن نمنّ على الذين استُضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين﴾ [القصص ٥].



الإمام الخميني وعولمة المشروع الإسلامي الثوري

آية الله الشيخ محمد مهدي شمس الدين

في الذكرى المئوية لميلاد الامام الخميني، لابد من استعادة معالم حياة هذا القائد العظيم الذي اشتملت شخصيته على أسمى المعاني الروحية والعرفانية الى جانب قدراته القيادية.

ولابد أيضا من الحديث عن الانجازات المباركة التي حققتها الثورة الاسلامية في إيران وفي تأسيس الجمهورية الإسلامبة الإيرانية.

ان الفكر السياسي في محاولته لفهم قوة تأثير هذه الشخصية وفهمه لأسباب تأثيرها على مجرى الأحداث في المنطنة والعالم، هذا الفكر قد يحاول ان يلتمس هذه الاسباب فيذكر عادة النظام القمعي المنحرف الذي كان سائدا في إيران قبل الثورة، ويذكر عادة انفصال هذا النظام عن الشعب.

وهنا لابد من الاشارة الى انه كان من خصوصيات الخطاب الثوري للامام (قدس سره) إعادة التواصل بين القائد والشعب، الذي عبّر عن محتواه الثقافي والروحي من خلال استجابة هذا الشعب لنداء الامام. وقد تجسّد هذا التواصل من خلال الإلتزام الحقيقي بالاسلام عقيدة وشريعة ونظام حكم.

ومن خصوصيات الخطاب الثوري عند الإمام التزامه بالمفردات الاسلامية شكلا ومضمونا حيث انه أعاد الحياة الى تلك المفردات، وجعلها حقيقة معاشة في فكر ووجدان الأمة. فلم نجد في خطاب الإمام ما آلت اليه التجارب الثورية والسياسية لجهة استعمال

(*) مفكر اسلامي، رئيس المجلس الاسلامي الشيعي الاعلى في لبنان.

المفردات المختلفة، وانما رسخ معاني المفردات الاسلامية في أوساط الشعب وكان القدوة الصالحة لهم في الإلتزام بهذه المفردات.

لقد أثمر الخطاب الثوري عند الامام التزاماً حقيقياً بالمفردة الاسلامية التي أصبحت الروح المحركة للشعب الإيراني. ومما لاشك فيه ان خصوصية الشعب الايراني تكمن في انه استطاع ان يترجم الاسلام في فكره وسلوكه ومنهج حياته. ولقد تربى هذا الشعب على تعاليم الاسلام وقيمه السمحة، حتى أصبح الاسلام ثقافة عامة للمجتمع وهوية تفاخر بحملها أفراد الشعب الايراني.

ويعود الفضل في هذه التربية الى جهود قياداته الدينية الممثلة بالمرجعيات والحوزات الدينية وفي طليعتها الامام الخميني، والتزامها بتربية الشعب على الاسلام وعلى ثقافة الحكم الشرعي.

وكما هو معلوم، فإن الثورات بعامة تواجه بعض العقبات والثغرات في مسيراتها التنظيمية، الا ان وعي الخطاب الثوري عند الإمام الخميني والتزام الشعب الإيراني بدقة هذا الخطاب، ذلّل تلك العقبات والثغرات وجعل من هذه الثورة تجربة رائدة يُقتدى بها بالنظر لما تمتعت به من مقومات تنظيمية قل نظيرها.

قيادة تاريخية رائدة واعية

ان القيادة التاريخية الرائدة الواعية التي تمثلت بالامام الخميني (رضوان الله عليه) تجاوزت الحدود الجغرافية للجمهورية الاسلامية الايرانية،وانتجت خطاباً ثورياً على مستوى الأمة الاسلامية.. هذا الخطاب أسهم في ترسيخ قناعة لدى الأغلبية الساحقة من المسلمين بأن خلاص الأمة الاسلامية لا يكون الا بالعودة الى الاسلام على مستوى التنظيم المجتمعي السياسي، وقد جاءت الثورة الاسلامية تعبيراً عن التوق الى تصميم العلاقة الوضعية الإسلامية في العالم، بتصحيح العلاقة بين المجتمع السياسي الاسلامي وبين الاسلام،ليجعل الحياة السياسية العامة قائمة على أساس الاسلام، ويجعل صيغة الدول اسلامية.ليتوافق المضمون الداخلي للمسلم مع الصيغة التنظيمية والتشريعية في حياته العامة.

إن الإمام الخميني أعاد من خلال خطابه الثوري طرح الاسلام باعتباره صيغة تنظيمية حضارية منافسة للصيغتين السائدتين الليبرالية والماركسية، وهذا ما أعاد الى المسلمين الثقة بأنفسهم، والشعور بقدرتهم على مواجهة القوى المتغلبة في العالم وعلى بناء صيغتهم السياسية الخاصة بهم.

وانعكس الخطاب الثوري عند الامام الخميني على الحركة الاسلامية العالمية، فاكتسبت في جميع مواقعها مزيدا من الثقة بالنفس، والقدرة على المواجهة والتصدي لمشاريع وصيغ التبعية والاستلحاق والاستحواذ التي كانت ولا تزال تعاني منها شعوب الامة الاسلامية من خلال كثير من الأنظمة الحاكمة.

نلاحظ ايضا ان الامام الخميني قد استطاع تحرير الحركة الاسلامية العالمية من ترددها وأعطاها دفعاً قوياً لتتقدم في حركتها وتتعمق في فهمها ووعيها، ولتغدو بالتالي أكبر فاعلية وتأثيراً في السياسات العالمية والاقليمية، ولتغدو واقعاً أساسياً في السياسات الدولية، ولتضيف بالتالي الى موقف المسلمين البعد الآيديولوجي والحضاري والثقافي والسياسي بعد ان كان هذا الموقف مقصوراً على التصدي السياسي في أحسن الحالات.

مفهوم الأمة عند الإمام (طاب ثراه)

ورد مصطلح الأمة في القرآن الكريم موزعا بين القرآن، المكي والقرآن، المدني، وعلى كلا الحالتين كان الاسلام حتى آخر عهود القرآن المدني، مقصوراً على العرب وحدهم في المراحل الأولى لنمو الاسلام، ولكن التفسير النظري للنص، كان منذ البدايات الاولى يتجاوز العنصر العربي الى ما وراءه.

لذلك نجد حينما امتدت فتوح الاسلام الفكرية والسياسية واستوعب الدين الجديد عروقاً ولغات وثقافات أخرى وفي مناطق جغرافية شديدة التنوع لم يقم أي شعور بأن لفظ الأمة لا يعبر عن الواقع النامي، بل على العكس كان يستوعب هذا الواقع.

اذن، هناك أمة إسلامية واحدة تتجاوز عناصر اللغة والعرق واللون وترتكز على العقيدة والفكر، وهذا بحسب فهمي، أرقى تطور فكري يصل اليه المجتمع السياسي.

وبالعودة الى مفهوم الأمة قبل الثورة الاسلامية في ايران، فقد اعتاد النظام الاستبدادي طيلة عهوده الثلاثة: الصفوي - القاجاري - والبهلوي، على إبراز العناصر القومية والجغرافية بهدف طمس الهوية الاسلامية لمسلمي إيران. ومما لاشك فيه ان الامام الخميني(قده) بدأ ثورته في أجواء صعبة وحالكة ضد النزعة القومية التي كان الشاه المخلوع يعمل على ترسيخها. ومع انتصار الثورة المباركة عادت الحياة الى معنى الأمة الاسلامية وعاد شعب إيران للتعبير عن محتواه الثقافي الذي هو الإسلام، فانعكس المعتقد الواحد في التفكير السياسي للأمة، وقد أدى هذا الانعكاس الى انحسار معطيات الجغرافيا واللغة والعنصر، هذه المعطيات التي عمل الاستعمار الأجنبي منذ قرون من الزمن من أجل ترسيخها في المجتمع الاسلامي ليس في ايران وحسب، بل في كل العالم الاسلامي.

اذن انتصار الثورة الاسلامية المباركة، كان بمثابة انتصار حقيقي لمفهوم الامة الاسلامية، حيث عادت الحياة الى هذا المفهوم، وبدأ يظهر مفهوم جديد للأمة يقوم على أساس الفكر والمعتقد، لا على أساس الفكر الغربي وفكر القوميات.

لقد سعى الامام الخميني لإحياء مفهوم الامة لتكون خير أمة أخرجت للناس، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله، لأنه لم يكن يرى ثمة تناقضا بين القومية الاسلامية والاسلام، فيما لو كانت القومية مجرد شعور عاطفي، هذا الشعور الذي لابد منه في داخل كل شعب لتفجير الطاقات والقوى للعمل والإنتاج في عملية التقدم، بحيث تبقى الثورة السياسية ذات طابع إسلامي نابع من مفهوم الأمة الاسلامية، الذي يحدد بالتالي وحدة الصف، ووحدة الموقف في العمل السياسي المشترك في العالم الاسلامي باعتباره جزءا من العالم الثالث في مواجهة الامبريالية، ولا يمنع ان نتطلع الى صيغة ما قد تكون على غرار صيغة الامم المتحدة او اكثر مصداقية منها، ان نتطلع الى اتحاد سياسي كبير بين هذه الدول الاسلامية، بمعنى آخر القول؛ ان القومية هي الزاد العاطفي الموضعي، والاسلام هو الاطار السياسي الأوسع، الذي يضم هذه التنوعات الموجودة في العالم الاسلامي.

لاشك ان الامام الخميني سعى جاهداً من أجل ان تكون الأمة الاسلامية حية في دورها ومسؤولياتها وقراراتها بحيث يكون لها ما كان للأمة الاسلامية في زمن رسول الله والأئمة المعصومين(ع)، الطرح الاسلامي يبقى هو هو، ان هناك أمة إسلامية تقوم على المعتقد وان هناك شعوباً إسلامية تقوم على المعطيات الجغرافية واللغوية والعنصرية.

مكونات الأمة الاسلامية

إن من جملة مكونات الامة الاسلامية، ان تأخذ بالاسلام وتعمل به، لأنه بمعزل عن الاسلام عقيدة وشريعة ونظام حكم، فانه لن يكون بمقدور أحد من الناس إحياء مفهوم الأمة الاسلامية، ولهذا نجد ان الرسول الأكرم(ص) بعد هجرته الى المدينة يقيم الدولة بعد ان اكتمل حضور الامة، لأنه يستحيل ان تتحقق الدولة في ظل غياب الأمة بدليل ان الاسلام أول من قدّس الأمة حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس**﴾ وقد تابع الائمة(ع) هذا العمل لتبقى الأمة خير أمة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر.

لذا فإن دور الامام الخميني لم يقتصر على تسليط الضوء على ما كانت عليه الأمة في تاريخها، وإنما تعداه الى حفز الأمة وإرشادها الى ما ينبغي ان تكون عليه في النظرية والتطبيق. فالامام الخميني(رض) لم يكتف بالاشارة الى عناصر حفز الامة، بل جسّد هذه العناصر وأحيا الواقع الاسلامي من خلال مسيرة جهاده الحافلة بالتضحيات ولا يخفى ان

الاسلام حصن الأمة ووحدتها بجملة من التشريعات الإلهية، وما لم يأخذ المسلمون بها ويقومون بترجمتها والالتزام بها فان مفهوم الأمة سيبقى عرضة للاضطراب، وبالتالي فان ذلك سيحول دون تحقيق الهدف الاسلامي الاول، والذي يقضي بتحقيق وحدة الامة الاسلامية، لانه من غير الممكن بناء وحدة عربية او إسلامية من دون مضمون إسلامي، وان أمكن ذلك فانها لن تعيش طويلا، وأكبر دليل على ذلك هو ان الانظمة السياسية الاقليمية لم تتمكن من النجاح لأنها من دون مضمون إسلامي. وإذا تأملنا مضمون خطاب الامام الخميني ودعوته الى تحقيق الوحدة فإننا نجد حرصه الشديد على توصل الأمة الى صياغة مشروع سياسي تضمن من خلاله عزتها وكرامتها.

مشروع الإمام الراحل في الوعي والثورة والحكم

تتسم شخصية الامام الخميني بالبعد العرفاني الذي نرى فيه أحد الجوانب الايجابية في الشخصية السياسية لهذا الفقيه العرفاني، ومن هنا كانت رؤيته الفقهية تتسم بدرجة متميزة من اليقين الذي يتصف به العرفاء. هذا اليقين خفف كثيراً من المخاوف الطبيعية، وسدّ الطريق على كثير من الشكوك التي تعتري القيادة أمام القرارات الصعبة، ومن ثم مكّن لظهور ما يسمى عادة (القاطعية) عند الامام الخميني وهي صفة لا يجوز ان يمارسها من ليس أهلا لها. ومن شروط القاطعية: التقوى والورع، الخوف من الله، والعمق الروحي، من دون ذلك فـ(القاطعية) قد تهلك الحرث والنسل.

فالبعد العرفاني، والعمق العرفاني الصافي الذي كان يتمتع به، نعتقد انه أحد العوامل المهمة التي ساهمت في قدرته على رسم مشروعه التغييري النهضوي على صعيد إيران والعالم الإسلامي معا.

لقد أدرك الإمام الخميني وبوضوح وببساطة متناهية، بدون الدخول في مجادلات ومماحكات فقهية قد يختلف الرأي فيها، أدرك ان الإسلام باعتباره دينا وثقافة وشريعة وفكرا، هو بصورة طبيعية يقتضي ان ينتج وينجز مجتمعا سياسيا، وان ينجز نظاما سياسيا، قد يختلف الرأي في ان هذا النظام السياسي والمجتمع السياسي، يقوم على فكرة ونظرية ولاية الفقيه، او على فكرة ونظرية أخرى، ولكن على كل المباني الفقهية، فلقد أدرك الإمام الخميني هذه الحقيقة، وتمسك بها ولم يتردد فيها.

كما وأدرك الإمام الخميني قابلية الشعب الإيراني، نتيجة لتربية هذا الشعب ولمزاجه الديني، لأن يحقق هذا الإنجاز والإبداع في الإدارة السياسية. وهذا عمل موضعي كامل، وليس فيه غيبيات.

الابداع في الادارة السياسية لانتاج هذا المزيج المدهش، بين نظام المصالح الايرانية المحضة، المصالح الموضوعية المادية للشعب الايراني، ونظام المصالح الدولي، والمضمون الثقافي والروحي للشعب الإيراني وللتيار الاسلامي العالمي. لقد كانت أداة هذا المزيج عملية مبدعة. ومن النادر ان نقع في هذا التاريخ على قدرة من هذا المستوى.

ونحن نعتبر ان الامام الخميني أطلق في إيران إرادة القوة التي تنتج وسائلها وادواتها، ولا تقتصر على الاستيراد، ولا تبقى عارية وغير مجهزة لتطوير الصناعات عموما والصناعات الدفاعية خصوصا.

المنعطف الاساسي في المسيرة الاسلامية والعالمية

مثلت الثورة الاسلامية الايرانية التي قادها الامام الخميني منعطفا أساسيا في مسيرة العالم الاسلامي والامة الاسلامية في هذا العصر، وأحدثت آثاراً عميقة على الوضع العالمي لا تزال تتفاعل حتى الآن. ولم تؤثر على فعالية هذه الثورة جميع العقبات التي وضعت أمامها وجميع الأزمات التي مرّت بها.

وكما نعلم جميعا ان الامة الاسلامية اختبرت على ما يزيد على نصف قرن تجربة صيغة الدولة الغربية الحديثة، وفشلت هذه الصيغة في كثير من الحالات والمستويات الاقتصادية والسياسية، وكلفت الأمة غاليا في حريتها وكرامتها واستقلالها.

إن من أهم ثمار المشروع الاسلامي للامام الخميني هو انه أعاد طرح الاسلام باعتباره صيغة تنظيمية حضارية، وأعاد الى المسلمين الثقة بأنفسهم والشعور بقدرتهم على مواجهة القوى المتغلبة في العالم، وعلى بناء صيغتهم السياسية الحضارية الخاصة بهم.

كما أعاد (رضوان الله عليه) الى الأمة الاسلامية في ايران دورها الشاهد والوسطي وحقق للأمة وحدتها حيث ان السبب الأكبر في فقدان الوسطية في المسألة السياسية للأمة الاسلامية كان ولا يزال هو التجزئة والتفرق، اذ ان اضطرار هذه الدولة او تلك من دول المسلمين للاذعان لإرادة هذه القوى العظمى او تلك، هو أثر من آثار التجزئة بالدرجة الأولى، ولو كانت الأمة الاسلامية موحدة في إرادتها السياسية بالنسبة الى قضاياها الكبرى لاستطاعت شعوبنا ودولنا ان تختط لنفسها خطاً وسطاً في سياساتها الخارجية وعلاقاتها الدولية، فيلغي او يخفف من سيطرة القوى العظمى على مقدرات العالم وشعوبه. وهذه هي الثمرة الكبرى التي حققها المشروع الاسلامي عند الامام الخميني حيث بعث الحياة في مفهوم الامة ووحدتها، إضافة الى ثمرات مباركة تكللت بنجاح

الثورة ومن ثم إقامة الدولة الاسلامية لتواكب حركة الامة في مسيرتها التاريخية.

وهنا تجدر الاشارة الى ان الميزة الاساسية التي اتسمت بها الدولة الاسلامية في ايران هي انطباق خصائص الدولة الاسلامية عليها، فضلا عن ان مصدر شريعة السلطة والقوانين نبع من المحتوى الثقافي للأمة وليس من مصدر ثقافي آخر، وهذا ما انعكس على تكوين ثقافة اسلامية عامة في المجتمع الايراني، كان محط اعجاب سائر المسلمين في العالم.

وعلى هذا الاساس تعتبر الجمهورية الاسلامية في ايران دولة اسلامية بالمعنى الكامل وحكومة اسلامية بالمعنى الكامل، وهي اليوم تستكمل خطواتها على طريق الأسلمة الكاملة لكافة المؤسسات إضافة الى تطهير البيئة الاجتماعية للحيلولة دون عودة الثقافات الغربية التي سبق لهذه الثورة ان قطعت صلاتها بها.

مشروع الإمام الخميني.. مميزاته وانجازاته

لقد تجلى نجاح المشروع الاسلامي الذي قاده الامام الخميني في إقامة نظام دستوري جديد، وأرسى قواعد مؤسسات ثورية جديدة لم يألفها العالم الاسلامي منذ قرون، وما كان ذلك ليتم لولا التلاحم بين الشعب والقيادة، ولولا المصالحة الحقيقية التي تحققت بين باطن المسلم وظاهره، وبين شعب ايران ونظامه، حيث لم تعد هناك مسافات وحواجز وتصدّعات في البنية النفسية او الحياتية عند الفرد او في المجتمع او في النظام.

ان امتياز المشروع الاسلامي بقيادة الامام الخميني هو انه اظهر قدرة مميزة في مواجهة التآمر الدولي الكافر في الوقت نفسه الذي اظهر قدرته الفائقة في خدمة المستضعفين في الداخل والخارج.

لقد كان تأسيس الجمهورية الاسلامية الايرانية بعد نجاح المشروع الاسلامي والتجارب التي قامت وتقوم بها في أسلمة مؤسسات الدولة وصياغة أسلوب للتطبيق الاسلامي في إنشاء المؤسسات وإدراتها، وفي تأصيل خط (اللاشرقية واللاغربية) في السياسة الخارجية.

كل ذلك أعطى الفكر السياسي الاسلامي، وكذلك الفقه الاسلامي ثروة نظرية وعملية كان يفتقدها في العصر الحديث. هذه الثمرات للمشروع الاسلامي لا تزال تنمو بوتيرة متزايدة، ومن خلالها استطاعت الجمهورية الاسلامية ان تحدث التأثير الكبير على الفكر السياسي الاسلامي حيث غدا للاسلام حضور قوي في السياسات الدولية.

ومما تجدر الاشارة اليه هنا في سياق الحديث عن ثمرات المشروع الاسلامي عند الامام انه تعدى الاطار الديني ليخاطب الانسانية في العالم بمختلف أديانها ومشاربها حيث انه

لم يميز بين مستضعف وآخر، لأن المستضعفين جميعا في العالم يقفون موقفا موحدا من الاستكبار العالمي.

ان مشروع الامام الخميني (رض) حقق نجاحات بارزة على مستوى الثقافة والسياسة والاجتماع والاقتصاد وأظهر للعالم قدرة الاسلام والمسلمين على المشاركة في صياغة المشروع الذي يحمي الإنسانية من شرور الحضارة المادية، وفي الإفادة من العلم بما يؤمن للبشرية سعادتها وازدهارها.

ولهذا فإننا نجد في موقف الجمهورية الاسلامية من التقدم العلمي تجسيدا لموقف الاسلام، وهو موقف إيجابي منفتح على جميع انجازات العلم وإمكاناته، ولقد كان من الرواسي التي خلقها الغزو الثقافي في عقول كثير من المسلمين وقلوبهم، ان الاسلام يقف موقفا سلبيا من مسألة التقدم العلمي وانه لا يشجع على تطور المعرفة العلمية، ولا ينتفع من إنجازاتها.

لقد كانت هذه الأكذوبة إحدى محاولات تشويه الاسلام في نفوس ناشئة المسلمين.

إن نجاح المشروع الاسلامي وقيام الجمهورية الاسلامية وتطبيقها للمبدأ الاسلامي من الموقف من العلم قدم دليلا حسيّاً على ان الاسلام يقف من العلم وتقدمه موقفا إيجابيا ومنفتحا، لأن العلم طاقة محايدة لا يمكن ان توصف بأنها إسلامية او مسيحية، دينية او علمانية.

إن طريقة استخدام المعرفة العلمية تحددها طبيعة النظام الذي يستخدمها من الناحية الاخلاقية.

إن هذا الأمر لا يتصل بالموقف من العلم، وانما يتصل بطبيعة الثقافة التي تكوّن شخصية الامة التي تمتلك المعرفة.



الإمام الخميني ملهم الثوار وأمثولة الأخلاق

السيد حسين الموسوي (ابو هشام)

لقد اخترت أن أتحدث عن أخلاق الإمام الخميني(قده) لكي ننصفه اولا ونرحم انفسنا في سعينا للتخلق بأخلاقه التي هي صورة من أخلاق جده محمد(ص) وأهل بيته الاطهار(ع). فان أحوج ما نحتاج اليه في لبنان وإيران وفي نطاق أمتنا الإسلامية جميعا، ان نعود الى الله تعالى في سلوكنا وعلاقاتنا ومواقفنا مضموناً وأسلوباً، وباب الإمام الخميني هو باب النبي وباب الائمة أولياء الله وأحبائه.

لقد زرع الإمام حب الله ورسوله والائمة في قلوبنا وجعل من جهاد مجاهدي المقاومة الإسلامية أبناء حزب الله في لبنان، حجة على العلماء والأمة كلها. فالوفاء للامام، والشكر لله العظيم يقضي ان نحفظ مبادئه وتعاليمه الرسالية في تأكيد انتماء أخلاقنا الى أخلاقه في السراء والضراء. وعلى كل حال ففي ذلك نجاتنا من حبائل الشيطان الرجيم ومن أتباعه المستكبرين والصهاينة.

لقد التقيت، بل تشرفت مراراً بلقاء الإمام، وكنت واخوتي في قيادة حزب الله/ لبنان نتزود من الإمام(رض) بالإرادة والقوة والعزم على متابعة طريق الحسين في لبنان في مواجهة أعداء الله الصهاينة الإرهابيين المجرمين، وكانت شخصية الإمام تذكرنا بشخصية الإمام المعصوم زين العابدين علي بن الحسين (عليه السلام) كما وصفه الشاعر الفرزدق:

هذا ابن خير عباد الله كلهمُ   هذا التقي النقي الطاهر العلمُ

(*) مؤسس حركة أمل الاسلامية وعضو الشورى المركزية لقيادة حزب الله في لبنان.

هذا ابن فاطمة ان كنت تجهله بجدّه أنبياء الله قد ختموا

يغضي حياء ويغضى من مهابته فلا يكلم الا حين يبتسم

والبيت الثالث يذكرني بشيفارناردزه الذي ارتجف اثناء لقائه بالإمام وهو يومذاك وزير خارجية الاتحاد السوفيتي الدولة التي كانت تسمى عظمى، لكن هيبة الإمام وشخصيته لم تترك أي تماسك في شخص ممثل الدولة العظمى.

ان السنوات العشر من عمر الثورة الإسلامية خلال الحياة المباركة للإمام الخميني(رض) مثلت نموذجا لحياة مجتمعنا الثوري، وان الخطوط الاصلية للثورة هي التي رسمها الإمام بيده الطاهرة، وحفظ خليفته الإمام الخامئني (حفظه الله)، أمانة أستاذه، وبقي الإمام الخميني بعد رحيله (إسماً) هو لواء الثورة، و(نهجاً) هو نهج الثورة وأبنائها المخلصين الاوفياء، و(أهدافا) هي أهداف الثورة.

لقد استطاعت روح الإمام وشخصية الإمام ان توقظ عقول المسلمين ومشاعرهم واهتزت قصور الظالمين وعروشهم وفهم الناس كيف ينتصر الدم على السيف بإذن الله.

لقد صدق من قال ان شخصية الإمام جمعت مجموعة من الصفات لا بد ان تجتمع في انسان ليكتمل: خضوع وخشوع أمام الله، وقوة وعظمة أمام الاعداء، شدة على الكفار، ورحمة للمؤمنين. شجاعة في ميدان القتال وبكاء في محراب العبادة. وغضب في وجه الظالم المتحجر ورحمة وعطف على اليتيم والضعيف. كرم في التعامل مع ال(غير) وزهد وعفة مع النفس.

لم يكن ولاء الإمام لاهل البيت(ع) ولاء عاطفياً محضاً بل على أساس قاعدة فكرية مستقاة من القرآن الكريم ومن سنّة رسول الله الاكرم(ص). وهكذا نجد اتباع نهج الإمام الذي هو نهج الائمة المعصومين يشكلون في فكرهم وسلوكهم وحركتهم خطا متميزا يتصف بالمحافظة على الإسلام من أهواء السلاطين ووعاظهم، وبصيانة كتاب الله وسنّة رسوله من التحريف والتلاعب والابتزاز.

لقد استطاع الإمام ان يتحمل أعباء الامانة الكبرى التي اشفقت السموات والأرض والجبال منها فكان (بقيّة بقية الله) في ارضه.

في شخصبة الإمام نرى ان عنصر الثبات في تفكيره وسلوكه، ناشئ من ثبات القيم العليا الإلهية في نفسه التي تكون الوازع الداخلي لمقاومة الشر والتي تقوم على الاستقامة والتقوى.

لقد أدّب الإمام الناس بتأديب نفسه كما علمه جدّه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(ع) ورسم الضوابط وراقب وحاسب نفسه وأطّر كل شؤون حياته من عبادية وإجتماعية وسياسية بالنظام الصارم على قاعدة «اوصيكما بتقوى الله ونظم أمركما»، في خطاب أمير المؤمنين لولديه الحسنين(ع).

ولقد انعكست شخصية الإمام على طلابه واتباعه، فالمرّبي والمغير هو القدوة الحسنة، ودفع بالكوادر المؤمنة وبالأمة لتربي نفسها وفق موازين ومعايير القرآن الكريم لكي لا تضيع من بعده.

لقد كانت أخلاق الإمام (رض) امتداداً للخط المحمدي الأصيل. يخاطب الإمام الخميني طلابه:

ها قد انقضت سنة اخرى من عمرنا، أنتم ايها الشباب تسيرون نحو الشيخوخة ونحن الشيوخ نسير نحو الموت، تعرفون الرصيد العلمي الذي حصلتم عليه. اما في المجال الاخلاقي وتحصيل الآداب الشرعية وتزكية النفس وتهذيبها ماذا فعلتم؟! هل كنتم بصدد تهذيب أنفسكم واصلاحها؟

وعلى ذلك أكد الإمام الخميني على تربية علماء الأمة وفق تزكية النفس لتكون الثورة الأخلاقية شرطا للثورة السياسية ومقدمة لها ويكون إصلاح النفس منطلقا لإصلاح العالم وبذلك تتكامل النفس البشرية في سلم الارتقاء لتتخلق من صاحبها انساناً.

يقول الإمام: «مهما ازداد تراكم العلم ازداد ابتعاد الإنسان عن الله تبارك وتعالى ان لم يكن قلب الإنسان مهذبا». وعلى هذا يصبح (تحصيل) العلم في نظر الإمام أسهل بكثير من (تحصين) النفس، لذا كان كثير من المعنيين ممن يفترض بهم ان يكونوا في مستوى هداية الأمة وتهذيبها سبباً لإغواء أفواج من الناس. وقد نقل الإمام عن أحد أساتذته عبارة كريمة: «من السهل ان تصبح عالما ولكن من الصعب ان تصبح انسانا».

وقد أكد الإمام على الإخلاص ونهى عن الاختلاف الذي يصل الى مستوى النزاع بين العلماء الذي قد يؤدي الى تمزيق الأمة، وان أعداء الأمة يعلمون ان قوة المرجعية تكمن في تأييد الأمة لها والثقة بها. وهكذا نجح الإمام في خلق انسان الثورة المتخذ من الشهادة رمزا لحياته، وبهذا كانت سيرة الإمام الخميني (رضوان الله عليه) قدوة حسنة للمتخلقين بأخلاق الإسلام، أخلاق رسول الله الاكرم(ص) وأهل بيته الأطهار(ع).

والحمد لله رب العالمين.



فی احد أزقة مدینة النجف الاشرف مع نجله الشهید
السید مصطفی و جمع من تلامذته

الإمام الخميني وولاية الفقيه

العلامة الشيخ عفيف النابلسي

بحث ولاية الفقيه بات بعد إنجاز الظاهرة الإسلامية الكبرى في إيران وتأسيس الحكومة الإسلامية ظاهرة حتمية لكل من يريد معرفة سرّ نجاح الأمة الإسلامية في العصر الحديث. وبعد ان كان هذا البحث يعنى بشؤون الحسبة والأيتام والأوقاف العامة، أصبح يتصدر الدائرة العظمى لأن الفقيه صارت له سلطة وحكومة بعد ان كانت له فتوى وسيادة.

ونحن أبناء عصر الإمام الخميني والجمهورية الاسلامية نفتخر بأننا في زمن ولاية الفقيه الفعلية لا الشأنية، وعلينا مقابل هذا الفخر تحمّل التبعات واللوازم الإسلامية الكبرى.

وقبل الدخول في رأي الإمام في باب الحكومة الاسلامية وولايته عليها جملة وتفصيلاً، لا بد لنا من ذكر بعض المقدمات:

الاول: اللغة

(الوَلاية) بالفتح معناها (النصرة)، ﴿**هنالك الولاية لله الحق**﴾، يعني يوم القيامة لا ينصر ولا توجد نصرة الا من الله.

(الوِلاية) بالكسر هي الإشراف والتصرف والزعامة. [الامثل ج٤/ص/٥٦] يقول ابن تيمية: «يجب ان يعرف ان ولاية أمر الناس من اعظم واجبات الدين بل لا قيام للدين الا بها»[1].

(*) رئيس هيئة علماء جبل عامل.

(١) السياسة الشرعية، ابن تيمية ص ١٦٥.

يقول الدكتور أسعد القاسم في كتابه (أزمة الخلافة والإمامة) يعطي الشيعة لمنصب الخلافة او الامامة دورا دينيا «أكثر مما يعطيه أهل السنة لأن الامام الذي له الولاية يقوم بتهذيب البشر وإرشادهم ويشرح ويفسر لهم القرآن ويصون الدين من التحريف»(٢).

يقول الشيخ جوادي آملي في كفاية دروس في ولاية الفقيه:

الدرس الاول: الولاية بمعنى الحكومة والقيادة(٣)

الدرس الثاني: مَن هو الولي، مَن هو الحاكم؟

اتفق جماعة أهل الحق بأن الحكومة والولاية لله تبارك وتعالى **﴿إنما وليّكم الله ورسوله والذين آمنوا﴾**(٤).

فالولاية التكوينية او التشريعية هي لله وكل ما عند النبي او الإمام او الذين آمنوا بعد ذلك، هو من الله بحسب النص السابق. والولاية التشريعية للنبي محمد (ص) جعله الله عزّ وجل تعظيما لشأنه وإتماما لمنهجه يقول المولى جلّ شأنه **﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم﴾**(٥). فالنبي هو الذي يأمر فيطاع ويطلب ويمشي ويحارب فيطاع ويسالم فيطاع الخ.

والنبي(ص) جعل الولاية لعلي والائمة(ع) فقد نص على ولاية أمير المؤمنين(ع) في اكثر من موقع وآخرها حديث الغدير الذي اتفق الطرفان على صحته وقد وصل إلينا من مائة وعشرين طريقا(٦) وبه أثبت النبي الولاية لعلي(ع)، قال للجماهير المحتشدة: «ألست أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا بلى يا رسول الله، فقال لهم: من كنت مولاه فهذا علي مولاه، وأخذ بضبع علي فرفعه حتى بان بياض إبطيه».

وبهذا العمل تمت الولاية لعلي(ع) وجعل علي الولاية للإمام الحسن والإمام الحسين والأئمة المعصومين، ثم تمت ولاية الآئمة (ع) وكانت ولاية تامة على هذه الدنيا وما فيها.

يقول الامام الخميني في كتابه (الحكومة الإسلامية): من ضرورات مذهبنا انه لا يصل أحد الى مراتب الأئمة (ع) المعنوية حتى الملك المقرب والنبي المرسل وفي الاساس فإن الرسول الاكرم(ص) والأئمة(ع) وبحسب رواياتنا كانا في ظل العرش قبل هذا العالم

---

(٢) أزمة الخلافة والامامة، الدكتور أسعد القاسم ص ٤٥.

(٣) جوادي آملي ولاية الفقيه ص ١٩.

(٤) المائدة آية ٥٥ .

(٥) الاحزاب الآية ٦ .

(٦) الغدير الجزء الاول .

وهم يتميزون عن سائر الناس في انعقاد النطفة والطينة وفيهم من المقامات ما شاء الله وذلك كقول جبرائيل (ع) في روايات المعراج: لو دنوت أنملة لاحترقت. او كقولهم (ع): ان لنا مع الله حالات لا يسعها ملك مقرب ولا نبي مرسل(٧) والحديث في باب حالات الأئمة المعنوية والزلفى لدى المولى ذو شجون وواسع جدا وهو حديث مهم يؤجل الى حينه.

وبهذا الجعل أصبح الأئمة أولياء على الكون بما فيه ولهم حق التصرف بكل شؤونه ولاية مطلقة من قبل خالق الأكوان أعطيت لرسول الله(ص) والأئمة المعصومين فهم سلاطين الكون، وهم أولياء الامور، وهم الحكام، وهم الهداة، وهم المقربون، وقد تركوا بصماتهم على كثير من الحالات التي لا يستطيعها الكثيرون بل الابدال من الناس، ومع هذا كله فقد كانوا يتعاطون حسب قدرة الأفهام البشرية الضعيفة وكانت تصدر عن الامام علي (ع) وبقية الأئمة أمور خارقة للعادة وهي أمور بشرية وتحسب الآن في عصرنا أموراً عادية جداً كانوا يؤلهونهم عليها، ولهذا لم تصدر منهم أمور خارقة للعادة الا بحسب الحاجة والضرورة وفي أبواب التحدي والحفاظ على الاسلام من الانهيارات المعنوية التي كان يتصدى لها الزنادقة وبقايا المجوسية والمزدكية واليهودية.

ولولا وجود الآئمة (ع) والقيام بالدور والتصدي لهؤلاء الموتورين لأسهموا في ثلب الاسلام وتنقيصه، ولبقي الاسلام بنظر الناس مبتورا.

ولكن أئمتنا(ع) حافظوا على الاسلام ومنعوا اتباعه من الشرود والأخذ بما لا يحسن ووضعوا الأمور في نصابها، ولو أتيح لهم ان يجلسوا على سدة الرئاسة لساروا بالاسلام سيرا سجاً ومع ذلك كل ما استطاع الآخرون بوجود الأئمة ان يلعبوا بالأفكار او يهدموا الأسس الاسلامية الكبرى، ولما كان عمر الأئمة محدودا وكان عمر الرسالة أبديا لأنها رسالة الانسان والحياة الى يوم القيامة، كان لابد من نقلها الى الأجيال بواسطة مجموعة من اولياء الأمر عدول فقهاء على رأس المراحل والمفاصل في حياتنا السياسية والثقافية قضائيا واجتماعيا. ومن هنا جعل الائمة الحكومة والقضاء والفصل بين الناس والولاية على الايتام والتصرف في المال العام وتقديم الأمور أو تأخيرها وتعديل الاوضاع الاقتصادية والسياسية، وإمضاء المشاريع الاسلامية الكبرى مثل: تأسيس الحكومات وبناء الجيوش وتأسيس مصانع السلاح والانتاج العسكري ومنع الاحتكار وإبطال الاعلام الكاذب واشغال معادن النفط وثروات البلاد والحياة في تجدد. وكل ما يتجدد فيها من بناء وإعمار

(٧) الحكومة الاسلامية ص ٨٩.

وتحول وتوزيع وخدمات وصرف وإنفاق للمال العام والسيطرة التامة على المرافق العامة وتحديد المياه الاقليمية والدولية وتحديد الحدود وتأهيل الاصول، ومنع الاعتداء وتأديب العصاة واقامة الحكومات ومنع الثأر الا بإذن السلطان وما يترتب على إقامة الدولة والحكومة، من هنا فإن حفظ الأيتام والمال العام وحفظ المجتمع محدد بوجود الفقيه العادل، وقد وردت روايات كثيرة في هذا الصدد منها بشكل واضح ان الأئمة (ع) نصبوا الفقهاء العدول أولياء على الامور وصار الفقيه العادل مشروع حاكم ووليا، فكل من كان في دائرة إسلامية صغيرة او كبيرة عالما فقيها عادلاً وجب عليه التصدي للحكومة وحفظ المال العام وحفظ الشأن العام للأمة وفك الخصومات.

أول من قال من العلماء بولاية الفقيه

بعد غيبة الإمام المهدي (عج) لم نسمع شيئاً عن لفظ الولاية بمعناها السياسي المعروف أخيراً. ولعل أول من نادى بولاية الفقيه بهذا المعنى هو الشهيد الاول محمد بن مكي العاملي الجزيني (٧٢٠ -٧٨٤ هـ) غير ان الشهيد لم يصرح بهذا المعنى وإنما يمكن اقتناص المفهوم العام من كتابه (اللمعة الدمشقية) بالابواب التالية: باب الزكاة، باب الخمس، باب الجهاد، باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، باب القضاء، باب الحج، باب النكاح، باب الحدود. واذا راجعت الكتب المثيلة للشيخ الطوسي والعلامة الحلي لا تجد هذه التعابير، ويأتي بعد ذلك الشهيد الثاني فيشرح اللمعة ويوجب دفع الخمس لنائب الامام(ع). وهذا كله لا يصح الا وفق النظرية العليا (حكومة ولاية الفقيه)[٨].

وتستمر نظرية ولاية الفقيه بالصعود ليأتي بطل الأبطال المحق الكركي علي بن عبد العالي (٨٧٠ - ٩٤٠هـ) فيحكم ايران الصفوية وفق نظرية ولاية الفقيه ويأذن للشاه اسماعيل فيتصرف بالملك بعد ان يسلمه المملكة الصفوية بكاملها. وأمامنا نص ومرسوم شرعي وفق النظرية بعد وفاة الشاه اسماعيل الصفوي وعودة المحقق الى اصفهان.

بسم الله الرحمن الرحيم

حيث انه يبدو ويتضح من الحديث الصحيح المنسوب الى الامام الصادق(ع) انظروا من كان منكم قد روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا فارضوا به حكما فإني قد جعلته حاكما فاذا حكم بحكمنا فمن لم يقبل منه فإنما بحكم الله استخف وعلينا رده وهو راد على الله وهو على حدّ الشرك بالله وواضح أن مخالفة حكم المجتهدين الحافظين لشرع سيد المرسلين هو والشرك في درجة واحدة لذلك كل من يخالف حكم خاتم المجتهدين ووارث علوم سيد المرسلين ونائب الائمة المعصومين (ع) لا زال كاسمه العلي، عليا عاليا ولا يتابعه، فإنه محالة مردود وعن مهبط الملائكة مطرود وسيؤخذ بالتأديبات البليغة والتديرات العظيمة.

كتبه طهماسب بن شاه اسماعيل الصفوي الموسوي

---

(٨) ستة فقهاء ص ٩٢ الشيخ محمد جعفر المهاجر.

يمثل هذا البيان اول خطاب سياسي في الاسلام مبني على ولاية الفقيه ولاول مرة ترد عبارة نائب الامام في غير كتاب من كتب الفقه[٩].

الدليل الشرعي

فمن الروايات الواردة في هذا الشأن:

الفقهاء أمناء الرسل كما لم يدخلوا في الدنيا، قيل: يا رسول الله وما دخولهم في الدنيا؟ قال(ص): اتباع السلطان - اي الجائر - فإذا فعلوا فاحذروهم على دينكم[١٠].

واذا عرفنا قبل قليل أن وظيفة النبي والرسول هي الحكومة بين الناس ولهم الإشراف الكامل على المجتمع من ولاية وجباية وفك خصومات وملء الفراغات السياسية كان للفقهاء هذا الدور واحداً بواحد.

وكذلك روايات مثل رواية عمر بن حنظلة التي اشتهرت بـ(المقبولة) ونعتَها السيد المحقق جعفر مرتضى العاملي بـ(الصحيحة) وهي: عن محمد بن يعقوب عن محمد بن محمد بن يحيى عن محمد بن الحسين عن محمد بن عيسى عن صفوان بن يحيى عن داوود بن الحسين عن عمر بن حنظلة قال: سألت أبا عبد الله عن رجلين من اصحابنا بينهما منازعة في دين او ميراث فتحاكما الى السلطان - غير العادل - والى القضاة، أيحل ذلك؟ قال:

من تحاكم اليهم في حق او باطل فانما تحاكم الى الطاغوت وما يحكم له فانما يأخذ سحتا وان كان حقا ثابتا له لأنه أخذه بحكم الطاغوت وما أمر الله ان يكفر به قال الله تعالى ﴿**يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد أُمروا ان يكفروا به**﴾ قلت كيف يصنعان؟ قال ينظران من كان منكم ممن قد روى حديثنا، ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا فليرضوا به حكما فإني قد جعلته عليكم حاكما، فاذا حكم بحكمنا فلم يقبل منه فانما استخف بحكم الله وعلينا رد الراد على الله وهو على حد الشرك بالله[١١].

وهذه الرواية واضحة؛ ان الامام جعل على العالم بعده الفقيه العادل العالم بالحلال والحرام والعارف بأحاديثهم ورواياتهم ويستطيع ان يميز روايات أهل البيت عن غيرها بحيث له ذوق علمي وفقهي ومَلَكة تساعده على ذلك أمام الحشد الهائل من الروايات

(٩) نفس المصدر ص ١٢٥ .
(١٠) أصول الكافي ج ١ ص٥٨ كتاب فضل العلم باب المستأكل بعلمه.
(١١) الوسائل ج ١٨ ص٩٩ والكافي ج١ ص٤١٢ .

التي وضعت لتحرّم الحلال وتحلّل الحرام.

والظاهر انه لاخلاف بين الفقهاء في ان الفقيه العادل له ولاية بهذه النصوص المتواترة والروايات الموثقة والصحيحة على حسب رأي البعض، ولكنهم اختلفوا هل للفقيه ما كان للامام من الطول والعرض والسعة أم لا، بل له بعض ما كان للامام.

ولا شك ان بعض ما كان للامام ثابت للفقيه من الولاية على من لا ولي له وعلى السفهاء بعد البلوغ وعلى مَن مات وليس له ولي وعلى المال العام ومجهول المالك.

الامام الخميني ومعاصروه حول ولاية الفقيه

فاجأ الامام الخميني(قدس) الفقهاء المعاصرين بنظرية ولاية الفقيه حيث كانوا يطمحون ان يشكل الإمام شورى مرجعية وفقهية فيكونون شركاء فيها ويحصل لهم بعد ذلك من الشرف كما حصل للإمام كما كانوا يطمحون أن يكونوا شركاء في الانتاج دون أية مساهمة في الثورة فضلا عن معاداة الثورة، ولكن الامام الخميني فوّت الفرصة عليهم وصعق الجميع بهذه النظرية فصاحوا بين الجدران الاربعة ولا من يسمع لهم لأن الشعب تلقف النظرية وابتهج بها ولهج بها شعاراً ودثاراً وصارت جزءاً لا يتجزأ من الشعار المرفوع لمحاربة امريكا واسرائيل وصدام ومنافقي خلق: الموت لأمريكا واسرائيل ومنافقي خلق وصدام، ومن كان ضد ولاية الفقيه، وهذا شعار سمعناه آلاف المرات وسمعه العالم كذلك من المصلين المشاركين في مراسم صلاة الجماعة والجمعة واستمر هذا الشعار سراً وعلنا، فلو ان مسلما ايرانيا صلى وحده فإنه كان يردد هذا الشعار السياسي الصاعق، ولا شك ان العقل الثوري يفهم الامور والنصوص الشرعية بطريقة تختلف تماما عن الفقيه الجامد صاحب العقل البارد الذي يقيس النصوص من خلال جلوسه في السرداب وتشريحاته الذهنية البعيدة كل البعد عن الواقع السياسي.

ولا شك ايضا ان البعد عن الدولة والتخويف من اصحاب النفوذ وتحريم التعاطي السياسي على الفقهاء والحوزات ساهم في إرخاء ظل مديد على عقلية كثير من الفقهاء للابتعاد بالنصوص عن الحكم والحكومة ومن الصعب على العقل الشارد البعيد ان يستسلم بسهولة للمفاهيم الثورية الجديدة.

ومن هنا يفهمون النصوص الواردة مثل (الفقهاء حصون الإسلام) و(الفقهاء أمناء الرسل ما لم يدخلو في الدنيا) على انها تدعوا الفقهاء للابتعاد عن الحكم وان الورع هو بالابتعاد من الحاكم وان قبول هدايا الجبابرة لمسايرتهم، وهناك بحث طويل حول قبول هدايا السلطان الجائر، ولذا فإن هؤلاء يرون أن عليهم الابلاغ الهادئ وحسب المكنة،

والمراد بالتبليغ الهادئ هو الزهد في الدنيا بحيث يصبح مثالا في الورع، ولا يجرؤ أبدا على الدخول في التفكير لمجابهة الحاكم الجائر الأضرار اكثر من المنافع، وهناك اعذار كثيرة للقاعدين والجامدين وهو مدلول تاريخي طويل لبعد الأمة ولبعد الفقهاء عن الحكم والحكومة وللملاحقة فقهاء اهل البيت من قبل سلاطين الجور واستشهاد الفقهاء الكبار منهم في هذا الصدد.

أما الامام (رحمه الله) فإنه ثائر ينظر الى الامور بعين ثاقبة: تأمّل فهمه في هذا النص. عندما يقول (ع): (المؤمنون الفقهاء حصون الاسلام). فإنه في الحقيقة يكلف الفقهاء ويأمرهم بأن يكونوا حماة الاسلام وان يدافعوا عن عقائد الاسلام واحكامه وانظمته لحفظها، فهل تسمح له وظيفة الحراسة بالذهاب للنوم في بيته الى أن يأتي العدو ويقضي على تلك الناحية؟ أم أن عليه الجدّ في الحفاظ عليها بأي شكل استطاع؟ اذا قلتم نحن نحفظ القرآن ونحفظ بعض أحكام الاسلام، أسألكم فهل تقيمون الحدود وتنفّذون القانون الجزائي للاسلام؟ والجواب هو كلا، يعني إنكم فتحتم ثغرة هنا وقد تداعى جانب من حائط الاسلام.

هل تقومون بالحفاظ على جميع حدود المسلمين وجميع اراضي الوطن الاسلامي؟ الجواب كلا، وبذلك يتداعى جانب آخر. هل تأخذون حقوق الفقراء من الاغنياء وتوصلونها الى الفقراء؟ إذاً وظيفتكم الاسلامية أن تقدموا لذلك الجواب بكلا سيقوم بهذا غيرنا، وهنا تداعى حائط آخر وصرتم مثل (السلطان حسين واصفهان). فما هو الحصن الذي كلما طرحنا جهة من الجهات على هذا السيد حصن الاسلام يعتذر ويتملص فهل هذا معنى الحصن؟

هذا هو الفهم الصحيح للنص ان تستدل بالجو العام، المدلول التاريخي والاستشراف على المستقبل.

جزاك الله عنا أيها الراحل العظيم، ما اشبهك بالرعيل الاول من الفقهاء الاعلام الشهيد الاول والشهيد الثاني والمحقق الكركي حيث أسسوا لإقامة حكم اسلامي، وملأوا الساحة الاجتماعية فقها وقربا من الناس وعملا بأفضل احكام القانون الاسلامي[١٢].

وهناك نص آخر ناقشه الإمام؛ وهو لمن الرجوع في الحوادث الاجتماعية المستجدة: عن محمد بن يعقوب عن اسحاق بن يعقوب قال: سألت محمد بن عثمان العمري ان

(١٢) الحكومة الاسلامية ص ١٠٢ .

يوصل كتابا لي قد سألت فيه مسائل أشكلت علي، فورد التوقيع بخط مولانا صاحب الزمان(عج) أما ما سألت عنه أرشدك الله وثبتك الى ان قال: (اما الحوادث الواقعة فأرجعوا فيها الى رواة حديثنا فإنهم حجتي عليكم وانا حجة الله واما محمد بن عثمان العمري فرضي الله عنه وعن أبيه فإنه ثقتي وكتابه كتابي).

يقول الامام ليس المقصود بالحوادث الواقعة المذكورة في هذه الرواية المسائل الشرعية كما يفهمها الآخرون، بل المقصود السؤال عن الاحكام المستجدة لأن المسائل الشرعية كانت من الواضحات والروايات متواترة في لزوم رجوع الناس الى الفقهاء فيها وكان الإمام لا يسأل الا في مسائل مستحدثة مهمة على مستوى حالة جميع الناس. إذن المقصود بالحوادث الواقعة هي الحوادث الاجتماعية المستجدة والمشاكل التي تواجه المسلمين. كان سؤاله بشكل عام وبنحو مموّه، فنحن الآن لا نستطيع الوصول اليكم فماذا يجب ان نفعل في المستجدات الاجتماعية وما هو التكليف.

والذي يبدو في النظر انه قد سأله بشكل عام والامام أجابه إجابة طبق السؤال؛ انه في الحوادث والمشاكل ارجعوا الى رواة أحاديثنا أي الفقهاء فهؤلاء حجتي عليكم وأنا حجة الله عليكم.

ما معنى حجة الله، هل يعني ان خبر الواحد حجة؟ فاذا نقل زرارة خبرا فإن نقله حجة، وعندما يقول الرسول الاكرم إني راحل وأمير المؤمنين حجة عليكم فهل تفهمون ان الاحكام تتعطل عند وفاة النبي(ص)؟ أم أن حجة الله يعني كما كان النبي هو الحجة فعلي هو الحجة وكما كان الناس يرجعون إلى النبي في كل شيء يجب الرجوع الى علي في كل شيء. وكذلك عندما يقول الامام الفقيه بعدي حجة يصبح للفقيه من الحجية ما كان للامام وزنا بوزن في كل القضايا العامة والاجتماعية والسياسية.

ومن هنا نفهم رأي الامام بأن الفقيه له كل ما للامام من الحجية لأنه منصوب من قبله ولا فرق عند الناس سواء كان الامام المرجع الذي يرجعون اليه او وكيله الخاص او وكيله العام وهو الفقيه ما دام معينا ومنصوبا من قبل الامام وله حجية الشرعية(١٣).

ثم يكمل الامام فقهاء اليوم حجة على الناس كما كان رسول الله(ص) حجة الله وجميع الامور بيده وكل من تخلف عنه تقام الحجة عليه، فالفقهاء على الناس من قبل الامام وجميع أمور المسلمين موكولة اليهم، وكل من يتخلف عنهم في أمر الحكومة وادارة

(١٣) الحكومة الاسلامية ص ١٠٥ .

أمور المسلمين واخذ الواردات العامة وصرفها فسوف يحتج الله تعالى عليه، ولا يوجد اي اشكال دلالاتي عند الامام، وان كان هناك شيئ يوجد فهو في السند، وعلى كل حال فهي مؤيدة للمطلب العام الذي نريده والمطلب العام عند الامام هو ان الفقيه له ولاية عامة على العالم، كما كان للامام المعصوم بلا فرق لأنه منصوب من قبله فحكمه حكمه ومخالفته مخالفته.

وللآخرين ان يناقشوا في الصغرى والكبرى لكنهم لن يفلحوا في كل محاولاتهم لأن الاسلوب الذي اتبعه الامام يغرق فيه جميع المستدلين ولا يمكن النجاة منه.





الامام (قدس سره) كان لكلِّ المسلمين بلا استثناء

نحو قراءة ثانية لخطاب الإمام الخميني
مقاربة لاستشراف المستقبل

العلامة الشيخ حسين شحادة

يستند الإمام الخميني في خطابه الديني والسياسي الى تصورات المفاهيم والقيم القرآنية، ومنها الى تجربة السيرة النبوية الشريفة وآفاقها التطبيقية في حياة الصفوة من أهل البيت (عليهم السلام) وحياة المنتجبين من الصحابة (رضوان الله عليهم)... وبالتالي يكون الإمام الخميني من أبرز رجال الإصلاح الإسلامي وأنجحهم في توظيف الرصيد الإسلامي المشترك بين جميع المذاهب، لصالح ثورته التي أفسحت في المجال لتعاظم حضور الدولة الإسلامية المركزية من جديد وفق الشروط الذاتية لواقع الأمة المختلفة والمتنوعة من ظروف التجزئة والانشقاق التي تعاني منها دول العالم الإسلامي على كل صعيد.

ويبدو لي ان دعوة الخامنئي - قائد الثورة والدولة - اليوم الى ضرورة استحضار فكر الإمام الخميني والاستفادة من خصوبته المعطاءة ينطوي على أكثر من دلالة أهمها تجديد فرص المواكبة المستمرة بين شعارات الثورة وطموحات الدولة كي لا يتورط العقل الإسلامي المعاصر بآفة الطوباوية او الغياب عن مسرح العالم المتغير من حولنا باستمرار. ولا شك ان دعوة الخامنئي الى صيانة مبادئ الخميني وقيمه لم تكن من قبيل النبل الأخلاقي الحريص على الوفاء لمعلمه ورفيق جهاده بتخليد تراثه العظيم فحسب، لكنها تعبر عن استلهام صادق للأسس الموضوعية لروح الخطاب الخميني بالنظر لما ينفرد به من نزعة

(*) باحث إسلامي ورئيس تحرير مجلة المعارج القرآنية الصادرة في دمشق.

مستقبلية لا يمكن ان يستغني عنها أي فقيه تؤهله خصائصه وكفاءاته لقيادة إيران الى العصر.. و كأنما قدر هذه الثورة ان تبدأ شوطها دائما مع كل تحد جديد من حيث بدأ الإمام الخميني شوطه الاول، أي من تحديات الوجود والهوية المستتبع لتحديات الحضارة والفكر والثقافة بالإصرار على رفض جميع اشكال التبعية للحضارة الغربية وثقافة التغريب. من هنا يصبح الحديث المتداول في اجهزة الاعلام – عن مستقبل الدولة الإسلامية في إيران مرهونا بقوة وتماسك فكر الثورة – وهي قوة ذات أبعاد تاريخية وعقائدية موصولة بمكونات الشخصية الإسلامية الإيرانية القابضة على جمرة المقاومة وفضيلة الممانعة والامتناع التي حصنت هويتها لقرون طويلة من الزمن ولاتزال محصنة بالرغم من تفاقم سلسلة الهزائم التي منيت بها دول المنطقة بشكل خاص ودول العالم الإسلامي بشكل عام.. فإيران لم تستسلم بعد لأن روحا من روح الإمام الخميني تسري في عروق دمائها النقية متمردة على تزييف التاريخ واللغة والانتماء.. فإيران ليست من العجز ومن الخواء وليست من الضعف بدرجة يخشى معها ان لا تستطيع الوقوف وجها لوجه أمام ثقافة الأمركة العالمية وذيولها المقنعة بثقافة التطبيع حينا او ثقافة التسوية أحيانا أخرى.. ذلك ان الرؤية الموضوعية لبنية ثقافة الثورة الإسلامية في إيران ويقابلها ما يسمى بالثقافة الأميركية التي تروج لفلسفة العنصر الواحد والقطب الواحد ستؤكد في مستقبل حوار الحضارات ان ثقافة الثورة الإسلامية الإيرانية المنفتحة على آلام العالم وأحزانه والمعترفة بالآخر وحقه بالاختلاف، هي الثقافة الأقدر على احتضان أبعاد العصر وانسانه وذلك بشرطين، الاول: تخليص التراث الإسلامي من شوائب الأسطرة والخرافة وموروثات التعصب الأعمى للمذاهب والاشخاص.. الثاني: تخليص الخطاب السياسي الإسلامي من نزعة التطرف والاستعلاء والمنابذة والقطيعة. وقد لفت الإمام الخميني في كثير من نصائحه النقدية للتراث ان مشكلة قطاع كبير من علمائنا ومفكرينا ومثقفينا انهم يسبغون القداسة على التراث فيبدو وكأن كل ما تطمح اليه الحضارة الإسلامية على مستوى الفكر قد تحقق سابقاً، حققه العلماء السابقون والفقهاء السابقون، وكأن علينا نحن الأجيال التي تلت دوراً واحداً او وظيفة واحدة هي ان نستظهر فقط وان نحفظ هذا التراث، واذن كان ثمة نزعة تقديسية للتراث انتقلت من تقديس النص الاول الى تقديس النص الثاني دون ان نلتفت الى ان اخضاع تفاسير القرآن الكريم او شروحات السنة النبوية لا يعني بالضرورة نقداً للقرآن وللسنة المطهرة نفسها. من هنا فان أخشى ما أخشاه هو تعميق الفجوة بين ثقافة الثورة وثقافة الدولة لا سيما مع إرهاصات ومؤشرات التنازع الذي عبرت عنه التظاهرات الطلابية التي انتهت بحمد الله وبحكمة موقف السيد القائد والسيد الرئيس الا انه لا ينبغي ان نستهين بالدلالات السياسية العميقة لهذا الحدث بعد مرور عقد على رحيل

مؤسس الثورة والدولة الإمام الخميني(قدس سره) لنعي ان أخصب ما في تاريخنا المجيد من مواقف ومن محطات هي تلك المواقف التي كان يصطرع فيها المثقفون والمفكرون الأحرار مع مثقفي السلطة وعلمائها)، ويجدر التنبيه الى انه وبكل اسف فان هذا الصراع وبالرغم من القوافل الكثيرة لشهداء الفكر الحر، بالرغم من كل ذلك، انتهى الى انتصار ثقافة السلطة نفسها فتنازلت الثورة عن شعاراتها وتنازلت الثقافة عن سلطتها وبدلا من ان يكون للثقافة سلطة أصبح للسلطة ثقافتها وأصبح قطاع كبير من المفكرين والمثقفين والعلماء يتكلمون باسم السلطة ويعملون في مؤسساتها ويسخرون طاقاتهم كلها للتبرير والتسويق والتنظير، وبذلك فقدت الثقافة الإسلامية أحد أهم وظائفها بل أهم وظائفها على الاطلاق عندما تحولت الى مادة انفصال في مجتمع لا يمكن ان يحقق ذاته الا في الاندماج وهذا ما لم يحدث في إيران حتى الآن لأن ثقافة الثورة وثقافة الدولة يصدران عن منهل واحد هو الإسلام، ولأن هذه الثورة بجناحها الثوري والإداري لم تتورط بعد بنزعة المصادرة والقمع والتهويل لأنها حريصة على قدسية الحرية التي يتنفس منها الابداع الإسلامي فكرا وفقها وثقافة.

وبهذه الفرادة قدر للثقافة الإسلامية في إيران ان تستولد دائما جوهر المقاومة وفضيلة الممانعة لتظلل بإشعاعاتها فضائل الأمة كلها.. وبهذه الفرادة كذلك ستصون مستقبلها الواعد بأكثر من معركة حضارية تنتظرها في القرن المقبل.

وضمن هذه الملاحظات العاجلة تجدر الإشارة الى ان قراءة فكر الإمام الخميني من جديد يتطلب مجانبة الاستغراق في إنشائيات اللغة وطرب الانبهار المسكون بتقديسه باعتماد المنهجية العقلانية – التي تقرأ فكر الإمام من خلال تحديات الواقع وهواجسه وهمومه كي لا نرتكب نفس الأخطاء المنهجية في قراءاتنا لتاريخنا الإسلامي ورموزه وبذلك يتسع فكر الإمام لإعمار أجيالنا القادمة التي ستواجه ظروفا مختلفة وتحديات مغايرة... الأمر الذي يقتضي دراسة الخطاب الخميني ضمن برنامج وعي الاولويات والضرورات المتناسبة مع طبيعة أجواء كل من مراحل البناء والتغيير وبذلك سيتاح لفكر الثورة اكتشاف المفاصل الأساسية في فكره (رضوان الله عليه) لتمتلك من خلالها وعي الثوابت المعيارية لعصب الهوية الإسلامية المتعالية على التسويات والتنازلات التي تمليها ضغوط الواقع المتحرك في جولة من جولات الباطل هنا او هناك.. وبذلك فان التماس القيم الجوهرية في خطاب الإمام (رضوان الله عليه)، يتطلب الوقوف عند السمات البارزة في فكره والمتصلة بكل ما هو عالمي وإنساني وهي إضاءة دفعت ببعض مخالفيه في الرأي والدين الى الاعتراف بعظمة شخصيته الفذة والاستثنائية التي اشرف على صياغتها وتربيتها

الإسلام بروافده النقية، فقال: «لقد نهل الإمام الخميني في قيادته للثورة الإسلامية من تراث الدين الإسلامي، هذا التراث الزاخر بالقيم، الزاخر بالانجازات المادية والروحية، الزاخر بالثورات السياسية والإجتماعية والفكرية.. وجاءت وصيته التي لخّص فيها فكره لتؤكد جملة الهموم التي كان يحملها منذ حلم بالثورة ومهد لها وقاد باسمها الملايين من المسلمين في إيران وفي سائر بلدان العالم الإسلامي الى ان بلغت مواقع السلطة، وكان هو مرشدها. وهذه الهموم لم تكن هموما غيبية، ولم تكن حصرا هموم المؤمنين في علاقاتهم بربهم وهمومهم في مواجهة يوم الحساب في الآخرة، بل كانت الى جانب ذلك هموما حقيقية واقعية دنيوية مرتبطة بحياة الناس على الأرض بقضايا تحررهم من كل مظاهر الظلم والقهر والاستعباد والاستغلال وبقضايا تقدمهم.

إذن فالسعادة الإنسانية هي في الدين الإسلامي هدف عظيم يدعو الإسلام والمسلمين لكي ينخرطوا بكل إمكاناتهم في البحث عن شروط تحقيقه بالنضال في كل أشكاله لا بالاتكال العفوي على القدر. وفي هذه الوصية بالذات يدخل الإمام الخميني مع العديد من منتقدي الثورة الإسلامية المثقفين من موقع الدفاع عنها او من موقع التناقض معها في سجال ونقاش يفسر فيها حينا ما يعتبر انه التباس يحتاج الى توضيح، ويبرر أحيانا ما يرى انه يحتاج الى مزيد من البراهين لتثبيته، ولا يرى في أي حال حرجا في الدعوة الى تعميق الفكر من أجل توفير الشروط التي تحقق فيها الثورة لشعب إيران وللشعوب الإسلامية التقدم في المجالات كافة وتحقق الانتشار للفكر الإسلامي وللثورة الإسلامية وتجذب لقيمها وللإنجازات التي تحققها او تطمح في ان تحققها لصالح سعادة الناس وتجذب الناس الباحثين عن السعادة.. وضمن هذه الملامح التي تزاوج بين الدين والحياة يجدر بمراكز الدراسات الاستراتيجية في إيران التقاط قيم المشتركات الإنسانية، قيم الدين الذي لا ينفصل عن الدنيا التي بلورها الإمام في خطابه الرائد على مدى ستين عاماً من جهاده، وبذلك تستجيب الصحوة الإسلامية الحديثة لنداء خليفته القائد الساهر على مستقبل الثورة والدولة معا الإمام الخامنئي (مُد ظله): «سنصون الإرث العظيم للامام الخميني(رض) وكل ما يرتبط به من قيم ومبادئ».

لماذا؟ لأن الخميني هو آخر صنّاع التاريخ.. آخر حملة الرسالات في هذا القرن الذي يمكن تلخيصه ببضعة رجال اصطنعوا تحولاته الخطيرة شرقاً وغرباً ثم رحلوا واستمر البشر يعيشون في ظل انجازاتهم التي حكمت المسار والنتائج بالتداعيات بالايجاب او بالسلب لا فرق.. فالإمام الخميني هو الباقي على اي حال وهو مصدر قلق للكثيرين في الشرق والغرب، بل ان خطره سيتعاظم مع إعلان وفاته كفرد لأن الفكرة اذا ما تحررت من إسار

الشخص والدولة والمصالح ستفعل فعلها وربما خارج طهران بأكثر ما فعلت في حياة الخميني في إيران وجوارها على حد تعبير صاحب جريدة السفير اللبنانية الأستاذ طلال سلمان..

وتبقى الكلمة الاخيرة في المستقبل لإرادة الأمة القادرة على النهوض بمشاريع التنمية، ولرحم الأمة القادرة على انجاب القادة المستقبليين، ولوعي الأمة القادرة على قراءة خطاب الإمام قراءة ثانية ببصيرة الهدى وشجاعة القلب المقتدر على مجابهة الواقع وتحدياته.. بلى، ألم تكن ثورة الإمام مشروعا لاستنهاض الشعوب والأمم؟

وفي ضوء عقد المزاوجة بين فكر الإيمان وإيمان إرادة الشعوب نستشرف قراءة المستقبل ليس داخل إيران الإسلامية فحسب بل خارجها لارتباطه - اي المستقبل - بمعادلة وقوانين السنن التاريخية في قيام الحضارات وسقوطها، وهي لفتة جوهرية اشار اليها الإمام في رسالة الانذار التي بعث بها سماحته الى غورباتشوف آخر رؤساء الاتحاد السوفياتي السابق في عام ١٩٨٩.

ان الطريق الوحيد الى المستقبل في نظر الإمام هو طريق جميع الأنبياء الواعد بانتصار القيم العليا في الخير والحق والعدالة بيد ان وجود القانون المدوّن لا يكفي لإصلاح المجتمع، فلكي يصبح القانون أساساً لاصلاح البشرية وإسعادها فانه يحتاج الى سلطة تنفيذية لا سيما وان أحكام الإسلام ليست محدودة بزمان ومكان خاصين، بل هي باقية بقاء المجتمع والإنسان، فيما يظهر من إحدى محاضراته (قدس سره) حول الحكومة الإسلامية وصلاحيات الولي الفقيه لافتاً الى ان مسؤولية المستقبل الإسلامي هي في عنق أبناء هذا المستقبل أنفسهم ولتوضيح وعي الصيرورة والحداثة الإسلامية يطرح الإمام سؤالا منطقيا أمام بعض الفقهاء الذين ربطوا مشروعية السلطة التنفيذية بيوم الخلاص وخروج الحجة المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف) بقوله في نفس المصدر: «هل يجب ان تبقى الأحكام الإسلامية طيلة فترة ما بعد الغيبة الصغرى معطلة في المنظور الشيعي الى اليوم، حيث مضى أكثر من الف عام ومن الممكن ان تمر مائة الف عام أخرى دون ان تقتضي المصلحة ظهور صاحب الامر. فهل يجب ان تبقى مطروحة وبلا تطبيق وليعمل كل امرئ بما يشاء؟ ولتعم الفوضى؟ فهل كانت القوانين التي جهد الرسول الاكرم(ص) في سبيل بيانها وابلاغها ونشرها وتطبيقها مدة ثلاث وعشرين سنة هل كانت لمدة محدودة فقط؟ وهل حدد الله تعالى تنفيذ احكامه بمدة مئتي سنة فقط؟ وهل ترك الإسلام كل ما فيه بعد الغيبة الصغرى؟ لا شك ان الاعتقاد بأمور كهذه او اظهارها أسوأ من الاعتقاد او الاظهار للقول بنسخ الإسلام».

وعلى هذه القاعدة يواجه الإمام إشكالية العلاقة بين الثابت والمتغير في الشريعة الإسلامية فيؤسس خطابه على التناغم بين ثبات الفكرة وخصوبة المرحلة دون ان يخضع لتحديات الضغط والابتزاز لأن التعامل مع الواقع والتعايش معه لا يعني الاعتراف بشرعيته حتى ولو كان زائفا ومزورا .

وفي ختام هذه المقاربة العاجلة لا يسعني الا ان اقتبس بعض فقرات النص الكامل لتوجيهات السيد القائد الخامنئي للفقهاء والمجتهدين لأنها من اكثر النصوص إدراكا لخطاب الإمام الراحل ومنهجه في قضايا الإسلام والمستقبل انطلاقا من: «ان الحقيقة التي طرحها الإمام الراحل (رضوان الله عليه) تتمثل في ان كوثر الشريعة والفقه هو تيار يجري على الدوام والى الابد من ينبوع الوحي الى المجالات المختلفة في الحياة.. فمصدر ومادة الحكم الإلهي بعيدا عن الفكر والعقل المحدودين للانسان وبعيدا عن تدبيراته القاصرة المتقولبة والمتجمدة في الظروف المختلفة للحياة، هذا المصدر يتمثل في العلم والحكمة الإلهية الشاملة واللامحدودة التي تضم بأجنحتها الواسعة جميع الازمنة والامكنة وتمطر على جميع ربوع وحقول الحياة وتروي كل مكان وزمان.

من هنا فان معرفة دور كل زمان وكل مكان يجب ان تكون مقترنة دوما بالالتزام بأصول المدرسة الفقهية التي هي أسلوب علمي واختصاصي وهذا هو معنى كلمة الإمام الراحل رحمة الله عليه التي اعتبر فيها الفقه المتحرك والمتكيف مع الحاجات الدائمة في كل زمان ومكان هو ذاته الفقه التقليدي، ولذلك فقد اكد عليه دوما، ولذلك فان وجود الحكماء والعلماء والعارفين بالدين والخبراء في الفقه يلعب دورا مهما وأساسيا، وفي هذا المجال يتعين في البدء معرفة الهدف الحقيقي من دور الزمان والمكان في الاجتهاد وازالة شبهة عدم انسجام هذا المبدأ مع مبدأ ثبات وخلود الشريعة بأسلوب علمي دقيق..

رحم الله إمامنا الخميني المقدس والسلام عليه يوم ولد ويوم قاد الأمة ويوم ارتحل ويوم يبعث حيا.

وبعد هل تجتمع العقول والقلوب لقراءة وصيته الإلهية عن سر النصر؟ غدا سيكتب التاريخ:

«لاشك في ان سر بقاء الثورة الإسلامية هو نفس سر النصر، ويعرف الشعب سر النصر، وستقرأ الأجيال الآتية أن ركنيه الأصلين هما الدافع الإلهي والهدف السامي للحكومة الإسلامية واجتماع الشعب في جميع انحاء البلاد مع وحدة الكلمة من اجل ذلك الدافع وذلك الهدف».

بُعد (رجل الدولة) في شخصية الإمام الخميني

العلامة الشيخ حسين كوراني

ثمة بعد في شخصية الإمام الخميني لم يطرق بعد - في ما أعلم - بل ان محاولة مقاربته او الاشارة اليه هما أيضاً في غاية الندرة.

انه البعد الذي اصطلح على تسميته بـ«رجل دولة» وهو أبلغ في الدلالة من «مؤسس دولة».

ليس كل قائد ثوري .. أطلق مدّا جماهيريا وقاده حتى النصر هو «رجل دولة» وان بلغ سدة الحكم، فقد يبلغها من لا يملك خصائص رجل الدولة فيحكم بزخم الاجتياح الجماهيري لمعاقل الكيان السياسي المستهدف.

كما ان طول الفترة الزمنية لقيام الدولة ليس دليلا على امتلاك هذه الخصائص ولا على ان ما بني هو دولة. فقد يكون السبب انعدام النقيض الثوري الذي يقوى على مواجهة الموجة العارمة.

بناء على ما تقدم فان من الطبيعي البحث عن خصائص «رجل الدولة» في شخصية الإمام بعيدا عن قراءته كقائد ثورة ملهم وبمعزل عن استمرار الجمهورية الإسلامية حوالي عقدين من الزمن.

ولا بد قبل كل شيء من تحديد تلك الخصائص التي يمكن على أساسها تصنيف الشخص باعتباره رجل دولة.

(*) باحث في الفكر الإسلامي، من أساتذة الحوزة العلمية في بيروت.

سنجد امامنا العناوين التالية:

١- إستفتاء الشعب.

٢- القوانين والنظام.

٣- بناء المؤسسات.

٤- التزام الحريات.

٥- تحديد أسس السياسة الخارجية.

٦- تحديد الرؤية الإقتصادية في عصر «منظمة التجارة العالمية» و«البنك الدولي».

ولم أدرج مبدأ الفصل بين السلطات باعتباره من لوازم البندين الثاني والثالث.

وسأتناول هنا كلا من العناوين الاربعة الاولى... على أمل ان تتاح لاحقا فرصة لتناول العنوانين الاخيرين المتميزين عما سبقها.. مكتفيا الآن بالاضاءات التي تلامسهما في مطاوي العناوين الاربعة.

اولا: إستفتاء الشعب

حيث إن الدولة وكيل من قبل الشعب لحفظ النظام العام وادارة شؤون البلد، كان من الطبيعي ان يرجع الوكيل الى موكله في الأسس وعند المنعطفات الحادة التي تقتضي معرفة رأي الموكل، وسنرى ان الإمام التزم هذا المبدأ قبل انتصار الثورة والتزم بتطبيقه بعد الانتصار واولاه من شدة العناية والاهتمام ما يكشف عن انه يصدر في هذا الالتزام من قناعة دينية نابعة من القرآن الكريم والسنة المعصومة.

ويتوزع حديث الإمام عن الاستفتاء الشعبي على ثلاث مراحل:

أ – منذ اطلاق الإمام لحركة المواجهة ضد النظام وحتى مظاهرات تاسوعاء وعاشوراء التي كشفت عزلة النظام على ابواب الانتصار.

ب – بعد تلك المظاهرات .. وحتى الانتصار.

ج – بعد الانتصار.

في المرحلة الاولى وقبل المظاهرات المذكورة، نجد مايلي:

١- مطالبة النظام باجراء استفتاء شعبي:

قبل ابعاد الإمام الى العراق، في مستهل نهضته .. وبعد ذلك، كان يطالب باجراء استفتاء شعبي وكان احيانا يطلب إجراءه تحت نظارة دولية محايدة ... ومن ذلك ما جاء في بيانه اثر استشهاد حجة الإسلام السيد سعيدي بتاريخ ١٣٤٩/٤ هـ. ش[1] حيث يقول: إنني أعلن أن كل عقد يبرم مع الرأسماليين والأميركيين وسائر المستعمرين، مخالف لرأي الشعب ومخالف لاحكام الإسلام .. وكلاء مجلسي إيران (النواب، الشيوخ) لأنهم غير منتخبين بواسطة الشعب فرأيهم غير قانوني ومخالف للدستور ورأي الشعب.. في هذه القضايا يوجب استفتاء شعبي تحت نظارة جهات دولية محايدة ليتضح رأي الشعب»[2].

وفي بيان له بتاريخ ٥٧/٨/٣٠=٧٨م يقول سماحته:

«اذا رفعتم الحراب والاحكام العرفية فان إجراء استفتاء شعبي يوضح حقيقة الامر[3]».

٢- المظاهرات، استفتاء.

تعاطى الإمام مع المظاهرات الشعبية كإستفتاء للشعب ضد النظام. ومن ذلك ما ورد في بيانه بعد شهادة نجله المقدس السيد مصطفى رضوان الله تعالى عليه بتاريخ ٥٦/٨/٢١=٧٧م حيث يقول:

لم تكن هذه التظاهرات تأييداً لشخص، انها لإظهار التنفر من الجهاز الجبار.. وهي بعد استفتاء حقيقي واعلان لدعم الثقة بالجهاز الحاكم الخائن[4].

وفي بيان الى مجلس الشعب حول مجزرة النظام في شهر محرم:

«اثبت الشعب مرة اخرى بالتظاهرات والاضراب الشاملين في جميع انحاء إيران ورفضه للشاه وانه يتنفر منه ومن اسرته.. هذا الاستفتاء الطبيعي العام في جميع انحاء إيران هو في الحقيقة خلع له من السلطنة»[5].

وفي بيان له يتحدث فيه عن اسباب رفض الشعب للشاه بتاريخ ٥٧/٨/٢=٧٨م

(١) اعتمدت في استخراج النصوص موسوعة «صحيفة نور» الفارسية وهي تقع في واحد وعشرين مجلداً. وقد اعتمدت نسخة القرص الليزري، اصدار مؤسسة المدارك الثقافية للثورة الإسلامية التابعة لوزارة الثقافة والارشاد الإسلامي في إيران. والتاريخ في هذه النسخة هو التاريخ الهجري الشمسي واذا اضفت رقم السنة الهجرية٦٢١ الشمسية فالناتج هو رقم السنة بالتاريخ الميلادي مثلا عام ١٣٥٧هـ.ش =١٩٧٨م وهكذا.

(٢) صحيفة نور ج١ ص١٥٤ .

(٣) المصدر نفسه ج٢١٩/٣ .

(٤) المصدر نفسه ج٢٤٩/١ .

(٥) المصدر نفسه ج٦٧/٤ .

يقول:

«من اطفال المدارس والى الشبيبة الجميع يقولون: لا نريد هذا فهل هناك استفتاء أقوى من ان يقول الشعب كله لا نريده؟»[٦].

وتكشف هذه النصوص - وهي قليل من كثير - التزام الإمام مبدأ الاستفتاء الشعبي منذ اطلاق نهضته المباركة.

وتجدر الوقفة هنا عند جانب من النصوص التي يتحدث فيها الإمام قبل الانتصار حول استفتاء الشعب على شكل الحكم اذا كتب للثورة ان تقضي على النظام الشاهنشاهي:

أ - في مقابلة مع اذاعة وتلفزيون السويد بتاريخ ٥٧/٨/١٥ يقول سماحته: «يتم تحديد شكل الحكومة بالاستفتاء الشعبي»[٧].

ب - في مقابلة مع التلفزيون الأميركي بتاريخ ٥٧/٨/١٥ سئل الإمام عن طبيعة الدولة التي يقترحها فأجاب:

«حول كيفية الدولة والنظام.. اقتراحنا هو الجمهورية الإسلامية ولأن الشعب مسلم ويعتبرنا في خدمته فإني أحدس بالموافقة على اقتراحنا .. نحن سنشكل جمهورية إسلامية عن طريق استفتاء الشعب»[٨].

ج - في خطبة له بتاريخ ٥٧/٨/٢٢ جاء قوله:

«الحكومة الإسلامية النى نريد هي جمهورية إسلامية تستند الى آراء الشعب»[٩].

وفي المرحلة الثانية بعد المظاهرات المذكورة وحتى الانتصار نجد في نصوص الإمام عنصرا جديدا فهو يعتبر ان المظاهرات المليونية يومي التاسع والعاشر من شهر محرم - على ابواب الانتصار- تغني عن أي استفتاء على شكل الحكم وهذه بعض الشواهد:

أ - في بيان أعلن فيه قطع العلاقات مع الدول المؤيدة للشاه بتاريخ ٥٧/٩/٢٠ جاء قوله:

---

(٦) المصدر نفسه ج٢/١٩٥ .
(٧) المصدر نفسه ج٢/٢٩٧ .
(٨) المصدر نفسه ج ٣/ ٣٢ .
(٩) المصدر نفسه ج ٣ / ١٣٤ .

«الاستفتاء الشعبي وتظاهرات الشعب اعلنت للدنيا كلها سقوط الشاه. تظاهرات الأمس واليوم لم تبق عذرا لمعتذر، لا يمكن ان تدعي الدول بعد اليوم قانونية الشاه»(١٠).

ب - وفي مقابلة مع مجلة الإيكونوميست بتاريخ ٥٧/١٠/١٨ عندما سئل: كيف ستشكل الجمهورية الإسلامية عن طريق الإستفتاء الشعبي، أجاب: «أصل لزوم تشكيل جمهورية إسلامية قد أعلنه الشعب في استفتاء تاسوعاء وعاشوراء في جميع أنحاء البلاد وبعد سقوط الشاه يبلور ممثلو الشعب في المجلس المراحل القانونية لذلك ويدونون الدستور لهذه الجمهورية...»(١١).

وفي المرحلة الثالثة بعد الانتصار نجد ان الإمام رغم اعتباره ان الاستفتاء على شكل الحكم قد أنجز، فقد عبر الشعب عن رغبته في إقامة جمهورية إسلامية .. الا انه تبنى الإستفتاء مجددا قطعاً للاعذار ودفعا للالتباس وتاكيداً على حقيقة خيار الشعب المسلم... وقد بين ذلك في خطابه عند تنصيب المهندس بازركان رئيس وزراء الدولة المؤقت بتاريخ ٥٧/١١/١٥ حيث يقول:

«رغم اعتقادي بأنه لم يعد ثمة حاجة للاستفتاء على الجمهورية السلامية لأن الناس عبروا عن رأيهم مراراً، ولكن من أجل قطع الأعذار وإحصاء الآراء المؤيدة سنجري الإستفتاء ليعلم العالم كله حقيقة الرأي الحر للشعب، لمن؟ ولأي نظام، لذلك عينّا الدولة المؤقتة»(١٢).

وقد حرص الإمام على أن يدلي الناس بأصواتهم بحرية تامة ... وأكد على ذلك مرارا، فعشية انتقاله من طهران الى قم بتاريخ ٥٧/١٢/٩ قال:

«باذن الله تعالى سنجري قريبا الاستفتاء الشعبي على شكل الحكومة، ومن اللازم التذكير بأني أدلي بصوتي لنظام الجمهورية الإسلامية، وما عبر عنه الناس في التظاهرات في جميع انحاء إيران هو الجمهورية الإسلامية لأن هذا وحده هو مسيرة الثورة الإسلامية.

والمخالفون احرار ولهم الخيار في اظهار مخالفتهم، والعلماء الاعلام في المدن والقرى والنواحي مكلفون ان لا يسمحوا لأحد ان يسلب الحرية من أحد، وليراقبوا ليدلي كل بصوته بحرية»(١٣).

---

(١٠) المصدر نفسه ج ٤ / ٥٦ وانظر بيان الإمام الى الشعب بتاريخ ٥٧/٩/٢١ ج ٤ /٦١ وكذلك البيان حول مجزرة نجف آباد بتاريخ ٥٧/٩/٢٣ ج ٦٧/٤ .
(١١) المصدر نفسه ج ٤ /١٧٦ .
(١٢) المصدر نفسه ج ٥ /٢٩ .
(١٣) المصدر نفسه ج ٥ / ١١٩ وانظر تأكيده على حرية الرأي بتاريخ ٥٧/١/٤ ج ٢ /٣٩ وكذلك بتاريخ ٥٧/١١/١٦ ج ٣٢/٥ .

- ويكشف الإمام عن موقع مميز لآراء الناس في رؤيته الحركية في المرسوم الذي اصدره بتعيين المهندس بارزكان - وهو غير الخطاب الذي تقدمت الاشارة اليه - وقد تلاه آنذاك سماحة الشيخ رفسنجاني بتاريخ ٥٧/١١/١٥ وقد جاء فيه:

«بناء على اقتراح مجلس شورى الثورة وبحسب الحق الشرعي والحق القانوني الناشيء من آراء الاكثرية الساحقة التي تقارب الاجماع من الشعب الإيراني خلال التجمعات العظيمة والتظاهرات الحاشدة والمتعددة في جميع انحاء إيران تجاه القيادة فاني آمرك بتشكيل الدولة المؤقتة»(١٤).

وهكذا يتضح تواصل الإمام مع احد منطلقاته كما يتضح انه لم يكن يشهر الاستفتاء الشعبي سلاحا ضد النظام لمجرد ادانته.. كما هو الحال في كثير من حركات الاعتراض والممانعة.. فالاستفتاء الشعبي حاضر ابدا في نص الإمام وفي نهجه الثوري منذ انطلاقة حركته في مواجهة النظام الجائر، لانه يحظى بأهمية بالغة ولذلك كان احد عناوين معركة الإمام التي خاضها ضد هذا النظام.

ولو اردت تتبع النصوص في هذا المجال لطال بنا المقام وفي بعض ما تقدم ما يكفي ..

وينبغي التوقف طويلا عند ثلاث نقاط:

الاولى: تبني الإمام الاستفتاء على شكل نظام الحكم بعد الانتصار، علما بانه كان يستطيع وبكل قوة الاستناد الى التظاهرات المليونية الحاشدة التي عبرت بوضوح عن اختيارها الجمهورية الإسلامية فيعتبر الأمر محسوما. ولا اظن ان ثورة في العالم تملك مثل هذا المستند القوي والواضح الذي اعترف به العدو قبل الصديق وتلجأ قيادتها مجددا الى الاستفتاء الشعبي، الأمر الذي يكشف مدى اصرار الإمام على بناء أسس الدولة على الوضوح التام وهو مؤشر على النهج الذي صدر منه (رضوان الله عليه).

الثانية: الثقة العالية المتبادلة بين الإمام والشعب حيث كانت تكفي كلمة من الإمام لتأتي نتائج الاستفتاء الحر والنزيه مطابقة لرغبة الإمام. هذه الثقة من الشعب بالإمام كانت تقابلها ثقة مماثلة منه بشعبه، لذلك نجد انه يتحدث بتاريخ ٥٨/٨/١=٧٩م في رد على المطالبين باعادة الانتخابات رغم اقتناعهم بحريتهم ونزاهتها فيقول «هؤلاء لا يعرفون الشعب ولو تكررت الانتخابات مائة مرة لجاءت النتيجة نفسها»(١٥).

(١٤) المصدر نفسه ج ٢٧/٥ .
(١٥) المصدر نفسه ج ٣٣/١٠ .

ويقول في مكان آخر بتاريخ ٤/٤/٦٠=٨١م:

«إن هؤلاء يتصورون ان الشعب هو هؤلاء الذين يصفرون»[١٦].

الثالثة: وتبقى مسألة التكييف الشرعي لرجوع الفقيه الى الناس وهي نقطة شديدة الاهمية. ورغم ان العلماء والباحثين تناولوها بالتحقيق الا انها جديرة بالمزيد من الابحاث وفي ضوء نصوص الإمام وتجربته بشكل خاص .. وما يمكن تسجيله وباختصار في هذا الصدد هو:

اولا: صحيح أن شرعية الفقيه مستمدة من الله تعالى، ولكنه سبحانه لم يعط الشرعية الا بهدف ادارة افضل لشؤون عباده.. ولا شك ان الادارة الافضل تتوقف على اصغاء الفقيه لآراء الناس.

وحين يؤمر النبي (صلى الله عليه وآله) وهو أفضل الخلق على الاطلاق بمشورة الناس فلا يعقل ان يؤذن للفقيه بمزاولة مهمته بمعزل عن آراء الجماهير.

ثانيا: وفي المسار العملي لا يكون الفقيه مبسوط اليد قادرا على تنفيذ احكام الله تعالى الا اذا كان يستند الى قاعدة جماهيرية عريضة، الأمر الذي يحتم عليه مراعاة النبض العام.. شاء ذلك او أبى، علما بأنه على مستوى النظرية لا يستطيع أن يأباه كما تقدم.

ثالثا: ان الاشكالية قائمة فقط عند التعارض بين قناعة الفقيه الشرعية ورأي الشعب، فاذا لاحظنا ان رأي الشعب هو في مساحة كبيرة عنصر رئيس في تكوين قناعة الفقيه الشرعية ندرك ان مساحة الاشكالية تتقلص جدا الى حيث تنحصر بحالة التناقض .. وفي هذه الحالة اما ان يكون الفقيه قادرا على اقناع الجماهير بخطأ وجهة نظرها.. لتبني وجهة نظره استنادا الى ثقتها به وقناعتها بحكمته واما ان يكون عاجزاً عن ذلك فلا يكون «مبسوط اليد» وان كانت قناعة شرعية.

وقد مارس الإمام الخميني عمليا تكوين الرؤية الشرعية في ضوء الممكن ما دام ذلك لا يصل الى حد الممنوع شرعا فهو قد وافق على صلاحيات الولي الفقيه التي وردت في الدستور رغم قناعته بأن للولي الفقيه من الصلاحيات ما يفوق ذلك.

يتحدث الإمام حول ذلك بتاريخ ٧/١٠/٥٧ فيقول:

ما ورد في الدستور (حول ولاية الفقيه) وان كان في رأيي ناقصا بعض الشيء

(١٦) المصدر نفسه ج ١٥ /٣٥ اشارة الى الصفير الذي كان الطابع العام لتجمعات انصار بني صدر.

فللروحانية في الإسلام من الاختيارات ما هو اكثر من ذلك .. والسادة (في مجلس الخبراء) تنازلوا بعض الشيء حتى لا يخالفوا كثيرا «مدعي الوعي» (المتغربين). ما في الدستور ، هو بعض شؤون ولاية الفقيه وليس كل شؤونها»[١٧].

ويمكن ان ندرج في هذا السياق موافقته على انتخاب بني صدر رئيسا للجمهورية.. رغم انه لم يكن مرشح الحركة الإسلامية ولم يعزله الا بعد ان عزله الشعب عبر نوابه، علما بأنه تعاطى معه اثر انتخابه بايجابية ملفتة وبروح «رجل الدولة» فاسند اليه صلاحيات القائد العام للقوات المسلحة، ويأتي بعض ما يسلط الضوء على هذه النقطة.

رابعا: ان سيرة الفقهاء تكشف بوضوح انهم رغم قناعتهم بأن سلطة الفقيه الهية لم يصدروا في مواقفهم عن ذلك فقط، بل لاحظوا في المسار العلمي ثقة الناس بهم فلا نجد فقيها تصدى للشأن العام على مستوى الأمة او على مستوى بلد إسلامي الا بعد حصوله على ثقة الرأي العام من مواجهة الحاكم الظالم من موقع القوة بل ليس الشأن التبليغي الذي يعتبر في طليعة مهام المرجع والفقيه الا عملية حوار مفتوح مع الأمة، إحدى ثمارها بناء كتلة الرأي التي تشكل الاكثرية.

والنتيجة العملية: هي ان شرعية الفقيه المستمدة من الله تعالى.. بهدف سياسة أمور الناس وذلك يتوقف على آراء الناس في المسار العلمي ميزانا كما يصرح بذلك الإمام الخميني بتاريخ ٥٨/٣/٢٥ فيقول: «الميزان هو رأي الشعب»[١٨].

بل ينتقل بنا الإمام نقلة نوعية في ايضاح مفهوم ولاية الفقيه الى حيث ان الولي الفقيه وان كان يستمد شرعية من الله تعالى، الا انه الحارس الامين لرأي الشعب. فمهمته هي الحؤول دون تحول الحاكم الى ديكتاتور، وهو انما يستطيع تحقيق هذه المهمة للشروط العديدة التي حددها الشرع للاهلية لموقع الولي الفقيه... هذه الشروط التي ينعزل فورا عند مخالفته لاحداها وتأتي الشواهد على ذلك مع مزيد ايضاح في الحديث عن «القوانين والنظم»[١٩].

ثانيا: القوانين والنظم

يجد المتتبع لنص الإمام انه (رضوان الله تعالى عليه) قد بنى خطابه الثوري على ركائز

(١٧) المصدر نفسه ج ١٢٢/١١ .
(١٨) المصدر نفسه ج ١٢٠/٧ .
(١٩) تحدث الإمام عن ذلك بالتفصيل في المصدر نفسه ج ١٠ / ٥٤/٤٨ بتاريخ ٥٨/٨/٣ .

احداها القانون، فاذا بمعركته ضد النظام معركة الدفاع عن القانون كما هي معركة الدفاع عن آراء الجماهير، وكما سيتضح في ما بعد انها معركة الحريات، والعنوانان معا يرجعان في الحقيقة الى (القانون).

والحديث عن موقع القانون من حركة الإمام وخطابه .. يستدعي الوقوف عند المحطات التالية:

الاولى: إرتكاز الخطاب الثوري للامام الى القانون.
الثانية: مبادرته الى تدوين الدستور إثر الانتصار.
الثالثة: إلتزامه الدستور بعد إقراره.

في المحطة الاولى: يجب التنبيه هنا الى ان الحركة الإسلامية في إيران كانت تمتلك مستندا قانونيا لصراعها مع النظام تفتقر اليه الحركات الإسلامية الاخرى عموما، وهو الدستور الإيراني الذي أُقر عام ١٩٠٦م اثر الصراع المرير الذي عرف باسم المشروطة والاستبداد .. وقد نص الدستور على ان يتولى خمسة مجتهدين فقهاء المصادقة على القوانين لتأخذ طريقها الى التطبيق. وسنلاحظ ان الإمام كان يخوض معركة هذا الدستور بجدارة منقطعة النظير فجاءت معركته دستورية بكل معنى الكلمة. وهذه بعض الشواهد:

أ - في برقية الى رئيس الوزراء أسد الله علم بتاريخ ٤١/٥/١٥ أي عام ٦٢م وقبل انتصار الثورة الإسلامية بحوالي ستة عشر عاما جاء قوله:

«ظننت ان بالامكان تحدي القرآن الكريم والدستور [...] انصحك ان تخضع لله تعالى وللدستور»[٢٠].

وحيث قد ورد في هذه البرقية انها تأتي عطفا على برقية سابقة، فمن الواضح ان حديث الإمام عن مخالفة الدستور يرجع الى تاريخ سابق لم يمكنني تحديده لعدم وجود المستند في ما نشر من آثار الإمام.

ب - وفي مقدمة رسالة مطولة بتاريخ في الشهر الاخير من عام ٤١ = ٦٢م وجهها العلماء الاعلام في قم -ومن بينهم الإمام - نجد مطالعة قانونية معمقة تستند الى الدستور اقتطف منها ما يلي:

١- مقدمة الدستور غير الدستور بل هي كلام الشاه آنذاك وليس لكلامه صفة القانون وقد استند وزير الداخلية دون تدقيق الى هذه المقدمة ليقدم مقترحه الى مجلس الوزراء.

(٢٠) المصدر نفسه ج ١٥/١ .

٢- حذف البند الاول من المادة العاشرة والبند الثاني من المادة الثالثة عشرة من قانون الانتخابات الذي أقره مجلس النواب بتاريخ شوال ١٣٢٩ هـ وحذف قيد كلمة الذكور من المادتين السادسة والتاسعة من قانون انتخابات مجلس الشيوخ المقر بتاريخ ١٤ ارديبهشت ١٣٣٩ هـ ش استنادا الى مقدمة الدستور والاصل الثاني، وكل ذلك غير قانوني وليس للدولة مثل هذا الحق. لأن المستند - مقدمة الدستور - باطل كما تقدم. بالاضافة الى ان الدولة لا يمكنها ان تبطل القانون الذي أقره مجلس النواب، وقد نص الدستور في الاصل الثاني والعشرين منه على الفصل ين السلطتين التنفيذية والتشريعية .. كل ذلك يجعل مقترح وزير الداخلية غير قانوني بالاضافة الى انه يخالف الاصل الثاني والاصل السابع والعشرين من تكملة الدستور»[٢١].

ومحل الشاهد مما تقدم هو اظهار البعد القانوني في نص الإمام، الأمر الذي يمكننا من مقاربة موقع البعد في رؤية الإمام الحركية ومساره العلمي.

وفي المحطة الثانية: مبادرة الإمام الى تدوين دستور الجمهورية الإسلامية نجد انه (رضوان الله تعالى عليه) قد أعطى الاولوية بعد الانتصار ودون اي تسويف او تعليل للمباشرة بتدوين الدستور[٢٢]. وكان بالامكان تحقيق ذلك عبر تشكيل لجنة من عدد من الاخصائيين ومن الشرائح الإجتماعية المختلفة بهدف اقتراح الدستور ليصار بعد ذلك الى طرحه للاستفتاء الشعبي ويلاحظ هنا بجلاء كيف تجنب الإمام سلبيتين؛ التعيين وكثرة عدد اعضاء مجلس الخبراء.

فالتعيين يصادر دور الشعب في الاقتراع، وكثرة العدد تدخل المجلس في دوامة تحد من انتاجيته، والظرف استثنائي.

على ان العدد الذي اعتمد (وهو ثمانون) لا يمكن للمتأهل المنصف الا الإقرار بواقعيته.

وقد تعاطى الإمام في هذه المرحلة بحذر شديد مع جميع التحركات المناوئة معتبرا انها تصدر من منطلق منع تثبيت ركائز الدولة، كما نجد ذلك صريحا في العديد من خطبه في اجواء الاستفتاء على شكل الحكم وانتخاب الخبراء والاستفتاء على الدستور ..

(٢١) المصدر نفسه ج ١ ص ٢٩ .

(٢٢) راجع في ذلك خطب الإمام بتاريخ ٢١ /٥٨/٤ و ٥٨/٤/١٤ و٥٨،٤/١٧ وأيضاً بتاريخ ٥٨/٤/٢١ في تجار وكسبة سوق طهران حيث يتضح جليا مدى الاهتمام الذي كان يوليه لتدوين الدستور.

كما تعاطى بحذر ايجابي شديد مع المطالب الملحة التي كان يطرحها عليه مخلصون في اللقاءات الجماهيرية مؤكدا على ان هذه المسائل محقة، الا ان الاسترسال في الاهتمام بها يمكن ان يصبح مسيرا انحرافيا يحول دون بناء الدولة.

أ - في خطاب له بتاريخ ١٧ /٤ /٥٧ يقول:

«كنا نعرف مواطن الخلل، الا ان لذلك وقته. حاجتنا الأساسية الآن تدوين الدستور والاستفتاء عليه كل هذا الخلل القائم (في المرافق المختلفة) يجب ان يعالج الا ان وقت العلاج يحين عندما تستقر عندنا حكومة (دائمة).. ويمكننا ان نقول للعالم؛ هذا بلدنا، هذا نظامنا، هذا قانوننا وهذا رئيس جمهوريتنا، هذا مجلسنا ليعترف الناس وتعترف الدنيا باننا نظام بكل معنى الكلمة، عندها ننصرف الى هذه الجزئيات»[٢٣].

ب - وفي خطاب له بتاريخ ٢١ /٤ /٥٨ يقول سماحته:

«انتم تعلمون اننا نمر بمرحلة حساسة تستدعينا اجتياز الاستحقاقات التي نواجه وهي الخطوات الاولية التي هي عبارة عن الدستور ومجلس الخبراء ومجلس النواب ورئيس الجمهورية وكل ما هو أساس في بناء الدولة.

هذه هي الاستحقاقات ويجب ان يتحد الجميع لانجاز ذلك. في مثل هذا الموقع الحساس يحاول الأعداء ان يحولوا دون اجتياز هذه المراحل، ولهذا رأيتم انهم لجأوا الى التشويش (محاولات الاخلال) في الاستفتاء على (شكل الجمهورية) ويحاولون ذلك الآن ليمنعوا تحقيق الأهداف الإسلامية»[٢٤].

وفي المحطة الثالثة: التزم الإمام الدستور بعد اقراره .. ينبغي التوكيد في البداية على ان المحك الحقيقي الذي يثبت مدى صدقية البعد القانوني في أية شخصية قيادية هو مدى التزامها بالقانون الذي يمكنها ان تغيره او تتجاوزه عندما يتعارض مع قناعتها بتطبيق رؤيتها السياسية التي تبلورها المستجدات.

وسنرى في هذا المجال بالذات ان الإمام قدوة، فقد مارس اعلى درجات الانضباط في اجواء تزل فيها كثير من الاقدام، مرسيا بذلك دعائم منهج يشكل العصب للمنهج الحركي الإسلامي ولبناء الدولة في آن. ولم تستزله المنزلقات على خطورتها ولا ثقة الشعب على فرادتها.

(٢٣) ج ٧٨/٨ في اساتذة وموظفي جامعة شيراز.
(٢٤) ج ١٠٢/٨ في جمع اهالي مريوان وسنندج.

كانت التجربة المرة الاولى حيث «اكتشف» انصار بني صدر ان والد السيد جلال الدين فارسي مرشح الحركة الإسلامية في إيران الى موقع رئاسة الجمهورية ليس إيرانيا انما هو افغاني، الأمر الذي يحرم السيد فارسي بحسب الدستور من حق الترشيح لهذا المنصب.

وقد جاء هذا «الاكتشاف» في وقت لا يسمح بطرح بديل .. وكان سماحة الشيخ الرفسنجاني وزيرا للداخلية فاصطحب مرشح الحزب الجمهوري والحركة الإسلامية عموما والحوزة بشكل خاص الى منزل الإمام لتحديد الموقف. وكان جواب الإمام قاطعا بوجوب الالتزام بالدستور ومراعاة الشروط التي حددها للمرشح للرئاسة.

ولا يمكن فهم اهمية موقف الإمام الا اذا لاحظنا ان ترشيح السيد فارسي قد تبناه آنذاك الشهيد (بهشتي) واعلنه شخصيا، يوافقه في ذلك سماحة السيد القائد (فعلا) وسماحة الشيخ الرفسنجاني وكبار العلماء والكوادر التي تعتبر أذرع الإمام (رضوان الله تعالى عليه).

وهذا يعني ان الإمام كان بين خيارين: ان يلتزم بالدستور فتخسر الحركة الإسلامية موقع رئاسة الجمهورية ليتبوأه من لا يُطمأن الى إسلاميته او يعلم بعدمها.

ولم يخرق الدستور التزاما بقناعته السياسية في وصول الاصلح الى رئاسة الجمهورية ولم يتردد الإمام في التزام الدستور. فقد تشكلت القناعة الشرعية عنده في ضوء ذلك. وقد دفعت الجمهورية الإسلامية ثمن ذلك من خلال ممارسات بني صدر، الا ان هذه الاثمان لم تكن لتعادل خرق الدستور على يد الإمام وذلك له أيضاً اثمانه الباهظة والاشد كلفة وخطورة فهو يعني فتح الباب على مصراعيه لتكرار الخرق وهو بدوره يعني ضرب أهم الأسس التي تقوم عليها الدولة.

ان هذا الموقف الخميني المفصل عميق الدلالة، بعيد الغور، شديد الثراء، يسلط الضوء على التزام القانون في شخصية الإمام الواقعية السياسية ضمن الضوابط. فهو لا يقود الشعب من برج عاجي وانما هو مع الشعب، يقوده برفق ودراية ولا يملي عليه نظرته الى الاشخاص والقضايا ويترك له ان يعبر عن قناعته التي لا تتنافى مع حدود الله تعالى، حتى اذا لم يكن هذا التعبير هو الافضل.

وثمة شاهد آخر في هذا السياق. وفي مورد جزئي يوضح لنا ان الإمام الذي حرص على القانون في مسألة جذرية مركزية كيف يحرص عليه في أدق التفاصيل، فقد وجه جندي في الجيش استفتاء شرعيا الى الإمام حول وجوب الالتزام بتعميم صادر عن قيادة

الجيش حول التقيد بحلق اللحية.

ومن الواضح ان حلق اللحية بحسب فتوى الإمام وسائر المراجع أمر غير جائز، الا ان الاجابة على الاستفتاء بعدم الجواز تشجع هذا الجندي وغيره على عدم احترام القوانين والنظم والتقيد بها، كما ان الاجابة بالجواز منافية للحكم الشرعي لذلك نجد ان الإمام يجيب بما يلي:

«لا يجوز مخالفة مقررات الجيش»[٢٥].

فبذلك يثبت احترام القانون ومن جهة أخرى يوعز الى قيادة الجيش بتغيير هذا التعميم الذي هو من مخلفات العهد السابق..

والمتأمل في أجوبة الإمام على الاستفتاءات بعد انتصار الثورة وتأسيس الدولة يرى بوضوح مدى حضور الالتزام بالقانون لديه..

ولا غرابة في ذلك .. فالفقيه -كما يرى الإمام - تحت القانون ناظر على تطبيقه. جاء في خطبة له بتاريخ ٥٨/٨/٣ =٧٩م:

«الإسلام دين القانون، حتى النبي لم يكن باستطاعته ان يخالف، يقول الله تعالى:

«ولو تقوّل علينا بعض الاقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين».. اذا خالفت نقطع وتينك، انه حكم القانون ولا حكم لغير القانون الإلهي، لا الفقيه ولا غير الفقيه، الجميع تحت القانون، انهم مجرون للقانون ومنفذون. الفقيه وغير الفقيه كلهم مجرون للقانون. الفقيه ناظر على هؤلاء الذين يجرون القانون حتى لا يخالفوا القانون، لا انه يريد هو ان يحكم. يريد ان يمنع تحول الحكام الذين يفترض بهم ان يطبقوا القانون الى طواغيت»[٢٦].

وحول الانظمة التفصيلية نجد ان الإمام يؤكد بتاريخ ٦٥/٣/١٩ على ان «الالتزام بالنظام واجب إلهي، يجب ان تبنى كل الأمور على النظام والانتظام، يجب ان يكون لكل شيء في الدولة نظامه الخاص»[٢٧].

(٢٥) راجع في توثيق ذلك خطاب الإمام بتاريخ ٥٨/١٠/١٤ ولم اجد في ما نشر من آثار الإمام كلامه الخاص بهذه الحادثة وقد بث تلفزيون الجمهورية آنذاك خبر استقبال الإمام لوزير الداخلية والسيد فارسي.

(٢٦) استفتاءات جديدة امام /فارسية :ج ١ .

(٢٧) ج ١٠ /٤٨ .

ثالثا: بناء المؤسسات

لا يمكن التفكيك بين تميز شخصية الإمام في البعد الاخلاقي وبين حرصه على بناء المؤسسات، فان الوعي العميق لمخاطر الانا والديكتاتورية يحول دون موكزة الأمور كلها عند شخص وتفصيلها على مقاسه.

والإمام الراحل الذي لم تتغير سيرته بعد الانتصار عما كانت عليه قبل ان يطلق نهضته المباركة، لا يمكنه الا ان يكون المدرك لأهمية بناء المؤسسات لكي تتخذ كل غرسة طريقها الى النمو في بيئة صحية معافاة بعيدا عن التشابك والتناحر، وبمعزل عن إهمال مجال لحساب الاهتمام بمجال آخر .. تلمس بوضوح ان مشروع الإمام كان جاهزاً وان سنوات الحصار والنفي لم تذهب هدراً.

وتلمس ان الإمام لم يول القانون الأهمية التي تم استيضاحها الا من أجل التأسيس عليه فهو المدخل بل القاعدة لبناء المؤسسات.

وتلاحظ ان الإمام عمل في هذا المجال على خطين:

الاول: بناء المؤسسات الرئيسة التي لا بد منها لأية دولة.

الثاني: بناء المؤسسات الفرعية التي شكلت الضمانة لعدم اختناق منهجية الثورة في انفاق النتاج الثقافي والاداري للعهد السابق.

في المجال الاول: المؤسسات الرئيسة؛ نجد ان الإمام وبتاريخ ٦٠/٣/٢٤=٨١م يعتبر ان «من افتخارات هذه الثورة الإسلامية بناء جميع المؤسسات خلال سنة»[٢٨].

ولم يتحقق ذلك في الواقع الا من خلال اصرار الإمام على اعطاء الاولوية لبناء المؤسسات انطلاقا من قناعته بأنه ما لم تبن هذه المؤسسات فان الجمهورية الإسلامية لاتأخذ طريقها الى التحقيق.

يقول بهذا الصدد بتاريخ ٥٨/٤/٢٣=٧٩م: ليس لدنيا الآن «من الجمهورية الإسلامية الا الاسم ولم يتحقق بعد المحتوى المطلوب ولم يتخذ الدستور ولم ينتخب رئيس الجمهورية ولا مجلس النواب وليس لدينا الا دولة انتقالية»[٢٩].

(٢٨) ج ٣/٢٠ .
(٢٩) ج ١/١٥ .

وبعد بناء المؤسسات.. يأتي دور التأكيد على الفصل بين السلطات وعدم التداخل وان ينصرف كل الى مجال عمله سواء على مستوى المؤسسات الام او الفرعية.

وفي خطاب مفصلي بتاريخ ٥٩/٥/٣=٨٠م يقول الإمام:

«عندما يؤدي كل فريق عمله ولا يتدخل في عمل غيره ينتظم أمر الدولة فتصبح دولة يمكن ان تتقدم. اما اذا اصبح كل فريق يتدخل في عمل الآخر فلا يستطيع احد ان يؤدي مهمته.

هذا تكليف شرعي للجميع، للحرس للشرطة للجيش للدرك للمجلس لرئيس الجمهورية. الجميع مكلفون شرعا، يجب ان يلتزم كل بوظيفته التي حددها القانون. ولقد حدد القانون لكلٍ وظيفته فاذا تجاوز أحد القانون وأراد التدخل في مجال عمل غيره فقد خالف الشرع [...] ليلتزم رئيس الجمهورية بما حدده له القانون ولينفذه بطريقة جيدة، كذلك المجلس. لا يتدخل المجلس في مجال عمل السلطة التنفيذية او السلطة القضائية. اذا أراد كل ان يتدخل في مجال عمل الآخر فلن تبنى دولة»[٣٠].

ومن الشواهد الملفتة على طريقة عمل الإمام في بناء المؤسسات، انه تعامل مع بني صدر بعد انتخابه رئيسا للجمهورية وتثبيت الإمام لذلك بإيجابية عالية[٣١]. وقد عهد اليه ببعض صلاحياته واكثرها حساسية وهو موقع القائد العام للقوات المسلحة، وكان يوصي القوات المسلحة بوجوب طاعته[٣٢] الأمر الذي يكشف ان الإمام وان لم يكن مقتنعا بشخص ما، الا انه اذا رآه تبوأ موقعا من المواقع تعامل معه على هذا الأساس، وهذا ما يشكل العمود الفقري لبناء المؤسسات لانه النقيض للتعامل الإنتقائي الإستنسابي الذي يتجاوز الضوابط والمواقع فيستبدل المؤسسة بالشخص والجماعة بالأنا.

وفي المجال الثاني: المؤسسات الفرعية؛ لا بد من الاشارة اولا الى ان أية ثورة في العالم تحمل نهجا تغييريا كالثورة الإسلامية تواجه تحدي تثبيت نهجها ورؤيتها في المجتمع، ولا بد لها لتحقيق ذلك من بناء بعض المؤسسات التي يمكن من تحريك رؤيتها الثورية نظريا وعمليا في قنوات مأمونة الجانب .. ريثما يمكن الاطمئنان الى غيرها.

أما اعتماد القنوات الموروثة وتطعيمها بعناصر ثورية فليس أسلوبا مضمون النجاح. نعم

(٣٠) ج ٢٠/٨
(٣١) ج ٢٦١/١٢ .
(٣٢) ج ١١ / ١٦٠ .

لا بد من تنبيه كخيار رديف لا وحيد، ويترك للتجربة ان تحدد متى يصبح الرديف اصيلا سواء تم الاكتفاء به وحده ام لا.

وقد اعتمد الإمام الأسلوبين معا: بناء أجهزة ثورية والحرص على استصلاح الأجهزة الموروثة، وقد آتت هذه الطريقة أكلها على أكمل وجه.

وحين يتضح بالامكان الاستغناء عن الثنائية، كان يتم إدغام الجهاز الجديد في القديم كما حصل بالنسبة الى اللجان الثورية التي كلفت بمهام مشابهة لمهام الشرطة.

أما حين كانت تتضح الحاجة لهذه المؤسسة فكان يتم رفع مستوى التنسيق بينها وبين المؤسسة المشابهة. وأهم المؤسسات والأجهزة الثورية التي تم بناؤها:

١- مجمع تشخيص المصلحة لحل معضلات النظام.

٢- حرس الثورة الإسلامية.

٣- جهاد البناء.

٤- منظمة الاعلام الإسلامي.

٥- مؤسسة المستضعفين.

٦- وزارة الامن.

وبديهي ان بناء مؤسسات من هذا النوع، سلاح ذو حدين، الا ان من شأن تحديد المهام والصلاحيات وتدوين القوانين والنظم وتطويرها في ضوء المستجدات، كفيل بتفادي السلبيات والافادة من الايجابيات.

ويوضح لنا النص التالي طريقة عمل الإمام في بناء المؤسسات ومدى الاهتمام بوضوح الفصل بين المهام منعا للتداخل.. فقد وجه سماحته رسالة الى سماحة السيد القائد عندما كان رئيسا للجمهورية بتاريخ ٦٨/٢/٤=٨٩م حول تكملة الدستور، عين فيها اعضاءها من مجلس الخبراء والسلطات الثلاث ومجمع تشخيص المصلحة، وآخرين على ان تطرح النتائج للاستفتاء الشعبي.. وقد حدد الإمام مساحة البحث، كما يلي:

١- القيادة.

٢- المركزية في مديرية السلطة التنفيذية.

٣- المركزية في مديرية السلطة القضائية.

٤- المركزية في مديرية الاذاعة والتلفزيون بحيث يكون الإشراف عليهما للسلطات الثلاث.

٥ - عدد نواب المجلس.

٦- مجمع تشخيص المصلحة لحل معضلات النظام وتقديم المشورة للقائد بحيث لا يكون هذا المجمع قوة في عرض القوى الاخرى.

٧- آلية اعادة النظر في الدستور.

وقد اعتبر الإمام في مقدمة الرسالة ان الخبرة التي تراكمت طيلة عقد من الزمن حتمت تحديد النظم والقوانين في هذه المجالات كما انه حدد مهلة شهرين كحد أقصى لإنجاز هذه المهمة»[٣٣].

ولا يمكن الحديث عن بناء الدولة دون الوقفة عند القوات المسلحة والقوى الامنية باعتبارهما عين الدولة وذراعها، وما ينبغي الوقفة عنده بالتحديد هو تدخل هاتين المؤسستين في الأمور السياسية، فان تسييس العسكر والامن يعني عسكرة السياسة وكم الافواه وخنق الانفاس وبالتالي منع التعددية واعتماد سياسة اللون الواحد.

وقد راعى الإمام الخيط الرفيع الفاصل بين منع التسييس وبين التجهيل، فأكد على أهمية التوعية وخطورة التحزب.

ان عدم تسييس الامن والعسكر يعني عند الإمام الدخول في الصراعات السياسية وهو لا يتحقق الا بمنع التحزب بجميع مظاهره في صفوفهما.

في خطاب له في قادة القوات المسلحة بتاريخ ١٣٦٠/٣/٢٤=٨١م يقول سماحته:

«على قادة الجيش وجميع القوات المسلحة حفظ (هذه القوات) من التدخل في السياسة. ان تدخل الجيش في السياسة مساو لزوال حيثية الجيش. الأمور السياسية في الجيش اشد فتكا من الهيروين على الإنسان. كيف يقضي الهيروين على الإنسان، كذلك هي الأمور السياسية تقضي على روحية الجيش ورؤيته»[٣٤].

ويقول في تعليل ذلك: «الجندي الذي يتدخل في الأمور السياسية يفقد جنديته، الجندي الذي ينصب تفكيره على أمور من قبيل؛ من تقدم ومن تأخر، ماذا سيجري هنا

(٣٣) ج ١٢ / ٨٧ .
(٣٤) ج ١٢ / ٢٦١ .

وماذا هناك.. الفريق الفلاني كيف سيتصرف؟.. والفريق الفلاني كيف؟ لا يعود اهلا لاسم الجندية .. انه شخص سياسي اغتصب قبعة الجندية»[٣٥]. ويحدد الإمام الممنوع من السياسة في القوات العسكرية بوضوح أكثر فيقول:

«ان يأتي المتحدثون في الأمور السياسية ويكون الهدف الانتصار لفئة على فئة ليدخلوكم في هذا الميدان فيصبح بعضكم مؤيدا لهذا الفريق والآخر مؤيدا لذلك الحزب فتنشغل أفكاركم دائما باللعبة الحزبية والفئوية»[٣٦].

وفي لقاء وزير الحرس ومعاونيه بتاريخ ٦٣/٥/١٩=٨٤م يقول: «المهم ان لا توجد في الحرس حالة تلحق الضرر بروحية افراد الحرس [...] يجب ان تحولوا دون دخول الجهات السياسية الى الحرس فان دخول الجهات السياسية الى الحرس يعني زوال الجهات العسكرية. اوصوا الحرس دائما ان يعتبر كل منهم نفسه دائما محاربا في خدمة الناس»[٣٧].

وفي خطابه بمناسبة ذكرى ولادة الإمام الرضا (عليه السلام) بتاريخ ٥/١٨/ ٦٣=٨٤م يقول:

«لا يجوز لافراد الحرس الدخول في التحزبات فيصبح هذا مؤيدا لهذا وذاك مؤيدا لذاك. ما علاقتكم انتم بما يجري في المجلس؟ وقد بلغني ان الحديث كان يدور في الحرس حول الانتخابات.. الانتخابات تبحث في محلها.. ما علاقة الحرس حتى يوجد الاختلاف بينهم؟ هذا ليس جائزا للجيش. ان هذا يمنع الحرس عن القيام بواجبه الذي هو في عهدته»[٣٨]. وفي لقاء مسؤولي وزارة الامن بتاريخ ٦٣/١٢/١٩=٨٤م يقول الإمام:

«الأمر الآخر الذي يحظى بالاهمية، هو ان جميع الاشخاص في هذه الوزارة يجب ان لا يكون لهم انتماء الى اي حزب، ومجموعة الارتباط بالمجاميع يستتبع الارتباط الفكري والعلمي، وهذا يتنافى مع عملكم. يجب ان تكونوا جميعا حياديين، ان تزاولوا عملكم بمعزل عن العداوة والصداقة والمعرفة. يجب ان يكون افراد الامن مستقلين نزيهين ومتقين»[٣٩].

---

(٣٥) ج ١٥ /١ - ٩ .
(٣٦) المصدر نفسه .
(٣٧) المصدر نفسه ج ٦٢/١٨ .
(٣٨) ج ١٩ / ٢٦ .
(٣٩) ج ١١٧/١٩ .

وترى وانت تتابع خطب الإمام وبياناته، ان موضوع بناء المؤسسات كان يؤرقه باستمرار ليطمئن من خلال ذلك الى ثبات الجمهورية الإسلامية واستقرارها، وكان رضوان الله تعالى عليه يخشى ان توافيه المنية ولم يكمل ذلك فتتعرض أسس الجمهورية للاهتزاز. والشواهد على هذا الموضوع وتشعباته كثيرة جدا وفيما تقدم كفاية.

رابعا التزام الحريات

يطل الإمام على مبدأ الحريات من موقع العارف بالله، العارف بكرامة الإنسان على الله تعالى. ومن موقع الفقيه المدرك لعظمة حدود الله تعالى وخطورة تعديها، ولذلك يعتصر قلبه الالم وهو يتابع مصادرة الحريات والكرامات في عهد الشاه. وقد شكلت هذه النقطة بالذات رافدا ثرّاً لاطلاق نهضته المباركة. من هنا كانت حاضرة وبقوة، إن في بياناته ضد الشاه او في تاكيداته المستمرة مع المسؤولين حول الاهتمام بالمستضعفين وخدمتهم.

في بيان له عند هجوم جلاوزة الشاه على المدرسة الفيضية في قم وعلى الناس في السوق وتحطيم زجاج ومحتويات محالهم التجارية بتاريخ ٤٢/١/٢ =٦٣م يقول الإمام:

«هذا معنى التزام التدين، وهذا معنى حرية الرأي والناخبين. الجهاز الجبار الحاكم لا يعتقد بأن لأحد من أفراد الشعب الحق في الحرية. وقد سلب حرية الناس طيلة الفترة الماضية»[٤٠].

وفي الرد على الشاه حين نعت العلماء بالرجعية بتاريخ ٤٣/١/٢٦يقول: «يريد العلماء العمل بالإسلام ومخالفة الديكتاتورية فهل هذه رجعية؟ [...] العلماء ضد الضرب والبطش والديكتاتورية والاستبداد فهل هذه رجعية؟ لقد وقف العلماء في صدر المشروطة ضد الاستبداد الاسود وانتزعوا الحرية للشعب وسنوا قوانين لمصلحة الشعب والاستقلال والإسلام وقد حصلوا على ذلك بالدم والمعاناة والوان القصص، فهل هؤلاء رجعيون؟

العلماء الروحانيون يقولون: يجب ان لا تتدخل قوة الحراب في مقدرات البلد .. يجب ان يكون النواب منتخبين من الشعب، يجب ضمان حرية الصحافة فلا تخضع لرقابة الاجهزة ولا يجوز ان يسلب الحرية من الشعب، فهل هذا رجعية»؟[٤١].

(٤٠) ج ١ / ٤٩ وانظر بيان الإمام بتاريخ ٤٢/٢/١٣ .
(٤١) ج١/٦٧/ ٨٢ .

في رسالة مفتوحة وجهها الإمام الى (هويدا) رئيس وزراء الشاه بتاريخ ٤٦/١/٢٧-=٦٧م يقول (رضوان الله تعالى عليه):

«حكومتك البوليسية انت واسلافك، التي هي مطابقة لرغبة اولئك الذين يريدون ابقاء شعوب الشرق رهن التخلف، هي حكومة القرون الوسطى، حكومة الحراب والقمع والسجن، حكومة كم الافواه وسلب الحرية، حكومة الرعب والبطش»(٤٢).

وقد تناول الإمام بالتفصيل مسألة الحريات والزراعة والصناعة والمرأة في مقابلة اجرتها معه جريدة « العالم» الفرنسية (ليموند) بتاريخ ٥٧/٢/١٦-=٧٨م وسأنقل جانبا وافيا منها لما تتمتع به من أهمية في ايضاح منهجية الإمام.

وجه المراسل اليه السؤال التالي:

«يتهمك الشاه بمخالفة التمدن والرجعية فما هو جوابك على ذلك»؟

- الإمام: «الشاه هو تجسيم الرجعية ورفض التمدن منذ خمسة عشر عاما. وانا اؤكد في بياناتي وخطبي للشعب الإيراني على التنمية والتوسعة في المجالين الإقتصادي والإجتماعي البلدي. اما الشاه فهو ينفذ سياسة الامبرياليين ويصر على ابقاء إيران أسيرة التخلف والرجعية. النظام ديكتاتوري وليست في هذا النظام الحقوقية الفردية، وصودرت الانتخابات الواقعية والصحف والاحزاب. يفرض الشاه نوابه على الشعب خلافا للدستور. منعت التجمعات السياسية والدينية، ولا وجود على الاطلاق لاستقلالية القضاء والحرية الثقافية. لقد اغتصب الشاه السلطات الثلاث واعتمد سياسة الحزب الواحد والأسوأ من ذلك انه جعل الانضمام الى هذا الحزب اجباريا والممتنع يعاقب.

اضاف الإمام «زراعتنا التي كانت حتى ثلاث وعشرين سنة خلت تفيض عن احتياجات البلد الداخلية وكنا نصدر الفائض، تم القضاء عليها. وبناء على الاحصائيات التي اعلنها رئيس وزراء الشاه قبل سنتين، فان إيران تستورد اكثر من ٩٣٪من المواد الغذائية التي تستهلكها. هذه هي نتيجة ما سمي بالاصلاح الزراعي للشاه. الجامعات اقفلت في منتصف العام الدراسي ويتم الاعتداء على الطلاب في الحرم الجامعي كل سنة عدة مرات ويلقي بالطلاب في السجون.

لقد دمر الشاه إقتصادنا وهو يبذر واردات البلد من النفط الذي هو ثروة المستقبل

(٤٢) ج١ / ١٣٢ .

للشعب، ويصرف ذلك لشراء الاسلحة الكمالية بأثمان باهظة، وهذا أمر يضر باستقلال إيران. انا أعارض الشاه بالتحديد لأن سياسته العميلة للقوى الاجنبية تعرض تقدم شعبنا للخطر. وعندما يدعي الشاه انه يوصل إيران الى حدود التمدن الكبير فهو يكذب ويتخذ ذلك ذريعة ليجتث جذور استقلال البلد ويريق دماء الشعب. العمال والفلاحون والطلاب والكسبة النساء والرجال ثاروا ضد النظام الرجعي والمتخلف. لهذه الاسباب التي لا يمكن القفز فوقها يحاول الشاه ان يطمس حقيقة معارضتنا له فيتهمنا بالرجعية والتخلف.

اذا وفقنا يوما لاسقاط نظام الشاه، فاننا سنحاكمه على ما ارتكبه ضد تقدم شعبنا ورقيه في المجالين الإقتصادي والثقافي، وسيطلع العالم آنذاك على جناياته.

ويعاود المراسل الكرّة بقوله: «يصفك الشاه بانك مخالف للتمدن وانت ترجع الاتهام اليه.. وهذا الأمر بطبيعة الحال ليس مقنعا. لطفا حدد موقفك من أمور ثلاثة أساسية بالنسبة لإيران؛ الاصلاح الزراعي، التصنيع، والنساء».

يجيب الإمام: «الهدف من الاصلاح الزراعي للشاه.. هو بوجه خاص عبارة عن ايجاد سوق للدول الاجنبية خصوصا امريكيا. اما الاصلاح الزراعي الذي نريده نحن فيجعل المزارع يستفيد من نتيجة عمله وسيعاقب الملاك الذين تجاوزوا احكام الإسلام [...]. وفي مجال ان تصبح إيران دولة صناعية، نحن موافقون على ذلك تماما، الا اننا نريد التصنيع الوطني، والمستقبل الذي يقوى إقتصاد البلد ويكون مع الزراعة في خدمة الشعب، لا التصنيع المرتبط بالخارج، القائم على أساس المونتاج كما هو الحال في التصنيع القائم فعلا في إيران.. ان سياسة الشاه الصناعية والزراعية حولت مجتمعنا الى مجتمع استهلاكي لمصلحة القوى الإستعمارية.

وحول النساء؛ الإسلام ليس مخالفا أبدا لحرية المرأة بل العكس، فالإسلام مخالف لمفهوم تشييء المرأة وجعلها شيئا. الإسلام يحفظ كرامة المرأة وحيثيتها. المرأة تساوي الرجل.. المرأة كالرجل في تحديد مصيرها واختيار مجال عملها. اما نظام الشاه فهو يعمد الى اغراق النساء في منافيات الأخلاق لسلبهن حريتهن، والإسلام يعارض ذلك بشدة.

لقد سلب النظام حرية المرأة كما فعل بالنسبة الى الرجل وداسها.. النساء كالرجال يملأن سجون إيران. هذا هو الذي يهدد حريتهن، ونحن نريد تحرير النساء من الفساد الذي يتهددهن»[٤٣].

(٤٣) ج ٢ /٤٣/٥٠ .

وانت ترى ان هذا النص يكشف عن التزام مميز للحريات كما يكشف عن حضور مميز للامام ومواكبة لخططه وممارساته تستند الى رؤية بديلة في مختلف المجالات.

وهكذا تكون الدولة في نص الإمام قد غطت مساحة حوالي ربع قرن، تابعنا فيها موقف الإمام من أسس الدولة التي حلم ببنائها حيث أتيح له ان يترجم الحلم الى واقع ليؤدي الإمام بذلك ما عليه تاركا للاجيال حفظ هذه الامانة الإلهية وتعاهدها بالرعاية وحمايتها بحبات القلوب.

والحمد لله رب العالمين



الإمام الخميني ومسيرة العشق

الأستاذ حسين شرف الدين

من بعيد بعيد يلحّ علي شوق في ان تنغمس ريشتي بمساكب النور، ويتهامس الوجد بيني وبين القلم، فأجد فيه حبرا وكأنه قد تكاثف في مسلته خصيصا ليلهج بحروفه، وحروفه تأبى ان تحجم او تكثف، انها لم تكن الا لتنشلح على خيوط الضوء لتنال منها الجهات الست ما يكشح عنها العتمة، كما انها ماكانت الا لتنعطف نحوها نسيمات الصبا لتتهادى رخاء تلامس أجفان الفجر، وتداعب الاحلام العذارى.

تريدني ان أكتب فيه، وكأنه في الذهن نقلة زمان او انعطاف مكان، وهو في الزمان مذ وعى الخلق الوهج، وهو في المكان مذ سطر في اللوح ان الأرض يرثها العباد الصالحون.

قد يرى ان تضم بعض حروفه وريقات ملف، وكيف يكون؟ وهو الذي فسح عباءة نسجت خيوطها من ذلك الكساء، لتنفلش على المعمورة وتغمر بالفيء اهل الولاء.

ربما يكون في مناسبة موضوع ذكر او تذكر، وهل في الظن انه الوفاء؟ ولمن؟ .. يوم حمل وجع الأمة، كان الوجع هو مناسبته، ويوم حمل خشبته وقام.. كان الموج الموج الموج ويشد الى اللجة طرابين الرياحين فهل في مجرد التذكر وفاء؟

. ويوم قال كلمته ومشى، كان في البعض قلوب تبلغ الحناجر، وكان لسان حال بعض آخر: اذهب انت وربك فقاتلا، وفي بعض ثالث كانت في بطونهم نار فيلجأ الى فيء سلطان، والسلطان هو ابن هذه النار.. هكذا امره مع دنياه واهل دنياه.

(*) باحث وصحفي إسلامي - مدينة صور اللبنانية.

اما هو، ما كان له الا ان يحمل خشبته ويمشي، في صحراء يمشي، وما هي صحراء التيه، وما رأيت احدا يضيع في الطريق المستقيم، يمشي وحده يمشي كان.. أوجعه كان يمشي القليل.. ما همّ، لا وحشة في طريق الهدى لقلة أهله.

وبعد هذا هل نحشره في مناسبة؟

يرى ان المناسبة ذكرى موته، وهل يذكر من يموت؟ الميت ذلك الذي ينقطع ذكره، وقد ينقطع ذكر الآلاف ممن يدبون على الأرض، فهل هم أحياء؟

انه سار نحو رقاد جميل، وقد خرج من عتمة يتخبط فيها الكل ليلج عالم نور الله، حيث لا حرقة كبد من ظمأ على ضفة الكوثر، ولا الم فراق لمن هو الاقرب اليه من حبل الوريد.

سار نحو رقاد زاهر المباهج، اذ تفجرت في داخله آهات فراق المحبوب، فهجر كل ما هو سواه، لينال كرامة ضيافته، يرتوي، يقر، حيث لا عطش ولا وجع بقرب الحبيب.



ان كان لي ان أكتب واستجيب للشوق الملح في داخلي، فأخالني في التيه، اذ دنياه الله ودنيانا الشيء الآخر، فكيف يتأتى لمن ينغمس في دنيانا ان يلامس أعتاب دنياه، وهو الذي من حيث أتيته: إنسانا، ثائراً، فقيهاً، مفكراً، عرفانياً وغيرها من النواحي التي تجتمع فيه وحده، ولو نال سواه طرفا من احداها لكان مثالا.

انه من حيث أتيته ستجد الكثير مما تقول، وسيبقى الكثير مما لم يقل، ولا اجد الا ان اعود الى الانسام الاولى التي داعبت احلاما وردية بدت قابلة للتحقيق، بعد ان بدأ يتسرب قنوط في وقت توقف عند تحويل الاحلام الى اوهام، ونحن الذين نعتقد ان الاحلام الكبيرة بحياة عزة وكرامة هي من حق كل شعب وأمة، ويستحيل ان تكون وهما، وانما من الممكن ان يحسن قراءة او تفسير الحلم فتأتي النتائج سلبية.

الحلم ذخيرة لجمال الحياة، تحافظ عليه الشعوب ليحفزها الى التحقيق، حتى تنتقل لصياغة حلم آخر يأخذ بنا الى ما هو ارقى، وهكذا.

عدت الى ايامي الاولى مع انسامه، يوم شال الوسن عن احلامي.

وكان على ما اظن اواخر عام ١٩٦٢ ميلادية، وكانت حكومة الشاه قد تقدمت بما اسمته: اصلاح لائحة المجالس المحلية، وكان مفاجئا هذا الذي سمي اصلاحا وغير مفهوم

الأبعاد، بما اعتمد عليه من نقاط:

١- الغاء حصر الترشيح للمجالس المحلية بالمسلمين.

٢- القسم بالمقدسات دون القرآن الكريم.

٣- اشراك المرأة ترشيحا وانتخابا دون وقفها على الرجل.

ظاهر اللائحة اصلاح ديمقراطي يسعى لاشراك قاعدة عريضة شعبية في الحكم المحلي. ولكن هذا الظاهر لا يخلو من باطن فما هو هذا الباطن؟

لم يطل بنا الوقت لينكشف الباطن، فمنذ سنة من اعلان هذه اللائحة توفي المقدس البروجردي وهو الضابط للوضع بما له من زعامة في الناس، وما له من جرأة على الحكم عندما تقتضي الامور.

قبل اشهر من الاعلان كانت وفاة آية الله السيد ابي القاسم الكاشاني وهو القائد السياسي لثورة النفط. وبوفاتهما (قدس سرهما) افتقدت المؤسسة الدينية زعامتها وقيادتها السياسية الصلبة.

وفي الباطن عند الشاه واسياده ان الساحة اصبحت مهيأة للإنقضاض عليها ولاحكام السيطرة على مجمل الوضع الإيراني قبل ان تبرز قيادة جديدة، وفي وقت انشغال المرجعيات القائمة باجتذاب ما يمكن من القاعدة العريضة التي كانت للسيد البروجردي، وجيل الشباب في الحوزة يتطلع الى قيادة مختلفة، ومرجعية ليست من المرجعيات المتعارف عليها، والحكم عادة يترك هذه التطلعات من حساباته الآنية وبالخصوص ان المرجعية المؤملة غير متجاوبة للظهور بالأسلوب التقليدي.

وخرجت القيادة المختلفة، وطرحت مرجعيتها بأسلوب مختلف لم تعهده وسائل التصدي. لم تخرج الى الناس بنسخة مزيدة ومنقحة للنصوص المتوافرة في مكتباتنا الفقهية، اذ لا ينقص حوزاتنا النص.

وما نفتقده هو التنفيذ، وهو استحياء النص لمعالجة ما يستجد على الساحة، وحسن استنباط المناسب وقراءة التحديات.

خرج الإمام الخميني ليعلن معارضته للائحة اصلاح المجالس المحلية، بنقاط صريحة وواضحة نفهم منها قراءته للائحة، وكان هذا الخروج هو الرسالة العملية، رسالة الاصلاح في أمة جده رسول الله(ص).

ومن هذا القيام وما تداوله الخطاب السياسي حينها، فهمنا الباطن، وفيه الاعلان الحالي بمظهره الديمقراطي، واستحضاره في الواقع لما أسسه رضا شاه يوم استولى على الحكم.

رضا شاه حارب ما تمثله العمامة والمواكب الحسينية، مما اوقع، مع الزمن انقساما في ثقافة الشعب الإيراني، ودعم هذا الانقسام وجود الفكر الماركسي في الساحة.

محاربة العهد البهلوي للعمامة والشادور والمواكب الحسينية اوجد انقساما ثقافيا، ولكن الثقافة الاصيلة بقيت السائدة بوجود القرآن وجنود القرآن.

القسم على القرآن لأداء متوجبات الحكم والتشريع، ان كان في المجالس النيابية او الوزارية او المحلية، يعني ان القرآن هو الضمانة لسلامة الاداء والمرجعية للقوانين والاحكام، فاذا ابطل القسم عليه، فيعني الغاء الضمانة هذه وتوسل ضمانات حسب الظروف والاهواء.

النقطة الثانية، في عدم حصر أهلية ادارة السلطات المحلية بالمسلمين وإفساح المجال لجميع المواطنين بممارسة هذا الحق الديمقراطي فهو يكتسب روحيته من النقطة الاولى، فاذا كانت الانتخابات على ما ارادت الدولة، فيعني تغلغل البهائيين واليهود في السلطات المحلية، واذا رفع القرآن من حيث هو الضامن والكفيل والمرجعية يسود الخضوع لتشريعات مدنية بشرية تراعي ظروف القيمين على ادارة الشؤون العامة ومصالحهم، ومنع مشاركة غير المسلمين في السلطات المحلية، ليس منعا للقاعدة الشعبية العريضة من المشاركة، بل هو حؤول من ان يتسرب الباطل بلبوس كلمة الحق، وأمر النبي (صلى الله عليه وآله)، بهدم مسجد ضرار لم يكن هدما لمسجد، بل هو هدم لاغراض بنائه.

اما النقطة الثالثة، فلم تأخذ من الإمام الخميني سوى تساؤل ان كان الرجال يمارسون حقهم بحرية، وبهذا التساؤل نفهم ان الإمام (قدس سره) لم يعارض مشاركة المرأة، بل عارض توسيع قاعدة شهود الزور لعمليات انتخابية تزوّر باسم كل الناخبين، وعند هذا التساؤل ابطل نهج استغلال اسم المرأة.

فشل الشاه ومن وراءه بموضوع اللائحة الاصلاحية، لإجادة الإمام الخميني في قراءة اغراضها، فعمدت الحكومة الى طرح جديد باسم الثورة البيضاء، ومنها توزيع اراضي الاقطاعيين على الفلاحين، واعطاء العمال اسهما في المصانع التي يعملون فيها، وتأمين الاحراج والغابات.

اغراض هذا الطرح لا تختلف عن ذاك، وهو اجتذاب القواعد الشعبية الى مدار النظام، فبعد ان دغدغ احلام القطاع النسوي، جاء دور القطاعات الفلاحية والعمالية في مداعبة غرورها، وللمثقفين أيضاً لفتة في الثورة البيضاء، والامل ان يحصل مواقع الحكم، وفي نفس الوقت يفتح ثغرات في اسوار المؤسسة الدينية، باستعداء قاعدتهم الأساسية لهم بين العمال والفلاحين، اذا حاولوا الاعتراض .

كيد يُرد الى النحر

بهدوء مطمئن اجاب الإمام الخميني على استفتاء حول الاصلاح الزراعي فقال: «ليست املاك الاقطاعيين شرعية، ولا اجراءات الحكم. فكبار الملاكين ظلموا الناس وهنالك طرق سليمة لمواجهة هذا الظلم، والحكم ليس حين النية، ولم يختر الطريق الصحيح، ويمكن في هذه المجالات الاستفادة من الحلول الإسلامية».

هذا الجواب فيه عدم اعتراض على مبدأ تفتيت الملكية الكبيرة، وفيه ادانة للاقطاعيين وتحريم مواردهم، واتهام الحكم بسوء النية، واخيرا قدرة التشريع الديني على وضع الصيغة الشرعية لتمكين القطاعات الشعبية من الاستفادة من الاملاك العامة، والاراضي والغابات من الاملاك العامة.

وما افهمه من عدم ذكر الحلول هو انه (قدس سره) أراد ان يجر الحكم الى الاستفسار، وبهذا يثبت حق المؤسسة الدينية في تشريع أصول الاحكام.

وان لم يكن، فيعجزه عن استغلال استعادة احداث القرون الوسطى في اوربا، وتحالف الاكليروس مع الاقطاع، وان لم يكن هذا او ذاك، فان الإمام لم يصرح بكلام يمكن استغلاله، فحفظ المؤسسة الدينية من التعرض لاهتزاز.

استفدنا من هذا العرض أسلوب طرح الإمام وتصديه للأمور العامة، وكيفية قراءته للأمور ومعالجتها وطريقة دفاعه عن مواقع المؤسسة الدينية. وهذا ينحصر في رد مخاطر الخارج، ولكن الاخطر هو الا يحصن الداخل، ولذلك توجه (رضوان الله عليه) الى الحوزة العلمية ومرجعياتها، وجعلها في موقف واحد موحد في الطروحات والشعارات والهموم، وداوم في التفاعل معها، حتى لا يفسح المجال لحكم بأن يجتذب اي فرد او مسؤول.

والتفت الى ائمة المساجد وخطباء المنبر الحسيني على كامل المساحة الإيرانية يغنيهم بالافكار والطروحات والشعارات، ويعبئهم بما تقتضي المرحلة، وبهذا وفر أسواراً من العقول المجاهدة لتصد أي كيد.

اما جيل الشباب، فكان عدته لبناء المستقبل، يحمّله مسؤوليات، ويرعى له المبادرات ولا يطلب منه تبعية له، وانما البناء العملي الحق هو التحرك بحرية واستقلالية.

قدم نفسه حاملا رسالة فقه الجهاد والسياسة والإجتماع. اول حامل عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الاشتر، وفي تحركه خصائص من روح ذلك العهد، وهذا ما يلفت النظر، وكل ما هو خارج عن المألوف يلفت النظر.

في ظني ان ما لاقاه الإمام الخميني منذ صغره جعله يدخل الجو الحوزوي بذهنية غير اكاديمية، حتى انه اقدم على التصدي للمرجعية خارج الأسلوب الاكاديمي، وان اخرج رسالته بنفس النهج الاكاديمي، ولكن بعد ان مارس عمليا في مجتمع الحوزة رسالة فقه السياسة والجهاد. وما يدعوني لهذا الظن انه دخل صباه في عالم مختلف.

في الثانية عشرة من عمره، وهو العمر الذي تبدأ فيه ميول الفرد بالتشكل، حينها كان تحركه الى المدرسة ومنها، يختلط مع مشاهد الجنود الروس يجوسون ارض (خمين). وكما يصغي الى قصص الانبياء والاولياء والشهداء، كان يسمع حكايات الاقطاع وقطاع الطرق والتعدي على الاملاك والاعراض، ومن يخرج عن الطاعة نصيبه التصفية الجسدية، وكان من شهدائها آية الله السيد مصطفى الخميني أبوه.

اذ كان يرتع في مرابع الطفولة وملاعب الصبا، كان هو يؤجج في نفسه حربا على الإستعمار والاقطاع واللصوصية وسلب حرية الناس، حتى اذا بلغ الحلم، وقف مع فتيان وشبان (خمين) يحفر الخندق ويحصن الدشم ويعالج البندقية.

ولا يبعد انه كان بينه وبين البندقية ندامى مسامرة، ونجادى خلان، كشفت له خبيئها، وباحت عن مكنونها، واعلنت سرها، وهي خادمة حاملها، ان كان على خلق، وسيدته ان تجرد من الاخلاق. وبهذا يجتمع فيها الجهاد والجريمة، وربما كان فهمه المبكر للبندقية جعله يرفض طرح الكفاح المسلح ردا على حملات التقتيل الجماعي في طهران وغيرها، وخصوصا ما حدث في ميدان (جالة)، ولكنه لم يهمل الطرح هذا في (نوفل لوشاتو) بل حوره فأصدر بيانات يخاطب فيها الجنود والضباط بدعوة للتمرد على الأوامر تارة، وبرمي السلاح والخروج من الثكنات اخرى، وبالخروج مع سلاحهم ثالثة، وكان مظهر تنفيذ أوامر الإمام بهجر الثكنات مع بنادق تعلو فوهات الازهار.

وهكذا بدل ان يعبئ للكفاح المسلح لتقاتل الاخوة المسلمين، عبأ لتفكيك السلاح المجرم واستبداله بالسلاح الودود وعناق الاحبة.

مشاهدات الإمام الخميني في بلدته علمته كيف يثور، ومشاهداته في (قم) علمته كيف يدير.

جاء الى قم وكانت تدار حوزتها جماعيا برئاسة آية الله الشيخ عبد الكريم الحائري مجدد الحوزة، وعضوية آيات الله السيد صدر الدين الصدر والسيد عبد الحسين حجت والسيد محمد تقي الخونساري. وبوفاة الشيخ الحائري لم يعوض الثلاثة الآخرون غيابه، وربما لأن القيادة الجماعية من تكوينهم الثقافي، وما هي الا بضع سنوات حتى دعي آية الله السيد البروجردي ليدير حوزة قم، وكانت ادارته مركزية تجللها زعامة السيد البروجردي (قدس سره)، ومهابة زعامته كانت تفرض على الحكم عدم المس بالحوزة، الى جانب انه (قدس سره) كان يشتد فيما لو تصرف الحكم بما يسيء، ولكنه لم يقطع بعض الاتصالات التي لها الطابع البروتوكولي، مثل برقية تهنئة بمناسبة او ما شاكل.

الإمام الخميني كان من اوائل المتحمسين والداعين لمجيء السيد البروجردي الى قم، وهذا لم يفرض عليه قبول كل ما يمارسه السيد البروجردي، مع الاحتفاظ بعدم الرضا لنفسه، حتى لا يكون في الاعلان ما يشوش على الزعامة الحوزوية، وقد التزم المريدون الشبان بهذا النمط، ولاشك انه كان يرمي الى ايجاد ثقافة وحدوية المجتمع الحوزوي ان بزعامة فرد او جماعة.

قد يكون هذا الموقف من خلال ما مر من احداث كبيرة فشلت اثرت في نمط العمل الخميني، ولا بد انه تأمل في ما جرى لآية الله الشهيد السيد فضل الله النوري، قائد مسيرة (المشروطة)، وراقب اعتصام (قم) الذي استمر مائة وخمسة ايام وانحل الاعتصام واغراضه بوفاة قائد المسيرة آية الله السيد نور الله الاصفهاني.

وجاءت معايشته للتباينات التي كانت عند ثلاثي المعارضة للشاه؛ الدكتور محمد مصدق، وآية الله السيد الكاشاني، والعلامة السيد نواب صفوي (قائد فدائيان إسلام)، هذه التباينات التي اعادت الشاه الى الحكم بعد ان خرج من البلاد. ولا نهمل بهذا المجال الموقف الاستغلالي للحزب الشيوعي الذي كان يشجع على التصعيد ضد الشاه ويحافظ في الوقت نفسه على جسور معه.

من هنا نفهم الأسلوب الذي اتبعه الإمام الخميني في ايجاد لحمة بين القيادة وبين ائمة المساجد والخطباء وبالتالي بينهم وبين عامة الناس، وبالخط الموازي يحتضن مبادرات الجيل الشاب تأهيلا له للقيادة على ان يعملوا باستقلالية دون ارتباط حسب المألوف بمرجعية ليكون للعمل حريته واندفاعته، حتى اذا شغر موقع القيادة لا تتوقف المسيرة.

ولم يهمل الإمام الخميني اشراك القيادات القائمة، بل كانت القرارات تأتي جماعية، وهو ما ساعد على افشال مقترحات الشاه، وعلى افشال محاولات الشاه باستفراد من عنده استعدادا للاستفراد، او محاولاته في حلول جزئية كأن تتراجع الحكومة شفهيا عن مقرراتها، ولولا اصراره على ان يكون التراجع بنفس وسائل الاعلان، لقبل التراجع الشفوي.

وما افهمه من اصرار الإمام الخميني على التراجع بنفس الوسائل التي اعلن فيها القرار، ليس لارغام انف الحكومة، بقدر ما هو تربية للناس على انماط الجهاد، وانهم قادرون على صد الطاغوتية مهما بلغت.

هذه ملامح من مسيرة العشق للامام الخميني وان كنت قد لامست اطراف بعض منها، ولا استطيع ان ألامس الكثير، ولكن هذه الملامسة لا تزال ضعيفة لا تقدر الا على بعض الظواهر، وهذا جهد مقل يرجو غفران ربه في نسيان أو خطأ.



الرؤية الفكرية الإسلامية للإمام الخميني
نماذج من التجربة العملية

الأستاذ حسن حدرج

بداية لا بد من التأكيد على ان الحديث عن الإمام الخميني(قده) في شخصيته الفريدة في التاريخ المعاصر وفي رؤيته الفكرية النموذجية وفي تجربته العلمية الرائدة ينطلق من كونه القائد العالم المجاهد الذي استطاع بفضل الله وتوفيقه ان يقدم المشروع الإسلامي الحضاري كأرقى تجربة إسلامية في العصر الحديث.

ونحن من موقع انتمائنا لهذا الإسلام وانخراطنا في هذه التجربة والتزامنا بالقيم والمفاهيم الفكرية والسياسية والعملية التي أرسى أسسها وقواعدها قائد الأمة ومجدد الفكر الإسلامي الثوري التغييري بما ينسجم مع روح العصر ومتطلباته وبما يجعل الإسلام فكرا حضاريا يمتلك مقومات بناء الحياة الإنسانية المعاصرة وفق المبادئ والقيم التي أرادها الله سبحانه وتعالى. فمن هذه الزاوية ومن هذا الموقع نحاول ان نتوقف أمام بعض من النتائج والانجازات التي أسست لها الرؤية الفكرية والعملية للامام الخميني (رضوان الله عليه) في الدوائر الثلاث التالية:

١ - العلاقات بين التيارات الفكرية والسياسية وغير الإسلامية في المنطقة العربية والإسلامية.

٢ - الموقف الجذري من الكيان الصهيوني.

(*) عضو المجلس السياسي لحزب الله.

٣ - التجربة الجهادية للمقاومة الإسلامية في كل من لبنان وفلسطين.

اولا: العلاقات بين التيارات الفكرية والسياسية الإسلامية وغير الإسلامية في المنطقة

لقد سعى الإمام الخميني (رضوان الله عليه) لصياغة وتأسيس نمط جديد من العلاقات في المنطقة من خلال حركته وثورته انطلاقا من طرحه للمشروع الإسلامي بصيغته الحضارية المتميزة، وكان من المفترض لولا الحرب المفروضة ان تتفاعل فور انتصار الثورة طروحات الإمام(قده) في أبعادها الإسلامية - الإنسانية وفي رفضها للظلم والتسلط والهيمنة والإستكبار بما من شأنه ان يؤدي الى إعادة صياغة شبكة العلاقات بطريقة مغايرة لما كان سائدا قبل انتصار الثورة الإسلامية في إيران، بحيث ان المشروع الإسلامي بات يشكل عنصر تكامل وتفاعل القوى ذات الانتماءات الوطنية والقومية لا عنصر تصادم وعداء معها كما كان الحال قبل ذلك، على اعتبار ان الإسلام ببعده الشمولي هو الإطار والحاضنة الكبرى للامة بكل تنوعاتها القطرية والإقليمية والقومية.

فالعلاقات التي كانت سائدة في البلاد الإسلامية قبل انتصار الثورة الإسلامية في إيران بين الإسلاميين وغير الإسلاميين كانت علاقات متوترة وصدامية وعدائية ترتكز الى رفض كامل للآخر ولا يتعلق ذلك بالاتجاه الوطني او القومي فقط انما يتعلق بالاتجاهين معا.

فالإسلاميون ينظرون نظرة عداء الى من هم سواهم من اتجاهات فكرية وسياسية في المنطقة، والوطنيون والقوميون أيضاً كانوا ينظرون نظرة عداء الى الإسلاميين.

هذه النظرية كانت بتأثير عدم الثقة بين الطرفين وأسهم في تعزيزها مجموعة عوامل ذاتية خاصة مبنية على التجارب الفكرية التي حكمت العلاقات في فترة طغيان التيار القومي الذي ولد كنقيض للانتماء الديني في مطلع القرن العشرين كما اننا لا نُسقط هنا من الاعتبار الدور الذي قامت به قوى الهيمنة الإستعمارية الغربية في المنطقة التي كانت تعمل على تمزيقها وافتعال التناقضات الفكرية والسياسية والحزبية داخلها وتفتيت شعوبها وإيقاع الاقتتال والصراع بين تياراتها على تنوعها بغية إبقائها تحت هيمنة القوى الإستعمارية والأنظمة المرتبطة بها.

ان معظم كوادر العمل الإسلامي الذين عاشوا التجربة قبل انتصار الثورة الإسلامية وبعدها، وهم كثر اليوم وفي مواقع متقدمة في التجربة الإسلامية المعاصرة التي تستمد قيمها ومفاهيمها من التجربة الإسلامية في إيران، او التي تتأثر بهذه التجربة وتتفاعل معها. ان معظم هؤلاء كانوا على مستوى الوعي الفكري ينظرون نظرة عدم الرضى والقبول بالآخر من ذوي الاتجاهات التي بلورها الإمام الخميني (قده). تغيرت هذه النظرة السلبية

وأصبحنا نرى في التنوع السياسي والفكري حالة اقتضتها الظروف الموضوعية يمكن ان تتكامل وتتفاعل وتتحقق من خلال الصدق والاخلاص بين الجميع انماط من الحوار والتنسيق والتعاون، ما من شأنه ان يؤدي الى تجاوز الخلافات الفكرية والقفز فوق القضايا التفصيلية لمصلحة القضايا الكبرى ذات الاهتمام المشترك والمتعلقة بالمصير المشترك والدخول في أطر من التعاون المشترك لتحقيق الاهداف الكبرى لأمتنا ونحن نعيش حالة التنوع الفكري الذي يعطي هامشاً للحوار الإيجابي والبنّاء والموضوعي.

ان تصوير الحركات الإسلامية كحركات رجعية ومتخلفة نتج عن غير الإسلاميين، وعززته تجربة بعض الانظمة التي اتخذت من الإسلام إطاراً شكلياً لممارستها السياسية، وأعطت مسحة إسلامية مشوهة لبعض أنظمتها وقوانينها، واساءت للإسلام عبر تطبيقها الانتقائي لبعض الاحكام الإسلامية، ما أدى الى اعتبار الإسلام مسؤولا عن كل حالة التخلف والتبعية التي سيطرت على شعوب المنطقة طيلة العقود التي سبقت ثورة الإمام الخميني(قده)، ونتيجة ذلك صار الناس غير قادرين على التمييز بين ما تقوم به **الأنظمة التي تدّعي الاسلام وبين ما تقوم به الحركات الإسلامية ولا يرون فرقا بينهما كمصدر للتخلف والرجعية والتبعية.**

ان من انجازات الثورة الإسلامية التي فجّرها الإمام الخميني(قده) انها أعادت بشكل لا لبس فيه رسم صورة الإسلاميين كرواد للنهضة الشاملة وكدعاة حوار ورأي وحملة فكر ينطلقون من قوله تعالى ﴿**ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن**﴾ [النحل ١٢٥].

لقد أدرك أعداء الثورة الإسلامية - على المستوى الدولي - خطورتها على مصالحهم ونفوذهم في المنطقة من خلال الدور الذي ستقوم به في إعادة رسم وصياغة شبكة العلاقات على قاعدة الاخوة الإسلامية وإرساء مبدأ التعاون والتكامل بين الجميع لتحقيق المصالح المشتركة للعرب والمسلمين من موقع الانتماء الواحد والمصير الواحد فبادروا في وقت مبكر، وحتى لا يتيحوا للجمهورية الإسلامية الوقت الذي يمكنها من صياغة خطابها ووضع تصورها العملي في هذا المجال، الى محاصرتها بالحرب المفروضة ظنّا منهم ان هذه الحرب ستنسف منظومة القيم والمفاهيم التي جاء بها الإمام الخميني(قده سره) لتحل محلها الاحقاد والصراعات القطرية والمذهبية والقومية.

وها هي الجمهورية الإسلامية بعدما تعافت من آثار الحرب المفروضة تطل على العالم العربي والإسلامي بخطاب فكري مقرون بحركة سياسية مكثفة ترتكز الى ثوابت الرؤية

الإسلامية التي صاغها الإمام الخميني(قده) في وحدة الانتماء ووحدة الهدف ووحدة المصير.

تجربة حزب الله في لبنان

كنموذج على التأثير المباشر لهذه الرؤية التي أسس الإمام الخميني(قده) مدرستها الإسلامية الحديثة مع المحافظة على أصالة الانتماء في آن معا دون ان يحصل أي التباس بين الانفتاح والانتماء، كانت تجربة حزب الله في لبنان تجربة رائدة نالت اعجاب وتقدير واحترام كل الذين واكبوها واطلعوا على نتائجها الايجابية على المستوى الوطني بعيدا عن الحساسيات الطائفية وعلى المستوى القومي بعيدا عن التنوعات القطرية والقبلية وعلى المستوى الإسلامي بعيدا عن الانتماءات المذهبية.

ان تجربة حزب الله في لبنان في الانفتاح على مختلف التيارات والاحزاب والقوى الفكرية والسياسية والدينية، وفي الحوار الايجابي والبنّاء والموضوعي معها وفي الوصول الى صيغ متقدمة من التلاقي والتنسيق والتعاون، وفي صياغة خطاب فكري وسياسي حظي بإجماع قلّ نظيره على المستوى اللبناني والعربي والإسلامي، قدمت نموذجا مميزاً كانت له آثار إيجابية شجعت على سلوك هذا المنحى وتكرار هذه التجربة في أكثر من بلد عربي وإسلامي ولدى أكثر من تيار فكري وسياسي في المنطقة.

كما ان تجربة التلاقي والتعاون بين القوى والفصائل الفلسطينية الرافضة لاتفاق أوسلو وملحقاته من إسلاميين وقوميين ووطنيين شكلت نموذجاً عملياً آخر يضاف الى تجربة حزب الله.

ان هذه النماذج العملية من شأنها ان تسهم في إعادة رسم الأولويات لدى العديد من القوى والتيارات الفكرية في المنطقة لا سيما لدى بعض القوى الإسلامية والقومية التي لا تزال في منأى عن هذه التجارب.

وفي المحصلة فنحن أمام إنجاز بدأت تتبلور مفاعيله شيئا فشيئا تحقيقا للرؤية الفكرية للامام الخميني(قده) في بعدها النظري وفي تجربتها العملية في أكثر من ساحة من ساحاتنا العربية والإسلامية. ونحن نتلمس في ممارستنا السياسية اليوم بركاته ونقطف ثماره من خلال هذا المستوى الحاصل من التفاهم والتواصل والتعاون. هذا الانجاز يشكل تغييرا نوعيا ستكون له المزيد من الايجابيات في المستقبل، بحيث نستطيع ان نصنع عزّة ومجد أمتنا جميعا دون النظر الى التنوع الفكري والتعددية السياسية فيما بيننا كعامل فرقة واختلاف. ويبقى الإسلام الاطار الاشمل الذي يستوعب كل التنوعات ويصهرها في بوتقته عندما

يقدم كإطار جامع وكمشروع حضاري وكرسالة إلهية صالحة لكل زمان ومكان وهذا ما أراد الإمام الخميني(قده) الوصول اليه.

ثانيا: الموقف الجذري من الكيان الصهيوني

عندما أعطى الإمام الخميني(قده) القضية الفلسطينية البعد الإسلامي في خطابه الفكري والسياسي والتعبوي، فإنما اراد ان يعالج جانبين:

الجانب الاول: التأكيد على جذرية الصراع ضد الكيان الصهيوني مهما كانت الظروف والاوضاع السياسية، على قاعدة ان الرؤية الإسلامية تنظر الى هذا الكيان على انه كيان قائم على الغصب والاحتلال والإرهاب وعلى انه كيان استيطاني تهويدي توسعي، وبالتالي فهو كيان غير شرعي ويجب ان يزول من الوجود بصرف النظر عن مقبولية هذا الموقف وهذا الحكم الشرعي لدى البعض او عدم مقبوليته.

الجانب الثاني: ان تأكيد جذرية الصراع يقتضي من كل المخلصين من أبناء الأمة لاسيما الذين يرتبطون بالإمام الخميني(قده) ارتباط الولاء والطاعة بما يمثل من مرجعية دينية وسياسية بمقتضى التزامهم بولاية الفقيه والتي تتمثل اليوم بخليفته السيد القائد علي الخامنئي (حفظه الله) ان يدخلوا دائرة هذا الصراع بهذه الذهنية وبهذه الخلفية، وهذا ما أدى الى دخول العالم الإسلامي على خط الممارسة الجهادية ضد العدو الصهيوني.

ان اعتبار الإمام الخميني(قده) (اسرائيل) غدة سرطانية يجب ان تزول من الوجود هو هدف استراتيجي ثابت في عقيدة الأمة الإسلامية جمعاء مهما طال أمد بقاء هذا الكيان، وهذا الهدف يحتاج الى مجموعة مقدمات لا بد من توفرها حتى يصبح ممكن التحقق.

وبالنظر الى الأمر الواقع القائم في المنطقة العربية والاسلامية اليوم لا بد من تحقيق مجموعة أهداف مرحلية في سياق التحضير واستكمال كل المعطيات التي تضمن الوصول الى هذا الهدف.

وانطلاقا من التجربة الرائدة للمقاومة الاسلامية في لبنان عبر حزب الله، وفي فلسطين عبر حركتي حماس والجهاد الإسلامي لا بد من ان يعمل الجميع على استمرار وتفعيل العمل الجهادي والمقاوم ضد هذا العدو بما يمثل من احتلال غاشم لأرضنا في لبنان وفي فلسطين وذلك كحق مشروع لنا في مقاومة الاحتلال ولتأكيد مسألة استمرار الصراع ضد العدو الصهيوني نحتاج لاستنهاض الأمة كي تأخذ دورها في المعركة.

كما ان المطلوب ان تراجع الانظمة والشعوب والاحزاب والحركات الإسلامية

والقومية وقوى المعارضة في المنطقة حساباتها وتعيد رسم أولوياتها على قاعدة ان مواجهة الخطر الصهيوني هي أولوية الاولويات.

أما عملية التسوية المزعومة والتي تسعى الادارة الأميركية لفرضها عنوة في المنطقة وبالشروط الاسرائيلية، فانها لا يمكن ان توصل - اذا ما حققت تقدما - الى سلام حقيقي ودائم والى استقرار إقليمي ثابت في ظل وجود الكيان الصهيوني الغاصب على ارض فلسطين.

وهذا مايستلزم البحث في سبل تحصين الموقف العربي وتعزيز التضامن العربي - الإسلامي لمواجهة الضغوط التي تمارسها الادارة الأميركية.

كما ان المطلوب حشد طاقات وإمكانيات الأمة على امتداد العالم العربي والإسلامي لمواجهة مشروع الهيمنة الاميركية - الاسرائيلية المشتركة الذي يستهدف الجميع دون استثناء، والتحضير لإسقاطه، وعندما نصل الى مرحلة نستطيع فيها إسقاط هذا المشروع فسيكون زوال الكيان الصهيوني ملازما لهذا الأمر.

ان موضوع زوال الكيان الصهيوني بحسب الرؤية الإسلامية التي صاغها الإمام الخميني (قده) عبر خطابه السياسي المفصل في هذا الموضوع يشكل حقيقة ثابتة وستتحقق يوما من الايام، بَعُد هذا اليوم او قرب، بصرف النظر عن اختلال موازين القوى لصالح الكيان الصهيوني في هذه المرحلة، وهذا الكيان زائل لا محالة بإذن الله، وهذا وعد إلهي يدخل في صلب العقيدة الإسلامية.

ثالثا: التجربة الجهادية للمقاومة الإسلامية في كل من لبنان وفلسطين

لم تتح للإسلاميين قبل انتصار الثورة الاسلامية في إيران فرصة التعبير عن أنفسهم كتيار جهادي قائم بذاته يشارك في خوض الصراع والمقاومة ضد الكيان الصهيوني الغاصب، وان كانوا قد خاضوا تجربة لم تكتمل أثناء حرب اغتصاب فلسطين وقيام الكيان الصهيوني عام ١٩٤٨ م، كما انهم شاركوا كأفراد في كل مراحل المواجهة التي خاضتها أمتنا ضد هذا الكيان.

اما لماذا تأخر الإسلاميون عن هذه المشاركة طيلة عقود الخمسينات والستينات والسبعينات، فذلك لأنهم عندما انطلقوا في مجال العمل الفكري والسياسي كحركات تغييرية او اصلاحية تسعى لاخراج المنطقة من الواقع الفاسد ومن ربقة الهيمنة الإستعمارية، وكانوا يواجَهون بحالة قمع شاملة، وهذا القمع أدى الى نشوء مرحلة الصراع أبعدت الإسلاميين قسراً عن الاهتمام بالاولويات التي ينبغي إيلاؤها أهمية قصوى في مواجهة

المخاطر التي يحملها المشروع الصهيوني، وبالتالي ومن نتائج هذا الصراع لم ينخرط الإسلاميون او لم تتح لهم فرصة الانخراط في المشروع الجهادي وفي عملية الصراع ضد العدو الصهيوني في تلك الفترة، لأن مجموعة العوامل هذه حالت بينهم وبين الانخراط في المواجهة.

فقد أتاح انتصار الثورة الإسلامية في إيران للإسلاميين فرصة تاريخية للدخول الى ساحة الجهاد والمقاومة ضد الكيان الصهيوني من أوسع أبوابها واكتملت المقدمات والظروف الموضوعية عبر الاجتياح الاسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢ ودخول القوات الاسرائيلية الى بيروت وخروج الثورة الفلسطينية من لبنان بالطريقة المهينة التي خرجت بها، واصبح لبنان مكشوفا امام الاحتلال الاسرائيلي، وبات الناس يائسين محبطين مستسلمين للأمر الواقع في ظل عجز عربي فاضح.

في ظل هذه الظروف التي سقطت فيها كل المعنويات والتي وفّر فيها الاحتلال فرصة **ذهبية لمن يريد القتال والمقاومة، حيث بات الميدان مفتوحا أمامه غير محظور عليه وليس فيه الا العدو وعملاؤه، انطلق أبناء الإمام الخميني (قده) وتلامذته والسائرون على هدي نهجه وثورته ليفجّروا أجسامهم بالعدو، وليعلنوا بالدم والتضحية والشهادة ولادة المقاومة الإسلامية في لبنان مستجيبين لأمر قائدهم الإمام الخميني(قده): اذهبوا وقاتلوا اسرائيل.**

من هنا نستطيع ان نؤكد حقيقة ساطعة وهي ان انطلاقة المقاومة الإسلامية في لبنان كانت ثمرة من ثمار الرؤية الفكرية والعلمية للامام الخميني(قده) في مسألة الصراع مع العدو الصهيوني، وهي بهذا الاعتبار لا تقتصر على كونها مقاومة للعدو بما يمثل من حالة احتلال لجزء من الأرض اللبنانية بقدر ما هي تعبير عن إرادة الأمة في مواجهة الكيان الصهيوني الذي يشكل خطرا مصيريا على الأمة بأكملها.

كما ان حالة الانكفاء التي عاشتها الثورة الفلسطينية بعدما دخل عرفات دائرة الرهانات السياسية منذ خروجه من لبنان عام ١٩٨٢ حتى اعلان الجزائر عام ١٩٨٨ بإقامة الدولة الفلسطينية على الورق أدت الى قيام الانتفاضة الإسلامية في فلسطين بجهاد وجهود وتضحيات الإسلامين في حركتي حماس والجهاد الإسلامي.

وتطورت هذه الانتفاضة عبر السنين التالية الى مقاومة إسلامية رائدة كتعبير ميداني بالغ الدلالة على الدور المتميز لأبناء الإسلام في مواجهة المشروع الصهيوني ومخاطره.

وفي المحصلة وأمام الانجازات التي يحققها مجاهدو المقاومة الإسلامية في لبنان وفلسطين بما هم الطليعة الإسلامية الرائدة والتعبير الحقيقي عن إرادة الأمة الإسلامية بأسرها

يمكن القول ان القضية الفلسطينية عادت من جديد لتكون كما ارادها الإسلام وكما أرادها الإمام الخميني(قده) قضية الأمة الإسلامية جمعاء، بعدما جرت محاولات حثيثة عبر عقود من الزمن لجعلها قضية العرب فقط، وفي مرحلة أخرى لجعلها قضية الفلسطينيين دون سواهم.

وفي الختام فان انتصار الثورة الإسلامية الإيرانية في إيران الذي أعاد تصويب النظرة الى شبكة العلاقات، بدأ يرسي حالة من الثقة والحوار بين الإسلاميين والوطنيين والقوميين، وتعززت حالة الثقة والحوار هذه عندما انخرط الإسلاميون في المسألة الجهادية ضد العدو الصهيوني، فأصبحوا رواد العمل الجهادي جنبا الى جنب مع اخوانهم في التيارات الاخرى وبالتالي بدأت تتغير الصورة العامة لواقع ومستقبل المنطقة بأسرها.

ان الإمام الخميني(قده) استطاع ان يدخل الإسلام في هذا العصر الى صميم المعادلة الدولية إسلاماً سياسياً جهادياً فكرياً حضارياً مستنيراً يمكنه ان يدخل معترك الميدان الفكري والسياسي والجهادي والعلمي بكل أشكاله، ويوجد تأثيرا أساسيا في المعادلات وتكامل هذا الانجاز الذي تحقق بإقامة كيان سياسي إسلامي نموذجي متمثل بالجمهورية الإسلامية في إيران يشكل حالة استقطاب وتفاعل في المنطقة، اضافة الى ان إيران انتقلت بفعل الثورة من الموقع المعادي للعرب والمسلمين وقضاياهم الى موقع الداعم للقضايا العربية والإسلامية وأصبحت النصير المتفاعل والمتكامل مع المحيط العربي والإسلامي في خدمة قضايانا الكبرى المشتركة.

والحمد لله رب العالمين



سورية

- العلامة الدكتور الشيخ أحمد كفتارو
- الدكتور علي عقلة عرسان
- العلامة الشيخ نبيل حلباوي
- الأستاذ نصر شمالي
- الدكتور عبد الكريم اليافي
- الدكتور عبد الكريم الأشتر
- الدكتور الشيخ محمود عكّام
- العلامة السيد عبد الله نظام
- الدكتور مطانيوس حبيب
- الدكتور الشيخ وهبة الزحيلي
- الدكتور محمد جمال طحان
- الدكتور جورج جبور
- الدكتور الشيخ محمد عبد اللطيف صالح الفرفور
- الدكتور عزت السيد أحمد
- الدكتور الشيخ محمد حبش
- الشيخ راتب عبد الواحد
- الدكتور محمد أحمد خير الفوال
- العلامة الشيخ محمد حسن تقي
- السيدة زينب حكيم شحادة
- الأستاذ محمد فخة
- الدكتور كريم أبو حلاوة
- الأستاذ حسان بدر الدين الكاتب
- الأستاذ نبيل بن طالب



الخميني محاطاً بجمع من مراسلي وسائل الاعلام العالمية
في منفاه الاختياري بـ(نوفليه لوشاتيه)

الإمام الخميني.. رجل الإسلام

العلامة الدكتور الشيخ أحمد كفتارو

أود أن أشكر الاخوة المهتمين في صحيفة كيهان على دورهم في إحياء ذكرى الإمام الخميني، ذلك ان الإمام الخميني بعث في نفوس الناس الآمال بعودة الإسلام من جديد. ولقد كان لثورته المباركة في إيران دور عالمي في إحياء دور العالم الإسلامي كقوة فاعلة في الأرض، مستقلة عن الغرب والشرق، وفق الشعار الذي أعلنه الإمام الخميني: لا شرقية ولا غربية، بل أمة إسلامية مباركة.

وفي الواقع فإن نشاطي الذي بدأته منذ أكثر من نصف قرن في إطار التقريب، جعل اهتمامي بالنهضة في إيران كبيرا.

ولقد علقنا الآمال الكبار على الثورة الإسلامية، وجاءت الايام بحمد الله تصدق ذلك بالنداء الذي وجهه الإمام الخميني لإعلان اسبوع مولد الرسول(ص) موسماً إسلامياً مباركاً للوحدة والجماعة، تحت عنوان (اسبوع الوحدة الإسلامية).

وإنني سعيد بهذا الاهتمام الاعلامي بشخص الإمام الراحل الخميني (أنزله الله منازل رحمته)، ولقد وددت لو ساعدتني صحتي على كتابة ملف كامل عن الإمام الخميني، ودوره في إيقاظ هذا العالم الإسلامي، ودفعه لتحمل رسالته، ولكنني مريض والعذر عند كرام الناس مقبول.

(*) المفتي الاكبر في سورية.

بيد أن هذا لا يمنعني من القول بخلاصة: إن إيران، وبفضل الفقيد العزيز آية الله العظمى الخميني (طاب ثراه)، تمثل اليوم الترجمان الحقيقي للإسلام، وإنها هي الدولة المجاهدة الآن، ورأس الرمح للإسلام والمسلمين في وقتنا الحاضر.

إن الإمام الخميني هو رجل الإسلام لما قام به من خوارق الاعمال، فقد كان رجل العلم والأخلاق واستطاع أن ينجح وينتصر (عليه رحمة الله). ولكي نحقق الهدف، فاننا نحتاج إلى عقل وحكمة وإيمان عظيم وهي سجايا كانت متجسدة في الإمام الخميني(رض).



العلاقات الدولية وتطبيقاتها في المشروع النهضوي للإمام الخميني

الدكتور علي عقلة عرسان

«وصيتي لمسلمي العالم كافة، يجب أن لا تقعدوا بانتظار أن يهبكم الحرية والاستقلال حكام بلدانكم والمتصدون للأمور فيها، أو تهبكم ذلك القوى الأجنبية.. فانتفضوا يا مستضعفي العالم ويا أيتها البلدان الإسلامية ويا أيها المسلمون، وانتزعوا الحق بقوة، ولا ترهبوا ضجيج دعايات القوى الكبرى وعملائها، واطردوا من بلدانكم الحكام الجناة الذين يسلمّون حصاد كدحكم لأعدائكم وأعداء الاسلام العزيز. وأمسكوا - انتم والمؤمنون العاملون لخدمة الشعب - بزمام الأمور، والتفوا جميعا حول راية الاسلام المجيدة، وانتفضوا مدافعين في مواجهة أعداء الاسلام ومحرومي العالم، وتقدموا باتجاه تأسيس حكومة اسلامية في جمهوريات حرة مستقلة. وبذلك ستكبحون جماح مستكبري العالم كافة، وسيصل المستضعفون لإمامة الأرض ووراثتها.. على أمل ان يتحقق ذلك اليوم الذي وعد به الحق تبارك وتعالى».

الإمام الخميني(رض)

(*) امين عام اتحاد الادباء والكتاب العرب، مفكر سياسي وصاحب العشرات من المؤلفات الأدبية والاستراتيجية والثقافية.

مقدمة

يوم بدأ الإمام الخميني (قدس سره) مسيرة تحرير الشعب الإيراني من سيطرة الشاه: رمز الظلم والاستعمار والاستعباد، لم يكن يملك سلاحا سوى الإيمان والكلمة الصادقة وطاقة الروح الفياضة؛ وكانت أمامه قدوة حسنة ترفع منارات في الطريق وتشده الى مواصلة النضال كلما خبا الضوء واشتدت وطأة الظلم والقهر والنفي. كان الرسول (عليه الصلاة والسلام) سيد من يُقتدى به في الثبات على المبدأ والصبر على المكروه والبعد عن إغراء الدنيا: «والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الامر ...» الحديث.. وكانت وصيته الخامسة للإمام علي من بين ما يتجلى أمام الإمام في ظروف صعبة يمر بها الإسلام في عهد الظلمة من الحكام: «..بَذلُك مالك ودمك دون دينك..» وكان له شيء من فضل الإمام علي في العلم والفقه والحكمة، وما حوته الذاكرة الممتدة من تضحية سيد الشهداء الحسين بن علي **ومن شجاعته وشخيب دمه يوم الوقعة** الكبرى من دون كف عن القتال.

وكان يحمّل نفسه ويحمّل أمثاله مسؤولية حيال ما يجري في ايران وفي ديار الاسلام، وما ينبغي ان يكون عليه أمر المسلمين، لأنه يرى أن: «الفقهاء حصون الإسلام عندما يقومون بدور في تبيين عقائد الاسلام ونظمه للناس، ويكونون مدافعين عنه، ويرسخون ذلك من خلال المواقف الصلبة الواعية، ومن خلال قيادة الناس. فعندها سيشعر الناس ولو بعد مرور العقود الطويلة على فقدهم بأن ذلك الخسران كان مصيبة على الاسلام، وأنه قد خلف فراغا»[(١)]، وقد عمل الامام من دون كلل او ملل لكي: «تتسع النهضة العقائدية والسياسية للإسلام وتزداد اتقادا»[(٢)].

ويوم عاد من باريس الى طهران فاتحا مكبّرا سارت ملايين الإيرانيين خلفه تأتمر بأمره وتعيد إيران دارا للإسلام، وتقيم سفارة لفلسطين في مكان سفارة الكيان الصهيوني، وتعلن ولادة صحوة إسلامية جديدة بدأت منذ ذلك التاريخ تتفتح وتتسع، ليس في إيران وحدها وإنما في كل أنحاء العالم الإسلامي.

ومنذ ذلك الوقت بدأ تاريخ جديد يكتب، وفجر جديد ينتظر ومخاطر جديدة تولّدها مؤامرات استعمارية وصهيونية جديدة لم تنقطع على ديار طهران وكل من يقول بتحرير الانسان من أشكال الاستعباد والاستلاب وتحرير روحه من ربقة المادة، وصون قيمه من

---

(١) الامام الخميني – الحكومة الاسلامية ص ١٦٧– الناشر : مركز بقية الله الاعظم بيروت – الطبعة الاولى ١٤١٨هـ ١٩٩٨ م.
(٢) المصدر السابق ص١٦٦.

التخريب، وإطلاقه في فضاء الإيمان والحرية حيث يكون «لله عبداً ولمن دونه نداً».

وطرح الامام بذلك مشروعاً نهضوياً عاماً، أثبت من خلاله أنه رجل دين ودولة، وقاد جمهورية إيران الاسلامية الى طريق النهضة والتفرد.

ولكل اختيار تكاليف، ولكن مشروع الامام الخميني، بعد عشرين سنة من عمر الثورة ما زال صامداً ورائداً ومبشراً بنصر من الله قريب ﴿**وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون**﴾.

أولا: تأثير مشروع الامام الخميني في علاقات إيران مع دول الجوار

المشروع الحضاري، الذي دعا إليه الامام الخميني وتعمل الجمهورية الاسلامية في إيران على ترسيخه منذ أكثر من عشرين سنة انقضت على انتصار الثورة، هو مشروع يقوم على قيم الاسلام وتعاليمه وشريعته، ويرمي الى تطبيق ذلك والعمل انطلاقا منه، والى انقاذ المسلمين بفضله مما هم فيه من تخلف وتبعية وقهر. وهو يتوجه الى البشر كافة، لأن الاسلام دين جاء للناس كافة، وهو مشروع مضاد لكل أشكال الاستغلال والاستعمار والتبعية والانحلال والفساد.

إنه مشروع منقذ من حيث الهدف والتوجه نحو الانسان بوصفه فردا فريدا، ونحو المجتمع بوصفه مؤسسة متكاملة، ونحو سكان الكرة الأرضية بشكل عام لأن الاسلام يتوجه اليهم. وهو مشروع يؤسس بنيته الحديثة معتمدا على المسلمين ويبدأ حركته ونموه منطلقا منهم ليكونوا في خدمة الحق الذي تقوم عليه عقيدتهم، تلك التي تحمل الحق وتحث على اتباعه والعمل به والتضحية من أجل نصرته. انه مشروع يريد الامام له أن يشرق نوره على المستضعفين وأن يصل اليهم خيره أينما كانوا، ويراه أمانة في أعناق القادرين من المسلمين، وفي هذا يقول: «يتعين على شعب ايران خصوصا، والمسلمين عموما، بذل كامل وسعهم لحفظ هذه الأمانة الالهية التي أعلنت رسميا حكمها في ايران، وحققت في فترة وجيزة ثماراً عظيمة، وعليهم جميعا السعي لتثبيت دعائم ديمومتها، وإزالة العقبات عن طريقها. وآمل ان ينتشر نورها، منيراً في كافة البلدان الاسلامية، وأن تتفق كلمة جميع الحكومات والشعوب على ضرورة هذا الأمر فيقطعوا دابر القوى الكبرى ناهبة العالم والمجرمين التاريخيين الى الأبد، ويرفعوا أياديهم عن رؤوس مظلومي العالم ومضطهديه»(٣).

---

(٣) الامام الخميني - (صحيفة النور).

فهل هذا المشروع الذي انطلقت الدعوة اليه من ايران، وهل إيران التي تحمله بالدرجة الأولى وتعمل من أجله بعزم وإيمان، وتعزز قدراتها به ومن أجله؛ هل هذا المشروع يقلق أمنيا أم أنه يريح أمنيا؟ وهل هو في تقدم وأمان؟ وهل إيران على طريقه أفضل لنفسها ولجوارها ومحيطها السياسي القريب والبعيد مما لو كانت بعيدا عنه متنصلة من مسؤولياته وتبعاته؟! وهل يمكن ان تكون مخلصة لعقيدتها الاسلامية ولنهجها ورسالة قائدها الذي اختار هذا النهج من الجهاد والتبليغ، إذا هي تهاونت في خدمته او تراجعت عنه جزئيا او كليا؟ والى أين يقودها المشروع وكيف هي على طريقه؟ وهل هو لها وحدها أم رسالة تحملها الى المسلمين خاصة والناس كافة باسم الاسلام وانطلاقا من تعاليمه كما أوصى الامام؟

هذه اسئلة تلقيها المعطيات السياسية والاجتماعية والاقتصادية على من يهتم بالثورة والبلد الذي نذر نفسه لها والمستقبل الذي ينتظرها. وسؤال الاسئلة الأمنية الجامعة هنا لا يوجه فقط الى المسلمين وإنما يوجه ايضا الى من يملك أمر معظم المسلمين من غير المسلمين، اي انه يوجه الى من يستغل البلدان الاسلامية والقوى الاسلامية كما يستغل قدرات أخرى في هذا العالم، لتبين موقفه من ايران ونظرته اليها وخططه المستقبلية نحوها؟!

قبل الامام الخميني وقبل الثورة الاسلامية في ايران، كانت ايران الشاه أداة طيعة بيد الاستعمار، وكانت الحارس الاول في الخليج بالنسبة للنفط والمصالح الغربية في المنطقة، وصديقا لـ(اسرائيل) وسيفا مصلطاً على عنق كل من يرفع رأسه بوجه المصالح الاميركية ويقف ضد النفوذ الاميركي - الصهيوني في الداخل والخارج، وكانت الاوضاع في داخل إيران غاية في السوء وقد وصفها الامام الخميني بقوله: «ان ألطاف الامداد الغيبي الالهي هي التي أوصلت هذه الثورة الكبرى الى النصر، فقطعت أيدي ناهبي العالم والظالمين عن ايران العظيمة، ولولا يد القدرة الالهية لما كان ممكنا ان ينجز شيئا شعب الست والثلاثين مليونا في ظل كل تلك الدعاية المعادية للاسلام وعلمائه، خاصة في القرن الأخير، وفي ظل كل جهود التفرقة التي كان يمارسها الكتاب والخطباء عبر الصحافة ومجالس الخطابة والمحافل اللاإسلامية واللاوطنية، ومع كل اولئك الشعراء والهجائين، وكل مراكز الفساد تلك ومراكز القمار والفحشاء والمسكرات والمخدرات..»(٤).

بعد ذلك الاختيار والتوجه، ومنذ الثورة الاسلامية التي قادها الامام الخميني انقلبت

٤) صحيفة النور.

ايران الى (هولة) بنظر الغرب ينبغي القضاء عليها، لا سيما عندما بدأت الثورة تنفذ تعلميات الامام، وهل يمكن ان تكون مخلصة لعقيدتها الاسلامية ولنهجها ورسالة قائدها الذي اختار هذا النهج من الجهاد والتبليغ، إذا هي تهاونت في خدمته او تراجعت عنه جزئيا او كليا؟! والى أين يقودها المشروع وكيف هي على طريقه؟ وهل هو لها وحدها أم انه رسالة تحملها الى المسلمين خاصة والناس كافة باسم الاسلام وانطلاقا من تعاليمه كما أوصى الامام؟!

تغير هدف جوهري وأساسي تجلى في ان إيران تريد أن تشق طريقا مغايرة لكل توجه ينطوي على تقوقع قطري يريد لها ان تحصر دورها داخل نطاق حدودها ويجعلها تتقوقع على ذاتها، وترتد عن رسالة حملتها. انها رؤية لا تجعل قوى إيران الجديدة تنحصر في ايران بل تتعداها الى الجوار ومن ثم الى العالم كله، أي أنها لا تعنى فقط باستقلال ايران وبإخراجها من التبعية والتخلف والجوع والفقر والجهل وتسعى الى القيام بحركة اصلاح وإحياء وبناء داخلي تعمل على رعاية مصالح ايران الخاصة، وإنما تريد ان تعمل على خدمة مصالح الآخرين المادية والمعنوية ايضا.. تريد إعادة الصحوة الى تيار إسلامي ينقذ ايران كما ينقذ سواها، ويشكل كتلة مغايرة للسائد: فكريا وسياسيا واجتماعيا في المنطقة والعالم والعالم الاسلامي ويدفع قدما تيار تحرير كتلة مغايرة ومنفعة يعتق الروح من سجونها ويشمل العالم؟![٥].

وكان على الجمهورية الاسلامية في ايران ان تدفع ثمن هذا الاختيار وكان على آخرين ايضا ان يحملوا عبء جعل ايران تدفع ثمن اختيارها فالغرب يحارب بالوكالة مادام غير مضطر لخوض حروبه مباشرة!! وهكذا شهدنا حرب الخليج الاولى التي استنزفت طاقة ايران كما استنزفت طاقة العراق ودول الخليج وعندما خرج العراق من تلك الحرب فيه رمق، كان لا بد من ان يقضي على ما تبقى من ذلك الرمق وان تبقى المنطقة قيد الاستنزاف وتحت السيطرة ويعني هذا احتواء مزدوجا او احتواء كاملا لكل القوى التي

(٥) قال الامام الخميني في وصف الوضع وفي رسم التوجه للخروج منه: «ان نزع البلدان المستعمرة عن هويتها، وتغريبها وتشريقها هو من المخططات التي كان لها – مع الاسف – تأثير بالغ على البلدان وعلى بلدنا العزيز ولاتزال نسبة كبيرة من آثارها باقية حتى عادت هذه البلدان لا تثق بنفسها وثقافتها وقوتها وترى في القطبين القويين الغرب والشرق العنصر الافضل وان ثقافتهما هي الاسمى وانهما قبلتا العالم». ودعا الى الاعتماد على الذات والثقة بالنفس وتحقيق الاكتفاء الذاتي: «رجحوا الحياة الانسانية الكريمة ولو مع المشاكل على ذل حياة العبودية للاجانب ولو اقترنت بالمتعة الحيوانية. واعلموا ان قوة الابداع والتطور في الاكتشافات لن تتفتح فيكم ما دمتم تمدون أيديكم الى الآخرين، لتلبية احتياجات الصناعات المتطورة وما دمتم تقضون العمر بالاستجداء .... الامل الآن هو ان يتحقق الاكتفاء الذاتي للبلد وينقذ من الاستجداء من الاعداء اذا ما بادرت الحكومة والجيش بأنفسهم الى مقاطعة بضائع ناهبي العالم والى تكثيف الجهود والسعي على طريق الابداع» (صحيفة النور).

يمكن ان تفكر بالخروج على إرادة الارهابي الاول في العالم: الولايات المتحدة الاميركية[٦] وبحماية مصالحها الخاصة من سطوة المستعمر.

فايران اذا تمسكت بالمشروع النهضوي على أساس إسلامي لن تقبل أبدا باستقرار الاوضاع الحالية على ما هي عليه لأنها أوضاع غير عادلة تخلقها الشراكة بين الاستعمار والمستغلين والمستكبرين، او انها أوضاع يسببها الظلم والجور وقهر المستضعفين ومن ثم فهي أوضاع لا تقرها الشريعة الاسلامية وتؤاخذ من يسكت عليها وهي ناتجة عن سياسات وتوجهات لا تعمل حسب تلك الشريعة ولا تحقق عدلا من أي نوع عملا بشريعة او قانون ما، وهذه أوضاع قد تعاديها الثورة الاسلامية في إيران وتسعى الى تدميرها في بعض الساحات والمواقع.

ولأن ايران الخميني اختارت حكم الشريعة الاسلامية والاحتكام اليها، ولأنها اختارت ما ترى ان فيه مصلحة المسلمين والناس كافة: أي الاسلام بصفاء تعاليمه ونقاء شريعته، فهي إذا مشروع ثورة او ثورة مشروع الى ان تحقق هدفها النهائي[٧]، وهدف الثورة ليس هدفا لمواطنين او لانقلابيين او لعسكريين يريدون الوصول الى غايات دنيوية منها: الحكم والسلطة والشهرة والمال... الخ[٨] وانما هو هدف رفع الظلم وانصاف البشر وإحقاق الحق، وإعلاء كلمة الله والعمل بشرعه وأمره. فعلى إيران الثورة إذن ان تبقى مشروعا ثوريا مستمرا الى ان يتحقق تغيير جذري في العالم يسود على أساسه نظام عادل يحكم الناس والقضايا الكبيرة، فهل يعني هذا ضرورة العمل بما يسمى: تصدير الثورة الذي يخشى منه

(٦) لقد رأى الامام الخميني في الولايات المتحدة الاميركية قوة تمارس الارهاب وترعاه فقد قال: «وعلى رأس هذه الوحوش تقف اميركا بنزعتها الارهابية التي اوقدت نار الفتنة في ارجاء العالم. وكذلك حليفتها الصهيونية العالمية التي ترتكب - تحقيقا لاطماعها - جرائم يخجل القلم عن وصفها واللسان عن ذكرها، مدفوعة بأوهامها الحمقى في انشاء دولة اسرائيل الكبرى» (صحيفة النور).

(٧) لقد كانت رؤية الامام الخميني واضحة بشأن التغيير الذي يحتاج الى وقت وجهد ومثابرة على الاداء الملتزم بنقاء الايمان، فقد قال بوضوح: «واذا كنتم تتوقعون ان تتغير الامور جميعا بين عشية وضحاها الى ما يطابق الاسلام وأحكام الله تعالى فهذا خطأ ولم تقع معجزة كهذه على مدى التاريخ الانساني ولن تقع»(صحيفة النور).

(٨) لقد اوصى الامام الخميني القوة العسكرية المسلحة بالآتي: «وصيتي المؤكدة للقوات المسلحة هي التزام عدم دخول العسكريين في الاحزاب والحركات والتحالفات كما تنص على ذلك مقررات النظام وان يبقى افراد القوات المسلحة النظامية والامن الداخلي وحرس الثورة والتعبئة وغيرها بعيدين عن اللعب السياسية وان لا يدخلوا أي حزب او حركة فبذلك يمكنهم حفظ قوتهم العسكرية ويكونون في أمن من الاختلافات الداخلية للحركات ويلزم القادة ان يمنعوا من تحت إمرتهم من الانتماء الى الاحزاب ولكون الثورة ثورة الجميع وان واجب حفظها يقع على الجميع، واذا ما ارادت القوات المسلحة سواء القادة او من دونهم درجة، القيام بعمل يتعارض ومصالح الاسلام والدولة والانتماء للاحزاب وهو بلا شك يجرهم الى الدمار، او ارادوا الدخول في اللُعب السياسية فإن الواجب الشرعي والوطني للحكومة والشعب ومجلس الدفاع ومجلس الشورى الاسلامي هو التصدي والمواجهة منذ الخطوة الاولى، وان على القائد او مجلس القيادة ان يمنعوا ذلك بحزم ليكون البلد في أمان من أخطاره. وأوصي جميع أفراد القوات المسلحة وانا في نهاية حياتي الدنيوية أوصيهم وصية المشفق ان استقيموا واثبتوا على وفائكم الحالي للاسلام وهو الوحيد دين الاستقلال والتحرر والحق فالله تعالى يدعو الجميع للوصول الى مقام السمو الانساني بنور هداه استقيموا على هذا الوفاء فهو منقذكم وبلدكم وشعبكم من ذل التبعيات والارتباط بالقوى التي لا تريدكم الا عبيدا لها ولا تريد الا ابقاء البلد والشعب متخلفين وسوقا استهلاكية وفي ذل الخضوع للظلم» (الوصية الالهية السياسية للامام الخميني).

الكثيرون ومنهم بعض جوار ايران!؟

لقد قال الامام الخميني (رحمه الله) بصريح العبارة: «يتعين على شعب ايران خصوصاوالمسلمين عموما، بذل كامل وسعهم لحفظ هذه الامانة الالهية التي أعلنت رسميا حكمها في ايران وحققت في فترة وجيزة ثمارا عظيمة وعليهم جميعا السعي لتثبيت دعائم ديمومتها وإزالة العقبات عن طريقها وآمل ان ينتشر نورها منيرا في كافة البلدان الاسلامية وان تتفق كلمة جميع الحكومات والشعوب على ضرورة هذا الامر فيقطعوا دابر القوى الكبرى ناهبة العالم والمجرمين التاريخيين الى الابد ويرفعوا أياديهم عن رؤوس مظلومي العالم ومضطهديه»(٩). والطريق الى ذلك هو العمل بكل الوسائل الممكنة ومنها (تصدير الثورة)، ولكن كيف ومتى وفي أية ظروف وبأية وسائل وما هي الاساليب التي تتبع مع مسلمين وغير مسلمين في هذا المجال؟!

ذلك موضوع شائك ليس هو مجال بحثي الآن وأكتفي بمجرد الاشارة اليه لأنه من صلب المشروع من جهة ومما يحكم العلاقة بين الثورة الايرانية ومحيطها السياسي من جهة اخرى ومما يسبب لها معاداة دول غربية واخرى كانت (شرقية) بالمعنى السياسي للكلمة.

هذا المنطلق يجعل من ايران بنظر الذين استقرت اوضاعهم على حال من الظلم والفساد او على حال مغايرة لما يعتقد الناس انه العدل والصواب مصدر أمل وأنموذج يحتذى به، بينما يجعل ذلك منها - بنظر من لا ترضيهم سياسة ايران وثورتها ودعوتها - بؤرة توتر وقوة تهدد الامن والاستقرار السائدين (وراعية للارهاب) يتوجب حصارها!؟!(١٠).

وعندما دعا الامام الخميني الى اعادة نظر- في ضوء المشروع الاسلامي ذي الرؤية الثورية - تشمل التربية والتعليم والثقافة للعودة الى الاصالة والاصول، ودعا الى إحياء

(٩) الامام الخميني (صحيفة النور).

(١٠) عملت الولايات المتحدة وما زالت تعمل على عزل ايران وحصارها وتضع ايران مع الدول التي ترعى الارهاب حسب قائمة وزارة الخارجية الاميركية والدول الاخرى هي سورية والجماهيرية الليبية والسودان والعراق وكوريا الشمالية، وقد قال روبرت غي مساعد وزير الطاقة في الادارة الاميركية في مجال عزل ايران وحصارها ولا سيما فيما يتعلق ببحر قزوين ومستقبل الثروة النفطية والغاز فيه، قال: «سياستنا بالنسبة لايران لم تتغير، اننا نعارض الجهود الهادفة الى قيام تعامل كالعادة مع دولة ترعى وتدرب او تمول الارهاب وتسعى الى امتلاك اسلحة الدمار الشامل. ان أي تحسن في علاقتنا مع ايران ان لا يعتمد على الاقوال بل على الافعال وهذا لن يحدث بين عشية وضحاها. ومن الناحية السياسية تعارض حكومة الولايات المتحدة مد خط للانابيب عبر ايران، فتطوير الصناعة ايران من النفط والغاز وخطوط الانابيب الممتدة من حوض بحر قزوين جنوبا عبر ايران سيضر ضررا كبيرا بتنمية البنية التحتية من الشرق الى الغرب ويعطي ايران وسيلة ضغط كبيرة على اقتصاديات دول القوقاز وأواسط آسيا اضافة الى ذلك من وجهة نظر أمن الطاقة ليس هنالك من منطق في نقل المزيد من موارد الطاقة عبر الخليج الفارسي- وهو نقطة ساخنة محتملة او نقطة اختناق ممكنة» (مجلة الفكر السياسي - العدد الثاني ص ١٢٠ - اتحاد الكتاب العرب. عن النشرة الاخبارية للسفارة الاميركية بدمشق - العدد ٥٥٨٣).

الدين على أسس علمية سليمة يقوم عليها فهم الدين وليس اعتمادا على شكليات تكون عند العامة فهما للدين او تكون فهما سطحيا وعاميا للدين والى تحصين الاجيال حيال موجات الغزو الثقافي وتخريب القيم، قال في هذا المجال: «اطلب من الشبان فتية وفتيات ان لا يبيعوا الاستقلال والحرية والقيم الانسانية بما يعرضه عليهم الغرب وعملاؤه الخونة من زخرف الدنيا وتحلل انغماس في مراكز الفحشاء والبغاء، ولو كلفكم ذلك تحمل الأذى والألم فالغرب وعملاؤه -كما اثبتت التجارب - لا يريدون لكم سوى الضياع والغفلة عن مصير بلدكم لينهبوا ثرواتكم ويجروكم الى ذل التبعية والأسر الاستعماري وتحويل شعبكم وبلدكم الى سوق استهلاكية وهم بما يفرضونه عليكم إنما يريدون الابقاء عليكم متخلفين وانصاف وحوش - كما يصطلحون»(١١).

وعندما دعا الى امتلاك القوة العسكرية، ليس بالمستورد من أدواتها وتجهيزاتها واسلحتها فقط وانما بالتصنيع وامتلاك التقنية وتحويل العلم الى تقانة والتقانة الى وسيلة لانجاز منتجات عسكرية ومدنية تعزز القوة(١٢) فانما أذّن عاليا منذرا بخطر كبير لأن هذا الرجل - كما رآه الناظرون الى الثورة الايرانية ومشروعها - يريد ان يحرر الناس تحريرا كاملا، وتحرير الناس تحريرا كاملا لا يعني إلغاء تجارة السلاح، وربما مصانع السلاح التي تتاجر بالدم والموت وإلغاء سطوة القوى المهيمنة على البشر وحرياتهم وأرزاقهم ومستقبلهم والدعوة لإيجاد كتلة أخرى على أرضية القوة والايمان لها مشروع ورؤية ينبعان من منظومة قيم عقيدة لها اختيارات مغايرة للسائد وهي تستند الى تاريخ وتشريع وشريعة وعدل إلهي يستمد من القرآن أي قيام دعوة الى استعادة العلم على أرضية الايمان والعمل بشريعة تؤدي الى العدل والحرية والتحرير وتشمل الناس كافة، دعوة لا تجعل القوة خادما للمصلحة وانما تجعلها خادما للحق، وعندما يتحقق ذلك فان السياسة ترتبط بالاخلاق ولا ترتبط بالمنفعة؟!

وربط السياسة بالاخلاق يعني انصافا وعدلا وسعيا مستمرا للانصاف والعدل وهذا يخيف من يقوم وجودهم على الاستغلال والظلم والنهب ويستمر وجودهم وينمو في ظل الظلم والاستعمار والاستكبار والتجهيل والجهل.

(١١) الامام الخميني - الوصية الالهية السياسية.

(١٢) قال الامام الخميني: «ان احتياجنا - بعد كل هذا التخلف المفروض علينا - للصناعات الثقيلة في البلدان الاجنبية هو واقع لا يمكن انكاره ولكن هذا لا يعني ان نرتبط بأحد القطبين في علوم التقنية المتطورة بل على الحكومة والجيش ان يعمدوا الى إرسال الجامعيين المؤمنين الى البلدان التي تمتلك تقنية صناعية متطورة دون ان تكون استعمارية او مستغلة ولتجنب الحكومة والجيش ارسال البعثات الى اميركا وروسيا والدول السائرة في فلك هذين القطبين اللهم الا ان يأتي - ان شاء الله - يوم تتنبه فيه هاتان القوتان الى خطئهما تثوبان الى مسير الانسانية وحب الانسان واحترام حقوق الآخرين او ان يكبح جماحها - ان شاء الله - مستضعفو العالم والشعوب الواعية والمسلمون المؤمنون على امل يوم كهذا». (صحيفة النور).

ومعنى هذا من جهة اخرى خاصة بإيران وبالمشروع الذي طرحه عليها الامام الخميني ووضعها على طريقه في السنوات التي قاد فيها الثورة والدولة والمجتمع وحمّلها مسؤوليته وأوصى باتباعه، معناه ان عليها ان تختار بين أحد أمرين:

- اما ان تكتفي بدارها وذاتها وتنكفئ على تينك الدار والذات فلا تصدّر وعيا ومشروعا وصحوة اسلامية وثورة ولا تدعم أي تيار اسلامي، ولا تناهض من يعتدي على المستضعفين ولا تفكر بفلسطين ولا بسواها، ولاتقاوم الاحتلال والاستكبار الا اذا مسها مباشرة وتتعامل كوكيل للنفط وكحارس من حراس مصالحها ومنافعها الذاتية.

- واما ان تكون ملتزمة بما جاءت به شريعة الاسلام وما اختارته في مشروعها الاسلامي الثوري وبما قال به الامام الخميني من دعوة الى إحقاق الحق وازهاق الباطل ومقاومة الاستعمار وعدم مهادنة الظلم واعطاء الثورة بعدا عمليا: إسلاميا وعالميا، بالدعوة والجهاد.

ثانيا: ايران ومحيطها السياسي

بعد انتصار الثورة الاسلامية في ايران بقيادة الاب الروحي لها الامام روح الله الموسوي الخميني بأقل من ثلاث سنوات، وفي بداية الثمانينات (١٩٨٢) اشتعلت حرب بين: (عرب ومسلمين) بتحريض واستدراج اميركي - صهيوني، وفتك كل من البلدين الجارين، العراق وايران بالآخر فتكا ذريعا، وكادت الحرب تتحول الى حرب العرب والفرس لولا بعض المواقف المعتدلة والبعيدة النظر.. وغطى الغرب عجز ميزانياته وشغل مصانع الاسلحة بأموال العرب والايرانيين معا وتحكم بقرار المنطقة وبرقاب الناس فيها واضعفت الولايات المتحدة الاميركية ومعها الغرب والكيان الصهيوني: ايران والعراق والعرب، ولكنها لم تقض نهائيا على أحد الاطراف، وحققت انتقاما بشعا من الايرانيين بسبب احتجاز الرهائن الاميركيين وتحول ايران الى الاستقلال ومساندة الصف العربي - الاسلامي المستقل واسقاط نظام الشاه.

في طهران الشاه كانت اجهزة السافاك والموساد وال CIA تعمل معا في خدمة المصالح الاميركية وضد المصالح الحيوية للشعب الايراني المسلم، وضد البعد الفلسطيني والعربي والاسلامي للصراع العربي الصهيوني، وتقف مع الصهيونية لتكريس اغتصاب فلسطين واستكمال مراحل المشروع الامريكي الصهيوني في المنطقة وكانت الكتلة العسكرية الموجودة في الخليج تضع امن المنطقة كلها في القبضة الصهيونية - الاميركية وكانت السفارة الاسرائيلية في طهران وكان التعاون على أشده بين الكيان الصهيوني

والعرش البهلوي، وقد دعا هذا الوضع الامام الخميني الى الاعلان بملء الصوت: «.. كل المسلمين في جانب ودولة ايران في جانب آخر وهذا سيسيء الى سمعة الشعب الايراني وسيظن إخواننا أهل السنة ان الشيعة هم عبدة يهود. يا شعوب العالم: اعلموا ان شعبنا يعارض التحالف مع اسرائيل وان حلفاء اسرائيل ليسوا منّا، ليسوا من شعبنا وليسوا علمائنا. ان ديننا يلزمنا بمعارضة أعداء الاسلام ومخالفتهم، وقرآننا يقضي بأن لا نركن الى الكفر في مقابل صفوف المسلمين.. هذا هو منطقنا، هل هذه رجعية!؟»(١٣) وعندما قامت الثورة الاسلامية في ايران انقلب الامر رأسا على عقب فاصبحت قوة جمهورية ايران الاسلامية مناهضة للصهيونية وللوجود الاميركي في الخليج ومساندة بلا حدود للنضال الفلسطيني من أجل التحرير، ومع أقطار الوطن العربي في موضوع الصراع الدامي ضد المشروع الصهيوني الذي يهدد المنطقة كلها.

وبعد انتصار الثورة مباشرة (حلت سفارة فلسطين) محل سفارة (اسرائيل) ووضع حد نهائي لممارسات الموساد والسافاك وال CIA ضد الشعب الفلسطيني وعروبة فلسطين وبدأ الجهاد ضد الامبريالية الاميركية وهيمنتها وضد الشيوعية وتخريبها الدائم للقيم والعقائد والولاء السليم للوطن فما كان ذلك الانقلاب عليها من محيطها السياسي!؟ أهو خوف من تصدير الثورة وهي ثورة اسلامية تحتاج اليها بلدان الاسلام!؟ أم هو خوف ناتج عن صراع المذاهب الذي اكتوت به ديار الاسلام في فترات من التاريخ !؟ أم هو مخطط اميركي صهيوني للقضاء على الثورة في مهدها وتكليف وكلاء للقيام بذلك ومدهم بما يلزم لقاء ثمن فادح جدا لم يكن المال اكثره فداحة!؟! كل تلك تساؤلات مشروعة ولها ظلال فيما حدث ولكنها ظلال شجرة التكليف الشيطاني الاميركي الذي أراد ضرب عرب بمسلمين ومسلمين بمسلمين ليقضي على العروبة والاسلام معا او ليضعفهما بأيدي أهلهما وقد تحقق له بعض ما أراد.

وعلى الرغم من الانتقام الامريكي - الصهيوني الكريه من ايران الثورة، الذي فرض سنوات ثمان مؤلمات من الحرب والتدمير بين العراق والجمهورية الاسلامية في ايران وكاد ينفذ فيه الاميركي - الصهيوني مخططه الذي يرمي الى وضع العرب بمواجهة الفرس وحشد كل العرب في جبهة لمواجهة المسلمين والصحوة الاسلامية فيما يمكن ان يصبح جبهة ساخنة يقضي الصراع فيها على العروبة والاسلام معا، ويحقق للصهيونية والولايات

(١٣) الامام الخميني - كتاب : الامام في مواجهة الصهيونية ص ٢٠ - ترجمة: خضر نور الدين - مطبوعات : مركز اعلام الذكرى الخامسة لانتصار الثورة الاسلامية في ايران - ط١ عام ١٤٠٣هـ .

المتحدة والغرب الاستعماري أحلاما قديمة وأهدافا بعيدة قريبة في آن معا وهو المخطط الذي أحبطه بالدرجة الاولى وعي سورية لأبعاده ومخاطره. وعلى الرغم من ذلك فقد استمر وجه إيران الفلسطيني او وجه فلسطين في ايران نقيا سليما واضحا مشرقا ومؤيدا لكل أشكال التعاطف والدعم والتأييد: ففلسطين عربية، والقدس عاصمة لها، ومقدساتها تهم الفلسطينيين والعرب والايرانيين كما تهم المسلمين والمسيحيين المشرقيين بكل تأكيد وفي كل آن.

ولم يتأثر موقف ايران من فلسطين والقضية الفلسطينية بما اتخذه عرفات من مواقف قبل ان تبدأ مسيرة مدريد وازداد موقفها تأكيدا على ضرورة تحرير فلسطين ومقاومة المشروع العنصري - الاستيطاني الصهيوني بعد مدريد ولم تر الجمهورية الاسلامية في ايران اي مجال للصلح واقامة (كانتون) لهم ملحق بقوة الاحتلال يشكل بديلا عن حقهم الشرعي والتاريخي في وطنهم من قبل من يصوغون اتفاقيات الاذعان ويتابعون مسيرة بائسة تسمى مسيرة (السلام) مع الصهيونية والادارة الامريكية المتصهينة، تلك الادارة التي هي المناصر الاول للمشروع الصهيوني وللارهاب الدولي الذي أسس له الصهاينة واستمر مشروعهم به ومعه وما زال يمارسه من أجل تعزيز حضوره وانتشاره.

ثالثا: تصادم مشروع الامام الخميني المحرر والمشروع الامبركي الصهيوني الاستعماري المستبد

• قوتا الروح والمادة

لقد كان تدمير كل من العراق وإيران في حرب استمرت ثماني سنوات عملاً (خلقياً) من وجهة نظر المصالح الغربية والمصلحة الاسرائيلية، فكان ان لعبت اميركا وحليفاتها وحتى الاتحاد السوفيتي المنهار لعبة (توازن القوى) بشرط استمرار الحرب لاستنزاف الطاقات والموارد حيث فتحت الاسواق على مصاريعها لتجارة الدم والموت والبؤس وركبت أحصنة عنيدة من أجل تحقيق ذلك وكانت الادارة الاميركية تتغاضى عن موضوع الاخلاق في ممارسات من تدعمهم. وكان ذلك مسوّغا بنظرها لأنه يستنزف القوى الموجودة في الخليج كلها ويقدم المال والنفط والثقة بالنفس للغرب وكان حلفاء اميركا من أطراف فوق الشبهات الخلقية.

ومن الطبيعي والبدهي والخلقي - حسب مفهوم الغرب للاخلاق في إطار السياسة والتعامل مع الشرق والعرب على الخصوص - من الطبيعي ان يغير الغربي موقفه من أية قضية لا تخدم مصالحه المباشرة واحقاده التاريخية، ولا تنعكس ايجابيا، ماديا ومعنويا، عليه بشكل مباشر، ولا يهمه على الاطلاق أن ينقض أقواله، ويلحس توقيعه على

الاتفاقيات ويفتعل مواقف وتفسيرات ومسوغات لافعاله المنافية للاخلاق.

فالثوابت الخلقية لا تحرك سياسة الغرب مهما ادعى وتبجج وكذب، ان ما يحرك تلك السياسة مصالح سوداء تلون الاخلاق باللون الذي تريد وتصنع المسوغات وتصدرها حسب الهوى والمنفعة والحاجة وتدخل الاخلاق وحقوق الانسان والحريات العامة والديمقراطية سلعا سياسية تخدم المصالح الاميركية الصهيونية وتمهد للعدوان والحصار!؟

ولكن تغيرت المصلحة اليوم لأن العراق وايران قرآ الدرس، ولو بعد فوات الأوان بكثير فقررت إدارة كلينتون – في اطار استراتيجيتها – ان تعلن عداءها للبلدين كما قررت رفض سياسة (توازن القوى) فتلك سياسة قديمة على حد تعبير (مارتن إندك) مساعد الرئيس لشؤون الأمن القومي هناك الآن سياسة جديدة قوامها (الخلقي) حسب تعبير إندك – وهو صهيوني كان يدير مؤسسة واشنطن للشرق الاوسط وهي مؤسسة في خدمة (اسرائيل) – قوامها: (ان ايران والعراق بلدان معاديان للمصالح الاميركية. ولهذا فانها – اي اميركا – ستعمل على احتوائهما ضمن سياسة عزل وعقوبات دولية وستمنعهما من امتلاك أي سلاح يمكنهما من تهديد مصالحها)[١٤]. وقد قررت لجنة التنسيق للقيود على الصادرات (كوكوم) المؤلفة من ثلاث وعشرين دولة: «ان ايران ينبغي ألا تكون قادرة على ابتياع اسلحة او تكنولوجيا حساسة مزدوجة الاستخدام»[١٥] وواضح أن حماية اي بلد لمصالحه التي تطمع بها الولايات المتحدة الاميركية هو تهديد لمصالحها ويحق لها ان تدمره قبل ان يتمكن من حماية نفسه. فالحرب (الوقائية) او الضربات الاستباقية على الطريقة الاسرائيلية هي اختيار اميركي الآن، فالعقل الصهيوني العنصري يقود سياسة الطرفين الاسرائيلي والاميركي المعادين لحقوق الشعوب وحرياتها ومصالحها. ولا يهتم إندك بالاطفال الذين يموتون ولا بمستقبل اجيال وشعوب ولا يعنيه في شيء ان يخالف شرعة حقوق الانسان والشرعية الدولية، فكل ذلك وُجد أصلا ليخدم مصالح الغرب والصهيونية وليشكل ذرائع (خلقية) للتدخل في شؤون الغير وهو يتحول أحيانا الى أدوات تجميل ومساحيق توضع على وجه (الهولة) عندما تخرج من مذبحة بشعة.

وها هو جاد يعقوبي ممثل (اسرائيل) السابق في الامم المتحدة يرمي الى استمارات

(١٤) يقول كريستوفر لين في مقاله المعنون: (اعادة صياغة الاستراتجيجية الاميركية الكبرى): «واليوم، كما كان الحال في اعقاب الحرب العالمية الثانية، تعتمد الاستراتيجية على منطق مؤلف من ثلاث خطوات: الاعتماد المتبادل هو المصلحة العليا التي تشجعها الاستراتيجية؛ وبعد عدم الاستقرار تهديدا للاعتماد المتبادل - الاعتماد الاقتصادي المتبادل» يعني انه، بفضل التجارة الحرة والاستثمار، يتوقف الازدهار الاقتصادي في كل دولة على روابطها التجارية والمالية مع الدول الاخرى التي تكوّن الاقتصاد الدولي. م.س ص ٣٦ - والردع الموسع هو الوسيلة التي تلجأ اليها الاستراتيجية لمواجهة هذا التهديد. ترجمة أديب يوسف شيش - مجلة: الفكر السياسي - العدد ٤ و٥ ص ٢٩ - منشورات اتحاد الكتاب العرب - دمشق.

(١٥) نشرة السفارة الاميركية بدمشق - رقم ٥٢١٩ تاريخ ١٩٩٥/٤/٤ ص ١٠ .

اخرى في اطار إثارات بشعة فقد ربط بين عملية (شيحين) التي قامت بها المقاومة الاسلامية في فلسطين المحتلة ومحاولة اغتيال وزير الداخلية المصري اللواء حسن الالفي معا وقال انهما تشكلان «محاولات جديدة للأصوليين تهدف الى اقامة نظام ترهيب واغتيالات» واضاف «ان كل شيء يهدف الى قتل عملية السلام وإقامة إمبراطورية أصولية مسلمة تقودها إيران وتمتد من المحيط الهندي الى المحيط الهادي» ودعا (العالم الحر) والانظمة العربية المعتدلة الى «العمل معا وتنسيق الجهود لإحباط هذه الاعمال».

ان كلام يعقوبي لقي صدى مستحبا عند من سمعه في الغرب لأن هناك استعدادا لقبول صورة من هذا النوع عن الاسلام وعن إيران وربما استطاب كلامه بعض العرب الذين دخلوا دوامة الدم والفتنة ولعبة المعارضة المسلحة ضد السلطة المسلحة، ومن ثم أصبح الكيان الصهيوني مصدر تسميم اعلامي وأمني لهم؟! ولكن التدقيق في أبعاد ما ترمي السياسة الصهيونية الى زرعه في النفوس وما يرمي تركيز جهاز الاعلام الغربي الضخم عليه، خطير جدا لأنه يريد ان يسبغ صورة الارهاب على المقاومة ضد المحتل من أجل التحرير وعلى كل من يناصرها، وان يربط ذلك بالاسلام وأينما كان العربي او المسلم فهو إرهابي بحكم الانتماء وعليه ان يثبت براءته. أما الأصولية - العنصرية اليهودية القائمة على التلمود وبرنامج المسيحية - اليهودية في الولايات المتحدة الاميركية، الذي يقف وراءه خمسون مليونا من القائلين بعودة (المسيا - المسيح)، وهو يدعم ويبارك كل ما تقول به الصهيونية وكل ما تقوم به (اسرائيل).. فهو ليس ارهابا، كما يزعمون بل (دفاع عن النفس بوجه الارهاب) الذي تحذر الولايات المتحدة الاميركية الزعماء العرب المعتدلين منه لانه سيأخذ مقاعدهم!؟..

اما الايحاء بإقامة إمبراطورية إسلامية بين المحيطين تسيطر عليها ايران، فتلك لعبة الصهيونية القذرة والغرب المتواطئ معها وهم يلعبونها منذ عقود من الزمن.

في ١٩٩٥/٣/٣١ قال تشارلز دان من جامعة جورج تاون: «لقد جلبت الثورة الايرانية عامة ١٩٧٩ الى السلطة نظام حكم بدّل تبديلاً أساسياً الحسابات الاستراتيجية الاميركية في الخليج وشكل أعظم تحد للنظام القائم في المنطقة منذ فترة ما بعد الحرب العالمية.

ان سياق سياسة ايران الخارجية كما حدده الخميني استبدل هيمنة فارسية تقليدية على الخليج، فقد تم تحويله بسبب عنصر هام هو هدف جعل ايران الثورة زعيمة للعالم الاسلامي من خلال تصدير ثورتها الى الخارج وبرز الارهاب كنهج قليل الكلفة نسبيا

لنشر النفوذ الايراني خارج حدود ايران كأحد اكثر الاسلحة التي استخدمتها ايران في هذا الكفاح»، وأضاف: «ان إيران تواصل اليوم استخدام الإرهاب بنفس البطش الذي كانت تستخدمه في ظل حكم الخميني... وتقدم ايران مساعدات بدرجات متفاوتة لتشكيلة من الجماعات الاسلامية الراديكالية والعلمانية بدءا بشمال افريقية وانتهاء بآسيا الوسطى»[١٦] وفي هذا الذي ذكره تشارلز دان متابعة لزرع الخلافات بين ايران وبعض الدول العربية والاسلامية لا سيما الجزائر ومصر، واستمرار في تفعيل تهمة الارهاب لتؤتي أكلها. فقد قال الرئيس بل كلينتون امام مؤتمر ايباك الصهيوني في السابع من ايار- مايو ١٩٩٥: «ان شبح ايران مجهزة بأسلحة الدمار الشامل والصواريخ التي تطلقها لا يثير انزعاج اسرائيل وحسب، بل ايضا الشرق الاوسط بأسره وكل الباقين... ان ايران اليوم هي الراعي الرئيسي للارهاب العالمي كما قال رئيس الوزراء رابين فهي ترمي الى تقويض الغرب وقيمه بدعم الهجمات القاتلة التي يشنها الجهاد الإسلامي وحزب الله وغيرهما من الجماعات الارهابية وهي ترمي الى تدمير عملية السلام في الشرق الاوسط.... لقد عملنا على التصدي لرعاية ايران للارهاب وجهودها الرامية لاقتناء اسلحة نووية»[١٧] وقد اصبح التركيز قويا على ذلك لكي تسير عجلة العنف الدموي بين عرب ومسلمين - وبين مسلمين ومسلمين على أساس طائفي - بعد ان دارت عجلة العنف الدموي بين عرب وعرب داخل أقطار عربية، وبين أقطار عربية واخرى، ليثمر ذلك كله ثمرا مرّاً بالنسبة للعرب والمسلمين على السواء فينهار كيانهم بالتدريج ويقوم كيان (اسرائيل الكبرى) ومملكة الشر الاميركية او الغربية بوجه عام.

رابعا: انعكاسات التصادم في مجالي الامن والتسلح وفي المجال الثقافي والسياسي

من هنا بدأ السؤال يطرح اولا على محيط ايران السياسي والاجتماعي والاقتصادي، لا سيما من قبل الغرب والصهيونية حينما قدما ايران: خطرا على دول الخليج، وخطرا على آسيا الوسطى التي انتهت من الشيوعية والاتحاد السوفيتي وبدأت تفكر، او بدأت بعض الفئات فيها تفكر تفكيرا استقلاليا او دينيا وخطرا ايضا على تركيا العلمانية، او بالأحرى تركيا جنرالات الدونما، الذين يحكمون ويقررون وينسقون خططهم مع (اسرائيل) بعد ان فرضوا التحالف معها ضد محيطها الاسلامي والحضاري تلبية لرغبة كل

(١٦) السابق ص ٩ .

(١٧) نشرة السفارة الاميركية بدمشق - العدد ٥٢٤٤ تاريخ ١٠/٥/١٩٩٥ ص ٣ وقد قال كلنتون في خطاب لاحق بتاريخ ١٣/٥/١٩٩٥ : «وافق الرئيس يلتسين على الغاء صفقة بيع تكنولوجيا تخصيب نووي من الواضح انها يمكن ان تستخدم لصنع اسلحة نووية».. نشرة السفارة الاميركية بدمشق رقم ٥٢٤٩ تاريخ ١٧/٥/١٩٩٥ .

من الولايات المتحدة الاميركية والصهيونية العالمية . واصبحت ايران ايضا - كما صور اولئك في الاعلام والسياسة والثقافة.. الخ - خطرا لا ينحصر مداه في محيطها على هذه الارضية وانما يتعداه الى آفاق اخرى، لأنها اخذت تفكر بإسلوب مغاير لما هو مستقر وسائد في عالم قائم على أحادية قطب سياسي وعلى ازدواجية مكاييل وعلى قرارات مجلس امن - وهو مجلس أعمى أعرج - محكوم عمليا بسياسات الدول المنتصرة في الحرب العالمية الثانية ومصالحها، أي انه محكوم بقوة متغطرسة لا تزال تحكم العالم منذ ذلك التاريخ وقد اصبحت أكثر غطرسة بعد ان قادتها الولايات المتحدة الاميركية المنتصرة في الحرب الباردة وفي حربي الخليج.

والسؤال إذن هو سؤال الامن الذي يتصل بدوره بسؤال الاسلام وبسؤال الحرية وبسؤال العدل وبسؤال التغيير ومن ثم بسؤال القيم الخلقية والدينية، كما انه يتصل بأمن ذي شعب منها: الامن العسكري، والامن الاقتصادي والامن الغذائي بالنسبة للعالم الاسلامي، والامن الثقافي على الخصوص الذي تترسخ فيه قيم العقيدة الدينية بالدرجة الاولى ويتم الانطلاق منها للدفاع عن الشخصية والمجتمع والأمة وحمايتها من أشكال التخريب حيث تخرب اجيالنا وقيمنا وحيث نريد ان ندافع عن اجيالنا وقيمنا حيث تخرب عقيدتنا او فهمنا لها، ونريد ان ندافع عن عقيدتنا وعن فهم سليم لها، وتخرب شخصيتنا ونريد ان ندافع عن شخصيتنا وعن مقوماتها. ونحن لا نرى الى التجرؤ الوقح الذي بلغته الصهيونية والولايات المتحدة الاميركية والغرب الاستعماري ذو الدوافع الصليبية المريضة على شخصيات ورموز إسلامية وحتى على الاسلام ورسوله فيما كتبه العملاء والمرتزقة الذين توظفهم أجهزة الامن البريطانية مثل سلمان رشدي الذي استباح لنفسه ان يجرح شعور المسلمين في كل انحاء العالم ويؤسس لفتنة في صفوفهم ويحظى مع ذلك او بسبب ذلك بحماية ودعاية غربيتين لا تستحقها اعماله الهابطة فنيا وخلقيا بكل المقاييس. وعندما يجرح رجل الفكر والادب والفن مشاعر الناس الذين يتوجه اليهم فإن عمله لا يستحق من الناس تمجيدا وهو عمليا شخصية محتقرة تماما من أوساط المبدعين والكتاب والمثقفين الرفيعة في بريطانيا ولكن هذا لا يمنع تلك الاوساط من مناصرة ومباركة توظيفه مخلبا ضد الإسلام والمسلمين، فرسيس المرض الصليبي يفعل فعله حتى في اوساط رفيعة المستوى في الغرب كما نرى ذلك التجرؤ على الاسلام في احتضان الغرب والصهيونية لكل شخص مسلم يهيأ على ايدي اجهزتهما ليسيء للاسلام او لقضايا العرب والمسلمين المصيرية، وأمثلة دعم الداعين الى تطبيع العلاقات مع الكيان الصهيوني في الوطن العربي واضحة ومعروفة والامثلة على ذلك وسواه كثيرة، ونجد التجرؤ الوقح

ايضا في منشورات وسخة منها ما وُزّع في الخليل من قبل اليهود مسيئا للقرآن والرسول الاعظم (عليه الصلاة والسلام)، وما قُصد منه الاساءة لمقدسات اسلامية ومشاعر المسلمين مثل وضع ملصق ترويج يصور قبة الصخرة المشرفة على زجاجات الخمر التي ينتجها معمل يهودي داخل فلسطين المحتلة؟! ونرى التجرؤ الوقح على الاسلام والتاريخ والحق من خلال منظمة سرية في الكيان الصهيوني تسمي نفسها (منظمة الخلاص من الدنس) والدنس عندهم - وحسب اهداف تلك المنظمة الصهيونية السرية - هو المسجد الاقصى وقبة الصخرة في القدس الشريف لأنهم أي اليهود يريدون القدس من دون هذا الذي يسمونه الدنس، ويعملون على تهويد القدس بالكامل وتدمير المسجد الاقصى فلنتخيل مدى الحقد والعنصرية والتطاول على الاسلام والمسلمين والتطاول على الله وشرعه العادل في الارض وما هو موقف الثورة الاسلامية في إيران من ذلك وقد اعلنت منذ انطلاقها موقفا من القدس والصهيونية ورأس العدوان الولايات المتحدة الاميركية؟!!

ان ايران عندما تتمسك بمشروع يملك رؤية ويستند الى عقيدة الاسلام ويحمل روحه وعندما ترفض سلام الاستسلام وعندما تعارض اتفاقيات الاذعان وتدعم المقاومة الوطنية والاسلامية ضد الاحتلال وتقول بتحرير القدس وتعلن يوما عالميا لنصرتها(١٨) وترفض ان يكون لمواطنيها من اليهود الايرانيين حق التجسس لمصلحة الكيان الصهيوني من دون ان يوجّه اليهم سؤال، تغدو بنظر الاستعمار والصهيونية وراعي الارهاب الاول في العالم الولايات المتحدة الاميركية تغدو دولة (ارهابية) خطرة، دولة ينبغي حصارها وتهديدها، دولة ضد الامن والاستقرار، دولة خارجة على القانون، ودولة ينبغي ان تعاقب وان تضرب وان تضعف وان تحطم ان أمكن او ان يتغير نظامها الاسلامي وبرنامجها الثوري ومشروعها الخمينوي حتى تعود الى بيت الطاعة الصهيو - الاميركي بتوجه آخر وشخصية أخرى!؟! نحن نقول بالحرف الواحد ان أي تعايش مع الكيان الصهيوني أمر غير ممكن فنحن في إطار الثقافة العربية - الاسلامية ننظر الى الصراع العربي الصهيوني على انه صراع وجود وليس نزاعا على حدود وبالتالي فلن نعترف بإسرائيل ولا بأي شكل من أشكال تطبيع العلاقات معها حتى لو اعترفت بها الدول العربية جميعا وقامت بتطبيع علاقات معها(١٩).

---

(١٨) قال الامام الخميني: «ان يوم القدس (الجمعة الاخيرة من رمضان) مثل ليلة القدر.. ومن اللازم على المسلمين العمل على إحيائه واعتباره منطلقا لوعيهم ويقظتهم» كتاب: الامام في مواجهة الصهيونية ص ١٥ .

(١٩) قال الامام الخميني في ١٩٨٢/٦/٥: «انني اعتبر استقلال اسرائيل والاعتراف بها، فاجعة للمسلمين وانتحارا للدول الاسلامية، واعتقد ان مخالفة ذلك فريضة اسلامية كبرى، واني أبرأ الى الله تبارك وتعالى من هذه المشاريع التي يخطط لها أدعياء الاسلام ضد الاسلام». من كتاب: في مواجهة الصهيونية ص ١٧٠ .

ونتطلع الى المستقبل بأمل وتفاؤل كبيرين وسوف نعمل مبتدئين من المدرسة لاعادة بناء الاجيال والاطفال وتربيتهم على قيم عربية - اسلامية اساسية سليمة وأمامنا مئة سنة او اكثر ولكن ستطول هذه المئة السنة التي نفترضها اذا لم يكن هناك برنامج عمل وتطبيق لبرنامج العمل على اساس خطة في مشروع.

لقد وضع رجل الثورة الذي نحتفي بذكرى مرور مئة سنة على ميلاده - بعد ان احتفينا بمرور عشرين سنة على انتصارها - منهجا ونادى بمشروع وقال أقوالا صحيحة مناسبة وسار الناس في ايران على هديه النابع من هدي الاسلام ورسوله الكريم ورأى في الاسلام دين المستقبل والمنقذ للبشرية كافة مما هي فيه.

والاسلام دين المستقبل فعلا وعلينا ان ننظر له ولأنفسنا، نحن اتباعه، هذه النظرة ونعد انفسنا لحمل رسالته ونحصنها بالقوة لنحميه ونحمي انفسنا والحقيقة التي يمثلها فالحقيقة من دون قوة جعجعة بلا طحن وأجنحة بلا طائر.

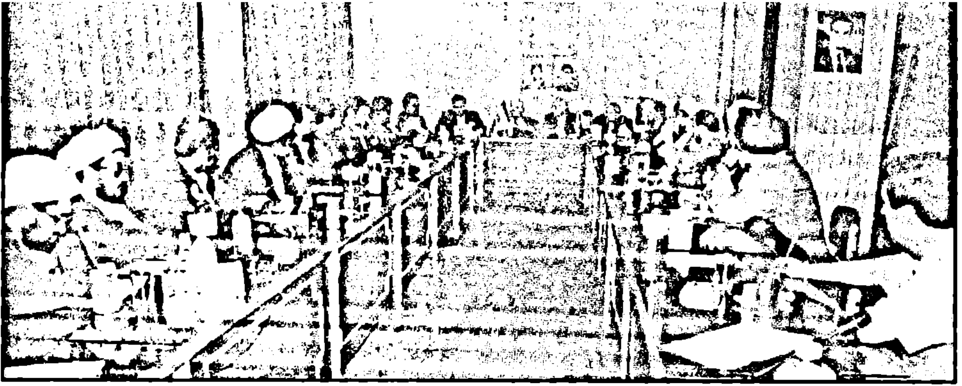
- وانا من جهتي أومن وأرى - ان الاسلام هو دين المستقبل ودين البشرية كافة وليس دين مرحلة معينة كان في القرن الاول الهجري وانتهى كما أومن بأن الحياة حركة والحركة تحمل التغيير، وان الغطرسة الاميركية الى زوال بل والقوة الاميركية ذاتها الى تغير فزوال لا سيما مع امكانيات نهوض قوى اخرى، وهذا هو منطق التاريخ.

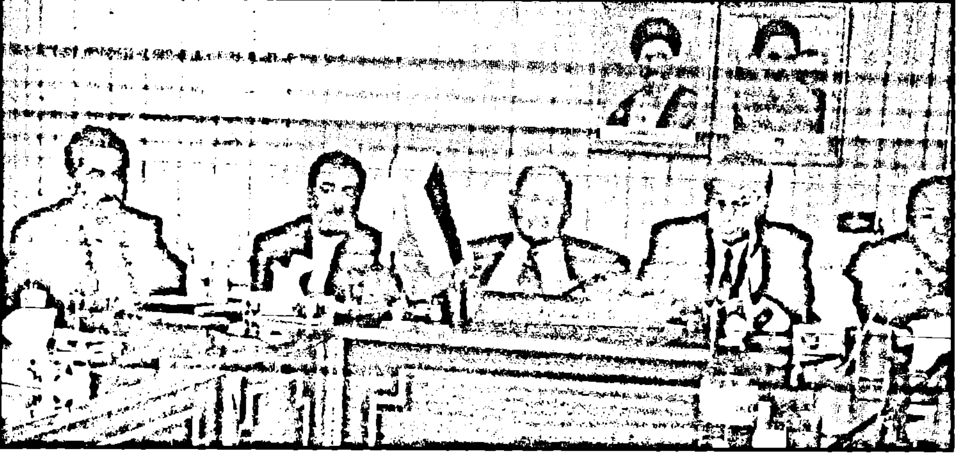
فالادارة الاميركية وقوة حلفائها ليست قدرا ولن تدوم الى الابد[٢٠].

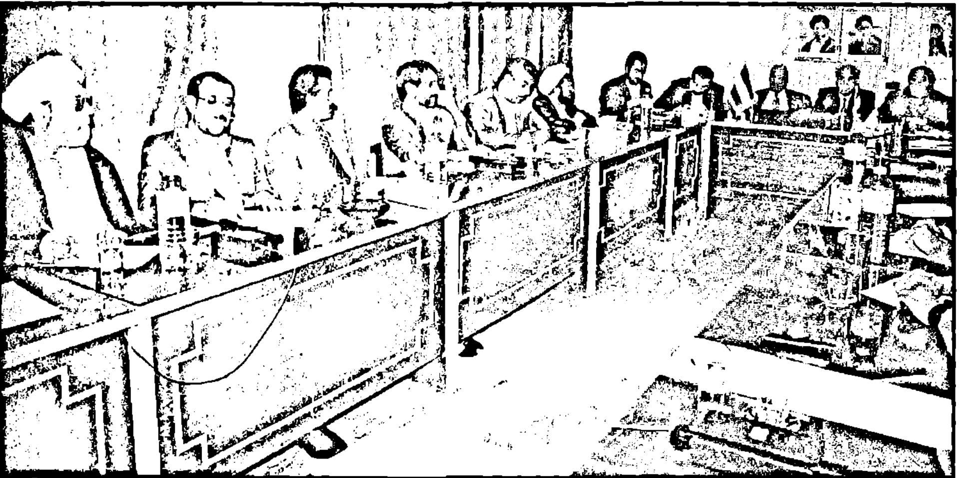
---

(٢٠) يقول كريستوفر لين في بحثه الذي اشرت اليه سابقا : «الدول التي تراهن على الزعامة تسقط كلها من دون استثناء. والسؤال المهم الذي يطرح نفسه هو طبعا: لماذا تسقط؟ والجواب ليس سرا عند الذين يدرسون السياسة الدولية: حين تصبح دولة ما قوية أكثر مما ينبغي تهدد أمن الدول الاخرى. تظل الدول يقظة، كما ذكرت، حين يتعلق الامر بالحفاظ على أمنها لأنها تريد المحافظة على بقائها دولاً تؤدي أدوارها بصورة مستقلة. فاذا واجهت زعيما متحديا أقامت (توازنا) ضده. اي انها تبني قوتها العسكرية الخاصة وتقيم، اذا لزم الامر، تحالفات لخلق تصدٍّ جيو - سياسي مقابل الدولة الطامحة الى الزعامة.. من المفيد، الى حد ما، ان تكون الدولة قوية، لكن ليس من صالح الدولة ان تصبح قوية اكثر مما ينبغي، لأنها عندئذ ترعب الآخرين.

ان سقوط الزعماء بلا استثناء يبرهن على حقيقة متناقضة من حقائق السياسة الدولية: اذا ربحت دولة ما اكثر مما ينبغي فانها تخسر» المصدر السابق ص ٣٤ . ويسوق رأيا لبول كينيدي الذي يقول: «لم يهيأ لأي مجتمع ان يبقى وحده الى الأبد في مقدمة كل المجتمعات الاخرى..» ويضيف كريستوفر لين: «والظروف التي جعلت الهيمنة الامريكية ممكنة آخذة في التغير بسرعة. لا ترتكبوا اي خطأ: ففي وقت ما في العقود الاولى من القرن الحادي والعشرين لن تبقى استراتيجية امريكا الكبرى هي المهيمنة. ولأن الولايات المتحدة لم تختر الآن الشروع بالاستعداد للتحول الى استراتيجية كبرى جديدة اكثر ملاءمة لحقائق القرن الجديد الدولية الآخذة بالظهور، فإن الاحداث سوف تجبرها على هذا. المصدر السابق ص ٥٣ .







لقطات من ندوة مئوية ميلاد الامام الخميني في قاعة اجتماعات اتحاد الكتاب العرب في دمشق- خريف عام ١٩٩٩ ميلادي

الخطاب الخميني ودور الشعب في التغيير

العلامة الشيخ نبيل حلباوي

تمهيد

قلة أولئك الذين يمتلكون مؤهلات قيادية إستثنائية ويخرجون مع ذلك من دائرة الأنا لينفتحوا على مَن حولهم وينظروا باهتمام الى دورهم في صناعة الأحداث وتحمل مسؤوليات التغيير.

وعلى الرغم من أن الإمام الخميني(قدس) كان في الطليعة من هؤلاء (اذا استثنينا الأنبياء والأئمة القادة بالطبع)، وانه حقق أعظم النجاحات: فقاد ثورة إسلامية مظفرة قلبت المعادلات وغيّرت خارطة العالم، وأقام دولة إسلامية لا نظير لها بين الدول تتخذ من الإسلام محتواها وخطّها وشعارها، واجتاز بهذه الدولة أصعب المآزق والمشكلات، كمشكلة حصار الغرب لها والحرب التي أثارها الغرب في وجهها بقناع صدامي. وبالإضافة الى إشعاع حركة الإمام الذي فجر مقاومة إسلامية في لبنان وفلسطين أربكت العدو الصهيوني ومرغت كبرياءه في وحل الهزائم المرة، وانطلق هذا الشعاع المحيي ليبعث الأمل في حركات التحرر الإسلامية والوطنية في العالم ويدغدغ أحلام المستضعفين في أنحاء العالم، وصار اسم الخميني يتردد على ألسنة الناس في قلب إفريقية وعمق صحارى آسية.

على الرغم من ذلك كله، فإن الإمام الخميني (قدس) لم ينس لحظة واحدة التأكيد على دور الشعب ولا الجماهير المليونية منه، في صنع الثورة ودعم الدولة، وانها العدد

(*) من كبار علماء الدين في سورية، إمام مقام السيدة رقية (ع) في دمشق.

الأساس في معادلة التغيير.

ونستقرئ ذلك من كلامه في مناسبات عدة وضمن فقرات ممنهجة.

أ- نماذج من الخطاب الخميني حول دور الشعب

١- ينطلق الإمام الى أبعد مدى في تقدير دور الشعب، فهو يعتبره مفخرة العصر ويرى الفخر كل الفخر للخميني (قدس) في أن يكون في محضر هذا الشعب:

«إننا جميعا – يقصد نفسه والمسؤولين – نفخر أن نكون في مثل هذا العصر وفي محضر مثل هذا الشعب».

٢- ويرى ان هذا الشعب الإيراني قد قدم صورة متألقة لتاريخ الإسلام العظيم في هذا الزمن:

«إن الشعب الإيراني العزيز يمثل بحق الوجه الناصع لتاريخ الإسلام العظيم في زماننا المعاصر هذا».

٣- ويوازن بثقة بين هذا الشعب وبين شعب الحجاز أيام الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، وشعب العراق أيام الإمام علي والحسين (عليهما السلام):

«إنني أدّعي وبجرأة ان الشعب الإيراني وجماهيره المليونية، في عصرنا الحاضر أفضل من شعب الحجاز في عهد رسول الله(ص) وأفضل من شعب الكوفة والعراق في عهد أمير المؤمنين والحسين بن علي (عليهما السلام).

٤ – ويقدم لهذا الشعب شكره بإخلاص معترفاً بالتقصير في أداء ما يستحق من الشكر:

«مهما قدمنا لهذا الشعب، ومهما كان ما قدمناه مخلصاً فإننا لن نبلغ ما يستحقه من الشكر».

ب - ألوان من التعبير الخميني عن احترام الشعب

– ولن نجد في كل أدبيات القادة في العالم المعاصر ما يصل إليه التعبير الخميني في مستوى تقديره للشعب:

«ان الخميني يُقبّل أيديكم واحداً واحداً ويحترمكم واحداً واحداً».

«انني أُقبّل أيدي وسواعد كل الأعزاء الذين حملوا على عواتقهم مسؤولية النضال

وعقدوا الهمم على الجهاد في سبيل الله وعلوّ مجد المسلمين. وأحيّي بإخلاص كل براعم الحرية والكلمة».

ونلاحظ في التعبير الخميني بعد النظر في استشراف المستقبل من خلال البراعم الواعدة والأجيال الصاعدة.

ج- بيان خصائص دور الشعب في التغيير

١ - للشعب الدور الأول في الثورة مشفوعاً بالاتقان:

«إن من الإنصاف أن نقول بأن من أتقن القيام بدوره منذ بدء الثورة حتى الآن هو الشعب».

٢ - الشهادة للشعب بوعيه السياسي المتميز:

«ان الشعب الإيراني قد قرن اسمه العظيم في العالم بالوعي السياسي».

٣ - الشعب الإيراني مثل قدوة في قضائه على النظام التابع للاستكبار «لقد منّ الله سبحانه وتعالى علينا بقضائه على نظام الإستكبار بيده القادرة - المتمثلة بالمستضعفين - وجعل من شعبنا العظيم إماماً وقدوة للشعوب المستضعفة».

ونلاحظ هذه المقابلة بين انحسار الإستكبار ودور المستضعفين المطلوب والنموذج.

٤ - لا تغيير على مستوى التاريخ إلا من خلال الشعب:

شتان بين تغيير عابر لا يخلو منه شعب أو نظام على مرّ التاريخ، وبين تغيير ينال التاريخ ويبدل في معطياته ويطبع بصماته عليه بحيث يبدو ان التاريخ قد حوّل وجهته وغيّر حركته من تاريخ لمصلحة المستكبرين الى تاريخ لصالح المستضعفين.. ويرى الإمام (قدس) ان الشعب الايراني ينطبق عليه هذا المعنى من التغيير:

«لقد بدل شعبنا التاريخ وغير وجهه».

ان السرّ كل السرّ في هذا التغيير الجذري إنما هو الشعب بشهادة خمينية.

٥ - الايمان بإن إرادة الشعوب من إرادة الله عزّ وجل:

يقرر الإمام هذه الصلة الوثقى بين إرادة الشعوب وإرادة الله سبحانه، وان لا تغيير إلا بالشعب مهما بدا صعباً وقريباً من المستحيل:

«بإرادة الشعوب التي تتبع إرادة الله والتي تتحرك من أجل الله يصبح غير الممكن

ممكنا ويتحقق المحال».

٦ - لا إرادة فوق إرادة الشعب ولا انطلاق إلا منه:

يؤكد الإمام (قدس) أنّ قوة لن تستطيع أن تحرّك الشعب مهما أوتيت من البراعة ما لم ينطلق الشعب من نفسه واحساسه بأهمية دوره وتأجج إرادته باتجاه كرامته ومستقبله الامثل.

كل ما لدي «ان أساس النجاة لأي شعب إنما يبدأ من نفسه».

«كل ما لدينا هو من هذا الشعب، وأقصد بذلك الشعب الإسلامي الذي حقق الثورة بنداء الله اكبر».

٧ - انها انطلاقة للشعب لا تراجع معها:

يرى الإمام (قدس) ان الشعب الذي انطلق وعاش بركات انطلاقته وثمرات جهاده لن يفرط بها ولن يتقهقر عنها وانها لثورة مستمرة:

«لقد انتفض الشعب المسلم ولن يعاود الركون من جديد، فإن الشعب المسلم لن يتراجع حتى لو تراجعت انا».

د - آليات دور الشعب في التغيير

١- الحضور الدائم في الساحة

يشيد الإمام بفاعلية الحضور في الساحة في كل مراحل الثورة والدولة:

«ان حضوركم يا جماهيرنا المؤمنة المضحية في ميدان الأحداث هو الذي سيفضح الى الأبد أولئك المثقفين المأسورين للغرب او للشرق».

فلهذا الحضور بعده الثقافي الذي يؤكد ان «لا شرقية ولا غربية» بل جمهورية إسلامية، ويسلب كل التابعين ثقافيا للشرق او للغرب دعاواهم ويقطع الحبال الموهومة لاتصالهم بضمير الشعب وكونه يمثلهم لثقافته وقيمه.

ولم تكن أهمية هذا الحضور مجرد دعوى، ولم يكن الحضور طقساً تمثيلياً مصطنعاً، بل تجلت خيراته وبركاته في إفشال المؤامرات الخطيرة لظالمي الشعب إبان الثورة وبعد نجاحها.

وإن مسيرة عودة الإمام (قدس) للوطن ،ومسيرات ذكرى تأسيس الثورة، وتأسيس

الدولة كل عام، ومسيرة وداع الإمام التي فاقت كل المسيرات، وكذلك المسيرات المليونية كلما قرب أمر او طرأ خطر هي ضمانة النجاح والفلاح والاستمرار.

٢ - دور الشعب في اختيار شكل الدولة ودستورها والسلطات المختلفة:

حرص الإمام (قدس) منذ اللحظة الاولى لنجاح الثورة وبدء تأسيس الدولة الإسلامية على أن يرجع الى الشعب في الاستفتاء على النظام ليختاره بملء إرادته وليحرص على الدفاع عنه.

وهكذا تم الإستفتاء على نظام الجمهورية الإسلامية، وحرص أيضاً على أن يجسد الدستور الذي يستفتى عليه الشعب أيضاً، الدور المتميز لهذا الشعب في صناعة الاحداث ومتابعة التغيير .

فبالإضافة الى الفصل المعنون بحقوق الشعب من المادة التاسعة عشرة الى المادة الثانية والاربعين.. وهي تؤكد تساوي جميع أفراد الشعب في الحقوق بغض النظر عن اللون والعنصر واللغة والقومية والجنس والحريات المتنوعة، كحرية العقيدة والصحافة والرسائل والمكالمات والأحزاب والإجتماعات والمهنة في إطار الدستور وتوفير الضمان الإجتماعي ووسائل التربية والتعليم والمسكن والحقوق القانونية ومنع التعذيب وانتهاك الكرامة وحق الجنسية، نجد بالإضافة الى ذلك فصلاً بعنوان سيادة الشعب والسلطات الناشئة عنها.. ولنقرأ المواد التالية منه:

المادة الثامنة والخمسون: «السيادة المطلقة على العامل وعلى الإنسان لله وهو الذي منح الإنسان حق السيادة على مسيره الإجتماعي، ولا يحق لأحد سلب هذا الحق الإلهي أو تسخيره في خدمة فرد أو فئة ما، والشعب يمارس هذا الحق الممنوح من الله بالطرق المبيّنة في المواد اللاحقة».

فسيادة الشعب على مصيره الإجتماعي مقررة في الدستور وهي منحة إلهية لا مجرد مادة دستورية ولا يحق لأحد سلبها او تحجيمها.

المادة السابعة والخمسون: «السلطات الحاكمة في جمهورية إيران الإسلامية هي السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية والسلطة القضائية وتمارس صلاحياتها بإشراف ولي الأمر المطلق وإمام الأمة وذلك وفقاً للمواد اللاحقة في هذا الدستور، وتعمل هذه السلطات مستقلة بعضها عن بعض».

ونلاحظ ان مسؤولية جميع السلطات إنما هي أمام الأمة، فللأمة السيادة، ولها حق

المساءلة والمحاسبة لكل هذه السلطات.

المادة الثامنة والخمسون: «تمارس السلطة التشريعية عن طريق مجلس الشورى الإسلامي الذي يتألف من النواب المنتخبين من قبل الشعب».

ونلاحظ أن سيادة الشعب تُرجمت عملياً في أحد اشكالها بنحو إجرائي الى مجلس شورى ينتخبه الشعب ويمثل هذا المجلس موكّله ومنتخبه في دراسة كل ما يهم الشعب ومراقبة التنفيذ.

المادة التاسعة والخمسون: «يجوز ممارسة السلطة التشريعية بإجراء الإستفتاء العام والرجوع الى آراء الناس مباشرة بعد مصادقة ثلث أعضاء مجلس الشورى الإسلامي حول القضايا الإقتصادية والسياسية والإجتماعية والثقافية المهمة جداً».

لقد أرجعت هذه المادة الى الشعب صاحب الحق الأصيل في السيادة الدور من خلال الإستفتاء حول الأمور ذات الأهمية على كل صعيد.

وقد طبق ذلك خلال مسيرة الدولة الإسلامية ولا سيما في الإستفتاء على تعديل هذا الدستور.

وفي المواد المتعلقة بالسلطة التشريعية نقرأ أيضاً:

المادة الثانية والستون: «يتألف مجلس الشورى الإسلامي من نواب الشعب الذين ينتخبون مباشرة وبالإقتراع السري».

فهم كما نلاحظ ممثلون للشعب ونواب عنه.

المادة الرابعة والثمانون: «كل نائب مسؤول تجاه جميع أبناء الشعب».

فالنواب – كما نرى – مكلّفون من قبل الشعب ومسؤولون أمامه.

وثمة مواد أخرى تفسح المجال واسعاً لإشراك الشعب في تقرير أموره كما في المواد المتعلقة بمجالس الشورى المحلية، ومنها:

المادة المائة: «من أجل إشراك الشعب في التطبيق الناجح والسريع للبرامج الإجتماعية والإقتصادية والعمرانية والصحية والثقافية والتعليمية وسائر الخدمات الإجتماعية مع ملاحظة المتطلبات المحلية.. تتم إدارة شؤون كل قرية او ناحية او مدينة او قضاء او محافظة بإشراف مجلس شورى.. وينتخب أعضاؤه من قبل سكان تلك المنطقة».

ونلاحظ أنه بمجرد أن تم الإستقرار للدولة بعد مخاض الحرب وتجديد البناء تمت هذه الإنتخابات المحلية على أوسع نطاق وبمشاركة شعبية واسعة وأفرزت نتائجها الإيجابية.

المادة الرابعة بعد المائة: «بهدف تحقيق العدل الإسلامي، والمساهمة في إعداد البرامج، وتوفير التنسيق لتطوير مرافق الانتاج والصناعة والزراعة. يتم تشكيل مجالس شورى من ممثلي العمال والفلاحين وسائر العاملين والمدراء في المرافق.

أما في المؤسسات التعليمية والإدارية والخدمية فيتم تشكيل مجالس شورى من ممثلي أعضاء هذه المؤسسات».

وهكذا تتنوع مجالس الشورى لتمثل كل الشرائح والمؤسسات ولتقدم صيغة عملية لمشاركة الشعب في إدارة شؤونه وممارسة سلطته.

ومن جهة إخرى، فإننا نلاحظ أن مجلس الخبراء الذي يشخص القائد (الولي الفقيه) ويراقبه وقد يعزله، إنما يُنتخب مباشرة من قبل الشعب.

المادة السابعة بعد المائة: «توكل مهمة تعيين القائد الى الخبراء المنتخبين من قبل الشعب».

وكذلك فإن رئيس الجمهورية يُنتخب بالإقتراع المباشر من قبل الشعب.

المادة الرابعة عشرة بعد المائة: «يُنتخب رئيس الجمهورية مباشرة من قبل الشعب لمدة أربع سنوات.. ولا يجوز انتخابه لأكثر من دورتين متواليتين».

وقد قام الشعب بدوره في ممارسة سيادته والسلطات الناشئة عنها بحكم الدستور على أكمل وجه وبفاعلية قصوى، كما اتضح في انتخابات رئاسة الجمهورية في دوراتها المختلفة.

ولكن الإمام لم يكتف بذلك بل كان يدفع باستمرار هذا الدور الى أقصى مداه، ويحفزه ويشجعه ويحذر من التهاون فيه:

«عليكم ايها السادة أن تدلوا برأيكم في شتى القضايا الإسلامية سواء أكانت انتخابات أعضاء المجلس أم انتخاب رئيس الجمهورية أم غير ذلك، ولستم معذورين في عدم المشاركة والانزواء».

ويرتقي الإمام (قدس) بهذا الواجب الإنتخابي الى مستوى الصلاة:

«يجب على كل مكلف أن يقرر مصيره.. وتكليفه هذا كتكليفه بالصلاة.. هكذا هو

الأمر بالنسبة لنا ولكم نساء ورجالا».

وينادي للإقتراع ويسمّي يوم الإنتخاب يوم تعيين مصير البلاد.

«اعزائي، يا من انعقدت عليكم آمال النهضة الإسلامية، هبّوا في يوم تعيين مصير البلاد، واتجهوا نحو صناديق الإقتراع للإدلاء بآرائكم».

ويخصص الإمام (رضوان الله عليه) فقرة كاملة من وصيته بعنوان (المشاركة في الانتخابات تكليف إلهي، يقول فيها:

«ووصيتي الى الشعب الشريف أن يكونوا حاضرين في جميع الإنتخابات، سواء انتخاب رئيس الجمهورية او ممثلي مجلس الشورى الإسلامي او انتخاب الخبراء لتعيين شورى القيادة وأن يكون منتخبوهم وفق الضوابط التي تجب مراعاتها، مثلا لينتبهوا أنه إذا حصل تسامح في انتخاب الخبراء لتعيين شورى القيادة او القائد، ولم يتم انتخاب الخبراء وفق الموازين الشرعية فمن المحتمل جدا أن تلحق بالإسلام والبلد خسائر لا تعوض.. وعندها يكون الجميع مسؤولين أمام الله تعالى.

على هذا الأساس فإن عدم تدخل الشعب من المراجع والعلماء الكبار الى التجار والكسبة والفلاح والعامل والموظف - حيث انهم جميعا مسؤولون عن مصير البلد والإسلام سواء في هذا الجيل أم الأجيال القادمة - إن عدم تدخلهم وتسامحهم خصوصا في بعض الظروف قد يكون ذنباً هو أكبر الكبائر.

اذن يجب علاج الواقعة قبل وقوعها، وإلا فلن يكون بوسع أحد أن يفعل شيئاً وهذه حقيقة لمستموها ولمسناها بعد المشروطة، ولا يوجد أي علاج أنجع وأفضل من أن يقوم الشعب في جميع أنحاء البلد، ووفقا للضوابط الإسلامية والدستور، بالأعمال المنوطة به، وان يتشاور مع الطبقة المتعلمة الملتزمة والمثقفة المطّلعة على مجاري الأمور وغير المرتبطة بالدول القوية المستثمرة، المشهورة بالتقوى والإلتزام بالإسلام والجمهورية الإسلامية، ويتشاور مع العلماء الروحانيين المتقين الملتزمين بالجمهورية الإسلامية.

ولينتبه الجميع ان يكون رئيس الجمهورية وممثلو المجلس من طبقة تلمس محرومية مستضعفي المجتمع ومظلوميتهم وتعمل على تحقيق رفاهيتهم، لا من الرأسماليين وأَكَلة الأرض والمتربعين في صدر المجالس والمرفهين والغارقين في ملذاتهم وشهواتهم الذين لا يستطيعون فهم مرارة الحرمان، ومعاناة الجائعين والحفاة.

ويجب ان نعلم ان كثيراً من المشكلات يمكن اجتنابها، كما يمكن التخلص من كثير

من المشكلات، اذا كان رئيس الجمهورية وممثلو المجالس أكفاء ملتزمين بالإسلام ومتحرّقين لأجل بلدهم وشعبهم.

ويجب ملاحظة هذا الأمر في انتخاب الخبراء لتعيين شورى القيادة او القائد، مع امتياز خاص وهو أن الخبراء إذا تم تعيينهم بانتخاب الشعب، وبناء على منتهى الدقة او استشارة المراجع العظام في كل عصر، والعلماء الكبار في جميع أنحاء البلد والمتدينين، ودخل مجلس الخبراء متدينون وعلماء ملتزمون وتم تعيين أكثر الشخصيات كفاية والتزاما للقيادة أو شورى القيادة، فسيكون بالإمكان منع وقوع كثير من المشكلات او أنها ترفع باقتدار».

٣ - الشعب أفضل دعامة للحكومة وبدون دعمه لا يمكنها الاستمرار:

يركز الإمام (قدس) على أهمية استمداد الحكومة دعم الشعب واستنادها الى تأييده، ويقولها بصراحة ووضوح: «اننا نستند الى طاقة الشعب».

ويبين انه لا غنى عن دعم الشعب للحكومة: «اذا كان الشعب دعامة لحكومته فانها لن تسقط».

ويدعو الى مزيد من مشاركة الجماهير وإشرافها على الحكومة وبرامجها، ويبين أهمية ذلك: «إن وعي الناس ومشاركتهم وإشرافهم على برامج الحكومة المنتخبة من قبلهم، وانسجامهم معها هي أكبر ضمانة لحفظ الامن في المجتمع».

ويحذر من حصول قطيعة بين الشعب وحكومته وخطورة ذلك على مصير النظام الشوري: «إذا تنحّت الجماهير جانباً، عجزت الحكومة عن القيام بأي عمل أرادت القيام به».

ويحذر بالتالي من سقوط هذه النهضة: «إذا ضربت هذه النهضة لا سمح الله فإننا مهزومون الى الأبد».

ويوصي الإمام الشعب - بمحبّة وحرص شديدين - بمتابعة دوره بلا توقف:

«أوصي الشعب الإيراني العزيز بحفظ هذه النعمة التي حصل عليها بجهاده العظيم وبدماء شبانه الراشدين، وحراستها والذبّ عنها، والنظر إليها كأعز الأمور».

هـ - جدلية القيادة والشعب

١- لا نجد قائداً يؤمن بشعبه ودور هذا الشعب كما لدى الإمام الخميني(قدس) وهو

يعلن بجراة وصدق وإخلاص لم يتخل عنها طيلة حياته.. أنّ الشعب هو القائد:

«إن الشعب هو الذي قاد هذه النهضة، وهو الذي يجب أن يكمل مسيرتها».

٢ - ويرفض لقب القائد ويفضل عليه لقب خادم الشعب:

«ان يقال لي خادم أفضل من أن يقال لي قائد، فالقيادة ليست مهمة، المهم هو الخدمة، والإسلام أمرَنا أن نخدم».

ويقولها، مراراً وتكراراً معتزاً بخدمته للشعب:

«إنني أخ لشعب إيران، وأعتبر نفسي خادماً وجندياً لهم».

ويبين هدف رجوعه الى إيران:

«إنني أطلب من الله التوفيق للجميع. لقد عدت من الخارج لأخدمكم، إنني خادم الشعب».

ويوسع إطار هذه الخدمة لتكون لكل الشعوب الإسلامية ولكل مستضعفي العالم:

«لقد عدت لأعرض علكيم خدماتي أيها الأعزاء، فما دمت حيّاً سأبقى خادما للجميع، خادماً للشعوب الإسلامية، خادماً للشعب الإيراني العظيم، خادماً للجامعيين وعلماء الدين، خادماً لجميع الشرائح الإجتماعية في الوطن، وكل الشرائح في البلاد الإسلامية وكل مسضعفي العالم».

٣- ولا يكتفي بأن يكون خادم الشعب، بل يريد للمسؤولين جميعاً ان يكونوا خدماً للشعب، وان يعيشوا روحية الخدمة له وإشراكه في الحكم:

«علينا أن نشكر الله على نعمة اعتبارنا الجماهير شريكنا الأكبر في الحكم، وفي الحقيقة فإن ما نمارسه ليس حكما، وإنما علينا جميعاً ان نكون خدماً للجماهير».

ويوضح فلسفة الإسلام في الحكومة:

«ليس في الإسلام حكومة بالمعنى الخاص، وانما هي بمعنى الخدمة» ونوع الحكومات التي يريدها الإسلام: «الإسلام يريد حكومات تخدم الشعوب».

و - نفي الصبغة الفردية والطابع الاستبدادي عن ولاية الفقيه:

دأب المحللون السطحيون وأعداء الإسلام على الترويج لمقولة أن ولاية الفقيه مصادرة لدور الشعب وإلغاء له، وأنها لون من الحكم الفردي الاستبدادي.

ويوضح الإمام (قده) أنّ ولاية الفقيه ضمانة لخدمة الشعب والثورة والدولة والنظام والإسلام وليس لها أي منحنى فردي إستبدادي، وأنّ أي شائبة من هذا المنحى تسقط الفقيه عن ولايته. ولنقرأ النصوص التالية بدون تعليق:

«إذا انتابت الفقيه النزعة الفردية في أمر ما فإنه سيسقط عن مقام الولاية».

«إذا زلّ الفقيه او ارتكب ذنباً - ولو صغيراً - فانه سيسقط عن مقام الولاية، وهل الولاية أمر سهل ليفوّض الى أي كان».

«الفقيه لا يريد أن يفرض على شعبه ما ليس بحق، وإذا أراد فقيه أن يفعل ذلك فإن ولايته تنتفي».

«ان ولاية الفقيه هي التي تهدف الى الوقوف في وجه النزعات الفردية في الحكم، وهي ان غابت أصبح الحكم فردياً».

وقد أكد الدستور الإسلامي ذلك في فصله التمهيدي:

«ومع ملاحظة جوهر هذه النهضة الكبرى، فإن الدستور يضمن زوال كل نوع من أنواع الديكتاتورية الفكرية والاجتماعية والاحتكار الاقتصادي، ويسعى للخلاص من النظام الاستبدادي، ومنح الشعب حق تقرير مصيره، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم».

وفي موضع آخر من ذلك الفصل:

«ولأن الهدف من إقامة الحكومة، هداية الإنسان للسير نحو النظام الإلهي ﴿والى الله المصير﴾ كي تتهيأ الظروف المناسبة لظهور المواهب وتفتحها في سبيل نمو الأخلاق الإلهية في الإنسان (تخلّقوا بأخلاق الله) وهذا لن يتحقق الا بالمشاركة الفعّالة والشاملة من قبل جميع أفراد المجتمع في مسير التطور الإجتماعي، يقوم الدستور بإعداد الظروف اللازمة لهذه المشاركة في جميع مراحل اتخاذ القرارات السياسية والمصيرية بالنسبة لجميع أفراد المجتمع، وذلك ليصبح كل فرد في مسير تكامل الإنسان، هو بالذات مسؤولاً ومباشراً في مجال نمو القيادة ونضجها، وهكذا تتحقق حكومة المستضعفين في الأرض ﴿ونريد أن نمنّ على الذين استُضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين﴾».

ويأتي في الفصل التمهيدي بعد الحديث عن الشعب ودوره، الحديث عن ولاية الفقيه العادل، وتخصص المواد ١٠٧ - ١١٢ للحديث عن القائد او مجلس القيادة.

وتنص على أن الخبراء المنتخبين من قبل الشعب هم من يشخصونه، وأنه يتساوى مع كل الأفراد أمام القانون وبعد تحديد عدد هؤلاء الخبراء وشروطهم، تبين شروط القائد وصفاته ووظائفه، وتجعل المادة الحادية عشرة بعد المائة لمجلس الخبراء المنتخب من قبل الشعب وظيفة مراقبة القائد لتحديد عجزه عن أداء وظائفه القانونية، او فقده لأحد الشروط المطلوب توافرها فيه ليتخذ من ثم قراراً بعزله.

ز - معالم من دور الشعب في التغيير ومشاركة الشرائح المختلفة في هذا الدور

١ - عناق الحوزة والجامعة:

دعا الامام بإلحاح الى أهم جانب من جوانب اللحمة بين أفراد الشعب، وهو العناق بين جامعييه المتخصصين وعلمائه المتفقهين لئلا تبقى أي فرصة للعدو للنفاذ من خلال الفجوة بينهما لتأليب أحد الفريقين على الآخر، وإيقاع الصراع والنزاع بينهما.

«على شباننا الجامعيين الأعزاء المعطائين ان يسعوا الى تمتين أواصر الارتباط والمحبة والتفاهم مع العلماء وطلاب العلوم الاسلامية وألا يغفلوا عن مخططات العدو الغادر ومؤامراته».

٢ - الإنسجام بين الشعب والقوات المسلحة:

أكد الامام (قدس) في أكثر من مناسبة على الصلة بين الشعب والجيش:

«لا انفصال بين الشعب والجيش»، «جيشنا دعامة لشعبنا» واعتبر الحرس الثوري أعظم تجسيد للشعب في ساحة المواجهة:

«إنكم في ساحة المواجهة وفي التاريخ المصوّر للثورة تجسيد حي لمظلومية هذا الشعب العظيم ورقي وعيه».

وتمنى أن يكون واحداً منهم: «يا ليتني كنت حارساً من حرّاس الثورة أيضا».

ونوّه بالانسجام القائم بين الشعب وقواته المسلحة:

«لا مثيل للانسجام الموجود حاليا بين الشعب المقدام ومنتسبي الجيش وحراس الثورة الشجعان في تاريخ إيران والعالم».

٣ - وحدة القوميات المتعددة وأخوّة أبناء المذاهب المتنوعة للشعب:

نادى الامام بقوة لتجاوز كل العوائق والحساسيات ليندمج الشعب ويعيش الوحدة

والأخوّة لتحقيق الدور وبناء المستقبل:

«لقد ذكرت مراراً أن الأهمية للعنصر واللغة والقومية والإقليم في الإسلام، فجميع المسلمين - سنّة كانوا أم شيعة - هم إخوة متكافئون متساوون في المزايا والحقوق الإسلامية».

ويشيد بالآثار الإيجابية لوحدة الشعب ويذكّر بمصائب الفرقة والتنازع:

«كلنا يدرك الآثار الإعجازية لوحدة الشعب، كما ندرك عمق المصائب التي حلّت بالمسلمين طوال تاريخهم بسبب الفرقة والتنازع».

وينوّه بالدور التوحيدي للاسلام:

« لقد نزل الإسلام ليوحّد جميع شعوب العالم من عرب وعجم وترك وفرس، وليقيم في هذا العالم أمة عظيمة هي الأمة الإسلامية».

٤ - دور قوات التعبئة:

لم يتقصر الدفاع على نظام الجمهورية الاسلامية من مختلف المؤامرات ومنها الحرب على الجيش وقوات حرس الثورة الإسلامية، بل سعى الامام (قدس) الى تجييش جميع أفراد الشعب وتدريب الملايين منهم بعد الملايين تحت اسم قوات التعبئة (بسيج) ليدافع الشعب عن مستقبله الاسلامي بنفسه، ويخاطب الإمام هؤلاء بقوله:

«إنني أغبط منتسبي التعبئة - على الدوام بأخلاق وصفاء - وأسأل الله ان يحشرني معهم، لأنني أفخر أن أكون في هذه الدنيا فرداً من أفراد التبعئة».

٥ - دور العلماء:

يؤكد الإمام على دور العلماء المؤمنين الملتزمين المجاهدين في استمرار الثورة والدولة:

«لقد كان العلماء في كل نهضة وثورة إلهية وشعبية، السباقين في رسم علامة الدم والشهادة على جباههم».

ولعلك لا تجد في ثورة في الدنيا هذا الكم من العلماء الذين استشهدوا على درب تحقيقها، (كسعيدي) ثم في لحظات انتصارها الاولى (كمطهري ومفتح) وبناء دولتها (كبهشتي وباهنر) وفي جبهات الصراع مع الباطل (كمحلاتي) وآلاف العلماء الذين لقوا وجه ربهم في قتال عدو الداخل والخارج.

٦ – دور الفقراء:

يركز الإمام على دور الفقراء في نجاح الثورة واستمرارها، ويسميهم أولياء نعمة المسؤولين:

«ان هؤلاء الحفاة المحرومين سكان المناطق الشعبية الفقيرة كما يسمونهم، هم أولياء نعمتنا.

ويبين أهمية دورهم في استقرار النظام والحكومة الإسلامية: «لولا تأييد الطبقات المحرومة، لما استطاعت الحكومة ان تستقر».

ويُعلي من شأن هؤلاء فوق كل المترفين والأغنياء البطرين:

«شعرة من رأس أحد الفقراء من ساكني الأكواخ ومقدّمي الشهداء، أشرف وأفضل من كل القصور وسكان القصور في العالم».

ويدعو المسؤولين الى التنافس في خدمتهم والتخلّق بأخلاقهم: «اذا تخلى رئيس جمهوريتنا – لا سمح الله – عن طبائع الفقراء وأصبح على طبائع المترفين فسيتعرض هو ومن حوله للانحطاط.

٧ – دور العمال والفلاحين:

يشيد الإمام بدور العمال والفلاحين في نجاح المسيرة في الثورة والبناء:

«العمال هم أثمن طبقة وأكثر الشرائح الإجتماعية نفعاً في المجتمعات».

«ايها الفلاحون يامن كنتم أكبر سند للشعب عليكم ان تستمروا بعملكم الزراعي».

٨ – دور الشعوب المستضعفة ومحرومي العالم:

وينظر الإمام (قده) بتفاؤل وثقة الى دور الشعوب المستضعفة لتقرر مصيرها بنفسها في العالم كله:

«إنه ليوم مبارك ذلك اليوم الذي تزول فيه سلطة الدول الكبرى عن شعبنا المظلوم وسائر الشعوب المستضعفة، وتصبح فيه كل الشعوب قادرة على تقرير مصيرها بنفسها».

ويتطلع ببصيرة المؤمن التي تنبأ بها بزوال الإستكبار الشيوعي الى موعد أجمل للبشرية جمعاء في هذا القرن:

«إن هذا القرن – هو بعون الله القادر – قرن تغلب المستضعفين على المستكبرين

والحق على الباطل».

ح - عوامل انتصار الشعب عند الإمام (قده)

١ - الايمان: يتحدث الإمام (قده) عن الإيمان باعتباره سرّ الانتصار:

«إن سرّ انتصاركم هو الإيمان».

«إن السرّ في انتصاركم هو الإيمان بالله والتوجه اليه».

٢ - التوجه الى الله تعالى، ويؤكد على التوجه الى الله:

«ان سر انتصارنا هو التوجه الى الله وحراسة الإسلام».

٣ - وحدة الكلمة: ويلحّ الإمام (قده) على وحدة الكلمة والحرص عليها:

«لقد سار الشعب الايراني بثورته معتمداً على الإسلام ووحدة الكلمة وهو لن يفرّط بهذا المرتكز مستقبلاً».

ويحذر من الفرقة والخلاف ويشير الى دور القوى الكبرى وعملائها:

«بعد أن يئست القوى الكبرى من الحصول على نتيجة من الحرب والهجوم العسكري بادرت - باستخدام الاساليب الشيطانية - لزرع الخلاف والفرقة بينكم».

ويدعو المسؤولين في السلطات الثلاث الى نبذ الخلافات:

«ان على المسؤولين في السلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية ان يدركوا أن تكليفهم يكمن في نبذ الخلافات فيما بينهم».

ويحذر من صراع الاجنحة بعيداً عن مصلحة الثورة والدولة: «لقد كررت التأكيد على وحدة الكلمة ليتسنى لكم انجاز أي عمل اذا كان لكل منكم جناح خاص، وشدّ كل واحد منكم الحبل نحوه، فإن الأجانب سيكونون هم المستفيد الاول».

ويبن السبيل الى حل المشكلات ورأب الصدع:

«اذا كنا مختلفين في الأسلوب او الرأي، فعلينا ان نجلس لنتحاور ونطرح مشاكلنا ونحلها في جو هادئ».

٤ - التضحية: ويشيد الإمام (قده) بدور التضحية في الانتصار وأهمية الإستعداد من الجميع لمواصلة التضحية وللشهادة وروح عاشوراء وكربلاء:

«إن البلد الذي تستعد مختلف شرائحه للتضحية هكذا لا بد ان ينتصر».

ويركز الإمام (رضوان الله عليه) على أن النصر لم يتحقق بالقوة بل بالتضحية:

«النصر لم يحققه السيف بل حققه الدم».

ويبين الإمام (قده) أهمية حب الشهادة في النصر:

«ان الشعب الذي يعتبر الشهادة سعادة، شعب منتصر لا محالة».

ويدعو الى إحياء ذكرى عاشوراء والحفاظ على روح كربلاء ونهج سيد الشهداء للحفاظ على النصر:

«أحيوا ذكر كربلاء وأحيوا ذكر سيد الشهداء فبإحيائهما يحيا الإسلام».

ويؤكد ان الثورة الإسلامية في إيران ثمرة يانعة لثورة أبي عبد الله الحسين ((عليه السلام)):

«الثورة الإسلامية في إيران هي ومضة من عاشوراء والثورة الإلهية العظيمة التي اندلعت فيه».

٥ - ثقة الشعب بقوته:

ويركز الإمام (قده) على أهمية ثقة الشعب بنفسه وقوته بعد الإيمان بالله تعالى والإعتماد عليه:

«اذا أيقن الشعب انه يستطيع الوقوف في وجه القوى العظمى، فإن يقينه ذاك سيكون سبباً لمنحه القدرة في وجه تلك القوى».

٦ - الحرص على الحرية والإستقلال والإكتفاء الذاتي:

يؤكد الإمام عظمة الحرية وانها منحة إلهية:

«الحرية نعمة إلهية كبرى».

ويدعو الى الحرية الحقيقية التي ضَمَنها القانون الاسلامي وضَمن معها استقلال الدول وعدم تبعيتها:

«ان القانون الإسلامي هو الذي يعطي الحريات والديمقراطيات الحقيقية علاوة على ضمانه استقلال الدول».

وينادي بقوة للبعد عن التبعية للشرق او للغرب:

«ما دامت أيدينا ممدودة نحو الشرق والغرب فنحن تابعون، فاذا أردنا ان نكون مستقلين غير تابعين لأحد وجب علينا أولا ان ندرك أن لنا شخصيتنا، واننا نستطيع ان نفعل شيئا».

ويرى في السعي الى الإكتفاء الذاتي تحقيقاً وتوثيقاً للحرية والإستقلال الحقيقيين:

«اذا أردتم تحقيق الإستقلال والحرية الحقيقة عليكم ان تسعوا لتحقيق الإكتفاء الذاتي في كل المجالات».

٧ - التمسك بالإسلام منهجاً وتطبيقاً:

يؤكد الإمام (قده) ان تعلق الشعب بأهداب الإسلام أعظم عوامل النصر، ولا بد من المحافظة على الإسلام في أخلاق الناس وسلوكهم:

«حافظوا على الأخلاق والسلوك الإسلاميين فهما اللذان حققا لكم النصر».

ويذكّر بدور نداء (الله أكبر) شعار الإسلام وأذانه في تحقيق النصر، ويربط الماضي بالحاضر امتداداً من إيران الى فلسطين:

«انه نداء الله اكبر الذي نادى به شعبنا فأدخل الناس في قلب الملك في إيران نفسه الذي أقض مضاجع المحتلين في بيت المقدس».

ويرى ان النصر النهائي لن يتحقق في ايران الا بتطبيق تعاليم الإسلام جملة وتفصيلاً وهكذا في سائر أقطار العالم لتأمين سعادة البشرية:

«الانتصار النهائي يتحقق عندما يطبق الإسلام في ايران بجميع أبعاده وبجميع أحكامه. والنصر الأكبر يتحقق عندما يحكم الإسلام في كل أقطار العالم، فالإسلام هو أساس سعادة البشرية.

خلاصة الخلاصة: يمكننا تلخيص ما سبق حول دور الشعب في التغيير بعبارة خمينية بعيدة الدلالة غنية الأبعاد، يقول فيها الإمام (رضوان الله عليه):

«ان نهضتنا ليست قائمة بشخص معين، إنها نهضة شاملة وكل الشعب قائد فيها، وكله قد نهض».





الامام الخميني (الى اليسار) في ريعان شبابه

الدافع الإلهي والهدف السامي في فكر وسلوك الإمام الخميني

الأستاذ نصر شمالي

تعطينا جميع الوقائع والمراحل في السيرة العطرة للإمام الخميني (رضي الله عنه) مثلا عظيما عن المسلم المصمم على تخليص الإسلام من الشوائب والأدران والإنكسارات والمصائب التي أصابته على أيدي الأعداء كما على أيدي المسلمين، ومن ثم رفعه الى مستوى تلك المرحلة الأولى المحمدية بكل صفائها وبهائها وربطها المحكم بين الدنيوي والأخروي وبين الجهاد الأصغر والجهاد الأكبر لما فيه خير الدنيا وخير الآخرة.

لقد اجتازت مسيرة الإمام أربع مراحل هي: مرحلة تكوين الذات، حيث الجهاد الأكبر بتحقيق الإنسجام والتكامل بين الخاص والعام، وحيث التقشف والزهد والتقوى لا تعني إهمال أدق التفاصيل في الحياة العامة. ثم مرحلة الجهاد في إيران ضد نظام عميل أباح البلد لملذاته وللصهاينة والمستعمرين. ثم مرحلة المنفى بكل ما تعنيه من آلام وعظات وجهود في ظروف غاية في التعقيد والصعوبة. ثم مرحلة انتصار الثورة بجميع تكاليفها الباهظة وقيام الجمهورية الإسلامية بالرغم من جميع المعوقات التي تكاد تبلغ مستوى الإستحالات.

في جميع تلك المراحل نهض فكر الإمام القائد على ركنين أصليين لم يتزعزعا ولم يهنا أبداً وهما: الدافع الإلهي والهدف السامي.

لقد كان يستمد من هذين الركنين صبره الذي بلا حدود، وثباته وإصراره على المضي قدماً الى الأمام لا يتراجع عن الحق ولو قيد أنملة. وبعد انتصار الثورة، وخلافا لما

(*) باحث سياسي وصاحب مؤلفات عديدة في القضايا العربية والدولية.

اعتاد السياسيون الحمقى إطلاقه من ادعاءات في لحظات انتصارهم الوهمية، أكد الإمام الخميني (طيب الله ثراه) أن سرّ بقاء الثورة والجمهورية هو بالضبط سرّ انتصارها ذاته.

ان السرّ يكمن في الركنين الأساسيين: الدافع الإلهي والهدف السامي. وهو لم يزعم لنفسه شيئا، وحاشى لله ان يخطر بباله ذلك:

«اذا أردتم ان يستقر الإسلام وحكومة الله وان تُقطع يد المستعمرين والمستغلين الداخليين والخارجيين عن بلدكم، فلا تضيعوا هذا الدافع الإلهي الذي أوصى الله به في القرآن الكريم».

هذا ما أوصى به الاجيال جميعها الحاضر منها والآتي.

انك مهما بحثت، وأنى فتشت، فلن تجد إشارة الى فضل شخصي له في انتصار الثورة وقيام الجمهورية، كما اعتاد الطغاة والحمقى ان يفعلوا في خطاباتهم وفي آثارهم بصدد انتصاراتهم الممسوخة والمرية.

انه لمن الواضح تماماً ان الركن الأول من الركنين (الدافع الإلهي) وفي أحد وجوهه العملية البارزة، هو الركن الكفيل بسحق الانانيات الفردية والجماعية والنزعات الوحشية الشهوانية الإحتكارية، التي نهضت عليها سياسات المستعمرين في العالم عموما، وسياسات خدمهم والمتواطئين معهم من المستغلين الداخليين آكلي لحوم شعوبهم.

إن الدافع الإلهي هو القول الفصل الذي لا يسمح أبدا بامتهان حياة عامة الناس والعبث بمصائرهم على أيدي الطغاة والمماحكين من بني البشر.

إن حياة الناس أقدس من ان يعبث بها العابثون، وهي في أساسياتها الكريمة محددة مسبقا ولا يجوز لأيّ أحد كان النيل من حدودها. أما الذين يفعلون ذلك فانهم يزعمون لانفسهم حقا ومقدرة لا يمتلكونهما. ان من يمتلك المقدرة هو الحق المتعالي ذاته جلّت قدرته.

إن المكابرين والمستكبرين والكفار والمنافقين هم من ينكر الدافع الإلهي الذي لا يقبل المماحكة والجدل، فيترتب على ذلك إنكار حقوق عامة الناس في الحياة الكريمة وفي تقرير المصير بملء الحرية.

ولكن الهدف من وراء الحياة الكريمة وتقرير المصير ليس تأمين معيشة القطيع، وإنما لهما هدف أسمى يليق بالإنسان الذي كرّمه الله وفضله على سائر مخلوقاته، وانه لهدف يتجاوز الأزمنة والامكنة وينطلق صعداً نحو الأفضل فالأفضل، على مدى الدهور

والعصور متفانيا أكثر فأكثر في الذات الإلهية التي وسعت كل شيء. وهكذا، فإن الدافع الإلهي والهدف السامي يتناغمان ويتكاملان عبر شفافية نورانية معبَّر عنها بالفعل الإنساني الطيب ليصيغا إطاراً لائقا بالإنسان يتسع لاجتهاداته، مؤكداً ما أصاب منها ومصوّبا ما أخطأ.

لا علاقة لفكر الإمام الخميني ومسيرته الثورية المباركة بفكر وسلوك نزلاء الزوايا والتكايا والمساجد الذين أداروا ظهورهم للحياة الدنيا وانشغلوا بأنفسهم. فالحياة الدنيا هي الوجه الآخر للحياة الأخرى. وهل ثمة آخرة للانسان من دون الدنيا؟ أليس من خلَق الآخرة هو الذي خلق الدنيا؟ وبناء على ذلك فان الاستخفاف بشؤون الدنيا هو استخفاف بشؤون الآخرة، بل ان الدنيا هي ميدان امتحان الإنسان في فعاليته وجدارته. أما الآخرة فهي المستقر والاستقرار، وهكذا فسوف لن نجد في فكر الإمام وفي سلوكه سوى ما له علاقة وثيقة وحميمة بشؤون الدنيا جميعها.

ومن جهة أخرى، فلا علاقة أبداً لفكر وسلوك الإمام الخميني بأئمة السلاطين.. وان المرء ليأخذه العجب والإعجاب الشديدين وهو يطالع مدى إلمام الإمام (رضي الله عنه) بدقائق مأساة الحياة البشرية المعاصرة.

إنه يكاد يعرف كل شيء عن أنواع الفساد ووسائل الإفساد المتغلبة الغالبة في هذا العصر الاوروبي الاميركي الذي يحدده زمنيا بالقرون الخمسة الاخيرة. ان إحاطته بالخفايا والمحركات والأساليب الشيطانية التي ترعى كل هذا القدر المروّع البغيض من الفساد العالمي، لا تقل عن إحاطته بسبل مواجهتها عمليا والتغلب عليها حتميا بوسائل وأساليب وقوى دنيوية خيّرة، إنما استنادا الى الدافع الإلهي والهدف السامي.

إن الإمام يميز بحزم وبوضوح تام بين المظاهر الدنيوية الإيجابية كالإختراعات والإبتكارات والصناعات المتطورة المفيدة الضرورية لتقدم البشر وتمدنهم، وبين الظلم والقتل والفساد والإفساد.

وردّاً على تخرّصات أولئك الذين يزعمون ان الإسلام يمنع المسلمين من القيام بواجباتهم في عصر الذرّة، وردّاً على أولئك الذين أظهروه وجعلوه كذلك من المسلمين يؤكد الإمام بإصرار المؤمن العارف ان الإسلام لا يعارض ولا يعيق التجدد والتطور بل ان العلم والصناعة مورد تأكيد الإسلام والقرآن المجيد كذلك. فإن أي دين توحيدي لا يعارض التجدد والتطور. أما اذا كان المراد من التجدد والتمدن ذلك المعنى الذي يطرحه بعض المثقفين المحترفين وهو الحرية في جميع المنكرات والفحشاء حتى الشذوذ الجنسي وما

شابه، فإن جميع الأديان السماوية وكذلك العلماء والعقلاء يعارضون ذلك. هذا ما قاله الإمام:

ما الذي أصبح قديما بمرور الزمن مما يجعل الإسلام والمسلمين غير أهل للقيام بواجباتهم في هذا العصر عصر الذرّة كما يقال؟

يوضح الإمام الخميني بجلاء تام ان تطبيق القوانين بمعيار العدل وعدم فسح المجال للظالمين والحكومات الجائرة وبسط العدالة الفردية والإجتماعية ومنع الفساد والفحشاء وأنواع الانحرافات وإشاعة الحرية بمعيار العقل والعدل والاستقلال والاكتفاء الذاتي وقطع الطريق على الإستعمار والإستغلال والإستعباد، هذه المهمات جميعها لا تصبح قديمة بمرور الزمان وعلى مدار تاريخ البشر والحياة الإجتماعية، وبالتالي فان الإسلام لا يصبح قديما غير صالح للنهوض بمثل هذه المسؤوليات الجسام.

وهكذا فإن لمن الواضح ان من لا يحتمل هذه المسؤوليات، هم أولئك الذين يعيشون عيشة القطيع يتبعون غرائزهم وشهواتهم غير آبهين لشقاء البشرية، معتمدين على انجازاتهم وقواهم المادية، محاربين القوى المعنوية والروحية طوال الوقت وقد أخذتهم العزة بالاثم.

إنهم أولئك الذين لا يعرفون الدافع الإلهي ولا يفكرون بالهدف السامي، الذين قست قلوبهم فهي كالحجارة بل أشد قسوة.



دعوة الإمام الخميني العالمية

الدكتور عبد الكريم الباقي

لاشك ان التغير والتبدل سنّة الحياة في جميع أمورها ومرافقها. وقد يكون هذا التغير تطورا سليماً وانتقالاً من حال الى حال أفضل من سابقاتها. ولكنه قد يكون تأخراً وانحرافاً عن السنن الأقوم.

ومن المعلوم ان أحوال المسلمين في سالف الازمان قد وصلت الى الغاية من التقدم والعلاء حتى انهم استحقوا ان يكونوا خلفاء الله في الأرض حين كانوا يؤمنون بالله حق الإيمان ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويعدلون بين الناس ويتسابقون الى المكارم استجابة لقوله تعالى **﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾**.

ولكن انحراف بعض الساسة والأمراء وعوادي الزمان وطوارئ الحدثان، جعلت البلاد تتخلف وتتلكأ في مسيرتها وتتعثر أحيانا في تقدمها، فنشأت حضارات جديدة استمدت علومها من علوم المسلمين واتجهت اتجاها ماديا جعلها تعلو في هذا الاتجاه وتتقدم ولكنها مع هذا التقدم ترتبط بصعوبات وغوائل لا تنتهي.

ومع ذلك فقد غدا المسلمون عالة على الغربيين في هذا الجانب المادي يقلدونهم في أحوالهم وأمورهم دون تفهم ولا تمييز.

هذا، وقد ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) هذا الحديث:

(*) مفكر سوري وأحد مؤسسي جامعة دمشق، وعالم في مختلف العلوم الطبيعية والانسانية.

«ان الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها».

ومعناه تخليصه مما علق به من أوضار، وما تسرب اليه من بدع والرجوع به الى أصوله الاولى النقية المتحفزة الباعثة على النشاط والامل والمحبة، وتؤيد السلام والمناداة بالاخوة الإنسانية، وجعله ملائما لصروف الحياة المتبدلة المستجدة.

لقد روى الحديث أبو داود عن أبي هريرة عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وأخرجه الطبراني في (الأوسط) عنه أيضاً بسند رجال ثقات، وأخرجه الحاكم من حديث ابن وهب وصححه - عدّه صحيحا - واعتمده كثير من الائمة وجعلوا يتحرّون المجددين لهذا الدين العظيم في العهود السالفة.

ولا غرو ان بعض المفكرين المسلمين العظماء تصطدم مشاعرهم وضمائرهم بما يلمسون في مجتمعاتهم من تأخر وانحراف وفساد فيعمدون الى الاصلاح والتجديد والتنبيه على ما في تراثهم الديني المجيد من قيم عالية واتجاهات سامية وحلول ممكنة لما يطرأ من مشكلات ويدركون ما في ذلك التأثر من دعوة الى الثورة على الفساد والانحرف والتأخر، والى البناء وتشييد الصروح الجديدة والسؤدد والمكارم.

ان الإمام الخميني في العصر الحديث أولى الائمة بأن يتحقق في دعوته وثورته هذا الحديث من حيث التجديد وبيان مكانة الدين الإسلامي الحنيف والتنوير بعظمته ومرونته واتساعه وملاءمته لكل عصر، وقدرته على معالجة الأمور الدنيوية، زيادة على معالجة الأمور الأخروية.

بل نذهب الى أبعد من هذا، فنقول ان الإمام الخميني قد جدد للأمة الإسلامية دنياها زيادة على تجديده لدينها.

أوَليس كفاحه ونضاله وقضاؤه على حكم الطغيان في إيران، وثورته الإسلامية المظفرة والدعوة الى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع الإيمان بالله جلّ شأنه، تجديداً لدنيا الناس التي كان ينتابها الخسف والباطل والفساد؟

نعم! ان الدين والدنيا صنوان متلازمان يؤلفان السبيل القويم الى الخلود والى السعادة الدنيوية والأبدية.

الا ان الإمام الخميني بإيمانه الراسخ كالجبال، وعلمه الواسع كالبحار، وروحانيته العالية بعلو السماء، قد استطاع في هذا العصر المضطرب الجامح بالمصالح والأثَرة والإستكبار والمادية المستفحلة، ان يضم شمل بلاده ويرأب ما فيها من صدع ويخلع عنها

الحكم الفاسد والطغيان الجامح، وان يوجه أصحابه الطيبين الصادقين نحو العمل البنّاء ونحو تحقيق القيم الرفيعة وإقامة مجتمع سليم متعاون ناهض، وان يجعل من بلاده مضمارا للتسابق نحو الخيرات، وأسوة للعالم الإسلامي بل للعالم أجمع في السعي لاستحقاق الخلافة الإنسانية على الأرض والاستبشار بتمكين العدالة والمساواة فيها، والسعي الدائب نحو تحقيق المآرب السامية والمطالب الرفيعة، كما ينادي جوهر الدين الإسلامي بها. هذا الدين هو الذي حافظ على سمو الأهداف وعلى التعليم الإلهي مصوناً بالقرآن العظيم وسنن الرسول الكريم وسير الأئمة الصالحين.

إن الإمام الخميني حقيق بأن تُكرم ذكراه أجمل تكريم.. تكريم يعادل ما قام به من نضال وكفاح مستمرّين أديا الى الثورة الإسلامية التي تنهج نهج السلام والتقدم.. تكريم بعيد عن الأجواء النفسية والنعرات الطائفية. ولاشك ان النخبة الإسلامية وأصحاب الأهداف العالية في تقدم الإنسانية وتوطيد السلام ونشر الأخوّة الإنسانية أولى الناس بإعطاء القائد الإسلامي حقه من واجب التقدير والتعريف والتكريم انطلاقا من عالمية دعوته في إعلاء التعاون الإنساني الذي نوهت به جميع الديانات، ولا سيما الدين الإسلامي الحنيف أحدث الشرائع الابراهيمية الثلاث وخاتمتها وأكثرها حفاظاً على صفاء التعليم الإلهي.





حول فكر الإمام الخميني: خطوط وملاحظات

الدكتور عبد الكريم الأشتر

مجموعة خطوط وملاحظات اجتمعت لدي من خلال قراءاتي في أدبيات الثورة الإسلامية التي قادها الإمام الخميني في إيران يمكن ان تتصل في رؤية مكتملة للأصول الفكرية التي حكمت هذه الثورة المنتصرة وتجلت في واقعها السياسي والإجتماعي والثقافي القائم اليوم في الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

١ - دعا الإمام الخميني الى الجمع بين مهام الفقيه ومهام السياسي، ورأى في الفصل بينهما تعطيلاً لأهم ركن من أركان الإسلام ينتهي الى تحويل الإسلام الى كهنوتية مسيحية. ذلك ان الإسلام جعل السياسة من صلب قواعد عبادته (الحج، صلاة الجمعة، صلاة العيدين)، والمساجد فيه ليست دوراً للعبادة فحسب، وإنما هي برلمانات وثكنات وخزائن لبيت المال، ومدارس وجامعات ومجالس قضاء ومنتديات. فالإمام يعدُّ اذن (من هذا المنطلق) أول من تكلم عن إنشاء حكومة إسلامية في هذا العصر بتشريعها وجهازها التنفيذي.

٢ - تبرز في فكر الإمام الخميني (القيادي -التنفيذي) جملة قواعد:

- وحدة القيادة أساس في كسب النصر.
- عُدة النصر: بناء النفس + التنظيم + اعداد العدة.
- الأخذ بوسائل العصر في التنظيم والانضباط وإعداد العدة.

(*) أحد رواد الأدب العربي في سوريا، مقيم في مدينة حلب.

- إعادة النظر في التقنية وشروطها لتخليصها من السلبية في مفهومها الشائع.

- توثيق صلة العلماء بالشعب (السوق والشارع). فالأمة هي الأصل في قوة العلماء ومراجع الدين الذين لم يتخذوا من الدين تجارة ولم يتطفلوا على الدين وجعلوا من الإسلام أمانة مقدسة في أعناقهم يجب حفظها والدفاع عنها.

٣ - بهذه المثابة يكون الإمام الخميني صاحب مدرسة فكرية مكتملة نشأ رجالها في الحوزات العلمية فربطوا العلم بالعمل، ورجعوا الى الأصالة في مواجهة حركة التغريب الفكري والحضاري دون ان يقطعوا صلتهم بالعصر وحاجاته، وتسلحوا بفكر ثوري غير مهادن يقف على الجبهتين الداخلية والخارجية ويستمد من تراثه الأصيل والإيمان به دوافع الثقة والقوة والشموخ، اذ لا شيء يستحيل تحقيقه مع الإيمان الصحيح القوي. وما حققته ثورته كان يبدو قبل فوزها أضغاث احلام (تقويض سلطة الشاه بأجهزتها كلها وبارتباطاتها الخارجية).

٤ - وهكذا قدمت المدرسة الفكرية الى المسلمين والى العالم مشروعا حضارياً ملائما لروح العصر ومتصلاً في الوقت نفسه بأصوله الإلهية فهو في مبناه ومعناه لغة جديدة تواجه ثقافة العصر العالمية التي قطعت صلاتها بالغيب وربطتها بالمحسوس وحده، ويمكن ان نعدها امتداداً أصيلا وحيّا لحركة الإحياء القائمة على أصولها العميقة من وحدة التراث الإسلامي والنازعة الى ربط مصلحتها بمصلحة الإنسانية كلها على أساس انها مكلفة بحمل رسالة يمكن ان تعين على إنقاذ المدينة المعاصرة من الدمار (قلب مفهوم السياسة وغاياتها المنقولة عن كتاب «الامير» لميكيافيلي في الحضارة الغربية، الى الرحمة ورد الظلم والمساواة بين الناس والانتصار للحق في المفهوم الإسلامي).

وهي رسالة ينبغي ان تتجند قوى الأمة كلها؛ الروحية والمادية والعلمية لإبلاغها والنضال في سبيلها. وعلى هذا النحو نفهم مؤدى الكتاب الذي كتبه الإمام الخميني الى جورباتشوف فهماً سليماً، ونفهم البعد العالمي لثورته التي ربطت فكرة تحرير المسلمين بتحرير المستضعفين في الأرض ووصلت قضايا المسلمين بقضايا التحرر العالمية.

٥ - يحمّل الإمام الخميني علماء الأمة تبعات كبيرة، فقد ألحّ على نظافة مسلكهم وبعدهم عن إغراءات أصحاب السلطان واستعلائهم على الدنيا وزهدهم في زينتها وحطامها. فالدنيا - كما يقول - ليست شيئاً ذا بال، والعالِم المتقي يُصلح مجتمعاً بأسره، واذا فسد العالِم فسد العالَم. ولهذا كان يرى ان يُدرَّس علم الأخلاق في الحوزات العلمية، اذ لا قيمة للعلم الا مع العمل واستقامة السلوك، فإن (العمامة) و(اللحية) قد تحولان بين

الإنسان واصلاح نفسه في أحيان كثيرة، اذ تزيدان من التكبر والغرور وتسوغان طرق الضلال وتفرعاتها بالسعي الى الجاه الكاذب والشهرة الفارغة. ومن هنا ضيّق الإمام على العلماء مجال التوبة وأباحها للعامة الذين «يعملون السوء بجهالة»، أما العلماء فلا تُقبل توبتهم. وهو يدعو العلماء من ناحية أخرى الى التضامن والوفاق، فقوتهم في وقوفهم صفاً واحداً في مواجهة معسكر البغي. والمهم في هذا كله ان يحوّلوا ولاء الناس الكاذب للسلطة، الى ولاء روحي عميق للرسالة التي يجسدونها في أعين الناس، وبهذا يعيدون للجهاد معناه الحقيقي وللشهادة قيمتها الكبرى.

٦ - لا شك ان الإمام الخميني قوّى عزائم الناس في مواجهة الانظمة السياسية الظالمة في العالم الإسلامي وعمل على تقويض نزعة الاستسلام التقليدية لأولي الأمر أيّا كانوا. وهي النزعة التي شاع أمرها في حياة المسلمين بحكم بعدهم عن حقائق الحياة السياسية الديمقراطية السليمة، حتى قوي إحساسهم بفقد حريتهم الداخلية جراء ولائهم الكاذب للسلطة، وفقدوا صلتهم الروحية بها وشجاعتهم في مواجهتها ونمت فيهم ظواهر الخنوع برذائلها كلها. وقد اعتمد الإمام في هذا تراث آل البيت وتقاليد أئمتهم في مقاومة الظلم والظالمين والانتصار للمظلومين والمستضعفين حتى اصبحت مفردات الإستكبار والمستكبرين التي أطلقها من شعارات الثورة.

٧ - ولكن الإمام رمى من وراء تطهير الساحة الداخلية، الى ان يهيّء لنقل خط الصراع في حياة المسلمين من الداخل في مواجهة القوى التي تذلهم. ومن المحزن جداً ان تكون مأساة الحرب العراقية الإيرانية، نكسة خطيرة في وجه هذا الجهد، اذ كانت حركته تدعو الى ان يكون الولاء الروحي والسياسي والإجتماعي عند الفرد المسلم - مهما يكن مذهبه - للإسلام وحده بثوابته التي ينبغي ان تحدد وتنفرد بالولاء. ولهذا دعا الى مؤتمرات تُعقد لزعماء المذاهب الإسلامية في أقطارها المختلفة، ليتعاونوا على فرز الثوابت وجمع القلوب عليها، ولينفوا عن أنفسهم ما علق بها بعد هذا التاريخ الطويل من الشكوك والظنون والتعادي في الطريق الى حسن الفهم المتبادل وبناء الثقة المتبادلة.

٨ - وهكذا خرج الإمام بثورته الإسلامية على التقليد القائم بانكفاء كل قطر إسلامي على همومه فهو يهتم بكل حركة إسلامية على امتداد ديار الإسلام، وخرج بها أيضاً على تقاليد الصراع السني - الشيعي على مدار التاريخ الإسلامي منذ يوم كربلاء وما قبله، فردّ بثورته على سلبيات التاريخ الإسلامي كله، وعلى الواقع الإسلامي القائم (المذهبية، العرقية، الاقليمية، التقاطع السياسي في الداخل) وعاد الى التمسك بالخط الإسلامي الصافي الذي لمع نجمه مع ظهور الإسلام في وجه القوى الخارجية: الثقافية والسياسية

والعسكرية، متجاهلاً انشغال كل قطر إسلامي بنفسه، لبعد المسافات واختلاف المشكلات التي تتعرض لها المجتمعات المختلفة، ولاختلاف ألوان الثقافات بحكم اختلاف الظروف، فأعاد على نحو ما، طرح قضية المجتمع الإسلامي الواحد او المتحد من حيث يظن الناس انها قضية قديمة عفا عليها الزمن، وطرح من ورائها قضية الوحدة الإسلامية على صورة من الصور. ومن هذا المفهوم الجامع دعا الى تخصيص أيام إسلامية يجتمع المسلمون في أقطارهم جميعا على الاحتفال بها (آخر جمعة في رمضان: يوم القدس، واسبوع ولادة الرسول من ١٢- ١٧ ربيع الاول) ايقاظا لشعورهم بانتمائهم الواحد بدل انتماءاتهم المختلفة.

٩ - ولكن صلته بالعلم الحديث وحاجاته وحاجات الفرد المسلم منه كانت لا تغيب عنه، وكان يدرك إدراكا قويا حاجة الفرد المسلم الى ان يدرب على الحياة فيه، ويتضح له موقف الإسلام من قضاياه الكبرى السياسية والإجتماعية والإقتصادية والثقافية حتى يملك قدرة التحرر من التبعية للآخرين كما يملك القدرة على التحرر من أدوائه في داخل الساحة الإسلامية وهي الأدواء التي يجمعها التخلف بجوانبه المختلفة.

١٠- وجوه التخلف الذي تعصف أدواؤه بالعالم الإسلامي يمكن اجمالها في: الأمية والفقر، واستشعار الدونية الحضارية لضعف الانتساب الى العصر، وطغيان الفردية والمحسوبيات، وانحلال الرباط الإجتماعي، وفراغ المذاهب والفرقة بينها، واغلاق باب الاجتهاد، والالتفات عن بناء نظام إقتصادي إسلامي معاصر، وسوء توزيع الثروة الإسلامية، واختلال التوازن بينها وبين عدد السكان (الانفجارات السكانية)، وهكذا يجمع التخلف حقول الحياة بمجموعها؛ الإقتصادي والعلمي والفكري العام (الثقافي) والإجتماعي والسياسي.

١١ - وقد واجهت مدرسة الإمام الفكرية هذا الواقع الإسلامي السيء بالدعوة الى إصلاح البيت الإسلامي وإصلاح أساليب التربية، وبتكوين هيئة من رجال المذاهب الإسلامية للبحث في فرز نقاط الافتراق والإجتماع وبث الوعي في النفوس ومواجهة قضايا العصر الكبرى مثل: التوفيق بين القومية والدين ومواجهة الرجعية بمعناها الحقيقي ومعالجة قضية المرأة والقضايا الإجتماعية الاخرى وتحكم الطائفية في المجتمع الإسلامي وتحكّم الاقليمية والعنصرية.

١٢ - ووقفت هذه المدرسة وقفة طويلة أمام القضية التي تواجه العالم الإسلامي منذ ظهور الإسلام، وهي عداء الغرب على اطلاقه لنا، على حين لم يقف موقف العداء من

أديان أخرى مثل البوذية والهندوسية، ولم يثر حولها مثل الضجة التي أثارها من حولنا.

والطريف ان الإمام رمى هنا الى ان يعيد الى المسيحية أيضاً وجهها الحقيقي بعيدا عن إرادة الاذلال التي تسلّح بها معتنقوها في الميدان السياسي والعسكري، فكأنه في مواجهة الغرب في عدائه للإسلام سعى الى ان يعيد الى الدين في ذاته وجهه الحقيقي القائم على وحدة المصدر ووحدة القيم ووحدة المصير الإنساني كما أراد الله لهذه الاديان السماوية ان تكون.

ولكن ما السبب في عداء الغرب لنا؟ هل هو في اقتراب العالم الإسلامي من العالم المسيحي واحتكاكهما منذ ظهور الإسلام؟ ام لأن الإسلام مثل المسيحية دين سماوي؟ ولكن المسيحية لم تخاصم اليهودية مثل هذه الخصومة، وهو الدين الذي ثار السيد المسيح بواقعه الذي كان عليه في أيامه، ويُسأل أتباعه في رأي المسيحيين أنفسهم عما يقولون «بصلب» السيد المسيح!.

لعل أسباب هذه الخصومة لم تحلل الى اليوم تحليلا علميا يقربها من الفهم، فهي قائمة بالرغم من أن الثقافة الإسلامية (كما يقول الدكتور أبو ريدة) نمت كلها تقريبا داخل العالم الاغريقي القديم، مما جعل المؤثرات الخارجية التي صاغت هذه الثقافة - إغريقية وفارسية - وجعلها بهذا أقرب الى أوروبة من ثقافات الهند والشرق الاقصى!

لقد بلغت عداوة الغرب للإسلام أن عملوا على تفكيك العالم الإسلامي، وظنوا ان الدعوة الى وحدته قضى عليها التأثر بالفكر الغربي وحضارته الحديثة وما جاءت به من ثقافات وتجارب إجتماعية وسياسية. فهم ظنوا انهم دفنوا الإسلام بصفته فكراً يعمل على تكوين المجتمعات الإسلامية الحديثة وسياسات دولها، وعملوا على إثارة النزعات «التاريخية» كنزعة الشعوبية التي أشار اليها رئيس جمهورية فرنسة في بعض حديثه عن دافع فرنسة الى تسليح العراق! فقد جاء الإمام الخميني يبعث أفكار الوحدة الإسلامية ومن البلد الذي يُظن انه هو الذي صدرت عنه النزعة الشعوبية في القديم والحديث.





الأبعاد الإسلامية لثورة الإمام الخميني

الدكتور الشيخ محمود عكام

الحمد لله مؤيد أوليائه، والصلاة والسلام على رسوله محمد المؤيد بنصر الله وأوليائه، وعلى آله خلاصة اوليائه، ورضي الله عن الصحب أرباب الولاية لله ولرسوله ولأوليائه، وبعد:

في الذكرى المئوية للامام الكبير الخميني (طيّب الله ثراه) تتزاحم في داخل الإنسان إرادات، وتتبدى على لسانه تجليات. اما الارادات فجلّها يتوجه الى البحث عن سرّ رفعة الإنسان، وقليلها ينصب على الإنسان نفسه وجدارته بهذه الرفعة.

وأما التجليات فأغلب مفرداتها دعوة ودعاء، والدعوة موضوعها الإنسان، ليكون واعياً وجوده وارتباطه ومنطلقه ونهايته، والدعاء منتهاه الخالق، واليه يُرفع، ليكشف السوء عن الإنسان، وأول سوء الأخير هذا، نفسُه الامّاره، ومن يخاطب ويحرّض هذه النفس من العالم الخارجي للانسان.

لقد أدرك الإمام الخميني سرّ رفعة الإنسان، فجاهد من أجل التحقق به، وتحقق فعلا، ودعا الإنسان الى وعي وجوده وارتباطه بكل ما أوتي، فكان له كبير الأثر على رقعة القرن في مساحة الأرض.

ودعا الله - وهو المتقبل كما عهدناه - فاستجاب له، وأيده وكشف عنه السوء داخلا وخارجا، وباطناً وظاهراً، فاستوى مرشداً، واعتلى سدة التوجيه الإسلامي إماما في قرن صعب وزمن قاس.

(*) أستاذ الفكر الإسلامي في جامعة حلب.

رحم الله الإمام، وجزاه عنا خير الجزاء.

ان الثورة الإسلامية في إيران هي حدث، والفرق بين الحدث والحادث ان الاحداث قليلة في تاريخ الامم وحياة الشعوب، والحوادث كثيرة وتابعة للاحداث، وتدور في فلكها وتصب في مصبها، والحدث الاعظم في تاريخ الإنسان؛ اتصال الأرض بالسماء، اتصال استقبال الوحي الذي يحمل من الخالق سر الفوز، وعامل النجاح، ومقوم الفلاح **﴿فأما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون﴾**.

وإزاء هذا الحدث الاعظم يتخذ الإنسان مختارا احد موقفين: فإما أن يشكر ويعلن الولاء فينفّذ التعاليم، وإما ان يكفر فيستنكف **﴿إنّا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا﴾**.

ويتواصل الشاكرون عبر الزمن، ينتمي المتأخر منهم للمتقدم ويبشر المتقدم فيهم بالمتأخر، وتتم السلسلة بهذا الترابط. فلقد بشر آدم الذي شكر بمن بعده، وأثنى من بعده من الشاكرين عليه، وهكذا الى ان كان سيد الرسل محمد فقرأنا بشارات من سبقه به، وقرأنا انتماءه وانضمامه الى السابقين، قال تعالى على لسان عيسى عليه الصلاة والسلام **﴿ومبشّراً برسول يأتي من بعدي اسمه احمد﴾**، وقال(ص): «انا دعوة ابراهيم وبشارة عيسى».

والنبي كان خاتم من أوحي اليهم، غير انه خلّف وورّث، فكان من خلفائه وورّاثه رجال ليسوا بأنبياء ولكنهم كالأنبياء في مهامهم ودعوتهم وصبرهم، واكد النبي برسالته الخاتمة الحدثية العظمى في عالم الإنسان، وتحددت الإمامة في المسار **﴿إني جاعلك في الناس إماما﴾**. فمن سار على هديها فهو منسوب اليها، ومن عدل عنها فقد ضل، وتلك حكاية الضلال عندنا، ولكل حكايته عنه، وتوالت الايام قرونا واعواما والحدث الاعظم (الرسالة السماوية) يرعى الحوادث ويصنفها، فما كان له وضمن مساره الحقها بها مبشرا، والا رماها منذرا **﴿وما أرسلناك الى كافة للناس بشيراً ونذيرا﴾**.

غير ان بعض هذه الحوادث الملحقة قد تكتسب صفة الحدث واسمه تقديرا لها وتشجيعا، لانها تأتي في زمن الركود والهمود وقد يطلق عليها (التجديد)، وليس هذا المصطلح بطائل الحدث الاعظم الأساس، ولكنه يطال الناس ليعيدهم الى الموقف المباشر الصحيح منه، بعد ان حال بينهم وبينه ركامات من العادات والتقاليد والسلوكيات التي شكلت حاجزا منع الناس من ان يروا الاصل.

فالتجديد إعادة وعود الى الأصل بموقف يحمل التصديق والاستيعاب، وإرادة تحويل

مقومات هذا الأصل المباشرة الى واقع يشبه في حيويته وإنسانيته الواقع الرائد الانموذج في حياة مبدئنا وشريعتنا، وعلى هذا: فالحادث المجدد اقرب الى الحدث.

ومن هنا كانت الثورة الإسلامية حدثا، لانها حادث مجدد نبهت الناس الى ضرورة الموقف الصحيح حيال الدين الحنيف، والموقف هذا يقوم على اعتقاد بصلاحية الإسلام منهاجا لكل الحياة الإنسانية في كل مجالاتها وصعدها، فهو عقيدة تغطي التصور، وتشريع شامل لكل ما يصدر عن الإنسان من قول وفعل، وخلق يعني امثلية الاداء للعقيدة والتشريع.

ولقد تراكمت في أفق التاريخ الغابر القريب كلمات مفادها: الإسلام غير قادر على استيعاب الدولة وتطوراتها، وهو فقط لعلاقة الإنسان الخاصة بربه، وصدّق هذا كثيرون منّا بعد اذ روج لهذا اعداء من غيرنا، فإن حدثناهم عن دولة الإسلام الاولى اجابوا بأن ذلك استثناء، او ان محمدا لم يكن في رئاسته للدولة محمدا الرسول، وانما محمد الزعيم القرشي، ولا علاقة للمحمدين ببعضهما.

وقد يقولون أن نذكر لهم آيات قرآنية تلامس الحكم والدولة وكذلك بعض الأحاديث: بأن هذا نزر يسير لا يكفي للمستجدات والمتغيرات في هذا الصعيد لا سيما ان هذا المجال متغير ومتنوع.

ولقد أتعبونا وأتعبناهم، وتولّدت مجلّدات ضخمة تحكي قصتنا مع هؤلاء وقصتهم معنا.

وفي لحظة معاناة جاءت الثورة، فصُفعوا وما صفعناهم، ثورة إسلامية يقودها فقيه مسلم.. لا.. ليس من المعقول، هكذا قالوا.. وراح الحقد الدفين يفعل فعله، فاستهزأوا وراهنوا، وقال قائلهم: سيفشلون فانتظروا.

وتابعت الثورة صامدة، وانبثق دستور الدولة عنها، وكله من الإسلام، وبغض النظر عن كونه من الفقه الشيعي او السني، لكنه فهم محتمل من أفهام الإسلام، وولدت الهيئات والمؤسسات وفق صياغة إسلامية، واستمرت الثورة في جمهورية لها كيانها ووجودها.

لقد غطاها الإسلام، وقام على الأمر رجال اتخذوا القرآن منهاجا استبطنوا منه القواعد، وما أظنهم - في أمر من الأمور - عدلوا عنه او نأوا عنه، بل وجدوا الإسلام كما عهدوه قادراً على الإمداد والعطاء، وفتحوا منافذ استقبال النقد دون الشتم، وقالوا

لاخوانهم: هلمّوا إلينا فانصحونا وأصدقونا، ولا تقاتلونا، فالأخوّة بيننا فريضة، والنصح لازم أساسي من لوازم الأخوة.

والقائد الخميني (قدس سره الشريف) وهو يسعى الى هذا كان يعي قضية عزل الإسلام عن السياسة والدولة، فأراد ان يثبت بالواقع لا بالحجة البلاغية فقط، فتحرك وسعى وجاهد وصابر وتحمل اذ طالته يد الإثم بالتهجير والتنكيل، فلم تثن عزيمته، ولم تلِنْ قناته، كان يستشعر ان المسلمين في هذا الميدان قسمان: قسم مجهّل وقسم محارب، والذي يقوم بالعمليتين، «التجهيل والمحاربة» هو المستكبر العالمي الذي لا يريد، بل ويرفض ان يتكلم المسلمون بالسياسة، او ان يتحدثوا عن الثورة، او عن إسلام يتضمن تشريع دولة او فقه جهاد، او حكم حركة إجتماعية فاعلة.

لقد قال الإمام الخميني في الخامس من ذي الحجة عام ١٤٠٨ اي قبل وفاته بسنة:

«إن دول الإستكبار الشرقية والغربية وبخاصة أميركا وروسيا قسمت العالم عملياً الى قسمين؛ قسم حر وقسم حجر سياسي».

وهذا ما أكده صراحة ووقاحة الكاتب الأميركي فوكوياما في كتابه (نهاية التاريخ والإنسان الاخير) اذ دعا العالم الى اتخاذ قدم ولاء في أميركا من أجل ان يعيش، والا فهو منتهٍ على حد زعمه.

وما أجمل كلام الإمام حين حلل فقال (في ١٩٧٩) بعد نجاح الثورة: «ان معاناة الشعوب الإسلامية وشعوب العالم الثالث إنما هي نتيجة لهذه المعادلة الظالمة للعالم، وليست التجزئة في العالم الإسلامي، والتبعية السياسية والإقتصادية والثقافية والأنظمة العميلة وقيام (اسرائيل) وليست مآسي المسلمين في أكثر أوطانهم سوى ثمار غير شهية لهذا النظام الدولي الفاسد».

ويتوجه الإمام الى المسلمين قائلا: «اذا لم يحل المسلمون مشكلاتهم مع ناهبي الشعوب بصورة جدية، واذا لم يوصلوا أنفسهم الى حدود القوى العظمى في العالم فهل سيكونون في أمان؟ اذن فليس أمامنا الا الجهاد».

أكرم بهذا الوعي الذي استمده الإمام من كتاب ربه وسيرة رسوله ونهج آل بيته الأطهار وصحابته الاكارم.

فهو مَن حرص على التبيان بالفعل، والفعل أقوى.

وهو من سعى الى الإرادة بالعمل والعمل أجدى.

وهو من نادى وجاهد، والجهاد اذ يعقب المناداة أمضى.

لقد انتصرت الثورة الإسلامية في إيران وضج الناس في عالم الإستكبار.. أتكون للإسلام جمهورية؟ هذا ما كنا نحذر. فلنعادِ ولنبذل الجهد للقضاء، ولنستأجر جيران هؤلاء لمقاتلتهم، ولنقل وهم يتقاتلون: الإسلام غير قادر على التوحيد، وها هم المسلمون ضد بعضهم، وعندها يغدو البأس فيما بينهم.

ويا ويل الخلاف اذا نشب بين المسلمين وتحول الى بغي وعدوان.

وسُلّط العراق على الثورة، وصمدت الثورة.

وأثيرت الإتهامات على الإمام، وصمد الإمام.

وأوغرت الصدور على الثورة والإمام، وشمخت الثورة وفاز الإمام.

كم من أقلام استؤجرت من أجل شتم الشيعة والحاقها بقافلة المجوس؟!

كم من كتب كتبت، قال مؤلفوها المأجورون: ان الإمام وثورته وجمهوريته، ثورة طائفية ضد السنة!! يا ويلهم نصبوا وثناً من بغضاء وتوجهوا اليه.

وتتابع البهتان وكثرت الإشاعات: ستسقط الثورة.. لن يقدر الشيوخ والعلماء على إدارة دفة الدولة.. وراهن المستكبر المستعمر وأُجراؤه على عدم استمرار الثورة، لكنها - بفضل الله - استمرت، وتطورت نحو الأفضل وظهرت كفاءات مدهشة كانت مكبوتة في عهد الفساد، وتنفس كثير من المظلومين في العالم الصعداء وراحوا يدرسون الثورة كظاهرة جهادية إنسانية واعية، بل دعت الثورة بحالها كثيراً من الناس الى قراءة الإسلام وإعادة النظر في منظومته العامة العقدية والعملية والفكرية.

وقاطع عالم الإستكبار الثورة، وأرادوا بها كيداً، فمن عداوة على عداوة، ومن اتهام الى اتهام، ومن وشاية الى وشاية، ولكن الثورة بصمودها نعت كل هذه المراهنات، وثابرت في طريقها البنّاء، فالصناعة تقدمت، والزراعة تحسنت، والفن علا، والمرأة سمت، والحرية تأصلت مفاهيمها وقضاياها.

اذن فلنحافظ على الثورة بدوام التثوير فينا نحو ديننا وإسلامنا، ولن نحافظ على الثورة الا اذا ثرنا على التفرقة والجهل.

لن نحافظ على الثورة الا اذا بحثنا عن الإسلام الجامع لأبنائه.

لن نحافظ على الثورة الا اذا جعلنا الحب والنصح جناحي الأخوّة المفروضة بيننا

وعلينا من خالقنا الرحيم بنا.

لن نحافظ على الثورة الا اذا وعينا خلافاتنا، واعتبرناها عامل ثراء، ووعينا خلافاتنا مع عدونا واعتبرناها سبيل جهاد.

لنكن صرحاء، فالصراحة أساس، ولنكن رحماء، فالرحمة وفاء، ولنحول عداوة غدت بيننا الى جهة عدو لدود يتربص بنا الدوائر، ولنجعل القيم الرائعة مؤسسات نرعاها حتى تستمر، ولنذكر فلسطين حتى لا ننسى الجهاد.

رحم الله الإمام الخميني ثائراً على الباطل، ومؤسساً لدولة تبغي الخير والحق ومعلماً من معه ومن بعده سبل النجاة المستوحاة من كتاب الله، وراعياً لمبادئ ديننا الحنيف، وهاجراً كل عوامل الفرقة بين المسلمين، ومنادياً كل طلاب الحق والحقيقة من أجل ان يجتمعوا تحت راية ﴿**ونريد ان نمنّ على الذين استُضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين**﴾.



شمولية النهج الخميني

العلامة السيد عبد الله نظام

الإمام الخميني (قدس سرّه) محيي الإسلام ومجدده في القرن الرابع عشر الهجري، تدلّ جميع أعماله وآثاره على عظمته وتفرده عن غيره من العلماء والمصلحين، ويذكّرنا بالأئمة الطاهرين وبالصحب المخلصين. وهب نفسه خالصة فوهبه الله فتحا عظيماً وذكراً خالداً وأثراً باقياً، واقعه أبعد غوراً وأعظم رونقاً من صنوف حديث الكتاب والباحثين، وحقيقته أعظم من أن تصفها او تصيبها أذهان المفكرين، ولقد فعل هذا الرجل ما يشبه المعجزة في القرن العشرين.

وقد كان لي الشرف في المساهمة في ندوة كيهان العربي في دمشق مع نخبة من الأساتذة حول شخصية هذا الإمام العظيم وما تمتاز به من صفات، وقد كان لي فيها شرف المشاركة بهذه المداخلة التي سأذكر فيها بعض النقاط من دون تكرار لما ذكره الأخوة الباحثون.

قلة هم الاشخاص الذين يغيرون التاريخ ولا يعتمدون الا على مميزاتهم الخاصة وقواهم الشخصية، فإنه من المتعارف ان يعتمد المغيرون لأحداثه على القوى العسكرية او الإقتصادية وأحياناً العلمية.

ولكن ان يعتمد رجل أعزل على إيمانه بربه وصدقه وإخلاصه وينجح في تغيير التاريخ، فهذا ليس من المتعارف حصوله خصوصا في هذه القرون الأخيرة التي خلت من المعجزات، والتي ما كانت لتحصل عبر التاريخ الا على أيدي الذين اصطفاهم الله عزّ

(*) باحث في الفقه والفكر الإسلامي، من علماء دمشق المعروفين.

وجلّ ورعاهم من الأنبياء والمرسلين والأئمة الصالحين، فما تمكن من إحداثه هذا الرجل العظيم يعدّ مأثرة وكرامة له من رب العالمين تدلّ على قرب منزلة وعظيم رعاية نتجا عن خلوص عظيم.

اذا أردنا ان نتكلم عن مميزات شخص الإمام الخميني (قدس سره) فلا بد ان نلاحظ مميزاته الشخصية الى جانب ميزات مشروعه وعمله ومواجهته مع القوى الاخرى، فعلى صعيد الميراث الشخصي فقد كسا الله تعالى هذا الشخص الرباني هيبة ووقاراً قلّ نظيرهما لا يكاد يجرؤ الإنسان ان ينظر اليه بملء عينيه.. تجلس أمامه وتشعر أنه قد أحاط بك وأخذ بنفسك يصدق فيه ما قاله الفرزدق في جده الإمام زين العابدين علي بن الحسين (عليهما السلام):

يُغضي حياءً ويُغضى من مهابته   فمــا يُكـلَّـم الا حين يبتسـمُ

وقد حباه الله بتصميم وعزم لا يلين مع بصيرة نافذة في الامور.

لقد كان ينظر بنور الله عزّ وجل، فهو كما قال رسول الله(ص): «إتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله». له نظرته الشمولية العميقة للأمور وصدقه والتزامه اللامحدود بالمبادئ الشرعية، وله قلب حنون رحيم بالمؤمنين وسع الأمة كلها في كل موضع للعناية والرأفة بها من دون شطط يحدّ من عزيمته والتزامه. لقد كان (رضوان الله تعالى) عليه يعيش في عمق الأمة وقلبها وكانت هي تعيش وتنبض في قلبه.

أدركت مدى عمقه في قلب الأمة مرتين؛ أولاهما في أوائل الثورة بعد أقل من عام تقريباً اثناء تجوالي في طهران، ركبت في سيارة أجرة وكان معي إثنان من الأصدقاء جلسنا في المقعد الخلفي للسيارة ولم أكن بعد قد ارتديت الزيّ الديني وجلست في المقعد الإمامي سيدة إيرانية من دون حجاب ولم يكن حينها الحجاب إلزامياً، ولم يكن مظهرها يدلّ على انها تنتمي الى فكر الثورة الإسلامية في شيء، سألها صديقي بالانكليزية؛ ما هو رأيك بالثورة الإسلامية والإمام الخميني؟ فقالت له إنني أحب هذا الرجل وأؤيده، فأجابها؛ ولكنه يظهر عليك أنك بعيدة عن فكره ومنهجه، فقالت على الفور؛ يكفيني صدقه، فهذا الرجل صادق فيما يقول.

وثانيتهما يوم تشييع جثمانه الطاهر حيث شيعته جماهير مليونية تمثل مختلف التيارات تجد الرجال والنساء الكبار والصغار حتى المعاقين. لقد هبت الأمة بأسرها لتشيّع إمامها في مظاهر عفوية لم يحصل مثيلها في كل العالم. لقد رأيت نساء نصف محجبات وهذا يدل على انهنّ غير مسلمات او انهنّ لا يتقيدن تماما بأحكام الدين فهنّ على كل حال لسن

قريبات من نهج الإمام، ورأيت عجزةً كثيرين يسيرون على أرجل صناعية او يستندون الى عصيّ خشبية وقد بدأوا في المسير الطويل من طهران الى بهشت زهراء، وهي مسافة تزيد على العشرين كيلومترا، انه الحب والتقدير الكبير لقائد الأمة الراحل.

وللإمام الخميني (قدس سره) من الناحية العملية ثلاث ميزات أخرى أولاهما ميزة في المشروع. فقد كان (رحمه الله) يحمل مشروعاً عالمياً مستمداً من عالمية الإسلام، وكان يخاطب من خلال القيم الإسلامية جميع شعوب العالم وليس فقط المسلمين لأن بوسع الجميع الاستفادة من الجوانب الإجتماعية والمعنوية ومنظومة القيم الحياتية التي تحمل في طياتها العدالة والحرية والمساواة وضرورة الوقوف بوجه الظالمين لردعهم والمطالبة بالحقوق والعيش بسلام.

لقد كان (قدس سره) رائد العولمة دون منازع في القرن العشرين ولكنها ليست العولمة الإقتصادية والسياسية والإستعمارية التي تهدف للسيطرة على العالم واستعباد الإنسان، بل العولمة الإنسانية في الفكر والمعارف الإنسانية التي تهدف الى تحرير الإنسان وحل مشكلاته الحياتية على أساس من العدالة والحرية والعيش السعيد، وهذا ما برز من خلال رسالته الى غورباتشوف وكذلك ما تبرزه طبيعة بياناته وخطاباته لقوى التحرير والشعوب المستضعفة في العالم. وثانيهما ميزة في الخدمات؛ فعلى الصعيد الإسلامي العام أعاد الإمام (قدس سره) الإسلام الى الحياة الفاعلة من جديد، وقدم المثال الذي كانت تفتقده الحالة الإسلامية. فكل التنظيرات والكتابات الإسلامية التي تتحدث عن صلاحية هذا الدين لكل زمان ومكان كانت بلا تأييد واقعي، وتمثل في نظر غير المسلمين بل وحتى بعض المسلمين حبراً على ورق ومجرد ادعاء، ولكن عندما استطاع الإمام ان يؤسس الدولة ويخوض الحرب ويحتمل الحصار الإقتصادي، وأن يقيم دولته من خلال صوت الأمة ورأيها والتي شاركت بجماهيرها بانتخاب شكل النظام وقياداته حتى قمة الهرم التي يمثلها الولي الفقيه، وعندما خاضت هذه الدولة حربها مع التخلف ونجحت في تذليل الكثير من العقبات وحل جملة من المشكلات على صعيد الكفاية الغذائية والثورة الصناعية، أثبتت عملياً صلاحية الدين الإسلامي لحل مشكلة الإنسان في كل زمان ومكان.

لقد ميّز الإمام بين الدين بمفهومه الحقيقي الرباني والدين بمفهومه الطقوسي الذي لا يغير شيئاً من الواقع ونبّه الناس الى ضرورة التمسك بالأول وعدم اقناع النفس بالثاني لأن الإسلام الرباني المحمدي الأصيل هو الذي يرتقي بالإنسان ويعالج مشكلاته ويجعله فاعلاً في مواجهة الأحداث بل يحول الإنسان المسلم الى صانع للاحداث بدل ان يكون مجرد محل لها.

وعلى صعيد خدمة آل البيت (عليهم السلام) فقد قدم الإمام (قدس سره) ثورته القائمة على نهجهم وفقههم وفكرهم، وأثبت بما لا يدع مجالاً للشك بأن طريق آل البيت هو الطريق الأمثل لفهم هذا الدين والتعبير عن قيمه وفكره. كيف لا؟ وهم بموجب حديث الثقلين المروي عند جميع المسلمين عدل الكتاب الكريم وحملة علمه وفقهه لا يفارقهم ولا يفارقونه الى آخر الدهر. قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «اني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا؛ كتاب الله وعترتي آل بيتي، فانهما لن يفترقا حتى يرِدا عليّ الحوض».

وأما على صعيد خدمة المستضعفين في العالم، فإن الإمام (قدس سره) قد حوّل الخطاب السياسي من مخاطبة المستكبر والمستعمر ونهيه ان يكون ظالماً وغاصباً وهو الشيء الذي أثبتت الأحداث دوماً فشله حيث أن المستعمرين والمستكبرين لا يعطون أذناً صاغية أبداً لهذا الخطاب الى مخاطبة المستضعف من خلال إعادة طرح مقولة جده أمير المؤمنين علي (عليه السلام): «لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً» فنادى في جميع المستضعفين لينهضوا في وجه المستكبرين والمحتلين وينفضوا غبار الذل عن أنفسهم لينتزعوا حريتهم وحقوقهم من أيدي الغاصبين.

وثالثتهما؛ شمولية المواجهة اذ خاض الإمام (قدس سرّه) في آن معاً حرباً عسكرية وأخرى إقتصادية من خلال الحصار الإقتصادي الذي مورس على الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وثالثة ثقافية وإعلامية. ولم تشغله واحدة عن إعطاء التوجيهات اللازمة للاخرى. فإلى جانب اهتمامه بجبهات القتال والتوجيهات لحشد الطاقات للدفاع وتعبئة المعنويات في هذا المجال كان أيضاً مهتما بتربية الأجيال وتوجيه الشعب وانتقاء المفاهيم التي يجب أن تتعمق وتخلد في قلب الأمة، كما كان أيضاً يعطي التوجيهات للمسؤولين بالإهتمام بالطبقات الفقيرة وذوي الدخل المحدود والتصدي لعلاج المشكلات الحياتية والعمرانية بما يتناسب مع مصالح تلك الطبقات وتهيئة كل مستلزمات الحياة الأساسية لهم.

انه باختصار نسيجُ وحده ومجدد هذا الدين في القرن الخامس عشر الهجري، وأعظم داخل فيه بتجربة جديدة فذة، وأكثر ملهم لصحوة إسلامية عارمة تطل على القرن الحادي والعشرين الميلادي.



مشروع قراءة في الفكر الإنساني للامام الخميني

الدكتور مطانيوس حبيب

الإمام الخميني علم من أعلام القرن العشرين استطاع بنفاذ بصيرته وشدة إيمانه، بحكمته وعمق ارتباطه بالشعب ان ينتصر على اشد انظمة الحكم بطشا وان يقلب ميزان القوى في الشرق الاوسط. فانتصار الثورة الإسلامية في إيران ليس مجرد قلب نظام الحكم الشاهنشاهي الجائر وتحرير إرادة الشعب الإيراني من التحكم والاستبداد، انه انتصار لإرادة الخير ضد الباطل، انتصار لحقوق الشعوب ضد إرادة الحكام الجائرين وفوق كل هذا وذاك انه تهديم لاحد رأسي الجسر الامبرياليين في منطقة الشرق الاوسط واطلاق امكانية تطور دول المنطقة في مسار بعيد عن التبعية والهيمنة.. لقد تأكد انتصار الثورة الإسلامية الإيرانية بعد فشل الحرب المجنونة التي افتعلها الرئيس العراقي بايحاء ودعم من القوى الامبريالية الغربية، في اطفاء شعلة الثورة او حتى اضعاف نورها. فقد اجبرت الولايات المتحدة الأميركية على افتعال حرب الخليج [الفارسي] الثانية التي اشعلها أيضاً الرئيس العراقي صدام حسين، من اجل اعطاء المبررات الضرورية للولايات المتحدة في نشر قواتها على تراب الدول العربية الخليجية حمايةً لمصالح الغرب البترولية في المنطقة.

واذا كانت الامبريالية الأميركية قد حققت خرقا في هذا المجال واستطاعت ان تسجل بعض النقاط في صراعها ضد حقوق شعوب المنطقة، فان مسيرة الثورة الإسلامية الإيرانية وحكمة قادتها والمرونة التي تبديها في علاقاتها مع جوارها العربي المسلم وروح المصالحة التي سادت اجواء مؤتمر القمة الإسلامية في طهران ومن ثم الزيارة التاريخية التي قام بها السيد محمد خاتمي رئيس جمهورية إيران الإسلامية الى بعض الدول العربية وبخاصة الى

(*) وزير نفط سابق وأستاذ في كلية الإقتصاد في جامعة دمشق - من كبار الشخصيات المسيحية في سورية.

المملكة العربية السعودية من شأن كل ذلك ان يسحب البساط من تحت اقدام الامبريالية الأميركية ويربك استمرار تواجد قواتها وحلفائها في المنطقة.

صحيح ان الإمام غاب عن الابصار ولكنه مازال ويبقى دائما ماثلا في البصائر رائدا من رواد الدعوة لاعلاء شأن الإنسان وحفظ كرامته. وما يقوم به قادة الثورة الإيرانية الإسلامية اليوم من مبادرات، محاولة تسوية الأمور مع العراق رأفة بشعبه العربي المسلم، وتوثيق العلاقة مع سورية المكافحة ضد الهيمنة الامبريالية الصهيونية على المنطقة والصامدة في وجه العدوان الصهيوني الغاشم والمدافعة عن حقوق العرب والمسلمين في اراضهيم ومقدساتهم اضافة الى السعي الدائم لتنقية الاجواء العربية الإيرانية والإسلامية الإسلامية، ما هو الا بعض التراث الذي تركه الإمام الغائب الحاضر. من شأن هذه المسيرة التي تعد التزاما بوصية الإمام الخميني التي تركها كنزا لقيادات الثورة الإسلامية ان تقوي من مواقف الشعوب في نضالها لنيل حقوقها. فقد اوصى سماحته في الوصية الإلهية السياسية ان «اسعوا في تحسين العلاقات مع الدول الإسلامية وايقاظ رجال الحكم وادعوا الى الوحدة والاتحاد». كما كان دائما يؤكد على ان تحسين العلاقات بين الدول من صفات الحاكم الضرورية مشيرا الى قول الإمام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب(ع) «وقد علمتم انه لا ينبغي ان يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم والاحكام وإمامة المسلمين البخيل، فتكون أموالهم نَهمه، ولا الجاهل فيضلهم بجهله، ولا الجافي فيقطعهم بجفائه، ولا الحائف للدول فيتخذ قوما دون قوم ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق ويقف بها دون المقاطع، ولا المعطل للسنة فيهلك الأمة»[1].

من يتعمق في قراءة أفكار الخميني ويحلل أبعاد وآفاق طروحاته الإنسانية سيجد نفسه في تساؤل مشروع عما اذا كان الإمام، فيما هو عليه من تقربه من الناس وتكريس حياته لخدمتهم، مجرد انسان ام انه يشغل مرتبة اعلى ترقى الى مرتبة الانبياء والصالحين. فتركيزه في كتابه؛ (الحكومة الإسلامية) على تعريف الإسلام بانه «دين المجاهدين الساعين للحق والعدالة، دين اولئك الذين ينشدون الحرية والاستقلال، انه عقيدة المناضلين والمعادين للإستعمار» (ص٤٤) وتأكيده بأن حل المشاكل الإجتماعية لا يكون في تحصيل القوة المادية او الثروة والسيطرة على الطبيعة فحسب بل «يحتاج الى الإيمان والأخلاق الإسلامية ليكتمل ويعتدل ويكون في خدمة الإنسان»(ص ٥٤).

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٣١ اوردها سماحة الإمام في كتاب (الحكومة الإسلامية) اصدار مركز بقية الله الاعظم(ع) بيروت عام ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م – ص ٩٢ .

وقوله: «نحن مكلفون بإنقاذ الشعب المظلوم والمحروم، نحن مكلفون بأن ندعم المظلومين وان نكون اعداء الظالمين». وهو في اقتدائه بالإمام علي وإدراكه ان غاية الحكم تتحدد بقول أمير المؤمنين(ع) «لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر، وما اخذ الله على العلماء ان لا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم، لألقيتُ حلبها على غاربها، ولسقيت آخرها بكأس أولها، ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز».

فنضال الإمام وتحمله النفي والاغتراب لم يكن طلبا للسلطة او سعيا وراء رغد العيش، والا لكان النظام الشاهنشاهي استطاع ان يجد الوسائل لإقناعه بالموالاة، وانما كان نضاله لإحقاق الحق وإقامة العدل ورفع راية الإسلام، وتوصيل رسالته الى العالم. وهو الذي اشترط في الحاكم توافر امرين:

١- العلم بالقانون

٢- العدالة

ويرى ان «تولي أمر الحكومة في حد ذاته ليس مرتبة ومقاما، وانما مجرد وسيلة للقيام بوظيفة الاحكام واقامة نظام الإسلام العادل» عملا بقول امير المؤمنين(ع) لابن عباس عن الحكومة؛ «ما قيمة هذا النعل؟ فقال ابن عباس لا قيمة لها. فقال (ع) والله لهي احب الي من امرتكم، الا ان اقيم حقا او ادفع باطلا». فالعدالة عند الإمام، كما عند كل الاولياء الصالحين، هي التصرف في العلاقات مع الدول وفي التعامل مع الناس ومعاشرتهم، وفي القضاء وتقسيم الارزاق والموارد العامة كما كان يتصرف امير المؤمنين(ع) ، ووفقا للنهج الذي عينه(ع) في عهده لمالك الاشتر ومن خلاله لجميع الحكام والولاة (ص ٩٢) . وقد عبر الإمام الخميني عن هذه التصرفات في كل مراحل حياته في معارضته لنظام الشاه او في توليه ولاية الجمهورية الإسلامية.

ويروى أنه في عام ١٩٧٨ وهو في منفاه في فرنسة وبمناسبة عيد رأس السنة الميلادية أسرع بتوجيه تهنئة الى مسيحيي العالم وأوعز سماحته بتوزيع جميع الهدايا التي حملها الزوار الإيرانيون ومن بينها الفستق واللوز والمنّ والسلوى والحلويات وغيرها، على أهل حي نوفيل لوشاتو حيث كان يقيم في ضاحية باريس[٢].

ولا يتوجه الإمام في وصيته الإلهية السياسية الى الشعب الإيراني فحسب بل الى

(٢) مجلة الفجر (نشرة خاصة اصدرتها سفارة الجمهورية الإسلامية الإيرانية بدمشق في الذكرى التاسعة عشرة لانتصار الثورة الإسلامية). ١٤ شوال / ١٤١٨ هـ.ق ص ٢٤ .

الشعوب المظلومة والشعب الإيراني ويقول: «ومن اللازم ان اذكر بأن وصيتي السياسية الإلهية لا تختص بالشعب الإيراني العظيم الشأن، بل هي وصية لجميع الشعوب الإسلامية ومظلومي العالم من اي شعب ودين» (ص١٢).

ويتبدى الجانب الإنساني في فكر الإمام اكثر ما يتجلى في الوصية التي تركها الى الإنسانية جمعاء بعد رحيله، تركها لا سعيا وراء كسب التأييد ولا توسلا لجاه زمني زائل، بل تركها لتتلى بعد غيابه ولتبقى رسالة بين الرسائل لخير الإنسانية واحقاق الحق.

في هذه الوصية يؤكد سماحة الإمام ان مكافحة الظلم عبادة وان احقاق الحق عبادة وان مقاومة الدكتاتورية عبادة فقد كتب في وصيته: «واما حكومة الحق لنفع المستضعفين والحيلولة دون الظلم والجور وإقامة العدالة الإجتماعية كما فعل سليمان بن داود ونبي الإسلام العظيم الشأن (صلى الله عليه وآله وسلم) وأوصياؤه العظام فانه من اعظم الواجبات واقامتها من اسمى العبادات[٣].

كما أوصى مجلس الشورى والحكومة بضرورة الاهتمام بالشعب وخصوصا المستضعفين والمحرومين والمضطهدين، وكان دائما يقول بمراعاة أوضاع الاقليات وتمكينهم من بلوغ حقوقهم التي كفلها لهم الإسلام عملا بقوله تعالى: **﴿وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه ومن لم يحكم بما انزل الله فاؤلئك هم الفاسقون﴾** [المائدة ٤٧] وقوله تعالى: **﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة﴾** [المائدة ٤٨].

ويروي سماحة الإمام عن امير المؤمنين (ع) عندما يسمع بأن جيش معاوية قد انتزع سواراً من معصم امرأة ذمية يبلغ به حد الانزعاج والأسى الى ان يقول في خطبته: «فلو ان مسلما مات من بعد هذا أسفا ما كان ملوما به بل كان به عندي جديرا»(نهج البلاغة).

وكانت مواقف الإمام الخميني في الدفاع عن الحق مشهودا لها فما ان انتصرت الثورة الإسلامية حتى سارعت للانتصار للحق الفلسطيني المسلوب وحولت سفارة (اسرائيل) في طهران مقرا لمنظمة التحرير الفلسطينية واعتبرت قضية فلسطين قضية جميع المسلمين في العالم وكانت مواقفه ضد الإستكبار العالمي وادانته لحرب فيتنام شاهدا آخر على تجذر الفكر الإنساني عند الإمام الخميني، ينظر الى الإنسان بصرف النظر عن دينه وجنسه ويكفي انه مؤمن بالله الواحد الاحد. وحتى في نضاله ضد الإستكبار والملحدين كان

(٣) الوصية الإلهية السياسية مرجع سابق ص ٢٢ .

اشفاقا عليهم ورسالته الى غورباتشوف الامين العام للحزب الشيوعي السوفييتي التي يدعوه فيها الى التأمل بقدرة الخالق والعودة الى الإيمان حماية للمجتمع الروسي من الانهيار والانحلال، خير شاهد على ذلك.

ان اعتقال سماحة الإمام لمدة عشرة أشهر لم يثنه عن مواصلة جهاده عبر خطاباته الفاضحة لنظام الشاه والمدافعة عن حقوق الشعب المضطهد فقد كان سماحته يستهين بالتعب والعذاب في سبيل خدمة الشعب والدفاع عن الحق والعدالة. فقد عاش حياته كلها وكرسها لحمل الرسالة الإسلامية بكل ابعادها الاخلاقية والإجتماعية والسياسية والعبادية.

ومن منفاه في النجف الشريف لم يكن انشغال سماحة الإمام بتدريس الفقه ومتابعة غرس القيم الإسلامية في نفوس تلامذته ومريديه وعبر كتبه ومقالاته ليشغله عن تتبع اوضاع عوائل الشهداء والطبقات الشعبية واحوال السجناء السياسيين في إيران.

فقد كانت إنسانيته المستفيضة تشغله بآلام الآخرين ومعاناتهم عن معاناة النفي والحنين الى الوطن. كما اغتنم وجوده في الخارج طوال مدة نفيه ليعمق اتصاله بالعالم الخارجي وتعريف هذا العالم بعظمة الإسلام ورسالته. وبلغت إنسانية الإمام ان وصف شهادة ابنه البكر آية الله السيد مصطفى الخميني بأنها من «الالطاف الإلهية الخفية» ما دامت قد الهبت الشارع الإيراني وتسببت في اندلاع الانتفاضات الجماهيرية كمقدمة ضرورية لتحرير الشعب من تسلط الحكم الشاهنشاهي. لقد كان تحرير الشعب الإيراني وتخفيف آلام المظلومين اول اهتمامات الإمام وقبل النفي والانتقال من منفى الى آخر من تركيا الى العراق، فالكويت، ففرنسة، وقاوم كل الضغوط واعلن انه لن يتخلى عن أهدافه حتى ولو اضطره ذلك الى التنقل من مطار الى آخر ومن بلد الى آخر.

كان إيمان الإمام بعدالة النضال وصموده في وجه كل الضغوط والاضطهادات، القوة المحركة لجماهير إيران التي حطمت عرش الشاه وأقامت حكومة الثورة الإسلامية. لقد تغير وجه منطقة الشرق الاوسط مع انهيار نظام الشاه وقيام الجمهورية الإسلامية في إيران.

وبالرغم من مقاربته التسعين من عمره ظل سماحته حريصا على اللقاء بطبقات الشعب وبخاصة المحرومة منها والمستضعفة فقد بقي له حتى الاسابيع الاخيرة من عمره لقاء أسبوعي مع عوائل الشهداء ومع افراد من الطبقات المحرومة للتعرف على اوضاعهم وايجاد الحلول لمشاكلهم.. دون ان يغير أسلوب حياته وبساطة معيشته ليستبقي في ذهنه اوضاع الفقراء وليؤكد زهده في الحياة..

لقد دهش الصحافيون الاجانب الذين سُمح لهم بعد رحيل الإمام بزيارة محل اقامة

سماحته لمشاهدتهم البيت المتواضع وأسلوب المعيشة البسيطة التي كان يعيشها مجسدا بذلك قوله: «وبعد عصر الائمة جاء دور الفقهاء. الفقهاء الملتزمون الذين عرفوا الإسلام وتبصروا فيه واتصفوا بالزهد والاعراض عن الدنيا وعدم الاغترار بزخرفها وزبرجها، والاخلاص للامة والتحرق لأجلها والشفقة عليها واولئك الذين ينظرون الى الناس كما ينظرون الى ابنائهم. هؤلاء هم الذين عينهم الائمة لحراسة هذه الأمة ورعايتها.. (الحكومة الإسلامية ص ٢٢).

ولمثل هذا البعد الإنساني الشمولي وتجسيده في سلوك الإمام ودفاعه عنه وقفت الدول الامبريالية ضد الثورة الإسلامية التي بسلوكها ودفاعها عن المستضعفين والمظلومين تفضح مواقف الدول الامبريالية ولهذا فاننا لا نستبعد الضجة المفتعلة في قضية توقيف ثلاثة عشر شخصا من الجواسيس المتهمين بالتجسس لصالح (اسرائيل) وتدخل أطراف كثيرة لإطلاق سراحهم بذريعة الدفاع عن حقوق الإنسان. والغريب ان هذه الضجة التي تتخذ من حقوق الإنسان ذريعة لها، لا تأخذ بالحسبان السلوك الشائن لهؤلاء الجواسيس وتعريضهم للخطر الامن القومي لدولة مستقلة ذات سيادة خدمةً لدولة معتدية وعدوة للشعب الإيراني وشعوب المنطقة.

ويا لها من مفارقة تعلّق على «شماعة حقوق الإنسان» في انه يحق لأميركا الدولة الحليفة بل والحامية لـ(إسرائيل) ان تحاكم الجاسوس الأميركي المنتمي للطائفة اليهودية (جوناثان بولارد) وترفض كل الضغوط للافراج عنه بحجة مساسه بالأمن القومي الأميركي وتقديم معلومات لدولة اجنبية وهذه الدولة هي صديقة اصلا لأميركا ويمكنها ان تحصل على هذه المعلومات دون تجسس، وفي ذات الوقت ينكر على الجمهورية الإسلامية ان تحاكم مواطنيها الذين يتجسسون لحساب دولة عدوة لا تنقطع عن جمع المعلومات عن إيران وتختلق روايات لاستغلالها لضرب هذا البلد الصامد والمدافع عن الحق والعدالة.

لقد كان الإمام الخميني منارة هداية في الدفاع عن الحق والعدالة يجسد القيم الإنسانية النابعة من الإسلام العظيم في سلوكه وتعاليمه في فكره الديني والسياسي وبخاصة في وصيته التي تركها للاجيال من بعده.

الفقيه الثائر في الزمن الصعب

العلامة الدكتور وهبة الزحيلي

كان وما زال الإمام الخميني(رض) مؤسس الجمهورية الإسلامية في إيران عظيم الربع الأخير من القرن العشرين. فلم تتمخض هذه الحقبة الزمنية عن مَثل او نظير له، وعظمته نبعت من لغز عميق الفهم والإدراك، لأن مفكري الغرب والشرق ممن لا يدركون عمق سرّ الإسلام، تنبأوا بفشل محاولاته وسقوط أعماله، غير ان الواقع القائم على البرهان والإحصائيات والإنجازات، أثبت عكس تصورهم، فقفزت الجمهورية الإسلامية في إيران فوق الأحداث، وقلبت موازين ومعايير السياسة الدولية ومفاهيم الاستراتيجية الغربية.

ان الإسلام العظيم الذي يدرك عظمته وفحواه وروحه الكبرى رجل مثل الإمام الخميني الذي تربى في أحضان الفكر الإسلامي الحصيف، هو الذي أمده بقوة وطاقة بنّاءة، تجاوزت كل المفاهيم والحسابات، وكان التوفيق الإلهي ملازما له، وآخذا بيده نحو القمة والذروة العليا من بناء دولة حديثة، نسيجها الإسلام، وغايتها إثبات صلاحية هذا الدين لإقامة دولة شامخة يُحسب لها حسابها.

لقد ترك الخميني بصمات ثابتة على الحياة الإسلامية والإنسانية والدولية، عبّرت عن مضامين شريعة الله في عصر جعل قيام الدول المعاصرة يعتمد على المكر والخداع، والمادة الطاغية، والقوى الغاشمة والاستكبار، والاقتصار على متانة الإقتصاد، ولكن ذلك كله الى دمار.

أما في الميزان الإسلامي، فان نجاح الإمام الخميني في ثورته ضد شاه إيران يعدُّ

(*) رئيس قسم الفقه الإسلامي في كلية الشريعة - جامعة دمشق، صاحب مؤلف (التفسير المنير للقرآن).

معجزة، حيث أقام دولة على مفهوم ديني، وأي دين؟ أهو أي دين آخر غير الإسلام الذي شوّه معالم الفكر الديني من بداية الثورة الصناعية في الغرب في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي والى يومنا هذا؟ إنه الدين الإلهي الخالد النابع من القرآن الكريم والسنّة النبوية الشريفة اللذين ان أدركهما مدرك واع ومخلص، حقق النجاح والتفوق وتغيير المفاهيم السائدة.

انه الدين الصالح لكل زمان ومكان في العقيدة والعبادة ومنهج الحياة السياسية والإجتماعية والإقتصادية والثقافية والتربوية.

وكان إنجاز الإمام الخميني ترجمة هذا التصور او المبدأ الى حقيقة واقعة، كما كان انجازه مفخرة عبرت عن القيم الإنسانية الخالدة المستقرة في الإسلام، حيث تشع منه آثار الرحمة والمحبة والأخوة والمودة والتعايش السلمي بين الجماعات المذهبية المتعددة، وينجم عن هذه القيم بناء إقتصاد متوازن عادل يستمتع الجميع بعطائه، ويحارب أفكار الاستغلال والاحتكار والأطماع والتكتلات الإحتكارية الرأسمالية.

وعبّر الخميني بعمله العظيم ان علماء الإسلام قادرون على تأسيس صرح دولة حضارية قوية الأركان، تتميز بالجمع بين الأصالة والمعاصرة، وبين الماديات والروحانيات وبين العمل للدنيا والعمل للآخرة.

وكان نجاح السيد الخميني (رحمه الله) في إقامة دولة الإسلام، مدخلاً جديداً في الفهم الدولي المعاصر، وهو احتضان مبادئ الإسلام الشاملة، وإقامة نظام متوازن قوي، ينافس النظامين العالميين: الرأسمالي والإشتراكي، اللذين هما في الواقع علمانيان بعيدان عن المفاهيم الدينية، بل ومعاديان لكل تصور ديني.

ان الدول القوية في عصرنا ممثلة في أميركا وأوربا في الدرجة الأولى تحسب ان السيطرة على العالم انما تتم من خلال تصوراتهم ومفاهيمهم وقواتهم وإقتصادياتهم القائمة على التدخل في شؤون الدول الضعيفة، وافتعال الأزمات والمشكلات والعثرات التي تطوقها به، واحتضان مبدأ حماية (إسرائيل) رأس الحربة لطعن شعوب المنطقة العربية والإسلامية.

فاذا ما شذت دولة عن هذا التوجه، تعرضت للضرب والقصف والحصار الإقتصادي، وتطويق الانتاج بمختلف أنواعه، وهذا ما تفعله الدول الغربية الآن في حصار السودان وليبيا وإيران والعراق، وهو لا يبتعد عن قصف يوغسلافيا بذريعة كوسوفو.

غير ان صيحة الإمام الخميني في مؤازرة شؤون المستضعفين في العالم، ومتابعة مقاومة (إسرائيل) وفضح مؤامرات الصهيونية العالمية والاستكبار العالمي والعولمة وإقامة ما سمّوه بالنظام العالمي الحديث القائم على تفرد أميركا وأتباعها بالهيمنة على الشعوب، وبخاصة شعوب منطقة الخليج [الفارسي] والبلاد الإسلامية والعربية الأخرى، كل ذلك ألجم قادة أميركا والغرب، وأصبح من المحقق ضرورة احترام استقلال هذه الشعوب، ومنع التسلط على مقدراتها وثرواتها، واستعبادها، وتقويض أركان دعائم الشيطان الأكبر: أميركا.

ان الإسلام الذي آمن به الإمام الخميني ورجال دولته هو الذي استمدوا منه قوتهم ومفاهيمهم، واستبان لهم أنه لابد من هزيمة التسلط الأميركي - الصهيوني، واسترداد الحقوق المغتصبة في فلسطين الجريحة، ومناصرة المستضعفين والمعذبين والمشردين والمطرودين في العالم كله، ولا سيما سكان فلسطين من العرب والمسلمين.

ومما لاشك فيه ان هذه التطورات التي نشاهدها في المنطقة الإسلامية والعربية، وتطويق أطماع الصهيونية والرأسمالية (الإمبريالية) يعود الفضل في إيجادها لمخطط الإمام الخميني وزمن دولته الرائدة المعبرة عن الوجود الإسلامي القوي والفهم الإسلامي الأبي، والجهاد الإسلامي الذي لن تنتكس رايته، وسيعقبه النصر بمشيئة الله على المنهج القرآني: ﴿**إن تنصروا الله ينصركم ويثبّت أقدامكم**﴾ [محمد:٧] وقد بدأت تباشير هذا النصر بانسحاب (إسرائيل) من مدينة (جزين) في الجنوب اللبناني في ١٩٩٩/٦/٥ .

نجح الإمام الخميني على المستوى الداخلي والخارجي والعالمي والإسلامي، فخلّص الشعب الإيراني من مظالم الشاه وفساد حكمه وأقام الجمهورية الإسلامية القوية، ودعا الى وحدة الأمة الإسلامية، لتتمكن من الصمود أمام غطرسة الإستكبار العالمي بقيادة أميركا.

واستطاع بفضل إيمانه الراسخ، وإخلاصه لله ربه، واعتزازه بدينه ومقومات أمته ان ينفذ الى قلوب العالم الإسلامي، فيستقطب محبتهم ومشاعرهم الأخّاذة، ويوجهها وجهة واحدة، لحماية مصالحها، واستقلالها الذاتي وبلادها، والتحكم في مصير ثرواتها، وتمكنها من أداء دور عالمي رفيع المستوى، وذلك من خلال المنطلقات او الأسس التالية:

أ - إدراكه قوة الأمة الإسلامية فكرياً وإجتماعياً وإقتصادياً وعقدياً وثقافياً وسياسياً، وهذه القوة تستطيع بها إثبات الذات، والدفاع عن القيم الإسلامية العليا، والانطلاق في ترسيخ أسس الدعوة الإسلامية في العالم المعاصر وفي كل زمان ومكان، انطلاقا من قول الله تبارك وتعالى: ﴿**ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون**﴾ [آل عمران:١٠٤].

ب - إمكان علاج مرض الأمة الإسلامية، وتجاوز مرحلة ضعفها الانية، وتخطي مظاهر تخلفها، وإصلاح سوء أوضاعها الحالية، وليس الأمر عسيراً، بل هو ممكن بالعودة الى تبني تعاليم الإسلام الراسخة في العزة والمكانة، والعمل على وحدة الصف، والتعاون فيما بينها تعاوناً أوثق لحل مشكلاتها الإقتصادية والإجتماعية، وبناء نهضة قوية تبدأ من الزراعة والصناعة المتطورة، ثم برمجة محاور النهضة والتخطيط لها في جميع الميادين عملاً بالآية القرآنية الكريمة **﴿وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم﴾** [الحج:٧٨].

ج - القدرة الذاتية عند الشعوب الإسلامية للتخلص من هيمنة العالم الغربي، والإستكبار العالمي بزعامة أميركا، وتقليص تدخلها في شؤون الأمة العربية والإسلامية، وإلجامها وإنهاء نفوذها واستراق ثروات المسلمين النفطية والمعدنية وغيرها، والاستغناء عن إقتصادياتها، ومقاطعتها مقاطعة مبرمجة وحكيمة وقوية، وطريق ذلك كله يبدأ من تخليص الشعب والقادة من الشعور بالتخلف، والتخلص من عقدة النقص، والاستعداد للبناء والعمران والعمل الجاد، فإن أميركا ودول الغرب - وريثة الحضارة الرومانية ومبادئها - لا تؤمن ولا تحترم غير القوة المادية، وهي قوة يمكن تحقيقها، وان يضم اليها القوى الروحانية الشديدة التي تحمي التطلعات، وتؤدي الى التماسك والصبر والجدّ والعزيمة في تنفيذ المخططات، والتي يفتقدها العالم الغربي والشرقي برمته.

ومقومات هذه الخطة: العودة الى دمج الدين بالدولة، وإنهاء أسطورة الغرب التي روّجها المشبوهون وتلامذة المستشرقين وأدعياء الحرية والوطنية والتقدم، وهي مبدأ فصل الدين عن الدولة، الذي نجح في الغرب نجاحاً طبيعياً، لأن المسيحية تدعو الى هذا الفصل وتباركه، ولأن الكنيسة وقفت أمام النظريات العلمية، وتقدم الحياة.. أما الإسلام ورجاله فلا يعرفون هذه الآراء، ويؤمنون بتلازم المسيرتين: الدينية والدنيوية، فهما يخدمان بإخلاص تطلعات الأجيال وبناء حضارة الأمة، فكان لابد من إسقاط هذا الشعار.

والأساس الإسلامي الواضح في الدعوة الى هذه الخطة النهضوية القوية: هو ماجاء في التنزيل الحكيم: **﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوي عزيز﴾** [الحديد:٢٥] والحديد رمز المعادن كلها أساس النهضة الصناعية، فإلى متى يغفو القادة، ثم تستيقظ الأمة للعودة الى هذا الصراط القويم؟



الحكومة الإسلامية وطرائق تحقيقها في فكر الإمام الخميني

الدكتور محمد جمال طحان

عندما أطلقت تركيا – أتاتورك تهديداتها باتجاه سورية نتيجة اشتباه وقوفها الى جانب القضية الكردية، أرسلت الجمهورية الإسلامية الإيرانية وفودها الى سورية وتركيا ملوّحة بعصا التضامن السوري الإيراني مما جعل تركيا تدفن نار ثورتها بالرماد.

ان التقارب السوري الإيراني جعلنا نشعر بالزهو والاعتزاز وأبعد عنا غيمة الإعتداء الذي كان وشيكاً.

الجمهورية الإسلامية الإيرانية ذكرتني بأهمية ان تكون في دولة قوية تستطيع ان تحصّن نفسها من غدر الهجمات الخارجية. والشعور بالقوة يمنح الكرامة بعداً إيجابياً يتصف بالأمان مما يهبنا القدرة على الثبات عند مواقفنا التي تناصر الخير والحق من غير خوف او تردد او استكانة ،كما يوفر لدينا طاقة كبيرة على العمل والابداع.

فكيف استطاعت الجمهورية الإسلامية ان تشق طريقها وسط هجمات الغرب الإستعمارية ومن أين استمدت القدرة البنائية لتواصل السعي كي تصبح نداً للدول العظمى(**)؟

هذا ما نحاول الإجابة عنه من خلال بحثنا في فكر واحد من أهم الشخصيات الإصلاحية الإسلامية التي استطاعت ان تحوّل الفكر النظري الى واقع عملي مجسَّد عبر نضال دؤوب، ونعني بذلك الإمام الخميني والثورة الإيرانية.

(*) دكتوراه فلسفة - باحث في الفكر العربي والاسلامي / حلب

(**) يستحسن الرجوع الى ملحق الاسبوع الأدبي، عدد خاص بمناسبة الذكرى العشرين لانتصار الثورة الإسلامية في إيران . السبت ٢٧ شوال هـ- ٩٩\٢\١٣ العدد ٦٤٧.

ان للأفكار قدرة على تغيير العالم(**) حيث يلتقطها مفكر ويذهب بها الى أبعد مدى عبر جهد مرير يتطلع الى تحقيق هدف منشود.

ولأن الأسس النظرية والممارسة العملية للثورة الإيرانية قام بها كثيرون وقدّم لها الإمام الخميني الكثير مما لا يمكننا الإحاطة به هنا في هذا البحث المقتضب، لذلك نكتفي بالإشارة الى بعض القواعد النظرية التي أرساها الإمام الخميني في انطلاقة حياته الغنية بالنضال، والحافلة بالتنوع الذي يمتح من نظرة إسلامية متكاملة لشؤون الإنسان والحياة.

ومن القرآن الكريم ذلك الكتاب الكوني الفذ، استخلص الإمام الخميني أصول الحكم الإسلامي وطرائق الوصول اليه، واستطاع بشخصيته التاريخية أن يحرك القلوب والعقول من حوله لتشد العزم على النضال المرير في سبيل إنجاح الثورة الإسلامية في إيران.

ان الله تعالى يقول عن نفسه وهو أصدق القائلين ﴿**واذا سألك عبادي عنّي فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان**﴾[1]. وهو يشد أزر الذين يسعون كي يطبقوا القانون الذي رسمه للعالمين وبيّن لهم الحق من الباطل ﴿... **قد تبيّن الرشد من الغيّ**﴾[2].

محاربة الطغيان

لقد عانى المسلمون من تسلط استبدادي مرير طوال فترات كثيرة من تاريخهم، وكان بديل الاستبداد في الفكر الإسلامي منذ (معاوية) أي منذ شذّت الخلافة عن أصلها، هو العودة الى الينابيع الأولى للشرع الإسلامي: التقيد بالشورى وتنفيذ أحكام الشريعة التي تطالب بتحقيق العدل والمساواة بين الناس.

ونادى الإسلام بضرورة الالتزام بروح الشريعة الإسلامية التي ترى الشورى من دعائم الإيمان، اذ قُرنت في القرآن بالصلاة والإنفاق حسب ما جاء في سورة الشورى: ﴿**والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون**﴾[3]. كما قيّد القرآن الكريم السلطة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبوجوب الإجماع الذي لا يخطئ، وذلك كله لتحقيق العدالة والمساواة بين الناس أجمعين من دون تمييز الا بأفضلية من يتجنب الشر ويدعو الى الخير.

لقد كان النظام السياسي في ظل الخلافة الإسلامية، يمنح السلطة نظريا للأمة الشارعة

(**) اشارة الى برنامج أسبوعي يعده الباحث في اذاعة دمشق بعنوان «افكار غيرت العالم» ويُبث كل يوم سبت من إذاعة صوت الشعب.
(١) سورة البقرة٢\١٨٦.
(٢) سورة البقرة ٢\٢٥٦.
(٣) سورة الشورى ٤٢\٣٨.

ولم يكن الخليفة الا سلطة تنفيذية وظيفتها حفظ الشريعة وتطبيق أحكامها المبنية على مبدأ المساواة التامة بين الناس، وكل الحركات التي قامت كان هدفها ان تعيد الأمور الى نصابها ليعود الخلفاء الى رشدهم ويعرفوا الحدود[٤].

في الفترة الأموية انتشر الفساد ولكن مع ذلك بقي الالتزام الشكلي والرسمي بالقانون. وتم وصول الموالي الى سدّة الحكم في الفترة العباسية ونشوء نظام الجواري. ولم تكن يوتوبيات (الفارابي) و(ابن سينا) أكثر من توفيقية أُريد منها إضفاء تسميات جديدة على فكرة الحاكم الفرد القديمة.

ان العرب لم يعرفوا السياسة المدنية في أثينا، بل عرفوا المدن الفاضلة كيوتوبيا لا تنقسم الى أشكال حكم بل الى مدن فاضلة ومدن مضادة. وما نظرية الفيض الا محاولة مستمدة من الواقع العربي متأثرة بما حولها من ثقافات كانت في طليعتها الثقافة الفارسية.

في الفترة العثمانية جرى الاستبداد السافر بالسلطة، ومع ذلك ظل ضمن حدود الاعتراف بالشريعة شكلياً. لذلك فقد أصر (ابن خلدون) على تفضيل الحكومة الدينية التي تستند الى القوانين الإلهية.

ومن منطلق مماثل يقرر الخميني انه: «يجب على الفقهاء ان يفضحوا الحكام الجائرين ويوقظوا الناس من خلال جهادهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر حتى تقوم الجماهير الواعية من خلال نهضتها الشاملة بإسقاط الحكومة الجائرة وإقامة الحكومة الإسلامية»[٥].

أما اذا استمر التواني وأفرط الناس في التهرب والكسل والخوف حرصاً على حياة دنيئة تعيسة، فإن اللوم لن ينفع بعد ذلك في شيء.

وبداية محاربة الاستبداد تكون من خلال نداء الخميني الذي يوضحه بالقول: «لنقطع علاقتنا بالمؤسسات الحكومية ونمتنع عن التعاون معها ونرفض القيام بكل ما من شأنه ان يعدّ عوناً لها»[٦].

ومن هنا يكون البدء بالمقاومة السلبية تمهيداً للجهاد في سبيل التخلص من الحكومات الجائرة. وهذه المقاطعة هي التي تقدم مؤشراً أولياً على بدء الوعي لدى أفراد الأمة: «في الماضي وحيث اننا لم ننهض لأجل تأسيس الحكومة وإزالة تسلط الحكام الخونة والفاسدين

---

(٤) ينظر محمد جمال طحان: الاستبداد وبدائله في فكر الكواكبي دمشق اتحاد الكتاب العرب ط١ - ١٩٩٢ ص ٥٧٦.

(٥) الإمام الخميني: الحكومة الإسلامية. ترجمة وإعداد مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني. (س) ط١ - ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨م، الناشر: مركز بقية الله الأعظم(ع) بيروت ص ١٩٢، ص ١٤٣/ ١٤٤.

(٦) م.ن ص ١٨٥.

بشكل جماعي ومنسّق. والبعض منّا تراخى في أداء المطلوب، بل حتى انه انزعج من القيام بالعمل التوجيهي والتبليغي. لهذه الأسباب صارت الأوضاع بهذا النحو فضعف نفوذ الإسلام وحاكميته في المجتمع وابتليت الأمة الإسلامية بالتقسيم والعجز...»(٧) نتيجة تركنا حقوقنا وقبول الإهانة حتى فسدت الأخلاق حيث لا إرادة لنا ولا خيار وتعوّد أكثرنا على الخصال السيئة التي تضعف الثقة بالنفس وبالآخرين.

وقد نسينا او تجاهلنا ان «إسقاط الطاغوت - أي السلطات غير الشرعية القائمة في مختلف أنحاء الوطن الإسلامي - هو مسؤوليتنا جميعا»(٨). فنحن مسؤولون عما يحدث من استبداد وظلم بما في ذلك المثقفون والعوام حكاماً ومحكومين، وتكون درجة المسؤولية بقدر الوعي الذي يتمتع به كلّ منا.

الا ان اللوم الأكبر يقع أول ما يقع، على العلماء الراشدين الذين يهملون واجباتهم في إرشاد الناس الى الطريق القويمة «ان تساهل العلماء في وظائفهم ضرره أكثر من تقصير الآخرين بنفس تلك الوظائف المشتركة»(٩).

وبالرغم من ارتفاع نسبة مسؤولية العلماء الا ان ذلك يجب الا يؤثر فينا بحيث يجعلنا نحصر المسؤولية فيهم، لأن ذلك سيؤدي الى زيادة تأزيم المجتمع نتيجة وضع الحلول كلها في أيدي النخبة المثقفة.

حقاً ان «علماء الإسلام مكلفون بمحاولة استغلال واحتكار الظالمين وبعدم السماح للجوع والحرمان بالتفشي في أوساط الكثير من أفراد الأمة»(١٠). ولكنهم ليسوا وحدهم في الميدان فلابد من تعاضد الشعب الذي يعاني الحرمان معهم لتتم الثورة وتتمكن من دحر الجور والظالمين، كما ان الجهاد واجب أمرَ الله به: «لقد نهى الله تعالى في القرآن الكريم عن إطاعة الطاغوت والسلطات غير المشروعة وحثّ الناس على الثورة ضد السلاطين»(١١).

وبالإجمال إننا لن نتمكن من الصمود في وجه جند الطاغوت في وضعنا الراهن لأننا متفرقون علماً وثروة وقوة، فلماذا نمعن في التفرق ومم نخاف؟

(٧) الخميني، م، س ، ص٧٧.
(٨) م، ن، ص١٨٥.
(٩) ص، ن.
(١٠) الخميني، م، س ، ص ١٧٥.
(١١) الخميني، م، س، ص ١٨٥.

ان أهم ركن يجب البدء بالتعامل معه، هو هذا الإنسان الذي يقبل بالذل والاستكانة متخفياً خلف مقولة الحفاظ على الحياة: «ان وظيفة علماء الإسلام وجميع المسلمين هي ان ينهوا هذا الوضع الظالم وان يسقطوا في هذا السبيل - الذي هو سبيل إسعاد مئات البشر - الحكومات الظالمة ويقيموا الحكومة الإسلامية»(١٢).

ولكن ما الحكومة الإسلامية التي ينادي بها الإمام؟ وما هي حدودها؟ وهل الحكومة شأن ضروري في حياة البشر؟

هذا ما نحاول الإجابة عنه من خلال السباحة في أفكار الإمام الخميني التالية:

ضرورة الحكومة

الدولة ضرورة اجتماعية تفرضها العلاقات المتنوعة بين الناس. ولأن الإسلام جاء لهداية الناس أجمعين، وحمل معه العلاقة المتواشجة بين الدنيا والآخرة، راسماً الإطار العام لتنظيم المعاملات بين البشر بما في ذلك انضمامهم في إطار الأمة، لذا يبدو واضحاً ان الدولة ضرورة إسلامية ايضا: «ان البحث حول النظرية الإسلامية للحكم وادارة المجتمع ينبغي ان ينطلق من الرؤية الكونية الشاملة للإسلام»(١٣).

فآيات القرآن الكريم تبيّن حدود علاقة المسلم بسواه وعلاقة الأمة الإسلامية بسواها من الأمم الاخرى والحضارات المختلفة المنتشرة على امتداد الكرة الأرضية(*). كما انها تبيّن أحكام الشرع في الزواج والطلاق والميراث والعقود والتجارة وسوى ذلك مما يهمّ المجتمعات الإنسانية، وتلزم المسلم بالإحتكام الى الشريعة: «ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون»(١٤).

ولكن من يقوم بتنفيذ تلك الأحكام ويضمن احترامها؟ ألا يتحتم وجود هيئة تشرف على ذلك؟ يجيب الإمام الخميني: «لا يمكن العمل بوظيفة تطبيق الأحكام الإلهية دون تأسيس سلطة عظيمة وواسعة للتنفيذ والادارة»(١٥) من أجل انتظام المعيشة داخل الأمة الإسلامية.

---

(١٢) الخميني، م، س، ص ٧٥.

(١٣) الخميني، م، س، من كلام عباس نور الدين، ص١٤.

(*) هنا يستحسن مقارنة التوافق الفكري بين الخميني والكواكبي. يُنظر بحثنا: الوحدة العربية والرابطة الإسلامية في ظل الحكومات العادلة. مجلة الفكر السياسي، السنة الثالثة العدد السادس ربيع ١٩٩١ ص١٣٦-١٥١.

(١٤) سورة المائدة ٤٤.

(١٥) الخميني، م، س، ص٦٨.

ويرى عباس نور الدين بحق إن الحكومة عند الخميني «هي الفلسفة العملية للفقه الواقعي بكل أبعاده»[١٦] فالمعاملات المالية والدفاع عن الأمة الإسلامية وعن أراضيها وحفظ استقلالها، كل ذلك منوط بهيئة تقوم على تنظيمه، وصدق علي بن أبي طالب حين قال: «لا بد للناس من إمارة بَرّة او فاجرة»، لأنه لا غنى لنا عنها من أجل انتظام حياتنا، وما الاعتداءات التي تمارَس على المسلمين في أرجاء الأرض الا نتيجة عدم قيام المسلمين بتنفيذ حكم الله، وتشكيل الحكومة الصالحة والمطلوبة»[١٧].

ويقرر الخميني ايضا: «لا سبيل لدينا - لتحقيق وحدة أمتنا الإسلامية ولإخراج وطننا الإسلامي وتحريره من تحت سيطرة ونفوذ المستعمرين والدول العميلة له - سوى بتأسيس دولة. اذ لكي نحقق الوحدة والحرية للشعوب الإسلامية يجب إسقاط الحكومات الظالمة والعميلة ومن ثم إقامة الحكومة الإسلامية العادلة التي تكون في خدمة الناس. فتأسيس الحكومة هو لأجل حفظ نظام ووحدة المسلمين»[١٨].

ان المستعمرين والمستبدّين وأعوانهم لا يستطيعون تنفيذ مخططاتهم ونيل مآربهم الاستغلالية إلا من خلال تقسيم الأمة الإسلامية ونشر البغضاء والدسائس بين المسلمين تعزيزاً لتفرّقهم.

وهؤلاء الفاسدون المفسدون يعلمون قوة الإسلام ودقّة شريعته الحكيمة ويعلمون انهم لا يستطيعون استغلال المسلمين الا حين يبثّون التفرقة بين صفوفهم.

سمات الحكومة الإسلامية

لكي ننبذ الكسل وننفض عنّا مذلّة التفرقة والجهل، يرسم الخميني معالم الحكومة الإسلامية كما يجب ان تكون، طبقاً للرسالة المحمدية الخالدة «آمل ان يؤدي بيان وتعريف نمط الحكومة والأصول السياسية والاجتماعية للإسلام للمجامع البشرية الكبيرة، الى إيجاد تيار فكري وقوة ناتجة في نهضة الشعب تكون العامل في استقرار النظام الإسلامي»[١٩] وذلك تصديق للحديث الشريف القائل: «اول ما يضيع في الإسلام الحكم، وآخره الصلاة».

---

(١٦) الخميني، م، س، مقدمة عباس نور الدين، ص١٧.
(١٧) الخميني، م، ن، ص٧١.
(١٨) الخميني، م، س، ص٧٤.
(١٩) الخميني، م، س، ص ١٨٨\١٨٩.

وتبدو - هنا - أهمية الحفاظ على أسس الحكم حفظاً للإسلام وصيانة للمسلمين الذين يطالبهم الإسلام بإصلاح أنفسهم كي ينصلح حال حكامهم. ويطلق تلك المقولة على لسان الرسول الكريم: «كما تكونوا يولَّ عليكم» فاذا صلُح أفراد الأمة، لا يكون أمام الحكام الا الصلاح او العزل ليأتي وليّ أمر آخر ينفذ أحكام الله وذلك لأن حكم الله تعالى يتميز بخاصتين أساسيتين هما:

ثبات القوانين الشرعية واستمرارها ولو تغير الحكام، وضمان احترام القوانين الشرعية لأنها من عند الله «اجل، فالحكومة في الإسلام تعني اتباع القانون، والقانون وحده هو الحاكم في المجتمع»[٢٠].

فالحكومة الإسلامية هي حكومة القانون وليست حكومة الأفراد والاشخاص، لأن الحاكم الفرد مهما بدا ذا نيّات طيبة سرعان ما يستبد بعد ان تفسده السلطة ويغريه كرسي الحكم.

اما الاحتكام الى القانون الإسلامي فهو وحده يمنع ان تتعدى الحكومة حدود الوظائف الأساسية التي وُضعت لأجلها. ولا يحفظ القانون الا علماء الدين «بما ان حكومة الإسلام هي حكومة القانون فيجب ان يكون علماء القانون، بل والأهم علماء الدين -اي الفقهاء- هم القائمون بها والمراقبون لجميع الأمور التنفيذية والإدارية وإدارة التخطيط في البلاد»[٢١].

واذا برز فرد لاستلام السلطة، فإن هذا النفوذ يجب الا يُسمح له بالتعدي على حقوق الآخرين او بإطلاق ألقاب لا يستحقها على نفسه ويبقى حائزاً على الشرعية ما دام يحفظ حقوق الأمة ويحترم القانون «الإسلام يدين الدكتاتور ويرفضه، فهو يسقط الولاية حتى عن الفقيه ان أراد ان يمارس الدكتاتورية»[٢٢] أما اذا حافظ على نفاذ القانون وتنفيذه وفق ما تصنعه الأمة لنفسها من خلال إيمانها بعدالة القانون الإلهي، فهذا يوجب على المواطنين احترام هذه الحكومة، بل «ان مخالفة هذه الحكومة هي مخالفة للشرع، والتمرد عليها تمرد على الشرع. ان القيام ضد حكومة الإسلام هو مخالفة لإحدى ضروريات الإسلام وهو مخالف للإسلام بالضرورة»[٢٣].

---

(٢٠) الخميني، م، ن، ص٨٠.
(٢١) الخميني، م، س، ص١٠٩.
(٢٢) الخميني، م، س، نقلا عن عباس نور الدين في المقدمة ص٢٧، عن صحيفة النور، ج، ص ٨٩،٩٠ تاريخ ٣١\١٠\١٩٧٩م.
(٢٣)الخميني، م، س، عن عباس نور الدين ص ٣٩ صحيفة النور، ج٥، ص٢١ تاريخ ٤\٢\١٩٧٩.

ونؤكد - هنا - على مقولة ان تحترم الحكومة الشريعة الإسلامية حتى تنال شرف الإنضواء تحت قوانينها.

إتضح للخميني ان للنظام السياسي الصحيح دوراً كبيراً في تكوين مجتمع متوازن، وذلك لأنه رأى قمة التنظيم السياسي هي في إدارة يشترك فيها أصحاب العلاقة المعنيون جميعهم.

وبحثاً عن شكل الحكومة المرغوب، يستحضر الخميني القرآن الكريم ليسأله شأنه في ذلك شأن كل موضوع أراد معالجته احتكاما الى الكتاب الإسلامي الذي يراه معياراً للخطأ والصواب «الإسلام ينظر للقانون نظرة آلية أي يعتبره وسيلة لتحقيق العدالة في المجتمع»[٢٤].

وبما ان إنشاء الحكومة الصالحة لا يتم الا بالإحتكام الى الإسلام وقوانينه التي تتجسد فيها العدالة بشتى صورها وأشكالها، لذلك «يجب ان يكون كل أمر من أمور الحكومة، ضمن موازين العدالة»[٢٥] التي رسمها الإسلام الذي يصرّ على وجوب الإحتكام اليه **﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾**[٢٦]. وفي هذا الموضوع - السلطة السياسية - لاحظ الخميني ان الإسلام قد أسس التوحيد ووضع شريعة عامة لا يخطئ من سار على هديها، بل بواسطتها يستطيع إنشاء حكومة قوامها العدل والمساواة، لذلك نراه يدعو الى نظام حكم قانوني مستمَد من الشريعة التي تحمل في طياتها أسمى أشكال الحياة.

ان الحكم الاستبدادي لا يعتمد في حكمه على قاعدة دستورية، سواء في الوصول الى الحكم او في تداوله، وهو لا يقرّ الا ما يشرعه هو ويرى في هواه ومشيئته المسوغ الوحيد لسلطته.

من هنا تأتي الرؤية الواضحة عند الإمام الخميني حين يوجب وجود قانون تسير عليه الحكومة، ويشرف عليه الشعب من خلال ولاية الفقيه، وهذا يتلاقى مع ما قاله أرسطو قديما: «ليس هناك من نظام (Order) يمكن تصوره خارج القانون»[٢٧]. وقد فضّل سقراط في القرن الرابع قبل الميلاد، الموت على ان ينتهك حرمة القانون بهروبه من السجن

(٢٤) الخميني، م، س، ص١١٠.
(٢٥) م، ن، ص١٢٢.
(٢٦) المائدة ٤٤.
(٢٧) يُنظر أرسطو: السياسة III، ١، ٣٢، عن: يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية. ص ٢٠١ -٢٠٩.

«فالحكم للقانون ليس الا، ولا يمكن ان يحكم سوى القانون الإلهي، وليس لأحد ان تكون بيده الحكومة المطلقة لا للفقيه ولا لغير الفقيه، وانما الجميع يعملون طبقا للقانون وهم مجرد منفذين له وحسب»(٢٨). فالله هو المشرّع الذي أرسى دعائم حياة الإنسان على الأرض عبر قانون أرسله بوساطة أنبيائه وكتبه المنزلة التي تُوّجت بالقرآن الكريم الذي من خلاله نصوغ قوانيننا، واليه نحتكم وبذلك لا تكون في الإسلام سلطة لأحد سوى قيام العلماء بتنفيذ القوانين والإشراف على تنفيذها.

ان النص الخميني يؤكد هنا ان الإسلام هو دين ودولة ولا يمكن ان نفصل فيه بين ما هو ديني وما هو سياسي(*) وما المقولات العلمانية سوى دسائس غربية تبثّ من مختلف القنوات بغية إضعاف المسلمين ومحاولة التفريق بينهم:

«ان المستعمرين هم الذين أشاعوا هذه المقولة من لزوم فصل الدين عن السياسة وعدم تدخل علماء الإسلام في الأمور الإجتماعية والسياسية»(٢٩).

ان هذه الفتن التي ولّدت التفرقة في الدين حيث فتحت أبواب المناقشة لم تكن خلافا حول أمور تمسّ جوهر الدين، بل كان أكثرها جدلاً عميقاً لا يُقيم حقاً ولا يزيل باطلاً.

وقد استعان السياسيون بهذه الفتن وروجوا لها ليتخذوا منها وسيلة للانقسام السياسي بين الناس وتفريق كلمة الأمة. ولا يكتفي الإمام الخميني بالقانون وحده، بل لا بد ان تقوم على حراسته سلطة تنفيذية تضمن تحوله الى ممارسة عملية بين الناس. ان «وجود القانون المدوّن لا يكفي لاصلاح المجتمع. فلكي يصبح القانون أساساً لإصلاح البشرية وإسعادها فإنه يحتاج الى سلطة تنفيذية، ولذا أقر الله تعالى الحكومة والسلطة التنفيذية والإدارية الى جانب إرساء القانون أي أحكام الشرع»(٣٠). وأحكام الشرع ليست قوانين وقتية تتغير بتغير الزمان، بل هي أحكام عامة ودائمة ونهائية كباقي الشؤون الدينية والسياسية الأخرى لا تتبدل ولا تتغير ولا يسقط تكليف الإنسان بها. «فان أحكام الإسلام ليست محدودة بزمان ومكان خاصين بل هي باقية وواجبة التنفيذ الى الأبد»(٣١). وهذا يضمن استمرار الأمن والأمان والرخاء في المجتمع الإسلامي ولا يجعله عرضة لتقلبات المستبد التي تجعل الإنسان عرضة للإعتقال في أي وقت. فالاستبداد ينشر السلبية في المجتمع الذي يكف

(٢٨) الخميني، ص٣٢ نقلا عن صحيفة النور، ص ٥٣، تاريخ ٢٥\١٠\١٩٧٩م.
(*) ينظر للمقارنة: صحيفة النور، ص ١٠٧، ايضا: هدية العهد، ص ٩-١٠.
(٢٩) الخميني، م، س، ص٥٦.
(٣٠) الخميني، م، س، ص٦١.
(٣١) الخميني، م، س، ص٦٢.

أفراده عن عمل أي شيء خوفاً من ان يكون هذا العمل مشجوباً من قبل السلطة صاحبة القرار.

وينشأ التباعد والتباغض بين الناس خوفاً من أن ينقل الوشاة ما يؤدي الى وقوع المواطن بين فكّي القمع القابع في كل مكان، حيث لا قانون الا قانون الإستبداد وهكذا «في عالم المقاضاة ثمة شعب من المذنبين يسعى سعياً مستمراً نحو براءة مستحيلة»(٣٢). وما على الإنسان حتى يبرئ نفسه الا ان يلاحق مستجدات الأقوال والأفعال التي تُرضي السلطة والتي تتغير من آن لآن. وما ذاك إلا لأن الأمة وهنت راضخة لحكم لا يتخذ من الشرع قانونا أساسياً دائماً يعيش في كنفه ويستهدي بهديه. من هنا ارتأى الإمام الخميني أهمية تشكيل الحكومة وإرساء دعائمها، يقول: «لا مفر من تشكيل الحكومة وتنظيم جميع الأمور التي تحصل في البلاد منعاً للفوضى والتفسخ»(٣٣) وهذه الحكومة لا بد لها من قانون مستمد من الشريعة الإسلامية التي لم تغفل كبيرة وصغيرة تتعلق بشؤون البشر واحتياجاتهم وكل ما يتعلق بمعاملاتهم، الا وقد بيّنها الله العظيم في كتابه الكريم او في سنّة نبيه ((عليه السلام)). «لا تشتمل قوانين الشرع على قوانين ومقررات متنوعة تبين نظاماً إجتماعيا شاملا، ويتوفر في هذا النظام الحقوقي كل ما يحتاجه البشر»(٣٤). والإسلام بهذا التصور يمكن تجسيده بصيغ متعددة إجتماعياً وفكرياً وسياسياً مما يجعله نسقاً فكرياً وعملياً للدين والدنيا على حد سواء، مما يسمح بتقديمه على انه عقيدة وشريعة معاً من كونه بديلاً يتخذ من النص الإسلامي إطاراً عاماً نقونن في ضوئه قوانيننا، وذلك لأن القرآن لم يترك خطاً عاماً شاملاً لم يأت على ذكره ضمنا او صراحة، فهو يحيي العدل والتساوي والشورى ويرسم حدود اختيار الإنسان في حياته ويقرر كيفية حصول التوازن الإقتصادي عبر الصدقات والزكاة، ويمنع التواكل ويشيع ملكية الأرض للناس أجمعين ويجعل للبائس والمحروم حقاً في أموال الأغنياء.

وهذا ما قامت به الثورة الإيرانية، فهي وزعت الاراضي على الفلاحين، فقد أسست وزارة (جهاد البناء) لتوسيع الانتاج الزراعي وتطويره(٣٥). أما النظام الذي يخرج في تكوينه عن الشريعة الإسلامية فهو كما أثبتت التجربة ومرّ عبر التاريخ، نظام إستبدادي جائر «ان إقامة نظام غير إسلامي يعني عدم تطبيق النظام السياسي للإسلام، وكذلك فإن كل نظام

(٣٢) البير كامو، الانسان المتمرد، ترجمة نهاد رضا. بيروت، منشورات عويدات، زدني علما (٥٥).
(٣٣) الخميني، م، س، ص٦٣.
(٣٤) الخميني، م، س، ص٦٧.
(٣٥) فريد مان بتر: (الحل الإسلامي) امكانياته وحدوده في (الاجتهاد)، تر: جورج كتورة، ص١٤٧ - ١٤٨ العددان ١٥، ١٦ السنة الرابعة، ربيع وصيف ١٩٩٢\١٤١٣هـ.

سياسي غير إسلامي هو نظام يحمل الشرك، لأن حاكمه الطاغوت، ونحن مكلفون بتصفية آثار الشرك من مجتمعاتنا الإسلامية ومن حياتنا»(٣٦). وفي هذا الإطار يُجرِي الإمام الخميني مقارنات مختلفة بين الحكومة الإسلامية وسواها من الحكومات الغربية او الشرقية التي لا تعتمد الإسلام دستورا. «الحكومة الإسلامية ليست كأي نوع من أنماط الحكومات الموجودة، فهي مثلا: ليست استبدادية»(٣٧) حيث يظهر فساد الساسة واعتمادهم على المزيّف من العلماء والمرتزقة من الجند، وحيث لا يهمهم سوى جمع الضرائب وتجنيد الجيوش واستخدام ذلك كله لأغراض شخصية «فالحكومة الإسلامية لا هي استبدادية ولا مطلقة وإنما هي مشروطة»(٣٨) بقانون إلهي وُضع للناس كافة ويصلح لكل زمان ومكان، ولا يخضع لأهواء منفّذيه. وهو يُلمح هنا الى الفرق بين الديمقراطية الغربية التي يداخلها الزيف مقوّماً إياها بأسلوب آخر في الحكم هو الأسلوب الإسلامي الذي لا يحكم على الأمة الا من يحكم (بما انزل الله) وفق قواعد الإسلامية الشورية. ويشرح معنى المشروطة بالقول: «مشروطة من ناحية ان الحكام يكونون مقيدين في التنفيذ والإدارة بمجموعة من الشروط التي حددها القرآن الكريم والسنة الشريفة للرسول الأكرم»(٣٩) فلا يمكن للحاكم التصرف بحقوق الأمة وفق مشيئته الخاصة، لأنها ليست حقوقه الشخصية، وما هو إلا حارس لها مع كل من تُناط بهم هذه المسؤولية «الفرق الأساسي للحكومة الإسلامية مع حكومات الملكية المشروطة والجمهورية هو في كون ممثلي الشعب او الملك هم الذين يقومون بعملية التشريع في مثل هذه الأنظمة بينما في الحكومة الإسلامية يختص التشريع بالله تعالى. فالشارع المقدس في الإسلام حدد السلطة التشريعية الوحيدة»(٤٠). وتكون وظيفة الحكومة - آنئذ - هي خدمة الناس وتنظيم أحوالهم والسهر على أمنهم وراحتهم من خلال توزيع الأعمال والوظائف الحكومية لذلك نجد في إيران (مجلس تخطيط) يضع خطط الوزارات من خلال أحكام الإسلام وهو بديل عن مجلس التشريع الذي يكون إحدى السلطات الثلاث في الحكومات الإسلامية، والقوانين الإسلامية يتلقاها المسلمون بالطاعة مما يسهّل عمل الحكومة ويجعلها مرتبطة بالشعب. أما الحكومات الأخرى فانها تضع القوانين التي تشاء وتقرّها على الشعب»(٤١).

(٣٦) الخميني، م، س، ص٧٢.
(٣٧) الخميني، م، س، ص ٧٨ .
(٣٨) المكان نفسه، م، س.
(٣٩) الخميني، م، س، ص٧٩.
(٤٠) المكان نفسه والمعطيات نفسها.
(٤١) الخميني، م، س، ص٧٩.

الحكومة الإسلامية ليست سلطنة تتصرف في حياة الناس حسب رأي السلطان، لذلك ليس فيها آثار البذخ والترف ومصاريف البلاط السلطاني التي تقضي على قسم كبير من أموال المسلمين بلا فائدة تعود عليهم»[٤٢].

شروط الحاكم وصلاحياته

اذا كانت الشريعة نظاماً للقانون المدني والأخلاقي على حد سواء، فلا بد من وجود قائد ذي سلطة يحرس الشريعة. وتمثّلَ ذلك للامام الخميني في ولاية الفقيه وكانت مهمة الخلافة وهي خلافة النبي في جزء من وظائفه وصلاحياته فقط. فالسيادة لله، والحكام ما هم الا وسائل لتنفيذ الشريعة وليس لهم ان يُشرّعوا في الدين، لأن الدين قد اكتمل «فان ولاية الفقيه امتداد لحاكمية المعصوم وهي حاكمية الفقيه العادل الذي تتحقق في نفسه صفات العلم والفقاهة والشجاعة والتقوى الشديدة والزهد والخبرة. وكل هذه الصفات تمنع من الإستبداد والدكتاتورية»[٤٣]. والخليفة الصالح هو مَن يخضع لمقاصد الله في صلاحياته الدنيوية، والطالح هو مَن يخرج عليها «لقد وضع الإسلام جملة شروط يلزم توفيرها حين يريد ان يكون موجّها للناس وتكون له الولاية عليهم، واذا لم تتوفر في أحد تلك الشروط فإنه يسقط من مقام الولاية، ولا يلزم ان يجتمع الناس ليزيحوه وينتخبوا بديلا عنه، بل ينعزل بشكل تلقائي، فلو صفع رئيس الجمهورية شخصاً فقيراً دونما سبب او مجوّز يسقط وتنتهي رئاسته للجمهورية وعليه ان ينتحي جانباً ويأتي ذلك الشخص المضروب فيصفعه على وجهه واحدة بواحدة»[٤٤].

والشروط الواجب توفرها في الحاكم هي: العلم بالقانون والعدالة بعد توافر العقل والتدبير «بما ان حكومة الإسلام هي حكومة قانون، فالعلم بالقانون بالنسبة للحاكم يكون أمراً ضرورياً»[٤٥] «لا غنى عنه للحاكم كي يتمكن من تنفيذ مكامن الشريعة بشكل سليم».

ويجب ان «يكون عادلا [...] ويتمتع بالكمال العقائدي الاخلاقي»[٤٦] كما يشترط فيه الا يكون ملوثاً بالمعاصي، وفي ضوء ذلك يكون الخليفة حاكماً ينفذ الشريعة بالنظر الى المصلحة العامة. «ولنفرض ان شخصاً كانت له أموال طائلة ولربما كانت مشروعة لكن

(٤٢) يُنظر الخميني، م، س، ص٨٠.
(٤٣) الخميني، م، س، من كلام نور الدين في المقدمة ص٢٨.
(٤٤) م، ن، عن صحيفة النور ج٣، ص١٤٠، تاريخ ١٩\١١\١٩٧٨م.
(٤٥) الخميني، م، س، ص٨٣.
(٤٦) م، ن، ص٨٤.

الحاكم الشرعي والفقيه وولي الأمر شخّص ان تلك الأموال لا ينبغي ان تكون بهذا المقدار الذي هي عليه، فيمكنه ان يصادرها ويتصرف بها لمصالح المسلمين»(٤٧) وبذلك يتمكن من إجراء العدل وضمان كمال المساواة بين الناس وله ان يأمر بما يرى فيه مصلحة عامة للمسلمين من غير ان يخالف أحكام الإسلام. «فيمكن للحاكم الإسلامي ان يهدم بناء مسجد او منزل يكون عائقاً امام شقّ طريق او ترسيم شارع عام، وان يعطي لصاحب ذلك المنزل قيمة منزله»(٤٨).

ومع ذلك كله ينبغي الا نغفل عن جانب مهم وهو ان الحاكم يعمل على تحقيق متطلبات الشريعة «فالخليفة ليس مشرعاً بل الخليفة معيّن لأجل تنفيذ أحكام الله»(٤٩) ولا يحق له ان يخرج عن ذلك بأي حال من الأحوال كي يبقى متصفاً بالأمانة والعدل «فلو قام الفقيه بعمل ما على خلاف موازين الإسلام فقد ارتكب فسقاً - والعياذ بالله- ويُعزل من الحكم تلقائياً لأنه قد سقط عن كونه أمينا»(٥٠) وتلك الشروط الصارمة التي ينبغي توفرها في الحاكم، تجعله معصوما عن الخطأ لأنه بعيد عن المعاصي. «فإن تفوّه الفقيه بكلمة كذب واحدة او أقدم على خطوة إنحرافية واحدة، تنسلب منه تلك الولاية بشكل تلقائي»(٥١) ولا يكتفي الإمام الخميني بذلك، بل يرسم إطاراً صارماً لعصمة الخليفة واستمرار عدالته» وان نظرة شهوانية واحدة الى إمراة أجنبية تُسقط عنه العدالة»(٥١) فهل توجد في النظم السياسية الأخرى مثل هذه الشروط ومثل هذه الدقة في حفظ نظام الأمة؟ لا شك ان أي عاقل لا يمكنه تأكيد مثل هذا الإدعاء.

الطريق الى الحكومة المبتغاة

يرسم الخميني خطة لتشكيل الحكومة الإسلامية مبتدئا بأهمية التخلص من الإستبداد والإعتماد على العلماء من أجل «تخريب بيوت الظلم وفتح أبواب الفقهاء العدول المتقين المجاهدين العاملين في سبيل تطبيق الأحكام الإلهية»(٥٢) ليتمكن المسلمون من العيش الكريم «مع حفظ إيمانهم وأخلاقهم الفاضلة»(٥٢) في كنف العدل والقانون.

«فتكليفنا اليوم هو تطبيق مشروع الحكومة الإسلامية وترجمته في ساحة العمل»(٥٢)

---

(٤٧) م، ن، ص٣٤.
(٤٨) م، ن، ص ٣٤.
(٤٩) الخميني، م، س، ص٥٥.
(٥٠) الخميني، م، س، ص١٠٩.
(٥١) الخميني، م، س، ص٢٩، عن صحيفة النور، ج١١ ص١٣٢ تاريخ ٢٩\١٢\١٩٧٩م.
(٥٢) الخميني، م، س، ص١٨٨.

فلابد ان تبدأ مقاومة الطغيان بتعميم الوعي الذي بوساطته يمكن ازالة الطاغوت.

«لقد قمنا بطرح أصل الموضوع وعلى هذا الجيل والأجيال القادمة ان تبحث وتفكر في ذيوله وتشعباته وان تجد السبيل الى تحقيقه ليطردوا عن أنفسهم التراخي والضعف واليأس وسوف يتوصلون ان شاء الله الى كيفية التشكيل وسائر الفروع من خلال التشاور وتبادل وجهات النظر، ويضعون مسؤوليات الحكومة الإسلامية بيد خبراء أمناء عقلاء من أهل الإيمان والعقيدة ويقطعون أيدي الخونة عن الحكومة والوطن وبيت مال المسلمين وليتيقنوا ان الله القدير معهم»(٥٣) فمن يريد الإصلاح عليه معرفة معناه ليجدّ في طلبه ولا ينتظر ذلك من حكومته الجائرة او من أي أمة أخرى غير أمته فاذا أردنا إزالة المفاسد وتنظيم أحوالنا السياسية علينا ان نطالب الحكومة بحقوقنا ونلح في طلبها «اننا لا نجد حيلة سوى القضاء على الأجهزة الحكومية الفاسدة والمفسدة وإسقاط الحكومات الخائنة والفاسدة والظالمة الجائرة. هذه هي الوظيفة التي يجب على المسلمين في كل بلد من البلدان الإسلامية القيام بها والوصول بالثورة السياسية الإسلامية الى النصر»(٥٤) ولا بد ان تبدأ مقاومة الإستبداد بتعميم الوعي الذي بوساطته يمكن التفريق بين الخير لإلجاء الحاكم إليه وبين الشر لردع الحاكم عنه لأن الأمة إنما جاءت بالحاكم ليخدمها لا ليستخدمها، وهي لا تستطيع معرفة ذلك الا اذا انتشر فيها العلم الذي يقضي على الخوف المزروع في نفوس الرعية»(٥٥) وبهذا الصدد يقول الإمام الخميني: «لا تجلسوا هنا لمجرد الدرس، بل تعرفوا على جميع الأحكام الإسلامية وانشروا الحقائق، ألفوا الكتب (والكتيبات) واطبعوها وانشروها وستكون مؤثرة حتما»(٥٦).

وهذه الهداية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شؤون متعينة على كل فرد في الأمة وبخاصة العلماء.

ويخاطب الإمام العلماء ويناشدهم ان يبدؤوا بطلب الاصلاح والسعي اليه «نحن أيضاً عندنا مسؤوليات وتكاليف صعبة. يجب ان نكمل أنفسنا أكثر من الناحية الروحية ومن ناحية نمط المعيشة.. يجب ان نترقى في الصلاح والتُقى أكثر فأكثر، وان نُعرض عن حطام الدنيا.. انتم، ايها السادة ،عليكم ان تجهزوا انفسكم لحفظ الأمانة الإلهية.. ان تكونوا أمناء

---

(٥٣) الخميني، م، س، ص١٦٠.

(٥٤) الخميني، م، س، ص٧٣.

(٥٥) عبد الرحمن الكواكبي: الاعمال الكاملة للكواكبي، دراسة وتحقيق محمد جمال طحان، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة التراث القومي، ط١ ١٩٩٥، ٥٧٩ ص ٤٥٨ وما بعدها.

(٥٦) الخميني، م، س، ص١٠٦.

وان تحقروا الدنيا»(٥٧). فانتشار العلم يكسر قيود الأسر ويُلجم المستبدين. وحتى يعم العلم في الأمة لا بد أولا من الاعتراف بالجهل، وذلك يكون بداية المعرفة فلا ندّعي علماً بما لا ندري عنه شيئا، ثم نحاول ان ننهل من العلوم. ففي كل عمل لا بد من معرفة الغاية ومعرفة الطريق الموصلة اليه لنتمكن من الإقدام عليه، ولا تنفع المعرفة الإجمالية العامة بل لابدّ من معرفة الغاية معرفة واقعة ونرسم الخطة الموصلة اليها رسماً واضحاً ودقيقاً.

والغاية هنا هي إزالة الحكومات الإسلامية العادلة «نحن مكلفون بالعمل الجدّي لأجل إقامة الحكومة الإسلامية، ويعتبر العمل الدعائي أول أنشطتنا في هذا الطريق»(٥٨) وتساعد الصحف والمراسلات المنتظمة على إقناع الرأي العام بالتغيير المطلوب وموافقة الرأي العام ضرورية حتى لا يكون الإقدام على التغيير ناقصاً وحتى لا ينضمّ بعض الناس الى المستبد فتكون الغلبة في جانبه.

ان بثّ الوعي وإقناع العامّة بالهدف المنشود هو واجب على كل انسان يرى في نفسه القدرة على ذلك «ويجب علينا ان نقوم بالدعاية والإرشاد وتوحيد التوجهات وإيجاد تيار دعائي وفكري من أجل تحقيق ظاهرة إجتماعية لكي تنتظم الجماهير الواعية والعارفة لدورها والمتدينة شيئاً فشيئاً في نهضة إسلامية تثور وتقيم الحكومة الإسلامية»(٥٩) فهو يرى ان «الدعاية والتوجيه نشاطان أساسيان ومهمان بالنسبة لنا. فوظيفة الفقهاء هي نشر العقائد والأحكام والأنظمة الإسلامية وتعليمها للناس من أجل تهيئة الأرضية لتطبيق الأحكام وإقامة الإسلام في المجتمع»(٥٩). ان اجتهاد الفرد في ترقية نفسه كفيل بترقي الأمة كلها، ومع ان «جميع أبناء الشعب مكلفون بذلك، لكن علماء الدين وظيفتهم أثقل وأهم»(٦٠). ان مقاومة الحكومة المتسلطة وطلب الحرية وتغليب الشريعة على السلطة وتوحيد الله حقاً وتقييد الحكام بالشريعة للوصول الى العدالة في ظل سلطة عامة، هي أمور مطالَب بها كل فرد في الأمة، ونحن لدينا إجتماعات الصلاة والحج «علينا ان نستفيد من هذه الإجتماعات لإجل التوجيه والإرشاد الديني ونشر النهضة العقائدية والسياسية الإسلامية»(٦١) وان نعود بالإسلام الى عهده الأول حيث «كانت خطب الجمعة تجيش الجيوش»(٦٢).

(٥٧) م، ن، ص١٨٤.
(٥٨) الخميني، م، س، ص١٦٠.
(٥٩) الخميني، م، س، ص١٦١.
(٦٠) م، ن، ص١٥٠.
(٦١) الخميني، م، س، ص١٦٥.
(٦٢) م، ن، ص١٦٦.

ان عملية الإصلاح لا يمكن ان تتم بين ليلة وضحاها «فمن أجل النجاح في إقامة الحكومة الإسلامية المستقرة نحتاج الى أنشطة متنوعة ومتواصلة، فهذا هدف يحتاج الى وقت طويل»(٦٣) لابد من تبيّن مضار الجهل ومحاربة التقاعس والتفرق والركون الى الجهل، وهذا يحتاج الى توجيه الرأي العام بصبر وجهد. ولا بد ان يتصدى لهذا العمل العلماء الغيورون على أمتهم. ويقدّم الخميني للناس مثالا على ذلك بقوله: «لم يكن النبي موسى(ع) سوى راع مارس عمله ذاك لسنين طويلة، وعندما كُلف بمواجهة فرعون لم يكن يملك من مساعد او نصير لكنه - بما يملك من لياقة وصفات وصمود- أزال أسس حكومة فرعون بعصاه. أتظنون انه لو كانت عصا موسى بيدي او بأيدي حضراتكم لكان حصل معنا نفس النتيجة؟! ان الأمر يحتاج الى همّة موسى وجديته وتدبيره لكي يتم القضاء على فرعون»(٦٤) فالتربية المطلوبة هي إعداد العقل للتميز والمحاكمة وحثّ الناس على تقوية الإرادة وعلى إتقان الأعمال والدعوة الى كل ما هو خير. وقد ينشط أناس هم «متصنعو القداسة لا مقدسون ويجب علينا ان نصلح أفكار هؤلاء ونوضح موقفنا منهم، لأنهم يعيقون نهضتنا وعملنا الإصلاحي وقد كبّلوا أيدينا»(٦٥) وهؤلاء هم الذين يعارضون كل صوت يدعو للحياة الحرّة والاستقلال ولمراقبة هؤلاء «علينا في البدء ان ننصحهم ونوقظهم»(٦٦).

لكن التربية غير ممكنة في ظل الظلم، وعلى العقلاء في الأمة ان يسعوا الى رفع الضغط عن العقول لتنطلق في سبيلها وتمزّق الأوهام وأن يقنعوا الناس بأنهم خُلقوا لغير الذل والهوان، فلا بد من إزالة الطغيان الذي يضغط على العقول قبل البدء بالتربية الشاملة السليمة. وإزالته لا تعني بالضرورة إزالته مادياً وإنما إزالة ضغطه عن العقول بالتوعية المبدئية على انه شر يجب التخلص منه «وان لم نكن اليوم نمتلك القدرة على منع هذه الأعمال ومجازاة اللصوص وخونة الشعب من أصحاب السلطة والحكم، فيجب ان نسعى لتحصيل هذه القدرة»(٦٧) امتثالا لقوله تعالى: ﴿وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل﴾(*). فعلى العلماء ان يجتهدوا في إيقاظ الناس وتوعيتهم على ضرورة محاربة الحكومات الظالمة وان يبينوا لهم كيف يعيش الإنسان هانئا اذا كان حرّا طليقاً، ولا بد من

(٦٣) الخميني، م، س، ص١٦٨.
(٦٤) الخميني، م، س، ص١٧٠.
(٦٥) م، ن، ص١٧٨.
(٦٦) الخميني، م، س، ص١٧٩.
(٦٧) الخميني، م، س، ص١٥٠.
(*) الانفال ٨-٦٠ .

تغليب العقل على النفس لتغليب الإرادة على الرغبة، وهذا يتحقق بمساعدة الدين القويم. «اذا لم تكونوا قادرين حالياً على منع بدع الحكام وإزالة هذه المفاسد فعلى الأقل لا تبقوا ساكتين»(٦٨). ان الله يبعث الرسل لينقذوا الناس من ضلالة الشرك ويهدوهم الى عبادة الله وحده، وبذلك يملكون حريتهم التي تحميهم من ذل الإستعباد خوفا من مستبد او ظالم متجبر».

ان نشر الإسلام وبيان مفاهيمه وتوضيح معالمه يحتاج الى اصلاح الحوزات العلمية، وذلك بتكامل برامج الدراسة وأسلوب التبليغ والتعليم وتبديل التراخي والإهمال واليأس وعدم الثقة بالنفس بالجدّ والسعي والأمل والثقة بالنفس وإزالة الآثار التي حصلت في روحية البعض بسبب دعايات الاجانب وتلقيناتهم، وإصلاح أفكار جماعة المتظاهرين بالقداسة الذين يعيقون عملية الإصلاح في الحوزات والمجتمع، ونزع عمائم معممي البلاط - الذين يبيعون الدين بالدنيا - وطردهم من الحوزات»(٦٩) من الضروري ان نحيي الدين الأصيل ونصلح ما فسد منه في أذهان الناس بردّ العامة عن ميلها الى الشرك الأول تحت تأثير المستعمرين وأعوانهم وهذا أمر غير هيّن ولا يمكن تنفيذه الا بالعلم وبالإجماع على أهمية العودة الى الإسلام في أصوله الاولى، وان نعتمد ما نعلم من صريح الكتاب وصحيح السنّة كما فعل أجدادنا الأولون. «فيجب رفع الصوت وتنبيه الناس لكي يتضح ان اليهود وحماتهم الأجانب أناس معادون للإسلام»(٧٠) وبما أنهم جماعة مؤذية وفاعلة أخشى - والعياذ بالله - ان يصلوا في يوم من الأيام الى هدفهم، وان يؤدي تقاعس بعضنا الى ان يحكمنا حاكم يهودي - لا جعل الله ذلك اليوم - ومن ناحية أخرى، كذلك يوضح الخميني خطر الغرب حيث يرى ان «عددا من المستشرقين - الذين هم العملاء الثقافيون للمؤسسات الإستعمارية - ناشطون لتحريف حقائق الإسلام وقلبها»(٧٠).

ويناشد الإمام الشباب قائلا: «انتم جيل الشباب تحركوا باتجاه النضج والتكامل الفكري، انتم مكلفون بنشر ما تفقهتم به بين الناس»(٧١) علينا ان نبدي مزيداً من الاهتمام بالعلم ونصغي الى نصح العلماء العاملين، ونمنع الشعوذة ونجاهد للحطّ من قدر العلماء المنافقين الذين يحاولون محالفة المستبد السياسي»، اذ الحوزات العلمية جزء من الشعب والمجتمع، لذا علينا ان نسعى لإصلاح عناصر الحوزات فكرياً وأخلاقياً وان نواجه ونزيل

(٦٨) الخميني، م، س، ص١٤٨.
(٦٩) الخميني، م، س، ص١٧١.
(٧٠) الخميني، م، س، ص١٦١.
(٧١) الخميني، م، س، ص٦٣.

الآثار الفكرية والروحية الناتجة عن دعايات وتلقينات الأجانب وسياسة الدول الخائنة والفاسدة»[٧٢] وهذا الإصلاح الديني ضروري لإزالة الغموض الذي نُسب الى الإسلام والإسلام منه براء، فاذا صلح الدين صلحت السياسة.

وللدين فوائد كثيرة فهو يفيد في التطور الإجتماعي ويُعين على تحمل مشاق الحياة. ولابد من إيجاد تعاون منظم بين من يريدون محاربة الطغيان «وضعوا أيديكم بأيدي الشعب المناضل والباحث عن الحرية وعندها يكون أمر اقامة الحكومة الإسلامية أمراً مؤكداً»[٧٣].

على علماء الأمة إيقاظ الناس وتوعية العوام حتى يهبوا من رقادهم وينفروا تلبية لمطالب علمائهم بالإجتماع والتعاون «يجب عليكم ان تؤسسوا أجهزة إعلامية مقابل أجهزتهم لتفضح وتنفي جميع أكاذيبهم»[٧٤] بإنشاء الجمعيات، ندفع الدكتاتورية والإستعمار فلا يعود بمقدور أحد الإعتداء علينا لأنهم يرون قوة الشرع مصانة بمراقبة الأمة «علينا ان نشكل الحكومة التي تكون أمينة على الشعب ويطمئنّ لها الشعب ويستطيع ان يسلمها مصيره، نريد حاكما أمينا ليحمل الأمانة وتعيش الأمة في كنفه وكنف القانون براحة بال»[٧٥].

ان الدين قائم في فطرة الإنسان، والأديان السماوية صحيحة كلها وقد جاءت لهدي الناس وتوعيتهم، الا ان التغييرات التي طرأت عليها بدّلت بعض مبادئها، وهذا ما حدث في الإسلام ومن الضروري ان نصلحه وننقيه مما دخل عليه من مبتدعات غريبة عنه، وذلك بالعودة به الى أصله وجوهره، وهذا لا يحدث الا بأن يفهم كل إنسان دينه بشكل صحيح ويتمسك بحريته فيه، وبأن تجتمع كلمة المسلمين تحت مذهب جامع يمنع الخلافات لأنه يكتفي بالإعتماد على القرآن والسنة». ان جميع طبقات الشعب مستعدة للنضال لأجل حرية الأمة واستقلالها وسعادتها، وهذا النضال يحتاج الى الدين فضعوا الإسلام - الذي هو دين الجهاد والنضال - بين يدي الشعب ليصححوا أخلاقهم وعقائدهم طبقاً له، ويشكلوا قوة مجاهدة تقضي على الأجهزة السياسية الجائرة الإستعمارية وتقيم الحكومة الإسلامية»[٧٦]. ولابد أن ينفِّر العلماء الناس من المزهدات

(٧٢) الخميني، م، ن، ص١٧٢، أيضاً للمقارنة: الوصية الإلهية السياسية للإمام الخميني، د ت. د ط صادرة عن سفارة الجمهورية الإسلامية الإيرانية بدمشق، ص٤١ -٤٢.
(٧٣) الخميني، م، س، ص١٧٣.
(٧٤) الخميني، م، س، ص١٤٨.
(٧٥) الخميني، م، س، ص١٧٤.
(٧٦) الخميني، م، س، ص١٦٧.

والجدل، ويذكروهم بسماحة الدين، ويوعّوهم بأنه لا علاقة لتعدد المذاهب بالنزاعات السياسية وان التجمع ضروري للمسلمين كافة، وقد أمرت به الشريعة الإسلامية التي أرادته كي يتعاون المسلمون على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قولاً وعملاً من غير تهاون، لأن ذلك يردّ الحكومة عن غيّها ويعود بها الى وظائفها الأساسية، ويعود الدين الى كونه أفضل السبل للترقي الإنساني وأسهلها للإصلاح السياسي». فمثلا صلاة الجماعة وإجتماع الحج والجمعة، لها آثار سياسية بالإضافة الى آثارها المعنوية والاخلاقية والعقائدية.

الإسلام وفر هذه الإجتماعات ليستفيد منها دينيا لتقوي عواطف وأحاسيس الأخوة والتعاون بين الأفراد ولينمّوا الرشد الفكري أكثر فأكثر وليجدوا الحلول لمشاكلهم السياسية والإجتماعية»[٧٧] ، ووضع خطة ثورية لقلب نظام الحكم المطلق وإقامة الحكومة الإسلامية عن طريق تأليف جمعية الحكماء المنتظمة التي تبثّ الكلمة لتحرض الجماهير وتزيد وعيهم ومعارضتهم، وتحثّ الشعب على الشعور بفساد واقعهم وضرورة مقاومته لترسيخ القيم الاخلاقية، ومن الخطأ انتظار من يأتي للتغيير، ولا بد لنا نحن الواعين من البدء في التغيير هنا. والآن فاذا كان الاستبداد ضد التربية والتربية لا تكون الا بالمحيط الجيد، لذلك يرى الخميني بأنه علينا تغيير المحيط، ولتغيير المحيط لا بد من العمل في الداخل داخل المحيط الذي نريد تغييره لا بالعمل من خارج المحيط، لكن بما ان السلطة السياسية هي التي كانت مهيمنة بشكلها السافر أكثر من أي عامل آخر، وبدا الاستلاب والإستغلال أذيالاً للمستبد السياسي، لذا كان لا بد ان يبدأ التغيير من هنا. ومهمة العلماء هي التنوير والتربية، اما رفع الإستبداد فيتم على أيدي أبناء الأمة بعد شعور الأكثرية بالأسى الذي يجلبه حكم الطاغوت وأعوانه.

ان التربية ليست مهمة الحكومة اذا كانت حكومة فاسدة، وعلى كل إنسان حينذاك ان يضطلع بهذه المهمة ولا ينتظر خيرات الحكومة او أي هيئة أخرى.

فهل يصلح المستبد لتحطيم الهرم الذي بناه من رؤوس الناس؟

وهل يمكن بناء الحرية السياسية وتربيتها عن طريق القهر السياسي؟

وهل يرضى من ذاق مجد السلطة ان يتساوى والآخرين ويعود مواطنا خاليا من أمراضه؟

---

(٧٧) الخميني، ص١٦٥، يستحسن المقارنة مع الكواكبي الذي دعا الى اغتنام صلاة الجماعة والحج للتضامن وتبادل الآراء وبخاصة في كتابه (ام القرى) الكاملة للكواكبي.

ان شيئا من ذلك لا يمكن ان يحدث: «ان تعليم المقهورين لا يمكن ان يضطلع بمسؤوليته القاهرون، لأن مجرد قيامهم بدور المحرر يتناقض مع وظيفتهم كقاهرين»[٧٨] فهم الذين شرعوا لأنفسهم استخدام العنف لتعليم الناس التبعية والخضوع على مدى طويل من الحقد، فكيف يهدمون ما كانوا يظنون انهم ينونه؟» وهكذا فان المقهورين وحدهم هم القادرون من خلال عملية تحرير انفسهم تحقيق حرية الآخرين»[٧٨] بما في ذلك حرية المستبدين أنفسهم.

ان الحل وإن بدأ مع جميع المقهورين، منوط بالعلماء والمفكرين الذين عليهم القيام بهذه المهمة أكثر من غيرهم وذلك لأنهم هم حاملو الوعي الإجتماعي وهم القادرون على تكوين رأي عام واع وموحد. هكذا يبدو من فكر الإمام الخميني ان الوعي هو أول ما يجب انتشاره لأنه هو الذي يغير المجتمع من مجتمع خانع الى مجتمع متمرد على الظلم والطغيان.

في ظل الإسلام

الحكومة الإسلامية هي التي تقوم على إرساء قواعد الأخلاق فتعين هيئة تشرف على التربية الأخلاقية وتعمل على تطويرها وتنميتها.

والحكومة انما تفعل ذلك لأنها تسير على قانون يحفظ حقوق الجميع ويصون كرامتهم ويضمن حرياتهم فيعيش المواطن ولديه آمال يسعى الى تحقيقها في ظل الراحة الفكرية والجسمية التي توفرها الحكومة له: «فبمقدار ما تكون الحكومة والإمارة وسيلة لتطبيق الأحكام الإلهية واقامة نظام العدل الإسلامي بمقدار ما تكون ذات قدر وقيمة، ويكون المتولي لها جليل القدر سامي المقام»[٧٩] ومن اعتياد الأخلاق الحميدة يألف الناس الأفعال الجيدة وتتعزز الثقة بينهم فيعتادون المحبة والتعاون وحسن الظن والصدق ويساعد الناس بعضهم مما يجعلهم متقاربين متساوين يحترمون بعضهم بعضاً بعيدا عن المضاربة والإحتكار الذي يولد الإحتقار، بل يشتركون في أعمال الحياة ويجنون ثمار تعاونهم مما يؤدي الى تقدم الأمة الإسلامية: «يعيش المسلم وغير المسلم في ظل حكومته في أمن وطمأنينية وراحة بال دونما خوف»[٨٠] ويتقاسم الناس الأعمال بطريقة عادلة تضمنها لهم الحكومة وتقوم على تنفيذها.

---

(٧٨) باولو فرايري: تعليم المقهورين، ترجمة يوسف نور عوض، بيروت، دار القلم، ط١، ١٩٨٠، ص ١٣٩، ص ٣٥، ٣٧.
(٧٩) الخميني، م، س، ص٩٠.
(٨٠) الخميني، م، س، ص١٢٣.

العامل في الحكومة العادلة لا يرى نفسه تابعاً وانما يعمل عن إقتناع على خدمة أمته في ظل حكومة تسعى الى تحقيق التقارب بين الناس، فلا تحتكر أموال الدولة لمواليها، بل توزع الثروة العمومية على الجميع بنسب عادلة: «من أجل تنفيذ الأحكام الإلهية وإقامة النظام الإسلامي العادل والقيام بخدمة الناس»(٨١) ولا يتم ذلك الا بهدي القرآن الكريم «يجب ان يكون كل أمر من أمور الحكومة طبق موازين العدالة، أي طبق مباني قانون الإسلام وحكم الشرع»(٨٢) يعيش الناس في عهد الحكومة الإسلامية في بحبوحة ورخاء، وتكون غايتهم المصلحة العامة حيث تعم العدالة بعد ان يزداد الوعي. حينذاك يخاف الظالم عدالة الحاكم الذي لا يقبل شفاعة في حدّ من حدود الله أمام الإنسان المخلص لأمته، فانه يأمن على نفسه بخلاف وجوده تحت سياط حكومات جائرة كما يحدث في البلاد التي تسمي نفسها ديمقراطية وهي في الحقيقة حكومات أشخاص وأهواء: «ان سبب خوف الناس من هؤلاء الحكام هو ان حكوماتهم ليست طبق القواعد والقوانين، وانما هي فرعونية»(٨٣) تثبط عزيمة المواطنين وتثير في أنفسهم الكراهية، في حين ينشط الإنسان على العمل نتيجة تحقيق الضمان المادي والنفسي في ظل حكومة عادلة تحترم الإنسان اذ يكون أمينا على ماله وعرضه بحراسة العدالة والمساواة. «فعندما تقام الحكومة الإسلامية يعيش الجميع في ظلها بأمن تام دون ان يحق لأي حاكم ان يقوم بأي تصرف مخالف لأحكام وقانون الشرع المطهر»(٨٤) ونظرا الى أهمية التعاون في الشؤون العامة، فان كمال المجتمع لا يتم الا بروابط يقيمها الناس فيما بينهم تساعدهم على التعاون من أجل مزيد من التقدم»(٨٥).

خاتمة

وعموما يرى الإمام الخميني في الإسلام منهجا صحيحا لإقامة حكومة عادلة: وهو المنهج المشتق من الإسلام الصحيح الذي ينبثق من القرآن الكريم، وصحيح السنّة من غير ان ننقص او نزيد عما جاء فيهما من ناحية العبادات.

والإسلام الصحيح هو ما تميز به أسلافنا على العالمين، ملتزمين بما يعلمونه من صريح الكتاب وصحيح السنّة وثابت الإجماع، ومن أهم قواعد ديننا؛ الإلتزام بهذه الأحكام ليتم لنا السير على منهج الإسلام القيّم الذي يترك للإنسان حرية التصرف في حياته مادام

(٨١) الخميني، م، س، ص ٩٠-٩١.
(٨٢) الخميني، م، س، ص ١٢٢.
(٨٣) الخميني م، س، ص١٢٣.
(٨٤) الخميني، م، ن، ص١١٠.
(٨٥) يقارن مع: محمد جمال طحان، الاستبداد وبدائله في فكر الكواكبي، ص ٤٤١ - ٤٥١.

يتصرف فيها ضمن قواعد الدين العامة التي يراها تطالب بالمنفعة العامة للناس أجمعين. وهذه المنفعة لا تتم للإنسان الا بالاشتراك العمومي بين الناس، حيث يقوم كل فرد بعمل مفيد للمجتمع وذلك لأن طبيعة الكون تقتضي الإشتراك لتتم للناس المنفعة. وهذا الإشتراك موجود في الإسلام ولم يكتف الإسلام بذلك وإنما رسم الطريق العامة لخير الإنسان، فالمساواة التي تطلبها الآن جمعيات كثيرة في الغرب وتريد بها تحقيق التقارب بين الناس وضمان عدالة توزيع الأعمال والثمرات، قد قررها الإسلام دينا، فالناس كلهم سواسية، لا فرق بين حاكم ومواطن من حيث الولاء لأن ولاءهم كلهم لله وحده من جهة، وهم جميعهم أولياء بعض، تحقيقا لما تتطلبه الإسلامية التي عتقت الناس من وهم عبادة غير الله وجعلت الناس متساوين في العبودية له، ومن حقهم ان يتساووا جميعا في الحصول على حقوقهم كلها.

ان تساوي الناس - بما في ذلك تساوي المواطنين - بالحاكم يحتاج حتى يتحقق الى إعادة الدين في ذهن المسلمين الى أصوله الصحيحة الاولى حتى يتم احتكام الجميع الى الإسلام الذي يجعل الإنسان لا يرجو ولا يخاف أحدا، ويسير وفق القواعد الإسلامية الصحيحة.

هكذا يؤكد الإمام الخميني ان التشريع الإسلامي هو من أرفع التشريعات التي تحترم الإنسان وتصونه، مما جعل الأمم الساعية الى الخير تأخذ بأحكامه وهو في المحصلة يطالب بنظام حكم قانوني شوري مستمد من الشريعة التي تحمل في داخلها أفضل القواعد السياسية. لقد طلب الخميني الحكومة الإسلامية وعدّ ان تحقيقها منوط بإزالة الحكومات الجائرة أولا، واقترح ان يتم ذلك بتهيئة الرأي العام للمشاركة في التغيير المنتظر وفي صياغة الهدف في تحقيقه بالثورة، بعيداً عن الانتظار المستكين، لأنه لا يقوم بالثورة الا من تأذى من الوضع الراهن فقام يطلب التغيير، وبذلك استطاع الخميني ان يفهم الحقيقة التي لا يمكن ان تؤتي ثمارها الا بعد الوعي بإمكاناتها وأهدافها وتجنيد الأدوات اللازمة لانتصارها.

ويبدو الخميني ثوريا متعقلا بدأ بإصلاح مفاهيم الدين السائدة لإصلاح الفكر وتوحيد الرأي العام منطلقا أيضاً من اعتقاده بأن الدين هو حامل هذه الثورة وان الاصلاح الديني هو أقرب طريق للإصلاح السياسي مع إدراكه ان الاصلاحات كلها مترابطة ومتكاملة.

ومع إصلاح الدين طالب الخميني بتحسين التربية وإشاعة العلم بحيث تجتمع قوى الشعب بوساطة جمعية تستلم زمام التوعية والتنظيم والتنوير، وإقامة الحكومة الإسلامية لا

يمكن ان تحدث الا بتحقيق شروط حدوثها، فالمسلمون يحتاجون الى الحكمة العقلية ليفهموا دينهم فهماً صحيحاً، واذا نشد الناس التحرير من أسر الإستبداد، فإن الحرية لا تؤخذ عفواً بل تحتاج الى جهاد في سبيل نيلها بتنبيه حسّ الأمة وتوعيتها لتكوين رأي موحد يطلب التغيير ويسعى اليه.

ويضع الخميني منهاجاً تدريجياً للحل بالتربية والتعليم وبثّ الحماسة، وهنا تظهر ثوريته الواقعية التي لا تريد ان تقفز قفزاً عشوائياً خشية السقوط بين براثن الأعداء ومن هنا يتضح ان حلوله إيجابية في كثير من جوانبها وتعتمد على العمل، فهو رجل عملي عرف للدين مكانته في حياة الناس، ورأى ان إصلاحهم لا يتم الا بإصلاح مبادئنا التي حُرّفت. ولأنه رجل عملي فان ذلك جعله مفكراً إجرائياً أكثر منه منظّراً، ولهذا لم تكن آراء الخميني الا بدافع ان تصبح برنامجاً للعمل.

وهذا الموقف يجعلنا نوافق الإمام الخامئني حين يصف الإمام الخميني بقوله: «لقد وجدنا ان (جبهة الخميني) - ومنذ اللحظة الاولى لاندلاع لهيب الثورة وحتى انتصارها - كان في جبهة الشعب والى جانب الشعب وفي أوساط الشعب وفي خدمته، ويضم صوته دائما الى صوت الشعب، وبقي هكذا دأبه حتى بعد انقضاء الثورة، وظل ذلك مبدءا للنظام وأساساً من أسس الحكومة فصار أصل كل موقف وقرار، ومنطلق كل شيء في الثورة يستند الى عامة الشعب وجماهير الأمة»[٨٦] وهو فضلا عن ذلك يتمتع بروح طيبة يُتوّجها التواضع الإسلامي الرفيع، فهو مع كل ما قدمه للإسلام والمسلمين من خدمات جليلة نراه يقول: «أما أنا وحضراتكم فما الذي قدمناه للإسلام؟» ومع علمنا بصدق الإمام وإخلاصه يبقى عبداً مفتقراً الى الله تعالى يتساءل «لو مات ألف شخص منا فليس من أثر فنحن إما لسنا بفقهاء حقيقة، أي كما يجب او اننا لسنا مؤمنين حق الإيمان»[٨٧].

ونرى ان إحدى مقولاته التي يصف فيها الفقهاء تنطبق عليه حيث يكون «الفقهاء حصون الإسلام عندما يقومون بدور تبيين عقائد الإسلام ونظمه للناس ويكونون مدافعين عنه ويرسخون ذلك من خلال المواقف الصلبة الواعية ومن خلال قيادة الناس، فعندها سيشعر الناس - ولو بعد مرور العقود الطويلة على فقدهم - بأن ذلك الخسران كان مصيبة على الإسلام وانه قد خلف فراغا»[٨٨].

---

(٨٦) الإمام الخامئني، الحكومة في الإسلام، بيروت، دار الروضة، ط١ ١٩٩٥ ص١٧٠.
(٨٧) الخميني، م، س، ص١٦٨.
(٨٨) الخميني، م، ن، ص١٦٧.

ولعلنا نجد في دعائه الذي يختتم به كتاب (الحكومة الإسلامية) خلاصة لرؤاه النافذة(*) «اللهم اقطع ايدي الظالمين عن بلاد المسلمين» ويقصد بذلك الدول الغاشمة التي تمارس الإستكبار «واقض على الخائنين» الظالمين من الحكام الذين يسمّون أنفسهم مسلمين وهم أيد للإستعمار والمستعمرين، «وأيقظ قادة الدول الإسلامية من نومهم هذا ليعملوا لأجل مصالح الشعوب ويتخلوا عن التفرقة والسعي خلف المصالح الشخصية». ويرجو في دعائه ان يوفق الله الشباب لخدمة الإسلام من خلال تعاونهم للتخلص من الاستبداد والإستعمار ولمواصلة الجهاد في سبيل إقامة الحكومة الإسلامية العادلة(٨٩).

ان ما يحفز الشعب علي الثورة ضد الظلم ليست الافكار النظرية التي تحثهم على نيل حقوقهم وحدها، وانما أيضاً معاناة القهر الحقيقية مما فُرض عليهم من التزامات جمّة وهم يفتقرون حتى الى الخبز اليومي.

لكن ليست تلك الافكار ولا خواء الجيوب هو الذي يجعل الثورة أمرا ممكنا.

ان الناس يصبحون مهيئين للمشاركة في عملية التغيير عندما يشعرون بأنهم في حاجة ملحة الى حقوقهم أكثر من الخبز وعندما يدركون ان الحكومة هي المسؤولة عما يعانونه من عذاب، وهذه المعرفة تتكون من انسحاقهم تحت عجلات الواقع المرّ وشعورهم به الذي تعززه الأفكار التي تشيع عن الحريات وحقوق المواطن في العيش الكريم .

ان هذا الأمر لا يحدث بين ليلة وضحاها وإنما يحتاج الى وقت طويل حتى تنتقل تلك الآراء المتحررة الى الرأي العام كما يحتاج الى جهد مضنٍ يبذله مفكرون جادون مجدون تظل أفكارهم تحفر داخل مجتمع يعاني من مظالم مادية حتى تتوحد الصفوف من أجل العمل على نطاق وطني. فالحكومة الإسلامية ترى ان سيادة الشعب في سيادة الشرع، بينما في الديمقراطية فإن سيادة الشعب لا علاقة لها بالدين وان إرادة الشعب هي مصدر سلطات الحكام فهي تفصل بين الدين والدولة فصلا تاما بينما لا تفصل إسلامية الخميني بينهما.

وعلاقة الدين بالسياسة عنده تقوم على التآزر والتلاحم ضمن إطار قواعد الإسلام الأساسية، ويمكن القول عقب هذه الدراسة ان الخميني مفكر ثائر شديد الإعتزاز بانتمائه الى الإسلام حريص على تطبيق شريعته في صياغة الحكومة المنشودة. والظلم في رأيه ليس

(*) من اجل الاطلاع على مزيد من مكانة الخميني، يُنظر: موقع الإمام الخميني من الاصلاح.. عبد الرحيم حسن، ص ٣٠-٣١. وملف خاص بالخميني، مجلة (العالم) ٣١، السبت ٢٠ أيار ١٩٩٢، ٢٨ ذو القعدة ١٤١٢هـ العدد ٤٣٣.

(٨٩) ينظر: الخميني، م، س، ص ١٨٩.

عملية حتمية ولا هي أبدية، بل هو ظاهرة يمكن تجاوزها، لذلك فانه من الممكن ومن الضروري القضاء عليه واستبداله.

ولعلنا في مناسبة أخرى ندرس فكر الإمام الخميني بالمقارنة مع المصلحين المسلمين في فجر اليقظة الإسلامية الحديثة لتتبين موقعه منهم وليتضح لنا بصيص ضوء نهتدي به ونحن في طريقنا الى إقامة مجتمع منشود يستطيع ان يقوم بدور فاعل في العالم من حولنا لإنقاذ أنفسنا والآخرين من براثن الظلم والطغيان. والله خير معين.





مؤسس الجمهورية الاسلامية في ايران يدلى بصوته الانتخابي
دعماً للديمقراطية و ترسيخاً لدولة المؤسسات

الإمام الخميني في بعده الإنساني

الدكتور جورج جبور

كنت أسمع باسمه من طلاب إيرانيين كثُر التقيتهم في أمكنة تجمع الطلبة الأجانب في مدينة واشنطن عاصمة الولايات المتحدة الأميركية. كان ذلك قبل منتصف الستينات.

«لابد من تغيير في إيران»، هكذا كان جوّ الطلاب الإيراني. الكثيرون كانوا يتناقشون، أما أصدقاؤهم الطلاب العرب، فكانوا يختلفون؛ هل سيأتي التغيير من القوى الليبرالية الديمقراطية؟ من القوى الماركسية؟ من القوى الدينية؟ وكنت أسمع من وقت لآخر الإمام الخميني الى جانب أسماء غيره من رجال الدين الشيعة، وكنت أسأل نفسي: هل يُحكم للدين ان يكون طريقا للتغيير؟ هل يستطيع الدين ان ينفتح على عصر يوغل في العلم والتكنولوجيا؟ وتركت واشنطن ونسيت اسم الإمام. وبعد ما لا يقل عن عقد ونصف، عدت ألتقي الاسم. إن اسمه في عداد الأسماء التي ترد على ألسنة المعنيين بشؤون الأمة. بعد زيارة الرئيس السادات الى القدس، كيف سيكون رد فعل الشارع؟ هل الشارع المصري هو جمهرة المنظمات التي استقبلت القادم من القدس ملقبّة إياه ببطل الحرب والسلام؟ أم ان الشارع المصري سيأخذ منحى آخر يذكّر بتلك الملايين التي احتشدت في وداع الزعيم الرئيس جمال عبد الناصر؟ أم ان عواطف الشعب المصري تتجه الى إمام شبيه بإمام يستقطب جماهير الشعب الإيراني في مواجهته مع شاهنشاه أخذ يفقد مفعوله لدى أميركا وعند شعب إيران؟ كان اسمه في قاع الذاكرة والاخبار حتى عاد من باريس الى إيران ومعه صرّة ثيابه.. متاعه في الدنيا صرّة ثياب أنفس ما بينها سجادة صلاة . لا ريب ان الثورة الإسلامية في إيران واحدة من أعظم الثورات في التاريخ المعاصر، ثورة من أجل مُثل عليا لأن الناس سياجها بل مادتها. رأيتهم عبر الشاشة الفضية؛ إمام حوله جماهير، وحول الجماهير جماهير. لا يخطئ الشعب، هو الحقيقة، وحقيقته لابد الا ان تنتصر. لا أتعاطف مع الحركات

(*) مفكر سياسي، مستشار ثقافي أسبق لرئيس الجمهورية العربية السورية، من الشخصيات المسيحية المرموقة.

الدينية، ففي كثير منها ضيق أفق، الا ان الجماهير التي احتشدت حول الإمام، رأت في جوهر الإسلام السمح خلاصاً من حكم عافته نفسها. كانت إيران في ظل حكم الشاه هوية غائبة مغيبة مسجونة في قفص، وباسم الإسلام تحررت إيران واشتهرت حريتها على الملأ فامتلأ بها العالم كله، وأثبتت ثورة إيران ان الإسلام قوة تغيير لا حدّ لها واحتشدت في مواجهة الثورة سلطات الإستكبار العالمي بما لها من نفوذ واسع، وقد رسمت للثورة صورة مرعبة، ولتلك السلطات قدراتها الاعلامية. وعبر وسائل الاعلام الدولية حاولت سلطات الإستكبار ان ترسخ في أذهان العالم ان قائد ثورة إيران جاهل منغلق على مفاهيم عفا عليها الزمن. الا ان الإمام كان أقوى من الكيد، كما ان جماهير إيران احتشدت حوله بفضل آلية حديثه؛ وهي الكاسيتات التي حملت عطاءه الى الناس، كذلك أخذت تُعجب بصلابته وحكمته جموع المهتمين بالمشهد الإيراني. انتصب الإمام الخميني وكأنه أسطورة القرن العشرين، يُشرف على التاريخ والمستقبل معا.

أحتفظ بين أوراقي برسالته الى الرئيس غورباتشيف السوفييتي، رسالة فكر شامخ قرأت المستقبل بل ساهمت في صنعه. أحتفظ في ذاكرتي بمنظر مثير: يضطجع في سريره المتواضع، الإمام الشيخ تُثقل عليه الأيام والهموم والأمراض الا انه في عنفوانه، في بيته الذي يشبه أي بيت فقير، كانت الدنيا بين يدي دولة حامل الرسالة الجوابية، فاذا هو بين يدي الإمام على هيئة تلميذ يتلقى الإرشاد، عنفوان الحق الأعزل شامخ على كل بهارج الدنيا، وأنا ابن المدينة التي شهدت تحول شاؤول الى بولص. كبرت بالإمام ورأيت فيه رمز عزّة وإيمان.

ولد قبل مائة عام وولدت ثورته قبل نيف وعشرين عاما. طهران التي استقرت ملامحها منذ انطلاقة ثورتها المباركة، هي الآن عاصمة العالم الإسلامي، أتى اليها قادة المسلمين جميعا من القارات الخمس ورؤساء دول وحكومات او رؤساء جمعيات ومنظمات هي الآن المرجعية، وينطلق رئيسها محمد خاتمي الى نيويورك عاصمة منظمة الامم المتحدة، يحمل رسالة الخميني ويدعو الى حوار الحضارات، وتقرّه دول العالم ويحدد أول عام من الألف الثالث لميلاد المسيح (عليه السلام) عاما لحوار الحضارات، وينطلق رئيسها محمد خاتمي وهو ابن الإمام الخميني مفجر الثورة، الى روما ليستقبله بحفاوة قلّ نظيرها القديس بطرس في الفاتيكان ويرحب به البابا يوحنا بولص الثاني كما يرحب بأخ طال شوقه اليه.

من جوهر واحد ذلكم الدينان الحنيفان اللذان يظللان العالم. لم يبدأ الحوار الإسلامي المسيحي بالثورة الإيرانية، الا ان ما لا شك فيه ان الثورة التي فجرها الإمام الخميني ساهمت في دعم القيم الروحية في عالمنا المعاصر، وهي بذلك قدمت دفعاً جديداً للحوار الإسلامي المسيحي، حوار ينطلق من القيم العليا التي هي أساس هذين الدينين التوحيديين. قدس الله سر الإمام الذي كان رائعا في بعده الإنساني.

مقولة في الإمام الخميني

العلامة الدكتور محمد عبد اللطيف صالح الفرفور

ان الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونتوب اليه من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له، وأشهد ان سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله، اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى صحابته الغرّ المحجلين ومن تبعهم الى يوم الدين.

اما بعد، فلقد طلبت إليّ مؤسسة كيهان الزاهرة مقولة علمية في فن التراجم تُنشر في صحيفة (كيهان العربي) الطبعة الدولية لتُضم الى الملف الفكري المهيّأ لتغطية مناسبة مئوية ميلاد الإمام الخميني (رحمه الله وطيّب ثراه)، الإمام المجتهد المجدد مؤسس الدولة الإسلامية المعاصرة.

وجدتني مسوقاً لتلبية هذا الطلب الكريم من أخوة كرام في أمر جلل، وهو الكتابة عن هذا الإمام الثائر والفقيه العارف والسياسي المحنّك والقائد الفذ، فقمت أقمش بما وسعني من الوقت وما أسعفني من المراجع والمصادر، ولا أدعي في ذلك الاستقصاء ولا الاستيعاب بل هي زهور من حدائق الإمام الغُلب، وشذرات من كلماته ومواقفه وعظماته.

ودين على هذا الجيل من المفكرين ان يكتبوا في مثل هذا الموضوع ليسهموا في رفد الحضارة الإسلامية في مشروعها النهضوي الجديد وهذا جهد مقل وغيض من فيض وقل من كثير، والله الموفق.

(*) الأمين العام للمجيمع العلمي العالي بدمشق. رئيس مجمع مسجد الأقصاب الاسلامي.

■ شهادات العلماء الإسلاميين المعاصرين في الإمام الخميني(رحمه الله)

• شهادة سماحة الشيخ أكبر هاشمي رفسنجاني (حفظه الله) (رئيس الجمهورية الإسلامية سابقاً)

«إمامنا الراحل تمتع بشخصية جامعة فذة فهو عالم فقيه وفيلسوف متبحّر جمع بين الفلسفة والعرفان بمعناه الإيجابي وهما أمران ان اجتمعا شكلا حالة فريدة كما انه رجل الأخلاق الذي قال وعمل في نفس الوقت، ورجل الإجتماع والتاريخ والسياسة فضلا عن انه شاعر ماهر فبعلمه وعرفانه عرف الحق والحقيقة الإنسانية، وبفقهه أدرك ما ينفع المجتمع وما يضره كما تميزت شخصيته الفذة بحب الله»[١].

• شهادة العلامة حجة الإسلام الشيخ رضا أستادي (حفظه الله)

«عند تسليط الأضواء على أهم ما تميزت به مؤلفات سماحته التي تجاوزت الثمانين مؤلفاً.. نرى بأنها تتصنف في أربع مجموعات هي كالآتي:

١. الفقه والأصول وعلم الرجال

٢. العرفان والأخلاق والفلسفة

٣. الإمامة والحكومة والسياسة

٤. الأشعار والرسائل العرفانية

هذا ويعتبر الإمام الخميني أفضل من كتب من العلماء والمراجع في الإمامة والحكومة والسياسة لا سيما منذ انطلاق التحرك الثوري الإسلامي أوائل الستينات وحتى رحيله»[٢].

• شهادة المفكر الإسلامي الكبير العلامة السيد محمد حسين فضل الله (حفظه الله)

«وقد كان الإمام الخميني يتحرك في شخصية متكاملة متمازجة لا ازدواجية فيها بين شخصية الفقيه وشخصية العارف والسياسي والقائد، بل يمازج بين عناصرها لتكون متمثلة في شخصية واحدة جامعة لكل خصائص العمق الإسلامي في وحدة التنوع وتنوع الوصف»[٣].

• شهادة العلامة الأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي (حفظه الله) أستاذ الفقه وأصوله بجامعة دمشق

«كل ذلك يجعلنا نتذكر دائما هذه القضية، فلذلك مثل هذا الإحياء وهذا التصريح

---

(١) مجلة الثقافة الإسلامية العدد ٤٩ .

(٢) مجلة الثقافة الإسلامية العدد ٦١ .

(٣) أنظر كتاب عادل رؤوف: الإمام الخميني رجل القرن الحادي والعشرين، ركائز ومقومات مشروعه الإسلامي.

من الإمام الخميني يعد لوناً معبراً عن تطلعات كل مسلم في أنحاء العالم ويعد ظاهرة اعتقادية سليمة»(٤).

شهادات السياسيين والمفكرين والمثقفين

• شهادة المهندس حسين شيخ الإسلام (حفظه الله) سفير الجمهورية الإسلامية الإيرانية بدمشق

«ان تراث الإمام قلّ نظيره فيما لو قورن بغيره.. وأكثر ما يتميز به الإمام هو انه لا يغلب جانباً من الحياة على جانب آخر حتى في خضم الأحداث.. ويخيل ان ثقة الإمام المطلقة بالله هي التي رسمت معالم شخصيته.. في حياة الإمام الخميني سفر عظيم لقائد رباني من الصعب ان ينجبه التاريخ»(٥).

• شهادة الدكتور علي عقلة عرسان (حفظه الله) رئيس اتحاد الكتاب العرب في سورية

«كان أحد قادة الأمة الإسلامية في هذا العصر.. ركز اهتمامه لتحقيق مشروع نهضوي حديث معتمداً أساساً على الشعوب، وركز على استقلالية الثقافة وعلى دورها ودور أهلها في مشروعه ونبّه الى مخاطر التبعية والانبهار، وحدد التمايز بيننا وبين معسكر الأعداء»(٦).

• شهادة الأستاذ محمد رضا أمين زادة (حفظه الله)

«أعمال الإمام رضون الله عليه في كل الجهات وفي كل شؤون الحياة وفي كل مراحل عمره هي دليل ناطق وشاهد واضح على خروجه من الأنانية، والفناء في الإنية»(٧).

• شهادة الأستاذ عباس صالحي (حفظه الله)

«كان الإمام يرى أن المرجعية الدينية مسؤولة عن إدراك واجبها السياسي وانها لا يمكن ان تتخلى عن الساحة السياسية والواجبات الإجتماعية، ويعتبر هذا الموقف من أهم الأمور التي تميز الإمام بها عن الكثيرين الآخرين»(٨).

• شهادة الأستاذ عادل القاضي (حفظه الله)

«أرى من المناسب أن أقوم بخلاصة لملامح المنهج العرفاني عند الإمام الخميني من

---

(٤) مجلة الفجر العدد ٦ والكلام عن اليوم العالمي للقدس الذي نادى به الإمام الخميني/ نشرة خاصة بسفارة الجمهورية الاسلامية الايرانية في دمشق.

(٥) أنظر صحيفة كيهان العربي العدد ٣٩١٦ .

(٦) أنظر الثقافة الإسلامية العدد ٦٢ .

(٧) أنظر مجلة الثقافة الإسلامية العدد ٦٨ .

(٨) انظر مجلة الثقافة الإسلامية العدد ٥٩،٦٠ .

خلال الوصايا لا من خلال عموم المنهج» وخلاصة هذه الملامح أربع نقاط:

١- العروج الى المقامات المعنوية مع التخلص من أمراض القلوب عن طريق المجاهدة والتزكية.

٢- التصوف العرفاني الإيجابي المبني على النقد الذاتي.

٣- خدمة الخلق وحسن الصحبة والابتعاد عن الانحراف وعن حب الدنيا.

٤- الصلاة مرقاة الوصول وطلب التوفيق الإلهي»(٩).

• شهادة الدكتور أحمد فتحي بدر خان (حفظه الله)

«أسباب التقدير الموضوعي للإمام الخميني كثيرة منها:

١- انه من العلماء الربانيين.

٢- ومن العلماء العرفانيين والثوريين.

٣- العرفان إيجابي واقعي ثوري لدى الإمام»(١٠).

• شهادة الدكتور سمير سليمان (حفظه الله) أستاذ الحضارة الإسلامية في الجامعة اللبنانية

«لقد قرأ الإمام الواقع الإيراني والإسلامي والعالمي بوعي قرآني حقيقي مما أتاح له القدرة على تبين مواطن الداء.. وعندما يتصدى الإمام لكل هذه الشؤون .. فهذا يعني انه قد فتح أبواب الصراع على مصراعيها ضد الإستكبار العالمي بكل أشكاله»(١١).

• شهادة الدكتور شوقي أبو خليل (حفظه الله)

«وهكذا تناول سماحة الإمام الخميني الوحدة عبر ثلاث قنوات:

١- وحدة الصف الداخلي.

٢- الأخوة الإسلامية والإهتمام بمشكلات المسلمين أينما كانوا.

٣- النظرة الإنسانية العالمية»(١٢).

○ أما بعد فأضع القلم بعد جولات موفقات في التراجم وفن الرجال مستخلصا بعض

(٩) أنظر الثقافة الإسلامية العدد ٦١ .
(١٠) المصدر السابق.
(١١) الثقافة الإسلامية العدد ٦٢ .
(١٢) الثقافة الإسلامية العدد ٣١ .

الوفاء الذي نالته ترجمة الإمام الخميني (رحمه الله وطيب ثراه) من أبناء قومه وأمته من علية العلماء والمفكرين.

على ان كل هذا الذي قيل في نظري لا يوازي دراسة متأنية لعمل علمي يتخصص صاحبه في دراسة بعض مؤلفات الإمام في فنّ من الفنون كالفقه السياسي مثلا، او في الفقه المذهبي، او في العرفان او في السلوك او فيما سوى ذلك، يكون من هذا العمل رسالة لنيل درجة الأستاذية.

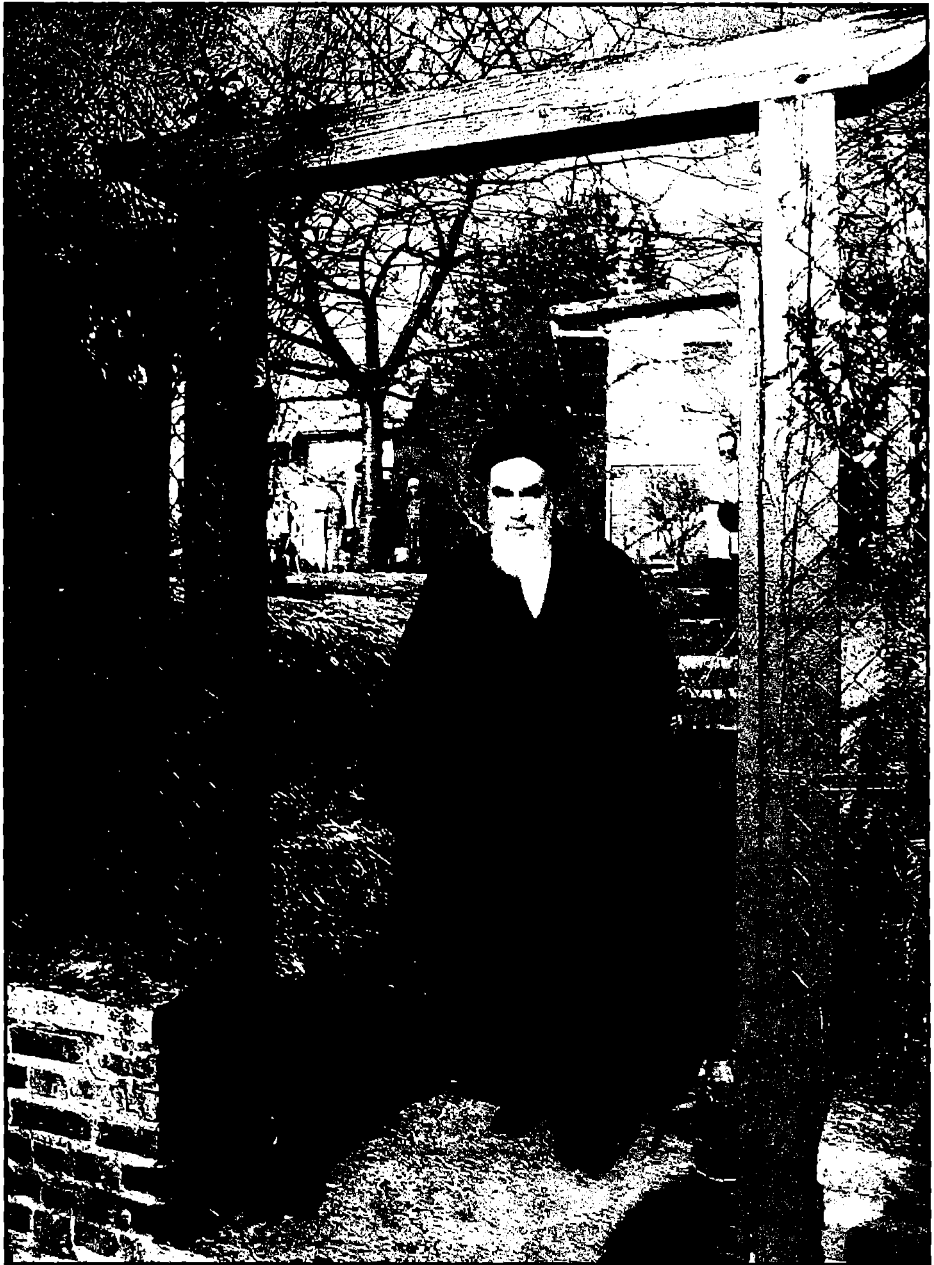
وفي نظري ان هذه الشخصية يكتب بها أكثر من رسالة دكتوراه.. لتصبح هذه الرسائل والدراسات المتخصصة مراجع عليا للبحث، ونتخلص من الانشاء الأدبي وكيل المديح جزافاً، وانا شخص أنفر من الثناء والإطراء، ولا أعده تقديراً للرجل، بل ان التوفر على دراسة المصنفات والآثار قمين بأن يظهر للناس عقل الرجل وفكره وما وراء البيان في كلامه.

على اني لست الا راصداً لما كتبته أقلام الكاتبين وناقداً لها والنقد لا يكون بإظهار الهفوات فقط بل بإظهار المحاسن قبلا، وما كتب في الإمام فيه خير كثير لكن يحتاج في الأعم الاغلب الى المنهجية والأسلوب العلمي الهادئ المنصف، وعسى ان يتحقق هذا في قادمات الأيام.

أما الإمام الراحل (طيّب الله ثراه) فلن ينفعه مدحنا ولا إطراؤنا، بل ينفعه ما قدمه لأمته ولدينه ولبني قومه، على ان عباد الله الصالحين هم شهداء الله في الأرض، وان ألسنة الخلق قد اتفقت على محبته وإكباره.

وهو بعد قلّ ان يجود الدهر بمثله، والدهر كأم الصقر مقلّات نزور والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.





الإمام الخميني.. الخالد بنهجه وإنجازه العظيم

الدكتور عزت السيد أحمد

يخطئ الذين يحسبون ان العظماء هم الذين يكتبون التاريخ. ويخطئ من يظن ان الشعوب تصنع قادتها، ويخطئ من يخال ان العظماء ملك أممهم بارادتهم.

عندما دعيت للكتابة عن الإمام الخميني، طافت طائفة من الافكار في مخيلتي، وكلٌّ تقدم مفتاحا او مدخلا للحديث عنه. ولكنَّ العظماء الحقيقيين هم وحدهم الذين يجعلون من يؤرخ لهم في حيرة، حيرة غير عادية، حيرة الادهاش الممتزجة بضرب من ضروب المتعة الجمالية، لأن من يؤرخ للعظماء فإنما هو يؤرخ التاريخ، ومن يؤرخ التاريخ كمن يتكلم على الكلام بالكلام، او كالعقل اذ يحلل العقل ويفسره.

أليس ذلك شيئا عجيبا؟ الا يدخل ذلك كله في باب المفارقة؟ في مِكنة العقل ان يتعامل مع المعطيات كلها؛ يفهمها، يفسرها، يفعل ما يشاء فيها، ولكن كيف له ان يرتد الى ذاته ليحللها ويقسمها ويفسرها ويفهمها..؟! وكذلك الكلام الذي ينصب على كل شيء.. كيف له ان يرتد على ذاته ليتكلم بذاته عن ذاته! ولذلك لم أجد خيراً من هذه المقدمات لانطلق منها في الحديث عن الإمام الخميني.

الخميني واحد من عظماء الأمة من غير ما شك ولا مراء ولا جدل، والحديث في دلائل هذا الوصف ومؤشراته أمر يطول بنا. وعلى الرغم من عدم احتياجنا الى البحث عما يثبت لنا ذلك لانه شبه مسلّمة برهانها فيها، فاننا لو حاولنا استنباط هذه الحجج لطال بنا الأمر ايضا. ولكن حسبنا على سبيل المثال ان نشير الى انه حقا كما وصفه الدكتور السيد

(*) اديب وباحث في الدراسات الفلسفية، استاذ الفلسفة بجامعة تشرين - اللاذقية. له عشرات المؤلفات والبحوث في القضايا الثقافية والإنسانية والأدبية.

محمد خاتمي رئيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية «رائد الاحياء الإسلامي المعاصر»[1] غير مفترق في ذلك عن مجددي الإسلام عبر مراحله التاريخية المتتالية منطلقا في احيائيته من فكرة أساسية ومهمة وهي ضرورة ان يكون الإسلام «حلال مشكلات الإنسانية في مجال الحياة العملية.. والاجتهاد هو السبيل الى ايجاد الحلول لمسائل العصر ومشكلاته، والى الوقوف موقف الندية من المذاهب والنظريات الفكرية والسياسية والإقتصادية..»[2].

وفي تحليل له مفعم بالجدية والصرامة مكلل بتاج المنطق والعقل، يثبت ان التقدم العلمي والتقني مهما امتد مداه، ومهما كانت نتائجه؛ حتى وان جاوز الجوزاء.. سيظل مادة من غير روح، سيظل ركام حديد فوق ركام تراب، وحطام أنانية فوق حطام فردية.. سيظل خلوا من الاحساس بالإنسان ما لم يتضافر مع روح العقيدة، مع نفحة الإيمان، لأن مشكلة الإنسان الحقيقية، وسائر مشكلاته الإجتماعية الدنيوية المحضة على الأقل، سيتعذر حلها الأمثل من دون «الحلول العقائدية والأخلاقية»[3]، فالثروة والقوة المادية، والسيطرة على الفضاء.. هذا كله يحتاج الى الإيمان والاعتقاد والأخلاق الإسلامية، ليكمل ويعتدل، ويكون في خدمة الانسان»[4].

وبهذا المعنى يمكننا فهم كيفية كون الإسلام صالحا لكل زمان ومكان انطلاقا من ان الاجتهاد عنده «غير ذلك الذي كان رائجا حتى الآن، بل يختلف عنه من حيث تحليه بدرجات عالية من الكمال»[5].

والإمام الخميني في إحيائيته ونزوعه التجديدي كان ينطلق من رؤى واعية واثقة مؤمنة بقضيتها، منفتحة.. الأمر الذي جعل انفتاحه انفتاح المتعقل المتروي لا انفتاح المجامل المتهور. فمبادئ الإسلام ثوابت لا مماراة فيها ولا مجادلة[6]، والحكومة الإسلامية هي حكومة الحق، وحكومة الحق من أسمى العبادات[7].

وهو في وصيته الخالدة لم يكن مجرد فقيه مسلم يذود عن حياض الإسلام وحسب، بل كان مفكرا يصوغ من خلاصة فكره أسمى القيم الدينية والإجتماعية والسياسية.. من

(١) د. السيد محمد خاتمي: الامام الخميني رائد الاحياء الاسلامي المعاصر - ضمن مجلة، الثقافة الاسلامية المستشارية الثقافية للجمهورية الاسلامية الايرانية بدمشق - العدد ٧٣ - ذي الحجة - محرم ١٤١٨ هـ / ايار - حزيران ١٩٩٧ م - ص٩٣ -١١٥ .

(٢) د. السيد محمد خاتمي: م. س - ص١١٤ .

(٣) الامام الخميني: الحكومة الاسلامية - مركز بقية الله الاعظم - بيروت - ط١ - ١٤١٨ هـ/ ١٩٩٨ م - ص ٥٤.

(٤) م. س - ذاته.

(٥) م.س - ذاته.

(٦) الامام الخميني: وصية الامام الخميني - المستشارية الثقافية الايرانية بدمشق - د. ت - ص ١٦ - ١٨ مثلا .

(٧) م. س ص ٢١-٢٢.

أجل الوصول بالمجتمع الإسلامي الى أسمى المكانات وأرفعها وأقواها انطلاقاً من وعيه الحقيقي لحركة التاريخ وآلية هذه الحركة.

فقد «ادرك الإمام ان التاريخ حركة ديناميكية مستمرة باستمرار الحياة الإنسانية وتقلباتها وان الإنسان هو الفاعل في التاريخ بكل سلبياته وايجابياته، ومن خلال اللقاء مع الآخر والتحاور او الصدام او الحرب تكون احداث التاريخ، وان المطلوب ليس هو ان تتحاور بل ان تقنع، وليس ان تصادم بل ان تصل الى الحقيقة، وليس ان تقيم حربا بل ان تكسب تلك الحرب»[٨]. وبهذا المعنى يمكننا ان نفهم البعد الحقيقي لكلمة السيد مهدي بازركان عندما قال: انا أردت الإسلام لإيران والإمام الخميني أراد إيران للإسلام.

والحق ان الامام الخميني لم يكن محض قائد سياسي، لقد كان مفكرا صاحب رؤية، ومشروع إسلامي، وصاحب طموح كبير في إتمام مشروع أمة إسلامية متحدة متكاملة، تقوم على أسس قويمة سليمة، حالت الظروف والمعطيات الدولية والإقلمية المرافقة دون تحقق هذا الطموح أولا، وأمام إعطائه الأولوية المباشرة ثانيا. ولكنه ظل ماثلا في فكره وسلوكه، وقد تجلى ذلك في كثير جدا من المعطيات والأمثلة التي تند عن الحصر والتعداد، ولعلنا لا نبتعد عن الحق هنا إذا ما استحضرنا رسالته الى آخر رؤساء الاتحاد السوفييتي البائد ميخائيل جورباتشوف. لنثني من ثم بالدولة الإسلامية العصرية التي أشاد بنيانها في إيران وفرضها دولة ذات مكانة وأهمية في المنطقة والعالم.

اولا: لقد انتبه الامام الخميني الى تقلبات شعوب الاتحاد السوفياتي على جمر الخواء الروحي، ووجد ان الفرصة مناسبة اولا، والواجب ملح ثانيا، للبحث عن السبيل المناسب لطرح الحل الاسلامي حلا لهذا الفراغ الروحي نظرا لما يحمله الاسلام من قيم سامية متشبعة بروح الإخاء الانساني والعدالة والتسامح والفطرية الانسانية الصحيحة... ولذلك أبان للرئيس جورباتشوف انه لا يطلب منه صدقة ولا منّة، ولا لحاجة الاسلام او المسلمين له أو لشعبه... بل لأن الاسلام يمثل الحل الأمثل، ولذلك قال:

«أطلب منكم ان تحققوا بدقة وتعمق في الفكر الاسلامي، وهذا ليس لأن المسلمين والاسلام بحاجة اليكم... بل لأجل القيم العالمية الرفيعة للاسلام، التي بإمكانها إنقاذ الشعوب وإسعادها، وحل المشكلات الاساسية للبشرية»[٩].

(٨) محمد عللوه: الامام الخميني ووعي حركة التاريخ - ضمن مجلة الثقافة الاسلامية - م. س - ص ١٣٨ .

(٩) الامام الخميني : رسالة الى الرئيس السوفياتي ميخائيل غورباتشوف - المستشارية الثقافية للجمهورية الاسلامية الايرانية بدمشق -١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م - ص ١٤ .

وهو في الوقت ذاته يبرز الصورة الصحيحة للاسلام، الاسلام في حقيقته وجوهره: **﴿وكنتم خير امة أخرجت للناس﴾، ﴿إنما المؤمنون اخوة﴾**، «لا فرق بين مسلم ومسلم»... ليؤكد للعالم الحقيقة التي نحن في قلوبنا عليها، والتي يحاول اعداء الاسلام تبديدها وتشويهها، وهي ان المسلمين حقا إخوة، وان كان من خلاف، فهو شكلي لا جوهري ولذلك لا يستحق أية وقفة عتاب او جدال او اختلاف، ورسول الانسانية(ص) يقول: «اختلاف أمتي رحمة». وهذا ما أوضحه الامام الخميني بقوله لجورباتشوف: «إن النظرة الجادة للإسلام بإمكانها إنقاذكم الى الأبد... ونحن نعد مسلمي العالم كمسلمي بلدنا، ونعد انفسنا شركاء في مصيرهم دائما»(١٠).

وما اكثر ما عزز وحدة العالم الاسلامي التي تظهر لديه في عفوية حديثة وتلقائية طموحاته وآماله التي تميز بين علماء الحضارة الاسلامية وأعلامها، فكلهم عنده سواء ينتظمون في سطر واحد وفي فكرة واحدة فكلهم - كما هو ذاته - ملك للمسلمين كل المسلمين: فالفارابي كابن سينا كالسهروردي كالشيرازي كابن عربي(١١).

ثانيا: لا نبتعد عن المنطق والحقيقة اذا قلنا ان الاعمار تقاس بالانجاز لا بامتداد السنين، لأن الانجاز يوغل في العمر على قدر عظمته، بينما سني العمر تتوقف عند موت صاحبها. واعمار الشعوب والأمم كأعمار البشر، تقاس بانجازاتها لا بأعمار حكوماتها.

واذا اردنا ان نكون صادقين مع انفسنا وشعوبنا والتاريخ فيجب ان نتخذ هذا المبدأ أساسا لوقوفنا عند الذكريات السنوية لميلاد الحكومات وأنظمة الحكم التي يهمنا امرها، سيان انتمت الى أمتنا الاسلامية أم الى غيرها من الأمم. وعلى أساس هذا المبدأ يجب أن ننظر الى الثورة الاسلامية الايرانية التي فجّرها الامام الخميني بصدق إيمانه وصدق انتمائه الى الأمة الاسلامية، ومن مرهف إحساسه وعمقه بضرورة أن تحتل الأمة الاسلامية مكانها ودورها في قيادة دفة العالم وإحقاق الحق، وتحقيق العدالة، وفي تبيان الغايات النبيلة السامية للاسلام. ولذلك نجدنا نقف بصدق مع الدكتور مطانيوس حبيب اذ ذهب الى ان «نضال الامام وتحمله النفسي، والاغتراب، لم يكن طلبا للسلطة، او سعيا وراء رغد العيش، والا لكان النظام الشاهنشاهي استطاع أن يجد من الوسائل لاقناعه بالموالاة، وانما كان نضاله لإحقاق الحق، وإقامة العدل، ورفع راية الاسلام، وتوصيل رسالته الى العالم»(١٢).

---

(١٠) الامام الخميني: رسالة الى غورباتشوف – م. س – ذاته.

(١١) انظر على سبيل المثال: الامام الخميني: رسالة الى غورباتشوف – م. س – ص ١٢ –١٣.

(١٢) د.مطانيوس حبيب قراءة في الفكر الانساني للامام الخميني -كيهان العربي – الثلاثاء ١٥ ربيع الاول ١٤٢٠ هـ/٢٥ حزيران ١٩٩٩ م -ص١٥.

ولذلك، ولأن هذا ما يرفضه الغرب الاستعماري ويحاربه، لم تكن الثورة الاسلامية الايرانية أول صفعة للعنهجية الأميركية، ولكنها أول صرخة تمرد على قيود الهيمنة الامبريالية العالمية عموما والأمريكية خصوصا تصدر من العالم الاسلامي الذي تمارَس ضده كل صنوف الاستغلال والتمييز والتشويه من قبل هذه الامبريالية من دون أدنى جهد من حكومات العالم الاسلامي للوقوف وقفة عز وانتصار للاسلام والقيم الاسلامية السامية التي شوهتها الصهيونية والامبريالية العالمية، وتبذل كل ما بوسعها لنشر أسوأ الصور عن الاسلام، وتكريسها من خلال الممارسات الوحشية والجرائم الفظيعة التي ترتكبها وتنسبها الى ما يسمى بالأصوليات الاسلامية لطعن الاسلام وتشويهه وقتله من جهة، ولإيجاد القطيعة التامة بين السلطة في العالم الاسلامي وبين كل ما يمتّ الى الاسلام بصلة حتى تنقطع كل أواصر اللقاء والحوار ويقوم المسلمون أنفسهم بمحاربة الاسلام.

وهذا ما كان حاضرا دائما في ذهن الامام الخميني، الأمر الذي دعاه الى التنبيه اليه وتوضيحه كلما تسنت له الفرصة ودعت الحاجة، فوجدنا ذلك في كثير من خطبه ووصاياه المختلفة وفي حديثه عن الحكومة الإسلامية... وسعى الى جانب ذلك السعي الحثيث لتثبيت الصلة الحقيقية الفاعلة بين السلطة والجماهير، ورفض المفهوم الذرائعي للسياسة، وكذلك رفض مفهومها الرائج القائل بامتلائها بالكذب والدجل والنفاق[١٣]، لأن السياسة وعي، وحرية، وإيمان بمصلحة الامة العليا ومصالح ابنائها، وحفاظ على ثرواتها وحسن استثمارها[١٤].

لقد ابرزت الثورة الاسلامية الايرانية، بفضل قيادة الامام الخميني وسياسته وافكاره، جملة من الحقائق وأكدتها تأكيدا عمليا، وهذه الحقائق مما يجب الا يغيب عن بال بلدان العالم الاسلامي، حكومات وشعوبا، ولعل اهمها:

١ - لقد برهن الامام الخميني برهانا عمليا ثبتت نتائجه على أرض الواقع أن الوقوف في وجه الصهيونية والهيمنة الامبريالية أمر غير مستحيل اذ لا تستطيع قوة في الارض أن تمنع أمة من أن تقف وقفة عز، وما أحوج العالم الاسلامي اليوم الى الوقوف وقفة العز هذه، لأن كل يوم تأخير فيها سيعود على العالم الاسلامي بأعوام من الضعف والقهر والاستلاب. ولا يحتاج الأمر الى معجزات كما يرى الامام الخميني «فلو اتحدت القوى العظمى بأسرها، فانها ستُهزم أمام وحدة الشعوب المسلمة العربية ولكن للأسف...»[١٥].

(١٣) محمد علي حسين : مطلع الفجر -وزارة الارشاد الاسلامي -طهران -ط١ -١٤٠٣ هـ- ص ٥١ و ٥٧.
(١٤) م. س -ص ٣٨ .
(١٥) مختارات من أقوال الامام الخميني - ترجمة : محمد جواد المهري -وزارة الارشاد الاسلامي -طهران -ط١ -١٤٠٢ هـ.ق- ص١٤٥.

٢ - لقد أكد الامام الخميني أيضا وحدة قضايا العالم الاسلامي وهمومه ومشكلاته واعدائه، وأعطى إبراز هذه الحقيقة أهمية كبرى، وقد تجلى ذلك واضحا في عودة ايران الى الحاضنة الاسلامية عودة حميدة صادقة، ووقوفها مع قضايا الأمة الاسلامية، من مشرق الارض الى مغربها، وقفة صاحب الحق والقضية، الامر الذي أحيا شعور الانتماء الاسلامي ووحدة هذا الانتماء، وهذا ما استفز أعداء الاسلام والعالم الإسلامي وأثار مشاعر حقدهم، ولولا ذلك لما وقف الغرب الاستعماري ضد الجمهورية الاسلامية الإيرانية أبدا، والدليل على ذلك أن ثمة دولاً اسلامية كثيرة لم تقف الولايات المتحدة أو الغرب الاستعماري على عمومه منها هذا الموقف العدائي.

إن وحدة قضايا العالم الاسلامي، تقتضي بالضرورة المنطقية وحدة مواقفه وتكاملها، وقد سعى الامام الخميني جاهدا من أجل تحقيق هذه الوحدة وهذا التكامل، سواء من خلال خطبه أو فكره او سلوكه، ولذلك لن أكتفي بالرجاء، بل أقول يجب أن تستمر مسيرة الامام الخميني وتتكلل مساعيه وتتكامل حتى تثمر الثمار التي ترنو اليها شعوب العالم الاسلامي، وهذا في حقيقة الأمر ما لم يغب عن أذهان القيادة السياسية الاسلامية الايرانية التي أدركت ضرورة اتباع مسيرة الامام الخميني لأن استمرار فرقة المسلمين وتشرذمهم لن يؤدي إلا الى مزيد من الضعف والذل والهوان والخضوع لارادة أعدائهم، ولذلك لا نستطيع إلا ان نثني على سياسة الرئيس السيد محمد خاتمي التي مثلت الامتداد الحقيقي برؤيته الاحيائية لفكر الامام الخميني وطموحاته في بناء أمة إسلامية متحدة قوية قادرة على الوقوف بندية أمام تحديات العصر وصعوباته.

٣ - على الرغم من كل محاولات تشويه صورة الثورة الاسلامية الايرانية والسلوك الاسلامي في ايران، وفي غيرها، بإلباسها اثواب التعصب والتقوقع والانغلاق، من أجل الطعن في الاسلام والمسلمين، فقد أثبتت الثورة الاسلامية الايرانية انفتاح الاسلام ومرونته، سيان كان الأمر فيما يتعلق بأخوة المسلمين على اختلاف مذاهبهم انطلاقا من وحدة الايمان مرورا بوحدة الهم فوحدة العدو، وصولا الى وحدة المستقبل والمصير، أو كان الأمر متصلا بعلاقة الاسلام والمسلمين بالشعوب الاخرى وحضاراتها، هذه العلاقة المفعمة بالروح الانسانية والاخوية النقية الصادقة خلافا لما يشاع ويروج بقصد التشويه والطعن من انغلاق وتعصب وتقوقع.

ولذلك لا عجب في ان تتوج مساعي الامام الخميني بتسامي مكانة ايران وازدياد أهمية مكانتها في العالم الاسلامي، من خلال دورها ومساعيها في وحدة الصف الاسلامي، وتعزيز مكانة الاسلام في العالم، والوقوف الى جانب القضايا الاسلامية العادلة

والدفاع عنها بوصفها قضايا مشتركة للمسلمين الذين يجب عليهم أن يعوا موقفهم ومكانهم ومكانتهم في العالم، ويجب أن يدركوا أنهم بغير اتحادهم وتكاتفهم وتكاملهم لن يحصدوا الا الشوك الذي سيدمي ايديهم. ولذلك يجب على العالم الاسلامي أن يدرك أن جهود ايران ومساعيها، وكذلك جهود غيرها ومساعيها من الدول الاسلامية، في سبيل عزة الاسلام والمسلمين، وقوتهم ومنعتهم وكرامتهم، ليست صدقة ولا تطوعا ولا تفضلا ولا منّة منهم، وإنما هي واجب المسلم للاسلام أولا ولأخيه المسلم ثانيا وللإنسانية ثالثا. فالرسول الكريم(ص) يقول: «انصر أخاك ظالما أو مظلوما» ان كان ظالما منعناه عن الظلم، وإن كان مظلوما انتصفنا له. وما أحوج العالم الاسلامي اليوم إلى امتلاك القدرة على تطبيق هذا الحديث، فهل من سميع؟

بناء على ذلك يمكننا العودة الى المقدمات التي انطلقنا منها، وهي أولا خطأ القول بأن العظماء هم الذين يكتبون التاريخ، وهذه عندنا حقيقة مسلمة، مصادرة ليست بحاجة إلى برهان، لأن التاريخ هو العظماء، والعظماء هم التاريخ، من ثم فإنهم لا يكتبون التاريخ وإنما هم أبعاضه المكونة له، أبعاضه التي لا يمكن أن يكون هو من دونها، وخير دليل على ذلك أننا عندما نرجع الى دراسة التاريخ فإننا ندرس العظماء وما فعلوه، وما خلفه هؤلاء العظماء، بل اننا نسمي المراحل التاريخية بأسماء ألمع أعلامها من العباقرة والعظماء، وهذا ما درج عليه المفكرون والباحثون والنقاد، ومن ذلك قيل: عصر الجاحظ، وعصر التوحيدي، وعصر الشريف الرضي، وعصر فولتير، وعصر محمد علي.

والإمام الخميني بهذا المعنى لم يكتب التاريخ، ولم يخلَق ليكتب التاريخ، لأنه حلقة من حلقات التاريخ وجزء أساسي من مكوناته. والعظماء الحقيقون الذين يمثلون التاريخ ويمثلهم التاريخ هم الذين يصنعون شعوبهم وشعوب أمم غير أممهم، وليست الشعوب من تصنع العظماء، ولكن العظماء لأنهم ملك أممهم من غير إرادتهم فإنهم لا يمكن إلا أن يصغوا إلى أصوات شعوبهم وأحلامهم وآمالها وأوجاعها.

ولقد كان الامام الخميني ملك شعبه وأمته، وكغيره من عظماء الأمم والشعوب، لم يكن ملك أمته بإرادته وانما بإرادة من أراده عظيما، فخلقه عظيما. ولذلك استحق عن جدارة أن يكون واحدا من أعلام الاسلام الذين يحق للاسلام أن يفخر بهم، ويجب على المسلمين أن يفخروا به.



رؤية الإمام في الإطار الفكري لمسألة الوحدة الإسلامية

الدكتور الشيخ محمد حبش

منذ ان تحول الخلاف الفكري بين أبناء الأمة الواحدة الى صدام تحكمه مواقف العنف، ونداءات الوحدة الإسلامية لم تنقطع على السنة الشرفاء والمخلصين من ابناء هذه الأمة.

وقد كان سقوط العالم الإسلامي من موقعه الريادي في العالم نتجية حتمية لضياع تلك الوحدة الإسلامية.

واذا كانت الوحدة الإسلامية هي مسؤولية رجال القرار في المقام الاول، فان هذه الوحدة لا تتأسس في الواقع عن فراغ بل تقوم أساساً على الجهود التي تبذلها قيادات الفكر في العالم الإسلامي.

ومن هنا يأتي تميز الإمام الخميني كقائد جمع في شخصه الزعامة السياسية، الثورة والمرجعية الدينية في آن معا.

ويمكن قراءة رسالته الوحدوية منذ فجر ثورته، ومع ان ثورته انطلقت في أعتى الظروف التي يتسلط فيها الإستبداد فانه كان قارئاً جيداً لحقيقة الوحدة على المستوى البعيد، وحين كان يطلق النساء في الشوارع يقاومن قوات السافاك كانت عبقريته تتجلى في تحقيق المد الثوري من دون ان يركب مركب الضغائن والاحقاد، فهكذا كانت فتيات الثورة يقدمن لاخوانهن من جند النظام ودباباته باقات الزهور تعبيرا عن رؤية عميقة لواقع ان هؤلاء الجنود هم أيضاً ضحايا نظام الاستبداد، وانهم عن قريب تائبون آيبون وهم جزء

(*) مستشار مفتي سورية الاكبر الشيخ احمد كفتارو. رئيس معاهد الأسد لتلاوة وتحفيظ القرآن الكريم.

من نسيج الأمة. انه أمر لم يتكرر في تاريخ الثورات، ان يصل الثوار الى النصر المنشود من دون ان تتورط كتائبهم في دورة العنف التي كان النظام يجرهم اليها صباح مساء.

وهكذا نقد بلغ الإمام الخميني ما قصد اليه من تحقيق الوحدة الداخلية بين ابناء الشعب الإيراني، وكان عليه ان يتوجه الى الهم الاكبر، وهو الوحدة الإسلامية في بقاع الأرض.

ولم يكن الإمام يجهل طبيعة الشرخ الهدام الذي قصم وحدة هذه الأمة لقرون طويلة، وصير عناءها بعضه يهدم سعي بعض.

لقد ادرك ان الوحدة لا تقتضي الغاء الآخر، أو اعادة تركيب فكره وثقافته وفق إرادة الطرف الغالب، وان بالامكان قيام ائتلاف بين مختلفين، اذا تحددت المقاصد الكبرى التي يسعى اليها اطراف الحوار.

ومن هنا اتخذ القرارات الحكيمة بتدريس مذاهب أهل السنة الى جوار مذهب أهل البيت في الجامعات الإيرانية واوجد هذا لونا جديدا من الوان الحوار الاكاديمي، الذي تحكمه الموضوعية والدقة العلمية.

ولكن القرار الذي كان له ابلغ الاثر في ايقاظ مشاعر الوحدة الإسلامية كان في نداء الإمام الخميني لسائر ابناء الأمة لالتزام الجماعة في المشاعر المقدسة من وقوف بعرفة والاقتداء بأئمة الحرمين، على الرغم من الخلاف المعروف في تحديد المواقيت، وهيئات النسك، وهو خلاف موجود حتى بين اتباع المذاهب الاربعة.

وهكذا شهد المسلمون في المشاعر المقدسة وحدة النسك بين طوائف الأمة الإسلامية لأول مرة منذ قرون، وغابت ظاهرة مؤسفة كانت تؤلم دعاة الوحدة، وهي تفرق المسلمين في مناسك الحج الاعظم، وتفاوت وقوف السنة عن وقوف الشيعة في عرفة.

وفي الواقع فان ما نشير اليه هنا من مواقف وحدوية رائدة للامام الخميني، ليس الا اشارات بسيطة لسياسة تجذرت في الخطاب الإيراني الرسمي والعلمائي، مهدت لدور رائد في خدمة الوحدة الإسلامية وهو المعنى الذي أهل إيران لتنظيم اهم قمة إسلامية، وبالتالي توليها رئاسة منظمة المؤتمر الإسلامي.

لقد كان هذا المعنى واضحا في كلمة السيد الرئيس حافظ الاسد في القمة الإسلامية بطهران، حيث اشار الى الآفاق الكبيرة التي هيأتها قمة طهران لدخول العالم الإسلامي الى القرن المقبل.

لقد كشف الإمام الخميني ان الحديث عن العالم الإسلامي هو وحده الخطاب الذي يحظى بمرضاة الله، وبالتالي يعيش فيه المسلمون آلامهم وآمالهم.

إن امتداد العطاء الذي تركه الإمام الخميني هو شاهد آخر على الأسس الراسخة التي أسس عليها الإمام جهاده وعطاءه. وان كثيراً من رجال الاصلاح والثورة يؤسسون إصلاحهم على أساس من الوهن، حتى اذا عصفت به أيادي الزمن هوى بعضه على بعض وتداعت اركانه وصار نهبا للطامعين.

ولم يكن كذلك عطاء الإمام الخميني، وخسر الذين كانوا يراهنون على تمزق إيران عقب وفاته. وظهر للعالم ان هذه الثورة تملك أسباب قوتها في داخلها وتستعصي على السقوط والشتات. وهنا أحب أن أسجل أمرين اثنين تميز بهما عطاء الإمام الخميني خلال حياته الزاخرة بالعطاء.

الاول: تأصيل دور اللغة العربية كلغة ثانية في إيران وفق نص الدستور، وهو ما يعكس إيمانه بمبدأ وحدة العالم الإسلامي في الاطار الثقافي وهو إحياء لرسالة اللغة العربية التي ظلت عدة قرون لغة الثقافة والحضارة في العالم، وتحقق بها حلم الحكماء في ايجاد لغة للعالم.

ولا شك ان التيارات المطالبة بالتغريب لم تكن لترضى هذا الاتجاه الإسلامي وناصبته العداء، ولكن الجذور التي استند اليها الإمام من عمق انتماء الشعب الإيراني للإسلام هي التي قدرت النجاح لهذا السبيل.

ولا شك ان انتشار اللغة العربية كمعلم ثقافي انما هو نصر إسلامي تصب نتائجه في اطار الوحدة الإسلامية.

الثاني: إحياء الفقه الإسلامي ومحاربة التعصب المذهبي. فقد كانت دعوة الإمام في هذا الاطار بالغة الحساسية اذ يعلم كل مراقب ان إيران كانت ولعدة قرون دارا للمذهب الجعفري، وثمة موروث ثقافي مختزن بين المذهب الجعفري والمذاهب الاربعة يعكس جدلا لم يكن دائما في مصلحة الوفاق والوحدة، وكان الحالمون يتصورون ان على الإمام ان يختار بين التقوقع في المذهب ورفض الآخر او قبول الآخر ورفض المذهب. ولكن المنهج الذي اختاره كان غير هذين، وقد اظهر للناس بجلاء ان الوحدة الإسلامية لا تقتضي التنكر للمذاهب الإسلامية التي هي مدارس فقه غنية وثرية، وان الآفة في التعصب المذهبي وليست في المذاهب الإسلامية والتي تأسست بعد رحيله (قدس سره) وبقرار خليفته المعظم الإمام الخامنئي (مد ظله)، وليس أدل على هذا الوعي من احيائه لفكرة

التقريب عبر مؤسسة متفرعة هي (المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية) وهي مظهر واحد من اشكال التوجه الوحدوي الذي تنتظم فيه سائر مؤسسات الثورة والدولة في الاعلام والثقافة والنشر.

لقد أصبح التقريب بين المذاهب الإسلامية نشاطا موجوداً في كل عواصم العالم الإسلامي واصبح يرحب به في سائر مراكز الثقافة ولكنه لم يكن كذلك قبل ان يصل الإمام الخميني بثورته الى اعادة رسم ملامح العالم الإسلامي.



(اللاشرقية واللاغربية) في فكر الإمام الخميني

الشيخ راتب عبد الواحد

لعل أهم ميزة امتازت بها الثورة الإسلامية المباركة في إيران منذ اليوم الاول لانطلاقها هو عدم ارتباطها او تبعيتها لأي من الدول العظمى في العالم، وهو ما عبرت عنه بشعار (لا شرقية ولا غربية، جمهورية إسلامية).

وهذه هي في الحقيقة سياسة الإسلام، سياسة (لا اله الا الله). حيث استنبطها السيد الإمام الخميني(قده) من الآية الكريمة:

﴿الله نور السموات والأرض * مثل نوره كمشكاة فيها مصباح * المصباح في زجاجة * الزجاجة كأنها كوكب دريّ يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية﴾ [النور: ٣٤].

لقد هدف الإمام من هذه الفكرة ان يني دولة حرة مستقلة محايدة هويتها الإسلام. تسير نحو الاكتفاء الذاتي في الإقتصاد والاستقلال الفكري والسياسي والإجتماعي والدفاعي، وترجع في جميع أمورها الى الله سبحانه والاعتماد عليه دون سواه.

لأن الإسلام لا يرضى ان يجعل للكافرين أية ولاية ومهما كان نوعها الى أمور المسلمين!

انها فكرة الثقة بالنفس والاعتماد على الذات والرجوع الى الله في الحاكمية اذ لا حاكمية الا لله عز وجل **﴿إن الحكم الا لله أمر الا تعبدوا الا إياه﴾** [يوسف:٤٠].

(*) كاتب إسلامي ومؤلف في القضايا الدينية والفقهية.

لذلك، فقد ركز الإمام السيد الخميني(قده) ومنذ انطلاقة الثورة ان لا يمد يده ليطلب مساعدة الكتلة الشرقية او مساعدة الكتلة الغربية، لأن الاولى شيوعية الحادية، والثانية رأسمالية احتكارية صليبية كلتاهما تحركهم الصهيونية العالمية بطريقة او بأخرى. وكلتاهما أيضاً على نقيض كبير وواسع مع الإسلام.

هذا الدين الذي من أركانه الإيمان بتوحيد الله الخالق لكل شيء، والمستغني عن كل شيء، والمحتاج اليه كل شيء، ومن اركانه أيضاً العدالة الإجتماعية بأرقى معانيها وهذه العدالة منبثقة عن العدل الإلهي فأنى لهاتين الكتلتين ان يحققا هذه العدالة وهما لا يؤمنان بها ولا يتذوقان طعمها!

لذا فان الإسلام وحدة مستقلة، لا علاقة له من قريب او بعيد بكلا النظامين الفاسدين لأنهما بشريان، والإسلام الهي، ولانهما يخالفان السنن الكونية والفطرة الإنسانية في خطوطها المتنوعة والتي لابد لها من المرجعية الإلهية. وثالثا: لانهما يقومان على القهر والظلم والاستبداد والاستعباد لبني البشر، وبذلك يجعلان البشرية تعيش مرحلة الفوضى والقلق والضياع والحرمان والمهانة والشقاء، اما الإسلام فجاءت رسالته لتنقذ البشرية من هذه الأمور السلبية التي تعصف باستقرار الإنسان وتؤدي به الى الهلاك والدمار والدماء والشواهد على ذلك واضحة وكثيرة لا داعي لذكرها. وبالتالي يريد الإسلام ان يحرر الإنسان من كافة اشكال التسلط والاباطيل، ومن عبادة الطاغوت الى افراد العبودية لله وحده، وهو ما اسماه الإمام الخميني (رضوان الله عليه) في احد خطاباته الموجهة الى الجماهير المسلمة بعد انتصار الثورة ب(الخط المعنوي).

يقول الإمام القائد: «يجب ان لا ننسى الخط المعنوي الذي ثرنا على أساسه، ذلك الخط الذي جلب الى ثورتنا انظار العالم رغم القصور الاعلامي الذي حاق بنا من قبل، انه الخط المعنوي الذي يخالفه المتكبرون».

لذلك فان فكر الإمام الثوري الذي استنبطه من قراءته العميقة والشمولية للإسلام الاصيل تجعله يرفض قبول اي فكر اجنبي خارج عن هذا الخط الإلهي.

وبالتالي لا يرضى للمسلمين جميعا ان يلتحقوا بأي معسكر او كتلة او حلف اجنبي مهما كان نوعه، رغم ان دول العالم عند انطلاقة الثورة الإسلامية كانت تابعة بشكل او بآخر لأحد المعسكرين الشرقي او الغربي.

والتبعية في نظر قادة هذه الدول ضرورية ولازمة لبقاء الدولة واستمراريتها حتى ولو كانت على حساب الشعوب وكرامتها.

بينما نظرة الإمام الراحل كانت تخالف هذا الاتجاه بـ(١٨٠) درجة، وتؤمن بالحياد الايجابي لصالح المستضعفين والمحرومين في الأرض، حتى ولو كانوا لا يدينون بالإسلام، لانه يرى ان الإسلام يهدف الى إنقاذ هذا الإنسان دون النظر الى عرقه او لونه او دينه، ثم تركه يعيش حراً من تأثير الهيمنة الإستكبارية والجاهلية العصرية، وعندها سيختار دينه الذي يرتضيه بنفسه.

نعم ، ان سياسة (اللاشرقية واللاغربية) هي الحياد الايجابي عن الشرق والغرب ولكن لا على طريقة كتلة عدم الانحياز التي شكلها تحالف (تيتو وعبد الناصر) في الستينات، وانما كتلة حيادية تلتزم الإسلام فكرا ومنهجا وحركة وتعتز به وتناضل من اجل ان يحكم البشرية عن قناعة ورضى ومحبة، لا بالإرهاب والبطش والاكراه، حتى يكون الدين كله لله!

يقول الإمام (رحمه الله): «اننا لن نميل لا الى الشرق ولا الى الغرب، وانما نريد ان نكون محايدين»!

ويصر الإمام على انه ليس في فكره اية نية لاتباع الشرق او الغرب مهما كان الثمن فيقول: «لقد ضربنا صفحا عن الشرق والغرب، أميركا وروسيا». وفي موضع آخر يصرح «اننا لن نخشى الشرق ولا الغرب وانما نتمسك بالله»!

ولم يقف الإمام عند طرح الشعارات بل انتقل الى تنفيذها على ارض الواقع فدعا الى القيام بالثورة الثقافية التي تم فيها اسلمة العلوم والمعارف، بمعنى عدم تبعيتها للفكر الغربي بجناحيه الرأسمالي والاشتراكي الشيوعي، لان الفكر الغربي يهدف الى محو الثقافة والقيم الاصيلة وتشويه الهويات والقضاء عليها في البلدان الخاضعة لهيمنته، وخلق جيل بعيد عن الاخلاق، متخبط في الرذائل والموبقات، مستهلك لما ينتجه الغرب من ثقافة وبضائع!!

ولقد ركز فكر الإمام في سبيل تطبيق شعار الجمهورية الإسلامية «اللاشرقية واللاغربية» على قضية الإعداد للمستقبل والاعتماد على الذات في بناء إقتصاد وطني متين يقوم على الفكر الإسلامي ويهدف الى تطوير الزراعة وأدواتها وعلى اقامة الصناعة الثقيلة واللازمة للنهضة المادية. والسير نحو الاكتفاء الذاتي في مجال الصناعة والزراعة، بدل الاعتماد على تصدير النفط فقط بعد استخراجه بايدي الشركات الاجنبية كما كان على زمن الشاه المخلوع. يقول الإمام (قده):

«دعوا الإسلام يتحقق، دعوا الجمهورية الإسلامية تتحقق على احكام الإسلام النيرة، لا تدعوا مجالا للذين يريدون ان تبقى صناعاتنا متأخرة، ولا يريدون ان تتحقق زراعتنا

وتتحرك مصانعنا، لا تدعوهم يغفلوكم، انهم يريدون اغفالكم حتى ينهبوا ثرواتكم ويسرقوا ثروات هذا البلد او يسمحوا للاجانب (شرقيين او غربيين) لسرقة ثرواتنا، يجب عليكم ان تمنعوا ذلك».

وفي موضع آخر يقول: «أميركا في آخر العالم انهم يحبون ان تكون لهم اسواقنا، ويطمعون ان تكون لهم منابع نفطنا، واما نحن فمسلمون، فالإسلام لا يظلم احدا، ولا يقبل الظلم».

وهكذا استطاعت الثورة الإسلامية المباركة ان تقلب المعادلات الدولية وان تدخل الإسلام الى ساحة الحياة الدولية وتفجر الأرض تحت عروش الظلمة والكافرين، وان تقيم دولة الإسلام المباركة في الأرض بعد امد طويل، ولقد استطاعت ان تمر بذكاء كبير من خلال مضيق التنافس السياسي بين الكتلتين الشرقية والغربية دون ان تنزع الى هذه الكتلة او تلك.

ثم ان تمارس بصورة حقيقية شعار (لا شرقية ولا غربية) وتمارس العمل السياسي، وما احوج البلدان الإسلامية الى الاستفادة من هذه التجربة الصادقة ونحن نتأهب للدخول الى القرن الواحد والعشرين.



الإمام الخميني بين قيادة المجتمع الإسلامي وادارته

الدكتور محمد أحمد خير الفوال

ما من شيء الا ويستمد قوته من مصدر معين والدولة ان استمدت قوتها فإنما تستمدها اولا واخيراً من شعبها، وكل تعريفات الحكم وأنواعه اعتمدت قبل كل شيء على عنصر الشعب. واذا ما أردنا معالجة المجتمع الإسلامي لا بد ان نتطرق الى منظور ذلك الإمام العظيم ذي الافق الواسع والنظرة الصائبة والتحليل المنطقي للأمور دون تطرف او هوى وهو الإمام الخميني (قدس سره).

ان ادارة المجتمع كما يراها الإمام الخميني(قدس) يجب ان تنطلق اولا واخيرا من الرؤية الكونية الشاملة للإسلام وتصبح مسؤولية الفرد المسلم تجاه المجتمع والعلاقات بين المجتمعات البشرية والحكومات محددة وميسرة، عندما نضع بين اعيننا الرؤية الكونية الشاملة للإسلام حيث ان تلك المسؤولية تنبع في حقيقة الأمر من مسؤولية اكبر تجاه رب العالمين الذي خلق البشر اجمعين.

واذا ما أراد المؤمن ان يعبّر عن صدقه ووفائه تجاه الله تعالى عليه ان يفكر دوما بقضية الحكم والسياسة، ولقد جاء عن الإمام الصادق(ع) انه قال: «بني الإسلام على خمس: الصلاة والصوم والحج والزكاة والولاية، وما نودي بشيء مثلما نودي بالولاية». ومن هنا نرى ان الإمام الخميني أولى شكل الحكومة اهتماما كبيرا لما لها من دور أساسي في الحياة الإجتماعية.

فالمجتمع الإنساني يتحدد قبل كل شيء بنظام الحكم الذي يطبّقه والحكومة في حقيقة

• أستاذ دراسات عليا في جامعة دمشق يحمل شهادات دكتوراه في آداب اللغة العربية وعلومها وفقه اللغة الفرنسية وطرائق تدريس اللغة الفرنسية وعلوم التربية وعلم النفس من جامعة السوربون بفرنسا ودراسات عليا في الحقوق.

الأمر شأن إلهي رباني، وأي مجتمع من المجتمعات ان أراد لنفسه ان يكون مجتمعاً إلهياً لا بد ان يتحرك في برامجه وسياساته وفق إرادة الله تعالى الذي لم يترك مصير البشر دون برامج محددة ودقيقة تؤمّن اكبر مكسب لأي مجتمع ملتزم ألا وهو الطمأنينة التامة ما دام يمشي وفق برنامج رباني محدد لا يعرف الزلل او الخطأ. وهذا ما عبر عنه قولا وعملا الإمام الخميني (قدس سره) عندما قال: «ان الحكومة هي الفلسفة العملية للفقه الواقع بكل ابعاده»، ومن هنا تتجلى قيمة وعظمة ولاية الفقيه وهي حكومة الفقه والشريعة على يد العارف بها، الخبير بأحكامها، البعيد عن أهوائه ورغباته الذاتية، المطبق لشرع الله في كل أمر من أمور الحياة، الكاره لكل تعصب سوى التعصب لشرع الله تعالى.

في حقيقة الأمر نستطيع الجزم ان ولاية الفقيه هي الشكل الضروري المطلوب للأمة الإسلامية لا سيما في الوقت الراهن لوجودها الحساس، لما تلاقيه من ظروف إجتماعية وسياسية وإقتصادية وفكرية معقدة وعصيبة في الوقت الراهن.

قد يتساءل سائل قائلا: هل يوجد في الإسلام ولاية فقيه؟ او بعبارة اخرى: أمن الواجب الاعتقاد بضرورة وجود فقيه من اجل قيادة الأمة الإسلامية؟ واذا وُجد هذا الفقيه هل من الواجب طاعته لأنه الوالي الذي يتصدى لأمور المسلمين؟.

من هنا كان انطلاق الإمام الخميني (قدس سره) حيث نادى بضرورة وجود فقيه جامع لشرائط قيادة المجتمع الإسلامي، وهذه الضرورة اذا ما تفحصها الإنسان المنطقي، ضرورة عقلية لأن الله سبحانه وتعالى ميز الإنسان على الحيوان بالعقل، حيث ان الإنسان كما وصفه عالم الإجتماع ابن خلدون (حيوان ناطق) أي عاقل.

لقد شاءت إرادة الله عزّ وجل ان يختفي امام الزمان المهدي الثاني عشر عن الانظار لمعاندة الناس الائمة وقتلهم. بيد ان غياب الإمام المهدي لا يعطل ولايته التكوينية التي هي ضرورية ما دامت الأرض. كما لا يعطل ولايته التشريعية لأن وجود مصدر تشريعي، واجب للرجوع اليه.

ويقوم الفقيه في غيبة الإمام المنتظر بدورين أساسين: حفظ الحياة البشرية وحفظ الشريعة. اما الدوران الآخران وهما؛ بيان الشريعة وزعامة المجتمع وقيادته، فهما واجبان على الناس، ومعنى ذلك ان من الواجب على كل مسلم ان يبحث عن حكم الله تعالى وان يتبع قيادة إسلامية عارفة بأحكام الله تعالى.

أضواء على دستور الجمهورية الإسلامية

إن أراد الإنسان ان يتكلم عن انسان عظيم خلده التاريخ لا بد ان يخص الإمام الخميني (قدس سره) بحديث مسهب. وقد لا تكفي أسفار عدة للتحدث عن هذا الإمام الخالد (قدس سره).

لقد حرص الإمام على وحدة المجتمع الإسلامي كما يحرص الاب على وحدة ابنائه وكما تحرص الام على وحدتها مع رضيعها. لم يكن الإمام الخميني(رض) إنسانا أنانيا ينظر الى مصلحة شعبه وبلده دون ان يكترث ببقية ابناء المجتمع الإسلامي، بل نظر (قدس سره) اولا واخيرا الى سعادة الإنسان في المجتمع البشري كله. فلم يفرق بين إيراني وغير إيراني، بل اعتبر ان سعادة الإنسان المسلم قضية مقدسة وهي رسالة مقدسة، وعلى كل امام ان يضع ذلك نصب عينيه. وخص قبل كل قضية؛ الحرية والاستقلال، بمزيد من العناية حيث ان الفرد المسلم لا يستطيع ان يمارس مهامه والمسؤولية الملقاة على عاتقه الا اذا كان حرا مستقلا.

والحرية كلمة لها ابعادها العميقة وثمنها غال ولا ينالها الا من دفع الثمن غاليا كما يقول امير الشعراء احمد شوقي عندما احرقت فرنسة مدينة دمشق الغالية وطالب أبناء سورية بالاستقلال:

سلام من صبا بردى أرقُّ ... ودمع لا يكفكف يا دمشقُ

وللحرية الحمراء بابٌ ... بكل يد مضرّجة يدقُّ

ولم يكتف الإمام الخميني (قدس سره) بذلك، بل كان يرى ان اقامة حكومة إسلامية تقوم على الحق للجميع والعدل المطلق حق لجميع الناس وفي ارجاء العالم كافة.

لقد اراد الإمام الخميني (قدس الله سره) ان تكون إيران جمهورية إسلامية تقوم قبل كل شيء بدعم النضال المشروع، وخص بذلك النضال المشروع المستضعفين من الافراد والشعوب ضد المستكبرين في كل بقاع العالم. ومما يدل على نواياه السليمة في مساندة ودعم النضال المشروع من اجل مَن هو بحاجة الى ذلك الدعم، انه (قدس سره) قد وضع شرطا يعتبر من اهم الأمور الآن في منطق ولغة القانون الدولي، وهو عدم التدخل في الشؤون الداخلية للشعوب الاخرى، وهذا ما عبّر عنه في المادة ١٥٤ من دستور الجمهورية الإسلامية في إيران الذي صدر في عهد الإمام الخميني (قدس الله سره) حيث جاء: «تعتبر جمهورية إيران الإسلامية سعادة الإنسان في المجتمع البشري كله قضية مقدسة لها وتعتبر

الاستقلال والحرية واقامة حكومة الحق والعدل حقا لجميع الناس في ارجاء العالم كافة، وعليه فان جمهورية إيران الإسلامية تقوم بدعم النضال المشروع للمستضعفين ضد المستكبرين في اية نقطة من العالم وفي الوقت نفسه لا تتدخل في الشؤون الداخلية للشعوب الاخرى».

ومما يدل على الإيمان المطلق بحق المسلمين في الحياة والحرية والاستقلال والتفوق والنصر والقيام بالأعباء الملقاة على اعتاقهم، ان الإمام الخميني (قدس سره) وقف وقفة الرجل الذي لا يهادن الإستعمار والرجعية، وقف في وجه أميركا قائلا «لا لا لا»، تحيز للقوى المتسلطة ووقف تجاه القضايا المصيرية من لا يخاف في الله والحق والنصر لومة لائم فقد تعاطف مع شعبه المؤمن تعاطفا صادقا، ومع القضية الفلسطينية والقضايا الإسلامية في لبنان، ومع مسلمي البوسنة والهرسك، وكل ذلك يدل على الموقف الثابت الجريء الصادق، وهذا ما نراه واضحا في دستور الجمهورية الإسلامية في إيران لا سيما في المادة ١٥٢ حيث ورد: «تقوم السياسة الخارجية لجمهورية إيران الإسلامية على أساس الامتناع عن أي نوع من انواع التسلط او الخضوع له، والمحافظة على الاستقلال الكامل ووحدة اراضي البلاد والدفاع عن حقوق جميع المسلمين وعدم الانحياز مقابل القوى المتسلطة وتبادل العلائق السليمة مع الدول غير المحاربة».

نعم ان الإمام الخميني (قدس سره) هو ابن الشعب، فهو لم ينس دوره الحيوي قط، وقد خوله صلاحيات هائلة في اتخاذ القرارات الكبرى، فالشعب هو الذي يقوم بتحديد رؤساء الجمهورية، والشعب هو الذي يختار نواب المجلس، والشعب هو الذي ينتخب القائد من خلال انتخاب اعضاء مجلس الخبراء، حيث ان الإمام الخميني (قدس سره) قد نظر الى السيادة المطلقة على العالم وعلى الإنسان، فوجدها تتعلق اولا واخيرا بالله عزّ وجل الذي منح الإنسان حق السيادة على مصيره الإجتماعي وما دام هذا الحق حقا إلهيا فلا يستطيع أي انسان سلب ذلك الحق من أي فرد من الافراد، وهذا ما عبر عنه الدستور في المادة السادسة والخمسين: «السيادة المطلقة على العالم وعلى الإنسان لله، وهو الذي منح الإنسان حق السيادة على مصيره الإجتماعي، ولا يحق لأحد سلب الإنسان هذا الحق الإلهي او تسخيره في خدمة فرد او فئة ما..».

لقد نظر الإمام الخميني (قدس سره) الى أسلوب الحكم في الإسلام فرأى ان الحكومة يجب ان تكون بعيدة عن الطبقية والسلطة الفردية او الجماعية ولكن من الواجب ان تجسد التطلعات السياسية لشعب متحد في دينه وتفكيره حيث يقوم بتنظيم نفسه حتى يستطيع من خلال التغيير الفكري والعقائدي ان يسلك طريقه نحو هدفه النهائي الا وهو الحركة

الى الله تعالى.

كان الإمام (قدس سره) يرى ان بناء المجتمع يجب ان يعتمد على المراكز والمؤسسات السياسية القائمة على التعاليم الإسلامية كما ان الحكم وادارة شؤون البلاد ينبغي ان تكون بيد الاشخاص الصالحين ﴿**ان الأرض يرثها عبادي الصالحون**﴾.

لقد رأى الإمام الخميني (قدس سره) ان الهدف من اقامة الحكومة، هداية الإنسان للسير نحو النظام الإلهي ﴿**والى الله المصير**﴾ كي تتهيأ الظروف المناسبة لظهور المواهب وتفتحها في سبيل نمو الأخلاق الإلهية في الإنسان، «تخلقوا بأخلاق القرآن» وهذا لا ولن يتحقق الا بالمشاركة الفعالة والشاملة من قبل جميع افراد المجتمع في مسير التطور الإجتماعي.

وقد كان الإمام الخميني (قدس سره) يسعى دوما الى ولاية الفقيه العادل وذلك من اجل استمرار ولاية الأمر والإمامة وقد جاء في المادة الخامسة من الدستور: «في زمن غيبة الإمام المهدي - عجل الله تعالى فرجه- تكون ولاية الأمر وامامة الأمة في جمهورية إيران الإسلامية بيد الفقيه العادل المتقي البصير بأمور العصر الشجاع القادر على الادارة والتدبير وذلك وفقا للمادة ١٠٧». وهكذا نجد الدعوة الى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - في منظار الإمام الخميني (قدس سره) - مسؤولية جماعية ومتبادلة بين الناس كما جاء في المادة الثامنة من دستور الجمهورية الإسلامية في إيران، وذلك بالاعتماد على الآية الكريمة ﴿**والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر**﴾.

ولا بد من التنويه والاشارة الى نظرة الإمام الخميني (قدس سره) الى المرأة وفي ذلك ردّ على كل من يشوه وضع المرأة في إيران. فلقد احتلت المرأة مكانة مرموقة في فكر الإمام الخميني (قدس سره) ولا ادل على ذلك من تخصيص مادة في دستور الجمهورية الإسلامية في إيران تعبر وتصف وضع المرأة وحقوقها المادية والمعنوية كما تبين العناية الخاصة التي كان يوليها الإمام الخميني (قدس سره) للارامل وفاقدات المعيل. وهكذا فقد جاء في المادة ٢١ من الدستور المذكور: «الحكومة مسؤولة في اطار الإسلام عن تأمين حقوق المرأة في كل المجالات وعليها القيام بما يلي:

١- ايجاد الظروف المساعدة لتكامل شخصية المرأة وإحياء حقوقها المادية والمعنوية.

٢- حماية الامهات ولا سيما في مرحلة الحمل وحضانة الطفل ورعاية الذين لا معيل لهم.

٣- ايجاد المحكمة الصالحة للحفاظ على كيان الاسرة واستمرار بقائها.

٤- توفير تأمين خاص للأرامل والنساء العجائز وفاقدات المعيل.

٥- اعطاء الامهات الصالحات القيمومة على اولادهن عند فقدانهم الولي الشرعي من اجل رعايتهم».

وهكذا فإن الإمام الخميني (قدس الله سره) عزز في شعبه روح العزة والحرية، فلم يعد يخاف أي نوع من انواع الخوف، بل اصبح المواطن يستطيع ان يعبر عن رأيه دون خوف في الأمور الحساسة التي ترتبط بمصير الدولة كما حصل في بداية الجمهورية الإسلامية في إيران عندما اعطى الحرية للشعب، حرية (نعم او لا) في تسمية الدولة باسم الجمهورية الإسلامية. ونستطيع القول؛ إن العظيم يبقى عظيما وسيبقى عظيما وخالدا في ذاكرة ونفوس الشعوب على مر الزمن.



الإمام الخميني وشموخ عهد القيم والمثل العليا

العلامة الشيخ محمد حسن نقي

لابد لكل أمة من قيم ومثل تدعو لها وتجعلها نصب أعينها لتحقيقها لتأخذ مكانها بين الأمم، وأفضل تلك القيم هي التي أمر بها الله سبحانه وتعالى، باعتباره العالم الاوحد بالمصالح والمفاسد وجعلت وظيفة الأنبياء من أجل نشر هذه القيم والمثل والدعوة اليها، لذلك قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «انما بُعثت لأتمم مكارم الاخلاق» لكن التساؤل الذي يطرح نفسه هو هذه الوظيفة بعد عصر النبوة لمن تكون؟

تأتي الرواية الشريفة لتجيب على هذا التساؤل قائلة «العلماء ورثة الانبياء».

لكن ماذا يرث العلماء؟ لاشك انهم يرثون العلم ويرثون الخلق الرفيع ويرثون المهمة التي أوكلت الى الابنياء، وهي إرشاد الناس الى القيم المثلى.

ومن اجلّ مصاديق هؤلاء الورثة.. الإمام الخميني العظيم «قدس».

لقد استطاع الإمام الخميني(رض) ان يفهم القرآن باعتباره الموجّه الاول لوظيفته ولسلوكه ولاجتهاده، لقد فهمه فهماً جيداً ووعاه وعياً تاماً.. وقد أرشدنا الى ضرورة فهم كتاب الله والطريق الى ذلك فقد قال«رض»: من كفايه القرآن باب معرفة الله بأنه لابد للانسان الذي يريد ان يستفيد من القرآن، وكمقدمة لفهمه، ان يتخلى عن الحجب المانعة لفهمه. ولكن ما هي هذه الحجب؟ يؤكد الإمام«رض» بأنها حب الدنيا والعجب واتباع الآراء الفاسدة.. باختصار انها المعاصي مطلقا.

(٭) مدير حوزة الإمام الخميني (رض) في منطقة مقام السيدة زينب(ع) بدمشق، ومن كبار علماء محافظة إدلب.

لأن المعاصي تسيطر على السمع والبصر وسائر القوى فلا يستطيع سماع المعارف والمواعظ الإلهية. ولا تبصر العين الآيات الإلهية الباهرة ولا يتفقه القلب في الدين فيحرم من التفكر في آيات الله؛ **﴿لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها اولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون﴾** (الاعراف ١٧٩).

لقد تربى الإمام(رض) في بيت من البيوت المتواضعة مادةً ولكنه كان بيتاً شامخاً في العلم والورع والتُقى.. بيتاً كتب له ان يُشار اليه على انه مجدد الفكر والقيم في عصر تداعت فيه القيم.. في عصر تداعت فيه كل معاني الخير.. في عصر أصبح فيه المنكر معروفا والمعروف منكراً.. وجد الإمام (رض) في زمن كان يحتفظ ويمجد كل مظاهر الفساد والفحشاء بكل اشكالها الاعلامية منها وغيرها.

فالمجلات والصحف - وما اكثرها - كانت تزخر بكل ما يثير مشاعر الشباب سلبا وكل ما يلفت الانظار من الصور الخلاعية ومتابعة الاخبار التي لا فائدة منها وكذلك الاذاعة والتلفاز لم يكن حظهما بأحسن من ذلك، فجلّ برامجهما هادفة وموجهة ولكن هادفة لهدم روح الإيمان لدى الشباب سواء في نوعية الاغاني او نوعية البرامج، اما الافلام التي تعرض بواسطة التلفاز او السينما فكادت ان تتغلب على البرامج والافلام الاوربية في فحشها وخلاعتها.

هل أكتفي بذلك؟ لا، فبيوت الدعارة كانت كثيرة وسُمح لها بشكل رسمي آنذاك.. وحانات الخمر ما اكثرها.. وتذكر بعض الاحصائيات بأن محلات بيع الخمر المصنّع دوليا كان عددها (٨٢) محلا بينما المحلات التي تبيع الخمر المصنّع محليا كان عددها (٢٠٧٥) محلا. هذا في طهران لوحدها.

فلو حاولنا ان ننظر ونتفكر في مجتمع هذا هو ظاهره.. كيف تكون الأمة فيه؟ ماذا ينتظر منها؟

لكن الزمن لن يخلو من أولئك الذين عبّر عنهم القرآن الكريم قائلا: **﴿فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبّونه أذلة على المؤمنين أعزّة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم..﴾** (المائدة ٥٤).

والإمام (رض) من أولئك الذين لا يخافون في الله لومة لائم.. كيف يخاف من أعداء الله الذين اجتهدوا في السبل والطرق التي تؤدي الى انحلال المجتمع بل جعلوها من

شعائرهم وقيمهم؟.. كيف يخافهم وقد جعلوا التمرد على الله شعارهم؟ كيف يخافهم وهو الذي لم يكن يرى الا الله وما يرضي الله؟ كان يرى الله في كل مكان وكان يرى بأن الله معه في كل موقف وفي كل حركة.. وكان يعلم بأن الله معه ويدافع عنه.

﴿ان الله يدافع عن الذين آمنوا ان الله لا يحب كل خوّان كفور﴾ [الحج ٣٨].

بل لشدة إيمانه بهذا فقد كان الإمام (رض) ذائبا في طريق الله.. لذا نراه يغضب للّه حينا ويتحرك لمرضاة الله حينا آخر.. حسبما يقتضيه الموقف.

فقد رأيناه جميعا كيف أعلن عن غضبه للّه وثار ثورته ضد المرتد سلمان رشدي الذي لم يكن يمثل نفسه فقط بل كان ولا يزال يمثل خطا انحرافيا دوليا. أعلن ثورته ضد هذا الخط في زمن سكت فيه المعاقون.

ولننظر الى رده على السؤال الذي وُجّه اليه حين عودته من باريس الى طهران عندما سأله احدهم: ألم يخطر بذهنك ان يقوم رجال الشاه بإسقاط الطائرة التي كنت تعود عليها؟.. ماذا كان جواب الإمام؟ قال(رض): لقد رأيت بأن واجبي الشرعي ان أرجع الى طهران بغض النظر عن النتيجة ففعلت.

لقد رأى بأن مرضاة الله تكمن في هذا العمل فأقدم وهو مطمئن. نظر الإمام(رض) الى الواقع المعاش آنذاك في إيران والذي كان يرأسه الشاه فرآه نموذجا حيّا لخيانة المبادئ والقيم الحقة.. رأى بأن كل هذه الظواهر التي أشرت اليها بأنها تمرد على إرادة الله سبحانه وتعالى، واستهانة بمبادئ الحق والخير.

فقال كلمته.. الله اكبر.. لا اله الا الله.. فكانت شعارا للثورة.

قالها بكل عنفوان وترجمها الى واقع في حياة الأمة.

كل أداة كانت في زمن الطاغوت وسيلة لهدم القيم في روح الشباب حوّلها الى وسيلة بناءة للشخصية المؤمنة.

فالصحف الفاجرة حوّلها الى صحف نيّرة تنبض بالحيوية وبثّ الفكر القرآني الأصيل الذي يمتد ليصلح كل النفوس القابلة لذلك.

جعل من المسارح ودور السينما والاذاعة والتلفاز وسائل لتهذيب النفوس وتطهيرها وتزكيتها بعد ان كانت هذه الوسائل وسائل من أجل الإنحراف. اما حانات الخمر فقد أغلقها وحوّل بعضها الى مكتبات تنير الفكر وترعى روح الطفولة والشباب لتكون شعلة

في طريق بناء الأمة لتكون وسيلة لاعلاء كلمة الحق بعد ان كانت وسيلة شلل للفكر وتخدير له.

لقد كان الإمام (رض) معلماً ومرشداً في كل موقف من مواقفه، لقد كان رساليا في كل موقف.. هل يتصور الإنسان ان رجلا ما لا يأمر زوجته طيلة حياته أمراً ما ليس مطلوبا منها مهما كان بسيطا ولو لتناول كأس ماء؟.. نعم! انه الإمام العظيم. فقد قالت زوجته الفاضلة: والله لم يأمرني أمراً بحياته.. بل كان يخدم نفسه بنفسه، هكذا كان مع بقية أفراد الأسرة.. وهكذا كان مع مجتمعه الذي كان يعيش فيه في النجف وفي قم وفي نوفل لوشاتو.. الجميع كان يعرفه بخلقه الرفيع وفي قوله وفعله وحركته.

عندما كان الموقف يتطلب الكلام كان يتكلم وعندما كان يتطلب الموقف الفعل والعمل كان يعمل قبل الكلام.. هذا هو الخلق الرسالي. لذلك استطاع ان يأخذ بيده وينهض بأمة كادت ان تقع في الهاوية. استطاع ان يرفعها الى أعلى عليين واستطاع ان يجعلها مضرب المثل.. استطاع ان يجعل من هذه الأمة مثلا أعلى تسعى الأمم الاخرى للاقتداء بها.

لذلك فقد صدق أحد الشعراء عندما قال عنه (رضوان الله تعالى عليه):

يا قائد الأمة البذل العظيم لقد ... رحلتَ تحمـلُ تاريخا من القيمِ

نصرت بالثورة الإسلام مفتتحا ... عهدا على غير نشر العدل لم يقمِ

تخيّرت من سنا القرآن مبدأها ... وجاهدت في سبيل الحق والقيم

رحم الله الإمام وأسكنه الفسيح من الجنان بحق محمد وآله الاطهار والحمد لله رب العالمين.



مكانة المرأة في فكر الإمام الخميني

السيدة زينب حكيم شحادة

اني افتخر بأن اكتب عن الإمام الخميني(رض) ولو بكلماتي المتواضعة هذه وأتهيب الدخول في حياة هذا الإنسان العظيم والإمام الجليل.

منذ مئة عام بزغ نجم في سماء إيران يعلن ولادة رجل عظيم، كان هو الإمام الخميني (رضوان الله عليه).

كانت الأمة الإيرانية ترزح تحت حكم ملكي استبدادي عارم، وما ان برز في ساحتها رجل يوقظها ويدفعها للتخلص من الحكم الطاغوتي الرهيب، حتى استفاقت من سباتها وانطلقت في ثورتها الدامية ضد الشاه متتبعة طريق رجلها العظيم الجهادي بالرغم مما لاقته من نفي وسجن وتعذيب واعدام، وكان ذلك عام ١٩٦٤م.

وبعد جهاد متواصل اينعت نبتة الثورة فأصبح العاشر والحادي عشر من فبراير ١٩٧٩م تاريخا لانهيار صنم الشاهنشاه، وأُعلنت إيران جمهورية إسلامية. يقول الإمام علي (كرم الله وجهه): «الإيمان على اربع دعائم: الصبر واليقين والعدل والجهاد. والجهاد لا يكون جهادا حقا بدون الدعائم الثلاث الاخرى».

وانطلاقاً من هذا القول الحق كانت المسيرة الجهادية للأمة الإيرانية، فقد صبرت وعملت وجاهدت، وكان لها ما تريد واصبحت ثورتها رائدة في العالم أجمع وخاصة في العالم الإسلامي.

(*) مشرفة تربوية واجتماعية.

وقد قرأت وسمعت كثيراً عن الإمام الخميني(رض)، ويقول المثل «والاذن تعشق قبل العين أحيانا» وهذا ما شعرت به نحو هذا الإنسان العظيم الذي تفتخر به الأمة الإسلامية. وقد شعرت بشموخ فكر الإمام الخميني (رض) الراحل وعظمة انجازاته وخاصة في إحياء هوية المرأة المسلمة الأصيلة.

فالأسرة في فكر الإمام هي اللبنة الأساسية للمجتمع والمهد الطبيعي لنمو الإنسان وتساميه وتقدمه. وبهذا المفهوم عن الأسرة تتبوأ المرأة مكانتها السامية وتستعيد حقوقها كاملة في ظل الدستور المنبثق عن الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وتعقد العزم على تربية الإنسان المؤمن وتشارك الرجل في ميادين الحياة العملية وتتحمل مسؤولياتها الكبيرة تجاه الأسرة والوطن، وذلك بفضل مؤسس الجمهورية الاول ورائدها العظيم الإمام الخميني(رض).

ومن حرص الإمام على مكانة المرأة في المجتمع، ولعلمه بأن فساد المجتمعات الإسلامية وانحطاطها يكون بتخلف المرأة وجهلها وتحللها الخلقي بسبب الاستبداد الفوضوي والاستنساخ الأعمى لعادات الشارع الغربي، لذلك اتخذ الإمام(رض) من اليوم العشرين من جمادي الآخرة – يوم مولد بنت نبي الإسلام الصديقة فاطمة الزهراء يوما للمرأة – لأن سيدة نساء العالمين خير مثال وقدوة للمرأة المسلمة. وخير مصداق على الدور الذي كان ينشده الإمام الراحل (قدس سره) للمرأة في المجتمع الإسلامي، هو ضمُّها الى الوفد الذي حمل رسالته التاريخية الى غورباتشوف رئيس الاتحاد السوفيتي السابق، وذلك في ١٩٨٩/١/٣م حيث جعل الوفد مكونا من عالم الدين والجامعي والمرأة.

لقد برهن للعالم الغربي ان إحياء الإسلام (القوة العالمية القادمة) سيكون ان شاء الله على الايدي الكفوءة لهذه الفئات الثلاث؛ الدين والعلم والمرأة المتعلمة، ويكفينا من هذين المثالين ان نعلم مكانة المرأة في فكر الإمام الخميني(رض).

واذ نقف في ذكراه المئوية خاشعين متمسكين بأقواله وسائرين على منهجه الإسلامي القويم، فإن لنا في القادة من بعده خير مثال على السير في الطريق المستقيم.

وفق الله الشعب الإيراني رجالا ونساء لما فيه الخير للوطن وللإنسانية:

﴿وان هذا صراطي مستقيماً فاتّبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾ [الانعام١٥٣].

الإمام الخميني وحوار الحضارات

الأستاذ محمد فخة

﴿أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ان ربك هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾[(١)]

ومن وحي هذا التوجيه القرآني تنطلق علاقات المسلمين بالآخرين من أصحاب الأديان والحضارات.

وفي ضوء هذه النظرة كانت تطورات التاريخ وأحداثه واحتكاك النماذج الحضارية صراعاً او حواراً. وكانت محاولات التدمير والتحطيم التي تعرض لها العالم الإسلامي على يد القادمين من الشرق والصليبيين القادمين من الغرب قد أثرت بشكل كبير في مسيرة التاريخ الإسلامي ولكنها لم تستطع الغاء الحضارة الإسلامية[(٢)].

ولكن هذا التوجه الإسلامي الحضاري لم يقابل بالصورة نفسها، فلقد استمرت محاولات اختراق العالم الإسلامي بشتى الاشكال الثقافية والاجتماعية الى جانب التدخل العسكري والسياسي. وتزعّم الغرب الاستعماري هذه الهجمة بتدبير مبرمج محكم طويل النفس في محاولة لإلغاء الوجود الحضاري الإسلامي[(٣)].

(*) باحث، رئيس جمعية العاديات السورية / حلب.

(١) سورة النحل ١٢٥ .

(٢) مجلة التوحيد العدد ٨٣ ص٥٧ حسن السعيد الإسلام والغرب.

(٣) منير شفيق ص٧ «الإسلام في معركة الحضارة» بيروت ١٩٨٠ .

وبلغ الاختراق الاستعماري درجة التسلط على مناهج التعليم ومراكز القرار الثقافي والانبهار بالحضارة الغربية لدى بعض الأجيال في المجتمعات الإسلامية. مثال ذلك مرحلة البهلوية في إيران الحديثة وبروز تيار يحتقر المجتمع التقليدي ويدعو الى التكامل مع النموذج الغربي(٤).

يتجه العالم - بعد سقوط المعسكر الاشتراكي - الى محاولة تكريس العولمة الأميركية وفرض نموذج حضاري قسري على الشعوب الاخرى، ولكن الأمر لا يمكن ان يمر بهذه البساطة رغم ضخامة القوى والامكانات التي تقف وراءه، وهذه العولمة بإطارها الثقافي المدمر تعتبر بوابة لتكريس العولمة الإقتصادية والسياسية وتحويل الشعوب الأخرى الى أسنان تدور في عجلة التسلط الأميركي.

وكان الإمام الخميني (رحمه الله) قد رفض هذا التسلط غير مرة في أحاديثه وكتاباته ومن ذلك قوله: «من الأمور التي تلزم التوصية والتذكير بها ان الإسلام لا يؤيد الرأسمالية الظالمة الجشعة التي تحرم الجماهير المضطهدة المظلومة بل يرفضها رفضا قاطعا ويعتبرها نقيض العدالة الاجتماعية»(٥).

وقد أدرك الإمام الخميني ان صراع الحضارات إنما في الصراع ضد النموذج الأميركي الذي يقود الشمال. هذا النموذج المستكبر الذي هو «الشيطان الاكبر» المسؤول عما يجري في هذا العالم من مظالم وجرائم وبذلك تقف الثورة الإسلامية في إيران مع الخطوط العريضة للثورات الإنسانية التي يقوم بها المستضعفون ضد قوى الاستكبار العالمي(٦).

ان المسلمين لم يسعوا الى فرض الحصار على الحضارة الغربية ولكن هذه الحضارة هي التي تسعى جاهدة لنمذجة حضارات العالم الأخرى وفق قوالبها ومعطياتها.

وجاءت الثورة الإسلامية في إيران بقيادة الإمام الخميني تحديا صارخا لمحاولات الهيمنة والاستكبار ورفضا للانضواء تحت هذه الهيمنة والتحاما بتطلعات المسلمين للخروج من واقعهم الأليم.

وفي ندائه للمسلمين يقول الإمام الخميني مخاطبا الشعوب والزعماء: «من زاوية المستشفى أنادي الشعوب الافريقية والشرق الخاضع لسلطة الأجانب والبلدان التي ترضخ

(٤) مجلة التوحيد العدد ٨٠ ص١٠٧ علي الاشرفي.
(٥) مجلة (العالم) العدد ٤٣٣-٣٠\٥\١٩٩٢ ص٢٨ .
(٦) كلمات ونداءات الإمام الخميني. وزارة الارشاد القومي ص١١ .

للظلم ان يتحدوا.. يا ايها الزعماء، تعالوا نتحد لقطع أيدي المجرمين من اليسار واليمين وعلى رأسهم أميركا ولنقطع جذور إسرائيل ونعطي شعب فلسطين حقوقه»(7).

واذا كان العالم مقبلا خلال القرن القادم على صراع حضاري فان المسلمين يرحبون بالحوار الحضاري القائم على التكافؤ والندية بحيث لا يمكث في الأرض الا ما ينفع الناس. قال تعالى في كتابه العزيز: **﴿فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض﴾** [الرعد١٧].

والحوار لا يمكن ان يكون من جانب واحد، والا أصبح مثل حوار الطرشان وما يحدث اليوم هو ان هذا الحوار غير متكافئ بل هو أسلوب صِدامي قسري تمارسه قوى الهيمنة العالمية عبر نوافذ الفضائيات لتفرض من خلالها ثقافتها وحضارتها ورؤيتها للحياة.

والخطير في ذلك هو تنامي اجيال في العالم الإسلامي تشعر بالنقص والعزيمة الداخلية خلال هذا الغزو الثقافي الخطير وترى في تقليد النموذج العربي والانسلاخ عن التراث الإسلامي(8).

وهذا الشكل من الهزيمة الروحية أفظع من كل هزائمنا حتى ان بعض هؤلاء الشباب ضحوا بكل كيان أمتهم من أجل الغرب(9) والصراع مع الهيمنة الأميركية ليس صراعا ضد المسيحية بل هو صراع المستضعفين ضد ظالميهم.

يقول الإمام الخميني: «يجب ان تعلموا ان هؤلاء (حكام واشنطن) يتصرفون خلافا لتعاليم المسيح باسم المسيحية. على قداسة البابا ان يفكر في الشعب المسيحي وجميع الشعوب المستضعفة. عليه ان يعمل على فضح الذين يتصرفون خلافا لتعاليم المسيح»(10).

ان تعايش النماذج الحضارية المختلفة في هذا العالم أمر لا بد منه ليعيش الناس في أمن وسلام. والإسلام يعترف بالمسيحية ويمارس الانفتاح عليها منذ بداياته. بينما لم يحدث العكس. ولا تزال الكنيسة ترفض الاعتراف بالإسلام حتى اليوم(11).

ولكن هذا لا يلغي أشكالا من المهادنة والتقارب والمرونة تفرضها طبيعة الظروف والعصر. وقد كان المسلمون خلال تاريخهم دعاة للحوار والتسامح لدى مفكريهم

(٧) صحيفة النور ص٩٧ .
(٨) صحيفة النور ص٩٩ من حديث الإمام الخميني ١٠\٦\١٩٧٩ .
(٩) صحيفة النور ص ١٠٢ .
(١٠) مجلة الاجتهاد ص٢٠٥ العدد ٣٢-٣١ / ١٩٩٦ .
(١١) مجلة الاجتهاد ص١٥١ جوارفسكي العدد ٣١-٣٢ .

وأصحاب السلطة لديهم. دعوات الحوار والتسامح لدى ابن سينا والفارابي وابن رشد وابن عربي، في الوقت الذي تشوه فيه الكتابات الغربية صورة الإسلام وتقدم رؤية سلبية ذميمة لشخص النبي الكريم محمد(ص).

اذا كان الحديث قد تركز على الحوار والصراع في التاريخ الإسلامي والمسيحي فليس معنى ذلك ترسيخ روح التصادم والعدوانية وانما هو رصد لأحداث تاريخية وقعت ولا تزال آثارها باقية.

وعالم اليوم تطفو على سطحه حضارات مختلفة: المسيحية بمذاهبها المختلفة، البوذية، التاوية، الكونفوشية، الإسلام، الرأسمالية المعاصرة، النموذج الاشتراكي.

وعلى الرغم من المزاعم الأميركية والكتابات التي أطلقها بعض المفكرين او القادة المعاصرين من أمثال:

- نيكسون في كتابه الفرصة السانحة.
- هينغتون في كتابه صراع الحضارات.
- فوكوياما في كتابه نهاية التاريخ.

على الرغم من كل تلك المزاعم فان الصراع لم يحسم لمصلحة النمذجة الأميركية وعولمتها. وتجد الشعوب نفسها اليوم في خندق الدفاع عن ذواتها وشخصياتها وتميزها امام طغيان الموجة الأميركية، حتى ان شعوب القارة الاوروبية نفسها تجد انها واقعة تحت السياط الأميركية ونجد هذه الشعوب نفسها مدفوعة نحو التهادن والتصالح مع الشعوب الاخرى وفي طليعتها المسلمون للوقوف صفا واحدا أمام محاولات الهيمنة والغطرسة الأميركية.

ان حوار الحضارات على أسس موضوعية عقلانية مستنيرة سوف يتيح المجال لبلورة الأصلح وسوف يسقط في الغربال من لا يقوى على الوقوف.

وحوار الحضارات يبدأ بوحدة كلمة المسلمين ليكونوا قوة يحسب لها حساب في ميزان العلاقات الدولية.

ان هناك كثيرا من الملفات العالقة في سجن الواقع العالمي الراهن وهذه الملفات لا يمكن التغلب على مشاكلها وطيها الا بلغة الحوار الهادئ الرصين الذي يدعو اليه الإسلام.

ووحدة موقف المسلمين في هذه الملفات العالقة ضرورية جدا للمحافظة على عزيمتهم وكرامتهم وبقائهم والا فان قوى الغطرسة العالمية سوف تستفرد بهم وتصفيهم.

الإمام الخميني والعلاقات الإيرانية - العربية

الدكتور كريم أبو حلاوة

شكلت الثورة الإسلامية في إيران التي قادها الإمام الراحل آية الله الخميني حدثا تاريخيا نوعياً انعكست آثاره على المنطقة عموما وعلى العلاقات العربية - الإيرانية بشكل خاص. وقد جاءت التغييرات الإقليمية والدولية المتسارعة والتي تشير الى محاولات الغرب المستمرة بقيادة الولايات المتحدة للهيمنة على العالم والتسلط على مقدرات شعوبه ومصائر مجتمعاته، لتبين أهمية الاختيارات الاستراتيجية الواضحة للثورة الإسلامية ومشروعية مقاومتها لكافة ضروب الهيمنة والطغيان. ولعل أمن منطقة الخليج والموقف من الصراع العربي - الصهيوني، وحق دول المنطقة في السيادة وتقرير المصير، تشكل قواسم مشتركة لعلاقات عربية إيرانية، مبنية على التفاهم وحسن الجوار، أقرب الى روح الإسلام السمحة ولرسالته الحضارية واكثر مطابقة مع مصالح شعوب المنطقة ذات التاريخ والتراث الحضاري العريق.

تميزت العلاقات ما بين الإيرانيين والعرب على مدى أربعة عشر قرناً ونيف بالتشاكل والتفاعل والتمازج المتبادل، الذي شكلت الحضارة الإسلامية رافعته الأساسية وحاضنته الشاملة. وانتجت شبكات التفاعل تلك قرابة تاريخية وحضارية كبرى ما بين العرب والإيرانيين، لا يمكن فهمها في منظور الفترات التاريخية القصيرة الأمد، بل يمكن فهمها فقط في منظور الفترات التاريخية الطويلة الأمد، التي نشأت خلف تاريخ التوتر والصراع احيانا فيها تاريخ حضاري يتميز بالوحدة بقدر ما يتميز بالتنوع والغنى. ولعل هذا التاريخ هو ما حاولت الدولة القومية الشاهنشاهية الإيرانية ان تقتلعه من إطاره الطبيعي، وان تزج

(*) خبير في المركز العربي للدراسات الاستراتيجية بدمشق الذي يشرف عليه الرئيس اليمني السابق علي ناصر محمد.

الإيرانيين في تاريخ مغاير يأخذ التحديث عنوانا له في حين يقوم فعليا على تمزيق أواصر القرابة الحضارية الثقافية الكبرى ما بين الإيرانيين والعرب. وهو ما توضّح تماما في تنسيق سلطة الشاه استراتيجيا مع (اسرائيل) العدو الاول للعرب والمسلمين، ووضعه إيران في سلة الموازين الاستراتيجية الأميركية، ومحاولته منح إيران في هذا السياق وظيفة دركي أميركي إقليمي في المنطقة، تستخدم فيها إيران كعصا غليظة، واستخدم الشاه هذه العصا في القضاء على البؤر التغييرية في المنطقة والمعادية للهيمنة الأميركية، وذهب بعيداً في (تغريب) إيران عن محيطها الطبيعي والحضاري. وبدلاً من ان يفكر نظام الشاه المحكوم بمنظورات قومية شوفينية بتأسيس نظام الأمن الإقليمي في منطقة الخليج على تلك القرابات الحضارية الكبرى فإنه أسسه او فكّر به على قاعدة عزل هذه المنطقة عن تاريخها الممتد في العمق العربي والإسلامي.

كانت الثورة الإسلامية في إيران التي قادها وحركها الإمام الراحل آية الله العظمى روح الله الخميني ثورة تامة بكل المعايير، تستعيد في التاريخ حقب الثورات العظمى التي غيرت توجهات التاريخ، ولا يشبهها من حيث الفاعلية والامتداد الا نمطا الثورتين الفرنسية والبلشفية. فقام الإمام الخميني وهو الوفي لروح القرابة الحضارية الكبرى ما بين العرب والإيرانيين، التي تجد نسغها وجذورها في الإسلام، بقلب أسس السياسة الشاهنشاهية الإيرانية وتغيير توجهاتها وفضاءاتها، ولا سيما في مجال سياسة إيران العربية. فحول الإمام الخميني إيران من دولة حليفة استراتيجيا (لاسرائيل) الى ابرز عدو (لاسرائيل) في المنطقة، ولم يكن استبداله للسفارة (الاسرائيلية) بمكتب لمنظمة التحرير الفلسطينية الا تعبيرا رمزيا عن ذلك، أعطاه الإمام الراحل مضمونه الاستراتيجي التام، وكساه باللحم والعظم. ولا أدلّ على ذلك من ان (اسرائيل) التي قامت إحدى أسس استراتيجيتها في المنطقة على محوري تنسيقها مع إيران الشاه قد جعلت من إيران اليوم عدوا استراتيجيا لها، تتابعه وتعمل على تطويقه وحصاره ليس في الاطار الإيراني السيادي وحده، بل في كل الأطر والمجالات الاخرى.

ان تطويق إيران وتهديد أمنها ومحاولة تقويض نظامها الإسلامي هو أولوية (اسرائيلية) اليوم تنطلق من المصالح الاستراتيجية (الإسرائيلية) المتمفصلة مع المصالح الاميركية. فالثورة الإسلامية في إيران لم تكتف بالقول وبالخطوات الرمزية، بل دعمت فعلا وبشكل مؤثر حركة المقاومة ضد الاحتلال (الاسرائيلي) سواء كان ذلك في فلسطين نفسها ام في جنوب لبنان. وان رفض إيران المستمر لمحاولة (تطبيع) الوجود الصهيوني المغتصب وجعله جزءا (طبيعيا) من المنطقة، لا يتأسس فقط على عدم اعترافها بهذا الوجود أصلا، ونزعها

اي شرعية عنه بقدر ما يتأسس أيضاً على تعزيز كل الخطوات العملية والسياسية التي من شأنها ان تؤدي الى ذلك. والقدس اليوم تحولت في هذه السياسة الى عاصمة في قلب كل إيراني لأنها رمز في قلوب كل العرب والمسلمين.

لقد سممت الحرب العراقية - الإيرانية العلاقة ما بين العرب والإيرانيين، ونفخت في اوار النزعة القومية الشوفينية التي جاءت الثورة الإسلامية أساسا لتقويضها، واستبدال سياسة الدولة القومية بسياسة الجمهورية الإسلامية، وما يزال تجاوز هذه السموم التي خلفتها الحرب وكانت من نتائجها يمثل أولوية أساسية الى يومنا هذا.

ولعل من المفيد في هذا الصدد تذكر ان الإمام الراحل الذي كان الأكثر خبرة بمساوئ السياسة القومية الشاهنشاهية المعادية للعرب والمسلمين في كل مكان عموما وفي منطقة الخليج خصوصا، قد رد على تلك الاطروحات التي تنابذت ما بين ان الخليج فارسي منذ الازل وانه عربي منذ الازل. انه ليس المهم ان يكون الخليج اما فارسيا او عربيا بل ان يكون إسلاميا، والا يكون في اية لحظة اميركيا.. وكان موقف الإمام الراحل هنا مؤسسا على رؤية أوسع وأشمل لسياسة إيران العربية في اطار سياستها الإسلامية، ويقوم على سعة الرؤية والأفق، محاولا تجنب - بشكل مبكر - الثغرات التي يمكن ان تنفذ منها محاولات دقّ الاسافين ما بين العرب والإيرانيين.

وبمثل رؤية الإمام الخميني الواسعة، وبغض النظر عن بعض الحيثيات والتفاصيل سيمكن لأبناء الخليج بضفتيه العربية والفارسية التي وحدها الإسلام ان يذللوا مشكلاتهم المتبقية، وان يوجدوا حلا لها، يقوم على أسس التعايش والحوار والتواصل، وينسجم مع القرابات التاريخية الحضارية الكبرى فيما بينهم. تلك القرابات التي أخذت تشكل اليوم أكثر فأكثر بعدا أساسيا من أبعاد أي مفهوم للاستراتيجية في المنطقة. وان ذكرى الإمام الراحل لتحدونا من أجل ان نعمق افقه ورؤيته الواسعة في تعزيز العلاقات العربية الإيرانية التي تجمعها مصالح وتطلعات وأسس حضارية مشتركة، تبقي إيران عمقا استراتيجيا للعرب والمسلمين.

وما أحوجنا جميعا في ظل تحديات العولمة الإقتصادية والثقافية والتكنولوجية الى زيادة التعاون والتنسيق لمواجهة الآثار السلبية للتحولات العالمية، والمشاركة من موقع النديّة والفاعلية في إعادة صياغة العالم على أسس جديدة أكثر عدلا وأقرب الى إنسانية الإنسان ومثله العليا، بدلا من العالم القائم على التفاوت والظلم والقوة الغاشمة لأنه غير قابل للبقاء.



نظرة الى سيرة الإمام الخميني الراشد

الأستاذ حسّان بدر الدين الكاتب

من أقوال السيد الرئيس المناضل حافظ الأسد رئيس الجمهورية العربية السورية في أهمية الثورة الإسلامية الإيرانية التي قادها سماحة الزعيم الاسلامي الكبير الإمام المغفور له آية الله الخميني:

«جاءت ثورة إيران ثورة شعبية تحت شعار الإسلام في إيران.. جاءت هذه الثورة لتقلب الأمور رأساً على عقب فتطيح بالشاه وتلغي الارتباطات الأجنبية وتطرد من أراضيها الهيمنة والنفوذ الامبرياليين، وتقطع كل علاقة مع (إسرائيل)، وتقطع كل علاقات إيران السابقة مع (إسرائيل) وتنتقل لتأخذ مكانها في مجموعة بلدان عدم الانحياز، وتعلن تبنيها الكامل لقضية القدس وفلسطين، والأراضي العربية المحتلة، وترفع شعار التحرير الكامل للقدس وفلسطين والأراضي المحتلة. وتبعت هذه الثورة انعكاسات كبيرة إيجابية على مجمل حركة النضال إقليمياً وعالمياً. وتدخل هذه الثورة تعديلات هامة على التوازن الاستراتيجي بكل ما تعنيه كلمة استراتيجي، تدخل تعديلات على موضوعة التوازن إقليميا وعالميا وتقف مع العرب، دون تردد في العمل من أجل تحرير ما احتُل من أرضنا، وفي سبيل استعادة حقوق شعب فلسطين. في ضوء هذا الفهم، في ضوء هذه المفاهيم في ضوء ما حققته الثورة الشعبية الاسلامية في ايران، في ضوء ما رفعته من شعارات، في ضوء ما نادت به، في ضوء مواقفها المعلنة والحرب المستمرة التي شنتها دون هوادة على الامبريالية بكل قواعدها ومفرزاتها وعملائها، في ضوء هذا كله اعتبرنا نحن واعتبرت الجماهير العربية في كل مكان انتصار الثورة انتصاراً لها. وفي ضوء هذا أقام الكثير من

(*) كاتب موسوعي - صاحب الموسوعة الموجزة - عضو مركز الابحاث التاريخية بدمشق.

العرب حكومات وأحزاباً، منظمات وشخصيات، وطنية وقومية، أقاموا علاقات صداقة وتعاون مع هذه الثورة».

وهناك مقولة تاريخية للرئيس الأسد في حق الإمام الخميني(رض) نقلها العماد أول مصطفى طلاس في حديث لـ(كيهان العربي)(**) جاء فيها:

«عندما كان الإمام آية الله العظمى الخميني في باريس يلقي إرشاداته على الأخوة المؤمنين المناضلين، كانت ابنتي ناهد في باريس ترسل لي الأشرطة التي تتضمن حديث الامام على شكل (كاسيت)، وكنت اقوم بترجمته الى العربية وإرسال نسخة منه الى سيادة الرئيس الأسد وكان يقول لي: (نحمد الله العلي القدير اننا في نهاية القرن العشرين وأوائل القرن الخامس عشر الهجري، جاد الزمان برجل دين ودنيا قل مثيله من أيام الإمام جعفر الصادق)، وقلنا ان من يحمل هذه الأفكار لا بد وان ينتصر، وهكذا كان».

نقدم ما قاله رئيسنا الكبير حافظ الأسد بمناسبة الاحتفال بمئوية الزعيم الاسلامي الكبير الراحل المغفور له آية الله الخميني، الذي قاد هذه الثورة الظافرة... الثورة الاسلامية الايرانية، بكل الأبعاد والاتجاهات فجعلت القرآن الكريم دستورها والاسلام منطلقها، واكدت هذه الثورة المباركة على نشر الاسلام وتطبيق أحكامه، حيث يقول سماحة الإمام: «ان الهدف الرئيسي هو أن تطبّقوا الاسلام، وبالإسلام يولد الانسان. نحن نعيش اليوم مرحلة استثنائية.. لقد حققنا انتصاراتنا بذكر الله وباسم الله».

وقال: «من أراد أن يربي مجتمعاً فعليه أن يبدأ بتربية نفسه، ومن أراد أن يصلح محلا فعليه أن يصلح نفسه أولا، فمن لم يصلح نفسه لا يستطيع أن يصلح الآخرين».

هكذا كان قائد الثورة الاسلامية الايرانية الظافرة يبدأ بنفسه فهو مثال المسلم والقائد الاسلامي الفذ بأخلاقه وأعماله وحياته التي عاشها، إذ ان أسلوب حياته وبساطة عيشه كانت نابعة من معتقداته الاسلامية الراسخة والتي لم تتغير طيلة حياته وطوال مسيرة جهاده ونضاله السياسي الحافلة بالاحداث، اذ ان اسلوب حياته وبساطة معيشته التي كان يحياها يعيدان الى الاذهان الصورة التي كانت عليها حياة الانبياء والأولياء والصالحين، لذلك فقد كان القدوة الاسلامية المثلى، فكان زعيما إسلاميا بكل ما في هذه الكلمة من

(**) الحديث جاء في إطار حوار أجراه الاستاذ حميد حلمي زاده مدير مكتب كيهان في دمشق مع العماد اول مصطفى طلاس نائب القائد العام للقوات المسلحة نائب رئيس الوزراء ووزير الدفاع في الجمهورية العربية السورية – كيهان العربي – الطبعة الدولية الصادرة بتاريخ ١٩٩٩/٢/٩ م .
كما ورد الحوار نفسه في ملحق الاسبوع الادبي الصادر بمناسبة عشرينية انتصار الثورة الاسلامية الايرانية بتاريخ ١٣ /٢/ ١٩٩٩م - و(الاسبوع الادبي) جريدة ثقافية اسبوعية يصدرها اتحاد الكتاب العرب في سورية.

معنى. ولقد كان بنّاءً في تعاليمه الاسلامية الاصلاحية بدءاً من الفرد المسلم بقوله: «آمل أن تحرسوا أنفسكم مثل حراستكم للاسلام، لا تدعوا أنفسكم الأمّارة تسيطر عليكم واجعلوا انفسكم خاضعة للاسلام، اعملوا وفق ما أراده الله منكم».

وأكد سماحته على تربية النفس بقوله : «من أراد أن يربي مجتمعا فعليه أن يبدأ بتربية نفسه وإن أراد أن يصلح نفسه أولا، فمن لم يصلح نفسه لا يستطيع أن يصلح الآخرين».

وحثّ سماحته على المضي في العمل الصالح لصالح المجموع فقال: «نكران الذات مقدمة طريق الكمال الانساني». كما حث على التقوى فقال: «التقوى هي المعيار في الاطار الاسلامي وأكرم الناس عند الله أتقاهم».

وأكد على حسن تربية الانسان فقال: «العالم كله يقوم على أساس تربية الانسان عصارة كل الموجودات وحصيلة جميع العالم، والأنبياء بُعثوا لنقل هذه العصارة من مرحلة القول الى مرحلة الفعل».

كما أكد سماحته على أهمية المساجد التي تبني الانسان المسلم وتربّيه وتثقفه فقال: «كل حركة في التاريخ الاسلامي منذ صدر الاسلام انطلقت من المسجد، المسجد هو الذي حشد القوى المتحدة ضد الكفر والشرك»، وقال: «ان ثورتنا من المسجد وإلى المسجد لأن المساجد هي التي حققت النصر لشعبنا، انها مراكز حساسة ينبغي أن يهتم بها شعبنا، لا تخالوا أننا لم نعد بحاجة الى المسجد بعد أن حققنا النصر. انتصارنا كان من أجل إحياء المسجد».

ويخاطب سماحته النصارى فيقول: «وانتم يا أصحاب النواقيس، ارفعوا أيديكم بالدعاء واقرعوا النواقيس واطلبوا من الله الكبير أن يهب لرؤساء جمهورياتكم العدل، والانصاف، فهنيئا للذين يكدحون ويصلّون من أجل العدالة».

وفي صدد الثقافة الاسلامية ورفع شأنها يقول: «المسألة الأساسية في تربية الأمة هي توفر الثقافة الصحيحة، فاسعوا الى أن تكون الثقافة ثقافة إسلامية مستقلة، واسعوا الى ان يكون الشباب المتربي على هذه الثقافة هو الماسك بمقدورات البلد فإن حدث ذلك يصبح المسؤولون بأجمعهم في خدمة الشعب وأمناء على بيت المال. وهذا لا يتحقق إلا تحت قيادة الاسلام».

كما وجه الى الاهتمام بالجامعات واخلاق الجامعيين بقوله: «وفي مجال التعليم الجامعي ودوره التربوي.. لا خير في علم ليس معه الالتزام، الجامعات بمقدورها أن تعمر

العالم بالنور، وإن انفصل العلم والتخصص عن الاخلاق والتهذيب والوعي والالتزام فسيؤدي الى هذا الذي جرّه المفكرون والمتخصصون والجامعيون حتى الآن من مصائب على هذا العالم».

ولقد أعلنت الثورة الاسلامية الايرانية بقيادة زعيمها ومفجّر طاقاتها المغفور له الامام الخميني وقوفها بشكل جدي الى جانب العرب في نضالهم ضد العدوان الاسرائيلي على عكس الشاه الذي كان يقف الى جانب إسرائيل.

لقد كانت حياة الزعيم الراحل حافلة بالمرارة والنضال منذ ولادته بمدينة (خمين) عام ١٣٢٠ للهجرة الموافق ١٩٠٢ للميلاد جنوب غرب طهران العاصمة، في بيت عُرف بالعلم والفضل والتقوى. ولم تمض على ولادته ستة اشهر حتى استشهد والده آية الله السيد مصطفى الموسوي على أيدي قطاع الطرق المدعومين من قبل الحكومة آنذاك وكان استشهاده في الحادي عشر من ذي القعدة عام ١٣٢٠ هجرية، وهكذا تجرع سماحته اليتم وتعرف على مفهوم الشهادة، وأمضى فترة طفولته وصباه تحت رعاية والدته المؤمنة (السيدة هاجر) التي تنتسب لأسرة اشتهرت بالعلم والتقوى وكفالة عمته الفاضلة (صاحبة هانم) التي عرفت بشجاعتها وقول الحق. وفي سن الخامسة عشرة حرم الامام من حنان هاتين العزيزتين ثم تابع دراسته على أكابر العلماء ومن ثم تجرّع مرارة فقد واستشهاد نجله العلامة السيد مصطفى وهو في عنفوان عطائه الى جانب والده في النضال الثوري وكان نضاله ضد الفساد في اثناء حكم الشاه مما أدى الى نفيه الى تركيا ثم للكويت ثم العراق ثم فرنسا، وكان خلال ذلك لا يهدأ وهو يدرّس ويهذب ويعلم ويوجه المناضلين والثورات للانتفاض ضد الشاه. حتى انه في فرنسا حين قام مبعوث (الأليزيه) بإبلاغ سماحته طلب الرئيس الفرنسي جيسكار ديستان بضرورة اجتناب أي نوع من النشاط السياسي، فكان رد سماحته حازما اذ صرح بأن هذا النوع من المضايقات يتعارض مع ادعاءات الديمقراطية وانه لن يتخلى عن اهدافه حتى ولو اضطره ذلك الى التنقل من مطار الى مطار ومن بلد الى آخر. واصبحت لقاءات الامام مع حشود الزوار سببا في ان يتعرف العالم اكثر على افكار سماحة الامام وآرائه بشأن الحكومة الاسلامية.

أما الشعب الايراني فقد صعّد من حدة تظاهراته ضد الشاه وفي هذه الأثناء أعلن قائد الثورة الاسلامية للشعب عن تشكيل مجلس قيادة الثورة، وقرر الشاه بدوره الخروج من البلاد في ١٩٧٩/١/١٦ بذريعة المرض والحاجة الى الراحة وأثار خبر فرار الشاه من البلاد موجة من الفرح بين صفوف الشعب الايراني وزاد من عزيمتهم لمواصلة النضال حتى إسقاط النظام الشاهنشاهي.

كما أثار قرار سماحة الامام في العودة الى البلاد موجة من الفرح والأمل في نفوس أبناء الشعب، وانصياع نظام الشاه إثر مظاهرات مليونية لمطالب الشعب وعاد قائد الثورة الاسلامية الايرانية الى أرض الوطن في الاول من شباط عام ١٩٧٩ بعد أربعة عشر عاما وحقق في خلال ذلك ترسيخ دعائم الجمهورية الاسلامية الايرانية الى ان حققت الانجازات العظيمة لإيران.

ومع ان سماحة الامام كان يعاني من مرض القلب الا ان رحيله عن هذه الحياة الفانية كان بسبب مرض في جهازه الهضمي، وإثر عمل جراحي في الثالث من حزيران عام ١٩٨٩. وفي اليوم التالي نقل جثمانه الطاهر الى مصلّى طهران الكبير ليتسنى للشعب الايراني المنجب للشهداء، إلقاء النظرة الاخيرة على قائده الراحل الكبير.

وشيعت الملايين من النساء والرجال والشيوخ والشباب من مختلف انحاء إيران الجثمان الطاهر للقائد العظيم بمشاعر من الحزن والأسى وكان الحضور المليوني في هذه المراسم بدرجة أثار حيرة ودهشة وكالات الأنباء الغربية التي قدر بعضها عدد المشيعين بأكثر من سبعة عشر مليون شخص. ثم ووري جسده الطاهر الثرى بالقرب من (جنة الزهراء) مقبرة شهداء الثورة الاسلامية . واعلنت الجمهورية الاسلامية في ايران الحداد العام اربعين يوما في رثاء قائدها، وأينما كنت تنظر تشاهد السواد ومواكب العزاء التي كان ينظمها المفجوعون برحيل المدافع عن القيم الاسلامية. وفيما بعد أضحى المرقد المقدس لهذا العزيز مزارا لكل المسلمين والاحرار ودعاة الاستقلال والحرية في شتى بقاع الارض.

ترك سماحة المغفور له الامام الراحل مؤلفات قيمة لها ميزات خاصة من حيث العمق والابتكار الابداعي وهي تضم الكثير من مسائل المعارف الاسلامية كالفلسفة الاسلامية وسير حركة الانسان في عوالم الوجود أمثال: الدنيا - عالم الملك - البرزخ والآخرة - وكذلك معرفة الانسان في عوالم الوجود ومراتب حركته في العوالم وكذلك كيفية ظهور اعمال الانسان والنيات والملكات التي تشكل سرّ الانسان وباطنه وكذلك مسألة ان الأفق الاعلى (الانسان سر الولاية) هو في النبوة والامامة وكذلك موضوع المعاد وأمثال هذه الاقسام من المعارف الاسلامية وكذلك قضايا المجتمع الانساني وامثالها.

كما ترك وصية خالدة للشعب الايراني تضمنت المواضيع العامة التالية:

القرآن دستور البشرية، الدافع الإلهي ووحدة الكلمة سر النصر، حكومة الحق من أسمى العبادات، خطر الشائعات والنقد الهدام، نصيحة مشفقة للمعارضين، وصية للشعوب، مؤامرة الفصل ين الحوزة والجامعة، الحوزة والجامعة والعقل المدبّر للأمة، مصيبة

التبعية للشرق والغرب، الاعتماد على الخبرات المحلية، مؤامرة إفساد الجامعات، انتخبوا نوابا ملتزمين. وأوصى العلماء بعدم عزل انفسهم عن المجتمع، الى القائد ومجلس القيادة، اهمية السلطة التنفيذية وخطرها، تطهير السفارات من المظاهر الطاغوتية، التحرر ومهمة العلماء، المؤامرات الاعلامية وواجب وزارة الارشاد، مراكز التعليم والتربية غير الاسلامية واثرها الهدام، الاهتمام بالقوى المسلحة، خطر وسائل الاعلام في العصر الحاضر، نصيحة للاحزاب والفئات المعادية، نصيحة لمؤيدي تلك الاحزاب، الى الاحزاب والفئات اليسارية، الى الكتاب والخطباء من مثيري الانتقادات، الاسلام يرفض الرأسمالية بلاحدود، الى اولئك المتلبسين بزي العلماء، الى مستضعفي العالم، الى الشعب الايراني الشريف.

ولو أمعنا النظر في هذه الوصية الخالدة لوجدنا فيها دستور عمل دائم لمختلف قطاعات الامة الاسلامية في ايران وغيرها فقد شملت السلطتين التشريعية والتنفيذية والجيش بمختلف فئاتهم، الثقافة والادباء والكتاب بمختلف فئاتهم، العلماء ورجال الدين بمختلف فئاتهم، وكذلك مختلف فئات الشعب. فما أعظم هذه الوصية التي انبثقت عن مفكر وسياسي وعالم كبير تربى في مدرسة النبوة والاسلام لصالح الأمة والشعوب على مر العصور والازمان.

وصفوة القول فقد كان سماحة المغفور له الزعيم الاسلامي الكبير الامام آية الله الخميني (رحمه الله واسكنه علياء جنانه) مؤسس أول جمهورية اسلامية ايرانية معاصرة، وهو مفكر كبير ورجل دولة فذ وفيلسوف مثالي ومخطط موهوب وعلّامة متفرد. الى جانب ذلك كله اتصف بالتواضع والورع والتقى والحلم والشجاعة لذا فهو يعد بحق الخليفة الراشد السادس بعد الخليفة الراشد الامام علي بن ابي طالب والخليفة الراشد الخامس عمر بن عبد العزيز رحمهما الله تعالى وأجزل لهم جميعا المثوبة ورضي عنهم أجمعين قدوتنا مع الانبياء والصالحين والسلف الصالح.



الإمام الخميني وتفعيل دور المرجعية

الأستاذ نبيل بن طالب

لماذا ينبغي ان يرجع الناس الى احدهم في التماس أمور دينهم؟ أليس في ذلك افتئات وتطاول على حرية الفرد وكرامته وعقله وخصوصية علاقته بالله تعالى؟ الا ينجم عن ذلك تمكين الفرد من رقاب متّبعيه ليمارس عليهم سلطته ويخضعهم لتأثيره؟

أسئلة تتزاحم في اذهان الكثيرين حين تثار قضية المرجعية الدينية مما ترتكز اليه من وجوب تقليد غير العارف بأمور الدين وأحكامه التفصيلية للأعلم او العالم بها.

وغير خفي ان الجواب يقوم على قاعدة عقلانية يتلاقى عليها الناس بما هم عقلاء ولا يجدون فيها بأساً ولا غضاضة الا وهي وجوب عودة غير المختص الى المختص في اي شأن او ميدان او مال (طب، هندسة، ادارة..).

وهذه العودة إنما تتم اختياراً وطوعاً وبحكم الحاجة الواقعية ولترشيد علاقة الفرد بربه تعالى على الصعيد العملي، لا لمصادرتها ودون أي مساس بحرية الفرد وكرامته وخارج إطار العلاقة الروحية والاستدلال العقلي على أصول الدين وهما من الجوانب التي لاتخضع لأي تقليد.

ثم ان هذه المرجعية بما يكتنفها من شروط في المرجع من العدالة والتقوى والورع تنضوي ضمن سياج يمنع من تجاوز المرجعية اطار وظيفتها وتحولها الى سلطة مستبدة بل ان اي خلل في تلك الشروط يسقطها من الأساس ويفقدها اي دور في حياة الناس.

(*) باحث إسلامي وأستاذ جامعي.

وفي ماذا؟

وتتسع دائرة المرجعية في حياة الناس بمقدار وعيها لقضية الدين وعمقها في فهمه وشموليتها في طرحه وحيويتها في ممارسته وإيجابيتها في تقديمه للناس وشدهم اليه، فتغدو مرجعية لا تقتصر على الأحكام الفردية في الصيغ العبادية والوقائع المعاملية بل تتعدى ذلك الى ما هو حكم الدين في جوانب السياسية والإقتصاد والاجتماع وموقف الدين من قضايا الفن والرياضة والاعلام وخصوصية الدين في التربية والادارة وبناء الذات.

وتكتسب المرجعية تجذرها في حياة الناس من خلال اغنائهم لحياتهم بكل ما ينفتح بها على المصدرين الإسلاميين الرئيسيين المحيين: القرآن الكريم والسنة الشريفة «يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم» وباعتبارها طريقا الى مدينة علم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وبابها الإمام علي والائمة من ولده (عليهم السلام) «انا مدينة العلم وعلي بابها فمن اراد المدينة فليأت من الباب».

ويستمد الناس من المرجعية صلابة مواقفها في الدفاع عن الدين والأمة وفطنتها وتحذيرها من كل ما يدبر لهما من الوان عدواة المستكبرين والظالمين ويلتفون حولها في المواقف المفصلية الخطيرة من حياة الأمة (قضية التنباك، ثورة العشرين).

ما المنطلقات الخمينية للنظرة الى المرجعية؟

ونظرة الإمام الخميني (قدس سره) الى المرجعية نظرة تنبع من نظرته الى الدين وأبعاده في حياة الفرد والأمة والبشرية جمعاء والى دور علماء الدين في تحمل اعباء الدين ولا سيما الإسلام العظيم والى طبيعة العلاقة بينهم وبين الأمة ومدى حيويتها بالاتجاهين ونظرتها الى الاجتهاد الذي ينطلقون منه وصلته بالزمان والمكان والساحة الاسلامية ومعطياتها وخباياها السياسية والإقتصادية والاجتماعية ومن نظرته الى المرجعية ودورها التوعوي التصحوي الرائد للجماهير والمتحرك بها الى امتلاك زمام امورها وتقرير مصيرها ونظرته الى المرجعية باعتبارها الرديف والعضد لولاية الفقيه والقيادة الإسلامية زمن غيبة الائمة حيثما تصدت هذه القيادة لحمل المسؤولية وصدعت بالأمر.

ما خصائص المرجعية الخمينية؟

ولقد قدم الإمام الخميني (قدس سره) للمرجعية في المراجع الذين سبقوه (الشيخ الحائري والسيد البروجردي في إيران والسيد الحكيم في العراق) افضل ما يمكن من الدعم، ودأب على احترام المرجعيات المعاصرة لمرجعيته (السيد الخوئي والسيد الكلبيكاني

والسيد المرعشي). ولكنه قدم نموذجا للمرجعية في شخصه وشخصيته فيه من الغنى وفيه نظام وتنظيم والغاء للفواصل بينه وبين الناس وتوظيف لمكتبه في خدمة المرجعية بدلا من هيمنة المكتب على فضاء المرجعية وتحكم الحواشي بقنوات الاتصال به ومنه.

ووسع علاقة المرجعية بالأمة الى أبعد حد من خلال حضور مرجعيته في قضاياها ومشكلاتها الكبرى حتى على صعيد رسالته العملية وآية ذلك فصل الدفاع عن الإسلام فيها وهو فصل فريد في بابه وغني في تطلعاته.

وارتقى بدور المرجعية الى مقارعة المستكبرين ومصاولة عملائهم الحاكمين وقاد الثورة على الطاغوت من خلال خطى لم تعرف التردد او الخوف او الوهن.

وامتدت قيادته لتشمل الأمة بكل شرائحها واتجاهاتها وقواها الفاعلة ووصل بالجماهير الى الدولة التي تنشدها، جمهورية إسلامية بعد اربعة عشر قرنا من الغياب.

ولم يغفل لحظة واحدة عن الأمة الإسلامية وقضاياها الكبرى ولا سيما القضية الفلسطينية، والوقوف بصلابة في وجه أعدائها؛ الاستكبار العالمي والصهيونية المجرمة.

وفجّر المقاومة الإسلامية المسلحة بعملياتها الاستشهادية والنوعية التي امتدت من جنوب لبنان والبقاع الغربي الى داخل فلسطين المغتصبة تنفيذا عمليا لشعاره العظيم «(إسرائيل) غدة سرطانية يجب ان تزول من الوجود».

وراح يرسل الإشارت الإنسانية لهذه المرجعية الى كل البشرية، لتنهل من معين الإسلام وتلتقي على الحب والعدل والسلام (رسالته الى غورباتشوف).

لقد استوعب بمرجعيته دروس كربلاء وحركها في حياة الناس لينتفضوا على يزيدهم وكل يزيد يتربص بهم وانطلق بهم في انتظار واقعي وتمهيد حقيقي لراية المهدي الموعود (عجّل الله تعالى فرجه الشريف).

ولقد تواءم في النهاية في شخصه وشخصيته وقدم أعلى ما يمكن من التناغم والانسجام بين المرجعية وولاية الفقيه لينطلق الى الله عزّ وجل - وقد قاد الأمة والدولة ببراعة نادرة المثال والنظير في كل مفاصل حركتها وتحديات الخارج والداخل لها - بقلب مطمئن ونفس راضية الى عناق محبوبه ومعشوقه أبدا الله عز وجل.





الامام الخمينى (قدس سره) الى جانب المرجع الراحل المرعشي النجفي في مدينة قم حاضرة الزعامة الدينية فى ايران - الصورة تعود الى بداية الستينات وقبل نفي زعيم الثورة الى تركيا و منها الى العراق

العراق

- آية الله السيد محمد باقر الحكيم
- آية الله الشيخ محمد مهدي الآصفي
- حجة الإسلام الشيخ محمد مهدي الخالصي
- الأستاذ عز الدين سليم
- العلامة الشيخ هادي الخزرجي
- المهندس بيان جبر
- الأستاذ جواد المالكي
- العلامة الشيخ جواد الخالصي
- الأستاذ حسن العلوي
- الدكتور السيد أحمد الموسوي
- الأستاذ سالم الشمري
- الأستاذ جلال الأنصاري
- الأستاذ خالد توفيق
- الأستاذ عرفان محمود



الامام الخميني (قدس سره) والى جانبه خليفته الأمين
القائد الخامنئي (دام ظله)

القيادة الإسلامية.. معالمها وآفاقها في شخصية الإمام الخميني

آية الله السيد محمد باقر الحكيم

الحديث عن شخصية الإمام الخميني(قدس سره) في ذكرى مئوية ميلاده يستدعي الوقوف على العوامل التي بلورت قيادته الإسلامية الرائدة التي عمّت اشراقاتها الربانية جميع أرجاء العالم والمنطقة الإسلامية منه بشكل خاص.

وهذه العوامل الضرورية يمكن تلخيصها - كما أفهمها - بالأمور التالية:

الأول: العامل التاريخي الذي يرتبط بتاريخ المرجعية الرئيسية في أوساط أتباع أهل البيت (عليهم السلام) ولاسيما أبناء الشعب العراقي المسلم الذي عرف بتمسكه بالولاء لأهل البيت (عليهم السلام) وبارتباطه الوثيق الروحي والسياسي بالمرجعية الدينية والحوزات العلمية والعلماء، والأدوار المهمة التي قامت بها المرجعية والعلماء في تاريخه. ويمكن ان نشير بهذا الصدد إلى بعض الأحداث التي شهدها هذا العصر مثل حركة مقاومة الهيمنة الأجنبية في قضية تحريم استخدام التنباك التي قادها الإمام الميرزا حسن الشيرازي الكبير، وحركة المشروطة وتغيير الحكم الملكي بالدستور التي قادها الإمام الشيخ محمد كاظم الخراساني ورفاقه العلماء، وحركة مقاومة الإستبداد ضد رضا خان التي قادها السيد حسن المدرس وغيرها من الاحداث المهمة.

الثاني: العامل الديني فان المرجعية الدينية لها موقع ديني روحي خاص يمثل النيابة عن الإمام الغائب المعصوم، ومهما اختلفت الآراء في تشخيص صلاحيات وولاية هذه المرجعية إلّا أن فكرة النيابة عن الإمام والولاية العامة، من الأفكار الأصيلة المتفق عليها في

(*) مفكر ومجتهد ديني. رئيس المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق.

الاوساط العلمية والدينية لدى أتباع أهل البيت(ع). ويصبح لهذا الموقع أهمية خاصة عندما نعرف ارتباطه الوثيق بالجمهور والأمة من خلال الانتخاب الطبيعي من قبل الجمهور لهذا المرجع، مضافا الى استقلال المرجعية في تفكيرها وقرارها وإدارتها وإمكاناتها الذاتية واعتمادها بصورة أساسية على علاقة الأمة بها روحياً وعاطفياً وإيمانها بها عقائدياً.

أضف الى ذلك تمسك عموم الشعب الإيراني بالإسلام والدين والشعائر الدينية، وتجذر ذلك في الاوساط العامة له وفي التقاليد والتراث والسلوك الفردي والإجتماعي.

الثالث: العامل الذاتي الذي يتمثل بالمواصفات التي كان يتصف بها الإمام الخميني(رض) في شخصيته والسلوك العام له في الثورة قبل انتصارها وبعده، وهي أمور بلورت قيادته الإسلامية الخاصة، هنا نشير الى بعض هذه المواصفات المهمة:

١- الربانية في السلوك العام سواء بالالتزام بدرجة عالية من التقوى في العمل السياسي والإجتماعي او الاخلاص الكامل لله تعالى، او الإيمان بالغيب وتأثيره بالاحداث والتطورات والنصر الإلهي او بالتوكل على الله تعالى في العزم والإرادة والقرار.

وقد كانت هذه الربانية صفة مشهودة في الإمام في عموم مسيرته يلمسها فيه أصحابه القريبون منه كما يلمسها أيضاً أنصاره ومحبّوه ومؤيدوه.

وقد تجلت هذه الربانية بصورة واضحة بعد ان تخلى عن اسناد الثورة، كل الحكومات التي كانت تساندها في فترة زمنية ما لمصالحها الخاصة او ظروفها السياسية المعينة، كما حدث ذلك بالنسبة الى الاتحاد السوفياتي والحكومة العراقية والحكومة المصرية وغيرها حيث تمكن الشاه ان يصفي حساباته مع هذه الجهات.

كما تجلّت الربانية أيضاً بعد انتصار الثورة عندما تكالبت جميع قوى الشر على الثورة لإجهاضها او محاصرتها او القضاء عليها. وقد كان الإمام(رض) يتحدث عن هذه الربانية كثيرا في خطاباته ويؤكد ان النصر والتوفيق لم يكن محسوبا له ولا لغيره وانما كان نصرا الهيا أفاضه الله تعالى عليه وعلى الشعب الإيراني عندما أخلص العمل لله تعالى وضحى من أجله.

وهذا الأمر من الأمور التي يعترف بها جميع أصحابه وانصاره وقد سمعت ذلك منهم مراراً حيث لم يكونوا يتوقعون نجاح الثورة بهذه السرعة وبهذه النتائج.

٢- القدوة الحسنة في التضحية والفداء والشجاعة والاقدام. فقد كان الإمام يتقدم المسيرة في العمل والنشاط ويتحمل النتائج والمعاناة والآلام من الحصار والاعتقال وأخطار

القتل والموت والإخراج من الديار والنفي وفقدان المقام والجاه والمواقع والتشريد مما يشاهده الإنسان بوضوح عندما يستعرض حياته ومواقفه.

٣- النظافة والطهارة والأصالة في الخط الفكري والسياسي والمواقف العملية. وهذه النظافة والطهارة وان كانت صفة عامة في المرجعية الدينية والحوزات العلمية، إلا ان الإمام كان حريصا على المحافظة عليها في خضم التصدي للعمل السياسي وحريصا على تأكيدها وإبرازها، الأمر الذي أكسبه الثقة الكاملة حتى من أعدائه ومنافسيه من القوى السياسية حتى لم يكن يعتري الشكّ أي واحد او مجموعة من القوى السياسية بنزاهة الإمام الخميني في مواقفه والثقة بها وعدم الاستعداد للتنازل عن موقفه الصلب تجاه نظام الشاه والقضايا السياسية التي كان يطرحها.

٤- تبنّي قضايا الشعب الرئيسية التي كان يتحسس بها وتمس مصالحه العامة بصورة عامة بعيدا عن المنافع الذاتية لهذه القوة السياسية او تلك.

وقفات جريئة

وأهم هذه القضايا التي أثارها الإمام(رض) في ذلك الوقت:

أ - قضية العزة والكرامة الإنسانية والسيادة الوطنية التي كانت تتعرض الى الإمتهان والطعن من خلال اتفاقية الامتيازات الممنوحة للمستشارين الأميركان في إيران والهيمنة الاجنبية على مقدرات البلد وامكاناته وثقافته وادائه.

ب - الفساد الاداري والإستبداد السياسي الذي كان ظاهرة واضحة يدركها كل الناس في الاجهزة الادارية والقوة السياسية لنظام الشاه التي كانت تنهب أموال العباد والبلاد وتبطش بالقوى التي تطالب بحقوقها العادلة وتطارد المخلصين.

ج - شيوع الفحشاء والمنكرات والإستهتار بالحرمات والشعائر الدينية والآداب العامة والقيم الأخلاقية، وهي أمور كانت تلاقي ردود فعل قوية وعنيفة ليست من الأوساط الدينية فحسب بل من جميع أوساط الشعب الإيراني.

د - الانفصال عن هموم شعوب وبلاد المنطقة والتنكر لقضايا المسلمين مثل قضية فلسطين وقضايا التحرر من الهيمنة الاجنبية السياسية او الإقتصادية.

هـ - قضية الفقر والحرمان وتفاوت الامتياز الطبقي في المجتمع والاهتمام بالطبقة الحاكمة والعائلة المالكة وابهة الدولة والانتهازيين على حساب الطبقات المحرومة من العمال والفلاحين والارياف والمهاجرين و اهمال الخدمات العامة والتعليم والزراعة.

٥- التركيز على القضية المركزية في الصراع السياسي وهي قضية تغيير النظام وعدم الانشغال بالصراعات الجانبية الأمر الذي لفت الانظار الى قيادة الإمام لهذه العملية التغييرية وجنب الإمام خسائر الصراعات الجانبية وتبديدها للجهود المطلوبة.

٦- السعي لايجاد الصف السياسي الواحد في مقابل الشاه وتحمل الخصوم في هذا الاستيعاب من اجل الهدف الكبير واسقاط جميع الذرائع التي يتمسك بها البعض لايجاد الاختلاف. وكان كل ذلك مقرونا بحذر كبير من تقديم التنازلات على حساب المبادئ والأخلاق والمصالح العامة.

بناء الجماعة الصالحة

لقد اعتمد الإمام في تحركه السياسي على آلية تمثل واقعيا النظرية الإسلامية في التحرك السياسي، وهي آلية اشرت الى بعض معالمها في فصل النظام السياسي من كتاب دور اهل البيت(ع) في بناء الجماعة الصالحة ويمكن ان نلخصها اجمالا بمحاور وخطوط ثلاثة:

الاول: الاطار العام الذي يتمثل بالمرجعية الدينية ونظامها القوي القائم على الساحة الإسلامية الإيرانية وهو ما اشرت الى بعض ابعاد قوته في ما سبق وهو نظام يتكون من اركان اربعة هي:

- المرجع الذي يمثل القيادة المتصدية للعمل ذات المواصفات الخاصة والمسؤولة امام الله والناس.

- والصفوة التي تمثل العنصر المهم في ادارة العمليات تنفيذيا.

- والمؤسسة الحقيقية الاصيلة والمبتكرة وتقوم الصفوة بادارتها او ايجادها عادة وهذه المؤسسات تشمل المساجد والحسينيات والمدارس والجمعيات والحركات والاحزاب.

- والأمة التي لها دور في انتخاب القيادة والرقابة على سلوكها وحركتها واسنادها ماديا ومعنويا. وترتبط الأمة بالمرجع بصورة مباشرة عن طريق حضوره القوي والسريع في مختلف قضاياها واتخاذ القرار بشأنها وعن طريق الصفوة وهو دور آخر تقوم به الصفوة في عملها.

الثاني: الحوزة العلمية النافذة والقوية في إيران بمؤسساتها العريضة من المدارس والطلبة والمبلغين والوكلاء والخطباء والمجالس الدينية.. وكذلك الشخصيات والجماعات والحركات والجمعيات الخاصة التابعة لها ميدانيا في الارتباط التنظيمي او الارتباط المعنوي.

الثالث: الاتصال المباشر بالأمة ومخاطبتها والتفاعل معها وتعبئتها روحيا ومعنويا وتنظيميا ولا سيما قطاعات الكسبة والطلبة والنساء وعموم المحرومين في المدن والارياف.

ولذلك يتمكن هذا المنهج في الآلية من اتخاذ القرار الحازم الصائب الذي يحرك الأمة في مواجهة النظام كما يحرك الصفوة والمؤسسات القائمة في هذه المواجهة من خلال اتصاله المباشر بها وحضوره الدائم معها.

الاخلال بالمعادلات الدولية

لاشك أن مثل هذا الحدث الكبير (تفجير الثورة في إيران) لايمكن أن يكون بعيداً عن تأثير الظروف الدولية فيه، لاسيما وأن إيران تحتل موقعاً جغرافياً مهماً فهي تقع على طول امتداد الساحل الشمالي للخليج [الفارسي] والمنطقة النفطية الأهم في العالم، كما أنها تقع على حدود العالم العربي (الدول العربية الخليجية والعراق وعلى الحدود الجنوبية للاتحاد السوفياتي آنذاك والقوى العظمى الثانية) ولذا كانت قاعدة مهمة من قواعد الغرب والولايات المتحدة الأميركية لا تقل من حيث أهميتها في هذا الجانب عن تركيا.

ولكن تأثير هذه الظروف الدولية كان محدوداً حسب اعتقادي؛ وهذا هو العامل المهم الذي سمح بتفجير الثورة داخلياً بعد أن نعرف بأن الثورة وعواملها وأدواتها كانت داخلية بالدرجة الأولى وبالعوامل الأكثر تأثيراً.

ومجمل القول ان ضعف تأثير الظروف الدولية في الثورة كان عاملا مساعدا ومهما في السماح بتفجير الثورة.

بل يمكن القول ان بعض العوامل الدولية كانت تشكل ظرفا استثنائياً محدودا أيضاً ساعد على تفجير الثورة ونشير إلى بعض هذه الظروف:

١- ان القوى الخارجية المضادة للتغيير لم تكن في حالة استنفار واستفزاز لاجهاض الثورة حيث كان التصور السائد في الحسابات السياسية ان التغيير سوف يكون محدودا ولا يمس المصالح الأساسية للاستكبار الغربي، اذ كان المرشح بنظرهم هو سيطرة القوى الليبرالية (الجبهة الوطنية) او القوى اليسارية المنفتحة على الغرب في أسوأ الظروف مثل حزب (مجاهدي خلق) او مجيء حكم عسكري بقيادة احد الجنرالات الإيرانيين، وان وجود الإمام والتيار الديني الاصيل لم يكن عميقا.

ومن هنا كنا نلاحظ ارتفاع بعض الاصوات الغربية تدعو الى القبول بالتغيير الذي كان- في حساباتهم - لا يتجاوز التغييرات السابقة التي حدثت في المنطقة قبل ذلك.

ولم تكن هذه الحسابات قادرة والحمد لله على اكتشاف عمق الثورة وارتباطها الحقيقي بالإسلام وبشخصية الإمام وهذا ماكان يعبر عنه الإمام احيانا بقوله «الحمد لله الذي جعل أعداءنا من الحمقى» وان الله تعالى كان قد أعمى أبصارهم ﴿**ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين**﴾.

٢- تردّي الاوضاع السياسية في افغانستان بدرجة انتهت الى التدخل المباشر فيها من قبل الاتحاد السوفياتي الذي كان يطمح أن يصل إلى المياه الدافئة في الخليج [الفارسي] وبقاء الاوضاع في إيران غير مستقرة بعد طول فترة الثورة، وعدم قدرة الشاه على السيطرة على الثورة وقمعها يجعل إيران في خطر وقوعها في قبضة الاتحاد السوفياتي كأفغانستان، لاسيما وأن القوى اليسارية في إيران كانت معروفة في الرأي العام العالمي انها (قوية) لسوابقها السياسية، الأمر الذي جعل الغربيين يتحركون لاتخاذ مبادرة الضغط على الشاه بالمجيء بحكومة ليبرالية وهي حكومة (بختيار) تنفس الوضع الداخلي وتمسك الخارج. وكانوا يتصورون ان الجيش يمكن أن يشكل ضمانة مهمة للدفاع عن هذه الحكومة.

٣- وجود حالة من عدم الرضا لدى الحكومة الديمقراطية الاميركية عن الشاه وسلوكه العام تجاه قضايا حقوق الإنسان السياسية وتطبيق الديمقراطية، ولاسيما بعد تدخل الشاه في اسناد مرشح الحزب الجمهوري لانتخابات الرئاسة في مقابل مرشح الحزب الديمقراطي (جيمي كارتر) الذي نجح في الانتخابات، وكان يحمل مشاعر الغيظ وعدم الرضا ولذا كان استقباله للشاه عند زيارته أميركا لاسترضائه بارداً، وسمح للمعارضة الإيرانية في أميركا أن تقوم بعمل دعائي واسع ضد الشاه أثناء الزيارة.

٤- تنامي الاحساس والشعور بالسخط لدى الأوساط الوطنية الداخلية والإيرانية من حكومة الشاه بعد اتفاقية كامب ديفيد وإسناد الشاه لحركة السادات في هذه الإتفاقية بالضد من الرأي العام العربي والإسلامي الذي كان يدين هذه الإتفاقية ويقف ضدها، مما ساعد في تفجير الأوضاع الداخلية.

٥- وجود الإحساس لدى بعض الأوساط الإقليمية الموالية للغرب بتعاظم دور الشاه وإيران الإقليمي مما أثار حفيظتها وخوفها من المستقبل مع إقتران ذلك بالمخاوف من عدم قدرة الشاه على القيام بهذا الدور وضبط الأوضاع الداخلية.

ويمكن تلخيص هذه الأمور التي أثارت حفيظة هذه الدول بما يلي:

أ- هيمنة الشاه على منطقة الخليج النفطية وقيامه بدور الشرطي فيها.

ب- التدخل في الشؤون الداخلية لبعض الدول الاقليمية.

ج- تطور الترسانة التسليحية لإيران ودخولها في عقود واسعة وكبيرة لشراء الاسلحة المتطورة من الولايات المتحدة الأميركية وغيرها.

د - عقد اتفاقيات انشاء المفاعلات النووية في إيران الذي كان يفتح الطريق أمام امتلاك إيران للطاقة النووية التي يمكن أن تتحول إلى إنتاج الأسلحة النووية.

كل ذلك كان مقرونا بطموحات الشاه في العظمة وإحياء الامبراطورية الفارسية وأمجادها وشعوره بالأمن والاستقرار في السنوات الأخيرة، وتصاعد الإنتاج النفطي مع صعود قيمة النفط.

والمهم أن حسابات الغربيين وهذه القوى الإقليمية كما ذكرنا لم تأت متطابقة مع النتائج التي جاءت بها الثورة، والتي كانت مفاجأة لهم ولغيرهم، وذلك بسبب غفلتهم عن حقيقة الدور الذي يقوم به الإمام في الثورة، حيث كان التصور العام لديها عن الثورة والإمام أن دوره كان هامشياً ومعنوياً، وان عمقها سطحي ومحدود وإنه سوف يتراجع قياساً الى التحولات التي حدثت في المنطقة، مضافاً إلى الإرادة الإلهية التي هي فوق كل شيء، وقدرت لإيران هذا النصر وهذا التحول الجذري.

حفز المشروع الإسلامي المعاصر

لقد نهض الإمام (قدس سره) بالمشروع الإسلامي المعاصر إلى المستوى الرفيع الذي يمكن ان نعبر عنه (بالقمة).

فأولا: تمكن الإمام من خلال الثورة من اعادة الإسلام إلى الحياة السياسية بكل ابعادها:

أ - التشريعية في تطبيق الإسلام والشريعة الإسلامية وصياغته بطريقة معاصرة وتقديمه إلى العالم الإسلامي والبشرية كلها بصيغة مقبولة في المنهج والأسلوب، وعميقة الجذور بالإسلام الأصيل، وبذلك تمكن أن يربط بين الماضي والحاضر والأصالة والحداثة والنظافة والنقاوة والمعاصرة.

ب - الإنسانية من خلال الاهتمام بقضايا العدل والظلم والحرية والاستبداد والمحرومية والإسراف والاستضعاف والإستكبار.

ج - الاستقلال السياسي في مقابل الهيمنة الخارجية على الإرادة السياسية والمصالح

العامة والثروات الوطنية ومصائر الشعوب.

د - مقاومة الإستكبار العالمي للغرب والشرق على المستوى العالمي والإنسانية كلها.

وهذه الأبعاد في عودة الإسلام إلى الحياة تعتبر من أهم معالم المشروع الإسلامي.

وتعتبر الجمهورية الإسلامية في مضمونها القانوني المدون في الدستور قرين شعاراتها السياسية والفكرية والأخلاقية وفي سلوكها السياسي العام تجاه مختلف قضايا النظام الإسلامي الوحيد الذي يتبنى هذه الأبعاد.

وان شراسة الهجمة الاستكبارية التي تعرضت لها وسمة العنف الحاد، وحركة القوى الداخلية المضادة لها وطبيعة الاتهامات التي واجهتها ومنها الاتهام بتصدير الثورة، أفضل دليل على هذه الحقيقة.

وثانيا: تمكن الإمام من تقديم النموذج التشريعي لصيغة الحكم الإسلامي المعاصر المستنبط من الكتاب الكريم والسنة النبوية وعلى يد كبار المجتهدين والعلماء والمتخصصين القانونيين والسياسيين من خلال مجلس الخبراء الذي ضم جماعة من أفضل أهل الخبرة والمعرفة بالإسلام والحياة الاجتماعية وبمدة زمنية قياسية في التحولات السياسية.

وقد دلت التجارب العلمية والأبحاث العلمية اللاحقة على سلامة هذا النموذج الإسلامي وصحته ومطابقته للتشريع الإسلامي وقدرته على تحقيق الأهداف واشتماله على عناصر القوة والضمانات اللازمة للتطبيق.

وقد تحدثت عن هذا الموضوع في الباب الثاني من كتابنا الحكم الإسلامي بين النظرية والتطبيق.

وثالثاً: تمكن الإمام من إرساء قواعد المشروع الإسلامي على أساس المؤسسات الدستورية المنتخبة من قبل الشعب عن طريق صناديق الاقتراع وقواعد الشورى العامة التي تعطي للأمة موقعها الأصيل في هذه العملية وتعطي في الوقت نفسه الدور الأخص للفقهاء والربانيين.

وكانت الجمهورية الإسلامية بإدارة الإمام وتوجيهاته وإصراره وحزمه- الدولة الأولى التي تمكنت من أن تحقق هذه النتائج في هذا المجال بسرعة قياسية لا نظير لها في كل التحولات السياسية التي شهدها عالمنا المعاصر وتاريخنا الإسلامي العام.

ورابعاً: تمكن الإمام من تأسيس منهج في مقاومة الإستكبار العالمي والمحلي والهيمنة

الاجنبية والطغيان الداخلي والصهيونية العالمية، وتعبئة المسلمين روحياً ومعنوياً على هذا المنهج والذي كانت له آثاره الواسعة في العالم الإسلامي، ويمكن ملاحظته بوضوح في الثورة الفلسطينية وتداعياتها والمقاومة اللبنانية وفي الجهاد الأفغاني ضد الإتحاد السوفييتي وفي كشمير والبوسنة والهرسك والشيشان وبعض دول آسيا الوسطى، وفي تصاعد مقاومة الطغيان والاستبداد في العالم الإسلامي ومنه ما شهده العراق والجزائر وغيرهما من مقاومة وقد جسد بذلك عمليا وواقعياً ومبدئياً سياسة لا شرقية ولا غربية.

وخامساً: تمكن الإمام من إحياء الشعائر الدينية الإسلامية في الأداء والمضمون معاً وذلك من خلال الحج الإبراهيمي بأبعاده الدينية والإجتماعية والسياسية. وإقامة صلاة الجمعة في إيران والخطبة السياسية فيها والتعبئة الروحية والمعنوية لها. وثقافة القرآن وفهمه وحفظه وتداوله والتفاعل معه. والحجاب الإسلامي للمرأة الذي يؤمّن لها الستر والعفاف ويفسح لها فرص المشاركة في الحياة العامة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والخدمات العامة.

والتعليم الإسلامي بتعميم الثقافة الإسلامية على جميع المؤسسات الحكومية لا سيما القوات المسلحة وتحويل الإذاعة والتلفزيون إلى جامعة إسلامية للثقافة، وتطوير العلاقة بين الحوزة والجامعة وتوثيقها وتبادل الخبرات والتجارب بينهما وإنشاء المؤسسات التعليمية المشتركة بينهما، والاهتمام بتطوير الحوزة العلمية بما يجعلها تواكب الأحداث والأوضاع المعاصرة. ومجالس الدعاء وإحياء ذكريات النبي والمعصومين والشهداء واجتماعات الاعتكاف والصوم والزيارة. وشعائر الجهاد وإعداد القوة والتعبئة الروحية والمعنوية والتدريب على القتال والمقاومة والبناء من خلال مؤسسات حرس الثورة الإسلامية والتعبئة (البسيج) وجهاد البناء وغيرها من المؤسسات ذات العلاقة بهذه الشعائر التي كادت تموت في الأوساط الإسلامية.

وهذه الإنجازات وإن كانت قد تختلف في درجة تحققها في الخارج، ولكنها قد وضعت ضمن صيغ وخطط وبرامج تجسد المشروع الإسلامي في هذا المجال (مجال الشعائر الإسلامية).

وسادسا: تمكن الإمام من حفظ وتجسيد مبدأ خلافة الإنسان وشهادة الانبياء والربانيين والأحبار على المسيرة الإنسانية وذلك من خلال تأكيد دور الأمة في الانتخابات والمشورة والرقابة ومشاركة الجمهور بكل قطاعاته وحتى النساء في العمل السياسي، ودور العلماء والفقهاء في الشهادة على السيرة وهدايتها وتوجيهها وربطها بالله تعالى والمحافظة على

سلامتها من الضلال والانحراف.

وهذا مما اختصت به الثورة الإسلامية في إيران وتمكنت أن تحيي هذا الجانب في المشروع الإسلامي.

الوحدة الإسلامية ومواجهة التحديات

لقد كانت الوحدة الإسلامية بالنسبة إلى الإمام(رض) هدفاً مهماً من الأهداف التي سعى إليها في عموم حركته السياسية وهو يرى هذه الوحدة في موقف الأمة وحكوماتها موقفاً واحداً تجاه القضايا الكبرى والمشتركة ولا سيما ضد الاستكبار العالمي والهيمنة الخارجية والصهيونية العالمية والثقافة المادية، ومن أجل تحقيق الاستقلال والتكامل في التنمية بين أطرافها في الطاقات والامكانات والموارد والتعايش والتفاهم بين المسلمين في الحياة السياسية والإجتماعية وروح المودة والحب والأخوّة بين أبنائهم مع اعطاء الفرصة لكل المسلمين أن يعبروا عن وجودهم ويمارسوا شعائرهم والتزاماتهم بصورة مستقلة وحرة ويتحاورون بينهم في الفكر والرأي والوصول إلى الحقيقة وما فيه مصلحتهم وصلاح دنياهم وآخرتهم.

وقد كان الإمام يبذل جهوده في المجالات والمساحات والمناسبات المختلفة لتعزيز هذه الوحدة، ومع كل ذلك يمكن أن نلاحظ وجود منهج للإمام في تعزيز هذه الوحدة ونستطيع أن نتبين معالمه في الأمور التالية:

الأول: إرساء الوحدة على أساس الاعتراف بالتعددية في الشخصية المذهبية وبالممارسة في مجال العبادة والفكر والبحث العلمي والأحوال الشخصية والمراسيم والشعائر المذهبية والآداب والتقاليد في الأمور الإجتماعية.

وقد تم ذلك منذ البداية بتأكيد الدستور والقانون الأساسي على هذه التعددية، وهذا القانون الأساسي هو القانون الوحيد في العالم الإسلامي – حسب اطلاعي – الذي يعترف بهذه التعددية على الرغم من أن أهل السنة يمثلون في إيران أقلية هي أقل بكثير من الأقليات لأتباع أهل البيت(ع) في كثير من بلدان العالم الإسلامي.

الثاني: التجسيد العملي لهذه الوحدة من خلال الاعتراف وإسناد المؤسسات التابعة للمذاهب الأخرى كالمساجد والمدارس والتكايا والجمعيات وايجاد التشريعات القانونية ذات العلاقة بالاحوال الشخصية أو تدريس تاريخهم ومذهبهم والاعتراف بعلمائهم وتنصيب الممثلين الشخصيين للولاية العامة في أوساطهم إلى غير ذلك من الاجراءات

التفصيلية التي تجسد هذه الحقيقة، وبذلك قدم الإمام نموذجاً تشريعياً وتطبيقياً لهذه الوحدة التي تقوم على أساس الاعتراف بالآخر وعدم إلغائه والعمل لتوحيد الموقف العام معه تجاه القضايا الأساسية المشتركة.

الثالث: تركيز الاهتمام على القضايا الكبرى للعالم الإسلامي مثل قضية فلسطين ويوم القدس وقضية المستضعفين والمحرومين في العراق ولبنان وأفريقيا وقضية مقاومة الغزو الثقافي والمحافظة على الشعائر الإسلامية المشتركة وثقافة القرآن الكريم، والتعايش في مختلف مجالات التعبد ومنها الحج والاشتراك في صلاة الجماعة والجمعة، والانسجام في الموقف في عرفات والمشعر ومنى، ونصرة المسلمين في مختلف أنحاء العالم الإسلامي عندما يتعرضون الى العدوان.

الرابع: الخطاب السياسي والثقافي الوحدوي من خلال توجيه النداءات الوحدوية والحث عليها وبيان فوائدها وأضرار الخلاف والتمزق ولا سيما في بيانات الحج والذكريات المشتركة للمسلمين كمولد النبي(ص) ومبعثه الشريف ويوم القدس وغيرها من مناسبات.

الخامس: تهيئة الفرص والأجواء للقاء والاتصال والحوار المشترك وتبادل الرأي وطرح الهموم بين علماء المسلمين والمثقفين والمفكرين من مختلف المذاهب الإسلامية وذلك من خلال عقد الندوات والمؤتمرات وإرسال الهيئات والوفود أو استقبالها.

وفي هذا الصراط نجد الجمهورية اهتمت بصورة خاصة بندوات ومؤتمرات الحج التي كانت تعقد في مختلف أنحاء العالم الإسلامي ونداءات الحج التي تعقد في مكة المكرمة و مؤتمرات الفكر الإسلامي ومؤتمرات ائمة الجمعة ومؤتمرات الوحدة الإسلامية ومسابقات القرآن الكريم والندوات الفرعية التي تعقدها في مختلف البلاد والحضور الفاعل في المؤتمرات الإسلامية التي تعقد في اطار تأكيد الوحدة الإسلامية في العالم الإسلامي وإرسال الوفود واستقبالها ولاسيما في ذكرى انتصار الثورة الإسلامية وفي اسبوع الوحدة الإسلامية.

السادس: التشجيع والاسناد لكل مبادرة وحدوية إسلامية ومنها منظمة المؤتمر الإسلامي والمنظمات الدولية الاقليمية التي تشارك فيها إيران بصورة فعالة.





الامام بين جمع من تلامذته ومريديه فى صحن ضريح الامام علي (عليه السلام)
في النجف الاشرف

دور الإمام الخميني في حياتنا السياسية المعاصرة

آية الله الشيخ محمد مهدي الآصفي

كان الإمام الخميني (رحمه الله) من الشخصيات النادرة في العصر الحاضر وكان له دور كبير في العالم الإسلامي وفي الوضع السياسي العالمي المعاصر بشكل عام.

دخل الإمام في مواجهة حاسمة مصيرية مع القوتين الكُبريين من أوسع الأبواب.

أزعج القوتين الكُبريين، وحسّسهما بالخطر.

أزعج البيت الأبيض في ولاية رئيسين، وشوّش جو انتخابات الرئاسة الأميركية.

إقتحم معاقل الكفر العالمي في الشرق والغرب.

استقبله الملايين من الناس في مطار طهران فلما رحل إلى لقاء الله ودعه عشرة ملايين من المشيعين بالدموع.

جزر الثبات وبؤر التوتر

ماذا عمل الإمام(ره) خلال هذه الفترة؟

يقسم الاستكبار العالمي الى قسمين:

(جزر الثبات) والاستقرار السياسي، وكانت (إيران) قبل الثورة الإسلامية من جزر الثبات في المنطقة، اما (بؤر التوتر) فمثل لبنان وفلسطين، ولكل منهما دور في خدمة الاستكبار، ويوظف الاستكبار كلّا من المنطقتين لخدمة مصالحه.

(*) مفكر اسلامي، من رواد الحركة الإسلامية في العراق، وأحد كبار أساتذة الحوزة العلمية في مدينة قم المقدسة حاليا.

فاقتحم الإمام جزر الثبات والاستقرار وجعل منها بؤرا للثورة والحركة، واقتحم بؤر التوتر وحولها إلى مناطق للعمل والحركة لخدمة الإسلام والمستضعفين بعث فيها الوعي والحركة، وحولها من بؤر لتمرير المؤامرات على العالم الإسلامي إلى بؤر تثوير وتحريك ضد القوتين الكبريين.

القوة الثالثة

كانت القوتان الكبريان يقسمان العالم يومئذ ويطرحان قوة ثالثة غير منحازة الى الشرق والغرب ولكنهما كانتا تقتسمان النفوذ على دول عدم الانحياز، ويدخلان معها قاعات القرار المغلقة لمؤتمر دول عدم الانحياز.

فطرح الإمام الإسلام قوة ثالثة على الساحة، وقطع الطريق على القوتين الكبريين، ورفع شعار (لا شرقية ولا غربية) وحول هذا الشعار إلى واقع سياسي ضخم، عبر مرارات وجراح ومعاناة، ولم يسمح للقوتين المتنازعتين الكبريين أن يكون لهما دور في رسم الخط السياسي والحركي والثقافي للعالم الثالث.

وكان مخاض هذه الولادة الجديدة صعباً، بالتأكيد ولكنه كان على كل حال ولادة جديدة، ومع كل ولادة حضارية وسياسية سقوط حضاري وسياسي، على المدى الطويل او القصير.

سقوط الاقنعة

كشف القناع عن الحضارة الغربية وابرز الوجه الحقيقي لهذه الحضارة، بعد ان كانت تخفي وجهها خلف قناع الدفاع عن حقوق الإنسان والحيوان والحرية والديمقراطية والانفتاح.

سكوت الغرب عن استعمال النظام العراقي للأسلحة الكيمياوية، بل دعم النظام العراقي خلال فترة الحرب بتصدير أكثر الأسلحة فتكاً وتدميراً الى الجيش العراقي لضرب هذه الدولة الفتية في إيران وتدميرها والفتك بقواتها.. ثم مطالبته بعد انتهاء الحرب بتخريب هذه الاسلحة وهدمها لكيلا تهدد هذه الاسلحة أمن (إسرائيل) على الأمد الطويل. وكشف الوجه الحقيقي للغرب، ولأميركا بشكل خاص.

إن ذلك السكوت عن جريمة استخدام الأسلحة الكيمياوية علناً، على مرأى ومسمع من كل الناس ثم هذا الإصرار على تفريغ مخازن الأسلحة في العراق من الساحة ذات القوة التخريبية الواسعة.. أقول ان ذلك السكوت وهذا الإصرار يحددان بشكل دقيق

الهوية الحقيقية والوجه الحقيقي لحضارة الغرب، وبشكل خاص للسياسة الأميركية.

مؤتمر باريس كان محاولة لاعادة هذا القناع الى وجه هذه الحضارة فيما يتعلق بالسماح للنظام العراقي باستخدام الأسلحة الكيمياوية.. ولكن المؤتمر لم يصنع شيئاً، حتى في المجال الإعلامي، فضلاً عن العمل السياسي.

إن حادث إسقاط الطائرة المدنية على الخليج من قبل القوات الأميركية وقتل العشرات من الأبرياء، المدنيين كان مؤلماً حقاً، ولكن على مرارته كان يكشف الوجه الحقيقي للسياسة الأميركية، ولم تكن أميركا تنكشف للرأي العام العالمي لولا هذه المواجهة التي خاضها الإمام ضد النفوذ الأميركي في إيران والخليج.

ومن عجب ان هذا الحادث المؤسف لم يحرك الضمير السياسي للأنظمة السياسية والمؤسسات الدولية في العالم، وبالشكل المطلوب، وهذه الثانية أدهى من الأولى.

الحالة الافتحامية من الدفاع الى الهجوم

حوّل الإمام (ره) موقع الحالة الإسلامية المعاصرة من حالة الدفاع الى الهجوم، وشتان بين هذا وذاك.

أزعج الغربيين فتوى الإمام بوجوب قتل المرتد الهندي البريطاني الجنسية سلمان رشدي ليس بسبب الدفاع عن حرية الرأي وحق الإنسان في الفكر، ولا نريد أن نتوقف عند هذه النقطة كثيرا، ونترك فعلا مناقشة الذين يعتقدون أن موقف الدول الأوربية في مقاطعة إيران بسبب ان الإمام انتهك بفتواه حق الإنسان في حرية الرأي والتفكير إلى زمان أطول، إذا كان مائة سنة من التخريب والاستضعاف للمنطقة الإسلامية لم يكف بعد للكشف عن حقيقة نوايا الغرب تجاه المسلمين. ومن يعتقد أن بإمكانه أن يفهم العقل الغربي من خلال الإعلام يخطئ كثيراً.

لقد وجد الغرب في فتوى الإمام بخصوص سلمان رشدي تحديا شرقيا (إسلاميا) للغرب (الصليبي).

وساءه كثيرا ان يتجاوز الرجل الشرقي ليحكم حكماً قضائياً في شخص يعيش في حمى الأمن الغربي.

لقد كان الغرب لا يتحمل أن يدافع الرجل الشرقي في بلده عن حقوقه.. فكيف يمكن أن يتحمل الرجل الشرقي أن يتدخل في شؤون الغرب وأمنه، ويحكم بقتل رجل يعيش في حمى الغرب.

لقد كانت الفتوى، تحديا صارخاً للغرب، لمن يعرف الذهنية الغربية.

ومن هذا المنطلق فقط نستطيع أن نفهم الموقف الأوربي الموحد (تقريباً) في مقاطعة الجهود الإسلامية سياسياً واقتصادياً.

ويشاء الله تعالى أن يخرج عشرات الآلاف من الشباب المسلمين في المملكة المتحدة في الشوارع يحملون صور الإمام الخميني، ويطالبون برفع الحصانة عن المرتد سلمان رشدي ومحاكمته وتضطر الشرطة البريطانية إلى استخدام العنف في مواجهة هذه الموجة البشرية الهائلة التي حركتها فتوى الإمام (رحمه الله).

لقد آن للغرب أن يعرف أن الإسلام زاحف من الشرق إلى الغرب، واذا لم يفهم الرجل الابيض هذه الحقيقة بصورة مبكرة فسوف يدفع ضريبة كبيرة في المستقبل.

لم يطلب الإمام من المحاكم البريطانية إدانة سلمان رشدي، ولم يطلب من الحكومة البريطانية تقديم المرتد رشدي الى المحاكم البريطانية، وإدانته وعقوبته، كما فعل هنا بعض الحكام الضعاف، وإنما حكم بنفسه عليه بالقتل، متحديا القضاء والسيادة الغربية.

وكيف ترى يتحمل الرجل الغربي هذا التحدي من الرجل الشرقي الذي كان يراه إلى الأمس القريب، بل اليوم انسانا من الدرجة الثانية، بعد الإنسان الغربي على سلم النضج الحضاري والثقافي والعلمي.

لقد كان غورباتشوف أوسع أفقاً وأكثر تحرراً من العقلية الغربية عندما استقبل الوفد الذي بعثه الإمام اليه ينذره بنهاية الماركسية، ويدعوه الى الإيمان بالله.

لقد تجاوز الإمام (ره) في حركته السياسية والحضارية ردود الفعل الى الفعل، والدفاع إلى الهجوم.

ولا نجد الآن تفسيراً لمثل هذه الخطوات الجريئة والكبرى، لولا ثقته بالله تعالى، واتكاله على الله، وتوفيق الله له وتأييده إياه.

وهو ما لا نشك فيه في تفسير العمل والتحرك السياسي للامام (ره) خلال هذه الفترة القصيرة بعد قيام الجمهورية الإسلامية.

انعدام الثقة بين الأسياد والعملاء

كان للثورة الإسلامية تأثير كبير في انعدام ثقة العملاء من حكام المنطقة بالأسياد، وبالعكس في انعدام ثقة الأسياد بعملائهم.

فقد عرف العملاء في المنطقة ان أميركا رغم إصرارها على بقاء الشاه لم تتمكن من حمايته في أحرج الأوقات، ولم تستطع أميركا أن تفعل شيئا لإسناد عرش الشاه.

وعرف الأسياد هناك ان هؤلاء العملاء أوراقا محترقة لا يملكون أي رصيد من داخل الأمة، وهم يعيشون بالإرهاب والرعب وأمد الرعب والإرهاب قصير.

كان لسقوط الشاه في الثورة التي قام بها الشعب المسلم في إيران بقيادة الإمام (ره) دور مزدوج في زعزعة ثقة العملاء بأسيادهم، والأسياد بعملائهم. وكان له دور ثالث وهو إسقاط القناع من وجه العملاء والاسياد معا.

إحياء خط الولاء والبراءة

خط الإمام (ره) للمسلمين خطين عميقين، وهما خط الولاء والبراءة، او بالأحرى إحياء هذين الخطين في جسم الأمة بعد فترة خمول طويلة في حياة المسلمين السياسية.

وحوّل الولاء من شعور داخلي بالرفض، ونيّة في النفوس الى تظاهرات صاخبة ومسيرات مليونية ورشق بالاحجار، وهتافات بالموت لأميركا و(إسرائيل) وكل أعداء الإسلام.

بعث الإمام الحركة والحيوية في خط الولاء والبراءة، واستقطب مشاعر الولاء والبراءة في العالم الإسلامي، ووجهها الى مقارعة أميركا و(إسرائيل) وحولها الى حركة ثورة راشدة في مواجهة الإستكبار.

حوّل البراءة الى الرفض السياسي، وحوّل الرفض الى الموقف السياسي، وحوّل الموقف الى حركة، وحوّل الحركة الى ثورة باذن الله تعالى وحوله وسلطانه، وحوّل الولاء الى طاعة للقيادة السياسية

ان الولاء والبراءة من أعمق المفاهيم السياسية والعقائدية في الإسلام، ولكن [illegible] فترة الخمول والضعف الكثير من مداليلهما.

مشروع الثورة

إستقطب الإمام (رض) مشاعر السخط والغضب [illegible]
بعد حتى أصبحت الخمينية هي شعار الانتفاضات في [illegible]

وأطلق شعار (تصدير الثورة) في عصر ألف الناس فيه تصدير [illegible] والافكار المنحرفة.

وجعل من الحج منبرا للثورة ومن إيران قاعدة ومنطلقا لها وقال: اننا نقصد بتصدير الثورة ان نعلم المستضعفين من المسلمين كيف حررنا بلدنا من سلطان الطاغوت، وكيف استعدنا إرادتنا التي سلبها الطاغوت وتملكنا أمرنا ومصيرنا. لم ينظّر للثورة، وانما أعادها وأقامها في حياة المسلمين. فكان حقا إمام الثائرين في عصرنا

الإسلام النقي

دعا الى العودة الى الإسلام النقي الخالص الذي لا تشوبه شوائب الأهواء والانحرافات التي أضيفت الى هذا الدين على يد السلاطين ووعاظ السلاطين. لقد عمل الحكام الظالمون لتطويع هذا الدين لرغباتهم، فأضافوا الى هذا الدين ما ليس فيه، وألغوا من هذا الدين ما يتعارض مع مصالحهم ومواقعهم وأهوائهم، ولا يستعيد هذا الدين دوره على وجه الأرض في تعزيز عبودية الله وإقامة التوحيد الا إذا عاد نقيا من كل الشوائب والاضافات الى حياة المسلمين.. وهكذا فعل الإمام الخميني(ره) في إعادة الإسلام الى الإسلام المحمدي.

عودة المصطلحات الإسلامية

أعاد الى ثقافتنا المصطلحات الإسلامية بعد ان تعرضنا لغزو ثقافي واسع، واستعرنا لحياتنا المصطلحات الثقافية والسياسية الغربية والشرقية.

ولكل ثقافة مصطلح خاص بها ولا يمكن اضافة مصطلحات ثقافة الى ثقافة أخرى الا على سبيل الترقيع.

ونحن عندما استوردنا المصطلحات الغربية والشرقية الى حياتنا الفكرية والسياسية وجدنا هذه المصطلحات لا توظف توظيفا صحيحا الا اذا استعرنا لأنفسنا الثقافات التي ترمز لها هذه المصطلحات.

وهكذا وجدنا أنفسنا أمام ثقافة ليست من ثقافتنا وفكر ليس من فكرنا وحضارة ليست حضارتنا.

فلما انتصرت الثورة الإسلامية في إيران طرح الإمام (ره) مجموعة من المصطلحات الإسلامية مثل (الإستكبار) و(الاستضعاف) و(الطاغوت) وأمثالها، وهذه المصطلحات لا يمكن توظيفها الا في اجواء الثقافة الحركية الإسلامية.

الاستهانة بالحياة الدنيا

علّم الشباب ان القوى (الكبرى)!! كبرى للضعفاء والجبناء، وضعيفة للاقوياء والاشداء.

وعلمهم كيف يكتسبون القوى، ان القوة في الاستهانة بالحياة الدنيا، والضعف في التعلق بالدنيا.

ورحم الله الشهيد الشيخ حسين معن(**) كان يقول لجلاديه «المستميت لا يموت» فاذا استهان الإنسان بالدنيا لم يخف من شيء، واذا تعلق بالحياة الدنيا أخافه كل شيء.

فالاصل اذن التحرر من التعلق بالدنيا، وكان هو (رحمه الله) المثال الواضح لهذا التحرر من حياته الشخصية.

السنوات الصعبة

السنوات العشر التي عاشها الإمام (رحمه الله) بعد انتصار الثورة الإسلامية كانت سنوات صعبة عسيرة، وكانت التجربة في بدايتها، ولكنها تجربة ضخمة.. فيها حقق الله تعالى حلم المؤمنين بقيام دولة إسلامية على وجه الأرض (لا شرقية ولا غربية) ومن السذاجة ان نتصور ان بالامكان تحقيق هذا الكيان السياسي الجديد على وجه الأرض من دون معاناة وعذاب وحصار وتعتيم وحروب واضطهاد وعزلة سياسية وتقشف وتحالفات مضادة. ولكن الله تعالى كان لهذه المؤامرات جميعا بالمرصاد.. احبطها وابطلها، وازالها واحدة بعد اخرى، وكانت كلمة الله هي العليا.

جربوا محاصرة الثورة إقتصاديا فلم يفلحوا!! عملوا على استنزاف الثورة في حرب الثمان سنوات فباءت المحاولة بالفشل حتى عادوا يخشون المردود السلبي لاستمرار الحرب على أمن الخليج واستقراره. جربوا الحرب الاعلامية والنفسية، ووظفوا وسائل الاعلام المتطورة لافشال الثورة. عملوا على تطويق الثورة بالحصار القومي والطائفي.

راهنوا على وفاة الإمام فخرج جمهور غفير يقدر بعشرة ملايين في تشييع الإمام يؤكدون عزمهم على المضي على طريق الإمام ونهجه.

وراهنوا على الخلافات التي تحدث حول محور القيادة بعد الإمام فجاء انتخاب آية الله

(**) أحد شهداء الحركة الاسلامية في العراق وله عدة كتابات منها (الاعداد الروحي) .. المعد.

الخامنئي بعد عشر ساعات من وفاة الإمام لولاية المسلمين مخيبا كل آمالهم.. وهكذا أحبط الله كل حساباتهم وتحليلاتهم والسبب انهم كانوا يرون الإمام في الساحة ولا يرون يد الله فخابت حساباتهم وتحليلاتهم.

لقد كانت سنين صعبة حقا.. ولكن لابد لكل ولادة من مخاض، ولابد في كل مخاض من آلام، وليس يشير أمر ولادة صفحة من التاريخ من دون هذه المعاناة والاذى والمتاعب.

مفتاح شخصية الإمام

لقد اتعب الإمام القيادات السياسية في الغرب، فشلوا في إحباط مشروعه الكبير، وحاروا في فهم شخصيته، ولم يهتدوا الى مفتاح هذه الشخصية.

ولو انهم كانوا يهتدون الى مفتاح شخصية الإمام لوفروا على انفسهم الكثير من هذا الجهد الذي بذلوه.

ان مفتاح شخصية الإمام في الإسلام. ورسالة الإسلام في حياة الناس ان (يضع عنهم إصرهم والاغلال التي كانت عليهم).

فاذا اسقطت عن الناس الآصار والاغلال حقق الله على أيديهم التحديات الكبرى في التاريخ، كما صنع الإسلام من قبل بأمثال بلال وأبي ذر ومصعب وسلمان (رحمهم الله ورضي عنهم).

ان الإسلام يحول الهزيمة والنكسة في نفوس المؤمنين الى شعور بالاستعلاء والقوة.

لقد ابتلى الله تعالى المسلمين في (أُحد) بنكسة مؤلمة ولكن الله حول هذه النكسة في نفوسهم الى شعور بالاستعلاء.

يقول تعالى ﴿**ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الأعلون ان كنتم مؤمنين**﴾ فقد نزلت هذه الآية بعد مرارة نكسة احد، وليس بعد نشوة انتصار بدر.

ومن داخل الحصار الإقتصادي يفتح الإسلام للمسلم طريقا الى خزائن رحمة الله الواسعة.

ويحول الإسلام الفئة القليلة الى نصر وغلبة وقوة بإذن الله: ﴿**كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله**﴾.

ويحول الإسلام اليأس في نفوس المؤمنين الى نصر وغلبة.

﴿حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد كُذّبوا جاءهم نصرنا﴾.

ويحول الإسلام السجون والهجرة والمطاردة في حياة الإنسان المسلم الى ساحات للعمل والجهاد والحركة.

رحم الله احد علمائنا كان يقول لي: نحن في المجتمع من على المنابر نقول للناس: لا إله الا الله فاذا أودعونا في السجون، قلنا للسجناء :لا اله الا الله، واذا افردونا في زنزانات مفردة قلنا للسجان: لا اله الا الله واذا منعوا السجان عنا، قلنا للجدران لا اله الا الله.

وسمعت آخر من العلماء الثائرين يقول: قلت لجلاوزة الطاغوت: اذا اطلقتم ايدينا في المجتمع ثوّرنا الناس عليكم.. واذا اودعتمونا في السجون دعونا الله تعالى عليكم. واذا طاردتمونا وهجّرتمونا من البلاد، تحركنا في أرض الله الواسعة برسالتنا، واذا قتلتمونا تتحول كل قطرة من دمائنا الى صرخة: لا اله الا الله.

الدرس الذي أعطاه الإمام للأمة

كيف استطاع الإمام(ع) ان يحرك هذا الجمهور الكبير باتجاه اسقاط الشاه العتيد وكيف استطاع ان يجعل من هذا الركام الكبير قوة هائلة دخلت المعركة وجها لوجه امام حرس الشاه الخاص وقطعاته العسكرية ورجال الامن والمباحث واستطاعت ان تسقط هذا النظام القوي الشرس.

علّم الإمام (ره) الناس كيف ينتزعون الخوف من صدورهم اولا. والخوف يعطل طاقات الإنسان، ويشلّ حركته، هون عليهم الدنيا، فهانت الدنيا في نفوسهم، فلم يعبأوا بالموت. وأكثر ما يخوّف الطاغيةُ الناسَ بالموت، فاذا كان الناس هم الذين يقدمون على الموت ويطلبون الموت ويجدون في الموت في سبيل الله لقاء الله لم تعد تنفع وسائل الإرهاب والارعاب في ترويض الناس وتطويقهم لإرادة الظالمين.

ثم أعطاهم الثقة بالله، وانتزعهم من مساحة الاعتداد بالنفس الضيقة ووضعهم في مساحة الاعتزاز بالله والثقة بالله الواسعة، وعلمهم كيف ينتزعون انفسهم من دائرة امكاناتهم الضيقة ليعيشوا في دائرة حول الله وقوته اللامحدودة، فأصبحوا يحاربون أميركا وعملاءها بثقة وطمأنينة وقوة.

وكل هذه الدروس أخذها الإمام (ره) من القرآن، واعطاها للجمهور الذي رفع نداءه وهتافه.

أعطاهم الثقة وكسب ثقتهم

أعطاهم حبه وكسب حبهم

وهكذا تكون العلاقة الصادقة بين القائد وجمهوره

طلب منهم ان ينزلوا الى الشوارع ويواجهوا رجال الشاه ومدرعاته بصدورهم.

قالوا له: ان الشاه يملك من وسائل الاعلام ما لا نملكه ويملك من الاسلحة الفتاكة ما لا نملكها.

فقال لهم: لا تقنطوا من رحمة الله.

فوضع الكاسيت في أيمانهم يرفعون به خطاب الثورة، ووضع الاحجار المبثوثة على أرضية الشوارع في شمائلهم ليقارعوا بها جلاوزة الشاه.

علّم المحرومين ان يتمردوا على الظالمين وعلّمهم ان يقرروا مصيرهم بانفسهم.

علّمهم كيف يتحررون من الخوف واليأس وعلمهم كيف يصرخون بالرفض في وجه الظالمين الذين لا يعجبهم ان يسمعوا من الناس صرخة الرفض.

وعّلمهم ان قصور الطغاة وقلاعهم اوهن من بيت العنكبوت.

وعلّمهم ان عروش الطغاة ريشة في مهب الرياح.

وعلّمهم ان الدم يقرر مصير التاريخ وليس الظلم والإرهاب.

وعلّمهم: **﴿ان العاقبة للمتقين﴾**.

هذا كله أخذه الإمام من القرآن الكريم المعين الاول للهدى والتوحيد والقيم والثورة ضد الظالمين.



الإمام الخميني شخصية القرن

حجة الإسلام والمسلمين الشيخ محمد مهدي الخالصي

إن مقام الامام الخميني أعلى من أن يُكتفى بإقامة المئوية السنوية لذكراه لأنه في مكانة سامية تشمل الآفاق الانسانية لذلك لاحظنا تعاطفا شديدا من قبل اكثر الناس حتى اولئك الذين يعيشون في بلاد الغرب، والمنصفون منهم يؤكدون بأن الذي ملأ القرن هو الامام الخميني (رض) ولهذا فإنني اعتبر الدعوة الى إحياء مئوية الامام خطوة جيدة ومباركة ان شاء الله على شرط ان نستثمرها لغايات أسمى وأبعد من التمجيد المناقبي وهي ادامة المسيرة واكمال الخط الذي رسمه الامام الراحل، واعتقد ان هذا هو الهدف الذي أقيمت من أجله هذه المناسبة، ولأن الدور الذي أداه الامام كان من أعظم الادوار وأكثرها تميزاً في هذا القرن خاصة بما قام به من بلوره عملية لصورة الاسلام وإقامة الدولة على أساسه في هذا الزمان، وهذا هو المقام الاكبر الذي وصله الامام (رض).

لقد رأينا في الإمام صورة القائد المجاهد وذلك بسبب دوره الهام الذي تلخّص في قيام الإمام بتجديد روح الإسلام في هذا الزمان وانقاذه من خطة الحصار المفروضة عليه. فإن أعداء الإسلام وضعوا خطة ماكرة فقد سلطوا على الأمة حكاما خانعين ومأجورين يعملون على تنفيذ خطة اقتلاع الاسلام من جذور هذه الامة وتشويه معالمه والقضاء على علمائه المخلصين وكان منهم الشاه السابق وأبوه رضا خان وعموم آل بهلوي اذ كانوا يمثلون واحدة من هذه المرتكزات العدوانية كما كان يمثل أتاتورك مرتكزا آخر بعد ان سلطوه على

(*) زعيم كتلة الحركة الاسلامية في العراق - يقيم في أوروبا.

الشعب المسلم في تركيا ودفعوه الى الغاء الخلافة الاسلامية رغم انها لم تشكل في ايامها الاخيرة الا رمزا ظاهرا لا جوهر فيه كما حاولوا تسليط فيصل وآله المتعاونين مع الانكليز منذ ايام لورنس ومكماهون على العرب وشعب العراق ومقدرات ابنائه وكذلك بقية الانظمة المتخاذلة والعميلة في اغلب انحاء العالم الاسلامي هذا من جانب ومن جانب آخر سعوا الى محاصرة ومحاربة علماء الدين المجاهدين وتسليط العلماء المستسلمين والخانعين على رقاب الامة وهذا ما جرى بعد نفي العلماء حيث عاد من استسلم وترك الحبل على الغارب بحجة فصل الدين عن السياسة ليكون مرجع التقليد المصنوع، وسجن من رفض ذلك او شرد او تجرع السم ليلقى ربه راضيا شهيدا من خلال هذا الخضم، ومثل ذلك التراجع المرير، برز الامام الخميني ليعيد الحق الى نصابه والمسيرة الى طريقها فالمرجعية ليست للانزواء والتخدير بل للجهاد والعمل واقامة احكام الله في الارض، وبذلك وتحت لواء الاسلام بلا زيادة او نقصان تمكن الامام من تحشيد الشعب المسلم ليقتلع نظام الشاه الديكتاتوري الدموي المدعوم من الغرب التقدمي / الديمقراطي / ذلك النظام الذي كان مرشحا ليكون الشرطي الامريكي الاول ولا تنقصه علمانية أتاتورك ولا التلفلف بعباءة الاسلام والتشيع أحيانا وحسب الحاجة، وله غطاء من بعض العمائم والمرجعيات التقليدية المتخلفة المخدوعة او الراضية بدعم الشاه المادي والمعنوي لها مقابل ثمن دعمها اللاشرعي له.

كذلك فان دور الامام (رض) لم ينحصر في ايران فقد امتدت آثار الثورة الاسلامية - الى كل انحاء العالم خصوصا العالم الاسلامي. لقد أعطى الامام المثل العملي اللازم لكل المخلصين ودفعهم الى العمل لمواجهة الطاغوت والسعي لاقامة دولة الحق في الأرض بعد ان تسرب اليأس الى نفوس أكثر أبناء الامة الاسلامية في هذا الزمان.

لقد كانت حركة الامام إحياء للإسلام فكراً وعلماً وجهاداً وسياسة وخلال تطبيق عملي لبناء قاعدة صلبة للدولة الحق إن شاء الله تعالى.

ميزات وشروط النهضة عند الامام الخميني

للامام الراحل ميزتان رئيسيتان:

إحداهما: تتمثل في تكوينه الأخلاقي القويم والذي لا يسمح له بالمداهنة والمجاملة على حساب الحق. ولهذا قام بإخلاص كبير وبالتوكل على الله وحده، والتوجه الصادق إلى الشعب المسلم للتحرك في مواجهة النظام وإنقاذ إيران والأمة من الجاهلية العلمانية.

الثانية: تتجسد في المشروع الذي قاده الامام حيث تجنب المعارك الجانبية رغم كثرة

الخطط التي وضعت لذلك، وتجنب سفاسف الامور تطبيقا لمقولة الرسول الاكرم(ص) على ما رواه الحسين الشهيد (ع) «ان الله يحب عظائم الامور ويكره سفاسفها».

فقد حشد الامة في ايران على هدف واحد وهو إزالة الأسرة البهلوية الفاسدة، وجابه كل محاولات الاغراء وانصاف الحلول. وبصلابة لا نظير لها استطاع ان يحقق النصر الاكبر، وفوق كل هذا وذاك، فان الامام، وحين اتخاذه منهج الاسلام والولاء الموحد للاسلام، وعدم دخوله في الاختلافات والخلافات الجانبية، استطاع ان يعبّر بالاسلام كله عن المسلمين جميعا، وبأن يشعر في هذه الامة صحوة عارمة لتحقيق ما يريده دين الحق منهم.

وقد كان لنا شرف التعرف على الامام بصورة مباشرة قبل انتصار الثورة بسنوات وذلك عندما قدم الى العراق وقمنا بزيارته واستقباله معبرين عن دعم واعجاب الشعب العراقي بحركة الشعب الايراني بقيادة العلماء المجاهدين ضد التسلط الصهيوني الامريكي عبر تسليط النظام الشاهنشاهي المقبور الذي كان يرى فيه بعض الدخلاء على أهل العلم انه النظام الشيعي الوحيد في العالم والذي يجب ان يحظى بالدعم والاسناد الكامل، وقبل ذلك التاريخ كان هنالك تعرف جهادي على شخصية الامام وذلك من قبل والدنا الامام الخالصي حين كان منفيا في ايران فحين أصدر احد أعداء الاسلام ومن أدعياء العلم كتابا باسم أسرار (هزارسالة) ومعناه اسرار الألف سنة وفيه يرد على الاسلام ويدعو الايرانيين الى التحرر بزعمه من سيطرة الاسلام والعودة الى الاصول الفارسية القديمة قبل الاسلام على خطى دعاة الجاهلية في كل زمان ومكان اصدر والدنا الراحل كتابا مفصلا باسم (كشف الاستار) في الرد على الافتراءات الواردة في ذلك الكتاب واصدر الامام الخميني (قدس سره) كتاب (كشف الاسرار) في الرد على الكتاب نفسه وما ورد فيه وقد ذكر والدنا في صحف ذلك الوقت وهي سنوات الاربعينات المظلمة ان علماء الاسلام لم يتصدَّ احد منهم للرد على ذلك الكتاب بكل افتراءاته وكفره الا عالم واحد وهو روح الله الخميني وكان اسم الامام مسبوقا في المقالة بوصف (الشيخ)، وقد ورد في العدد الثاني من نفس الصحيفة تصحيح للموضوع باسم احد القراء مع تقدير وتمجيد ما كتب بحق الامام وقال انه (السيد) روح الله الموسوي الخميني من العلماء القادة العاملين في الحوزة في قم. وقد علق الوالد على ذلك بقوله انه لمن المؤسف ان نكون ونحن في بلاد الاسلام مقيدين (حيث كان ينقل من سجن الى منفى وهكذا) الى درجة اننا لا نستطيع ان نتعرف حتى على اولئك الرجال القلائل في الحوزات العلمية من المتصدين لخدمة الاسلام بصدق.

كانت هذه ارهاصات المواجهة في تلك السنين العجاف حيث تسلط الاستعمار على

بلاد المسلمين وفرق اخاءهم الانساني والايماني وبعد حركة الامام الراحل في عام ١٩٦٣ اعتقاله في سجون الشاه تحرك والدنا لتايد حركة الامام والدعوة الى اطلاق سراحه واقام مهرجانا خطابيا كبيرا في الصحى الكاظمي دعا الى حضوره سائر علماء المسلمين من بغداد واطرافها وحضره السفير الايراني آنذاك (مشايخي) لينقل مطالب الشعب العراقي في اطلاق سراح الامام الى حكومته من طهران وقد وعد بذلك بعد انتهاء الحفل خلال كلمة قصيرة وباللغة الفارسية وقد القى كلمات الحفل عدة من العلماء والادباء البارزين وكان منهم المرحوم الشهيد الشيخ عبد العزيز البدري، والمرحوم الدكتور السيد داوود العطار وبقينا بحمد الله على ذلك نتابع ونؤيد حركة الامام رغم الحصار الذي فرضه الشاه وازلامه على الامام في النجف الاشرف، والتي امتدت من الاتهام بالشيوعية او استخدام الشيوعيين له الى الاتهام بعدم الاتزان والوعي من خلال الجريمة الكبرى التي كان يهتم بها العاملون المخلصون وهي التدخل في السياسة وحين تصاعد مدّ الثورة قمنا بواجبنا الشرعي واعلنا تأييد الشعب العراقي لحركة الشعب الايراني المسلم وذلك في خطب صلاة الجمعة في مدينة الكاظمية المقدسة وفي جامعها الكبير حيث كان يحضر العديد من الايرانيين الزوار ومن المناضلين ليسمعوا تلك الخطابات التي نشرت على شكل كاسيتات وذلك في انحاء العراق وايران وكان من الحاضرين المجاهد الشهيد الشيخ محمد منتظري الذي قام بنقل الكاسيتات (الاشرطة) الى الكويت بنفسه حيث قام المخلصون بتوزيعها هناك وسائر الاقطار، ولم تكن تلك المواقف نزهة عابرة فقد ارتجت العلاقات الحكومية بين النظامين الجائرين في العراق وايران مما دفع بالشاه الى الضغط على حكومة العراق من خلال شخص نائب الرئيس آنذاك - صدام حسين - حيث طولب مباشرة باعتقالنا وتم ذلك لنحصل على ذلك الشرف الذي انعكست اخباره على الساحة الاسلامية كما انعكست آثاره في تقارير المباحثات التي جرت بين الجهازين الامنين او القمعيين في البلدين المظلومين وقد ورد في التقرير المفصل الذي اعده السافاك الايراني ليقدم الى الشاه ان وزير داخلية العراق قال لرئيس وفد السافاك الايراني - اننا اعتقلنا الخالصي بعد احتجاجكم المتكرر - لأن الخالصي عراقي ويمكن ان يصل حكمه الى الاعدام ولكن ماذا نصنع مع الخميني وهو ايراني الجنسية هذا التقرير نشر في صحيفة اطلاعات الايرانية(*) بعد الثورة بشكل كامل في الذكرى الاولى لوفاة الامام الخميني (رض) وفيه صورة واضحة عن الاحداث آنذاك وإنني أوكد بشكل جازم ان شعب العراق كله سنة وشيعة عربا واكراد

(*) صحيفة اطلاعات العدد ١٩٠٥٨ /٣ حزيران ١٩٩٠ / ٩ ذي القعدة ١٤١٠هـ.

وتركمان بل والعلماء المصريون المقيمون في بغداد آنذاك والذين كانوا على صلة معنا من خلال دورنا المعروف في الدعوة الى الوحدة الاسلامية، بل وحتى رجال الدين المسيحيين وممثلوهم كانوا مؤيدين لحركتنا ومعجبين جدا بحركة الشعب المسلم في ايران بقيادة الامام الخميني (رحمه الله) وهذا ما أقصده من ذكر تلك الاحداث. فمع اعتزازنا الشخصي بتلك المواقف التي منّ الله بها علينا الا اننا نذكرها كشواهد على دعم المسلمين وتأييدهم للثورة بل وكل البشر الواعين في انحاء العالم المختلفة وما زال رأينا بحمد الله على النهج نفسه في تأييد الثورة والدولة الاسلامية ويتضمن هذا التأييد الاشارة الواضحة الى كل خلل يعترض مسيرة الثورة او يوهن مفاصل الدولة ولا نكون ابدا من المدّاحين الذين يتملقون لمصالحهم الخاصة ولا يزعجهم ان لم يسرهم ان يروا اطروحة الامام وهي تتعثر او تتراجع في هذا المكان او ذاك، هذا الموقف الثابت نابع من قناعة بالاسلام والثورة والعمل لإقامة الدولة العصرية على ضوء الاسلام بل ونعتقد الا دولة انسانية تامة الاوصاف ان لم تكن دولة اسلامية واضحة الالتزام باحكام هذا الدين ولهذا وقفنا الى جانب الامام الخميني وحركته ونزداد دعما وتأييدا ونصحا كلما ازدادت الدولة اسلامية والتزاما.

القيادة الراهنة لمسيرة الثورة

لم يعرض الامام الراحل مشروعه ليخص بوجوده الشريف، وانما هو مشروع لا بد ان يحقق الوعد ودولة الهدى. ولذلك نريد ونتمنى كما يريد ذلك المخلصون الواعون، ادامة المسيرة على خط الامام. ونستطيع ان نؤكد ان مسيرة الثورة استطاعت ان تسير وبشكل متزن وقد فوتت على الاعداء الكثير من المحاولات التي جرت لإركاع ايران، ودفعها الى العجز والتخلي عن رسالتها، خاصة تلك الفتن التي حاولوا اذكاءها وإشعال أوارها خلال العام ١٩٩٩، ومثالنا على ذلك الشبكات التجسسية التي عمد اليها العدو والمؤامرات الخفية التي تحاك ضد ايران الاسلامية. ولولا وعي القادة المخلصين ووعي الشعب لما امكن افشال مخططات الاعداء، ومنها بالذات ما نشروه في وسائل اعلامهم من محاولات ايقاع الفرقة بين تلاميذ الامام من قادة الثورة والدولة، واللذان اثبتا امتلاكهما للحكمة حيث فوتا باتحادهما الفرصة على العدو لتستمر مسيرة الثورة كما هو المأمول.

اننا نأمل من القيادات المخلصة في ايران ان تزداد تماسكا على خطى الاسلام، والتفاهم بشكل دائم مع اصحاب الاهتمام بالقضايا العالمية للاسلام، والتشاور من أجل التقوى بجناح ايران الاوسع وحماها وهو النهضة الاسلامية المحيطة بها.

ولعل التوجيهات المستمرة للإمام الخامنئي قائد الثورة الاسلامية في تحديد العدو

وتشخيصه بالشيطان الاكبر امريكا والصهيونية، يجعل المسيرة في أمان من الانحراف، وهذا ما يجب ان يعيه كل العاملين، خصوصا في القضية العراقية وان يبلغوا بذلك بشكل مباشر حتى لا يحتج أحد بعدم العلم او يرسل عنه أحد لملاقاة الشيطان الاكبر، دون خطة عمل وإنما من أجل التظاهر الاعلامي المضر الذي تجنبه الامام الخميني ونهى عنه طوال فترة جهاده. ان الموقف الايراني المشرف من العراق شكل نقطة مضيئة في استمرار مسيرة الثورة،فيما يتعلق بوحدة العراق ووحدة الشعب ورفض التدخل الاجنبي في شؤونه وهذا ما نعتبره باستمرار خط الامام، وهو ما يجب ان يشمل كل الجوانب الأخرى.

تطوير الحوار الاسلامي - الاسلامي

كل العلماء المخلصين والقادة الواعين في هذه الامة لم يجعلوا شيئا آخر غير الاسلام محور جهادهم وعملهم وبذلك كان امتدادهم الى كل شرائح الامة ودعوتهم الى وحدتها اساس تصورهم لمدى الحركة التي يقومون بها فالأمة هي القاعدة الموحدة اينما كان ابناؤها لينطلقوا الى الافق الانساني كله لدعوته الى الخير والحق والهدى وكان كل هذا الوصف منطبقا على حركة الامام حيث لم يكن قطريا ولا عنصريا ولا طائفيا وحتى بعض الاجراءات او المواقف التي اتخذت في عهده او قُنّنت في زمانه لم تكن عن قناعة شرعية وانما مجاراة لمرحلة خاصة ولظرف محدد كانت تمر به الامة ولذلك لا يجوز ان نتوقف عن الحركة بعد رحيل الامام او نكتفي بذكر المناسبة واحداثها بل يجب ان نطور الحركة نحو الاسلام وان نزيل المخلفات السابقة والقرارات الآنية التي فرضت بسبب تلك المخلفات او الاحداث خاصة.

لقد اعتبر الامام كل المسلمين من ابناء الامة اولادا اعزاء له فيجب ان يعاملوا جميعا على هذا الاساس الوحدوي كما يجب ان ننقل الحوار الاسلامي من مرحلة التقارب بين المذاهب الى مرحلة الاسلام الاول، الاسلام الواحد الذي لا يلتزم المذهبية الممزقة وان لم يلغ الاجتهاد او يعترض على اتباع أي إمام من الائمة فالكفر العالمي أثبت مصداق الشطر الاول من حديث الرسول (الكفر ملة واحدة) وعلى المسلمين ان يطبقوا الشطر الثاني (المسلمون أمة واحدة) وهذا ما دعا اليه الامام وعمل له وهذا هو سبب شدة العداء الذي يظهره الصهاينة والصليبيون ضد الاسلام الواعي الموحد.

ان الحركة الاسلامية الواعية ترفض الانجرار الى المعارك الجانبية بين مكونات الامة الاسلامية وهي تنقل المعركة الى واقعها العملي - حيث تكون بين أمة الاسلام بكل شرائحها ومكوناتها وقوى الكفر بكل ألوانها واشكالها.

عالمية المشروع النهضوي للإمام

لقد أشرنا الى موقفنا من الثورة وحركة الامام وهو شاهد ينفعنا في هذا الموضوع، كذلك كنا نرى الحركات الاسلامية المخلصة تقف موقف التأييد بعد وصول الاخبار الصحيحة إليها لأن هذه الحركات كانت تتطلع إلى مركزية عالمية مخلصة مستقلة عن قوى الهيمنة الكافرة ورافضة لها ووجدت هذه الحركات ضالتها في الامام الخميني وتحركت لتأييده ودعمه خصوصا بعد انتصار الثورة واعلان الولاء له وتقديم البيعة ليقود الامام حركة الامةفي كل مكان.

فقد اندفع اصحاب الكفاءات للهجرة الى ايران لبناء دولة الاسلام الجديدة وهاجر الكثيرون من المسلمين - عربا وافغانا وبربرا واتراكا وهنودا وافارقة وغيرهم - للمشاركة

في الجهاد ضد الهجوم الاستكباري الذي قام به من ينوب عن قوى عالمية ظالمة للشعوب المضطهدة، ليؤكدوا أن المعركة ليست بين العرب والفرس، كما تروج أجهزة اعلام هؤلاء.

لقد كانت الثورة اسلامية جماهيرية لا شائبة فيها وكانت الوحدة اساسا ثابتا في حركتها لذلك أيدت الامة كلها هذه الحركة وسارت الحركات الاسلامية الواعية خطوة عملية في هذا الطريق.

لقد جابهت الثورة في الحقيقة عدوا يملك كل الامكانات المادية ووسائل المكر والدهاء واستراتيجية البغضاء للاسلام واهله وأعني بذلك الصهيونية العالمية وامريكا والدول الدائرة بفلكها هذا العدو بعد الصدمة الاولى لم يقف من الحدث الكبير مكتوف اليدين بل وضع خطة سريعة جادة للتحرك المضاد فسعى مثلا الى تحويل المعركة بين الاسلام والكفر الى حرب بين العراق وايران او بين العرب والفرس او بين السنة والشيعة هذه الخطة وتلك المعارك لم تكن كافية لتحقيق مرامها لولا وجود الاخطاء في نفس الاجهزة العاملة في الدولة الفتية وقد تكون بعض الاخطاء ناتجاً طبيعياً بسبب غياب الامة الطويل وإبعادها عن دورها السياسي وغياب دولة الحق المنشودة ولكن أخطاء أخرى نتجت عن دخول عناصر غير واعية لم تكن تؤمن بالثورة ولا حركة الامام من الاصل بل ودخول عناصر كانت تقف بالضد من هذه الحركة إضافة الى وجود أشخاص مشبوهين وأناس نشؤوا على خدمة الأهداف المعادية بسبب مطامع شخصية أو نزوات خبيثة فحاولت هذه العناصر المندسة أن تعطي للاعداء مبررات هجماتهم الماكرة وعلى سبيل المثال فإن الامام الخميني والثورة

الاسلامية والواعين من علمائها كانوا دائماً مع وحدة المسلمين ودعوا إلى إزالة كل أسباب الانشقاق والتفرقة بين المسلمين بينما كنا نلاحظ أحياناً أن بعض الكتب التي كانت تصدر من بعض الاشخاص في (قم) أو (مشهد) أو بعض التصريحات السياسية أو ما يسمى بالبحوث العلمية كانت تسير في الاتجاه المضاد لحركة الامام وكانت تهدف إلى خدمة ادعاءات العدو الذي يصف الثورة بأنها ذات اهداف طائفية أو عرقية، أو لها مطامع في الدول المجاورة، هذا السبب الذاتي أو الداخلي هو الأخطر.

ان الحركات الاسلامية العالمية، يمكن أن تستعيد مواقف التأييد من خلال حوار مباشر مع الدولة الاسلامية في ايران، يؤدي إلى تصحيح ما يوجد من أخطاء في المسيرة، وإلى تثبيت ما هو صحيح، ويؤكد العلاقة الجدية المبنية على حفظ مصالح الأمة الإسلامية العليا. إننا نرى أن مساندة الدولة الإسلامية التي أسسها الامام واجبة، وأن هذه المساندة الصادقة تلزمنا أن نكون صادقين وصريحين معها. أن نوضح لها الحقائق، وأن نجنبها المزالق والأخطاء وهذا هو معنى الاخلاص الحقيقي.

منهج البناء الروحي عند الإمام الخميني

الأستاذ عز الدين سليم

تمهيد

في مطالع حياته الشريفة وفور انتقاله الى حوزة قم المقدسة عام ١٣٤١ هجرية وبعد تأسيس الحوزة المذكورة ببضعة أشهر على يد المرحوم المبرور آية الله الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي(رض) بدأ الإمام الراحل السيد روح الله الموسوي الخميني(رض) دراسته الفلسفة والحكمة على يد المرحوم آية الله رفيعي(ره) والحاج ميرزة علي أكبر حكيم(ره). ثم باشر دراسة العرفان النظري والعملي على يد أستاذه الكبير آية الله شاه آبادي(رض)، رغم مواصلته لدراسة الفقه والأصول ضمن حلقة درس آية الله الشيخ عبد الكريم الحائري(رض) بين عام ١٣٤٥-١٣٥٥ هجرية، وفي هذه المرحلة بدأ تدريس السطوح لعدد من الطلبة في قم المقدسة كان من بينهم المفكر الشهيد مرتضى المطهري(ره) كما باشر تدريس الفلسفة والعرفان[١].

وفي أشد أيام المحنة والإرهاب التي مارسها الشاه رضا خان، كان الإمام الراحل قد باشر دروس الأخلاق في المدرسة الفيضية في قم المقدسة، والتي استمرت حتى احتلال إيران من قبل الحلفاء عام ١٣٥٠ هجرية، وكان الإمام الراحل يلقي هذه الدروس الكريمة على طلابه، وعمره لم يتجاوز الثلاثين عاما بعد.

لقد كانت دروس الأخلاق، والفضيلة أهم الدروس التي يوليها عناية خاصة، لما لها من أهمية في تهذيب أخلاق تلاميذه وترويضهم، وصقل أرواحهم، وشدها بالله العلي

(*) من وجهاء الحركة الإسلامية وصاحب تأليفات عديدة

(١) شرح دعاء السحر للامام الخميني(رض) تقديم السيد احمد الفهري ص ٨ .

الكبير. كما كان الإمام الراحل(رض) يكنّ احتراماً خاصاً لأستاذه الروحي المرحوم شاه آبادي من بين أساتذته كلهم لشدة تأثيره الروحي عليه، وقدرته على فتح مسارب روحه على الله تعالى وملكوته الأعلى وأسمائه الحسنى.

ولقد امتاز الإمام (رض) بالجمع بين العلوم العرفانية، ذات العلاقة بالروح، وتهذيب النفوس، والعلوم الحوزوية التقليدية، كالفقه والأصول، إلا أن تعاليمه الروحية، وكلماته ذات العلاقة بالتهذيب والمعرفة، وحب الله تعالى، والتعلق به، وخشيته عز وجل، ظلت أروع ما خلّفه الإمام الراحل (ره) للأجيال. نجد ذلك في كتبه؛ «الجهاد الأكبر» و«الآداب المعنوية للصلاة»، و«شرح دعاء السحر»، وما إليها.

وفي هذه العجالة نحاول ان نسلط أضواء على منهجه السلوكي إلى الله عز وجل، ما استطعنا إلى ذلك سبيلا، من خلال ما خلفه من تعليمات وخطب ووصايا وتوجيهات.

ما هو العرفان؟ وما موقعه في الثقافة الإسلامية؟

العرفان في اللغة يراد به المعرفة، وفي الاصطلاح يطلق العرفان على المعرفة الحاصلة عن طريق المشاهدة القلبية الوجدانية لا بواسطة العقل، ووسائله، ولا من خلال التجربة والملاحظة(٢).

وأصحاب المعرفة، والعرفانيون - في المصطلح - ينظرون إلى الوجود، بمظاهره المختلفة، على انه تجليات، ومظاهر لنور الله عزّ وجل، وكل ظاهرة كونية، إنما هي مرآة تعكس جمال الخالق سبحانه وتعالى، فلا يرى العارف من هذا النمط من عباد الله أي وجود مستقل لأي موجود دون أن يرى الذات الإلهية المقدسة من خلالها.

وهذه الحالة، لا تتوفر للمؤمن إلا من خلال عمل مخلص دؤوب باحكام دين الله عز وجل، حتى يصل إلى مستوى يشعر من خلاله أن الله معه، وامامه.

بيد أن من الجدير ذكره هنا أن العرفان لا يتناقض مع علم الفقه، ولا يعارضه، وإنما يكمله، ويشكل الأرضية الضرورية له، فاذا كان الفقه يتناول عادة احكاما ظاهرية كالأفعال والأقوال، في الصلاة مثلا، فإن «العرفان» يتناول الخشوع، وصدق النية، والتوجه والاحساس بوجود الله، والتلذذ بعبادته، وأداء الواجبات والفرائض استجابة لأمره جلّ وعلا وما إلى ذلك.

---

(٢) محاضرات في الايديولوجية المقارنة: الشيخ محمد تقي مصباح اليزدي ص ٢٠.

ولذا فان المعرفة أو علم العرفان تكون الأرضية للإحساس بوجود الله عز وجل في كل حركة أو كل سكون يصدر من الإنسان[٣] والمعاني العرفانية تُهيء القلوب للقاء المحبوب[٤].

ما المراد بالسير الى الله عز وجل عند اهل المعرفة؟

وبناء على ذلك فان السلوك إلى الله تعالى أو السير إليه كما يتضح من كلمات «العارفين»، وأهل الله عز وجل، لأجل أن يبلغوا مقام العارفين، يعني أن ينتقل المؤمن بنفسه من نفس غير مزكّاة إلى نفس مزكاة، ومن عقل غير منضبط بأوامر الله تعالى وحدوده إلى عقل منضبط بها، ومن روح شاردة عن الله تعالى وغير ملتزمة بعبوديتها له تعالى إلى روح عارفة بالله، مؤدية حقوق العبودية له عز وجل، ومن قلب كافر أو منافق أو فاسق أو قاسي إلى قلب مطمئن بالله تعالى، نابض بحبه، وطاعته.

ولذا يقول أمير المؤمنين علي (ع): «العارف من عرف نفسه، فأعتقها، ونزهها».

ويقول (ع): «أكثر الناس معرفة لنفسه أخوفهم لربه».

ومنهج السير إلى الله عز وجل يحتاج - فيما يحتاج اليه - إلى:

١- قواعد نظرية (عرفان نظري)

٢- برامج عملية (عرفان عملي)

ويبذل الجهد من قبل الإنسان، واستمداد التوفيق[٥] فالله عزّ وجل يحقق النجاح في مهمة السلوك إلى الله تعالى وفق القواعد المذكورة.

ما هي قواعد العرفان النظري؟

هناك مجموعة من المفاهيم والقواعد النظرية تشكل بمجموعها الهيكل العام للعرفان النظري وأهم هذه المعارف أو المفاهيم ما يلي:

١- الفطرة الإنسانية تنشد الكمال:

يعتقد اهل المعرفة ان الإنسان مجبول على المعرفة، وفطرته تنشد الحق والكمال،

(٣) تربيتنا الروحية: سعيد حوى ص ٦٨ .
(٤) في العرفان وتهذيب النفس: الإمام الخميني ترجمة حسن خالد ص ١١ .
(٥) العرفان وتهذيب النفس ص ٢ .

والتعلق بالله عز وجل: ﴿**فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم..**﴾ والفطرة الإنسانية بصفائها تنفر من النقص، والحجب الظلمانية هي التي تطمس معالم الطريق(٦).

وهذا المفهوم المنفتح عكسه امير المؤمنين علي بن ابي طالب(ع) في نهج البلاغة حيث يقول: «وأهبطه إلى دار البلية، وتناسل الذرية، واصطفى سبحانه من ولده أنبياء أخذ على الوحي ميثاقهم وعلى تبليغ الرسالة أمانتهم، لما بذل أكثر خلقه عهد الله اليهم فجهلوا حقه، واتخذوا الأنداد معه، واجتالتهم الشياطين عن معرفته واقتطعتهم عن عبادته فبعث فيهم رسله، وواتر اليهم أنبياءه ليستأدوهم ميثاق فطرته، ويذكروهم منسي نعمته، ويحتجوا عليهم بالتبليغ، ويثيروا لهم دفائن العقول، ويروهم آيات المقدرة»(٧).

فهو يؤكد ان الناس خلقوا عارفين بالله تعالى، الا ان الشياطين اجتالتهم عن هذه المعرفة، وابعدتهم عنها، لذا بعث الله النبيين(ع) ليعيدوا الناس الى فطرتهم السليمة(٨)، وذلك من خلال العرفان النظري، والعرفان العملي، الذي أشرنا اليهما.

٢- العقائد الحقة أساس السعادة ورأس الحسنات، وأسس المعرفة عند العارف هو اكتساب الحكمة، وتعتبر اسس الحكمة عندهم متمثلة في العلم بالله، وصفاته، وافعاله، وملكه، وملكوته، والعلم بالانبياء وطبقاتهم، ومنازلهم، والنبوة الخاتمة، وأوصياء النبي الخاتم(ص) وغير ذلك(٩).

٣- ويعتبر الفوز بالسعادة الأخروية مقرونا باقتناء هذا العلم والمعرفة دون مجرد العمل والطاعة(١٠).

وان كان العمل الصالح وسيلة اليه ﴿**اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه**﴾، ﴿**ليس البرّ ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البرّ من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين**﴾، ﴿**أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر**﴾.

ولقد أولى الإمام الراحل السيد الخميني (قدس سره) نفسه الزكية اهتماما بالغا لهذه

(٦) الامام الخميني: نفس المصدر ص ٢ ، والاربعون حديثا ص ١٧٧ .
(٧) نهج البلاغة / ص ٤٣ .
(٨) الإمام الخميني: نفس المصدر السابق ص ٤٠ .
(٩) اسرار الآيات: صدر الدين الشيرازي ص ٢ .
(١٠) نفس المصدر السابق ص ٣، والاربعون حديثا ص ٤٧٧ وما بعدها.

المفاهيم، والعقائد الحقة وبذل وسعا في تسليط الضوء عليها، وإشباعها دراسة، وإرساء لقواعدها كما يظهر ذلك في كتابه القيم «الاربعون حديثا»[١١]، وشرح دعاء السحر وغيرهما.

٤- الإنسان مخلد: والإنسان في ثقافة الحق والهدى خالد لا يفنى، وانما يتحول من حال الى حال، حتى ينتهي الى خالقه جل وعلا **﴿أفحسبتم إنما خلقناكم عبثا وإنكم إلينا لا ترجعون﴾**.

فالحياة الدنيا تشكل الشطر الاول من الحياة ممتدة من ساعة تولد النطفة في رحم الأم، الى يوم لا يعلم مداه الا الله عزّ وجل، والحياة الدنيا تنقطع بالموت، ليبدأ العالم الجديد، والشوط الآخر من حياة هذا الإنسان.

ولذا كانت الحياة الدنيا في منطق الرسالة السماوية، لا غاية بذاتها، وما نجد من نصوص إلهية تحقّر الدنيا أو تصغر من شأنها، أو تهدد أصحابها إلا حينما يتخذها البعض هدفاً، ويخرجونها عن كونها، وسيلة وطريقاً إلى عالم أرحب.

وقد أفرد السيد الإمام الراحل (رض) فصلاً لهذه القضية الحساسة في كتابه «الأربعون حديثاً»[١٢] من أجل الاعتبار والارشاد مستعيناً بالنصوص المعصومة في ذلك.

٥- الإنسان محور الوجود: والإنسان الكامل في الثقافة الهادية محور الوجود، وخليفة الله في أرضه **﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾**.

وخليفة الله في الناس ليس كل البشر أبدا وإنما اؤلئك الذين يحملون الهدى الرباني، ويصدعون به، ويقيمون حدوده، ويتمسكون بحبل الله، ويتمثلون بعبوديته، ويتفيئون ظلال قدسه، ولذا فان بعض العباد الذين زاغوا عن الحق، وتنكبوا الصراط يصفهم الحق بأوصاف دنيئة يستحقونها **﴿مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا﴾**، **﴿إن هم الا كالانعام بل هم أضل سبيلا﴾**.

وهكذا بعث الله الأنبياء بالوحي لكي يسموا بالناس إلى حيث الرقي المعنوي، ويفكوا الاغلال عنهم ولكن يا للحسرة فقد وقف الشيطان وأعوانه حجر عثرة مانعين من تحقق ذلك **﴿فبعزتك لأغوينهم أجمعين﴾**[١٣].

---

(١١) انظر ابحاثه في ذلك الكتاب بين ص ٤٧٧ -٥٨٣ .

(١٢) نفس المصدر ص ١١٧ - ١٢٩ .

(١٣) الإمام الخميني: في العرفان وتهذيب النفس ص ٤ .

والإنسان الكامل هو الذي أعده الله عز وجل لحمل الأمانة الإلهية الكبرى ﴿**إنّا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملْنها وأشفقن منها وحملها الإنسان**﴾[١٤].

ان هذه المعرفة هي التي تفتح الطريق أمام الإنسان الباحث عن الله عزّ وجل وهي التي تسلك به طريق النجاة شريطة أن يتدبر في كلمات الله تعالى فإن التدبر في القرآن الكريم، أساس المعرفة وأساس الفيض الرباني.

«صحيح ان مجرد قراءة رسالة المحبوب تطبع آثاراً حسنة على القلب المحجوب إلا أن التدبر يحلق بالإنسان إلى مراتب أسمى وأعظم ﴿**أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها**﴾، ولا يمكن ان تحقق النتائج المرجوة من التدبر ما دامت الأغلال والأقفال باقية. يقول الله تعالى ﴿**إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسّه إلا المطهرون**﴾ وفي مقدمتهم أولئك الذين نزلت فيهم آية التطهير»[١٥].

العرفان العملي «البرامج العملية»

وبعد ان يعرف الإنسان طريق سيره، وسلوكه الى الله عز وجل يباشر بتنفيذ برامجه العملية من أجل لقاء الله عز وجل، والقرب منه خطوة خطوة. يقول الإمام الخميني(رض) في ذلك ما يلي: «من خلال طريق العشق، والمعرفة إملأ قلبك وجدا وحبا، والتزم بمواثيقك لا يمكن الوصول الى الله ما دمت غارقا في ذاتك، ذب في سبيل المحبوب»[١٦].

«وان كان العشق الإلهي وطلب رضاه يشكل الدافع لطلب العلم - وهو نادر الحصول - فسوف يضحي العلم مشعل طريق ومصباح هداية (العلم نور يقذفه في قلب من يشاء). ولتحصيل جانب من ذلك لابد من تهذيب النفس، وتطهير القلب، تطهير القلب ممن سواه، فضلا عن تطهيره من الخصال الذميمة، والتي تحتاج الى كثير من المجاهدة، وفضلا عن تهذيب السلوك عن المعاصي والذنوب، ولابد أيضاً من أداء الواجبات - وهو الاهم - ومباشرة المستحبات، بما يتيسر للانسان»[١٧].

وهكذا يضع الإمام(رض) خريطة السلوك العملي باتجاه الحق وذلك بالمجاهدة، وترويض النفس الامّارة بالسوء، وأداء الفرائض والتطوع بالمندوبات، والنأي بالنفس عن

(١٤) الاحزاب ص ٧٢ .
(١٥) الإمام الخميني نفس المصدر ص ٥ .
(١٦) نفس المصدر ص ٣ .
(١٧) نفس المصدر .

الخصال الذميمة والتوجه لمحاسن الأخلاق.

ويشكل كتاب «الأربعون حديثاً» و«الآداب المعنوية للصلاة» وكتاب «الجهاد الأكبر» خرائط وأوراق عمل للباحثين عن النجاة، حيث تضع هذه المؤلفات بل المناهج التربوية، برامج للخلاص نقتبس منها المحاور التالية:

١- الرياضات الروحية: تتعرض النفس الإنسانية إلى حالات إقبال وإدبار على العبادة وتضعف عن الاستجابة، وتصاب بالملل، والفترة.. ولكنها كالجسد تنمو وتقوى بالرياضة والتدريب.

واذا كان الجسد ينمو ويتقوى بالتمارين الرياضية الجسدية والحركات، فان النفس تنمو بالرياضات الروحية مثل الاعتكاف، والصيام المستحب، والاقلال من الطعام والنوم وما إلى ذلك من أمور(١٨).

٢- القدرة الصالحة: لابد للمؤمن الذي يسلك درب اهل الله تعالى ان يكون له حكيم يرشده، ويذكره بالله تعالى في قوله وفعله.

واذا كان رسول الله(ص) والائمة الهداة من آله خير قدوة للناس في اقوالهم، وسيرتهم العملية ﴿**ولكم في رسول الله أسوة حسنة**﴾.

«يا جابر لا تذهبن بك المذاهب، حسب الرجل ان يقول: أحب عليّاً وأتولاه، ثم لا يكون مع ذلك فعالا، فلو قال: اني احب رسول الله، فرسول الله خير من علي، ثم لا يتبع سيرته، ولا يعمل بسنته، ما نفعه حبه اياه شيئا، فاتقوا الله، واعملوا لما عند الله، ليس بين الله وبين احد قرابة».

اقول: اذا كان الرسول وآله(ص) قدوة للناس، فان الاقتداء بهم واتباع سيرتهم ومنهجهم، هو الذي يجعل منهم قدوة صالحة في سلوك المؤمن إلى الله تعالى.

ولكن المؤمن لابد له – مع ذلك – من مرشد أو شيخ أو أستاذ يرشده للخير، ويصده عن المنكر بقوله، وفعله، لأن القدوة في حياة الإنسان من أكثر عناصره التدريبية تأثيراً منذ بداية حياته.

ومن أجل ذلك، فإن الشيخ والأستاذ في الثقافة الصوفية، وفي مناهج العرفان يعد من الركائز الأساسية التي تعتمده تلك المناهج في التربية والإعداد الروحي والفكري.

(١٨) راجع الاربعون حديثا.

٣- تعميق الصلة بالقرآن الكريم، وعيش أجوائه وتدبر آياته، والغوص في معانيها **﴿إنّ هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾**.

ومن أهم خصائص العلاقة بالقرآن الكريم، اتخاذه مصدرا أساسيا للالهام، والمعرفة، واخذ معانيه ومراده من المطلعين على اسراره، وغوامضه، وقمّتهم رسول الله واهل بيته الطاهرون (عليهم الصلاة والسلام)، ثم يليهم العلماء التابعون لأمرهم السالكون لسبيلهم، المندكّون في منهجهم.

ولقراءة القرآن الكريم شروط يجدها الطالب في مظانها، ولقد كان الإمام الخميني(رض) ولِعا بقراءة القرآن الكريم، ومفسرا نموذجيا لمراده، وكان يربط بين الدلالة الظاهرية لكلماته، والدلالة العرفانية كما يتضح من تفسيره لسورة الفاتحة، وما ورد في مؤلفاته المختلفة، من تفسير لكثير من آي القرآن الكريم.

٤- الدعاء والاستغفار.

٥- الزهد في الحياة، والابتعاد عن حالة الانكباب على ملاذها.

٦- الصلاة والسلام على النبي وآله (ص).

٧- التوبة من الذنوب.

٨- الاخلاص في العمل.

٩ - ذكر الله الكثير، ووضع برامج ثابتة لذلك على شكل أوراد.

١٠- الاهتمام بأداء المستحبات، بعد اداء الفرائض في أوقاتها، وأهم العبادات المستحبة صلاة الليل.

١١- امتثال الأخلاق الحسنة، والابتعاد عن سواها.

١٢- مراقبة الإنسان لنفسه ومحاسبته لها: «حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا، وزنوها قبل ان توزنوا».

ان تفاصيل هذا البرنامج العبادي المتميز تجده مفصلا في اهم مؤلفات الإمام العارف بالله عز وجل، مثل «الاربعون حديثا»، و«الآداب المعنوية للصلاة»، «والجهاد الاكبر» وسواها من مؤلفات، نسأل الله عز وجلّ ان ينفع بها المسلمين في كل عصر وجيل.

نموذجان مما كتبه الإمام الراحل ضمن منهجه العرفاني «الاربعون حديثا».

فصل
في معالجة المفاسد الاخلاقية

ايها العزيز؛ انهض من نومك، وتنبه من غفلتك، واشدد حيازيم الهمة، واغتنم الفرصة مادام هناك مجال، وما دام في العمر بقية، وما دامت قواك تحت تصرفك، وشبابك موجودا، ولم تتغلب عليك - بعد - الأخلاق الفاسدة، ولم تتأصل فيك الملكات الرذيلة، فابحث عن العلاج، واعثر على الدواء لازالة تلك الأخلاق الفاسدة والقبيحة، وتلمّس سبيلا لإطفاء ثائرة الشهوة والغضب.

وأفضل علاج لدفع هذه المفاسد الاخلاقية، هو ما ذكره علماء الأخلاق وأهل السلوك، وهو ان تأخذ كل واحدة من الملكات القبيحة التي تراها في نفسك، وتنهض بعزم على مخالفة النفس الى امد، وتعمل عكس ما ترجوه وتطلبه منك تلك الملكة الرذيلة.

وعلى اي حال؛ اطلب التوفيق من الله تعالى لاعانتك في هذا الجهاد، ولاشك في ان هذا الخلق القبيح، سيزول بعد فترة وجيزة، ويفر الشيطان وجنوده من هذا الخندق، وتحل محلهم الجنود الرحمانية.

فمثلا من الأخلاق الذميمة التي تسبب هلاك الإنسان، وتوجب ضغطة القبر، وتعذب الإنسان في كلا الدارين، سوء الخلق مع أهل الدار والجيران او الزملاء في العمل او أهل السوق والمحلة، وهو وليد الغضب والشهوة، فاذا كان الإنسان المجاهد يفكر في السمو والترفع، عليه - عندما يعترضه أمر غير مرغوب فيه حيث تتوهج فيه نار الغضب لتحرق الباطن، وتدعوه الى الفحش والسيء من القول - عليه ان يعمل بخلاف النفس، وان يتذكر سوء عاقبة هذا الخلق ونتيجته القبيحة، ويبدي بالمقابل مرونة، ويلعن الشيطان في الباطن ويستعيذ بالله منه.

إني أتعهد لك بأنك لو قمت بذلك السلوك، وكررته عدة مرات، فان الخلق السيء سيتغير كليا، وسيحل الخلق الحسن في عالمك الباطن، ولكنك اذا عملت وفق هوى النفس، فمن الممكن ان يبيدك في هذا العامل نفسه، وأعوذ بالله تعالى من الغضب الذي يهلك الإنسان في آن واحد في كلا الدارين فقد يؤدي ذلك الغضب - لا سمح الله - الى قتل النفس. ومن الممكن ان يتجرأ الإنسان في حالة الغضب على النواميس الإلهية. كما رأينا ان بعض الناس قد أصبحوا من جراء الغضب مرتدين، وقد قال الحكماء: «ان السفينة التي تتعرض لأمواج البحر العاتية وهي بدون قبطان، لهي اقرب الى النجاة من الإنسان وهو في حالة الغضب».

او اذا كنت – لاسمح الله – من اهل الجدل والمراء في المناقشات العلمية كما عليه بعض طلاب العلوم الدينية نحن الطلبة، المبتلين بهذه السريرة القبيحة، فاعمل فترة بخلاف النفس، فاذا دخلت في نقاش مع أحد الاشخاص في مجلس ما، ورأيت انه يقول الحق فاعترف بخطئك وصدق قول المقابل، والمأمول ان تزول هذه الرذيلة في زمن قصير.

ونعوذ بالله من ان ينطبق علينا قول بعض اهل العلم ومدعي المكاشفة، حيث يقول: «لقد انكشف لي خلال إحدى المكاشفات ان تخاصم اهل النار الذي يخبر عنه الله تعالى في القرآن، هو الجدل الذي قد يدور بين أهل العلم وبين أهل الحديث».

والإنسان اذا احتمل صحة هذا الأمر فعليه ان يسعى كثيرا من اجل إزالة هذه الخصلة.

روي عن عدة من الاصحاب انهم قالوا: «خرج علينا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوما ونحن نتمارى في شيء من أمر الدين فغضب غضبا شديدا لم يغضب مثله، ثم قال: انما هلك من كان قبلكم بهذا. ذروا المراء فإن المؤمن لا يماري، ذروا المراء فإن المماري قد تمت خسارته، ذروا المراء فإن المماري لا اشفع له يوم القيامة، ذروا المراء فإني زعيم بثلاث أبيات في الجنة في رياضها وأوسطها وأعلاها لمن ترك المراء وهو صادق، ذروا المراء فإن اول ما نهاني عنه ربي بعد عبادة الاوثان المراء»[١٩].

وعنه أيضاً «لا يستكمل عبد حقيقة الإيمان حتى يدع المراء وان كان محقا»[٢٠].

والاحاديث في هذا الباب كثيرة. فما اقبح ان يحرم الإنسان شفاعة الرسول الاكرم(ص) بواسطة مغالبة جزئية ليس فيها اي ثمر ولا اثر! وما اقبح ان تتحول مذاكرة العلم – وهي افضل العبادات والطاعات اذا كانت بنيّة صحيحة – الى اعظم المعاصي مرتبة عبادة الأوثان بفعل الجدل والمراء!

وعلى اي حال؛ ينبغي للانسان ان يأخذ بنظر الاعتبار حدّ كل واحد من الأخلاق القبيحة الفاسدة، ويخرجها من مملكة روحه بمخالفة النفس، وعندما يخرج الغاصب، يأتي صاحب الدار نفسه، فلا يحتاج – حينذاك – الى مشقة اخرى او الى طلب العود منه الى الدار.

وعندما يكتمل جهاد النفس في هذا المقام، ويتوفق الإنسان الى اخراج جنود ابليس

(١٩) بحار الانوار، المجلد الثاني ص ١٣٨ – ١٣٩ .
(٢٠) المصدر السابق، المجلد الثاني، ص ١٣٨-١٣٩ .

من هذه المملكة، وتصبح مملكته مسكنا لملائكة الله ومعبدا لعباده الصالحين، فحينذاك يصبح السلوك الى الله يسيرا، ويتضح طريق الإنسانية المستقيم، وتفتح امام الإنسان ابواب البركات والجنات، وتغلق امامه ابواب جهنم والدركات، وينظر الله تبارك وتعالى اليه بعين اللطف والرحمة، وينخرط في سلك أهل الإيمان، ويصبح من أهل السعادة وأصحاب اليمين، ويفتح له طريقا الى باب المعارف الإلهية - وهي غاية خلق الجن والانس - ويأخذ الله تعالى بيده في هذا الطريق المحفوف بالمخاطر.

وقد كنّا نريد ان نشير الى المقام الثالث للنفس وكيفية المجاهدة فيه ونذكر أيضاً بمكائد الشيطان في هذا المقام، ولكننا لم نرَ المقام مناسبا لذلك، فصرفنا النظر، وأسأل الله تعالى التوفيق والتأييد لكتابة رسالة خاصة في هذا الباب.

فصل

في الدعوة الى الاخلاص

اعلم ان مالك الملوك الحقيقي وولي النعمة الواقعي، الذي تفضّل علينا بكل هذه الكرامات، وهيّأ لنا كل هذه النعم، قبل المجيء الى هذا العالم، من الغذاء الطيب ذي المواد النافعة المناسبة لمعدتنا الضعيفة، ومن المربي الخادم بلا منّة بل بفعل الحب الفطري الذاتي، وهيأ لنا البيئة والهواء المناسبين وباقي النعم العظيمة الظاهرة والباطنة.

كما اعدّ لنا الكثير في العالم الآخر وفي البرزخ قبل ذهابنا الى هناك، هذا المتفضل قد طلب منا قائلا:

«اخلص قلبك لي ولأجل كرامتي، كي تحصل انت على النتيجة، وتحصل انت على الفائدة» ومع ذلك لا يلقى منّا أذنا صاغية بل يرى التمرد عليه والسير على خلاف رضاه، فاي ظلم عظيم نكون قد اجترحناه بذلك؟! واي مالك الملوك نحارب؟! ونتيجة ذلك كله تكون وبالا علينا نحن، اما الله تعالى فلا يصاب سلطانه بضرر ولا ينقص من ملكه شيء ولا نخرج من سلطنته وسلطته، حتى اذا كنا مشركين لأننا ألحقنا الضرر بانفسنا «فإن الله غنيّ عن العالمين» فهو غني عن عبادتنا واخلاصنا وعبوديتنا، ولا يؤثر تمردنا وشركنا وابتعادنا عنه شيئا في مملكته، وحيث انه أرحم الراحمين فقد اقتضت رحمته الواسعة وحكمته البالغة ان يعرض لنا طريق الهداية وسبيل الخير والشر والحسن والقبح ويدلنا على زلات طريق الإنسانية، ومزالق طريق السعادة، ولله تعالى في هذه الهداية والارشاد بل في هذه العبادات والاخلاص والعبودية، له سبحانه علينا منن عظيمة وجسيمة بحيث لا يمكن ان نفهمها ما لم تنفتح عين البصيرة والبرزخية التي ترى الواقع، وما دمنا في هذا العالم

الضيق والمظلم، وفي ظلام الطبيعة، وما دمنا مقيدين بسلاسل الزمان، معتقلين في هذا المكان، السجن المظلم فإنّا لا ندرك منن الله العظيمة علينا، ونتخيل بأن نعم الله علينا تتلخص في هذا الاخلاص وهذه العبادة، وفي ذلك الارشاد وتلك الهداية فحسب.

لا تتوهم أبدا ان لنا المنّة على الانبياء العظام والاولياء الكرام او على علماء الأمة وهم الادلاء الى سعادتنا ونجاتنا، والذين أنقذونا من الجهل والظلمة والشقاء، أخذونا إلى عالم النور والسرور والبهجة والعظمة والذين تحمّلوا ولا زالوا يتحملون كل هذه المشاق والمصاعب من أجل تربيتنا وإنقاذنا من تلك الظلمات التي تلازم الاعتقادات الباطلة، ومن الجهل المركّب بكل اشكاله، ومن أنواع الضغوطات والعذاب الذي هو صورة الملكات والأخلاق الرذيلة، ومن تلك الصور الموحشة والمرعبة التي هل ملكوت اعمالنا وافعالنا القبيحة - وكذلك - لأجل ايصالنا إلى تلك الانوار وانواع البهجة والسرور والراحة والانس والنعيم والحبور والقصور التي لا نقدر ان نتصورها، حيث أن عالم الملك هذا مع كل ما له من عظمة، اضيق من أن يحتوي على واحدة من حلل الجنة، وان أعيننا لا تطيق رؤية شعرة واحدة من شعر حور العين، وتكون كل هذه المثوبات صورا ملكوتية لتلك العقائد والأعمال والتي أدركها الانبياء العظام، خصوصا صاحب الكشف الكلي والكتاب الجامع خاتم الانبياء، أدركوها بالوحي الإلهي ورأوها وسمعوها ودعونا اليها. ونحن المساكين كالأطفال، المتمردين على حكم العقلاء بل المخطئين لهم، قد واجهناهم دائما بالعناد والمحاربة والانفصال، ولكن تلك النفوس الزكية والارواح الطيبة الطاهرة - الأنبياء - بما يكمن فيهم من الرأفة والرحمة بعباد الله، لم يقصروا أبداً في دعوتهم، على الرغم من جهلنا وعنادنا، بل ساقونا نحو الجنة والسعادة بكل ما يملكون من القوة وأساليب الدعوة دون أن ينتظروا منّا جزاء ولا شكورا.

وحتى عندما يحدد الرسول الاكرم أجره بـ﴿**قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودة في القربى**﴾، فإن صورة هذه المودة في العالم الآخر قد تكون بالنسبة إلينا أعظم الصور نوراً وعطاء. وهذا هو أيضاً من أجلنا نحن ومن أجل وصولنا إلى السعادة والرحمة. إذاً، فأجر الرسالة عائد إلينا أيضا، ونحن الذين ننتفع به، فأية منّة لنا نحن المساكين عليهم؟! وأية فائدة تعود عليهم - سلام الله عليهم - من إخلاصنا لهم وتعلقنا بهم؟! أية منّة لكم ولنا على علماء الأمة؟ بدءاً من ذلك العالم الذي يوضح ويبين لنا الاحكام الشرعية، إلى النبي الأكرم وإلى ذات الله المقدسة جلّ جلاله فان لكل منهم حسب درجته ومقامه من حيث إرشادهم لنا إلى طريق الهداية مِنَناً لا نستطيع مكافأتهم عليها في هذا العالم، فهذا العالم لا يليق بجزائهم.. فلله ولرسوله ولأوليائه المنة وكما يقول تعالى ﴿**قُل لا تمنّوا علي**

إسلامكم بل الله يمنّ عليكم ان هداكم للإيمان إن كنتم صادقين إن الله يعلم غيب السموات والأرض والله بصيرٌ بما تعملون﴾.

إذن، فإن كنا صادقين في ادعاء الإيمان، فلله المنة علينا في هذا الإيمان نفسه - فالله بصير وعالم بالغيب، وهو يعلم ماهية صور أعمالنا، وكيفية صورة إيماننا وإسلامنا في عالم الغيب. أمّا نحن المساكين حيث لا نعرف الحقيقة، فإننا نتعلم العلم من العالم ونمنّ عليه، ونصلّي جماعة مع العالم ونمنّ عليه مع أن لهم المنة علينا ونحن لا نعلم، بل وأن هذه المنة التي نمنّ بها عليهم هي التي تحبط أعمالنا وتجرّها الى (سجّين)، وتذروها في الهواء لكي تفنى وتذهب.





بأيمان مطلق تحدى حكم الطاغوت و عاد الى ارضه و شعبه
رغم كل المخاطر

الإمام الخميني.. المرجعية المتميزة

العلامة الشيخ هادي الخزرجي

«إنّ صوتاً واحداً شجاعاً أكثرية»

علي(ع)

ان قصة «روح الله» في هذه الحياة هي قصة الرجال الصادقين المخلصين الكبار والشجعان الذين أمسكوا بقوة وجدارة بدفّة السفينة، وأبحروا باسم الله في وسط الأمواج المتلاطمة، فأوصلوها الى شاطئ الانتصار، بعد رحلة طويلة شاقة (من الذات) (الى الله).. كان على حسب تعبير الإمام أمير المؤمنين(ع): بدنه منه في تعب والناس منه في راحة.

واذا كانت النفوس كبارا   تعبت في مرادها الاجسام

ان قصة الإمام الخميني (المرجع المتميز) بدأت فصولها منذ نعومة أظفاره مذ قام بإحكام علاقته بخالق الوجود وارتبط تفصيليا به ليس من خلال صلاة الليل والصلاة المفروضة وقراءة القرآن والصيام والدعاء فحسب، وإنما من خلال كل شيء.. من خلال مفردات الحياة اليومية المتحركة والتلقي من المدرسين ومن خلال التعليم للتلاميذ، ومن خلال العمل بالعلم على كل الصعد ومن خلال تناول الطعام، ومن خلال عيادة المريض، ومن خلال مساعدة المحتاج، ومن خلال النقاش والحوار العلمي، ومن خلال الموقف السياسي ومواجهة الظالم، ومن خلال كل شيء **﴿قل إنّ صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين﴾**.

ولسنا في هذا المقال القصير بزاعمين اننا سوف نستوعب كافة ما امتاز به الإمام

(*) من علماء الدين المجاهدين وأستاذ في الحوزة العلمية بدمشق.

الخميني في مرجعيته، وإنما سنتناول البعض من الامتيازات عملا بالقول المأثور «ما لا يُدرك كله لا يترك جله».

ولاية الفقيه

ان اول من قدم نظرية ولاية الفقيه بوضوح وجهر بها وأعلنها من خلال الدروس العلمية المستندة الى الآيات والروايات هو الإمام الخميني (قدس سره) وهو أول من جاهد باخلاص وصدق عمليا لجعلها مجسدة مطبقة في واقع الحياة العملية وقد وفقه الله الى إنزالها للواقع المعاش في قطر من أقطار المسلمين هو إيران، فكانت البديل الإسلامي لنظام جاهلي ضال فاسد، مرتبط بقوى الظلام في العالم لا سيما الولايات المتحدة الأميركية والصهيونية العالمية.

ان الوقت الذي رفع فيه المرجع الكبير المجاهد الصلب لواء الدعوة الى (الحكومة الإسلامية) و(ولاية الفقيه) كان جو البحوث التقليدية هو السائد في الحوزات العلمية لا سيما في النجف الأشرف، ولهذا اعتبر «الخط التقليدي» في الحوزة هذه الدعوة نشازا وأمرا خارجا عن المألوف، واعتبر ذلك خطرا لا ينبغي السكوت عليه!! بل هناك من العلماء المجاهدين الكبار من كان لا يؤمن بالعمل والسعي لقيام حكومة إسلامية وانما يكتفي بنشر التدين.

العلم بالزمان

لا يكفي لعالم الدين لا سيما المجتهد المرجع – من وجهة نظر الإسلام – ان يكون ملماً ومحيطا بالعلوم الإسلامية من أصول وفقه وتفسير وما الى ذلك، كما لا يكفي ان يكون ملما ومحيطا بالعلوم العربية من نحو وإملاء وبلاغة ونحوها، وإنما ينبغي ان يكون بالاضافة الى ذلك عارفا بزمانه مطلعا على عصره الذي يعيش فيه من أفكار وآراء ونظريات وتيارات، وأوضاع إجتماعية مختلفة، وقوى سياسية حاكمة او محكومة، وظروف نفسية يعيشها الناس، وكل ما له صلة بمعرفة العصر والزمان وشؤونه المتعددة، لأن هذه المعرفة تسهّل مهمة (مرجع الدين) الذي يرجع اليه الناس في مختلف المسائل والقضايا المتعلقة بأمور الدين والدنيا، ويزيده بصيرة الى بصيرته، ولهذا يقول الإمام جعفر الصادق(ع) «العالم بزمانه لا تهجم عليه اللوابس».

ولهذا نجد الإمام الراحل كان يوصي الشباب ضمن وصاياه المتعددة ان يهتموا بالالمام بدراسة الافكار الفلسفية الجديدة إضافة الى دراستهم للقرآن الكريم والفقه الإسلامي

والفسلفة الإسلامية، وان يهتموا بالاستماع الى نشرات الاخبار من مختلف القنوات الاعلامية لمعرفة ما يجري في العالم من صراعات ساخنة او باردة وما يتعرض له المسلمون من مخططات متنوعة تستهدف امنهم واقتصادهم وثقافتهم وهويتهم وسياستهم ووجودهم وحياتهم لكي لا يكون لهم وجود فاعل على سطح هذا الكوكب.

ان دعوة العلماء لمعرفة العصر والالمام بالزمان يجعلهم أهلا لتحمل المسؤولية الاجتماعية الثقيلة في هداية الناس وقيادتهم الى طريق الله، بينما افتقادهم لهذه الصفة «معرفة العصر» يبعدهم عن عصرهم ويجعل من تأثيرهم محدودا. وهذه الدعوة الإسلامية الخمينية التي تؤكد على ضرورة (العلم بالزمان) كما تؤكد على (العلم بالاديان) من مميزات مرجعيته لا يشترك معه فيها الا النوادر الأفذاذ كالشهيد الصدر (قدس سره).

التأكيد على القضية الام

ان المنكرات التي تعج بها حياة الناس كثيرة، والنظام الشاهنشاهي المندثر وأشباهه كانوا يشجعون على وجودها وازديادها، وكذلك القوى التي تدعمها وتقف خلفها وأمامها والى جانبها، وقد رأى الإمام الخميني المرجع المتميز ببصيرته النافذة ان السبب في وجود هذه المنكرات من شرب للخمور وركوب للفجور، وهتك للستور بالسفور ولعب للقمار وسواها من المنكرات انما هو النظام القائم، فهو المنكر الاكبر الذي تتفرع عنه كافة المنكرات فركز جهوده مع انصاره المخلصين على ضرورة إزالة السبب ليزول بزواله (المسبب)..

وهذه ميزة أخرى امتازت بها مرجعية الإمام الراحل (قدس سره) بينما انشغل الكثير من المصلحين ومنهم مراجع بالانشغال بالمنكرات الصغيرة المسببة أصلا عن نظام ضال قادر على إفراز العشرات من المنكرات وتوليدها، وهذه ميزة اخرى امتازت بها مرجعية الإمام الراحل (قدس سره).

وهذا لا يعني إهمال المنكرات المذكورة وامثالها، وانما الجهد ينبغي ان يركز في نظر الإمام الخميني على النظام الذي يولدها ويحميها ويدافع عنها ويتبناها ويدعمها ويتعايش معها فهذا هو الطريق الافضل والامثل والاقوم والاصوب، وان كان يكلف الكثير من الشجاعة والاقدام والتضحيات والمخاطرات.

تشخيص الاعداء

ان قراءة الإمام الراحل (قدس سره) للدين بوعي واحاطته به وقراءته لعصره بفهم

واستيعابه له وجهاده المتواصل المخلص الصادق من أجل حاكمية الإسلام في إيران والعالم، ومن اجل سعادة وسيادة وقيادة المسلمين للعالم لا يستقيم الا بالإسلام منهج الله العظيم. ان كل ذلك جعله قادرا على تشخيص الأعداء بدقة ودرجة عداوتهم للأمة وعقيدتها **﴿الذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾**. وقد شخص الإمام الراحل ووضع في مقدمة هؤلاء الأعداء أميركا واسرائيل، ولا اظن ان احدا فعل ذلك من المراجع وغيرهم من القادة المصلحين. ولا ريب ان معرفة الأعداء وتشخيصهم من العوامل المهمة للتغلب عليهم.

ومن نافلة القول عندما نؤكد ان المقصود بالعدوين المذكورين ليس هو الشعب الأميركي واليهود وإنما النظام الأميركي المعادي للشعوب والصهيونية ذات الافكار التخريبية المدمرة والخطيرة.

الاستعياب

ان اهم مميزات المرجع القائد في الإسلام هو القدرة على استيعاب الناس وتوظيف طاقاتهم المتنوعة لخدمة الأهداف الكبيرة، وليس من الصواب الاستغناء عن اية طاقة مهما صغرت، وهذه الميزة كانت ميزة الانبياء والائمة وكبار العلماء الذين حملوا هموم الرسالة والأمة والإنسانية جمعاء، فهذا القرآن المجيد يخاطب الرسول الاعظم(ص) **﴿وما أرسلناك الا كافة للناس بشيراً ونذيرا﴾**.. ويخاطبه ايضا: **﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾**.

وهذا أمير المؤمنين ويعسوب الدين علي بن ابي طالب(ع) يقول: «آلة الرئاسة سعة الصدر». وهكذا كان الثائر النبوي العلوي الرسالي الخميني، فقد عاش للجميع، واحب الجميع، واستوعبهم، ووظف طاقاتهم لتحقيق الأهداف المرسومة، وهي إزالة النظام المرتبط بعجلة أميركا والصهيونية وإقامة حكم الله في الأرض ونصرة المظلومين ومجابهة الظالمين.



النهضة الخمينية:
دراسة في تماسك الطرح التغييري الإسلامي وإخفاق الاحتواء الغربي

المهندس بيان جبر

الى الآن، لم تتوصل الدراسات والبحوث الغربية المهتمة بشخصية الإمام الخميني الى تحديد ابعاد هذه الشخصية القيادية العظيمة رغم اهمية هذه الدراسات والبحوث التي تميزت بطابعها الاكاديمي البحت. واذا كان الغرب يهتم بمعرفة الخلفية التاريخية للثورة الإسلامية في إيران ودراسة اسبابها بصورة علمية والعوامل المؤثرة فيها، فانه اضطر الى دراسة شخصية الإمام الخميني بوصفه القائد الإسلامي الفريد الذي استطاع ان يقود التغيير على مستوى التحول العالمي والتاريخي. لكن هذه الدراسات الغربية التي استندت الى مجموعة من المتغيرات الإجتماعية والسياسية والإقتصادية ربما اخفقت بشكل كبير في هذا الجانب لانها عجزت عن الاحاطة بالعديد من المتغيرات الإجتماعية والمحركات النفسية التي تلعب الدور الأساسي في صنع الاحداث المذهلة. ولعل من أشد اخطاء هذه الدراسات انها اتبعت منهجا تعامل مع الظواهر كما لو انها يمكن ان تقاس بمقياس معين. وعلى سبيل المثال، فقد اتبع القسم الكبير من تلك الدرسات التي تتمحور حول شخصية الإمام الراحل، أسلوب اخضاع الظواهر الرئيسية التي تلعب الدور الأساسي في صناعة الحدث الى مقياس تاريخي محدد، فقرنت شخصية الإمام الخميني العظيمة والفريدة بأي شخصية اصلاحية سبقته في المراحل الزمنية دون ان تلحظ هذه الدراسات ان التعامل مع الافكار والشخصيات بطريقة المقادير يقود الى تبسيط الاسباب.

(•) من الشخصيات البارزة في المعارضة الإسلامية العراقية.

ولهذا وقعت السياسة الغربية التي اعتمدت على نتائج هذه الدرسات باخطاء فادحة، بحيث ان شطحات السياسة الغربية كانت دليلا قويا على ان الثورة الإسلامية وقائدها اوسع بكثير مما استنتجته تلك الدراسات.

لقد كان الغرض الغربي من وراء دراسة الثورة الإسلامية وقائدها هو اعداد الخطط البعيدة المدى التي تمكن دوائر القرار السياسي الغربي من التعامل مع الثورة الإسلامية بطريقة احتوائية. ومنع اهتزاز العلاقة بين المركز والاطراف التي تغيرت بشكل كبير بعد انتصار الثورة الإسلامية.

لكن التحولات التاريخية التي تقف وراءها مكونات حضارية لا يمكن حصر اسبابها ودراستها كما يجري في حقول العلم التجريبية، ومن هنا يصعب على الغرب تصور الثورة الإسلامية ودور الإمام الخميني فيها مهما تعمقت دراساته عن الخلفيات التاريخية للثورة وطبيعة المجتمع الذي احتضنها.

ان الثورة الإسلامية التي قادها الإمام الخميني حدث غير عادي، ولو ان ما حصل في إيران كان دون مستوى التحول العالمي، والتاريخي لما تحركت قوى الاستكبار العالمي ومعها شبكة علاقاتها الدولية لمحاصرة الثورة والدولة في اطار موقف عدائي بالغ جدا في استخدام القوة وروح الانتقام. فالثورة وفق جميع المقاييس حدث حضاري، استحدثت وعيا جديدا بالإسلام، ولعل القرب كان اكثر ادراكا لواقع الثورة وتأثيرها، لكنه اقل تصورا لشخصية قائد الثورة الذي تميز بطرحه ومواقفه. حتى لكأن الغرب قد اعترف اكثر من مرة بعجزه عن مواجهة مثل هذا الرجل القوي بارادته وإيمانه وتصميمه على زج المشروع الإسلامي مصارعا عنيدا في ساحة الصراع.

وقد انتبه الغرب فجأة الى ان الرجل الذي قاد نهضة إسلامية فريدة ورسخ قواعد الدولة الإسلامية المعاصرة ثم رحل، لم يكن قائدا تقليديا وهذا ما دفع بالغرب لكي يعترف بمرارة ان شخصية مثل الإمام الخميني لا يمكن ان يخوض المعركة دون ان يعتمد على منهج لم يسبقه اليه احد.

ولذا كان رحيل الإمام الخميني الى الرفيق الاعلى مثارا لاهتمام اعدائه مثلما هو مثار أسى وحزن محبيه واتباعه في العالم بأسره. فقد درس الغربيون والفوا مئات الكتب وآلاف الدراسات الاخرى بلغاتهم المختلفة وهم يحللون الثورة الإسلامية التي قادها الإمام الخميني، ولم يتوقف تأثيرها عند الحدود الإيرانية بل تعداها الى العالم الإسلامي، وتأثرت بها شعوب غير حاكمة فانتصرت ثوراتها بسرعة اكتسبتها من انتصارات هذه

الثورة[1] وما زلنا نرى الإمام الخميني ومضة في ليل اشتدت حلكته، وهو من الرجال الذين تنطبق عليهم صفات القائد التاريخي الذي يترك بصماته على الحياة، ويستمر تأثيره بعد رحيله بالقدر الذي كان عليه اثناء حياته، فقراره ساري المفعول الى امد طويل غير محدد بزمن[2].

ان الغرب ربما نظر الى الإمام الخميني على أساس جملة من التصورات التي اقصت خصوصيات ميزت شخصيته عن باقي القادة بما فيهم الرموز الاصلاحية في الساحة الإسلامية، وهذا ادى لأن يقع الغرب في اخطاء هذه النظرة القاصرة، حتى اذا برهنت الاحداث على صعوبة احتواء هذا التحول التاريخي، عادت السياسة الغربية تعول على أساليب الحرب النفسية التي لم تؤد الا الى مزيد من رسوخ منهج الإمام الخميني في الدولة التي ارسى قواعدها، ضمن مسيرة حافلة بالتصميم على احتلال موقعها الريادي على الساحة الدولية. فالخميني الآخر هو الباقي في أية حال.

لقد بات واضحا ان الدولة الإسلامية التي شيدها الإمام بفكره وجهاده، لا زالت اكثر تمسكا بمنهجه رغم مرور عقد على وفاة المؤسس والباني، وهذا دفع بالكثير من المعنيين بشؤون إيران للقول ان الغرب ربما ساهم بقدر واضح في ترسيخ قواعد المشروع الإسلامي المنطلق من إيران عبر تحفيز الثورة الإسلامية للاندكاك اكثر بواقعها وتحصين موقعها وهويتها والتمسك بأهدافها واستقلال قرارها وتعزيز قدراتها الدفاعية، على ان الثورة الإسلامية التي قادها الإمام الخميني والى الآن لا زالت تعتبر ان من أهدافها الرئيسية تغيير العلاقات الدولية من شكلها السائد سابقا والجانح الى الهيمنة والتحكم بمقدرات الدول النامية، الى نمط قائم على التكافؤ، وهذه القضية التي قدمت من أجلها إيران تضحيات كبيرة، تحولت الى واحدة من أهم انجازات الثورة الإسلامية في نظر الشعوب والانظمة معا، فأميركا اليوم باتت اكثر استعداداً للاعتراف بأن جميع مؤامراتها وخططها السياسية قد آلت الى الفشل، واضطرت واشنطن بعد عقدين من الزمن الى تغيير سياستها تجاه إيران وان كانت تطرح في هذا المجال ذرائع غير صحيحة، حتى لا يبدو هذا التحول نوعا من الهزيمة المرة على يد أحد أشد خصومها تحدياً لها.

واذا كانت إيران قد أبدت تمسكا كبيراً بمبادئها بعد وفاة الإمام الخميني، وفاء للقائد المؤسس، والتزاما بالإسلام، وتأكيدا على خيارها النهائي في تبني المشروع الإسلامي، فان

(١) الموقف الغربي من الإمام الخميني وثورته، مجلة العالم، ملف خاص العدد ٣٢٩، ٢ حزيران ١٩٩٠ ص ١٤.
(٢) عبرات وعبارات؛ اصدار المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية في بيروت في أيار عام ١٩٩٠، والنص للسيد عمر حرب الامين العام للاتحاد الاشتراكي العربي في لبنان.

الغرب ربما يعترف وبشيء من الدس عندما لا يجد وسيلة للهروب من الحقيقة أمام صدمة الإمام الخميني.

وفي النص التالي لكاتب غربي معروف هو (يان ريشار) يدرك القارئ اعتراف الغرب بشخصية الإمام الخميني القوية والفريدة، ويدرك أيضاً استماتة النص في تلغيم المعنى كوسيلة من تقليل الاعتراف، حيث يقول: والخميني المنحدر من السلالة النبوية ناضل من أجل قلب نظام وُصف بأنه فوق العواصف، والذي مات من دون ان يغير أي شيء في لهجته وكلامه الصلب للدفاع عن الإسلام.. يستحق ان يعتبر كواحد من المؤمنين الاولين(٣). لكن يلاحظ في انعطاف النص رغبة شديدة لدى الغرب في تزييف الواقع والهروب إلى الأمام عبر تعليق الاسباب على مشجب الغيب، فيقول النص لاحقاً: والخميني بعد أن اصبح ولياً من أولياء الله لم يعد مشكلة لاحد، ولكنه يحل المشاكل ولقد غادر الإطار السياسي.. لكي يصبح (الآخر) أي نوعا من المقربين من الآلهة الذين يتجه اليهم الناس ليهيئوا لأنفسهم مكانا مناسبا في عالم الآخرة(٤).

ان القراءة الغربية المغلومة - في النموذج السابق - تصر على الغاء الفكر والتجديد والرؤية الإسلامية المعاصرة للواقع، كمقدمة لإلغاء واقعية مشروع النهضة وإحالتها الى نوع من «المأثورات تتيح للوجدان الجمعي ان يحتمي بها ضد النسيان والمعادات(٥)، وينكر الكاتب عمدا ان انتصار الثورة الإسلامية في إيران التي جاءت في وقت كان فيه المجتمع يعاني من آثار تيارين، إلحاد المثقفين المتغربين او التقاطيتهم، وجمود الرجعيين وتحجرهم(٦)، ان هذا الانتصار قد تحقق بفضل الفكر والرؤية المتقدمة للإمام، الذي استطاع أن «يعي الإسلام، والزمان وقضايا انسان هذا العصر واحتياجاته، على نحو لم يتوصل اليه الآخرون، وانطلاقا من هذا الوعي فجر ثورة دينية كانت في الوقت نفسه اكثر ثورات العصر شعبية»(٧).

ان الإمام الخميني الذي امتلك الفكر والرؤية الى جانب الثقة بالنفس وقوة الإرادة والشجاعة، كان يراهن على الجماهير ويرى فيها عاملا أساسيا من عوامل النهوض، ولم يجد الإمام آنذاك سواهما مخاطبا او نصيرا، ولإيمانه وثقته المطلقة بقدرتها جنّد كل طاقاته

(٣) ريشار، يان: الإسلامي الشيعي، ترجمة حافظ الجمالي، ط ١٩٩٦ ، دار عطية / بيروت، ص ٣١ .
(٤) نفس المصدر، ص ٣٢ .
(٥) نفس المصدر ص ٣٣ .
(٦) خاتمي، د. محمد، بيم موج، المشهد الثقافي في إيران: مخاوف وآمال، دار الجديد ط ٣ ١٩٩٩ ص١٨ .
(٧) نفس المصدر ص ٢٠ .

من اجل تفجير ما يعتمل في صدور الناس من فطرة الحرية ونشدان الحقيقة[٨]. على ان اقوال الإمام وافعاله ترجمت وعلى نحو واضح التلازم بين الوعي والإرادة والأمة التي شكلت العناصر الأساسية في النهضة الإسلامية المعاصرة، حيث يقول (رض): ان الخميني سوف لن يجلس على مائدة التفاوض حتى وان عرض لحبل المشنقة، انني لست من اولئك المعممين ورجال الدين الذين لا يعرفون من الإسلام سوى الجلوس والتسبيح والتهليل، وانني لست كالبابا كي اخرج في الاسبوع يوما لأداء الطقوس الدينية وأركن باقي الايام الى أموري الخاصة وزعاماتي العامة»[٩].

ولما كان منهج الإمام الخميني التغييري يعتمد في أساسه على عناصر الفكر، والتجديد، والأمة، والادارة السياسية.. فان الرؤية الغربية حاولت قاصدة تغييب هذه العوامل من النهضة الخمينية امعانا في تشويه التحول التاريخي وتوصيف انطلاقة المشروع الإسلامي المعاصر بانها حدث له علاقة بتراكم تاريخي من الاحساس بالقهر، والميل الى تقديس الموت والشهادة كما يقول (يان ريشار) وهو مصدر قلق للكثيرين في الشرق والغرب، بل ان خطره سيشتد مع اعلان وفاة روح الله الموسوي الخميني»[١٠]. حتى اذا قادت الثورة الإسلامية الى تحولات عالمية وانبثاق وعي إسلامي جديد، جاء دور السياسة والاعلام ليراجع دور (الفكر والقراءة) لتعمل على ترويج مقولات بأن الثورة الإسلامية انحصرت في حدود إيران الجغرافية، مع التركيز على عناوين فرضها طابع الحرية والديمقراطية ودور المؤسسات في الدولة الإسلامية - وهي مزية للدولة الإسلامية وليس نقصا فيها - لتدعي فيما بعد ان الثورة الإسلامية تنازلت عن بعض أهدافها. وكل هذا يجري بالطبع وفق سياق التشكيك بقدرة الثورة الإسلامية على التواصل مع أهدافها انطلاقا من سياسات غربية متغيرة تحاول من خلال تقلبها تفكيك العلاقة المتينة بين النهضة الإسلامية وقاعدتها العريضة. وربما تدرك القوى الغربية ان عنصر الأمة الذي راهن عليه الإمام الخميني في منهجه التغييري لا زال هو احد ابرز عوامل الانتصار المتواصل الذي تجاوزت فيه الثورة الإسلامية عقبات كثيرة واذ تشتغل القوى الغربية على هذا الصعيد فان ثمة معالم جديدة طرأت على السياسة الغربية حيث شعرت المجموعة الاوربية وهي في طريقها الى التكتل تحت العنوان الجغرافي، ان ابتعادها عن السياسة الأميركية المتعلقة بالتعامل مع إيران، يتضمن تحقيق مصالحها بقدر كبير، فيما سعت أميركا الى الإيحاء بأن

(٨) نفس المصدر ص ٢٠ .
(٩) من خطاب للامام الخميني في ١٩٦٣/٤/١٠ م.
(١٠) مصدر سابق ص ٢٦ .

مراجعة سياساتها الخاصة بإيران قد ينطوي على انفتاح غربي واسع عليها، وتنطلق واشنطن من عقدة (القيادة) الغربية في هذا الموقف. مع ان موقف كلا الطرفين - أوربا وأميركا - يرتهن بالدرجة الأساس لعامل المصالح الذي يتحكم بسياساتيهما التكتيكية المعلنة حاليا والمتعلقة بابداء رغبتيهما في الانفتاح على إيران، لان طهران حسب زعمها ابدت انفتاحا هي الاخرى مشفوعا بسياسة - غير تقليدية - تجاوزت مرحلة الثورة.

ان الغرب لم يتمعن في هذا التحرك، بل يعمل بقوة من اجل اضعاف العلاقة بين الثورة الإسلامية والأمة وهو مخطط خطير، اعتمده الغرب على مراحل، لانه ادرك دور الأمة في الحفاظ على مكتسبات الثورة وأهدافها. ومن هنا فان عبقرية الإمام الخميني ربما تجاوزت حد الاستشراف والتنبؤ بدرجة مذهلة، حينما اوكل امانة المشروع الإسلامي الى الأمة دون ان تخطر الحدود الجغرافية في باله.



الخطاب الثوري الذي أسس دولة

الأستاذ جواد المالكي

يشكل الخطاب السياسي أبرز مفردات العملية السياسية ويلخص كل توجهات الحزب والحركة والشخص وأهدافه التي يجاهد من اجلها وعلى نجاح الخطاب السياسي وسلامته من العيوب واللاواقعية، وعلى مدى انسجامه مع معالم حياة الأمة ومرتكزات عقائدها ومبادئها وآمالها وآلامها تكون الثورة قد وضعت جماهيرها على الخط الصحيح وحركتهم في الاتجاه السليم ولم يبق بينهم وبين النصر الا الزمن واستمرارية الحركة واستقامتها على الخط.

وفي الحديث عن الخطاب الذي عبر به الإمام الخميني(رض) وشعبه الى ضفة الانتصار الفريد في القرن العشرين، يمكننا ان نعثر على تجربة فريدة في إثارة مضامين وشعارات وافكار تضمنتها العشرات من الخطابات في مختلف المناسبات، وقبل الخوض في مفردات خطاب الإمام(رض) نشير الى حقيقة تسجل باعتزاز للامام وهي انه استطاع ان يمنح خطابه الواقعية الميدانية في مرحلة تعبئة الشعب الإيراني وتصعيد روح الثورة عنده، وعندما انتقل الى الدولة عبر جسر الثورة وشعاراتها راهن الكثير من المراقبين السياسين في العالم على فشل الإمام في استحداث خطاب للدولة وتجاوز خطاب الثورة الذي يختلف في الكثير من معالمه التي تميز بين الثورة والدولة.

ولكن اثبت الإمام قدرة رائعة على استحداث الخطاب المنسجم مع خط الدولة ذات المؤسسات الثورية، وهنا حافظ على نهجه الثوري ولكن من خلال مفردات الدولة ولم يجهدها باستصحاب ذات الشعارات التي كانت تحتاجها الثورة وهي في ساحة المواجهة

(*) عضو المكتب السياسي لحزب الدعوة الإسلامية، مقيم في دمشق.

وتحتاج الى خطاب سياسي قادر على ضبط انطلاقتها في مرحلتي الثورة والدولة وفق القيم السامية والأهداف الكبرى.

الإمام الخميني (رض) ولما عرف به من جدية مبكرة واهتمام بالشباب ووعيهم لمحيطهم ومأساة مجتمعهم استطاع ان يكتشف خصائص شعبه في عطاءاته ونجاحاته وفي نهوضه ونكوصه كما اكتشف خصائص دولة الشاه ومرتكزاتها ومثالبها ونقاط الضعف والقوة فيها فجاء خطابه المبكر وحركته وفق نسق واحد يؤكد صحة تشخيصه ووعيه لما حوله من احداث وملابسات وكانت حركة تصاعدية وان حدث خلالها ما حدث في عام ١٩٦٣ وترتب عليها تسفير الإمام خارج إيران ليستقر في النجف الاشرف، فلم يترك مسيرته ليبدأ من الصفر ثانية انما استمر من النقطة التي انتهى اليها في احداث عام ١٩٦٣.

وهنا تسجل خاصية لخطاب الإمام انه لم ينطو على ثغرة قاتلة او تخلف عن الضرورة فكان بحق يمثل عنفوان الثورة وتماسك مفاصلها في خط تصاعدي اغلق الباب امام افكار الضعف والتخاذل والانهزامية .

ويمكننا ان نسجل بعض مفردات معالم الخطاب السياسي الثوري للإمام من خلال قراءة سريعة في بعض نماذج خطابه.

١- إنه خطاب تعبوي يستبطن الإشعار لمخاطبيه بأنهم امام معركة فصولها ممتدة ومتصلة، ويعبّئهم لخوضها وفق المعايير التي خاض فيها السلف الصالح ثوراتهم ليشعرهم بانهم الامتداد لهذا الخط المتصل بالحق المطلق، وقد وجد الإمام في تجربة الإمام الحسين(ع) خير مناسبة للتعبئة تحت شعار (كل ارض كربلاء وكل يوم عاشوراء).

وقد اتصف خطابه التعبوي بصفة السهل الممتنع لانه سهل في مفرداته لا يصعب على العامل والفلاح فهمه والتفاعل معه كما يتفاعل المثقف معه وبنفس الدرجة وممتنع لأنه ينم عن حنكة وخبرة وكفاءة ليس من السهل مجاراته فيها الا من اتصف بنفس الصفات المشتركة معه.

٢- وهو خطاب جماهيري في نصوصه ومضامينه يحاكي قضايا الشعب بمختلف طبقاته ويناقش كافة شؤونه واحتياجاته حتى بات كل إيراني بل وكل مسلم يشعر وكأن خطاب الإمام يعنيه ويحثه للعمل ويجنده للجهاد في خط الإسلام ومن نداءاته الجماهيرية العامة «ايها المسلمون المؤمنون بحقيقة الإسلام انهضوا ووحدوا صفوفكم تحت راية التوحيد وفي ظل تعاليم الإسلام واقطعوا ايدي القوى الكبرى الخائنة عن بلدانكم وثرواتكم الوفيرة، وأعيدوا مجد الإسلام، وتجنبوا الاختلافات والأهواء النفسية فانكم

تملكون كل شيء»[1]. وواضح انه خطاب شامل لكل جماهير المسلمين المثقفين منهم وغير المثقفين، لأن فقراته في صلب اهتمامات الجميع ومورد حاجة للجميع، ولو اتسع المجال لكانت لنا مع هذا النص دراسة واسعة ومركزة.

٣- الصدق والمصارحة والشجاعة، فقد تجاوز الإمام (رض) كل سياسة القادة وتعاملهم مع شعوبهم فقد كان صادقا وصريحا وواضحا، وكان مرآة حقيقة تعكس الواقع يهرع اليها الناس عندما تلتبس عليهم الامور، وكانت صراحته سيفا قاطعا لا يجامل احدا ولا يتعامل بعواطف مع احد، فهو لسان ناطق بالحقيقة لشعبه يقولها بشجاعة ويتقبلها منه الناس ويندفعون معه في تشخيص العلاج وخط السير واندفاعة الحركة، لأنهم لا يشعرون بمخفي مخيف ولا ضبابية في الموقف تبعث عادة على التلكؤ وعدم التفاعل بين القيادات وجماهيرهم. أما شجاعته فقد عبر عنها بنفسه(رض) بقوله «لم يدخل الخوف في قلبي قط». وقد أثارت شجاعته كل من رافقه في طائرة العودة الى إيران وما رافقها من احتمالات قد تودي بحياته الشريفة، فلم يلمسوا زيادة في ضربات القلب وكان نومه هادئا مطمئنا على متن طائرة الموت المرتقب، أما التصدي للحكومة البهلوية فلم ترهبه كل قوتها ومن يقف خلفها ولم يدع مناسبة الا أثار الغبار بوجهها وفتح عيون الشعب الإيراني على حقيقتها الفاسدة فلا السجن ولا الاعدام ولا النفي ولا حتى الدماء أثنت مسيرته، وهو بقدر ما كان في جنبيه نفس عطوفة، كان صلباً شجاعاً في حماية الثورة واستمرارها حتى النجاح. ولما أخبره بعض قادة الثورة في الداخل وهو في حينها في فرنسا بضرورة إيقاف المظاهرات لكثرة الدماء حتى لا تضيع الدماء السابقة.

ولما تراجعت همة البعض من المراجع واكتفوا بشعارات الاصلاحات الجزئية والمطالب المحدودة ليخرجوا انفسهم من المأزق ظل مصرا على رفض كل الاصلاحات ومصمما على ان الهدف النهائي هو إسقاط عائلة بهلوي وإقامة حكم الله.

٤- الشمولية وسعة الأفق الذي يتحرك من خلاله فلم يختنق في حدود القضية في إيران ولم تنسه كل المواجهات ان يشمل خطابه قضايا كل المسلمين كما لم يكن خطابه لشريحة محددة ووفق مستوى خطابي محدد، وتلك خاصية مهمة تتناسب مع رجل صاحب آفاق واسعة ومسؤوليات بحجم المأساة التي يمر بها المسلمون في مختلف بقاع العالم وقد ابقت هذه الشمولية الباب مشرعا أمامه(رض) في تعميد أواصر العلاقة مع الشعوب الإسلامية التي فتحت قلبها لكلامه عندما رأت فيه الحرقة والشعور بالمسؤولية تجاه

(١) من خطابه الى حجاج بيت الله الحرام عام ١٤٠٠ هـ.

قضاياهم. ومن نماذج هذه الشمولية قوله «ان مشكلة المسلمين ليست مشكلة القدس، فحسب، فهي واحدة من مشاكل المسلمين. اليست باكستان من مشاكل المسلمين؟ اليست تركيا من مشاكل المسلمين؟ ينبغي ان نفكر بدقة في جذور هذه المشاكل التي تعم المسلمين ونجد لها الحلول اللازمة»(٢). وفي خطاب آخر قال (رض): «واعلموا اننا لسنا في حرب مع العراق بل ان شعب العراق يساند ثورتنا الإسلامية، نحن في صراع مع أميركا واليوم فان يد اميركا قد تجسدت في حكومة العراق»(٣).

٥- تحطيم حاجز الصمت الذي ظل مسيطرا على أجواء الحوزة العلمية وكسر حاجز الخوف الذي صنعه القمع والإرهاب فهو يدرك ان هذا الحاجز مهما كان سميكا يجب العمل على تحطيمه وكسره لان الحركة عبره لا يمكن ان تنهض بمهامها والشعب صامت او خائف مهزوم ، فكرس ظاهرة التحدي فجرأ الناس على السلطة في خطاباته ومواقفه وفي كل المناسبات. واذا كانت النداءات الاولى لم تفلح في صناعة تيار التحدي فان التكرار الذي عرف به خطاب الإمام قد فكك عقد الخوف كما حطّم حاجزي الخوف والصمت. ففي خطاب له(رض) في ١٩٨١/١١/٢٦ يقول مخاطبا شعبه وشعوب العالم الإسلامي: «وما أريد التأكيد عليه هو ان تخرجوا من رؤوسكم ما يقال من انه لا يمكن مواجهة الدول الكبرى، صمموا على ذلك تقدرون لأن الله يدعمكم ويحميكم، ان الهمسات التي تشاع من قبل عملاء الإستعمار من انه لا يمكنكم الحياة دون اللجوء الى احدى الدول العظمى كلها خطأ مئة بالمئة وغير صحيحة، قفوا على ارجلكم باستحكام وقوة وكونوا مع الله واسعوا قبل كل شيء الى الرقي في الإنسانية، عندها يمدنا الله بعونه».

وهنا يمكن القول بكل ثقة ان مفردات خطاب الإمام يمكن ان يتعامل بها الكثير من القادة وقد يحسنون تزويق اللفظ وقوة المنطق ولكن لا يمكننا ان نحقق النجاح بهذه المفردة اذا لم نختزن أمرين:

الاول: هو الصدق مع النفس والشعب بعيدا عن الخداع والتضليل والوصولية التي ينتهي عندها كل شيء لمجرد اعتلاء العرش.

الثاني: هو الثقة بالله ونصره والتوكل عليه والتعامل مع الاحداث بروح المسؤولية الشرعية بعيدا عن حسابات الحكم والسلطة، تاركا أمر هذه لنصر الله وارادته وهو القائل حينما اشكل عليه بعض الصحفيين بقولهم «انك كنت تريد اقامة دولة وليس لك دولة

---

(٢) من كلام له في أول مؤتمر عقد في طهران حول القضية الفلسطينية رمضان ١٣٩٩ه
(٣) نداء الإمام لحجاج بيت الله الحرام في ١٤٠٠/١١/٢هـ

تدعمك ولا حزب ولا قوة عسكرية، فقال كلمته التي هي درس للعالمين «أنا مكلف بالجهاد كما أنا مكلف بالصلاة أما النصر فأمره الى الله».

٦ - الجمع بين الأصالة في المنهج والتجديد في الأسلوب وتلك معادلة الخطاب السياسي يصعب جمع طرفيها وطالما سقط القادة السياسيون في أحد طرفي المعادلة فكانوا صورة للماضي في الشكل والمضمون العلمي او انعكاسا للواقع الحاضر مع كامل الانقطاع عن الماضي بما يمثله من زخم روحي واندفاعة استمرارية تخصب حركة الحاضر فلا يكون المنهج مختلفاً متحجراً جامداً على عطاءات الماضي التي يتجاوزها الواقع قطعا، ولا منبهرا بقطع صلته بعمقه، ويلهث خلف الافكار والنظريات الواردة بحجة اللحاق بالعصر والتقدم.

الإمام الخميني كان مرجعا على النمط التقليدي للمرجعية في الممارسة والأسلوب والآلية وهو شديد التمسك بنهج السلف الصالح في هذا الإطار وحتى في المنهج الدراسي كان يؤكد على الفقه والعلوم التي ورثتها الحوزة العلمية عن فحول مذهب أهل البيت(ع) مثل الجواهري والانصاري ومن قبلهم الطوسي، ولكن لم تمنعه هذه النمطية الحوزوية من التطلع نحو التجديد في دور المرجعية ومهامها وإحياء الجوانب التي تعطلها في ممارستها وأبرز ما أعطاه من دم في عروق المرجعية والحوزة انه أدخلها في خضم الصراع السياسي ودفع بها نحو ضرورة إقامة الحكومة الإسلامية التي اعتبرها من أوجب الواجبات لأن الواجبات الدينية الاخرى تصان بها. وذهب أبعد عندما شجع على العمل الحركي الإسلامي كأسلوب من أساليب التعبئة والاعداد لكوادر المجتمع الإسلامي الذي يسعى نحو فرض نفسه وارادته على الآخرين في المواجهة. فالحزب الجمهوري الإسلامي صيغة في الاسم والمضمون كان الوسط الحوزوي يعتبرها منافية للإسلام وصيغة غربية مستوردة، كما كانوا يعتبرون السياسة تتنافى مع القيم والأخلاق.

هذا الحزب لم يكن يخفى على أحد انه كان موضع رعاية الإمام (رض) وان أبرز تلاميذ الإمام ورجال الثورة كانوا المؤسسين لهذا الحزب ومنهم لجنته المركزية أمثال السيد الخامنئي والشيخ هاشمي رفسنجاني والسيد باهنر وسكرتير الحزب عند التأسيس السيد الشهيد محمد حسين بهشتي الذي كان يصرّح على عهد الإمام بعباراته التي لم يستوعبها الكثير من النمط التقليدي (الحزب معبدي) وهو يقصد قطعاً ان الحزب آلية ووسيلة من الوسائل العبادية التي أتقرب بها الى الله ومن خلالها أحقق مفهوم الطاعة والعبادة.

وقد أكد الإمام (رض) دعمه للصيغ العصرية الحزبية عندما استقبل قيادة حزب

الدعوة الإسلامية مخاطبا إياهم بضرورة بذل أقصى الجهود، وان الوقت مناسب لتحركهم لأن الأمة أصبحت تنفتح على العمل السياسي والحزبي، وهذه الانفتاحة على العصر منحت برنامج الإمام قوة في الحركة وقدرة في الاستيعاب ومرونة في التعامل مع التحديات وتطويع العقبات ضمن سياسة الانفتاح عليها والتدرج في معالجتها واعتماد المناهج العلمية في ملاحقة المفردات التي يمكن ان تشكل نمطا من التحدي لخط الثورة والدولة.

فرغم صورة الصلابة والجدية التي كان يرعب بها خصومه، فإنه كان يختزن قدرة علوية في التعامل المرن مع التحديات. وكانت لمقولة الإمام علي (رض) «لا تكن غضّاً فتعصر ولا يابسا فتكسر» هي المعادلة السياسية التي عمل بها طوال فترة حياته ثم تركها خلفه منهجا لخليفته والمتصدين لشؤون الدولة من بعده، فلم يكن غضّاً لينا في مواقفه السياسية حتى لا يطمع عدو في النيل من إرادته، وكذلك لم يكن يابساً صلباً فتكسره الاحداث التي ربما لا يستطيع مواجهتها في مقطع زمني معين، وكلا الموقفين عنده يدخلان في حسابات تشخيص المصلحة العليا واستحقاقاتها، فإن كانت تتسع للمرونة فهو الموقف الشرعي عنده، وان كانت تفرض الشدة والصلابة فهو الموقف الذي لا يتراجع عنه. وفي هذا الاطار يرد شاهدان على المرونة والشدة: الاول؛ موافقته على وقف الحرب المفروضة على الجمهورية الإسلامية من قبل نظام الغدر في بغداد، وما كانت تفرضه هذه الموافقة من ضغط على الاعصاب والذات لم يكن يتحملها الكثير من القادة في حروبهم لأنها تعني في قواميسهم الانهزام فيعرضون شعوبهم وأوطانهم الى أشد البلاء والمحن والدمار ولا يملكون الجرأة والشجاعة على تعريض ذواتهم لتحمل المكروه، وقد قال (رض) كلمته العظيمة «تجرعت السم»[٤] وكان بإمكانه ان لا يتجرعه ويدع إيران تواجه مؤامرات الاستكبار وأذنابه ويدع الشعب الإيراني يغرق في بحر من الدمار والخراب.

والشاهد الثاني فتواه الشهيرة بحق المرتد سلمان رشدي التي أصر عليها رغم كل الضغوط واستمر فيها رغم كل التحديات ووضع المرتد والمؤامرة التي تقف خلفه في حرج شديد وأحدث تعبئة إسلامية عامة من خلال تجييش المشاعر الإسلامية في الرد على الاهانة التي تعرضت لها مقدسات المسلمين. وفعلا بعد هذه الفتوى الضاجّة في العالم حصلت مواقف وفتاوى بحق مرتدين لا يمكننا القول انها أنهت الردة والاعتداء على المقدسات بقدر ما أعادت الثقة عند الأمة وحفزتها لاتخاذ المواقف المناسبة من هذه الاعتداءات حتى

(٤) من خطاب له بعد قرار إيقاف الحرب العراقية الإيرانية المرقم ٥٩٨.

لا يظل المسلمون مخدرين لا يملكون قدرة على ردة فعل وان كانت تستهدف المقدس من حياتهم.

وفي جوانب أخرى يتمسك (رضوان الله عليه) بكلام علي أمير المؤمنين(ع) «والله ما معاوية بأدهى مني ولكنه يغدر ويفجر، ولولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس» وفعلا لم يكن الغدر متعذراً على من يريد الغدر ومن يريد التنكر للقيم والأخلاق في الميادين المختلفة فتركه لنمط السياسيين المراوغين ليس ناتجا عن عدم معرفة ولا فقدان قدرة بقدر ما هو منهج عرفاني أخلاقي في حياته ونهجه والتربية التي نشأ عليها في خط أهل البيت (عليهم السلام). كان بإمكانه ان يعطي قليلا مما يرضي الاستكبار ليأخذ الكثير وكان بإمكانه ان يسكت عن القليل فيتجنب الكثير من التضحيات ولكنه كان ينطلق في خطاباته من شعور بالمسؤولية عن تربية الأمة وتغيير الكثير من معالم حياتها التي ورثتها عن العهود السابقة، فاختلطت فيها عوامل الغدر والصفاء والصحيح بالسقيم. ومن هنا فإن من يتصدى لمهمة التغيير وإصلاح النفوس يكون في أقصى درجات الحاجة الى الدقة والتثبت من مفردات كلامه وسلوكه، لأنه وضع نفسه في موضع القدوة والمثال الذي تأخذ عنه الأمة دون تمحيص في عهد الانتصار والقوة فلم يرد الإمام (رض)في خطابه ان يجعل الناس في حيرة بين ما يجب أخذه او تركه وبين ما هو مقبول او مرفوض، ولأن عامة الناس لا تملك القدرة على الفرز ومعرفة جدية الموقف من عدمها.

٧ - ان أبرز الصفات التي تزين كفاءة القائد هي وعيه الدقيق لأبعاد ومفردات الصراع الحضاري الشامل التي تشكل تحديات في طريق الوصول الى الهدف وتحت هذا العنوان تدخل جملة منها طبيعة العدو وأهدافه واساليبه وآلياته في إخضاع إرادة الطرف الآخر ونقاط القوة والضعف والمنحدرات التي قد يصلها الصراع من خلال الانتقال لمفردة صراعية هنا وخلافية هناك، وان الجهل بكل هذه المقومات تجعل القائد يسير على غير هدى ويتحرك دون وعي لما يجب ان يعمله او يتحاشاه وما يجب عمله اليوم او غد او بعد غد.

الإمام الخميني (رض) وفي مرحلة مبكرة من عمره وانطلاقا من الشعور المركز بوجوب حماية الإسلام من الاستكبار وحماية المسلمين من النهب والجشع، امتلك درجة متقدمة من الوعي السياسي والانفتاح على مفردات الصراع في عمقها الاستراتيجي الذي يحركها ولم يقف عند ظواهر الصراع القشرية حيث أعاد المعركة الى مناصبها وجذورها مستخدما جملة شعارات أحيا بها أصول المعركة التي عبّر عنها القرآن الكريم بالصراع بين المستكبرين والمستضعفين. كما نجح في تعبئة كل الموروث الإسلامي على مستوى المفهوم

والتاريخ والممارسة لصالح عملية المواجهة وعياً منه بخطورة الهجمة الاستكبارية وحجم المعركة وأبعادها وهنا لم يقف الإمام عند حدّ مفردات القوة في الموروث التاريخي الشرعي في عملية اندفاعة قوة تغفل مخاطر مثل هذه الاندفاعة، إنما نجح الى حدّ كبير في تحديد المرحلة التي يحسن استخدام هذه المفردة او تلك مدركا ان استخدام مفردة مكان اخرى لا يعود بنجاح للمسيرة بقدر ما تخلف من انتكاسة او تفتح معركة جديدة لا يملك القائد مقوماتها.

والمراقبون يقفون أمام ظاهرة وعي الإمام لمفردات الصراع الحضاري بأبعاده المختلفة اجلالا لرجل لم يُعرف عنه أنه عاش مسافراً ومتجولاً في العالم بقدر ما كان لم يختلف في ظاهر حياته العامة عن عامة العلماء والمراجع الذين يعطون كامل وقتهم للدراسة والتبليغ والكتابة. وهنا يمكن قراءة جملة مقومات احدثت هذا الوعي؛ منها الربانية في التفكير والاخلاص لله والعمل في سبيل نصرة الإسلام والتواضع ونكران الذات والغيرة على الدين والمسلمين والشعور بالمأساة لما يمر به الإسلام والمسلمون من ظروف استثنائية لا تليق بموقفهم الذي أراده لهم الله.

ومن هنا انفتح بمسؤولية على كل قضايا المسلمين فلم تكن عنده قضية إيران مقدمة في الاهتمام على قضية القدس او العراق الا بقدر ما تتسع له قدراته الخارجية. هذا الاهتمام والغيرة هي التي فتحت آفاقه وأحدثت عنده ظاهرة المتابعة الدقيقة المنطلقة من أصالة التفكير واستلهام حرّ واع للتاريخ وسننه والصراع وآلياته.

ومن متابعة مسيرة الإمام (رض)نرى انه كان قد أجرى عملية مراجعة تاريخية لعوامل نشوء واختفاء الحضارات السابقة فأخذ منها دروسا تجريبية وظّفها بقدر ما أتاحت له الايام المثقلة بالهموم والتحديات ليجعل من هذه التجارب دروسا للحاضر على أنقاض الماضي، ويتضح أيضاً من خلال تركيز الإمام في خطاباته الخاصة والعامة انه أدرك أن أصول كل المشاكل والتراجعات والمآسي التي مّر بها العالم كانت حضارية وان معركة الحاضر لن تختلف عن معركة الماضي.

من هنا انطبعت الكثير من صفات العملية الحضارية في شخصية الإمام، ومنها نشر الوعي والافصاح عن الحقائق وتربية الأمة لأنها مادة الصراع والحصن الذي يردع الهجوم الحضاري المعادي ومنها استقباله للنقد ومطالبته المسؤولين في الدولة الإسلامية لتقبل النقد وتفعيله وفق الضوابط الاخلاقية والشرعية، فشهدت إيران حرية النقد والتعبير من خلال الصحافة والمنابر والكتاب وغيرها، كما اعتمد مبدأ صناعة قادة معاونين يتصفون بصفات

حضارية لأنهم يسهمون حتما بشكل فاعل في إنجاح العملية الحضارية في ميادينهم المختلفة فكان حوله لفيف من خيرة القادة شعر الاستكبار بخطورتهم المستقبلية فحرك أذنابه لتصفيتهم في عمليات تدلّ على دقة تشخيصهم لخطورة بقاء هؤلاء في ساحة المعركة. والأهم في الأمر ان الإمام (رض) ركّز القاعدة الاسلاسية لانطلاقة الصراع الحضاري على أساس العقيدة والمبادئ حتى تكون الصلة التي تربط العملية مع السماء قوية مثبتة على ضوء ما أشارت إليه الآية الكريمة ﴿**فمن اتّبع هداي فلا يضل ولا يشقى**﴾.

ويبقى خطاب الإمام الذي أنتج دولة مجالا خصبا للتأمل والتدقيق والنقد وهو بحق نموذج للخطاب الناجح الذي يصح ان نضعه الى صف خطاب كبار القادة في العالم الذين صنعوا التحولات الكبيرة في التاريخ.





فى مجلسه عندما كان منفياً فى ضاحية نوفليه لوشاتيه الباريسية

الفكر التغييري عند الإمام الخميني

العلامة الشيخ جواد الخالصي

في الانعطافات الكبرى في تاريخ البشرية، تتجه الانظار وبسرعة الحدث الى البحث عن الفكر الكامن خلف عملية التغيير التي واكبت تلك الانعطافات الحادة، ولعل حدث الثورة الإسلامية المنطلقة من إيران وبقيادة الإمام الخميني (رضوان الله عليه)، كان اكبر الاحداث سرعة في تاريخ الأمة وتاريخ الإنسانية المعاصرة.

وتبعا لذلك كان الفكر التغييري الذي صاحب الحركة وأدى الى الثورة، متميزا بصفات خاصة، استطاع من خلالها ان يولد الحدث الكبير.

وهنا يأتي الحديث عن هذا الفكر ومواصفاته وكيف تستطيع مجتمعات إنسانية اخرى ان تقتبس منه ما يعينها على الحياة الكريمة والتحرر من العبودية.

وكيف تتمكن مجتمعات إسلامية ان تفرق بين إسلام اصيل يصنع الثورات ويرفض المظالم والاعترافات وبين صور مشوهة عن الإسلام وعن الدين عموما تدعو الى الاستسلام وتنتهي الى الخنوع امام الظلم والقوى الجائرة التي تريد التحكم بمصير البلاد والعباد عن غير حق، وانما بوسائل الجور والقهر والإرهاب، من هذا نكون قد وضحنا بصورة عامة ومختصرة ما هو المقصود بالفكر التغييري، انه وبكلمة واحدة الإسلام، وعلى حد وصف الإمام الخميني المختصر (الإسلام المحمدي الاصيل) تمييزا للإسلام الاول عن التشوهات التي اصابت الدين الحنيف من جراء ممارسات حكام الجور وفقهاء السلطان ووعاظ البلاط. وبسبب البدع المستحدثات التي شوهت صورة الدين الناصعة وعددت المسالك وباعدتها

(*) من الشخصيات البارزة في المعارضة الإسلامية العراقية، مقيم في دمشق.

عن بعض، مما أدى الى نشوء الفرق والمذاهب المتناحرة. انه الإسلام الاول وبطبيعته، فهو إسلام ما قبل المذاهب وما قبل الفتن، ودون إلغاء دور الفقهاء كمرجعيات دينية.

على كل مسلم ان يتقيد برأي فقهي محدد لكي لا يقع عمل الإنسان عن غير تقليد ولا اجتهاد فيقع في خطأ الانحراف والخطيئة والعصيان، هذا الوصف العام للفكر التغييري الذي تبناه الإمام من منطلق الإيمان المطلق والمقدس بأن الإسلام هو دين الله الى العباد وانه وحده القادر على قيادة الحياة وإسعاد الإنسان وإنقاذ المجتمع، وان قوانينه هي التي تحرر الإنسان والشعوب وتكفل السعادة للإنسانية هذا الوصف العام لا بد وان نضع له بعض المميزات لكي نبتعد عن الصورة الدخيلة التي افسدت حياة الأمة وأضلت بعض أبنائها فأبعدتهم عن المعين العذب الفرات وساقتهم الى ماء الملح الأجاج.

١- الدين الحق عقلاني لا يعارض العقول السليمة والفطرة الصحيحة.

٢- انه يستند الى الكتاب والسنة كمصدرين وحيدين او رئيسيين للتشريع.

٣- انه دين إنساني - لا يفرق بين العباد - ويسعى لهداية كل البشر وإنقاذهم من الضلال.

٤- انه دين تحرري يسعى لتوحيد العبادة والخضوع لله وحده، وبذلك فهو يسعى حتما لتحرير الشعوب من قوى الاستعمار.

٥- انه دين النظام وقوانينه أرقى من القوانين الوضعية والتي اخترعها الغربيون - لتحقيق مصالح الشعوب وحماية حقوق الإنسان.

٦- انه دين وحدوي، يجمع أبناء الأمة على مبادئه، فلا يفرق بين مذهب وآخر وقومية واخرى، ولا بين إقليم وآخر.

٧- انه دين يحترم الأمة وقومياتها وثقافاتها المختلفة غير المتعارضة معه، ولكنه يرفض مبدأ التمييز او التكتل القومي.

٨- انه دين يؤمن بحاكمية الله وبمساهمة الأمة كلها ورقابتها للحاكم الذي ليس له من شرف الا خدمته وامانته.

٩- انه دين حضاري، يؤمن بالتقدم العلمي والمدني ولا يجد ذلك معارضا لمبادئه.

١٠- انه دين يؤمن بالولاء والاتّباع للنبي وآله وكل السائرين على المنهج، ويجمع كلمتي الشيعة والسنة في معنى لغوي واحد.

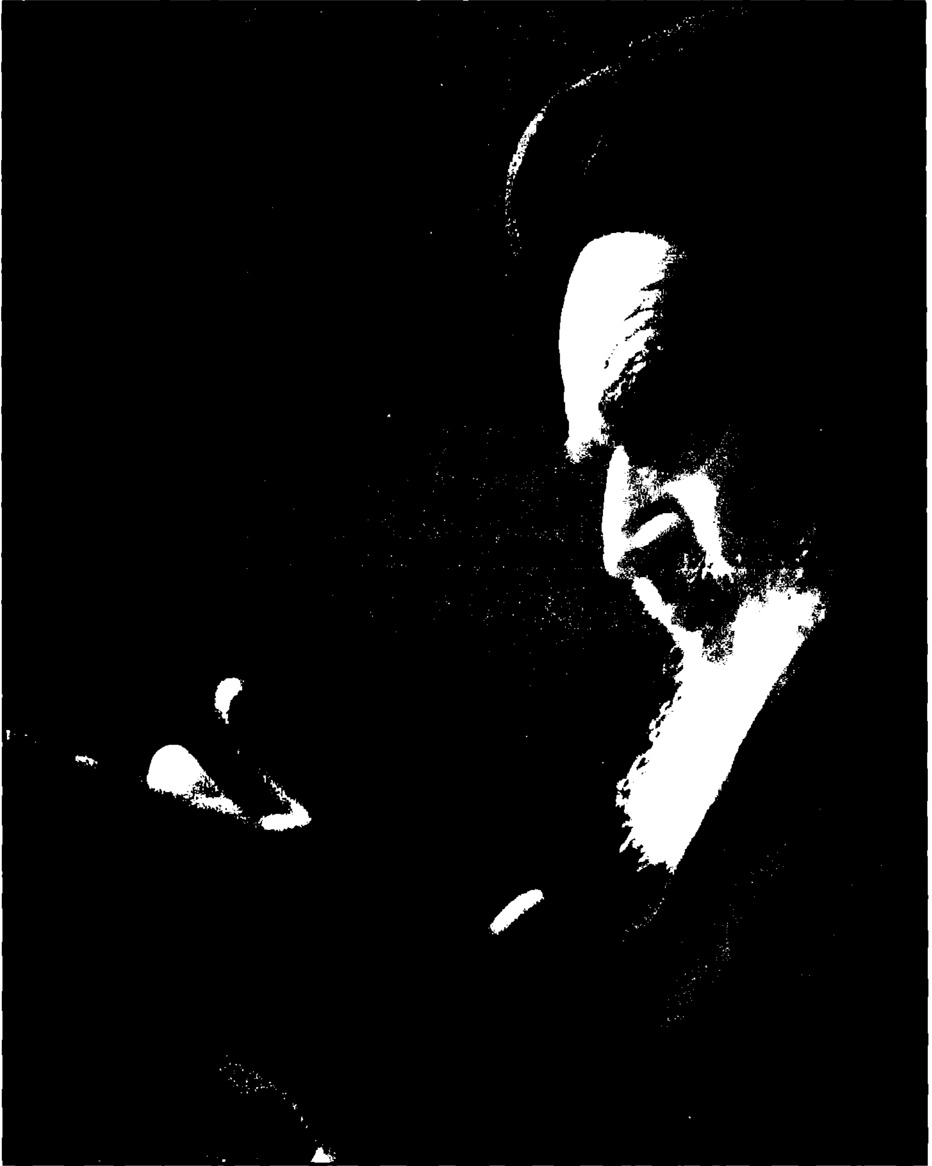
١١- ان هذا الدين يمثله علماء الحق الزاهدون الصادقون والمجاهدون، دون قدسية محددة بلباس خاص او وضيفة مميزة باسم رجال الدين، او نواب الحق الإلهي.

١٢- ان هذا يضمن المصالح الوطنية للدول الإسلامية ويصون استقلالها، وبذلك يحتوي في طياتها كل المصالح الوطنية والقومية ويجنب الأمة مضار الفكر الاقليمي والعنصري .

ان كل فقرة من الفقرات السابقة تجد لها مصاديق كبيرة، هذه هي المواصفات العامة التي تفصل الشعار المجمل لعنوان الفكر التغييري، وانني اعتقد جازما ومن خلال متابعتي لحركة الإمام الراحل منذ أوائل الستينات وعبر نتاجاته المتعددة وحتى انتصار الثورة ان الإمام كان مخلصا الى حد الشهادة لهذه المبادئ والافكار، وان كانت الظروف والأجواء المتحجّرة وبعض العقول المتعصبة في الداخل والعدوان الخارجي وحصاره الطويل قد منعت الأمة والإمام من إمكانية الاستفادة الواقعية من هذا الفكر العظيم، وترجمته تماما في ساحة الحياة العملية.

والحمد لله رب العالمين.





(ربنا افرغ علينا صبراً وثبّت اقدامنا و انصرنا على القوم الكافرين)

الإمام الخميني كتلة هائلة تكوّنت عبر مئات السنين

الأستاذ حسن العلوي

ان الحديث عن شخصية الامام الخميني (رضوان الله عليه)، يتصل بجوانب فكرية واجتماعية وسياسية وأخلاقية وسيكولوجية.. فاذا كنا نقصد بشخصية الإمام الخميني الموقف السياسي، فهو في صدارة الشجعان الثابتين على موقفهم.

واذا كنا نقصد بشخصية الإمام الخميني الفكرية، فهو من الفقهاء والمجددين، وإذا كنا نقصد بشخصية الإمام الخميني الشخصية الأخلاقية فهو في الزهد والعطاء مثَل من الصعوبة ان يحتذى.

إن الامام كتلة هائلة من النوع الانساني الذي لا يتكون الا عبر مئات السنين كما تتكون البحار، والجبال والأنهار والقارات. الإمام الخميني ليس قطعة بهذا الكون الكبير.. هو كون وتتصل به مجموعة من الصفات. أنا اعتبر نفسي قطعة من كون الامام الخميني... لست اسلامياً وما ادعيت ذلك، كما إنني لست علمانيا، ولكنني كأي انسان أعجب بالموقف والشجاعة والنزاهة والبطولة، أرى في الإمام الخميني جوانب يتوقف عندها عظماء التاريخ.. الإمام الخميني تجاوز حتى أولئك العظماء.. ليس كلامي هذا مجرد استعانة بجمل بلاغية، لأنني أصدر أحكامي عن الامام الخميني من تجربة فكرية واسعة فقد درست الائمة والفقهاء.. درست مفكرين إسلاميين ومفكرين يونانيين وأوروبيين، والإمام الخميني هو واحد من هؤلاء المفكرين الكبار... فرقه عنهم:

اولا: انه حوّل أفكاره الى واقع يومي.

(*) كاتب سياسي مستقل - له مؤلفات عديدة في تاريخ العراق المعاصر.

ثانيا: انه كان يعيش تلك الافكار، فحياته وفكره شيء واحد.

والإمام الخميني عندما يدعو عامة المسلمين الى أمر فهو يعني انه هو أول من يسارع الى هذا الامر. والا كيف نفسر أن شيخا في مثل سنّه وهو يهبط من سلم الطائرة على أرض مدججة بالاسلحة من قوات الشاه ولا يملك سوى عباءته وقميص من القطن الابيض؟ ان مشهد الإمام وهو يهبط من الطائرة يعكس لنا تلك الشخصية الهائلة.

تفعيل دور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

لقد عُرف الامام الخميني بأنه قائد الثورة الاسلامية، هنالك جانب آخر وهو أنه قائد للتنوير الفقهي الجديد. وتجديده للفقه يتضح بجلاء في تفسيره وفهمه لمسألة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وتطوير هذا المبدأ الى نظرية ثورية في المواجهة، مواجهة الظلم والطغاة والعتاة..

لماذا يجري تصغير الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ بحيث نحمل عصا لنسوق الناس لإغلاق دكاكينهم، او لملاحقة أرجل النساء.. هذه الأمور صغيرة جداً جداً بينما نعيش في خوف ورعب من سلطة ظالمة.

ان الإمام الخميني حوّل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الى مسألة سياسية واسعة وكبيرة، ألا وهي التصدي للخطر والظلم.

بالإضافة الى ذلك فهم الإمام الخميني فكرة الامام المهدي المنتظر باقتحامه مبدأ ولاية الفقيه، لأننا لا يمكن لنا ان ننتظر حتى تحين الساعة وتظهر الإرادة الإلهية بظهور الامام الغائب حسب ما قال الامام الخميني في كتابه (الحكومة الاسلامية): بعد مئة عام او ألف عام او ألفي عام او الى أجل لا يعرفه الا الله، فماذا يفعل المسلمون والناس خلال فترة الانتظار تلك؟

الامام الخميني حلّ مشكلة الانتظار، وبدلا من ان تغدو فكرة الإمام المنتظر، او يروَّج لها على انها حالة من اليأس والتيئيس او إشغال المسلمين او إلهائهم بعيدا عن مواجهة واقعهم، بانتظار من يحلّ المشكلة بظهور الامام المنتظر، فإن الإمام الخميني قال: إن حلّ المشكلة يمكن ان يكون له وجهان؛ الوجه النهائي هو بظهور الامام المنتظر... والوجه الحالي هو ان يكون هناك نائب الامام والولي الفقيه الذي يساهم بحل هذه الاشكالات السياسية والاجتماعية ويقود المجتمع الكبير من جديد الى المستقبل الواعد.

إن ثورة الإمام الخميني الفقهية هي مثل ثورته السياسية، ورجل في مثل هذه السن

استطاع بعمامته وبعباءته وبحصيرته أن يهزّ الكون.

تضحيات لا بد منها

سمعت الكثير من الناس وهم يقولون لو أن الثورة الاسلامية في الجمهورية الاسلامية الايرانية لم تُقِم محاكم ثورية لتصفية السياسيين من العهد البائد، وكانوا يتمنون لو ان الامام فعل كما صنع النبي(ص) مع المشركين بعد دخول مكة.. هذا كلام يتنافى مع واقع الحال باعتبار ان لكل ثورة ظروفها... الامام الخميني لو أنه كان لجأ الى العفو، كان يمكن الا تصمد الثورة لأن اتساع حجم الخصوم آنذاك أكبر من حجم الثورة، خصوم محليين وإقليميين ودوليين.

من جانب آخر يتفق العالم كله - الاسلامي منه والمسيحي - على ان الإمام الخميني قائد فذ وشخصية عالمية هزت العالم أجمع في الخمس الاخير من القرن العشرين.

ان الامام الخميني، كمجاهد هو من تلك السلالة العلوية التي حملت القرآن بيد والسيف بيد أخرى.

وثورة الإمام الراحل هي جزء من تلك الثورة التي بدأت مع الامام علي بن أبي طالب(ع) فقد عاش الإمام علي ورحل وهو ثائر، فكلاهما رفض الحكم ولم يتحول الى حاكم، وهذه نظرية آل البيت. وكسياسي أدار الامام الخميني سياسة الدولة بمهارة فائقة أذهلت السياسة الغربية المتمرسة حين كانت معجبة به، بل وتنظر بانبهار شديد الى طريقته في حكم بلاده، ولهذا لم يخطئ أي خطأ سياسي. كان قائداً سياسياً ثورياً، ولم تكن الثورة لتشغله عن السياسة، وثبت أنه يدير الصراع إدارة سياسية عظيمة.

لقد ترك الامام الراحل أثره في العالم أجمع، سواء لدى الوطنيين او الثوريين او السياسيين، وستبقى آثاره وتأثيراته لعشرات السنين بانعكاساتها في المجتمع العربي والمجتمع الاسلامي.

دوره في تثوير الحركة الاسلامية

أدخل الامام الخميني تغييرات كبيرة جدا في كافة نواحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، بحيث غيّر المسلمون نظرتهم الى مسيرة تحركهم السابق ونظرتهم للتغيير، خاصة وانهم كانوا يأخذون بفكرة الطاعة المطلقة لأولي الامر.

لقد رأى المسلمون كيف تحول الإيرانيون الى ثوريين يخوضون في كافة المجالات

الحياتية في هذه الدولة العظيمة.. حتى ان الكثير من المفكرين الاسلاميين السنّة راحوا يبحثون في التراث الاسلامي عن فتاوى تبيح لهم الثورة على الظلم... وبشكل عام فإن التثوير الاسلامي الراهن هو من أثر الإمام الخميني.

أعود لأؤكد بأن التضحية والثورة ليست بشيء جديد في تراث أهل البيت، وهي ليست أمراً غريبا، فالامام الخميني هو من مدرسة أهل البيت. كان هو المضحي، ولقد أنذر حياته من أجل بلاده... وقلما تجد في العالم أجمع - إماما مثله - أصبح جزءاً من تاريخ الأمة الاسلامية جمعاء.

تقييم نتائج الحرب الظالمة بعد (١٢) عاما من حدوثها

ان صدام حسين لم يكن يمثل في الحرب العراقية - الايرانية إرادة الشعب ولا إرادة البلد حينما قام بحربه الظالمة ضد الثورة الاسلامية في إيران.. ولم تكن هناك أية ضرورة او حاجة لتلك الحرب، لأن هذه الحرب التي فجرها صدام حسين هي حرب نيابة عن الدول الاستعمارية والرجعية جمعاء. وهي لا تحدث بإرادة الشعوب.

حرب صدام حسين ضد إيران - والتي سماها فارسية - هي من الحروب الوهمية، وهي حروب النيابة... حرب وهمية اشتعلت بالنيابة عن المصالح الدولية... وبالتأكيد ان الطرف الذي أشعل هذه الحرب هو المستفيد الوحيد منها... فهو مرتزق ومكلّف بهذه الحرب.. قُتل من قُتل، والامام الخميني واجه هذه الحرب بشجاعة منقطعة النظير.

لقد زود الصهاينة صدام حسين بالأسلحة إضافة الى الدول الغربية الاستعمارية وكانت حرباً سفيانية فجّرها صدام لمواجهة الثورة الاسلامية في إيران وهي في بداياتها، إذ لم تتبين معالم سياستها الخارجية بعد، فكيف تم الحكم عليها؟!

ولم يفاجأ العالم الاستعماري الغربي بهذه الحرب.. لأنها اشتعلت أصلا من أجل حماية المصالح الامبريالية في المنطقة، حتى ان فرنسا كانت من أكثر الدول المستفيدة من هذه الحرب.. حتى أكثر من أميركا ذاتها.

الامام الخامنئي خليفة الإمام الخميني

الحقيقة ان الثورة الإسلامية في الجمهورية الإسلامية الإيرانية هي الآن في مخاض عسير، وهناك اشتباكات، وهناك وجهات نظر مختلفة.. فالنظرية الثورية، يمثّلها الإمام الخامئني وكذلك نظرية السلطة السياسية. وأنا عندما أراقب ما يجري لا أتمنى ولا أرغب ان تصبح الثورة الاسلامية في إيران وبعد عشرين عاما، هي مثلها مثل الثورة البلشفية بعد

(٧٠) عاما. وأنا عندما أقول إنني لا أخفي مخاوفي مما يحدث، لأن هؤلاء البعض من العرب الذين يصفقون لمن يسمون أنفسهم بالإصلاحيين، هم ذاتهم الذين صفقوا لغورباتشوف.. سابقا.. وانتهت الأمة العربية الى حيث انتهى الاتحاد السوفياتي.

ان الجمهورية الاسلامية الإيرانية تمثل الآن قوة في التوازن الاسلامي - العربي- الصهيوني، وان أي تغيير في الثورة الاسلامية الإيرانية يعني فقدان العرب وفقدان المسلمين لقوتهم.

الثورة الإسلامية ربما تمر الآن في مأزق، وقد يكون هناك نوع من الترهل في حياتها. ثمة أشياء غريبة تحدث في إيران، هناك جيل جديد، وله حقوق يطالب بها، لكن ما هو أخطر أن يأتي صحفيون طارئون ليس لهم علاقة بالفقه في بلد الفقه الاسلامي العريق، ويتصدون للأمر بحيث أصبح يقال عن الفقيه الحقيقي بأنه مارق، ومتشدد، ومتزمت، وهذا إسلامي وهذا غير إسلامي! الأمر الذي يدعو الى حالة من الدهشة والاستغراب.

ومرة أخرى أقول إذا نجحت الدعوات التي يطلقونها للتجديد.. فمعنى ذلك زوال العمامة والعباءة وزوال رجال الدين الحاكمين وهم الحكماء لأية إدارة او سلطة، وانا أعتقد ان الاصلاحيين هم أول مَن يُعدون لو تغيرت الأوضاع بشكل يخالف مسيرة الإمام الراحل.

لكنني وبحضور ثلاثين صحفياً في لندن يمثلون أغلب وكالات الأنباء العربية والاجنبية والعالمية قلت بصوت عال.. أنا مع الامام الخامئني، أنا معه في صدقه وفي نزاهته وفي براءته وفي إيمانه وفي عدالته. هو وريث الإمام الخميني، وأنا مع الامام الخامنئي قلبا وقالبا.

الامام الخميني في تاريخنا المعاصر هو قدوة للجميع

ان الامام الخميني (قدس سره) هو آخر الأئمة العظام.. لقد جاء بما لم تستطعه الاوائل ونجح فيما أخفق فيه الآخرون ووقف صامداً شجاعاً فيما خسر الآخرون.. الامام الخميني هو أثير زمانه.. في شخصيته الفذة. هو ليس سياسيا، وهو ليس قائد ثورة، هو الاثنان معا.

الامام الخميني هو إمام من الائمة العظام وهو من تلك السلالة الطاهرة، وحقيقة لا يستطيع أي واحد منا أن يثمن هذا الشيء، بل إننا وجميع المسلمين نتبارك به، وأنا وبكل صدق ووضوح أقول على رؤوس الأشهاد؛ انا عاشق هذا الامام... وأنا ذائب فيه.. وصحيح ان الخمينيين يعانون الأمرين من مصاعب. ولكن الخمينية بريئة من هؤلاء الذين

يهاجمون الاطفال والنساء والرجال في القرى والمناطق في بعض الدول العربية والاسلامية... الخمينية لم تقتل رجال السلطة البائدة وإنما قادتهم الى المحاكم... الخمينية لم تغزُ قرية، ولم تقتل حارسا ولم تذبح مدنياً واحداً... ولم توقف في الشارع العام امرءاً وتذبحه.

الخمينية واجهت الشاه وقواه وجها لوجه.. لقد كان الامام الخميني (رحمه الله) مثله مثل الإمام الحسين: «اذا كان دين محمد (ص) لا يستقيم الا بقتلي فيا سيوف خذيني» ونحن ومهما تكلمنا عن الامام الخميني (قدس سره)... فلا يكون كلامنا الا نقطة في بحر أعماله وإيمانه وشجاعته ومروءته وبطولاته المتعددة.



وقفات مضيئة في وصية الإمام الراحل

الدكتور السيد أحمد الموسوي

بمناسبة مئوية الإمام الخميني (قدس سره) قائد الثورة الإسلامية وأحد ابرز قادة الأمة الإسلامية والعالم اجمع، لابد ان نتوقف مع جوانب من حياة هذا القائد الخالد، في سيرة حياته الزاهدة ونضاله ضد الحكم الشاهنشاهي وحياته في المنفى وسنوات النضال والسنوات العشر في قيادة الثورة الإسلامية في إيران، والتطورات التي شهدتها إيران الثورة بفضل توجيهاته الحكيمة التي تضمنتها وصيته الخالدة.

تتطرق الوصية الإلهية السياسية للإمام الخميني (قدس سره) الى جوانب عديدة منها الحكم والإرشاد والتوجيهات الى المسؤولين والى مواقف الاحزاب المعارضة ورجال الدين.

وأخذت المحطات الهامة في الوصية التي يؤكد من خلالها الإمام الراحل على احترام حقوق الإنسان ودور الإنسان وأهميته في الحياة والبناء والازدهار الذي تشهده إيران الثورة. وكذلك أتاحت الفرص عبر السياسة العامة للحكومة الإسلامية في إيران او من خلال تشريعاتها لتتبوأ المرأة موقعها في المجتمع الإيراني ولترفد طاقاتها وإمكاناتها مع الرجل.

وهذا تأكيد جديد على ما قدمته الثورة الإسلامية في إيران من مفاهيم جديدة عن المرأة التي تعاني الحرمان والنقص في التمتع بحقوقها في الكثير من الدول العربية والإسلامية.

وفي الوقت الذي نجد المرأة الإيرانية في البيت لتربية الاولاد، نجدها في جبهات القتال

(*) خبير في القانون الدولي، رئيس الجمعية العراقية لحقوق الانسان / دمشق.

وفي الوزارات والبرلمان والملاعب الرياضية وفي المصانع.

وتضمنت الوصية الإشادة بجهد ودور الملايين من الناس والآلاف الشهداء الخالدين والمعاقين في نجاح الثورة الإسلامية، والتي هي أمل ملايين المسلمين والمستضعفين في العالم.

وأوصى المعنيين بأن يعرفوا قدر الشعب الإيراني وعدم التقصير في خدمته خصوصا المستضعفين والمحرومين والمضطهدين ووصفهم المرحوم في وصيته «هم نور عيوننا واولياء نعمنا جميعا، والجمهورية الإسلامية إنجازهم، وقد تحققت بتضحياتهم وبقاؤها مرهون بخدماتهم واعتبروا أنفسكم من الناس والناس منكم».

وتجاوز الراحل الخالد في وصيته الحدود الجغرافية لإيران والشعب الإيراني لتشمل سائر الشعوب والتي أطلقت عليها الشعوب المبتلاة بالحكومات الفاسدة والأسيرة للقوى الكبرى.

وناشد القائد في حياته المسلمين في العالم بالتوحد لمواجهة قوى الإستعمار والعدوان، كما وسع دائرة مناشدته لتشمل «المستضعفين في الأرض» وهذا يعني بأن كل المقهورين والمظلومين في عالمنا كانوا محط اهتمامه، أي انه كان أمميا في توجيهاته وطروحاته.

وحثّ الإمام الراحل (قدس سره) في وصيته على حق الانتخاب، وبذلك يؤكد على ممارسة حق هام من حقوق الإنسان وهو حق الانتخاب وتعزيز دور المواطن في اختيار نوابه، وهي مقدمات في تعزيز مؤسسات المجتمع المدني وترسيخ الممارسات الديمقراطية واحترام حقوق الإنسان.

وأكد (قدس سره) في وصيته على أهمية المشاركة في الانتخابات كما هو مبين في النص التالي: «وصيتي الى الشعب الشريف ان يكونوا حاضرين في جميع الانتخابات سواء انتخاب رئيس الجمهورية او ممثلي مجلس الشورى الإسلامي او انتخاب الخبراء لتعيين شورى القيادة، وان يكون منتخبوهم وفق الضوابط التي تجب مراعاتها مثلا لينتبهوا انه اذا حصل تسامح في انتخاب الخبراء لتعيين شورى القيادة او القائد ولم يتم انتخاب الخبراء وفق الموازين الشرعية فمن المحتمل جدا ان تلحق بالإسلام والبلد خسائر لا تعوض.. وعندها يكون الجميع مسؤولين أمام الله تعالى».

وأكد المرحوم الخالد في وصيته السياسية على ضرورة ان يكون رئيس الجمهورية وممثلو المجلس من طبقة تلمس محرومية مستضعفي المجتمع ومحروميتهم ومظلوميتهم وتعمل على تحقيق رفاهيتهم لا من طبقة الرأسماليين.

وأشارت الوصية الى الأقليات واحترام حقوقهم والى المستضعفين في العالم ليخاطب المسلمين في سائر أنحاء العالم بالعمل والجهاد للخلاص من حكم الاستغلال والعبودية: «وصيتي الى جميع مسلمي العالم ومستضعفيه هي، يجب الا تجلسوا منتظرين ان يأتي حكام بلدكم ومن يعنيهم الأمر، بالقوى الاجنبية ويجلبون الاستقلال والحرية هدية لكم».

وأكدت الوصية على ضرورة مراقبة السلطة التنفيذية، ويعني هذا إيلاء الاهتمام بدور المراقبة في رصد الانتهاكات والخروقات التي ترتكبها السلطة التنفيذية، وتعزيز دور الرقابة هي حماية لحقوق الإنسان، وللأهمية نورد النص التالي:

«وصيتي للوزراء المسؤولين في العصر الحاضر والعصور الاخرى انه بالاضافة الى ان الميزانية التي ترتزقون منها انتم وموظفو الوزارات هي مال الشعب ويجب ان تكونوا جميعا خداما للشعب وخصوصا المستضعفين، وإيجاد المشقة للناس والعمل بخلاف الوظيفة حرام. وأحيانا لا سمح الله يوجب الغضب الإلهي، كلكم بحاجة الى دعم الشعب، بدعم الشعب خصوصا الطبقات المحرومة تحقق النصر وقطعت يد الظلم الملكي عن البلد وذخائره، واذا حرمتم ذات يوم من دعمهم فانتم أيضاً تعزلون وتحتل الظلمة مواقفكم بدلا منكم كما كان الأمر في النظام الشاهنشاهي».

كما أولت الوصية اهتماما بالتعليم والتربية ولم يحددها بمرحلة معينة بل من دور الحضانة حتى الجامعات، ومن هذا الاهتمام يؤكد القائد الراحل من جديد على احترام حق آخر من حقوق الإنسان وهو حق التعليم، الحق الذي تؤكد عليه كل الاعلانات والمواثيق الدولية المعنية بحقوق الإنسان.

إننا عندما ننطلق في دراسة أبعاد الشخصية الخمينية نجد أنها كانت شخصية وثابة وحيوية وذكية دائما سواء قبل انتصار الثورة الإسلامية في إيران او بعد هذا الانتصار العظيم الذي عزز الأمل في نفوس الأحرار والمناضلين في أنحاء العالم.

فلقد تميزت سنوات إقامة الإمام الراحل (قدس سره) في العراق بنتاجها المثمر في الإرشاد والعمل الجهادي وابتكار وسائل متطورة للتواصل مع الشارع الإيراني. بعيدا عن رقابة عملاء وأجهزة النظام الحاكم في العراق والاجهزة الامنية الشاهنشاهية وكانت تسجيلاته الصوتية توزع بشكل دائم في محافظات إيران بعد ساعات من القائها من منفاه في مدينة النجف الاشرف.

وأثمر جهد القائد في اشتداد واتساع دائرة المعارضة وتعاظم دوره في قيادة الشارع الإيراني ليواجه هذا الجانب المضيء في حياة الراحل، رحلة عذاب جديدة بسبب اتفاق

النظامين الإيراني والعراقي، لمغادرة العراق، وكانت فرنسا هي المحطة الاخيرة من محطات المنفى، وتحققت بوادر الانتصار بقراره المشهور بالعودة الى الوطن، لتستقبله الملايين، وتشهد إيران انهيار مؤسسات الحكم الشاهنشاهي المرتبط بالدوائر الاستعمارية، وتشهد بداية عصر جديد وهو عصر الثورة الإسلامية وعصر المرحلة الخمينية، وتحولت إيران من قاعدة عدوانية الى دولة مساندة للحق العربي وخاصة دعم الشعب العربي الفلسطيني في نضاله العادل وحقه في العودة والذي تجسد باغلاق سفارة (إسرائيل) ورفع علم فلسطين في العاصمة الإيرانية طهران، لترفد إيران الثورة قوة هامة في الصراع مع العدو الصهيوني، وتسهم في قلب موازين القوى في المنطقة.

وقبل ان يحتفل الشعب الإيراني بالذكرى الثانية لانتصار ثورته، اعدت قوى العدوان العدة وأوعزت لصدام حسين شن الحرب على إيران الثورة والتي استمرت ثمان سنوات، لتكبد الشعبين الجارين اكثر من مليون قتيل ومعاق وخسائر مادية باهضة.

ورغم كل خسائر الحرب وما ترتب عليها من نتائج وخيمة، الا ان الحياة الاقتصادية بدأت بالازدهار، وتم بناء ما دمرته سنوات الحرب، ولتشهد إيران مرحلة جديدة في علاقاتها مع الدول العربية، ومنها الدول التي دعمت وساندت ومولت صدام ونظامه في حربه العدوانية.

من جهة أخرى شهدت العلاقات السورية – الإيرانية تطورا في مجالات عدة خلال العقدين من عمر الثورة حتى غدت هذه العلاقة استراتيجية كما تحولت سياسة إيران الداخلية ايجابيا في بناء الإنسان الملتزم بقضايا وطنه وقيم مجتمعه وبالمبادئ والمواقف التي اطلقها مفجر الثورة الإسلامية السيد روح الله الموسوي الخميني (رحمه الله) في كافة مجالات الحياة.

ان إيران الثورة الإسلامية التي اكدت لشعوب دول العالم وحكوماتها والتي تجاوز عمرها العقدين من الزمن، قادرة على مواكبة التطور التقني والتمسك بالثوابت الوطنية والمبادئ والقيم التي تبناها واطلقها المرحوم الإمام روح الله الموسوي الخميني (طيب الله ثراه)، طيلة حياته وفي المقدمة منها، الحفاظ على السيادة، وتعزيز دور المستضعفين في الحياة السياسية والادارة وفي ممارسة الحق الانتخابي الذي ترسخ كحق هام من حقوق الإنسان التي اكدت عليها الوصية السياسية الخالدة واثمرت ثمارها في انتخابات رئاسة الجمهورية وانتخاب السيد محمد خاتمي وإقبال الناخبين بنسبة تفوق نسبتها في الكثير من دول العالم الاوروبية منها وغيرها.

وان ما يجري الحديث عن وجود خطوط معتدلة ومتشددة وغيرها من المصطلحات، هي دليل على ممارسة حرية الرأي واحترام الرأي الآخر.

لقد رحل كما يرحل العظماء والقادة وستتوارث الاجيال القادمة، قيم ومبادئ ومواقف الراحل كنهج في الحياة وستبقى المدرسة الخمينية بزهدها وعطائها المثمر نبراساً لكل قوى واحزاب وحركات التحرر وشعوب العالم في نضالها ضد القهر والاضطهاد والاستبداد ومقارعة الاجنبي.

وستبقى لسيرة حياة الزاهد الراحل الخميني (رحمه الله) ومواقفه وتضحياته وتوجيهاته دور هام في استمرار الثورة الإسلامية في إيران وتطورها وتقدمها وازدهارها.









محاضراته بشأن الحكومة الاسلامية أسست لمسار

جديد فى فقه الدولة

الإمام الخميني ومعركة الفقه الإسلامي

الأستاذ سالم الشمري

مع ان الفكر الديني الإسلامي منفتح على الحياة، وقادر على التكيف مع مستجداتها، وتطوراتها، الا ان هذا الفكر المتحرك لم يعثر على من يضعه في مسارات التجديد والتكيف، وباستثناء قلة من الاسماء اللامعة في تاريخ الفكر والفقه، فإن الأغلبية من الفقهاء والمفكرين، اما انشغلوا في استنساخه دون اضافة، او انعطفوا بجوانب من هذا الفكر نحو قضايا هامشية حرنت عند السجال العقيم الذي لم يتقدم خطوة واحدة نحو الإمام. ومع ان الفكر الإسلامي اثبت قدرته في التفوق على جميع المنظومات الفكرية الاخرى في جميع الحقب التاريخية بما فيها فترة هيمنة الفكر الوضعي . الا ان هذا التفوق لم يكن في جانبه الكبير من إبداع (المفكرين)، او من بطولاتهم، بقدر ما هو خصوصية تميز الفكر الإسلامي بخطوطه العامة ونصوصه الثابتة والمتحركة التي لامست الحاجات الإنسانية بشكل دقيق وان كان هذا الابداع ضروريا لاكتشاف عظمة هذا الفكر الاصيل.

ورغم كثرة الحديث عن الثابت والمتحرك في الفكر الإسلامي، لكن المتحرك من هذا الفكر ظل بحاجة الى التنقيب ولا زال منتظرا في ظل الحياة السريعة المطالبة أيضاً بالتحاق الفكر بها، وقد وجدنا ان منطقة (الفراغ) لم يقتحمها الا قلة قليلة من عباقرة الفكر الإسلامي، بينما راوحت الاكثرية في الجوانب الوصفية والدوران في الافكار التأسيسية التي وضع لبناتها عمالقة الفكر.

وبينما يشتد الحاح الحياة وتطورها على انبثاق حركة تجديدية قوية تفجر كوامن الفكر الإسلامي فان الذين ارتفعوا الى مستوى وعي الحاجة، والقدرة على محاكاة النص في

(*) كاتب وصحفي مستقل / من مثقفي العشائر العراقية.

راهن الحياة هم قلة جدا. ومع استمرار تطور الحياة، تحولت جهودهم العظيمة الى افكار تأسيسية بحاجة الى متابعة مستمرة وإضافات مهمة وظل الفكر الإسلامي بحاجة الى المفكر والفقيه اللذين يبلوران استجابة هذا الفكر لمستجدات الواقع.

ان المعاناة ني هذا الجانب كبيرة، والمسؤولية بكاملها وقعت على عاتق الفقهاء والمفكرين، وبسبب الاخفاق الواضح في هذا الجانب، فقد برزت تيارات تدعو الى إرجاع الحاضر الى الماضي، او إرجاع الحاضر والمستبقل الى النص دون بذل أية محاولة لمحاكاة النص رافضة هذه التيارات أية محاولة للتجديد، وقد شكل هذا الفهم كارثة بكل معنى الكلمة، لولا تصدي بعض الفقهاء اللامعين وتسفيههم لمثل هذه الافكار الجامدة التي تنكر الزمان والمكان في واقع الفكر. وفي صراع مرير بين الجامدين والمجددين جاءت تطورات الحياة في القرن الماضي لتؤكد صواب الفريق الداعي الى تهيئة الاستجابة الفكرية المستمرة لحاجة الواقع المتطور، وبرز في هذا الاتجاه قلة من المفكرين والاصلاحيين الذين تركوا بصمات واضحة في التجديد والدعوة الى جعل الفكر الإسلامي ملازما لتطورات الحياة.

ان رواد التجديد والاصلاح بذلوا جهودا عظيمة جدا، لكن هذه الجهود لم تحسم المعركة لصالح الإسلام، وبقي الدين على هامش الحياة بعد ان تشكلت الانظمة والدول، واستنسخت القوانين والتشريعات من التجربة الغربية. وبمرور الزمن اصبح الفكر الإسلامي محاطا بموجات الفكر المادي، والقوانين الوضعية في معركة غير متكافئة من جهة الوسائل والادوات الداخلة في هذا الصراع. فبينما امتلك الفكر الوضعي الدولة وقوتها ومؤسساتها الاعلامية والعسكرية والمالية، ظل الإسلام خارج هذه الدولة وفاقدا لقدرتها ومؤسساتها الاعلامية والعسكرية والمالية، وكان لابد للإسلام ان ينجز أمرين في آن واحد، الاول؛ ان يقود دولة ويمتلك تجربة، والثاني؛ ان يوفر قبل ذلك كل الاسس والتشريعات التي تحتاجها هذه العملية المعقدة، وكان الإمام الخميني هو الفقيه والمفكر والمجدد الوحيد الذي نهض بهذه المهمة ليبرهن انه صاحب رؤية فريدة في مجال نقل الفكر الإسلامي من السجال الى التطبيق العملي.

فعلى مدى اكثر من قرن ونصف مضى، أخلي الدين من مواقعه الواحد بعد الآخر، تحت وطأة الهجوم الفكري والسياسي للمشروع الغربي الذي تمكن من الدين لسببين اثنين، أحدهما عداء المستعمرين المبيت العميق للدين عموما، والآخر عجز قطاعات واسعة من الفكر الديني الرائج عن الاحاطة بالواقع وتعيين أقوم السبل لمواجهة الاعداء[١]،

(١) د. محمد خاتمي، بيم موج، دار الجديد، الطبعة الثالثة ص ١٧ .

ولاشك ان الإمام الخميني أحيا الدين وأعاده الى الساحة مصارعاً عنيداً، وعاملا نهما في إنقاذ المجتمع الإسلامي من التفكك والذوبان في الفكر المستورد.

واذ شكلت نهضة الإمام الخميني المعاصرة، التي انجزت الثورة والدولة الإسلامية في ظروف دولية بالغة التعقيد.. منعطفا تاريخيا، وتحولا عالميا كبيرا، فان التعرف على الجوانب الفكرية والمعنوية لنهضة الإمام ولرؤيته الحاذقة، يكشف لنا عن قضايا بالغة الاهمية في منهجية الإمام الخميني وبراعته الواضحة في استنطاق الفقه الإسلامي سياسيا، دون ان يؤجل مهمة استنطاق الفقه الإسلامي حياتيا وعلى كافة الصعد التي يتناولها هذا الفقه، ولعل ما يلفت النظر في شخصية الإمام الخميني(رض) هو تركيزه الشديد على عوامل النهوض مع نقده الصريح لكل ما يعطل من اداء هذه العوامل حتى اذا تطلب ذلك ان ينقد الحوزة العلمية التي يعتبرها(رض) معقل انطلاق النهضة.

يقول سماحته: «لقد تربى العلماء المتدينون في هذه الحوزات، وانفردت صفوفهم عن الآخرين.. ان نهضتنا الإسلامية الكبرى انطلقت من هذه البارقة»[2]. وفي هذا النص يولي الإمام اهمية بالغة للحوزة ويعتبرها مركز الانطلاق، لانها الأساس في حفظ علوم القرآن والإسلام سواء من جهة الجهود المبذولة في اطار التحقيق والمتابعة للعلماء، او من جهة استحداث الطرق الغنية والمبتكرة لجعل المفهوم الإسلامي مواكبا للحياة. لكن مع هذا لم يتأخر الإمام الخميني عند توجيه النقد الكاشف لجوانب الضعف في هذا الصرح العلمي، الذي تمثله الحوزة، وسنلاحظ بعد قليل ان العملية النقدية عند الإمام هي بناء في حقيقتها من خلال تشخيصه الدقيق لعوامل الوهن، وطرحه البديل في ذات العملية النقدية التي يمارسها، فهو لم يكتف بان يقول ان الاجتهاد يجب ان يكون معاصرا، بل ويذهب اكثر من ذلك بان يطالب المجتهد المعاصر ان يخوض المعترك الاقتصادي والعسكري والاجتماعي والسياسي ليكون الاستنباط عندئذ قد بلور الحكم الشرعي عل ضوء الاندكاك بالواقع والوقوف على تفاصيله.

ان المنهج الخميني لا يتهاون مطلقا في دور الحوزة، بل ان الإمام(رض) قال:

«ان الحوزات العلمية وعلماء الدين الملتزمين، كانوا على طوال تاريخ الإسلام اهم قاعدة محكمة للإسلام في مواجهة الهجمات والانحرافات»[3].

(٢) صحيفة النور، ج ٢١، ص ٩١-٩٢ .

(٣) صحيفة النور ج ٢١ ص ٨٨ - ٩٨ .

بل ، واكد على ان:

«الف عام من التحقيق والتتبع للعلماء الصالحين.. كانت شاهدا على ادعائنا صوابية هذه الطريقة في تنمية الغرس الإسلامي المقدس»(٤).

وفي هذا يقف الإمام موقفا مضادا للرأي القائل بضرورة حل الحوزات العلمية والاعتماد على الطريقة الاكاديمية المعاصرة في تدريس العلوم الدينية، فهو (رض) لا يرفض المنهج الاكاديمي، لكنه وبالاستناد الى نصوص كثيرة من اقواله يدعم وجود الحوزة العلمية بشكل مطلق. يقول:

«بالنسبة لأسلوب الدراسة في الحوزات وتحصيل العلوم فيها، انا اؤمن بالفقه التقليدي والاجتهاد الجواهري(*) واعتبر التخلف عن ذلك غير جائز، فالاجتهاد بهذا الأسلوب هو الصحيح، ولكن هذا لا يعني ان الفقه الإسلامي غير حركي»(٥).

والى جانب إيمانه بأسلوب الدراسة الحوزوية، يسجل نقده الصريح لظواهر خطيرة فيها، نسوق بعض نصوصه هنا للتوثيق. يقول في صدد التأكيد على الحاجة الى نظرة جديدة واجتهاد يناسب متقضيات الزمان والمكان:

«ان إحدى القضايا المهمة جدا في عالم اليوم المليء بالفتن، هو دور الزمان والمكان في مسألة الاجتهاد. واذا لم يكن لعلماء الدين حضور فاعل في جميع القضايا والحوادث، فليس باستطاعتهم ان يدركوا ان الاجتهاد اللفظي غير كاف لادارة المجتمع، فالزمان والمكان عنصران أساسيان في الاجتهاد، والمسألة التي كان لها حكم في السابق، حسب الظاهر، يمكن ان يكون لها حكم جديد بسبب العلاقات السائدة بين السياسة والاجتماع والاقتصاد في نظام ما»(٦).

الى ذلك حذر الإمام من التحجر والجمود في الحوزة، وهي مسألة ظلت تقيد حركة المجددين والمصلحين في اغلب المراحل التاريخية التي برز فيها مفكرون وفقهاء متنورون فهو يرى ان خطر التحجر والرجعية من اشد الاخطار فتكا بالإسلام والمجتمع، وقد كثف من تحذيراته المتواصلة في السنوات الاخيرة من حياته، لانه يدرك بان هذا الخطر الداخلي يفتك بحركة الإسلام المتجددة المتناسبة مع تطورات الحياة.

---

(٤) السابق.
(٥) السابق.
(*) نسبة الى (جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام) وهو أحد اهم متون الفقه، ومؤلفه المرجع محمد حسن باقر الجواهري المتوفى عام ١٢٦٦ هـ.
(٦) صحيفة النور ج ٢١ ص ٩٨ .

يقول: «ان رجال الدين العملاء، المتظاهرين بالقداسة، والمتحجرين منهم، لم يكونوا قلة يوما ولن يكونوا، وان خطر المتحجرين في الحوزات ليس بقليل»[7].

«علينا ان نسعى الى تحطيم معاقل الجهل والخرافة لكي نرد الإسلام المحمدي الاصيل نبعا زلالا كما كان»[8].

مما سبق، نستنتج ان الإمام الخميني كان دقيقا في تشخيصه، وتعد مواقفه النقدية عنصر بناء عظيم لمعاقل المعرفة التي أرادها ان تنطلق في حركة دؤوبة نحو التجديد واستيعاب حاجات الحياة الإنسانية المتنوعة والمتطورة، كان الإمام يحرص ان تلتحق الحوزة بالإسلام المنفتح على الحياة بكافة جوانبها، لا ان تجر الحوزة الإسلام الى ما قبل ١٤ قرنا وتنغلق عليه وتحبسه زمانيا ومكانيا.

والإمام الخميني بوصفه فقيها مجددا، وقائدا ميدانيا لم يمارس دوره كما لو انه مرجع تقليدي، بل كانت الحكومة الإسلامية محور فقه الإمام السياسي، ولقد اثبت من خلال كتابه الشهير الحكومة الإسلامية انه الفقيه المنهمك بعصرنة الإسلام، فخاض معركة الفقه الإسلامي متجاوزا البعد العبادي الذي حرنت عنده قاعدة التفكير التقليدية في الحوزة، واستنهض ولسبعين عاما متواصلة من الكفاح الفكري والعملي البعد السياسي من النص فيما كانت خطبه وكتبه وتوجيهاته ترسم معالم حركة النهوض، حتى اذا استجمع الشروط المطلوبة لاعلان التغيير العملي، كانت إيران على موعد مع قائدها التاريخي الذي طرح الإسلام نظاما شاملا للمجتمع والدولة، فكانت الجمهورية الإسلامية التجربة الفريدة في هذا القرن.

لقد اثبت الإمام الخميني ان الإسلام قادر على انجاز التغيير الذي يسفر عن قيام الدولة الإسلامية في الراهن المعاصر لكن وفي آن واحد كشف دور الإمام ان الواقع التقليدي الجامد في الحوزة، يعد عقبة كأداء امام المواكبة الإسلامية للعصر، ومن هنا فان الدور التغييري للامام اعطى نتائج ملموسة وكبيرة ولانه لم يتعامل مع الفقه بوصفه احكاما شرعية ترسم العلاقة بين الإنسان وخالقه حسب بل باعتباره منظومة تشريعية تتصل بكافة جوانب الحياة.

ان النظرة التقليدية المنغلقة أدت لأن ينشغل الفقه والفقيه في الجانب العبادي فقط،

(٧) نفس المصدر ص ٩١ .
(٨) صحيفة النور ج ٢١ ص ١٠٠ .

وقد حالت هذه النظرة دون خروج الإسلام في مظهر الدولة لقرون وسنين طويلة، بل ما زالت هذه المعضلة قائمة رغم وجود الدولة الإسلامية التي تحققت على يدي الإمام الخميني ونخبة من طلبته المكافحين، ولذا تعتبر الرؤية الخمينية في هذا المجال سلاحا لمعركة يجب ان يخوضها المثقف والمفكر والفقيه الإسلامي على السواء لكي لا يعود الفقه على أيدي المتحجرين الى طقوس عبادية في عالم معاصر اعترف عنوة بقدرة الإسلام على انجاز تجربته الرائدة وتخطيها لأصعب وأحلك الظروف.



الإمام الخميني ومدارس الفقه السياسي

الأستاذ جلال الأنصاري

منذ ظهوره على المسرح السياسي، والإمام الخميني(رض) مالئ الدنيا وشاغل الناس.. وكان لظهوره ذلك أثر الصدمة في الوجدان الغربي، على الصعيد الرسمي والشعبي معا، فقد أدهشهم ان يروا رجلا يخرج من مؤسسة علمية عريقة، كانوا يتعبرونها معقلا من معاقل الجمود والغرق في الاجواء العلمية والروحية، يقود ثورة عظيمة، ويؤسس دولة عصرية تقوم على أساس أحكام الإسلام، وتخاطب الغرب، ليس من موقع الند فحسب، بل من موقع من يحمل رسالة ذات اهتمامات كونية.

وما برحت وسائل الاعلام الغربية تصفه تارة بأنه هزّ العالم، واخرى بأنه (غيّر مجرى التاريخ)، وان الثورة التي قادها تعتبر الى جانب الثورتين الفرنسية والبلشفية، أهم ثلاث ثورات رسمت المسار السياسي للعصر الحديث، وصبغت معالمه الحضارية[١].

والحديث عن الإمام الخميني - كما يقول الشهيد فتحي الشقاقي - يعني الحديث عن أعظم رجال القرن.. عن الرجل الرصاصة، التي جاءت من القرن السابع الميلادي (صدر الإسلام) لتستقر في القرن العشرين، كما قال صحفي عربي كبير.. الرجل الذي كان خلاصة العدل المضطهد من التاريخ البشري[٢]. وبعيدا عن الخوض في الجدل الدائر حول نظرية (دور البطل في التاريخ)، وهل هو محرك التاريخ، أم ينبغي الالتفات الى ما وراء الاحداث وما وراء التاريخ من قوى إجتماعية، تعمل على خلق الأبطال والاحداث،

(*) صحفي وكاتب إسلامي

(١) مجلة التوحيد /إيران /العدد ٧٦ /مقال (الإمام الخميني في الدراسات الغربية) لعماد يزي، ص ٤٣ وما بعدها - محرم ١٤١٦هـ /حزيران ١٩٩٥م.

(٢) كتاب (دراسات في الفكر السياسي للامام الخميني / كتاب التوحيد (٣)،بقلم نخبة من الكتاب، إيران ١٤١٦هـ/١٩٩٥ م.

كما تتابع على مسرح التاريخ..؟ ما نود قوله؛ لندع هذا الجدل الى حيث الوقوف على نقطة أساسية، الا وهي: كيف تسنى للامام الراحل ان يحقق إنجازه الكبير، ورغم كل ما اكتنف تحركه من مخاطر وتحديات، في حين عجز كثير من رجالات الإصلاح والتجديد عن الوصول الى أهدافهم؟

الانفتاح على الأمة

ومن نافلة القول الإشارة الى ان الحديث عن أي بعد من أبعاد الإمام الراحل أمر عسير او متعذر، لأن المجالات التي تحدث عنها او خاض فيها او حارب من أجلها ليست محصورة في حدود معينة، او دوائر ضيقة، بل كانت تتسع للعالم كله، في دائرة الإسلام كله، لأنه كان ينطلق في عمق فلسفته العرفانية الى الله في أوسع الآفاق، حتى كان يتجاوز الشكليات التقليدية في حركة هذا الخط، وكان يتحرك في وعيه الإسلامي للمسألة الإنسانية في واقع الاستضعاف والإستكبار، فيما هي آلام المستضعفين في حركة امتيازات المستكبرين، فكان يتألم للانسان أيّا كان انتماؤه، ويفكر ان الآلام الإنسانية لا تمثل في إيحاءاتها الشعورية مجرد مشاعر حزينة، او أصوات صارخة، بل لابد لها من ان تتمثل في حركة فاعلة من أجل إزالة هذه الآلام، وكان يرى ان مسألة الإسلام في وعي المؤمنين به، على مستوى القيادة او القاعدة، هي مسألة الدعوة المتحركة في كل صعيد لتملأ فراغ الفكر الإنساني بالفكر الإسلامي، وتشحن روحية العاطفة الإنسانية بالعمق الروحي للعاطفة في الإسلام، وتحرك الواقع الإنساني بالتشريعات الحركية للانسان في الحياة، مما يجعل مسألة الدعوة تنفتح على السياسة كما تنفتح على الفكر، كما يدفع مسألة المعاني الروحية نحو القيم الإنسانية في الحياة.

وهذه هي الميزة البارزة في شخصيته التي استطاعت ان تجعل ملامحها الداخلية والخارجية وحدة في الفكر والسلوك على أساس وحدة الخط الإسلامي الذي لا يتبعد فيه العرفان عن الشريعة، بل ينفذ اليها ليزيدها عمقا في الحركة، ولا تتجمد الشريعة لديه في نطاق فردي، بل تنطلق لتشمل الحياة كلها بابعادها العامة والخاصة في جميع المجالات.. ومن هذا الموقع كان انفتاحه على الأمة كلها، وعلى المستضعفين(٣).

على ان أية قراءة منصفة لحقيقة الانجاز الخميني تبقى منقوصة، ما لم نرصد المشروع الخميني في سياقاته التاريخية وظروفه الجغرافية، وأبعاده الفقهية. ولما كان من الصعب

(٣) مجلة قضايا إسلامية، العدد (٦)، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

استيفاء هذه الجوانب، في هذه العجالة، فان الحديث سيتناول جانبا واحدا، هو الفقهي، والفقه السياسي تحديدا.

مدارس الفقه السياسي

ومن خلال استقراء سريع لأدبيات الفقه السياسي - منذ ان مارس المسلمون السلطة والى الآن - نرى ظهور عدة نظريات لتفسير شرعية تلك السلطة في ضوء المتبنيات العقائدية والثوابت الشرعية. ويمكن تلخيص اهم النظريات السياسية الإسلامية حول مصدر شرعية سلطة الحاكم السياسي بالشكل التالي:

اولا: نظرية الانتخاب (البيعة)

ثانيا: نظرية الإمامة.

ثالثا: نظرية التفويض الانتخابي.

رابعا: نظرية العهد او الاستخلاف.

خامسا: نظرية الاستيلاء او التغلب.

وتتمحور هذه النظريات حول مفهومين أساسيين، او قل حول مدرستين تمثلان جناحي الفكر السياسي الإسلامي، وهما: الخلافة والإمامة.

فعلى صعيد المدرسة الاولى (الخلافة) شهدت تطورات عميقة في مسارها.. ففي البدء اعتمدت نظرية الانتخاب (البيعة) على قاعدة (الامارة شورى)، ولم يطل الوقت حتى تم انقلاب جذري على هذه النظرية، حين هوجمت نظرية الشورى، من قبل انصار معاوية بن ابي سفيان، الذي حول الحكم الى (ملك عضوض)، وهذا شاعرهم (عبد الله بن همام السلولي) ينطق بلسان حال اؤلئك الذين رفضوا الشورى:

ولا لمن سالك الشورى مشاورة — الا بطعن وضرب صائب خذمِ

أنّى تكون لهم شورى وقد قتلوا — عثمان ضحوا به في أشهر الحرمِ

على ان تطورا في فهم الشورى والجماعة واولي الأمر جرى في القرن الاول، وفي النصف الثاني منه بالتحديد، يدل على ذلك امران:

الحديث او الاثر الذي انتشر في خمسينات او ستينات القرن الاول: «تكون الخلافة ثلاثين عاما ثم يكون ملك عضوض.. والثاني هو ما جرى من لغط حول خلافة ابن الزبير

الذي كان يدعو الى الشورى فلما مات يزيد دعا الناس لبيعته دونما انتظار ليرشحه اولئك الذين نصروه وقاتلوا معه يزيد وجيوشه»!

وظلت نظرية الشورى بين التأرجح والتراجع تحت وطأة الحكم الوراثي الذي ابتلي به المسلمون. والغريب ان نجد بعض القدماء من امثال الماوردي وابن خلدون وغيرهم وهم يصرون على اضفاء المشروعية على كل انواع الحكم الاستبدادي الوراثي.

وما بين منتصف القرن الثالث ومنتصف القرن الرابع الهجري، ومع تزايد تركز السلطة في يد العسكريين، طرأ تغير تدريجي على مفهوم الامر، ومفهوم الشورى. قيل بداية ان (أولي الامر) الذين أمر القرآن بطاعتهم ليسوا (أهل الحل والعقد) من العلماء ورجالات الاجتهاد فحسب، بل هم العلماء والامراء. ثم قيل ان اولي الأمر في الحقيقة هم الامراء والامراء فقط!

أما (الشورى) التي عنت مطلع القرن الثالث الهجري (سلطة المجموع)، او (السواد الاعظم) ،فقد بدأ يغلب عليها الطابع الاخلاقي على حساب الأبعاد الإجتماعية والسياسية.

وهكذا تضاءلت الأبعاد السياسية لمفردة (الشورى) تدريجيا، حتى غابت تماما. وظهرت في كتب الاحكام السلطانية، صفات ومؤهلات اخرى للخليفة والسلطان.

فقه المدرسة الإمامية

أما نظريات الدولة في فقه المدرسة الإمامية، فد ظلت تتراوح بين الغياب والتغييب، حتى فترة متأخرة، وذلك لاسباب لسنا بصدد التعرض لها.. اذ مرّ الفقه السياسي في مدرسة اهل البيت (عليهم السلام) بثلاث مراحل هي:

١- مرحلة سيادة التقية وغياب النظرية السياسية من بدء الغيبة وحتى القرن العاشر الهجري.

٢- مرحلة ظهور الاسس النظرية للنظام السياسي من القرن العاشر وحتى أواسط القرن الثالث عشر الهجري.

٣- مرحلة تكامل النظرية السياسية في الفقه الإمامي. القرن الرابع عشر الهجري.

وبعيدا عن الاستغراق في التفصيلات، فإن المرحلة الاخيرة قد شهدت ولادة ثلاث مدارس - ان صح التعبير - في هذا الاتجاه، تكاملت فيما بينها لتبلور - في النهاية -

منظومة فيها من الانسجام والتماهي الشيء الكثير.

ورموز هذه المدارس الفقهية بل مؤسسوها هم: الشيخ النائيني (١٢٧٣ - ١٣٥٥ هـ/ ١٨٥٧- ١٩٣٦م) الإمام الخميني (١٣٢٠هـ (١٩٠٢م)/ ١٩٨٩م) والسيد الشهيد محمد باقر الصدر (١٣٥٣- ١٤٠٠هـ / ١٩٣٢- ١٩٨٠م).

وفيما يعد الشيخ النائيني مؤسس الفقه الإسلامي الحديث، فان كلا من الإمام الخميني والشهيد الصدر (رضوان الله عليهما) قد أضافا على الموضوع تطورات هائلة، إنْ على صعيد الاطار التنظيري او الواقع العملي.

وفي هذا السياق يمكن النظر الى الرؤى السياسية لفقيه عصر المشروطة الشيخ النائيني في (تنبيه الأمة وتنزيه الملة)، على انها تمثل منعطفا مهما في مسار تطور مباحث الدولة في الفكر الشيعي.

لقد سعى النائيني للمواءمة بين النظرية التقليدية في ولاية الفقيه وبين حقوق الأمة، وخلاصة الحل الذي انتهى إليه تمثل بامضائه لمشروعية الحكومة الدستورية بشرط وجود عدد من المجتهدين بين اعضاء القوة التشريعية (القوة المقننة) ورعاية المجلس لآرائهم والأخذ بها في سن القوانين، وذلك في حال عدم انبساط يد المجتهدين العدول.

وفي الواقع كان مسعى النائيني هو اول محاولة للتوفيق ما بين التكيف الإلهي وحق الأمة.. اما ان النائيني عاد في كتبه الفقهية الاخرى الى الأسلوب التقليدي ذاته؛ بل انه وصل في بعض الحالات الى انكار ولاية الفقيه، فهذا أمر لا يقلل من عظمة مسعاه والقيمة التي تحظى بها الصيغة التي تقدم بها.

أما العالم الشهيد آية الله محمد باقر الصدر فقد كتب مجموعة من البحوث المختصرة تزامنا مع انتصار الثورة الإسلامية في إيران طبعت تحت عنوان (الإسلام يقود الحياة).

طرح السيد الصدر في هذه البحوث، نظرية جديدة حول الدولة في الفقه الشيعي، ويمكن تلمس آثار الشهيد السعيد في هذا المضمار في بحثه (لمحة تمهيدية عن مشروع دستور الجمهورية الإسلامية) وبحثه المعنون: (خلافة الإنسان وشهادة الانبياء) وهما يعدان من آخر ما خطته يراعة هذا الفقيد السعيد.

من عناصر النظرية؛ ان يقوم المرجع بتأليف مجلس يضم مائة من المثقفين بينهم عدد من أفاضل العلماء في الحوزة، أفاضل الخطباء والمؤلفين والمفكرين الإسلاميين، على ان يضم هذا المجلس ما لا يقل عن عشرة من المجتهدين لكي يمارس المرجع مسؤولياته من

خلاله.

ومن عناصرها أيضاً ان الخلافة والشهادة تجتمع بشخص واحد في زمن المعصومين (عليهم السلام).

ولما كان المرجع هو ممثل الآيديولوجية الإسلامية، فان وظيفة الخلافة والشهادة تكون بعهدته في عصر الطاغوت، لان الأمة قاصرة عن ممارسة حقها في مثل هذا العصر.. ولكن حينما ترتفع سلطة الطاغوت ينتقل الى الأمة حقها في خط الخلافة الذي تتركز ممارسته على مبنيين يتمثل الاول بالشورى (وفي حال الاختلاف يؤخذ بالاكثرية) ويتمثل الثاني بما للمؤمنين من حق ممارسة ولايتهم بعضهم على بعض.

ومن عناصر النظرية: «ان الأمة صاحبة الحق في تدبير أمورها، وممارسة هذا الحق أمانة، يتساوى افراد الأمة في ممارسة هذا الحق امام القانون.

والشعب حر في ابداء رأيه وممارسة النشاط السياسي، كما انه حرّ في أداء الشعائر الدينية والمذهبية.

الإنسان مسؤول أمام الله؛ والجمهورية الإسلامية هي حكومة مقيدة بالقانون، اذ تمارس الشريعة سلطتها على الحاكم والمحكوم على حدّ سواء.. والتطبيق العملي للحياة الإسلامية يفترض الدولة ممثلة في رئيس يستمد شرعية تمثيله من الدستور - النص الشرعي - او من الأمة مباشرة او منهما معا.

ومع ان النظرية لا تعطي المرجع في جانب الوظيفة أكثر من كونه شهيدا ومشرفا وناظرا، الا انها فيما تمنحه من صلاحيات لا تقل عن نظرية (ولاية الفقيه) بل هي نفسها.

وفي هذا الاتجاه؛ يعد الإمام الخميني (قدس سره) اول فقيه حالفه التوفيق لاختيار نظرية ولاية الفقيه في مجال العمل.. بعد ان استطاع تأسيس أول حكومة إسلامية في عصرنا الحديث.

لقد أطلت الآراء السياسية للامام الخيمني (رحمه الله) على الساحة في دعوته لضرورة الثورة على النظام الملكي البائد، ووجوب تأسيس الحكومة الإسلامية، من خلال تدوين دروسه الفقهية التي كان قد القاها في النجف الاشرف سنة ١٩٦٨م، ونشرت بشكل خفي وسري.

وقد كانت محاضراته حول (الحكومة الإسلامية) أثناء اقامته في النجف الاشرف محاولة فكرية جادة من أجل ان يفتح وعي الحوزة التي كان يعيش أفرادها في عزلة عن

مسألة الثورة الشاملة او عن مسألة الثورة في الأساس، من خلال المفاهيم التجريدية التي كان يحملها بعض من أفرادها، من الكبار والصغار، حول الإسلام في فكره وحركته ليثير اليأس من إمكانات الوصول الى نتائج ايجابية على صعيد الواقع، مما يجعل التحرك أمرا غير واقعي، لأن اليأس من الوصول الى الهدف الكبير هو العنوان البارز للمسألة.

ولعل ما يميز هذه المحاضرات في تأثيرها العملي على ذهنية جيل الشباب من طلاب الحوزة العلمية في النجف الاشرف - ولا سيما الإيرانيين منهم - ان الفقيه الذي ألقاها لم ينطلق من فكر نظري تجريدي، بل انطلق من تجربة عملية عانى في أحداثها كل الاخطار التي كانت تتحدى حياته، حتى انتهى به الأمر الى التشريد من وطنه، مما جعل القضية تتخذ لديهم جانب الفكرة القدوة.

وقد تكون قيمة القضية في ملامحها، انها انطلقت من موقع المرجعية الدينية التي تملك شرعية الانطلاق بالرأي الفقهي خطاً للتقليد الذي يلتزمه افراد الأمة الذين يرجعون اليها في الفتيا، فتكون الحكومة الإسلامية لديهم حركة في خط الحكم الشرعي، كما تكون ولاية الفقيه عنوانا من عناوين الشرعية للسلطة في كل حركة الفتوى في الثورة والجهاد والمواجهة السياسية في وجه التحديات الكبيرة.

وقد كان المعروف من المراجع انهم لا يواجهون العامة من الناس بما يخالف المألوف لديهم او بما يدفعهم الى اقتحام مواطن الخطر لأن، ذلك قد يترك تأثيراته السلبية على مواقعهم في المرجعية القائمة على ثقة الناس بهم فيما تعارف لديهم من تقاليد المرجعية الملتزمة في كلماتها الهادئة في مواقعها، السلمية في مضمونها، المنفتحة على الواقع القائم بالسكوت او التأييد، بعيدا عن كل ارباك وازعاج للواقع وللناس. ولكنه كان يملك روح الاقتحام من خلال وعيه العرفاني وانفتاحه الفقهي على حياة الناس، وصلابته في رفض الكفر والظلم والانحراف. وهكذا سمع الناس صوت المرجع الذي يتحدث عن الثورة وعن الحكومة فيما اعتادوا ان يسمعوه من الحزب لأن ذلك الصوت هو صوت الاحزاب في برامجها، لا صوت المراجع في فتاواها، وبذلك انفتح للإسلام افق جديد في العالم من خلال انفتاح هذا الصوت الإسلامي على التجربة الرائدة في تغيير الإنسان والحياة على صورة الإسلام، ولو كان ذلك في دائرة صغيرة باعتباره انطلاقة للتجربة الصغيرة في اتجاه التجربة الكبيرة، على خط الانبياء الذي وقف النبي محمد (ص) في نهايته ليحمل الإسلام من واقع مكة المليء بالاضطهاد، الى واقع العالم الواسع المنطلق من الحرية المتحركة في ساحات الفكر والجهاد، ليكون النبي (ص) الاسوة الحسنة للعاملين والمجاهدين والسائرين في درب الله وهكذا فكر وتحرك، ودعا وثار وانتصر، لتبدأ اول حكومة إسلامية

في العصر الحديث بولاية الفقيه، المرجع الحركي الثائر الواعي للواقع في حجم الإسلام العالمي.

ذلكم هو الإمام الخميني الذي انجز مشروعه بشكل أثار انتباه الجميع.

المراجع

(١) كتاب علم الإجتماع السياسي، للدكتور قباري محمد اسماعيل مصر/ د.ت

(٢) مجلة التوحيد، العدد (٨٧) مقال (النظريات الإسلامية في شرعية السلطة السياسية، للسيد كامل الهاشمي؛ ذو العقدة ١٤١٧هـ/ آذار ١٩٩٧م.

(٣) كتاب سياسات الإسلام المعاصر، مراجعات ومتابعات للدكتور رضوان السيد، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(٤) كتاب (تنبيه الأمة وتنزيه الملة) للشيخ النائيني، تعريب عبد الحسن آل نجف. وتحقيق عبد الكريم آل نجف، قم ١٤١٩هـ.

(٥) كتاب تأملات في الفكر السياسي الإسلامي، للسيد محمد حسين فضل الله، كتاب التوحيد (٤)، قم ١٤١٩هـ / ١٩٩٥ م.

الشعائر الحسينية في نهضة الإمام الخميني
لمحات في البعدين السياسي والإجتماعي

الأستاذ خالد توفيق

تسجل نصوص الإمام وفرة مكثفة في تعاطيها مع واقعة الطف (عام ٦١هـ) وقضية الإمام الحسين (عليه السلام) وما يرتبط بذلك من مسائل أهمها الشعائر الحسينية.

وفي الشعائر الحسينية وحدها استطاعت المؤسسة المسؤولة عن تدوين واصدار آثار الإمام الراحل ان تخرج كتابا كاملا على هذا الصعيد باللغتين الفارسية والعربية[1].

بإزاء هذه الكثافة لا مناص من التركيز على جوانب بعينها. وفي هذه الورقة المختصرة سيتم التأكيد على الجانبين السياسي والإجتماعي في فلسفة الشعائر الحسينية كما تعكسها نصوص الإمام الخميني ورؤاه.

اولا : البعد السياسي

تنتهي عملية تحليل النص الخميني الى رصد عدد من الأبعاد في الفلسفة السياسية للشعائر الحسينية يمكن متابعتها من خلال النقاط الاربع التالية:

١- البكاء

ثمّ أحاديث كثيرة تحث على بكاء الإمام الحسين «عليه السلام». والذي يفاجئنا به النص الخميني انه يتعاطى مع هذه الظاهرة بما وراء أهدافها العبادية والمعنوية ليسجل نصا: «ان هذا التأكيد ليس لأن سيد المظلومين هو بحاجة الى هذا البكاء، ولا لأنكم تثابون

(*) كاتب وصحفي، صاحب تأليفات وترجمات عديدة في الفكر الاسلامي/

(١) نهضة عاشوراء في كلام الإمام الخميني. مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني، الطبعة الثانية ، طهران، ١٩٩٤ الطبعة الفارسية.

ويثاب المسلمون على ذلك وحسب. وانما هذا الثواب المقدر لكل مجالس العزاء والمجالس التأبين الحسينية، هو لبعدها السياسي اضافة الى ابعادها العبادية والمعنوية»(٢).

بديهي ان تصور البعد السياسي للبكاء، ولمجمل مراسم الإحياء الحسيني لا يمكن ان يأتي على صورة متكاملة، الا بمعرفة الاوضاع التاريخية، وتلمّس حالة الخوف والإرهاب الشديد الذي كان يحيط أهل البيت(ع) واتباعهم.

فعن الموقف الذي كان يحيط الشعر مثلا، كون الشعر احد ادوات الاحياء يكتب باحث معاصر: «كان اكتشاف موقف موال لائمة اهل البيت من خلال شعر شاعر او تأليف كاتب خليقا بأن يؤدي بصاحبه الى الموت على ايدي رجال السلطة، او الى التشريد والمطاردة، والسجن والمصادرة، كل ذلك بسبب ان الموقف الشعري لم يكن يعنى في الماضي موقفا ذهنيا وعاطفيا فقط، وانما كان يعني موقفا سياسيا ايضا»(٣).

كان الشيعة أقلية إجتماعية وسياسية في الحياة الإسلامية، بيد ان التخطيط الواعي المتبصر ليوم الحسين واستكناه المدلولات السياسية للشعائر الحسينية، اديا الى ان يتحول التشيع الى تيار عريض ومؤثر.

الى هذا الجانب ينبه احد الدارسين المؤرخين، وهو يكتب: «كان لمقتل الحسين في ارض كربلاء التي اصبحت ملطخة بدمائه ودماء اهل بيته، اثر بعيد في اذكاء نار التشيع في نفوس الشيعة وتوحيد صفوفهم.. فلما قتل الحسين امتزج التشيع بدمائهم وتغلغل في اعماق قلوبهم، واصبح عقيدة راسخة في نفوسهم»(٤).

٢- تنظيم تيار المعارضة

في بعد آخر من الأبعاد السياسية للشعائر الحسينية يشير الإمام الخميني الى دورها التاريخي الذي لعبته في تنظيم تيار المعارضة الإسلامية الأصيل وشدّ الأُقلية الإمامية في إطار كتلة عضوية ملتحمة وفعالة حيث يقول: «ان الايام التي صدرت فيها هذه الروايات (التي تؤكد على احياء ذكرى الحسين (عليه السلام)، كان اتباع أهل البيت عليهم السلام، مبتلين بجور الحكام، كما كانوا يومئذ جماعة قليلة جداً بالنسبة إلى القدرات الكبرى، ولكي تنظم هذه الاقلية نشاطاتها السياسية، فقد

(٢) نهضة عاشوراء، مصدر سابق ص ١٠ . ١١، نود الاشارة الى اعتمادنا على الطبعة الفارسية للكتاب، حيث قمنا بترجمة النصوص مباشرة.
(٣) ثورة الحسين في الوجدان الشعبي، محمد مهدي شمس الدين ص ١٤٤.
(٤) تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والإجتماعي، د. حسن ابراهيم حسن، الطبعة السابعة، بيروت، ج١، ص ٣٩٩ .

أوجدت لها الوسيلة المناسبة لذلك والمستمدة من منابع الوحي، وهذه الوسيلة هي تنظيم بحد ذاته. لذلك فان ما جاء من حملة الوحي (عليهم السلام) في تقرير عظمة هذه المجالس، وهذا البكاء، كان يحث على إجتماع الشيعة على اقليتهم في ذلك الوقت، وكان الهدف الذي ربما لم يدركه كثيرون بينهم يومذاك هو تنظيم هذه الاقلية ازاء الاكثرية»(٥).

في الحقيقة لا يمكن إدراك المغزى العميق لما تمثله المراسم الحسينية من قدرات تنظيمية هائلة في رص الصف، وتأليف شيعة اهل البيت في جماعة عضوية منسجمة، الا بمعرفة الوضع السياسي، وبشاعة الإرهاب الذي كانت تمارسه السلطة ضدهم.

يكتب حسن ابراهيم حسن عن تاريخ تلك المرحلة مشيرا الى معطيات ثورة الحسين (عليه السلام) في توسيع جموع شيعة اهل البيت وشدهم في كتلة متلاحمة، فيقول: «وان الباحث في تاريخ الشيعة في العصر الاموي ليرى ان موقعة كربلاء سنة ٦١ هـ قد وحدت صفوف الشيعة، واثارت في نفوسهم الحماسة للاخذ بثأر الحسين بن علي، كما اذكت مأساة كربلاء روح التشيع بعد ان كان رأيا سياسيا نظريا»(٦).

على هذا الأساس جاء يوم الحسين، والرصيد الذي تنطوي عليه مراسم الاحياء ليوفرا «الطاقة الحيوية» بحسب تعبير مالك بن نبي(٧)، التي تغني المجتمع وتمده بعناصر الصمود، وتغذيه باسباب المقاومة انطلاقا من كونه كتلة عضوية متماسكة، وليس مجرد فلول وافراد منهزمين نفسيا. يقول الإمام الخميني معبرا عن هذا الجانب: «المنابر هذه والمآتم ومجالس المصيبة التي تتلى والمواكب هي التي حفظتنا وأمدتنا بالبقاء، وهي التي أبقت الإسلام [فاعلا] خلال الف واربعمائة سنة»(٨).

٣- التخطيط السياسي

الاصل في الشعائر الحسينية انها صادرة عن تخطيط سياسي مستبصر بمفاصل الحياة الإسلامية في ماضيها وحاضرها ومستقبلها، يقول الإمام الراحل: «ان الثواب الجزيل المذكور لسطرين من الدعاء لا يمكن إدراكه وهضمه، الا بالتوفر على إدراك البعد السياسي لهذه الادعية الكائن بالتوجه الى الله، وتوجيه الناس جميعهم وسوقهم الى نقطة واحدة. والبعد السياسي يتمثل أيضاً بتحشيد الأمة بأجمعها وسوقها نحو مقصد إسلامي

(٥) نهضة عاشوراء مصدر سابق.
(٦) تاريخ الإسلام السياسي، مصدر سابق ، ج٢ ص ٢ .
(٧) ميلاد مجتمع، مالك بن نبي، ص ١٠٠ .
(٨) نهضة عاشوراء، مصدر سابق، ص ٧٦ .

واحد»[٩].

وما ينبغي إبرازه من خلال التأكيد على التخطيط السياسي المصمم لمراسم الاحياء الحسيني منذ البداية، هو مواجهة بعض الاتجاهات الفكرية الغربية او المتغربة التي تعيد قراءة الشعائر الحسينية، وجوانب التحريك في الشعائر الإسلامية عامة، من خلال تحليلات جاهزة ترمي فعل المسلمين وتفسره على أساس آيديولوجي سياسي محض»[١٠].

مثلا يصف الفرنسي المعروف مكسيم رودنسون الذي تستلهم منه الكتابات العربية المحدثة الكثير، يصف الإسلام بانه «آيديولوجيا شعبوية؛ انه آيديولوجيا تسهل التهيئة الإجتماعية والسياسية»[١١].

وفي نص لباحث لا يخفي ميوله بل وانحيازه الى المنهجيات الغربية، تراه ينظر لجهد الإمام الخميني في استنهاض المسلمين ويفسر حركته برمتها على أساس سياسي مفصول عن الدين تماما. يكتب «ولكن من المؤكد ان هدف تجييش الجماهير في هذه الحركات هو سياسي لا ديني»[١٢].

رابعا: المضمون الاعلامي تتسم جميع مفردات الشعائر الحسينية بتوفرها على البعد الاعلامي، والمنبر الحسيني يأتي في طليعة هذه المفردات.

من المعروف ان أبرز مزايا المنبر ان الخطيب ينهض بدوره من خلال الصوت الإنساني ويباشر الجمهور وجها لوجه مما يسبغ عليه مزايا اعلامية مضاعفة نظرا الى ان «الصوت الإنساني يضفي على الموضوع حياة وحضورا لا يتوفران في نص مطبوع، وهما يقويانه بصورة كبيرة جدا»[١٣].

ان للمنبر الحسيني دوره الدائم الذي يمارسه في كل عصر، ومهما بلغ التقدم في وسائل الاعلام واجهزة الاتصال فان المنبر يستطيع ان يحتفظ بتأثيره على الدوام. وحين يرتبط المنبر في البيئة الإسلامية بقضية مقدسة كقضية الحسين (عليه السلام) بما لها من قيمة رمزية وطاقة تعبوية هائلة، فلا يمكن ان يضمحل دوره في حياة المسلمين العامة أبدا.

---

(٩) المصدر السابق، ص ١١ .

(١٠) ينظر كمثال: المثقف والمناضل في الإسلام المعاصر/ إعداد جيل كيبل ويان ريشار، دار الساقي، لندن ١٩٩٤ ص ٢٩ وما بعدها.

(١١) تجديد دور الإسلام في التطور السياسي والإجتماعي للشرق الاوسط، بسام طيبي.

(١٢) مجلة الفكر العربي المعاصر، حوار مع محمد اركون ص ١٣٢ .

(١٣) تقنيات الاقناع في الاعلام الجماهيري، ترجمة واعداد د. فريال مهنا، دمشق ١٩٨٩ ص ٥٣ .

يقول الإمام الخميني بصدد بلورة وظائف خطباء المنبر الحسيني وتحديدها: «على الخطباء المحترمين واصحاب المنابر ان يدعوا الناس الى وحدة الكلمة وادامة الثورة؛ والى التقوى والصبر الثوري» ثم يضيف سماحته مواصلا: «وبذكر جهاد سيد المظلومين الإمام الحسين (عليه السلام) والمصائب التي نزلت به، يدعو الخطيب الناس الى الجهاد حتى النصر النهائي والوصول الى الحكومة الإسلامية بكل ابعادها»(١٤).

وعن وظيفة المنبر في المواكبة يحث الإمام الخطيب الحسيني على ان يكون منبره في صميم الاحداث الجارية وقلبها، وهو يخاطبه بقوله: «وفي هذه الإجتماعات (المآتم) التي تتم في شهري محرم وصفر، وفي سائر الأوقات الاخرى، يجب على المبلغين الاعزاء والعلماء الاعلام والخطباء الاجلاء ان يتحدثوا عن قضايا اليوم؛ من مسائل سياسية وإجتماعية، وان يعينوا للناس تكليفهم في مثل هذا العصر الذي ابتلينا به بكل هؤلاء الاعداء»(١٥).

ان للمنبر ميزة اضافية لكونه أداة فاعلة في التحريض والإفشاء السياسي، يخدم جميع الفئات الإجتماعية بالاخص الفئات الامية المحرومة، الطبقات العاملة التي انهكها مشوار العمل اليومي ولا مجال لها في بناء وعيها السياسي من خلال المطالعة والدرس والتأمل. فالمنبر يتماشى مع قاعدة جماهيرية عريضة، ويوفر للمحرومين والمستضعفين وسواد المجتمع روافد وعي سياسي إجتماعي ثري، وفي الوقت نفسه لا تحرم هذه الوسيلة من استقطاب الفئات المفكرة والمتعلمة والمثقفة اذا يقدر للخطيب ان ينهض بمنبره الى مستوى مجتمعه.

ثانيا: البعد الإجتماعي

تنتهي عملية تحليل النص الخميني ازاء الشعائر الحسينية الى رصد عدد من الأبعاد في الفلسفة التي تنطوي عليها الشعائر في هذا المجال، يمكن الاشارة الى اهمها اختصارا، كما يلي:

اولا: الوحدة وحفظ الهوية

يحتاج النسيج الإجتماعي لأية فئة او مجموعة الى هوية تؤلّف مضمونه، والى إطار يشده ويبقي عليه متماسكا إزاء التحديات وعوامل التحلل، والإمام الخميني يرى في الشعائر الحسينية الوسيلة المناسبة لخلق ذلك وايجاده، حيث يقول: «علينا ان نعلم جميعا

---

(١٤) توجيهات الإمام الخميني الى المسلمين مجموعة خطابات الإمام الخميني، وزارة الارشاد الإسلامي ص ٨٨ بالعربية.

(١٥) نهضة عاشوراء مصدر سابق، ص ١٨ .

بأن هذه المراسم السياسية (مراسم العزاء الحسيني) هي التي أوجدت الوحدة بين المسلمين، وحفظت هويتهم لا سيما شيعة الائمة الاثني عشر عليهم صلوات الله وسلامه»[١٦].

ثانيا: صياغة المجتمع

لقد كان – وما يزال – للشعائر الحسينية ومراسم الإحياء المختلفة دورها الكبير في بناء المجتمع الإسلامي وصياغته بحيث يعي مسؤوليته، ويعيش روح اليقظة والانتباه إزاء الظلم والانحراف. عن هذا البعد يتحدث الإمام الخميني، بقوله: «انها مجالس العزاء الحسيني، ومجالس الدعاء، ودعاء كميل، وسائر الادعية الاخرى التي صاغت مجتمعنا بهذه الكيفية»[١٧].

ثالثا: تحويل الأقلية الى كتلة إجتماعية فاعلة

استنبطت الشعائر الحسينية الكثير من العناصر اللازمة لتحويل الاقلية الشيعية الى كتلة إجتماعية فاعلة قادرة على تنظيم شؤونها الداخلية والحفاظ على لحمة تماسكها امام التحديات التي واجهتها وتواجهها.

فالشعائر الحسينية منحت هذه المجموعة – على الصعيد الإجتماعي – لونا متسقا ومكنتها من السير وراء راية واحدة تصلها بلواء التوحيد.

يشير الإمام الخميني الى هذا المعطى وقيمة العزاء الحسيني في توفير أساس التنظيم الإجتماعي للجماعة، بقوله :«ان إجتماع الناس تحت ظلال هذا العلم الإلهي؛ هذا العمل الحسيني هو الذي يوفر أساس هذا التنظيم»[١٨].

رابعا: روح التضحية والفداء

من أبرز سمات المجتمع الإسلامي المفعم بروح الحسين (عليه السلام) ميله الى التضحية. ولذلك حفلت مسيرة التشيع بحكم قربها من الحسين وصلتها بابن بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) بمواكب التضحية وقوافل الفداء في كل بقعة من بقاع العالم الإسلامي عاشت قضية السبط الشهيد.

عن إيران يتحدث الإمام الخميني، بقوله :«مجالس العزاء والمواكب الحسينية والمآتم.. قد ربت شبابنا على الذهاب الى جبهات الحرب وطلب الشهادة والافتخار بها، حتى بات

---

(١٦) وصية الإمام الخميني، الترجمة العربية، منشورات اسوة، ص ١٥ .

(١٧) نهضة عاشوراء ، ص ١٢ .

(١٨) نهضة عاشوراء، ص ١٠ .

شبابنا يتألم اذا لم يوفق للشهادة، وهذه المجالس ربت امهاتنا على ان يضحين بابنائهن وجعلتهن مستعدات لتقديم باقي أولادهن»[١٩].

خامسا: صفة الحماسة والثورة

تفتقر بعض الرؤى المتغربة او تلك التي تصدر من فهم سطحي متحجر وضيّق للشعائر الحسينية، تفتقر الى البصيرة اللازمة التي تؤهلها لادراك التأثير العميق الذي تتركه الشعائر الحسينية على التكوين النفسي والحالة المعنوية للمجتمع.

يواجه الإمام هذا الفهم السطحي ويصف الشعب المشبع بالشعائر الحسينية انه «شعب حماسة». والحماسة الحسينية هي التي ابقت الشعب يقظا ثوريا، لذلك يحثه الإمام بقوله: «على شعبنا ان يعي قيمة هذه المجالس التي تحتفظ بالشعب حيا ثائرا في ايام عاشوراء، وفي جميع الايام»[٢٠].

سادسا: الطابع التلقائي في التنظيم الحسيني

تؤسس الشعائر الحسينية لتنظيم فعّال وتلقائي في البيئة الشعبية للمسلمين، تحتشد فيه الجماهير والقواعد الموالية دون جهد كبير، وتتمركز طاقاتها في نقطة واحدة. يعبر الإمام الخميني عن هذه القيمة الحركية الممتازة للشعائر الحسينية، بقوله «تخشى القوى الكبرى هذا التنظيم (الحسيني) الذي ينتظم بدون ان يكون لأحد فيه يد، فالناس تتجمع والأمة تتعبأ تلقائيا في مختلف أرجاء بلد واسع»[٢١].

وقضية كون الشعائر تمارس صوغ تنظيم شعبي كما تفيد في الجانب السياسي والتحريكي، فهي أيضاً تتمتع بفوائد إجتماعية جمة. اذ سيكون لهذا التنظيم فضيلته النفسية من خلال دوره في تصليب الجماعة وشدها، كما ستكون له مزايا حركية من خلال بث الوعي والافكار التي يراد توصيلها الى الجماعة والى المجتمع عامة، كما سيكون لهذا التنظيم سماته التغييرية من خلال تيسير ممارسة عملية التغيير الإجتماعي.

هذه المعطيات في الجهات الثلاث كما يؤيدها المسار التاريخي للشعائر وحاضرها الراهن، فهي تلقى لها سندا أيضاً من الطرائق الحديثة في بث الافكار وتغيير القناعات وممارسة التغيير الإجتماعي[٢٢].

---

(١٩) نهضة عاشوراء، ص ١٢ .
(٢٠) نهضة عاشوراء، ص ٦٤ .
(٢١) المصدر السابق، ص ١١ .
(٢٢) يلاحظ على سبيل المثال: الافكار المستحدثة وكيف تنتشر، ا.فريت . م . روجرز، ترجمة سامي ناشد، ص ٢ ، ٣٦٧،٣٤٦ .



احياء مصيبة واقعة كربلاء في شهر محرم الحرام، والبكاء على الإمام الحسين (عليه السلام)، عملان واظب عليهما سيدنا الراحل وكان (طاب ثراه) يردد دائماً بالقول:

كل ما عندنا هو من عاشوراء

تأملات في سيرة روح الله الخميني

الأستاذ عرفان محمود

شمولية الاصلاح في سيرة الإمام

ليس جزافا القول بأننا قلما نجد في التاريخ الإسلامي بعد المعصومين - صلوات الله عليهم - قائدا تجلى في سيرته المنطق النبوي: **﴿ان أريد الا الاصلاح ما استطعت﴾** [هود:٨٨] مثلما تجلى في سيرة الإمام الخميني (رضوان الله عليه).

آية الله الخميني كان مصلحا، ساعيا للاصلاح بما استطاع بحركة شمولية امتدت الى مختلف ابعاد الحياة الإنسانية، شملت الحياة الدينية، فسعى جاهدا مجاهدا لإحياء القيم الإسلامية النقية المغيبة، حافظا أصولها منبها الى ضمانة الوصول اليها وتجسيدها، فافتتح اول بيان لنهضته المباركة بالموعظة الإلهية التوحيدية الواحدة؛ **﴿قل إنما أعظم بواحدة ان تقوموا لله مثنى وفرادى﴾** [سبأ: ٤٦] وافتتح آخر نص في تراثه الفكري المدون- وصيته السياسية الإلهية - بنص حديث الثقلين المتواتر وهو وصية النبي الخاتم (ص) لأمته بالتمسك بالقرآن والعترة للنجاة من الضلالة وميتة الجاهلية، وبين هذا وذاك عرف الأمة بجملة من أمهات الحقائق الإسلامية المغيبة وبينها لها بجرأة وشجاعة معيدا فاعليتها في حياتها، وبذلك أحياها عمليا.

وشملت حركته الاصلاحية الحياة السياسية، وهذا أمر معروف مشهود فقد اطاح بأحد اهم انظمة التبعية للغرب في العالم الإسلامي واقام دولة إسلامية معاصرة وحديثة

• صاحب دراسات تخصصية في الشؤون السياسية والإسلامية / يقيم في مدينة قم المقدسة.

(••) معظم الحوادث والمرويات الواردة في هذا المقال بشأن سيرة الامام الخميني (قدس سره) نقلناها من كتاب «يا به پاي آفتاب» وهو كتاب بالفارسية جمع في اجزائه الاربعة الكثير من المقابلات مع تلامذة الامام والمقربين منه واصدقائه بشأن ذكرياتهم عنه (رضوان الله عليه) كما نقلنا بعض ما أوردناه هنا من ذكريات ومن مقابلات اخرى نشرتها مجموعة من المجلات والصحف الصادرة في ايران مثل: مجلة حوزة، مجلة نور علم.. وغيرها.. فنكتفي بهذه الملاحظة العامة عن ذكر مصادر ما نقلناه في حواشي المقال حفظا للاسترسال فيه.

وكان لذلك آثار ومعطيات كثيرة كتب عنها الكثير، وتكفي هنا الاشارة الى ما يناسب موضوع حديثنا وهو ان الاصلاح السياسي كان مقدمة في سيرة الإمام الخميني(رض) للاصلاح الإجتماعي، لأن الحكومات الفاسدة وبسيطرتها على زمام الأمور في المجتمع والامانات المؤثرة فيه تهدم بساعة ما يبنيه المصلحون في سنة من قيم التربية السليمة في المجتمع. هكذا أجاب الإمام (رض) على أسئلة من استغرب تصديه لمواجهة النظام الملكي في بدايات نهضته ودعاه يومها لصرف جهوده في تربية الأمة اولا واعدادها للمواجهة كمرحلة لابد منها، فكان تأكيد آية الله الخميني على لزوم القيام بكلا المهمتين معا للعلة التي ذكرها. وهذه ميزة مهمة في حركته الاصلاحية.

الواعظ والمتعظ

والخميني (واعظ متعظ) قرن سعيه لاصلاح الأمة بالموعظة الحسنة والكلمة المؤثرة الصادقة. قرنها بالاصلاح لها بسيرته العملية لا بالكلمة وحدها، مقتديا بجده مولى الموحدين وامير المؤمنين (سلام الله عليه). الذي ما أمر الأمة بفضيلة الا وكان قد سبقها اليها وما نهاها عن رذيلة الا وقد كان منزّها عنها، مع حفظ الفارق في المرتبة، فعلي وسيده النبي وآلهما المعصومون (صلوات الله عليهم) هم المثل الاعلى والاسوة الحسنة لروح الله الخميني وسائر المصلحين من اتباعهم.

ونحن في هذه الاشارات نقف عند بعض مفردات السيرة الخمينية، نتعرف منها على أسرار بلوغ هذا العبد الصالح مراتب الكمال فنتأسى بها ونسعى لتجسيدها، فهي مصاديق لتجسيد هذا العالم الرباني لنفحات من قيم الهداية المحمدية والفضائل العلوية.

التوحيد الخالص ودوام الشهود

التوحيد الخالص هو السمة البارزة في سيرة الإمام الراحل (قدس سره) وفيما يكمن السر الاول لما وصل اليه من مقامات سامية في العلم والعمل. لقد اجتهد روح الله الخميني في ان تكون حركاته وسكناته ومواقفه كافة منطلقة من السعي لرضا الله تبارك وتعالى وطاعته، فهو لم يكن يرى مؤثرا في الوجود سواه تعالى، وبهذا كان يوصي أحياءه في رسائله وكتبه وبياناته، بأن يؤمنوا وجدانيا بأن (لا مؤثر في الوجود سوى الله).

كان (رحمه الله) يرى العالم كله «محضرا لله تبارك وتعالى» مكشوفا بالكامل أمام السميع البصير، فكيف يعصي الله - والحال هذه؟! كان يوصي أمته بذلك قائلا: «العالم محضر لله فلا تعصوا الله في حضرته» وأصبحت هذه الكلمة شعارا نراه على الكثير من

الجدران في إيران ايام ثورتها: يكتب الى جانب كلمات الإمام في مواجهة الإستكبار وشؤون سياسية أخرى.

كان آية الله روح الله الخميني موحدا لله في جميع حركاته يسعى لرضاه لا لرضا غيره، لا فرق بين ان يكون هذا (الغير) قريبا منه او بعيدا، وطريقه - (رحمه الله) - لرضا الله هو الالتزام الصارم بالتكليف الشرعي وبوصايا النبي وآله المعصومين - صلوات الله عليهم اجمعين - لأن ما فيها هو رضا الله وهي السبيل الأقوم للتوحيد الخالص.

تقديم رضا الله في كل حين

في الاعوام الاولى التي أعقبت انتصار الثورة الإسلامية في إيران سمعنا وسمعتم في حينها او قرأتم لاحقا فيما كتب عن مسيرة الثورة، بنبأ مؤامرة الانقلاب الفاشلة التي قادها (صادق قطب زادة) لقلب النظام الإسلامي الفتي يومذاك، وبعد فشلها واعتقال عناصرها، حكمت المحاكم الإسلامية على عدد منهم بالاعدام وعلى آخرين بأحكام اخرى دونها.

أحد المحكومين بالاعدام استطاع الاتصال بآية الله السيد صادق اللواساني، وكان (رحمه الله) من قدماء زملاء الإمام الخميني تربطه به علاقة مودة وصداقة وثيقة للغاية، وكان لهم دور مهم في انتفاضة خرداد الشهيرة، عبّر فيه عن شدة حبه للامام ووفائه له، وكان الإمام بدوره يكن له الكثير من الاحترام والعرفان بالجميل على وفائه.

الشخص المحكوم بالاعدم استخدم أساليب متنوعة نجح عبرها في التأثير على السيد اللواساني واقناعه باستحقاقه لأن يشفع له عند الإمام فيتدخل لتخفيف الحكم عنه، واظهر للسيد الندم والتوبة، فاقتنع السيد وزار الإمام متشفعا عنده ذلك الشخص والح في شفاعته الى حد التضرع والتوسل!

الإمام كان يصغي لطلب السيد وكلامه، ورفض الشفاعة دونما توضيح في المرة الاولى، فاصر السيد اللواساني، فسكت الإمام برهة، ثم قال:

على الرغم من مودتي الشديدة لكم ورغبتي في رضاكم، لكنني لا أقدر على ان أقدم رضا المخلوق على رضا الخالق، ولا استطيع ان أرجح رغبتي في رضاكم على رضا الله سبحانه، ولا ان اقدم العلاقات الشخصية على الاحكام الإلهية، ان هذا حكم الله ويجب تنفيذه.

الاستقامة في تنفيذ أحكام الله

وينقل حجة الإسلام الآشتياني، وهو من أعضاء مكتب الإمام الراحل انه عندما تم اعتقال أحد أبناء آية الله الطالقاني - (رضوان الله عليه) - لارتباطه بإحدى فئات المحاربين للإسلام المسلحة، اعترض السيد الطالقاني وزار الإمام (رحمهما الله) فقال له الإمام: ان ابنكم منحرف ثبت ارتباطه بالمجموعات اليسارية المسلحة والمحاربة فلا ينبغي ان يصيبكم الاذى الى هذا الحد لاعتقاله!

ثم أردف الإمام (رضوان الله عليه) كلامه قائلا باطمئنان وحزم وصدق:

والله، لو وقع ابني احمد في انحراف وكان حكمه الاعدام، لقمت بتنفيذ هذا الحكم الإلهي بنفسي!

غيرة روح الله على الله ودينه وعباده

عن الصفات البارزة التي امتازت بها شخصية الإمام الراحل روح الله الخميني (رضوان الله عليه)، والتي تجلى فيها رسوخه في التوحيد الخالص لله تبارك وتعالى، شدة غيرته الإيمانية على شعائر الله، وعلى دين الله، وعلى كرامة عباد الله، وتفانيه في الدفاع عنها!

وكانت هذه الغيرة المقدسة - في سيرته - معيارا لتقويم المواقف المختلفة للآخرين، والأساس الذي يستند اليه في اتخاذ المواقف تجاه الكثير من الجهات والقضايا، ويتقرب بذلك الى الله تعالى، اذ ان في الدفاع عن شعائر الله ودينه دفاع عن المنهج التوحيدي القويم الذي يكفل لبني آدم العدالة، والكرامة والرقي وسعادة الدارين، فالمدافع عنه مدافع عن العدالة والكرامة وكذلك عن المستضعفين لأن يحمي لهم ما فيه ضمان سعادتهم وكرامتهم.. وهو بذلك يجاهد في سبيل الله والمستضعفين، وهو بذلك فوق الطموحات الشخصية او الفئوية او الاقليمية او القومية، وهذا سر تأثير الروح الاصلاحية للموحد الخميني - (رضوان الله عليه) - في الجميع من مختلف الاتجاهات، او هو أحد أسرار تأثيرها.

الغيرة الإيمانية هي معيار المواقف

يروي حجة الإسلام الشيخ جلالي الخميني انه بعد مجيء حسن علي منصور لرئاسة الوزراء إبّان الحكم الملكي، أرسل رئيس الوزراء الجديد - أعني منصور - رئيس منظمة

الامن الملكي الإرهابية المعروفة باسم (السافاك) الى قم المقدسة، لكي يلتقي الإمام (قدس سره) ويطلب منه طلبا محددا هو السماح للحكومة الجديدة ورئيسها منصور بمزاولة اعمالها بهدوء!

كان هذا الطلب في بدايات نهضة الإمام (رحمه الله) ومواجهته الجريئة للحكم الملكي وسياساته المناقضة لشعائر الله ودينه.

وطلب مبعوث الحكومة الجديدة من الإمام كان يعني ان يخفف معارضته لكي تتمكن الحكومة من تثبيت اوضاعها، وقرن المبعوث طلبه هذا من آية الله الخميني بوعود وعهود مؤكدة، بأن يستمع رئيس الحكومة الجديدة لنصائح الإمام وتوجيهاته، كما قرنها بتحذيرات مشددة من ان الحكومة ستواجه المعارضة بعنف حتى لو اقتضى الأمر إراقة الدماء!! ويلاحظ هنا ان حامل هذه الرسالة هو رئيس منظمة الامن الملكي (السافاك)! المشهورة بالإرهابية وسفك الدماء! فماذا كان جواب الإمام (رضوان الله عليه)؟

أجاب - (رحمه الله) - بحزم قائلا:

«انني لم أعقد عقد اخوة مع احد! وليس لي عداء شخصي مع احد!! انني لست معاديا لمنصور ولكني لم أعقد معه عقد اخوة ايضا!

إنني ساواصل مراقبة سياسات الحكومة (فمنصور لم يأت بالواقع بحكومة جديدة والتغيير في الوجوه في اطار الحكم الملكي نفسه - ليس هذا من كلام الإمام ، بل هو من بين سطوره) فاذا استمرت على ما هي عليه مناهضة لدين الله وكتاب الله وشرع الله، واصلت انا أيضاً معارضتي بالأسلوب الذي اخترته دونما تغيير!

أما إذا غيرت سياساتها تجاه الإسلام والقرآن والشعب والمستضعفين، غيرت انا موقفي ايضا!

لقد لجّ الملك في سياسة البطش والقتل فما الذي جناه؟ وما الذي يستطيع فعله اكثر ما فعل؟ لا حاجة لاستمرار الاتصالات بيننا، عندما يلزم الأمر فاني سأقوم بمبادرة!»

قصة تأليف (كشف الاسرار)

وقبل ذلك وفي اطار سياسات النظام الملكي لزعزعة الاعتقادات الدينية للامة، الف أحد المنحرفين من ذوي السابقة الدينية الحوزوية كتابا سماه (أسرار الالف عام) تهجم فيه على الكثير من أمهات العقائد الإسلامية، وكرر في جانب منهم من كتابه اتهامات الوهابية ضد مذهب أهل البيت - (عليهم السلام) - تحت شعارات التصحيح ومحاربة

الخرافات والبدع، واخذوا بترويج هذا الكتاب على نطاق واسع الأمر الذي كان ينذر بآثار سلبية كثيرة. وعندما اطّلع آية الله الخميني علي الأمر انتفض غيرة على الإسلام ودفاعا عن حريم مذهب أهل البيت (عليهم السلام) فعطّل دروسه الحوزوية، واعتزل لكتابة ردّ على هذا الكتاب خصص له جلّ وقته في جهود مضنية اتعبت عينيه حتى مرضتا!

وكانت الثمرة تأليفه لكتابه المعروف (كشف الاسرار) وأعطاه للجنة في الحوزة العلمية في مدينة قم المقدسة تم تشكيلها للرد على الكتاب الاضلالي المذكور، فلما اطلعت اللجنة على رد الإمام الخميني، وجدته جامعا شافيا متينا واختارته للطبع والنشر. بل وقررت منع نشر غيره من الردود التي الف بعضها عدد من كبار العلماء، لمتانة وقوة استدلالات الإمام وتوفيرا للجهود على نشره وحده!

وكان من الطبيعي ان يفتخر من يصنف مثل هذا الرد العلمي الرصين الذي حظي بكل هذا التأييد من الحوزة العلمية، ويتناول دحض افتراءات كتاب حظي بكل ذلك الترويج، كان من الطبيعي ان يصرّ المؤلف على وضع اسمه على الكتاب خاصة اذا لاحظنا ان زمن التأليف كان قبل تصدي الإمام للمرجعية الدينية وكان مرشحا لها يومذاك ونشر مثل هذا الكتاب المهم باسمه يخدم كثيرا مستقبله المرجعي!

ولكن المفاجأة كانت في ان الاصرار الخميني جاء بالاتجاه المعاكس! لقد رفض الموحد الخميني ان يوضع اسمه على هذا الكتاب المهم، ولم يسمح بذلك رغم الالحاح الشديد، وكل ذلك حفظا للاخلاص في القيام بهذا العمل في سبيل الله، فغيرته على مقدسات الدين ثمرة ذوبانه في الإرادة الإلهية والتوحيد الخالص والعشق الإلهي النقي.

غيرته على الرموز الإسلامية

ينقل آية الله الشيخ اللنكراني، ان آية الله العظمى السيد البروجردي كان يكنّ احتراما كبيرا للسيد الإمام - (رضوان الله عليه)ما - ويهتم بآرائه ويقربه، وكان للامام دور مؤثر في اقناع السيد البروجردي بالاقامة في قم لترؤس حوزتها العلمية وتقويتها في وقت كانت تعاني من بعض التشتت والضعف بعد وفاة مؤسسها آية الله العظمى الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي، كما كان للامام دور مشهود في تقوية زعامة السيد البروجردي للحوزة وتنظيم شؤونها، وكان السيد البروجردي يستشيره كثيرا ويعمل بالكثير من آرائه.

ولكن ظهر فيما بعد بعض الاختلاف بينهما بسبب مساع مكثفة بذلها بعض أصحاب النميمة الوشاة الذين حسدوا الإمام على مكانته عند السيد البروجردي، فظهر البرود في العلاقة وقلل الإمام من تردده على السيد البروجردي (رضوان الله عليهما).

في أثناء فترة البرود هذه دخل أحد أصهار الإمام عليه، وأراد انتقاد السيد البروجردي في حضوره، وبمجرد ان بدأ الكلام تغيرت ملامح الإمام (رحمه الله) وأطرق الى الأرض وقطع حديثه بلهجة حازمة صارمة ليقول:

«انني لا اسمح لاحد ومهما كانت منزلته بالاساءة الى زعيم المسلمين»!

وفي هذا الموقف دلالة واضحة على شدة غيرة الإمام على الرموز الإسلامية وعدم سماحه للمواقف الشخصية بالتأثير على ذلك!

شدة الغيرة الإيمانية

الغيرة الإيمانية على شعائر الله وشرع الله تبارك وتعالى، تجلت في حركات عبده الصالح روح الله الخميني ومواقفه طوال سيرته المباركة، وتجسدت في شدة التزامه (رضوان الله عليه) بالسعي لتطبيق احكام الإسلام على الصعيد الفردي والإجتماعي، وحفظ شعائر الإسلام ورموزه لأن حفظهما يعين على تطبيق تلك الاحكام القدسية، وفي ذلك تتحقق كرامة الإنسان وبدونها لا كرامة له!

هذه الغيرة المقدسة تجلت بوضوح في موقفه الحازم من إساءة المرتد سلمان رشدي للنبي الاكرم (صلى الله عليه وآله) في روايته سيئة الصيت (الآيات الشيطانية) فقد نقل أحد أعضاء مكتب الإمام عنه (رضوان الله عليه) قوله:

«لو كان بي قوة ولم يكن قد استولى علي ضعف الشيخوخة لذهبت بنفسي الى لندن ونفذت حكم الله تعالى في هذا المرتد لاساءته للمقدسات الإسلامية».

فتواه بشأن (الآيات الشيطانية)

أصدر الإمام (رضوان الله عليه) فتواه الشهيرة بإهدار دم المرتد رشدي وتابعها بحزم وصرامة، فكان لهذا الموقف الغيور ثمارا كثيرة، ولعله لا نجد في مسيرة الثورة الإسلامية في إيران موقفا كان له ما كان لهذا الموقف من تأثير على صعيد التقريب بين المسلمين والوحدة الإسلامية، بل انه اوجد موقفا إسلاميا موحدا قل نظيره في التاريخ الإسلامي الحديث تجاه القضايا التي تهم المسلمين، فقد ساندت موقف الإمام الكثير من الاطراف التي كانت لها مواقف سلبية تجاه النهضة الخمينية وتحركاتها، بل تغيرت مواقفها تجاه هذه النهضة وإمامها.

لقد أثار هذا الموقف الخميني الغيور حملات التشويه التي شنتها الاطراف المعادية

والافتراءات التي نشرها بين أوساط المسلمين وخاصة من مذاهب أهل السنة، فأدرك الكثير منهم إخلاص الإمام (رحمه الله) في الدفاع عن المقدسات الإسلامية من خلال هذا الموقف الغيور الذي عرّض الدولة الإسلامية لتحمل الكثير من الاذلال والضغوط السياسية والإقتصادية من الدول الغربية وغيرها.

فليكن ذلك ويطبق حكم الله

ينقل الشيخ محمد علي الانصاري الكرماني احد اعضاء مكتب الإمام (قدس سره)، ان بعض المسؤولين السياسيين في الجمهورية الإسلامية، طلبوا من الإمام السماح بأن تبقى فتواه بشأن المرتد رشدي في إطار الصبغة الدينية بعيدا عن التحركات السياسية، تجنبا للتبعات الناشئة عنها، وضغوط الدول الغربية، خاصة وان الجمهورية الإسلامية كانت قد خرجت للتو من حرب الاعوام الثمانية وبدأت حركة اعادة الاعمار وهي بحاجة الى اجواء هادئة للقيام بذلك.

الشيخ الانصاري نقل هذا الطلب للامام، فماذا كان جوابه (رضوان الله عليه)؟ كان الجواب مختصرا، لم يتطرق للتفصيلات لكنه كان واضحا في الاعلان عن الاستعداد لتحمل تبعات الدفاع عن المقدسات الإسلامية، قال (رحمه الله):

«لو تقطعت جسور علاقات إيران مع دول العالم كافة بسبب تطبيق هذا الحكم الشرعي، فليكن ذلك ويطبق حكم الله سبحانه».

وينقل آية الله الشيخ محمدي الكيلاني، انه وبعد تصدي الإمام الخميني (رضوان الله عليه) لمساعي النظام الملكي الإيراني لدفع برلمانه للمصادقة على مشروع منح الحصانة القضائية للاميركان العاملين في إيران وهو مشروع كان يمثل إساءة صريحة لمسلمي هذا البلد، بعد ذلك حذّر البعض آية الله الخميني من تبعات موقفه الحازم تجاه هذه المساعي الملكية والخطوات العنيفة المضادة المتوقعة من النظام الملكي، فقال الإمام في إجتماع خاص مع تلاميذه:

«لو قدمنا مائة الف ضحية قرابين في سبيل الغاء هذا المشروع المسيء لكرامة المسلمين لكان الأمر جديرا بذلك».

غيرة إبراهيمية على الأمة

لقد سعى هذا القائد الرباني بكل جهده للتغيير والاصلاح في اوضاع الأمة ما استطاع لذلك سبيلا، فقد آلمه ما ألم بها من محن وما وصلته من حالة مأساوية، بعد ان تخطفها

الإستعمار الغربي وأياديه من كل جانب!

الأمة التي ارادها الله تبارك وتعالى ان تكون خير أمة أخرجت للناس، وان تكون الأمة الآمرة بالمعروف والناهية عن المنكر وقائدة المجتمع البشري نحو التحرر من العبوديات الأرضية واخراجه من الظلمات الطاغوتية الى النور الإلهي واقامة الحياة الكريمة السعيدة للبشرية جمعاء التي تسودها قيم العدالة الإلهية والأمن الذي لا يخشى معه ظلم ظالم وكيد منافق او كافر.

هذه الأمة وجدها الإمام - (رضوان الله عليه) - قد ابتعدت كثيرا عن هذا المستوى الكريم الذي أراده الله سبحانه لها، فبدلا من ان تكون رائدة إنهاء الظلم والطاغوت أصبحت هي محكومة بالظلم مستذلة بالخضوع للإستعمار الغربي بصورة مباشرة او غير مباشرة، عبر استرقاقها بقيود التبعية للغرب في مختلف شؤونها.

الذي يراجع سيرة الإمام (قدس سره) يجد فيها حركة دؤوبة مخلصة لاخراج الأمة من هذا الرق وذلته واعادة مسيرتها الى الصراط المستقيم والكرامة وتحريرها من نير العبوديات الطاغوتية، يدفعه لذلك غيرته الإيمانية.

وأهم ما يميز هذه الحركة الاصلاحية هو الاخلاص الراسخ في الدفع اليها، وهو دافع التقرب الى الله تبارك وتعالى في السعي لإنقاذ عباده من ذاك الاستضعاف وهذا هو السر الاهم لنجاح مساعيه (قدس سره) لأن ما كان لله ينمو، وقد اخلص الإمام لربه فسدد خطاه، اذ تحلى باخلاقه وجسدها إحداها وهي الغيرة، وفيه من اسمى أخلاق الانبياء (صلوات الله عليهم). ألم نسمع خاتمهم محمد (صلى الله عليه وآله) يعلن بأن ابراهيم (عليه السلام) الذي اتخذه الله خليلا كان غيورا، وانه - أعني محمدا (صلى الله عليه وآله) - أشد غيرة من ابراهيم (عليهما وآلهما الصلاة والسلام)، أما الاشد غيرة من محمد (صلى الله عليه وآله) فهو ربه الله تبارك وتعالى، وكان من غيرته ان حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن!

الخميني لا يرضى سوى بحكم الله ولا يساوم عليه

بعد ايام من وفاة الإمام (رضوان الله عليه) اجرت اذاعة (صوت اميركا) مقابلة مع (هنري بريشت) الذي شغل منصبي الملحق السياسي ثم العسكري في السفارة الاميركية في طهران ما بين عامي (١٩٧٢-١٩٧٨) ثم شغل منصب مسؤول الشؤون الإيرانية في وزارة الخارجية الاميركية، فهو خبير متضلع في الشؤون الإيرانية. في هذه المقابلة، قال هنري بريشت عن الإمام:

«لاشك بأن آية الله الخميني هو من كبار القادة التاريخيين في هذا القرن، ويندر وجود نظير له في نفوذه المعنوي وجاذبيته القيادية ليس في إيران وحسب بل وعلى الصعيد العالمي ايضا، فقد استقطب اهتمام القوى الكبرى..

اعتقد ان المؤرخين سيوضحون للعالم يوما ان آية الله الخميني لم يعرف بصورة صحيحة، انه كان بحق الرجل الذي لا يرضى سوى بحكم الله ولا يساوم احدا..»!

نلاحظ هنا ان هذه الشهادة هي من سياسي ليس بمسلم وموظف في حكومة تضررت كثيرا من نهضة الإمام فاصبحت الحكومة الاشد عداء لروح الله، فلا يمكن القول بأن مثل هذه الشهادة صادرة بدافع شيء من التأثر العاطفي او المودة والولاء الديني، وبالتالي فهي ونظائرها كثيرة تكشف عن شدة ظهور غيرة الإمام على حكم الله في سيرته، ولذلك نهو لا يساوم احدا عليه كما يقول هذا السياسي الاميركي.

والله يصلح عمله

إن من أهم مكامن العظمة في هذا السيد الموسوي (رضوان الله عليه) شدة تعبده بالاوأمر الإلهية بمعنى انه لا يتحرك الا على وفق الإرادة الإلهية وباخلاص كامل واستقامة نادرة جذبت انتباه حتى الغرب، فكيف لا يراها ذو عين بصيرة؟!

يقول حجة الإسلام الشيخ صادق الطهراني:

«مما امتاز به الإمام شدة الاخلاص في العمل في سبيل الله، عندما عزمت على التشرف بزيارته وخدمته، ذهبت الى الشيخ عباس الطهراني - وهو من الاولياء الاتقياء المعروفين - واخبرته بما عزمت عليه، فقال لي:

مهما خدمت السيد روح الله فعملك قليل لان كل ما يقوم به هذا السيد هو عمل خالص لله، وحتى لو اخطأ اصلح الله عمله لانه يعمل لاجله!».

والإمام كان يرى (يد الله)

هذا التعبد الخالص لله جلت قدرته هو ما نراه العامل الأساس فيما تميز به هذا القائد الرباني (رضوان الله عليه) من حنكة قيادية ونفوذ معنوي وكفاءة عالية في قيادة الثورة والدولة الإسلامية حتى أصبح من القادة التاريخيين في القرن الاخير وهذه حقيقة واضحة أذعن لها الجميع الأعداء قبل الاصدقاء!

هذا التعبد النقي لله جلت قدرته هو العامل الذي استنزل به هذا العبد الصالح النصرة

الإلهية التي تتنزل على عباد الله المخلصين الناصرين لدينه، فجعلته يرى يد الله في كل ما حققه من انتصارات.

ينقل آية الله الشهيد مرتضى المطهري في كتابه حول الثورة الإسلامية ان الإمام قال له في لقاء خاص:

«لسنا نحن الذين نحقق هذه الانتصارات، بل اني أرى بوضوح يد الله فيها».

ثم يعلق المطهري على كلام استاذه بالقول:

«اجل، ان الذي يرى يد النصرة الإلهية ويحس برعاية الله ويتحرك في سبيله يفوز بنصرة اضافية استنادا لسنة ان تنصورا الله ينصركم..».

نفحة من عبادة روح الله

يقول الشيخ محمد علي الانصاري الكرماني وهو من المقربين الملازمين للامام في السنين الاخيرة من حياته المباركة في حديث له عن هذا العبد الصالح (رضوان الله عليه):

«الى جنب مظاهر الجرأة والشجاعة التي تجلت في روح الإمام وتحركه في سبيل الله، لم يكن يغفل ابدا عن الاذكار والنوافل والمستحبات، فكان يلهج بالتسبيح والاذكار والزيارات حتى اثناء المشي، ويواظب على تلاوة القرآن بذاك الصوت الملكوتي عدة مرات في اليوم.. كنا نجده مشغولا بتلاوته كلما دخلنا عليه.. وينقل نجله المرحوم السيد احمد انه استيقظ ليلة على سماع صوت شجي يتهجد فقام ليشاهد الإمام يصلي في عتمة الليل وقد رفع يديه للسماء والدموع تنحدر من محاسنه الكريمة».

ومعلوم ان هذا العبد الصالح لم يترك صلاة الليل على مدى ستين عاما من حياته المباركة!

الخميني كان عبدا لله

بهذا التعبد الصارم لله جلت قدرته والتضرع الخاشع له تبارك وتعالى، تملك روح الله تلك الشجاعة الإيمانية وتلك البصيرة القيادية الربانية التي حير بها العالمين، لم يخش احدا لأنه كان مشفقا من خشية الله الذي بيده ملكوت كل شيء، ولم يخضع لشيء لأنه خضع للذي عنت له وجوه كل شيء، وكان عزيزا لأنه ذل لمن له العزة جميعا، وكان يرى حقائق الاشياء والأمور كما هي لأنه كان ينظر بعين الله.

كان (رحمه الله) متعبدا بشرع الله في جميع الاحوال في السراء والضراء لا يغفله

عن ذلك شيء، يروي نجله المرحوم السيد احمد (رضوان الله عليهما) قائلا:

«في اليوم الذي اعقب مغادرة الملك محمد رضا بهلوي لإيران، اجتمع ما يقارب الاربعمائة من مراسلي الصحف والشبكات الاعلامية حول منزل الإمام في ضاحية نوفل لوشاتو، ووضعوا له سريرا خشبيا ليقف عليه فيستطيع الجميع مشاهدته.

جاء الإمام ووقف في المكان المخصص تحيط به عدسات الكاميرات، وبدأ المراسلون بطرح اسئلتهم حول هذه الحادثة المهمة (فرار الملك). ولكن الإمام لم يجب الا على سؤالين او ثلاثة حتى ارتفع صوت الاذان من محل اقامته، فتحرك فورا مغادرا محل المؤتمر الصحفي، قائلا: لا ينبغي تأخير صلاة الظهر عن فضيلة اول وقتها!

استغرب الجميع هذا الموقف وطلبوا منه ان يصبر دقائق يجيب خلالها على بضعة اسئلة اخرى لكنه رفض بحزم وغادر المكان...».

اول تصنيف له كان في الدعاء

لقد كان اول كتاب صنفه روح الله الخميني هو شرحه القيم لدعاء البهاء المروي عن اهل البيت (عليهم السلام) لأسحار شهر رمضان، وقد الفه وهو ابن سبع وعشرين سنة ورغم ذلك لا زال يعتبر من المتون العرفانية المهمة والمصدرية فيما يرتبط بحقائق التوحيد الخالص.

وما تجلى في سيرته (رضوان الله عليه) من هذا الارتباط العبادي بالله عزّ وجل، أوصى به الآخرين ايضا، فنجد في تراثه تأكيدات مشددة على المواظبة على تلاوة القرآن وادعية اهل البيت (عليهم السلام) سعيا للحصول على المعارف التوحيدية الخالصة وسبيل السلوك الى الله تعالى والتعبد الخالص له جلت قدرته.

العلاقة بين الخميني والأمة

تجلت في نهضة الإمام الخميني (رضوان الله) عليه ظاهرة بارزة تحدث عنها كل من كتب عن هذه النهضة، واعتبرها الكثيرون أحد أبرز عوامل انتصاره وصمودها بوجه التحديات الخطيرة التي مرّت بها قبل الانتصار وبعده، وهي ظاهرة قوة الالتفاف الشعبي حول قيادته وقوة التفاني الجماهيري في تحقيق أهدافه، ولا ينسى التاريخ ان الملايين الثلاثة الذين عمهم السرور والفرح وهم يتدافعون على مطار طهران لاستقباله عند عودته الى إيران اصبحوا عشرة ملايين افقدهم الوعي مشاعر الحزن التي تفجرت فيهم وهم يتحملون حر الشمس الصيفية لتشييعه وتوديعه بعد عشرة اعوام لم يحصلوا فيها من المكاسب المادية

ما يبرر هذا العشق الفريد.

انها ولاشك ظاهرة غريبة وفريدة في التاريخ المعاصر بل ونادرة في عموم التاريخ الإنساني، ولا نكاد نجد نظيرا لها، لا في التفاف هذه الأمة حول قائدها الرباني وعشقا له وطاعته لأوامره، ولا في عشق هذا القائد الرباني لأمته وحرصه على إعزازها ورفع الذل والاغلال عنها.

الإمام كان يثق بالأمة

الإمام (رضوان الله عليه) كان يثق بقوة بأمته، وتميز بهذه الثقة حتى عن الكثير من المقربين اليه. ينقل آية الله الشيخ محمد رضا توسلي احد قدماء اعضاء مكتبه، ان المقربين منه (قدس سره) كانوا يقولون له بشأن بعض تحركاته التي تحتاج الى المزيد من التضحيات والصلابة الجهادية:

سيدنا خفف سرعة التحرك بعض الشي، فالوهن سيتسلل الى الشعب، وقد يعجز عن مواكبتك! لكن الإمام (رحمه الله) كان يرد بحزم:

«كلا الشعب ليس كما تتصورون، انا أعرَف منكم به»!

ويروي السيد المهندس مير حسين الموسوي رئيس الحكومة الإسلامية في سني الحرب المفروضة، انه كان في احدى الامسيات في خدمة الإمام الراحل (قدس سره) ونجله السيد احمد في منزل السيد احمد (رحمه الله) فجرى الحديث عن التضحيات والملاحم التي يسطرها الشعب في الدفاع عن الإسلام ودولته فقال الإمام: «ان الجماهير متقدمة علينا كثيرا، ونحن نتحرك خلفها»!

علق احد الحاضرين على كلمة الإمام (رحمه الله) بالقول:

ان ما تفضلتم به يصدق علينا نحن وليس على سماحتكم، فانت متقدم على الجماهير او على الاقل مواكب لها!

انفعل الإمام من هذا التعليق وقال بلهجة تأكيدية:

«بل الجماهير هي المتقدمة»!

وعلق المهندس حسين الموسوي على هذه الحادثة بالقول: ان الإمام كان يؤمن بقوة وعمق بعودة الجماهير الى فطرتها الإسلامية وصحوتها بذلك، واعتقد ان هذا من المعالم البارزة في منهج الإمام ذات الجذور السابقة لانتصار الثورة الإسلامية ويجب العمل

بمقتضاها. وينقل السيد احمد بهاء الدين من اعضاء مكتب الإمام (رحمه الله) انه علق على استجابة الحجاج الإيرانيين لتوجيهاته بشأن مقاطعة البضائع الاميركية فقال:

«ان لدينا شعبا جيدا، حفظ الله هذا الشعب».

التطور العام في وعي الأمة

اذن تعامل هذا القائد الرباني (رضون الله عليه) مع الأمة تعاملا متميزا بصورة واضحة عن تعامل سائر القادة الذين عرفهم التاريخ المعاصر مع الشعوب، وقد اثبت تفاعل الأمة مع قيادته الربانية ان ثقته (رحمه الله) كانت في محلها خالية من المبالغة.

ثقته بالأمة كانت تتمحور حول الاعتقاد بأنها في هذا العصر متأهلة للاستجابة لتطلعات الإسلاميين في تحقيق أهداف الإسلام السامية، مستعدة للتضحية في سبيلها ومناصرة الإسلاميين في تحركهم التحرري ونفض غبار عقود التغريب والتبعية المقيتة والخروج من اغلالها وذلها المهين.

الإمام الراحل (قدس سره) يرى بأن جذور الارتباط بالقيم الإسلامية لم تمت في هذه الأمة رغم كل الجهود التي بذلها الغرب وذيوله لمسخ شخصيتها وانتمائها الإسلامي، فهذه الجهود نجحت الى حد ما في تطويع الأمة الإسلامية لنمط الحياة الغربية واسرها بقيود التبعية، لكنها فشلت في تحقيق الهدف التغريبي الابعد، وهو قطع طريق عودتها للإسلام وفصلها عنه بالكامل وتشويه صورته في أعينها الى الدرجة التي لا يحتمل معها عودة الأمة في تيارها العام اليه.

تفجير مكامن الارتباط بالإسلام

جهود تشويه الإسلام كانت واسعة ومكثفة للغاية، استطاعت تقليل ارتباط الأمة به، بل وكانت كافية لقطع طريق العودة اليه بالكامل، لو كان الدين غير الإسلام ولكنها فشلت مع الإسلام دين الله القيم المنطلق من جذور قوية راسخة في ضمير الأمة، أبقت وحفظت في وجدانها علقة الارتباط به والاحترام له والإيمان اللاشعوري احيانا بأنه المنقذ الوحيد.

كان المطلوب تفجير مكامن هذا الارتباط في وجدان الأمة وازالة غبار التضليل الغربي الخارجي او الداخلي المتحجر الذي عاضد حملة التغريب في تحقيق أهدافنا وهو يتصور انه يكافحها وعرض الصورة النقية له متجسدة في سلوك حملته ودعايته لدفع الأمة طواعية في مناصرته والدفاع عنه.

وهذا ما يميز القائد الخميني في تحقيقه، فقد فجر بسيرته العملية وليس ببيانه النبوي وحسب هذا الإيمان الفطري بالإسلام وقيمه في ضمير الأمة اذ اخلص في سعيه لخدمتها وهو الذي افتخر مرارا بأنه خادم لهذه الأمة وصرح تكرارا بأن الأحب اليه وصف خادم الأمة وليس قائدها.

عرفت الأمة صدقه - (رضوان الله عليه) - في التعبير عن أهداف الإسلام السامية وصدق غيرته الإيمانية عليها واخلاصه في حفظ كرامتها واخراجها من الظلمات الى النور ونقاء نواياه في تحركه الإنقاذي من أية شائبة من شوائب المنافع والطموحات الشخصية او السلطوية او الفئوية ومواساته لها بالكامل ادركت الأمة ان القائد الرباني يريد الخير لها - كما هو حال السائرين على نهج الانبياء والاوصياء في خدمة عباد الله - وانه يعيش بكل وجدانه آمالها وآلامها فاستجابت له والتفت حوله وعشقته بكل وجودها!

مواساة الخميني للامة

عندما كان الإمام (قدس سره) في النجف الاشرف أصرّ عليه صديقه المرحوم آية الله الشيخ نصر الله الخلخالي بأن يسمح له بشراء جهاز تبريد متواضع من النوع المتعارف في هذه المدينة المقدسة المعروفة بحرارة هوائها فرفض الإمام وارجعوه مرارا في ذلك مستدلين بكبر سنه وان جهاز التبريد حاجة ضرورية في هذه المدينة لايكاد يخلو منه بيت من بيوتها لكن الإمام استقام على رفضه وعندما الحوا عليه في الطلب قال بلهجة صارمة: «اليس من الصحيح ان أحظى بحياة مريحة هنا فيما يتعرض المسلمون في إيران للاذى والتعذيب في سجون الشاه»! وحسم بهذا القول الأمر واغلق باب الالحاح!

وعندما كان (رحمه الله) في ضاحية نوفل لوشاتو الباريسية ذات الطقس البارد طُلب منه ان يستفيد من جهاز التدفئة في المنزل - وهو شيخ كبير يؤذيه البرد - فرفض وأصروا عليه فاستقام على رفضه لأن الشعب الإيراني كان يومذاك يعاني من نقص وقود التدفئة بسبب تصاعد الاضرابات في حقل الصناعات النفطية ضمن استمرار النشاطات الثورية للضغط على الحكم الملكي فكان (رحمه الله) يرى لزاما عليه ان يواسي الشعب الثائر في تعرضه للبرد وله في كل ذلك أسوة حسنة بأبويه وهما أبوا هذه الأمة النبي الاكرم والوصي الاعظم (صلوات الله عليه وآله).

القائد خادم للامة

تنوعت مصاديق خدمة الإمام الخميني -(رضوان الله عليه) - لأمته الى درجة عالية

فشملت سعيه الدؤوب لتعريفها بحقائق إسلامها النقية وجهاده لإنقاذها من سيطرة الطواغيت على مقدارتها ولم تتوقف في إيصال الخير اليها في أي مجال ممكن.

ينقل آية الله الشيخ حسين النوري الهمداني انه كان في أغلب الايام يرى هذا القائد الرباني (قدس سره) وعندما كان في ضاحية نوفل لوشاتو الباريسية جالسا بين مجموعة من الشباب - خمسة او ستة في كل مرة - يتحدث لهم عن الإسلام وقيمه وعقائده واخلاقه وعن تزكية النفوس وسبل الوصول الى الكمالات ويعرفهم بحقائق الاوضاع السياسية والإجتماعية والثقافية القائمة وموقف الإسلام منها.

وكان (رحمه الله) يصرف في هذه اللقاءات وقتا طويلا رغم انه كان يقود فيها مسيرة الثورة الإسلامية في إيران ونشاطاتها لاسقاط النظام الملكي وفي اكثر مراحلها حساسية! يقول الشيخ النوري: كنت اتعجب من عمله هذا واتساءل: كيف يصرف مرجع كبير وفي تلك الايام الحرجة، كل هذا الوقت للحديث مع اعداد محدودة من الفتيان والفتيات بشأن الإسلام والدعوة للتزكية والحكمة؟!

ولكن تعجبي زال عندما رجعت الى سيرة النبي الاكرم - صلى الله عليه وآله - وكيف كان يبذل جهودا مضنية من اجل تعليم الناس الكتاب والحكمة.

ومثل هذه المواقف والسلوك الخميني قد لا نجد له نظيرا في سير غيره - (رحمه الله) - من الساسة والقادة الذين عرفهم التاريخ الحديث فمشاغل المرجعية الدينية العليا وقيادة الثورة ومواجهة الحكومات الفاسدة والسعي لاسقاطها واصلاحها لم تشغل الإمام الراحل (قدس سره) عن مهمته النبوية في اصلاح الفرد والمجتمع ولا هذه المهمة التربوية شغلته عن الاصلاح السياسي ومواجهة الطواغيت والمفسدين. على ان فيما نقلناه عن الشيخ النوري دلالة واضحة في شدة حرص هذا القائد الرباني - (رضوان الله عليه) - على رعاية الأمة في مختلف شؤونها.

الرأفة بالعباد

وينقل آية الله السيد جعفر الكريمي - من اعضاء لجنة الاستفتاء في مكتب الإمام الخميني (رضوان الله عليه) - الحادثة التالية، يقول:

في احدى الليالي جاء فقير الى غرفة الاستقبال في بيت الإمام في النجف الاشرف طالبا المعونة فلم يعامله المسؤول عن متابعة شؤون المراجعين بالصورة المطلوبة الأمر الذي آذى الإمام فاعترض على تصرفه فاجاب هذا المسؤول مبررا عمله: لقد جاء هذا الشخص

- ياسيدي - بالامس والامس الاول وحصل على المعونة! فقال الإمام «ليكن الحال كذلك. محتاج وحاجته تدفعه للمجيء الى هنا. ان صاحب الحاجة أعمى ولا يرى الا حاجته وعلينا ان نقضيها له ما استطعنا واذا عجزنا علينا ان نرضيه بالكلمة الطيبة فلا تؤذوا الناس ...» والشواهد الاخرى على هذه الروح النبوية التي تميز بها هذا القائد الرباني ورأفته بالأمة وسعيه لايصال الخير الى عباد الله سبحانه ودفع الأذى عن خلق الله ومساعدة الضعفاء والمستضعفين ماديا ومعنويا الشواهد الاخرى في هذا الباب كثيرة في المنقول من سيرته ووصاياه.

ينقل حجة الإسلام الشيخ الآشتياني الذي كان ممثلا للامام (قدس سره) في قوات الدرك ورئيس الدائرة العقائدية السياسية فيها انه عندما كان يلتقي الإمام كان يوصيه قائلا: «اوصوا الجميع بأن يتعاملوا مع الناس بأخلاق طيبة إسلامية ويجتهدوا في السعي لحل مشاكلهم. أصغوا لأحاديث وشكاوى الضعفاء واعلموا ان الواجب اليوم - وقد شاءت الإرادة الإلهية ان يصبح بلدنا دولة إسلامية - هو ان تكون القوات المسلحة وقوات حفظ الامن نصيرة للمحرومين مدافعة عنهم، تجعل نشاطاتها كافة منصبة في خدمتهم وتراعي الأخلاق الإسلامية في التعامل معهم».

ويروي آية الله الأستاذ الشيخ عبد الكريم حق شناس - وهو من تلامذة الإمام ومن ائمة الجماعة في احد مساجد طهران - انه شكا للامام (رحمه الله) يوما من كثرة مراجعات الناس له وكثرة ما تستهلكه من وقته فاجابه الإمام ودون ان يتعرض لموضوع الشكوى صراحة -قائلا: وضح لهم كلمة الإسلام ومعارفه فإن مساعدة الناس في الجانب المعنوي يعين الإنسان على الوصول الى الهدف بصورة أسرع .

لا ينبغي الاكتفاء بهذه الاساليب الظاهرية بل يجب الاستمداد من منبع آخر يجب ان يكون المدد اليها».

الشدة على الكافرين

والى جانب هذه الرأفة التي تصل حد التذلل للمؤمنين تحلى هذا القائد الرباني بشدة على الكافرين وعزة في التعامل معهم والشواهد على ذلك في سيرته (رحمه الله) كثيرة تفوق حد الاحصاء. فمثلا ينقل نجله المرحوم السيد احمد -رحمة الله عليه - انه عندما دخلت البوارج الحربية الاميركية مياه الخليج الفارسي للمرة الاولى في اعوام الحرب المفروضة قال بحزم:

«لو كنت انا في الأمر لقصفت اول بارجة اميركية تدخل الخليج الفارسي»! وفي لقاء

آخر مع المسؤولين راجعوه حول الموضوع نفسه قال لهم: «رغم انني قلت باني لو كنت انا في الأمر لقصفت اول بارجة اميركية تدخل الخليج الفارسي لكنكم انتم مسؤولو الدولة فادرسوا الأمر جيدا وشاوروا الخبراء العسكريين ثم اتخذوا ما فيه صلاح النظام الإسلامي والمسلمين».

عزل بني صدر لن يستغرق اكثر من دقيقة

ويروي الشيخ الاشتياني ممثل الإمام (رحمه الله) في قوات الدرك ان القلق ساد اوساط العلماء والحريصين على مستقبل الدولة الإسلامية من سلوكيات (ابو الحسن بني صدر) المخالفة للقيم الإسلامية - إبّان رئاسته للجمهورية الإسلامية واحسوا بالخطر على النظام الإسلامي من رمز في هذا المنصب فذهب عدد من أئمة الجمعة في المحافظات الإيرانية الى الإمام الخميني وهم يحملون هذا القلق فخرجوا من عنده وقد زال عنهم القلق بالكامل وعلت وجوههم علائم السرور والارتياح والاطمئنان!

يضيف الشيخ الاشتياني -وهو عضو في مكتب الإمام -انهم عندما سألوا عن سر تبدل قلقهم الى ارتياح وسرور اجابوا: لقد قال لنا الإمام : «اطمئنوا فاذا تمت الحجة الشرعية فلن أتاخر في اتخاذ الاجراء الحاسم! واعلموا ان خلع بني صدر وعزله لن يستغرق اكثر من دقيقة واحدة .. لا تتوهموا انني أخشى الضجيج فلو ان كل هذه الحشود التي تهتف الآن في حسينية جمران قائلة: يعيش الخميني انقلبت وتغير موقفها بالكامل وهتفت بنقيض ما تهتف به اليوم فلن يختلف الأمر بالنسبة لي قيد انملة! انا لا أعبا لا بهتافات التأييد ولا بالضجيج.. ان ما يهمني القيام بواجبي الشرعي فقط لا غير»!

شجاعة من نمط نادر

كان الإمام الخميني شجاعا: ومثل هذه العبارة قاصرة ولا ريب في التعبير عن عمق شجاعته (قدس سره) وهي شجاعة إيمانية ظهرت في ابعاد عدة من شخصيته (رحمه الله).

من مظاهر المعرفة ما اشتهر به من شجاعة مشهودة في الالتزام بالمواقف التي يتخذها والثبات عليها ما دام معتقدا بصحتها مهما كثر المعارضون وحتى لو كانت صعابها كثيرة واحتمالات النجاح قليلة فما آمن بلزوم القيام به قام به!

ينقل الشهيد السعيد آية الله السيد السعيدي (رضوان الله عليه) وهو من ابرز وكلاء الإمام وقد استشهد قبل انتصار الثورة انه قال للامام مرة بشأن تحركه النهضوي الثوري: انهم سيتركونك وحيدا يا سيدي في المواجهة! وكان (رحمه الله) يعني موقف الآخرين –

في الحوزة وخارجها من حركة الإمام في بدايتها ويشير بذلك الى ضعف احتمالات نجاحها - فاجابه الإمام (رضوان الله عليه): «لو وقف الجن والانس جميعا في جبهة واحدة وانا في الجبهة المقابلة لواصلت طريقي دون ان اغير ما اقوله»!

«انا روح الله الخميني فلا تتعرضوا لغيري بسوء»!

كيف يمكن تفسير مثل هذا الثبات والاستقامة بغير روح الشجاعة النبوية والصلابة المحمدية التي تجلت نفحات منها في سيرة هذا القائد الرباني (قدس سره) العزيز؟! مثل هذه الشجاعة وليدة الإيمان الحقيقي الراسخ والتوحيد العرفاني الخالص الذي جعله يرى وجدانيا ان مصدر كل قوة حقيقية وكل عزة حقة هو الله تبارك وتعالى.

الإمام كان يجيب المعترضين عليه بسبب بعض المواقف الحازمة التي لم يعرفوا أسرارها او الناصحين له بالتراجع عن بعض مواقفه الشجاعة لأن احتمالات تحقيق المرجو الظاهري منها ضئيلة. يجيبهم بأن ما يقوم به هو تكليفه الشرعي والمهم القيام به فنحن مكلفون به وليس بالنتائج!! والذي يقوم بواجبه الشرعي منتصر في كل حال لأنه قائم بما يرى فيه وسيلة القرب الى الله سبحانه مصدر كل خير ومنبع كل قوة فكيف يخشى غيره والأمر كله بيده؟!

بعد حادثة هجوم عناصر النظام الملكي الشهيرة على المدرسة الفيضية والعدوان الشرس على طلبتها أظهر النظام الملكي الكثير من العنف والوحشية وفرض أجواء إرهابية شديدة قام فيها بعملية شرسة لاعتقال الإمام. فهجموا على داره وتعرضوا بالأذى لبعض حاشيته ولم يكن هو (رحمه الله) في الدار وعندما وصله خبر الهجوم على داره أتاهم قبل ان يأتوه وصرخ بهم: «انا روح الله الخميني فلا تتعرضوا لغيري بسوء».

فاعتقلوه واركبوه السيارة لنقله الى طهران. والطريف ان معتقليه كانوا يرتجفون خوفا مما يقومون به ورهبة منه فكان (رضوان الله عليه) يطمئنهم ويخفف عنهم!

يصف (رحمة الله عليه) تلك الحالة وتلك الساعات قائلا فيما نقله عنه آية الله الشيخ اللنكراني وقد تحدث به (رحمه الله) بنفسه في خطاب له: «والله لم يدخلني الخوف قط بل كنت اراهم يرتجفون فاسليهم واخفف عنهم!!».

الشجاعة العلمية ونبذ التقليد

ومن المظاهر الاخرى البارزة للشجاعة الخمينية هي جرأته العلمية وشجاعته الفكرية في تحدي القناعات المسبقة الموروثة وغيرها ومناقشة الآراء الفكرية والعلمية البارزة في منهجه

العلمي التي ذكرها معظم طلبته - (رحمه الله) - وقالوا:

كان (رضوان الله عليه) في دروسه يتميز بشدة التدقيق في الآراء المعروضة في كل مسالة علمية يناقشها ويمحص أدلة كل رأي حتى لو كان صادرا عن شخصية علمية فريدة فهو يناقش الرأي وليس صاحبه، فإن وجد أدلته مقنعة اخذ به والا بيّن مكامن ضعف وعرض ما يراه صحيحا وقدم أدلته منقحة ومفصلة ودافع عنه واصر على تبنيه ما دام لا يجد اشكالا موجها او نقيضا استدلاليا مقنعا.

ولكن اذا وجد رأيا علميا ينقض رأيه السابق بأدلة مقنعة أخذ به حتى لو كان صاحبه شخصاً مغموراً أو تلميذاً مبتدئاً من تلامذته!

يقول الشيخ العميد الزنجاني احد تلامذة الإمام - (رحمه الله) - في ضمن حديث له عن طريقة الإمام في دروسه الفقهية والاصولية: «تحلى الإمام بدقة عالية كاملة في نقد آراء الاساتذة السابقين ومناقشة آراء اسلافه من الفقهاء والاصوليين ولم تمنعه عظمة احدهم وسمو منزلته العلمية من التدقيق في ارائه ونقدها... وكان يسعى لتربية طلبته على البحث والتحقيق في الآراء العلمية والتحرر من أسر الخضوع لعظمة اصحابها من العلماء لأن ذلك يصد الدارسين عن الابداع والتجديد..» ولكن هذه الجرأة العلمية والشجاعة العلمية اقترنت عند هذا العالم الرباني بالتشديد الاخلاقي في حفظ اصحاب الآراء التي ينقدها وكم كان (قدس سره العزيز) غيورا على حفظ حرمات الآخرين!

ينقل تلميذه آية الله الشيخ جعفر السبحاني انه وبعد ان اكمل تدوين كتاب «تهذيب الاصول» وهو تقريرات دروس الإمام في علم أصول الفقه أخذه للامام لكي يراجعه وبعد ان استرجعه منه وجد الشيخ السبحاني ان الإمام استبدل في احد الموارد التصحيحية عبارة كتبها الشيخ السبحاني في معرض نقد رأي علمي لأحد العلماء وهي عبارة: «وهذا الاستدلال فاسد» وكتب الإمام - (رحمه الله) - بدلها عبارة «وهذا الاستدلال غير تام»! ثم كتب - (رحمه الله) - في هامش هذا التصحيح وصية لتلميذه السبحاني هي: «ينبغي حفظ احترام الاساتذة المشايخ»!

من نوادر الشجاعة: ونختم هذه الفقرة بصورة اخرى من نوادر الشجاعة الخمينية اشار اليها مرة الشيخ الهاشمي الرفسنجاني في خطبة احدى صلوات الجمعة في طهران اذ نقل عن الإمام الراحل - (رضوان الله عليه) - مقولة جديرة بالمزيد من التدبر هي: «ان الرجل ليس الذي لا يخطئ (والخطأ من صفات بني ادم) ولكن الرجل هو الذي يعترف بخطئه»! فالشجاع هو الذي لا يكابر اذا اخطأ ويمتلك الجرأة على الاعتراف بأخطائه وهذه

الشجاعة هي علامة الحرية الحقيقية والتحرر الصادق من عبودية (الأنا). وقد وجدنا في سيرة هذا القائد الرباني (رضوان الله عليه) من مصاديقها ما لا نجد له مثيلا في سير سواه من القادة التاريخيين والمعاصرين.

الشخصية القيادية المتميزة

ينقل آية الله العلامة الطباطبائي صاحب الميزان الشهير وأحد العلماء في القرن الاخير (رضوان الله عليه) انه كانت تعقد في مدينة قم المقدسة إجتماعات خاصة يحضرها عدد من مراجع الإسلام وكبار العلماء في حوزة قم حيث كان يجري الحديث فيها عن اوضاع المسلمين والحالة الإسلامية فاذا تكلم الإمام الخميني انصت الجميع واصبحوا وكانهم تلاميذ ينصتون لكلام الاستاذ!

هذه الشهادة تبين بوضوح المكانة المرموقة والمتميزة التي حظي بها الإمام (رحمه الله) في الاوساط العلمية خاصة وان ما ذكره العلامة الطباطبائي يرتبط بما قبل نهضته المباركة والتفاف الجماهير حوله! ولا ريب في ان مثل هذه المنزلة المرموقة لا يتسنى لاحد بلوغها خاصة في الاوساط العلمائية ما لم يكن قد بلغ مرتبة سامية في التحلي بالكمالات العلمية والعملية.

خصوصية في الشخصية العلمية للامام

عندما نراجع المصنفات التي خلفها لنا هذا العالم الرباني (رضوان الله عليه) نلاحظ بوضوح عمق احاطته بمختلف فروع العلوم الإسلامية واعتماده في البحث منهجا تحقيقيا واضح المعالم قوي الدعائم يستنبط النتائج استنادا الى الفهم الشمولي المعمق للإسلام والجامع ويتعامل مع نصوصه - قرآنا وسنة - انطلاقا من هذا الفهم ولكن مع حفظ الخصوصية والادوات الخاصة بكل علم توخيا للوصول الى النتائج المرجوة منه دون خلط بأدوات وقواعد العلوم الاخرى.

يقول آية الله الشيخ يوسف الصانعي وهو يتحدث عن المكانة العلمية لاستاذه الإمام (رحمه الله): «ان من المعجزات والخدمات العلمية الكبرى للامام الخميني هي انه عزل المسائل الفلسفية عن الفقه واصوله بعد ان كانت الكثير من مسائل الفلسفة قد توغلت في الفقه والأصول بعد عصر فخر المحققين الحلي والعلامة الحلي، ولو كانت هذه الحالة قد استمرت لواجه فقهنا واصولنا مشاكل خطيرة... اذ ان من غير الصحيح خلط الفلسفة وهي ثمرة ادراكات العقل الإنساني لحقائق العالم: بالتشريع الصادر من الله خالق الإنسان

وهذه حقيقة مهمة استفدتها من درس الإمام الخميني».

اذن تميزت الشخصية العلمية للامام الراحل (رضوان الله عليه) بتبحره الشمولي في أبواب المعارف الإسلامية فألّف في الفقه واصوله وفي التفسير ومناهجه والفلسفة والعرفان والعقائد والكلام والأخلاق والتربية والدعاء وفقهه وغير ذلك. هذا من جهة، ومن جهة اخرى استند في البحث في كل علم الى وسائله وادواته ومناهجه سواء في العلوم النقلية او غيرها.

التجديد وحفظ الاصالة الإسلامية

كما امتازت شخصيته العلمية (رضوان الله عليه) بميزة اخرى هي الجمع بين التجديد الفكري وبين حفظ الاصالة الإسلامية لافكاره التجديدية.

هذا العالم الرباني الجليل (قدس سره) امتاز عن الكثيرين من العلماء الاجلّاء بمعرفته العميقة بخصوصيات الزمان الذي يعيشه والمشاكل التي يعانيها والتطورات والتغيرات التي افرزها والتي تحتاج الى اجوبة وطروحات إسلامية بشأنها وهذه المعرفة بخصوصيات الواقع من المعارف المهمة التي ينبغي للمجتهد الديني الحصول عليها لكي يستطيع مواكبة تطورات الواقع المعاصر فتكون نتاجاته الفكرية تجديدية تعبر عمليا عن قدرة الإسلام على الاستجابة لاحتياجات كل عصر. ولكي تكون كذلك - اي معبرة عن قدرة الإسلام هذه - يجب حفظ الاصالة الإسلامية وهذا هو ما يضمنه عدم الخلط بين المناهج والادوات العلمية الخاصة بكل علم من العلوم الإسلامية كما اشرنا والا كان النتاج التجديدي تلفيقيا بعيدا عن الإسلام واصوله.

ولذلك كان (رضوان الله عليه) الى جانب تأكيده المشدد على رعاية عنصري الزمان والمكان في العملية الاجتهادية لكي يستطيع المجتهد الديني مواكبة تطورات العصر والاستجابة لها، يشدد الوصية أيضاً بالالتزام بمنهج الفقه الإسلامي العريق، ويحذر من خطورة الآثار المترتبة عن الانحراف عنه، لانه يؤدي الى افراز احكام وافكار غريبة عن الإسلام الاصيل وان كانت مغطاة بوشاح إسلامي او ان أصحابها يعتقدون بأنها نتاجات إسلامية! ولذلك لاحظنا في سيرته (قدس سره الشريف) شدة اهتمامه في عمله الاجتهادي بالنصوص الشرعية - القرآن والأحاديث الشريفة - واستنطاقها بعمق وعرض كل قضية وكل رأي واستنباط الموقف والرأي الإسلامي الإلهي الشرعي وليس الرأي البشري الاستحساني او القياسي وان كان مغطى بظاهر إسلامي. وكل ذلك استنادا الى المنهج العلمي المستنبط من الشرع وهو المنهج المأمور به للتعامل مع العلوم النقلية وليس

المنهج الفلسفي الذي محله البحث في القضايا الفلسفية.

يقول (رحمه الله) في الفقرة (ط) من وصيته السياسية الإلهية:

«...وعلى العلماء والاساتذة الموقرين ان لا يسمحوا بالانحراف عن طريقة المشائخ العظام في دروس التفقه والحوزات الفقهية والاصولية فهذه هي الطريقة الوحيدة لحفظ الفقه الإسلامي وليسعوا الى اثرائه بالمزيد من التدقيق والبحث وتلاقح الافكار والابداع التجديدي والتحقيقي. وعليهم ان يجدوا في حفظ منهج الفقه العريق فهو ميراث السلف الصالح والانحراف عنه يعني إضعاف دعائم واركان التحقيق والتدقيق العلمي».

شجاعة في مواجهة الجهل والخرافات

إذا حفظ المفكر الإسلامي هذه الاصالة وكانت نتاجاته الفكرية او الاستنباطية مستندة الى المناهج العملية الاصيلة الخاصة بكل علم دون ان يخلط بينها فإن نتاجاته تكون في الواقع خطوة على طريق انهاء غربة الإسلام وإحياءً عمليا لحقائقه. يقول الإمام الخميني (ضوان الله) في رسالته الجوابية الثانية على رسالة آية الله الشيخ محمد القديري احد اعضاء لجنة الاستفتاء في مكتبه الذي استغرب فتوى الإمام بشأن حلية الشطرنج اذا خرج بالكامل عن كونه من آلات القمار وكان اللعب دون ربح او خسارة: «علينا ان نسعى من اجل تحطيم الجهل والخرافات لكي نصل الى منابع الزلال النقية لإسلام محمد (صلى الله عليه وآله).

ان اكثر الاشياء غربة في العلم اليوم هو الإسلام وإنقاذه يحتاج الى تضحيات. ادعوا الله لي ان اكون انا احد القرابين في هذا السبيل» ويقول (رحمه الله) في رسالته الجوابية الاولى للشيخ القديري بشأن الموضوع نفسه: «اسعوا الى ان تضعوا الله وحده نصب اعينكم ولاتتأثروا بالمتظاهرين بالقدسية والملالي الامين فاذا كان الواقع المعاش يجعل اعلان احكام الله وترويجها مضرا بمنزلتنا ومقامنا عند الحمقى المتظاهرين بالقدسية والملالي الامين فليحق الضرر بمنزلتنا عندهم باكبر ما يمكن!».

التجديد العلمي للإسلام

من الصعب على اي منصف - مهما كان موقفه من النهضة الخمينية - ان ينكر ان هذا العالم الرباني هو من مجددي الإسلام البارزين، بل مجدده الاول في القرن الأخير. فليس بخاف على أحد ان من الآثار البارزة لنهضته المباركة احياؤها لفاعلية الإسلام في الحياة.

لقد أحبط روح الله الخميني - (رضوان الله عليه) - جانبا مهما من جهود التغريب والعلمنة التي غزت العالم الإسلامي وجعلته تابعا للغرب اسيرا من حيث يدري او لايدري! الإمام المجدد الخميني فتح أمام المسلمين آفاق التحرر من هذا الأمر وبين لهم ان طريق التحرر يكمن في تفعيل الإسلام وقيمه واحكامه في مختلف شؤون حياتهم واخراجه من الدائرة الفردية الشخصية في احسن الاحوال!

الأراكي: كل ما تحقق ببركة وجودكم يابن رسول الله!

لقد اثبت المجدد الخميني (قدس سره) قدرة الإسلام على ادارة شؤون الحكم والدولة والمجتمع بالصورة المطلوبة بل وبأفضل كيفية عرفها الإنسان لو اتيح التطبيق الصحيح لأحكامه والتحكيم السليم لقيمه. قال آية الله العظمى العبد الصالح الشيخ محمد علي الآراكي - (رضوان الله عليه) - لآية الله التوسلي عندما زاره لتفقد احواله : «قولوا للامام (الخميني) نيابة عني: أتتذكرون كيف ان اقصى طموحنا - عندما كنا في آراك - ان ننظم خروج موكب للعزاء الحسيني في يوم عاشوراء لكي يتصدره العلماء؟ هكذا كان حالنا في تلك الايام! اما اليوم فترون ما وصلنا اليه ولله الحمد فقد اقيمت الحكومة الإسلامية وبلغنا ما بلغنا وكل ذلك ببركة وجودكم»! ثم زار آية الله العظمى الآراكي الإمام الخميني (رضوان الله عليهما) وعندما دخل عليه قال له ثلاث مرات «السلام عليك يابن رسول الله» ثم قال وهو المرجع الديني المرموق علميا وإجتماعيا: «انا عبد من عبيدك انا عبد من عبيدك فانت مجدد الإسلام»!

إحياء الإسلام في الواقع العملي

ان احياء الإسلام وتجديده تجسد في سيرة هذا العالم الرباني في خطين منسجمين الاول يبين حقائقه النقية وازالة التحريف عنها، سواء التحريف الذي افرزته عصور الجهالة والتحجر او الذي روجته ايدي الغرباء عن الإسلام ومعارفه او ايدي اعدائه!

اما الخط الثاني فهو التجسيد العملي لهذه الحقائق النقية في سلوكياته وفي مختلف شؤون الحياة المعاصرة - حيثما استطاع - وتفعيل دورها خاصة ما يرتبط برموزه وشعائره. وهذا ما شكل معلما بارزا في سيرته -(رضوان الله عليه)- تجلى في الكثير من مواقفه حتى التي يظن البعض ارتباطهـا بأمور صغيرة!

ينقل الشيخ محمد رضا التوسلي المتقدم ذكره وهو من قدماء تلامذة السيد المجدد الخميني - (رحمه الله) - هذه الحادثة الصغيرة ذات الدلالات الكبيرة يقول: «في احدى

زيارات الإمام الخميني - لمدينة محلات مسقط رأسي - والتي كان يزورها الإمام في الصيف ويقيم فيها [مدة خلال عطلة الحوزات العلمية] وكان يلقي في مسجدها الجامع دروسا مؤثرة في الأخلاق عمد الإمام الى اقامة صلاة الجماعة في أحد مساجدها النائية وكان مسجدا طينيا صغيرا لا تتجاوز مساحته مساحة الغرفة الصغيرة وكان أيضاً مهجورا لا يصلي فيه احد. التزم الإمام بإقامة صلاة الجماعة في هذا المسجد الطيني الصغير والمتواضع ورفض - بإصرار - طلبات ملحة من علماء المدينة بأن يؤم المصلّين في المسجد الجامع آثاراً مهمة في ترسيخ مكانته الإجتماعية خاصة وهو يومذاك مدرس من مدرسي حوزة قم وقبوله بذلك يساهم بدرجة مهمة في تعبيد الطريق لمرجعتيه الدينية لكن الإمام لم يقبل رغم كثرة الطلبات وعلل رفضه بالقول: «يوجد من يقيم صلاة الجماعة في المسجد الجامع فلا حاجة له بي. اما هذا المسجد فلا يوجد من يقيم صلاة الجماعة فيه فينبغي احياؤه»!

اقامة الصلاة!

وتنقل السيدة زهراء إشراقي حفيدة الإمام - (رحمه الله) - عن ابنته زوجة المرحوم الشيخ الاشراقي - (رحمه الله) - انها ذهبت لصلاة الجمعة في جامعة طهران في تلك الجمعة الشهيرة التي كان النظام العراقي قد هدد بقصف محال صلوات الجمعة إبّان حرب المدن في سني الحرب المفروضة وقد كانت الطائرات العراقية تغير على العاصمة طهران خلال اقامة هذه الصلاة وقد فجر المنافقون فيها قنبلة موقوته شديدة اثناء الصلاة أدت الى استشهاد عدد من المصلين وجرح آخرين.

تقول السيدة إشراقي: «كانت والدتي وبقية افراد العائلة في بيت السيد الإمام (رحمه الله) وكان القلق قد سيطر عليهم بعد سماع خبر انفجار القنبلة دون ان يصلهم خبر عن حالي، لذا عندما رجعت الى البيت عاتبتني والدتي بشدة قائلة: لماذا ذهبت انت الى الصلاة مع وجود هذا الخطر؟ انك حامل وكان ينبغي لك ان لا تذهبي حفظا لجنينك على الاقل! وكان سبب قلق والدتي هو ان الخبر كان قد انتشر بشأن عزم النظام العراقي على قصف محل اقامة صلاة الجمعة او تفجير قنابل فيها. وقبال موقف والدتي تبسم السيد (الإمام) بوجهي وكان جالسا على مائدة طعام الغداء وسألني عن سلامتي فشكرته فهمس في اذني قائلا: لقد احسنت الفعل وقمت بعمل جيد للغاية لقد سرني جدا ذهابك الى مثل هذه الصلاة!

التحرر من غبار التغريب

وينقل الشيخ الخزعلي من فقهاء مجلس صيانة الدستور انه في بداية النهضة وعندما كان الإمام (قدس سره) في قم جاءه احد الشيبة ومعه ابنه الشاب فشكا الاب من شدة اندفاع ابنه في النشاطات الإسلامية ثم قال للامام: ياسيدي ارجوكم ان تنصحوه بأن يخفف من هذه الاندفاعة لكي لا يعكر صفو وهدوء الجو العائلي في بيتنا! لم يتخذ الإمام موقفا سريعا على ضوء حديث الأب بل طلب من الابن ان يصرح بمكنونه ويعرب عن رأيه بشأن شكوى والده! فاستجاب الابن بسرور واعتزاز لطلب السيد الإمام فأخذ يبرر موقفه بالجرائم والسياسات المعادية للدين التي ينفذها النظام الملكي وأخطارها وكثافة الجهود التي يبذلها جيش المتغربين لتشويه الإسلام ومقدساته ومحو قيمه ومعالمه واكد ان غيرته الدينية لا تسمح له بالسكوت في قبال كل ذلك ولابد من المواجهة قدر المستطاع! بعد ان استمع الإمام -رحمة الله عليه- بهدوء لكلام الاب والابن خاطب الاب بلهجة الناصح المعاتب قال: «ان الشباب قد وجدوا طريقهم المستقيم فلماذا تصدونهم عنه وتمنعونهم عن السير فيه!؟! انفضوا عن انفسكم غبار الخمود! اخرجوا عن حالة التقاعس والدعة التي فرضها عليكم الغرب! لقد أخذ الشباب يتحررون من هذه الحالة وينفضون الغبار فلا تصدوهم عن ذلك».

العرفان الخميني سرّ الانتصار

لقد كانت نهضة الإمام الخميني - (رضوان الله عليه) -وكما عرفنا انتفاضة غيورة على الإسلام وحرماته وعلى المسلمين وكرامتهم قياما بالتكليف الشرعي ولم يخش هذا العبد المشفق من خشية الله احدا الا الله فكان الله ناصره لان تحركه كان خالصا لوجه الله ونصرة لدينه والمستضعفين من عباده. وكان سلاحه -(رحمه الله)- في نهضته سلاحين هما جناحا المؤمن في حركته التكاملية طبق ما اكدته النصوص الشرعية -قرآنا وسنة- وهما العلم والعمل او المعرفة والعرفان العملي او البصيرة او الوعي وتهذيب النفس والعمل بما علم. وهذان السلاحان -بمختلف التعبيرات عنهما - هما اللذان يجعلان المؤمن ينظر بعين الله وبنوره فيعرف ما ينبغي وما لا ينبغي فعله ويجعلانه يتحرك باستقامة على ما عرف من الحق فينجو من مضلات الفتن اذ يعرف ربه ويهديه الى الصراط المستقيم والى الحق الصريح فيما اختلف فيه من الحق ويثبته عليه ويحصنه من التقاعس عن اداء الواجب فالعامل الأساس في ايجاد هذا التقاعس هو الاهواء النفسية وتهذيب النفس يكبح جماحها فلا تعد قادرة على حرف حركة المؤمن المهذب او صده عن القيام بواجبه

الشرعي.

تعظيم الخالق وخدمة الخلق محور العرفان الخميني

العرفان العملي والاهتمام بأمر تهذيب النفس وسلوك طريق الحق لم يشغل العارف الخميني عن القيام بالنهضة والواجبات الإجتماعية والاهتمام بأمور المسلمين وهذا الانشغال خطر احدق بحركة بعض السالكين ودفعهم الى مسلك العزلة ليس عن الناس وحسب بل عن هذه التكاليف والواجبات الاصلية في الشريعة المحمدية، أعني الاهتمام بشؤون خلق الله وخدمتهم وايصال الخير اليهم.

العرفان العملي الخميني وببركة تعبده بما ورد في منهج أهل البيت (عليهم السلام) تخلص من هذا الخطة فاصبح تهذيب النفس سلاحا في القيام بتلك التكاليف الشرعية بل ونلاحظ في احدى رسائل الإمام التربوية لولده السيد احمد تاكيدا صريحا على ان محور العرفان العملي والسلوك الى الله تعالى يكمن في تعظيم الخالق وخدمة الخلق الذي يصفه بأنه من اعظم العبادات.

من هنا فان عرفان الإمام الخميني (رضوان الله عليه) لا يؤدي الى عزلة العارفين الاهتمام بأمور المسلمين وخدمتهم وايصال الخير اليهم بل كما يقول اية الله الشيخ الجوادي الآملي في مقدمته لكتاب الإمام الخميني (سر الصلاة) إن العرفان الخميني جعل الإمام ينقل الأمة الى رحاب الأهداف السامية للعرفان الإسلامي الاصيل بدلا من ان يؤدي بالعارف الى ذاك النمط من العزلة.

الأمة مؤهلة لتلقي الحقائق العرفانية

على ان ثمة قضية مهمة في هذا الباب تقدمت الاشارة اليها وهي ان سيرة هذا القائد الرباني وطريقة تعامله مع الأمة تبين انه كان - (رحمه الله) - مؤمنا بأن الأمة قد بلغت مرحلة من الرشد والنضوج الفكري تؤهلها لتقبل وتلقي جملة من الحقائق العرفانية والمعارف الدقيقة التي كان المخاطب بها في العصور السابقة فئة خاصة من النخب الثقافية.

ويظهر ان هذا الأمر كان الإمام -(رحمه الله) -قد اخذه من استاذه العارف آية الله الشيخ محمد علي الشاه آبادي -(رضوان الله عليه)- وقد سمعنا من الإمام في محاضرته القيمة في تفسير سورة الحمد ما نقله من ان استاذه العارف الشاه آبادي كان يتحدث عن جملة من الحقائق العرفانية والدقائق المعرفية في دروسه التربوية لعامة الناس وليس لخاصة الطلبة وكان يؤكد على تعريف عامة الناس بهذه الحقائق. وهذه السنة قد عمل بها الإمام

-(رحمه الله) - فالمراجع لخطاباته العامة يجد فيها تبيانا للكثير من هذه الحقائق المعرفية الخاصة.

الصدق في التعامل مع الأمة

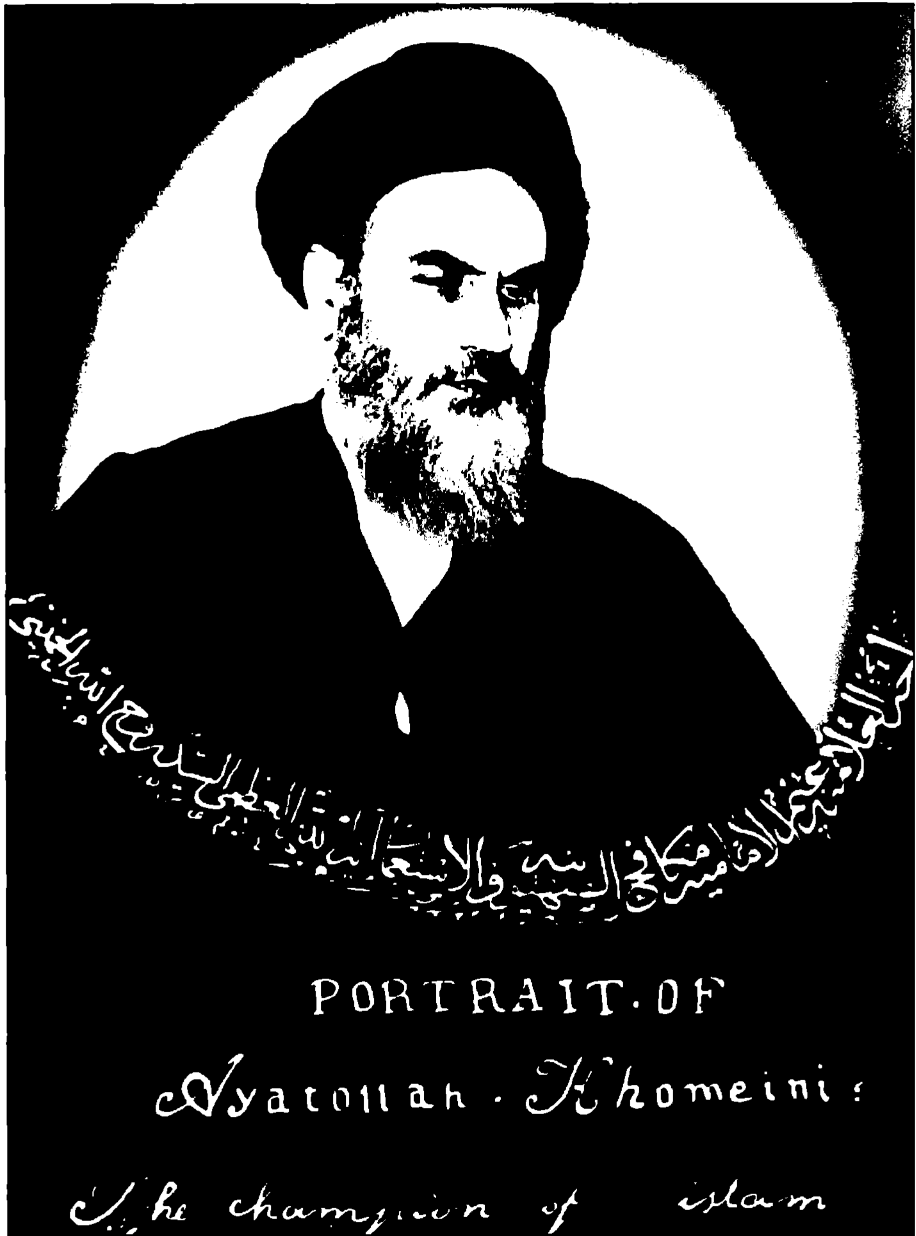
والصدق في مخاطبة الأمة هو سمة بارزة في الخطاب الخميني عموما فمن خلال تدبرنا في خطابات الإمام وبياناته العامة التي كان يوجهها باستمرار للامة في عملية تواصل لم تنقطع في مختلف مراحل نهضته ثم ومن خلال مقارنة مضامينها بالمدون من محاضر لقاءاته -(رحمه الله)- بكبار المسؤولين في الدولة الإسلامية او اركان النهضة والعلماء الكبار ورسائله اليهم، توصلنا من خلال ذلك الى حقيقة واضحة هي ان الافكار والمواقف واحدة في كلا الخطابين العام والخاص، متشابهة في الاستدلالات والتفصيلات والمعلومات بل وحتى في العبارات المستخدمة! وهذه ظاهرة يتميز بها الإمام -(رحمه الله)-عن غيره من القادة الذين عرفهم التاريخ المعاصر - على الاقل - فالمراجع لتراث هؤلاء يجد تباينا واضحا بين احاديثهم العامة للشعب وطبيعة عرضهم لافكارهم ومواقفهم فيها وبين احاديثهم في اللقاءات والمحافل الخاصة وهذه حقيقة معروفة.

قاعدة خمينية في التعامل مع الأمة

اما ما امتاز به الإمام الراحل (قدس سره الشريف) فهو يرجع من جهة الى ثقته بوعي الأمة ونضوجها الفكري وقدرتها على معرفة الحقائق والتمييز بين الأمور وهذا الوعي والنضوج هو ثمرة المسيرة التكاملية في الرشد الفكري لعموم المجتمع البشري وهو احد معالم التمهيد الرباني لظهور المهدي الموعود - عجل الله فرجه - واقامة دولته العالمية العادلة من خلال تأصيل المجتمع البشري فكريا للتطور المعرفي الهائل الذي ستشهده البشرية في ظل الدولة المهدوية. ومن جهة ثانية يرجع ما امتاز به الإمام الراحل - (رحمه الله) - في لغة الخطاب هذه الى تمسكه بالمنهج النبوي الإلهي اذ ان من خصائص الانبياء والاوصياء - سلام الله عليهم - للامة هي انهم يسعون الى ان يكون تحرك الجميع عن وعي وبصيرة اتماما للحجة الإلهية، ولكي يكون تحركهم عبادة وسببا يوصلهم الى مراتب الكمال والقرب.

الخطاب النبوي الذي أحياه المجدد الخميني - (رضوان الله عليه) - يرفض ان يكون تحريك الجماهير بالخداع او التضليل او كتمان الحقائق حتى لو كان الهدف مقدسا بل الهدف هدايتهم الى التحرك والبناء والصراط المستقيم ليسلكوه عن وعي وبصيرة فيهلك من هلك عن بينة ويحيا من حيي عن بينة لا ان يساقوا الى الصراط المستقيم والتحرك البناء

بأية وسيلة ولو بالتضليل والخداع واخفاء الحقائق عنهم. في كلمة له مع اعضاء مؤسسة الشهيد نقل آية الله السيد الخامنئي انه والمسؤولين في الجمهورية الإسلامية كانوا يسألون الإمام -(رضوان الله عليه)- بشأن بعض القرارات التي يعزمون على اتخاذها فكان -(رحمه الله)- لا يجيبهم على الموارد التي يسألون عنها بالخصوص بل يبين لهم قاعدة عامة في التعامل مع الأمة فيقول: «اتخذوا من القرارات ما تستطيعون توضيحه للشعب»!



فلسطين كانت نصب عينيه قبل الثورة و بعدها

فلسطين

- الشهيد الدكتور فتحي الشقاقي
- الأستاذ أحمد جبريل
- الأستاذ أبو خالد العملة
- الأستاذ خالد الفاهوم
- المهندس ابراهيم غوشة
- الدكتور طلال ناجي
- الأستاذ خالد عبد المجيد
- الشيخ عبد الرحمن مراد
- الدكتور زهير غزاوي
- السيدة فتحية الخياط
- الأستاذ عبد العزيز أبو السعيد
- الأستاذ حسن حميد
- الأستاذ فوزي حميد



علماء الدين الاعلام من السنة و الشيعة فى حضرة الامام

رؤية فكرية لنهج الإمام الخميني

الشهيد الدكتور فتحي الشقاقي

الإمام الخميني شمس فجرت في حياتنا ينابيع النور عندما كان الليل يشتد حلكة وسواداً وأعطتنا الأمل بعد خيبة ويأس وجعلت لحياتنا معنى في عالم تسوده قيم المادة والفساد. إنه الرجل الذي أعاد للإسلام مجده بعد قرون من الانحطاط واعطاه وجهه ومعناه المحمدي الأصيل؛ إسلام الجهاد والشهادة والنهوض والعمل. انه هو الذي اعاد الشعوب المسلمة إلى أصالتها وهويتها لتواجه شياطين العصر وأكد بثورته التاريخية الفذة قدرة الإسلام - ولو بعد اربعة عشر قرنا على ظهوره - على الحشد والتعبئة والاعداد

• مؤسس وزعيم حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين

الدكتور فتحي ابراهيم الشقاقي (١٩٥١-١٩٩٥) احد اعلام الحركة الإسلامية العربية المعاصرة فقد عرفته القوى والفصائل والتيارات والجماهير المناضلة في فلسطين والعالمين العربي والإسلامي سياسيا حركيا وانسانا مفكرا مارس دورا رائعا في اصعب المراحل التي مرت بها القضية الفلسطينية ولا سيما ابان فترة الانتفاضة الإسلامية الشعبية وذلك من خلال دوره الريادي جهاديا وتنويريا مما جعله هدفا لاحقاد العدو الصهيوني الذي لم يطق ظهور وتألق نجم هذا المجاهد المؤمن فعمد الى تصفيته جسديا بتاريخ ٢٥\١٠\١٩٩٥ خلال وجوده في مالطا بالتواطؤ مع اولئك الذين أسسوا لنهج التسوية والتفاوض المشين وصولا الى بعض المكاسب الزائلة والبهرجة الزائفة.

والشهيد الشقاقي ((رحمه الله) وطيب ثراه) واكب نهضة الإمام الخميني (قدس سره) منذ بداياتها الاولى والف كتاب (الخميني الحل الإسلامي والبديل) الذي نشرته (دار المختار) الإسلامي بالقاهرة عام ١٩٧٩ . وهو يعد اول كتاب صدر باللغة العربية عن الإمام الراحل والثورة الإسلامية في إيران، وكان الشقاقي وقتها يدرس الطب في جامعة الزقازيق بمصر وقد تنبأ في حينها بانتصار الثورة بقيادة زعيمها الفذ، وقد اصاب في حدسه. وطوال فترة نضاله السياسي والحركي لم يدخر الشهيد الشقاقي وسعا وفكرا ووقتا لاثبات تجليات اهمية هذا الحدث الإسلامي العظيم في إيران واظهار اشراقات رائدها على صعيد المنطقة والعالم الى ان لقي وجه ربه متشحاً بدمه الزاكي في سبيل الله وعلى طريق تحرير ارضه وشعبه في فلسطين من ربقة المحتلين الصهاينة.

ولقد احسن مركز يافا للدراسات والابحاث بالقاهرة صنعا عندما اصدر مجلدين من الاعمال الكاملة للشهيد الدكتور فتحي الشقاقي تحت عنوان (رحلة الدم الذي هزم السيف) من اعداد وتوثيق الدكتور رفعت سيد احمد (ط١- ١٩٩٧) الأمر الذي سهل علينا اقتباس النصوص التي تناول فيها المرحوم (الشقاقي) ابعاد الشخصية الخمينية عبر كتاباته ومحاضراته ولقاءاته الصحفية حتى تم اعداد هذا المقال الذي يجدر بنا التنويه الى انه يمثل توليفة تم استخراج فقراتها من مختلف صفحات هذين المجلدين و تمت مجانستها وتنسيقها في اطار موحد اريد له ان ياخذ مكانه الطبيعي اللازم في هذا الكتاب الذي صدر بمناسبة مئوية ميلاد الإمام الخميني(رض).

ولأن الكتابات والاحاديث التي وردت في الاعمال الكاملة للشهيد الشقاقي طرحت في مناسبات متفاوتة زمنيا فقد اضطررنا لاجراء بعض التصرف الطفيف دون ان يؤثر ذلك في المضامين الحقيقية لمقولاته (رحمه الله) على ان هذا التوضيح يجعلنا في غنى عن الاشارة الى ارقام الصفحات التي تضمنت هذه النصوص او المناسبات التي وردت فيها كما ان عنوان هذا البحث قد استوحي من الافكار التي جاءت فيه.والله من وراء القصد.

والتنظيم وإسقاط أحد أكبر طواغيت العصر، قدرته على اقامة دولته ونظامه في القرن العشرين وقدرته على مواجهة كل هذا الحجم من المؤامرات التي تنهد امامها اعظم الجبال.

خلاصة العدل المضطهد

لقد كان الإمام (رضوان الله عليه) خلاصة العدل المضطهد في التاريخ البشري كما كان إبنا للانبياء والائمة الكرام، ولذا جاءت نهضته وثورته متميزة وفريدة بين الثورات.

قائد سياسي قل ان يجود الزمان بمثله. واحد من كبار العارفين في التاريخ الإسلامي، ثائر لا يعرف المساومة او المهادنة، يملك اصرارا على تحقيق الهدف قل نظيره، جاء وعاش في عصر المؤامرات الدولية ولكنه لم يكذب قط بل هزم لغو وثرثرة وزيف العالم بصمته وحكمته وصدقه وهزم ترف الدنيا وفتنتها بفقره وزهده.. انه الرجل الذي قهر نفسه فقهر العالم.

لقد حرر الأمة والمستضعفين من رعب الدول الكبرى الذي استمر لعقود من الزمن فها هي الدول الكبرى يمكن ان تنكسر وان تتراجع اذا تحررنا من التبعية لها وتملكنا الإرادة المؤمنة المتفاعلة والنشطة.

الإمام الخميني أطلق موجات الصحوة الإسلامية في المنطقة والعالم. الصحوة التي افرزت قيما جديدة وأنشأت واقعا جديدا ولا زالت تتفاعل عبر التنامي المتزايد لحركات النهوض الإسلامي.

لا صحوة إسلامية بدون الإمام وثورته

ولأجل ان ندرك اهمية ومعنى ومغزى كل ذلك دعونا نتخيل المنطقة والعالم بدون الإمام الخميني وثورته الإسلامية. هل كانت الصحوة الإسلامية تصل الى اطراف الدنيا وتصبح حديث المراقبين والمحللين في العواصم الكبرى والصغرى؟ هل كانت تتجلى وتنكشف الانظمة الخبيثة التي زرعها او يحميها الإستعمار في المنطقة؟ وتتحول القوى الإسلامية الناهضة كقوى وحيدة في مواجهة هذه الانظمة ومعارضتها؟ هل كان بالامكان ان ينطلق مجاهد فرد ليقتل مئات الأميركيين في بيروت. دافعا الدولة العظمى للهروب والفرار؟. هل كان بالامكان طرد اليهود من بيروت ومن ساحل لبنان والجبل وان تستمر مطاردته باسم المقاومة الإسلامية حتى الان موقعة في صفوفه اكبر الخسائر؟ هل كان بالامكان انطلاق الانتفاضة المباركة في فلسطين بروح إسلامية وثابة وبفعل إسلامي متميز [...] هل وهل وهل..؟

ان عالما بدون الإمام الخميني كان سيختلف كثيرا وكثيرا بلاشك.

القيادة الرسالية

تمثلت القيادة الرسالية كافضل ما يكون في شخصية الإمام الخميني الذي جاءت مراحل حياته معبرة اصدق تعبير عن الشخصية الإسلامية التي جاء الإسلام ليوقد منها للبشرية سراجا منيرا وقدرة فذة. فهو بدايةً مسلم شديد الالتزام ثوري ذو بصيرة نفاذة وحس ورؤيا صائبة في أحلك الظروف. شجاع لا يعرف المساومة او التخاذل مسكون بعذابات المسلمين وأوجاعهم. يصدره احساس الحسين بالمسؤولية وفي دمه رؤية الحسين الفذة لمعنى الشهادة. رفض منذ البداية ان تكون الثورة كحركة مصدق حركة وطنية ذات مطالب جزئية، وبقي طيلة الوقت يطرح بديناميكية مذهلة معاداة الثورة والمسلمين للشيطان الاكبر - الامبريالية الأميركية والسرطان الاسرائيلي الذي أكد مرارا على أهمية التخلص منه نهائيا، وكذلك سقوط الشاه الذي ارتبط جدليا بتلك القوى، فهو يعلن بإصرار ان هذا النظام غير شرعي ثم ينتقل الى موقع آخر معلنا انه دمية امريكية مرتبطة عضويا باسرائيل. واخيرا لا مصالحة معه ولا مساومة ولا بد من تدميره نهائيا. وبقي تأثيره على الجماهير كثوري ومرجع اعلى فوق كل تأثير كما سنرى بعد قليل وعندما كانت المواجهة تحتدم وكانت بعض الفصائل تطالب بمواجهة القنابل بالقنابل والنار بالنار واعلان الحرب المسلحة كان هو بوعيه وحسه التاريخي الصادق ومسؤوليته يعلن (الدم سيهزم السيف) لانه يفهم ان المواجهة المسلحة الشاملة ستقود الى مجازر لا يعلم احد سوى الله هولها. كان يستحدث المظاهرات المليونية في مواجهة الجيش وكان يطلب من الجماهير ان تنشر الزهور فوق الجنود وان تقدم لهم الحلوى في الشوارع وكان يعتبر الاضرابات اعمالاً مقدسة، كل ساعة منها تعتبر خدمة كبرى تسدى للامة الإسلامية.

وفي اليوم الذي سبق يوم الانتصار النهائي كان يفتي بحرمة العودة الى البيوت والبقاء فيها وبوجوب البقاء في الشوارع لأن الدم سيهزم السيف ولأن «حياتكم في موتكم قاهرين وموتكم في حياتكم مقهورين الا ان خير الموت القتل» كما قال امير المؤمنين الإمام علي (كرم الله وجهه).

النظرية الثورية

في حين كان محور الاخوان المسلمين كحركة قديمة في الوطن الاسلامي ، هو التوجه بداية الى الفرد وكان محور الحركة الكبرى الاخرى (الجماعة الاسلامية في باكستان) هو مواجهة التحدي الفكري فأن محور الحركة الاسلامية في ايران كان يدور حول فكرة

الجهاد بما يشمله هذا المعنى في تربية للفرد ومواجهة للتحدي الفكري.

من هذا المنطلق تقدمت الحركة الإسلامية في إيران في صياغة نظريتها الثورية والتي جاءت منبثقة في الإسلام كأصالة وتراث وتاريخ كما جاءت ثمرة سنوات طويلة من التطور السياسي والروحي والفكري..

١ - طرحت الحركة الإسلامية بقيادة الإمام الخميني فكرة (الجمهورية الإسلامية) منهية بذلك ازمنة طويلة من الحديث عن القبول باصلاحات دستورية بانتظار عودة الإمام الغائب الذي سيملأ الأرض قسطا وعدلا بعد ان ملئت ظلما وجورا. فقد تمر ألوف السنين قبل ان تقتضي المصلحة قدوم الإمام المنتظر(ع) كما قال الإمام الخميني «في طول هذه المدة المديدة هل تبقى احكام الإسلام مغطاة» ثم اجاب في النهاية «اذن فان كل من يتظاهر بالرأي القائل بعدم ضرورة تشكيل الحكومة الإسلامية فهو ينكر ضرورة تنفيذ احكام الإسلام ويدعو الى تعطيلها وهو ينكر بالتالي شمول وخلود الدين الإسلامي الحنيف» (الحكومة الإسلامية في ٢٦ -٢٧).

في نفس الوقت وقف الإمام الخميني موقفا نقديا وداعيا في دستور سنة ١٩٠٦ عندما اعتبر ان العلماء قد تم خداعهم باضافة عبارتين ذاتي صبغة دينية الى نسخة مزيفة من الدستور البلجيكي.

٢ - انطلقت الحركة الإسلامية في إيران من خلال رؤية تحليلية للنظام وأدواره ووسائله ولمراكز القوى المؤثرة في المجتمع، ومن خلال فهم علمي للواقع، رافضة الافكار الهلامية المجردة التي تفصل بوعي وبدون وعي بين التطورات الذهنية والعمل السياسي الثوري. وكانت تفهم بدقة معنى الآية الكريمة **﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾** صدق الله العظيم. ولهذا كانت تمزج بين الفكر والممارسة من خلال منظومة جدلية رائعة تخطو بالثورة الى آفاقها المرجوة وفي كل هذا كانت تتبنى مطالب الجماهير حليفها الحقيقي بل جسدها، كانت تنطلق من أوجاع الأمة وتعبر عن آمالها وطموحاتها.

٣ - ولأن الإمام الحسين كان رمز الحركة وجذوتها المشتعلة فقد اعتمدت بوعي رؤيته للثورة والتزمت بها واعلنت ان الثورة عمل غير مؤجل وان الوجوب فوق الامكان وان مهادنة العدو والهروب من مواجهته حتى يكتمل ما يسمى بالقدرة المكافئة هو وهم يشل الحركة ويسمح للطرف الآخر بالنمو والتعاظم ويجعله دوما في الوضع الافضل للانقضاض.

ان الذي يتعود النوم طويلا لن يملك الفرصة لتنمية عضلاته وبالتالي لن يتمكن من

الحركة ناهيك عن الحركة القوية الفعالة. لقد فهمت انها لن تنمو الا بالصدام مهما كان الصدام بسيطا في البداية نقول بسيطا حتى لا يفهم البعض ان المقصود هو المواجهة الشاملة منذ البداية.

٤ – لم يكن بالامكان ان تتحول كل فصائل الثورة الى فصيل واحد متجانس يحمل نفس الرؤيا تجاه كل القضايا والجزئيات. كما انه لم يكن ممكنا تحقيق الانتصار في ظل الفوضى والانقسام ولهذا كان توجيه الإمام الخميني في النجف الاشرف الى قيام جبهة إسلامية واحدة تقف وراءها كل فئات الأمة. فشرط الانتصار كان مرهونا بقيام هذه الجبهة التي يتم التنسيق بين فصائلها لمواجهة العدو المشترك.

بقي ان نشير الى ان فصائل قليلة غير إسلامية وجهت بنادقها الى نفس العدو ولكن الإمام الخميني لم يعلن تحالفه معها ولم يهادنها لأنه اولا يرفض منطلقاتها وثانيا يشك في نواياها وتوجهاتها وثالثا يحمل هو والجماهير المسلحة ذكريات أليمة عن التاريخ الاسود لبعضها سواء حين خانت الجماهير وتحالفت مع الشاه او حين كانت غطاء للنشاط الأميركي او حين أفشت أسرار بعض المنظمات الإسلامية واغتالت بعض قياداتها وبقي الإمام الخميني قبل وبعد انتصار الثورة ينعتهم بابناء الشيطان.

الثورة: التأثير محليا - إسلاميا - دوليا

لا يتسع المجال هنا للحديث عن كل جوانب وانعكاسات الثورة الإسلامية وسنكتفي بالقاء الضوء على بعض الجوانب الحركية والفكرية:

١ – حققت الحركة الإسلامية في إيران ما فشل به الكثيرون من الإسلاميين وهو ايجاد حركة سياسية فعالة قادرة على اسقاط النظام السياسي المقابل مهما كان شرسا وقويا.

٢ – اسقطت من اذهان الجميع خاصة مسلمي ومستضعفي العالم ذلك الرعب من الدول والقوى الكبرى.

٣ –كما جاء الانتصار ليسقط الكثير من التبريرات والمفاهيم حول كيفية صياغة نظرية ثورية للحركة الإسلامية ويبرز مفاهيم جديدة مضيئة. وبذلك قدمت للحركات الإسلامية في العالم رصيدا ضخما من التجربة والابداع الحركي.

٤ – اسقطت مقولة استحالة قيام حكومة إسلامية في هذا العصر واثبتت عمليا انه لا يمكن قيام حكومة حقيقية وجماهيرية في منطقة الوطن الإسلامي الا اذا كانت حكومة

إسلامية شكلا ومضمونا كما اسقطت الكثير من المقولات الفكرية التي كانت تطفو على السطح بدءا بمقولات الماركسيين «ان الدين إفيون الشعوب» ورجعية رجال الدين وبقية المسلمات والبديهيات الماركسية وانتهاء بمقولة بريجنسكي عن انتهاء زمن الثورات الشعبية.

٥ - طرحت مفهوم وحدة المسلمين (الجامعة الإسلامية) من خلال مفاهيم سياسية واضحة بعد عقود طويلة من التغريب وانزواء هذه الفكرة الى الظل.

٦ - قدمت نموذجا ونمطا حضاريا جديدا للبشرية جمعاء بعد افلاس كل قيم الشرق والغرب. حتى ان المفكر الفرنسي الشهير روجيه غارودي يصرح ان «الثورة الإسلامية في إيران تقدم نموذجا لتنمية الإنسان والمجتمع مع التراث الروحي لشعوبها وهو سر كراهية الغرب لها» ويقول في موضع آخر «لقد وضع الخميني نمط النمو في الغرب في قفص الاتهام» - «الخميني اعطى حياة الإيرانيين معنى».

كما يقول البروفسور الأميركي ريتشارد كوثام أستاذ العلوم السياسية في جامعة بتشبرج بعد مقابلته للإمام في باريس «الخميني يدعو الى إسلام إجتماعي وان الشعب يجب ان يحصل على حريته من اجل تطوير شخصيته الوطنية».

بلورة الشخصية الإسلامية

اذن فإن الثورة الإسلامية في انبعاثها كانت تسعى لتوحيد المسلم مع شخصيته ونظريته ورفض الجاهلية القائمة والطواغيت الذين صنعوا التناقض والأزمة في حياة الفرد والمجتمع الإسلامي الذي يحمل ايديولوجية ويرى واقعا مغايرا تماما.. واقع الظلم واللامساواة. والعملية التغييرية التي سيتم بها التوحيد تنتظم في قضيتين هما وجهان لنفس العملية. فالايديولوجية الإسلامية كمنهج رباني واقعي واخلاقي ايجابي وعالمي تتضمن حلولا لكل مشاكل المجتمع المعاصر. ولكن هذه الحلول ستبقى ثرثرة مثقفين يلوكونها في لحظات من النشوة مالم تتسلح بها الجماهير وتتحرك لتطبيقها وتناضل في سبيلها وتخوض الصراعات السياسية من اجل ذلك.

وقد يتصور البعض كما تصور شاه إيران وغيره ان هذه المشاكل يمكن حلها في المجتمع الإسلامي بمجرد تحقيق الشروط الموضوعية للحل او بعضها فقط (المال والتكنولوجيا الغربية) دون الاخذ في الاعتبار الشروط الذاتية .. هذه الشروط التي ترى فيها الثورة الإسلامية وترى في استيعابها الجناح الآخر مع الشروط الموضوعية لتحقيق النهضة. وهذا الشرط الذاتي الذي نقصد تحقيقه هنا هو تعبئة الجماهير في اي معركة سواء

معارك التنمية ام الجهاد العسكري وذلك من خلال البعث الإسلامي للامة ونفض غبار تيارات التغريب والقضاء على ظواهر الازدواجية والتلفيق والانفصام.

وهنا يبرز الوجه الآخر للعملية وهو كيفية الصياغة الثورية للفكر الإسلامي، الصياغة التي تستطيع الحركة الإسلامية بها ومن خلالها اقامة الجسور القوية مع الجماهير المسلحة بحيث تدرك هذه الجماهير معنى ارتباطها بالحركة الإسلامية ودور هذا الارتباط في الحفاظ على تاريخها وتراثها ومصالحها وبحيث يصبح الجسد الإسلامي جسدا واحدا اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى كما حدثنا الرسول العظيم (عليه الصلاة والسلام).

وعملية الصياغة - التي يبدو ان الحركة الإسلامية في إيران قد نجحت فيها - تحتاج الى اعتماد الحوار الداخلي والنقد والنقد الذاتي خطوة اولى على الطريق، ذلك الحوار الذي ربما عطلته حتى الآن الحساسية الشديدة لدى الحركة الإسلامية تجاه النقد والتي ربما يكمن سرها في ان الاباطيل والاكاذيب التي اشيعت عنها كانت اكبر من ان تحتمل بدون رد فعل بل كانت من الكثافة بحيث تكفي فعلا لعزل هذه الحركة عن جماهير المسلمين خاصة. وقد توفر لهذا الجو من الاكاذيب شرطان مهمان:

١ - غياب الحركة الإسلامية عن الساحة وصمتها القسري نتيجة لعملية الاعتقال والتصفية.

٢ - فقدان العقل العربي والمسلم في مرحلة تعدد الالوان ومرحلة التمويه والإرهاب حاسته النقدية.. هذا الافتقار الذي ضرب الوعي الإجتماعي للامة في الصميم فشلّه عن الرؤية الصحيحة ولو مرحليا..

فالمطلوب اذا هو الحوار الداخلي المسموع والنقد الذاتي، وهذا سيقود بالتاكيد الى تهيئة الجو لتقديم الدراسات العلمية التحليلية للواقع الذي جاءت الحركة لتغييره كما سيحقق مطلبا ضروريا آخر وهو ايجاد تصور إسلامي عن المشاكل الرئيسية في العالم الإسلامي وطبيعتها واولوياتها ثم برنامج موحد للعمل يبدأ من تحديد المنطلقات والوسائل ويفهم العلاقة الجدلية بينها ثم تجديد الأهداف النهائية للحركة والأهداف المباشرة وغير المباشرة.

فهم الإمام الشمولي للإسلام الثوري

ينطلق الإمام الخميني من فهمه الإسلام بمعناه الشمولي الثوري «الإسلام هو دين

المجاهدين الذين يريدون الحق والعدل، دين الذين يطالبون بالحرية والاستقلال والذين لا يريدون ان يجعلوا للكافرين على المؤمنين سبيلاً» [كتاب الحكومة الإسلامية ص٨].

ويهاجم التصور الذي حاول الإستعمار ادخاله الى بلادنا اثناء عملية الغزو الفكري والعسكري والقائل بأنه لا علاقة للإسلام بتنظيم الحياة والمجتمع وبأنه فقط للحيض والنفاس وقد تكون له اخلاقيات ولكنه لا يملك بعد ذلك من أمر الحياة وتنظيم المجتمع شيئا. ويُعتقد ان هذا التصور قد جاء من خلال النشاط الإستعماري الذي برز منذ ثلاثة قرون، لأن أكبر ما يمنعهم من نيل مآربهم ويضع خططهم السياسية على شفا جرف هارٍ هو الإسلام باحكامه وعقائده وبما يملك الناس من إيمان.

ولهذا فان اميركا التي كانت موجودة في إيران ثلاثين عاما، وعندما سقطت اوراقها رحّلت عملاءها هنا وهناك.. اميركا كانت في نوفيل لوشاتو وقبل نوفيل لوشاتو تراقب وتدفع بادارتها ولكنها دوما كانت تصطدم بصلابة الإمام الثائر واصراره ووعيه الفذ، وكان هذا اشد ما يزعجها فيه ويدفعها دوما لتطويقه والتشهير به ووضع سلطته موضع تساؤل داخل إيران ووضعه كرمز موضع تشكيك خارج إيران وأمام المسلمين والمستضعفين في العالم.

كان اشد ما يزعجها ان الرجل يرفض ان يتكلم باسم الأمة الإيرانية. انه يؤمن بوحدة دار الإسلام وامة الإسلام وان هذه الحدود صنعها الإستعمار ويرى - مثلا - في الشعب العراقي المسلم أخا للشعب الإيراني المسلم وان صدام حسين ليس اكثر من زنديق كافر بينما المسلمون اولى ببعض .

ضمان مسيرة الثورة

ان مسار الثورات لا تحدده الامنيات وان عملية التحول الثوري المستمر التي تميز كل الثورات العظيمة أمر ضروري وحتمي وعندما يتعلق الأمر بالإسلام في هذه الحقيقة التاريخية فالأمر اكثر ضرورة.

من هنا تظهر اهمية تثبيت دعائم الثورة التي كان علماء الدين المناضلون روحها وعقلها ومحركها الاول والذين [...] من الواجب ان تستمر مسؤولياتهم الرسالية عنها وهم كذلك دوما الضمانة الاقوى لاستمرار ثورة الإسلام في إيران وقيام المجتمع الإسلامي الرسالي الكامل.

ولا بد لنا ان نعي جيدا انه في ظل طغيان الدول الكبرى سيبقى [...] خط الإمام

الخميني المتميز ملاذ المسلمين جميعا وأملهم في الانتصار والظهور ذلك انه هو خط الإسلام الشامل والمستقل.

تواتر المؤامرات والحصارات

لقد كانت السنوات العشر التي عاشها الإمام قائدا للثورة والجمهورية الإسلامية كافية ان تحول كل الحوض العربي - الإسلامي الى كتلة واحدة توازن التكتلات الكبرى وتتعامل معها تعامل الند بالند، مستقلة حرة تملك قراراها وارادتها وثروتها وتؤثر بفعلية في معادلة القوة الدولية وتوازناتها. ولكن المؤامرة حاصرت الثورة والإمام منذ اليوم الاول عبر الحصار السياسي والإقتصادي وعبر الحرب المفروضة المدعومة من كل الغرب وعبر اثارة الاقليات القومية تارة ودعم مجموعات المنافقين تارة اخرى وكذلك اثارة الفتنة بين جناحي الأمة السنة والشيعة تلك المؤامرة الخطرة التي تروجها ايدي وادوات قذرة ليست من السنة ولا من الشيعة في شيء.

وبعد رحيل الإمام الخميني تبدلت الدنيا غير الدنيا.. الشيطان الاكبر لا يزال يفسد في الأرض بل يزداد غطرسة وهيمنة وإفسادا، وهو اليوم يقف على كل ثغورنا زاعما انه يريد ان يعيد صياغة العالم من جديد ولكن مزاج امتنا العنيد له بالمرصاد.

ها هو الإسلام المقاوم يتصدر نشرات الاخبار واعمدة الصحف كل يوم يلون مستقبل الطغاة بالسواد ويهيء لفجر تنهض فيه الشعوب كل الشعوب المسلمة في كافة العواصم التي سرقها الإستعمار.

تأثير شعارات الإمام الخميني فلسطينيا

يجب ان يعرف العالم ان شعارات الإمام الخميني (رضوان الله تعالى عليه) كان لها الصدى في فلسطين كما لم يكن لها أي مكان آخر من العالم والسبب أنه كما أعطى الإمام الخميني معنى أعطى كياننا في فلسطين أيضاً معنى.

قبله كنا في حالة يأس ونعتقد انه لا يمكن هزيمة هذا العدو المستكبر وإزالة هذا الكيان الصهيوني. الإمام وبقيادته لهذا الانتصار المذهل للإسلام في القرن العشرين أعطانا الامل بأن الإسلام الذي أسقط الشاه يمكن ان يسقط بقية الشاهات ويحرر فلسطين. هذا هو المعنى الكبير الذي قدمه لنا الإمام والثورة في داخل فلسطين. فالجمهورية الإسلامية اليوم وبقيادة آية الله العظمى (السيد الخامنئي) أيضاً تسير على الطريق نفسه على الرغم من الصعوبات الكبرى والحصار.

اننا نعرف ان التزام الجمهورية بالقضية الفلسطينية ودفاعها عن حقوق الشعب الفلسطيني في كل موقع ورفضها التفريط كغيرها يجعلها أمام فوهة المدفع الأميركي والصهيوني والغربي بشكل عام وهنا لا بد لي ان أذكر علاقتي الشخصية بالإمام الراحل الخميني العظيم. فعندما أدخلتني الصهاينة الى الزنزانة الصهيونية وكنت انزف يومها، بدأت بكتابة اسم روح الله الخميني على جدار الزنزانة بالدم النازف. هذه هي علاقتي بالإمام الخميني الراحل.

لقد تعمدت بالدم والجهاد والتضحية ولاسباب يمكن فهمها. كان صدى الثورة الإسلامية الإيرانية في فلسطين من اوضح واقوى الاصداء. في فلسطين يتواجد احتلال صهيوني استيطاني اقتلاعي يسعى لابادة الشعب الفلسطيني بقتله ونفيه وطمس هويته ويمارس من اجل ذلك اخطر وابشع الوسائل ثقافيا وإجتماعيا واخلاقيا وامنيا وإقتصاديا. وقد ساهم في ذلك اضافة للتخاذل العربي والتراخي الفلسطيني الرسمي في اشاعة اجواء الاحباط واليأس داخل فلسطين فكان حجم الانتصار الإيراني ومعناه ودلالته كبيرا بالنسبة للفلسطينيين اذ اصبح واضحا أمامهم انه بالامكان مواجهة المعادلة الدولية الظالمة وانه بإمكان الشعوب ان تلتزم جيشا حديثا وقويا اذا تحررت ارادتها من الخوف والتبعية الظالمة وأخيرا فإن قوة الإسلام لاتقاوم وهكذا جدد الإسلام قوة اندفاعه على امتداد فلسطين وتوارت شيئا فشيئا اليافطات العلمانية وبدأت تبرز الشعارات الإسلامية وتتعاظم التجمعات الإسلامية في المساجد والجامعات والنقابات والجمعيات».

وكان للخصوصية التي أولتها الثورة الإسلامية إبّان قيامها لفلسطين تأثير كبير في جذب انتباه الشباب الفلسطيني نحو طهران الثائرة وإبداء اعلى درجة من التعاطف مع الثورة الإسلامية، وان شكلت تلك الايام الذروة فلم تكن البداية مع بداية نهضة الإمام الخميني في عام ١٩٦٣م. في إيران كانت فلسطين تأتي في قلب الخطاب الديني والسياسي للامام رغم البعد الجغرافي، الا انه تعامل معها على انها قضية داخلية او قضية حدودية فطوال سنوات الصراع مع الشاه كان الإمام يربط بين بهلوى وبين (إسرائيل) وكانهما شيئان ملتصقان او وجهان لعملة واحدة كل واحد منهما يغطي الاخر ويمده بسبب من اسباب الحياة. وعندما كان الشاه يشترط عدم مهاجمة (إسرائيل) كان الإمام يرد بسخرية عميقة «لماذا وهل كانت امه يهودية»؟!

وفي منفاه عام ١٩٦٤م كان يقول: ان (إسرائيل) هي في حالة حرب مع الدول الإسلامية لقد حذرت من هذا الخطر مرارا. ويضيف في مكان آخر وانا اعلن لجميع الدول الإسلامية والى كافة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها بان المسلمين الشيعة هم اعداء

ل(إسرائيل) وعملائها وهم بريئون من الدول التي تعترف باسرائيل.

وعندما اشتعلت حرب حزيران (يونيو) عام ١٩٦٧م بالعدوان الصهيوني على الدول العربية المجاورة وما تبقى في فلسطين بما في ذلك بيت المقدس كان الإمام الخميني حاضرا بمواقفه السياسية الشجاعة وفتواه الشرعية القوية التي ادانت الغزو ودعت الى وحدة المسلمين وحرمت التعامل مع (إسرائيل) وحرضت على القتال ومنذ ذلك التاريخ لم ينعدم اتصال الإمام بالثورة الفلسطينية وتعتبر فتواه بجواز صرف الحقوق الشرعية لصالح العمل الفدائي والمجاهدين من المواقف البارزة في مسيرة الإمام تجاه الثورة والقضية الفلسطينية.

وهكذا يتضح لنا ان ما حدث عام ١٩٧٩ م عام انتصار الثورة الإسلامية في إيران في تلاحم روحي وفكري ونضالي وسياسي بين إيران المسلحة الثائرة وبين فلسطين كان يمتد عميقا في الجذور. وفي ليلة الانتصار الكبير ١١\٢\١٩٧٩ كانت الجماهير الثائرة في إيران تحول السفارة الأسرائيلية الى سفارة فلسطين في اشارة لم يسبق لها مثيل في اي عاصمة عربية او غير عربية واستقبل رئيس (م.ت.ف) وقادة الثورة الفلسطينية في طهران كما لم يستقبلوا في اي مكان اخر من قبل وبدت كل إيران (حتى خراسان على حد تعبير رئيس (م.ت.ف) العمق الاستراتيجي للثورة الفلسطينية.

يوم القدس العالمي

كم كان ملهما وموفقا الإمام الخميني (رضوان الله عليه) وهو يجعل من جمعة رمضان الاخيرة يوما للقدس بعد شهر من الصيام والقيام والتطهر من أدران الدنيا واوساخها وفيما المسلمون في ذروة العبادة عليهم ان يتذكروا القدس وان يجعلوها في مراكز اهتمامهم وان يرسموا بوصلة من الوعي والفكر والممارسة الملتزمة باتجاهها. عليهم ان يهبوا هذا اليوم المقدس في هذا الشهر المقدس للمدينة المقدسة التي تئن تحت الأسر والحصار فيما المسلمون يتحررون بالجوع والصيام من طغيان المادة ووطأة الجسد عليهم ان يتواجهوا لتحرير القدس من طغيان بني اسرائيل ووطاة الاحتلال الصهيوني البشع اطلق الإمام الخميني (رض) يوم القدس معلنا ان على كل مسلم ان يستعد لقتال (إسرائيل) التي يجب ان تمحى من الوجود ومؤكدا على وحدة الأمة من حول فلسطين التي ليست مجرد قضية فلسطينية او عربية فقط ولكنها إسلامية أيضاً والإسلام هو الذي يعطي الهوية الشاملة للصراع من حولها. ويوم القدس يوم احياء للإسلام والشريعة الإسلامية لان القدس ارث للإسلام والمسلمين وجزء من عقيدتهم لا يجوز لاحد التفريط بها.

في يوم القدس لننذر كل ايامنا للقدس ولندرك ولنعِ في هذا اليوم ان المشروع

الصهيوني الذي نواجهه مشروع طاغوتي شيطاني. طاقات وامكانات الشر في العالم تحت تصرفه فلا يمكن مقاومته بنجاح وفعالية الا بمشروع يعبئ طاقات الأمة كلها.. طاقات الإيمان والجهاد والاجتهاد والاستشهاد، يعمق التوكل والزهد والانابة والتقوى والشوق الى لقاء الله وروح الجماعة والايثار.. ويجدد اليقين في نصر الله للمؤمنين وهلاك اليهود ومن والاهم، ودخول المسجد مشروع لا يمكن ان يكون مشروعاً اقليمياً أو فلسطينياً، انه كما اراده الإمام الخميني (رض) باطلاقه واعلانه يوم القدس مشروعاً إسلامياً حضارياً شاملاً.

انه في هذا العالم وفي هذا الزمان تختصر فلسطين الكون جغرافيا ومعنى وتختصر القدس فلسطين وعندما يكون يوما حقيقيا للقدس فان يوم القدس يختصر الحاضر تاريخا وجغرافيا ومعنى.. اذ يعني ان يدوم الصراع حتى تُحل مشكلة الموازين المختلة وان يدوم الصراع حتى يكبر الخير ويشتد عوده.

حتى يكتمل ويتم في مواجهة تمام الباطل، اذ يعني الا تكون اورشليم بل بيت المقدس الذي تهدى اليه الارواح ولا تهدى روحه لغيره كما قال المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) بيت المقدس الذي قال فيه امير المؤمنين الإمام علي (كرم الله وجهه): نعم المسكن بيت المقدس، القائم فيه كالمجاهد في سبيل الله، وليأتين على الناس زمن يقول احدهم ليتني تبنة في لبنة من لبنات بيت المقدس» لا تكون اورشليم بل بيت المقدس مسرى محمد (ص) الاولى عبر المعنى المتسربل بالمستقبل المسكون بالصراع والحروب والدماء والمذابح عبر المعنى الموعود والمتجسد باساءة وجه بني (إسرائيل) ودخول المسجد الاقصى والغاء المشروع الصهيوني القائم على الافساد وغلبة الشر وطغيان المادة.

كم هو ثقيل هذا الواقع الذي يتفرد الشيطان الاكبر فوق قمته.. ولكن يوم القدس ان شئنا يصنع الحلم والحلم اصدق دائما ان حفظناه وارضعناه من فكرنا وارادتنا واصرارنا وجهدنا. كم هو ثقيل هذا الواقع ولكن صاحب يوم القدس كان يعطينا النموذج والمثل في امكانية انتصار الروح على المادة.. وهل جسّد هذا احد في زماننا مثلما جسده الخميني (رض) الذي هزم لغو العالم بصمته وأغنى الدنيا بزهده وهزم كذب الساسة والسياسات بصدقيته النادرة. اليس هذا مغزى قيامه ونهوضه وانتصاره في عصر الاتصالات المعقدة والكارتلات البشعة والطواغيت التي تدوس كل قيمة ولا تعرف الرحمة. ان الأرض ضيقة ولكن الرؤيا اوسع والأرض التي باركها الله في كتابه وقدسها مرة ومرة ومرة لا يهبها لمن قال بعد جحودهم (كونوا قردة خاسئين) الذين كتب عليهم الذلة والمسكنة.

الوعي الثوري الإسلامي عند الإمام الخميني

الأستاذ أحمد جبريل

استطاع الإمام الخميني (رضوان الله عليه) ان ينتشل الواقع الإسلامي من الانهيار والضياع الذي خيم عليه اثر سقوط الخلافة الإسلامية، وبعد انتهاء الحرب العالمية الاولى وما ترتب عليها من سيطرة الدول الإستعمارية على بلاد المسلمين في شتى انحاء العالم. كما استطاع (رضوان الله عليه) ان يشخص العوامل ويحدد الاسباب التي أدت الى هذا الانهيار، كما وقف على العلل التي ادت بالمسلمين الى هذا التردي والضياع ويؤسس على ضوئها ومن خلال وعي ثوري يستند الى مبادئ الإسلام ثورة فريدة من نوعها في نهاية القرن العشرين وفي اوج صعود المد الامبريالي، وذروة التقدم العملي والتكنولوجي وينشئ دولة إسلامية عصرية فريدة من نوعها استطاعت ان تقف على قدميها، وتصمد وسط امواج عاتية من المؤامرات التي تستهدف اجهاضها، واستطاعت هذه الدولة ان تأخذ مكانها المرموق وتثبت جدارتها في الساحة العالمية، وتتعامل بنجاح مع ظروف دولية وواقع سياسي كثير التعقيد. بل واكثر من ذلك فان الدولة الإسلامية التي أرسى قواعدها وأسس بنيانها الإمام الخميني (رضوان الله عليه) لا تزال آخذة بالصعود والاقتدار سائرة في دروب التنمية بشكل ملفت للنظر في الساحات الدولية والاقليمية والداخلية. وهذا من وجهة نظري يعود الى عدة اسباب اذكر منها على سبيل المثال لا الحصر.

١- اعتمد الإمام الخميني(رض) على الدين الإسلامي وتعاليم القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وتبنى سنّة رسول الله(ص) بمنهاج مدرسة آل البيت (عليهم السلام) وتعاليم الائمة الاخيار.

كان الإسلام وحده صلب اهتمام الإمام الخميني(رض) وكل اعتقاده، ولم يفكر

(*) أمين عام الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين - القيادة العامة

(رضوان الله عليه) في جميع الظروف التي احاطت به، وفي كل الاحوال بغير الإسلام والتكليف الرباني.

٢- استوعب الإمام الخميني(رض) ووعى بشكل جيد التاريخ الإسلامي، الذي هو التاريخ الإنساني الموغل في القدم من قبل عهد ابراهيم (عليه السلام) وحتى خاتم الانبياء محمد(ص) وحفيده سيد الشهداء الإمام الحسين (عليه السلام). هذا التاريخ المليء بالعبر والدروس والمواعظ. فقد حكى القرآن الكريم عن قصص الامم مع انبيائها، وكفرها بالانبياء والمرسلين والدعاة، كما تحدث التاريخ الإسلامي عن مواقف الطغاة من امثال فرعون وهامان ونمرود، وسجلت مدرسة آل البيت (عليهم السلام) تاريخ غزوات الرسول(ص) وصحابته وآل بيته الطيبين الاطهار، وأسلوبه النموذجي في نشر الدعوة ومقاومة يد الشرك والمشركين في مكة، وكيفية استقطاب المستضعفين من حوله، وكيف تعامل مع المنافقين والمفسدين واليهود في المدينة المنورة، وكيف حوّل العرب في الجزيرة العربية وغيّر حالهم من أمة مستضعفة جاهلة تخاف ان يتخطفها الطير الى امة واحدة موحدة في دولة مسلمة اصبح العرب فيها قادة للعالم واساتذة للبشرية من خلال رسالة الإسلام التي كلفوا بحملها للبشرية قاطبة.

٣- كان الإمام (رض) استراتيجيا في تفكيره، لا يشغله التكتيك عن التحديق في الهدف الأساسي، وكان في الوقت نفسه يدقق في التفاصيل التي ان تُركت ربما تضر او تسيء الى القضية الكبرى (مثال سلمان رشدي). فرغم الظروف الصعبة والقاسية التي احاطت به (رضوان الله عليه) رفض الرضوخ وانصاف الحلول ولم يتحدث عن الواقعية والتكتيك على حساب المبادئ، ولم يضع يده في ايدي المستكبرين والطغاة، وبقي طوال حياته محافظا على المبادئ الاستراتيجية للثورة المتمثلة في اسقاط الشاه، وبناء الدولة الإسلامية وهزيمة الامبريالية والصهيونية.

٤- اعتمد الإمام الخميني(رض) بعد الإيمان المطلق بالله على قدرة الجماهير وبرع في مخاطبتها وتحريكها وتوجيهها الوجهة الصحيحة وتثويرها. وكان (رضوان الله عليه) يملك قدرة خارقة وعجيبة في مخاطبة الجماهير بأسلوب بسيط غاية في البساطة، يستطيع فهمه أستاذ الجامعة والفيلسوف والطبيب والنجار، والسائق والطالب والفرّان، كان يصيغ الهدف الاستراتيجي بأسلوب لغوي بسيط، ما ان تتلقفه الجماهير حتى يتحول الى شعار تردده في حركتها ومسيرتها.

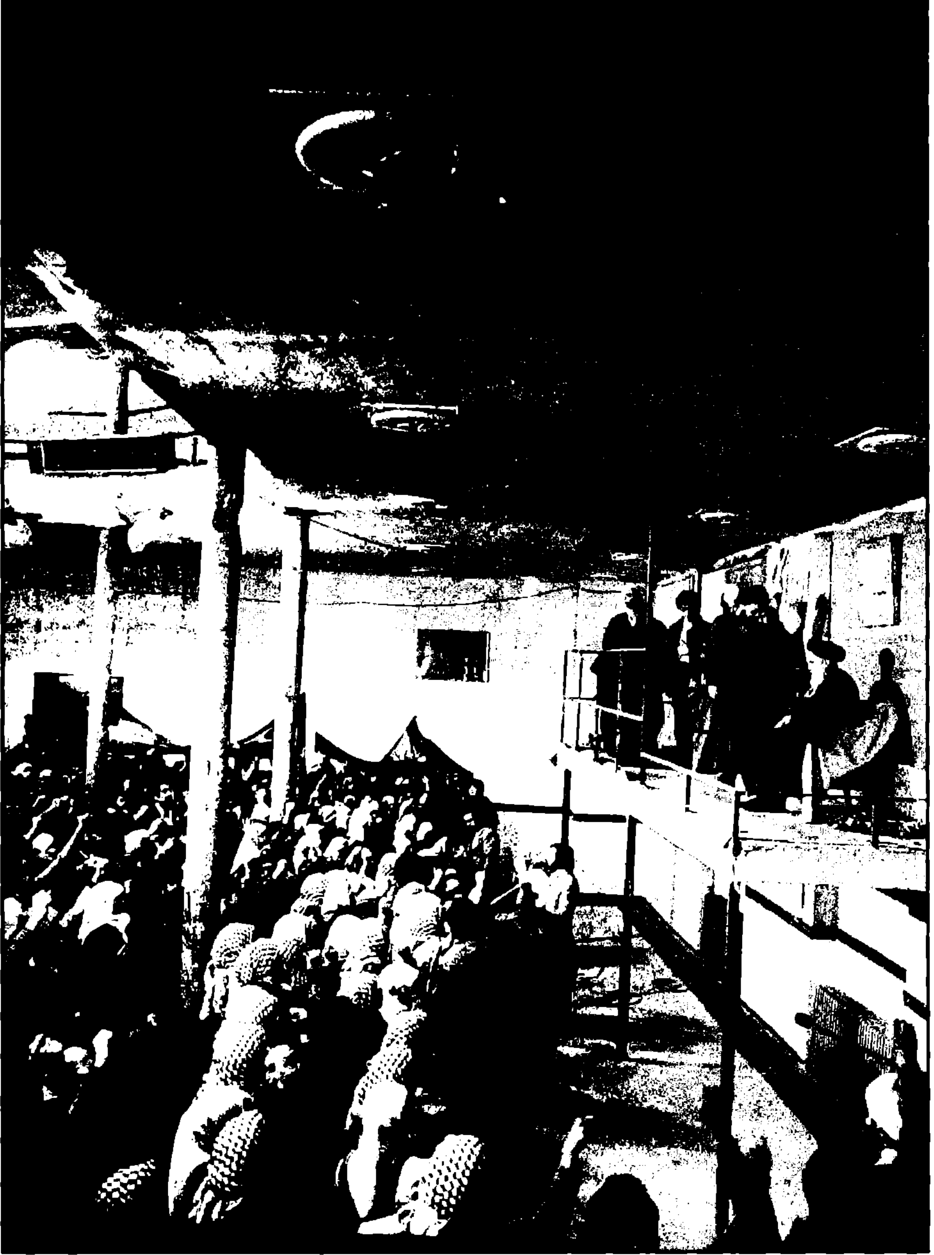
حدد الإمام (رضوان الله عليه) للجماهير المسلمة الاصدقاء والاعداء، ورسم لهم خط

السير وحدد لهم الاتجاه واوضح لهم معالم الطريق، والامثلة على ذلك كثيرة.

- (اسرائيل) غدة سرطانية يجب اجتثاثها من الوجود.
- يوم القدس العالمي.
- لا شرقية ولا غربية.

خطاب الإمام (رض) في الجماهير المؤمنة في مدينة قم سنة ١٩٦٣ :

«تعال نتحاسب (يخاطب الشاه) لنعرف اي الفريقين احق ان يوصف بالرجعية، انت الذي تدعي بأن دولتكم أمدن دولة، و تحتفل بمرور الفين وخمسمائة عام على تأسيسها، ولا تزال تتبجح وتفتخر بعظام نخرة ورفات بالية قذرة تريد احياءها خلافا للإسلام، وانت الذي تفتخر بامبراطوريتك وقدمها، تتقهقر الآن في اواخر عمرك لتتحالف مع (اسرائيل)، واذا قلنا لا تتحالف مع (إسرائيل) قلت انكم رجعيون تبّا لهذا المنطق، وتبّا لك سوّد الله وجوهكم».



من هنا انطلق نداء احياء يوم القدس العالمي فى الجمعة الاخيرة
من كل شهر رمضان .

رؤية الإمام الخميني لاستهدافات المشروع الصهيوني على مستقبل الأمة العربية والإسلامية

الأستاذ أبو خالد العملة

في الذكرى المئوية لولادة القائد الإمام روح الله الخميني (رض) نلقي نظرة اكبار على احد رموز وعظماء هذا القرن المشرف على الرحيل، واحد من اولئك المناضلين الكبار في مواجهة المشروع الامبريالي الصهيوني الذي يسعى الى الهيمنة على الأمة العربية والإسلامية.

ويكفي الإمام فخرا انه فجرّ الثورة الإسلامية التحررية في إيران ليؤسس لأول مرة جمهورية شعبية اتخذت من المواجهة شعارا ومن الاستقلالية الكاملة نهج عمل، ليتمكن الإمام العظيم (رحمه الله) من انجاز ما سعى له، وقرت عيناه. وهو يغادر الدنيا شاهدا على العصر. وقد ادى واجبه مكرسا عمره المديد في سبيل رفعة وطنه إيران وامته الإسلامية.

كان الإمام (رضوان الله عليه) رجل التمسك بالثوابت النضالية في وجه الامبريالية العالمية (أميركا) وعندما أسس وقاد الثورة ضد شاه إيران كان يعلم انه يسعى لتحطيم ابرز عملاء الامبريالية الأميركية في العالم. وتمكن بعون الله وباستنهاض عزيمة الأمة الإيرانية من تحقيق نصر مؤزر، اعتبر في حينها. قبل عشرين عاما. زلزال المنطقة بأسرها، فذلّ أميركا عندما كنسها ونفوذها من قلب المنطقة.

كان من ثوابت الإمام التي لم تتزعزع طوال مراحل نضاله. منذ ان كان مدرسا في حوزة الفيضية في قم، ربط مشروعه النضالي الثوري لزحزحة نظام الشاه بهدف رئيسي وهو تحرير القدس من قبضة الحركة الصهيونية حتى الى ما قبل سقوط ما تبقى من فلسطين

(*) أمين السر المساعد للجنة المركزية لحركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح/ الانتفاضة) والقائد العام لقوات العاصفة.

في يدها عام ١٩٦٧، وتوالت اتهاماته للشاه بالرضوخ للهيمنة والنفوذ الصهيوني وجعل إيران ساحة مصالحهم المتساوقة مع المصالح الأميركية، كان ببصيرته النافذة يعلم ان العدو الاول هو أميركا، وان القضاء على نفوذها في المنطقة يمر عبر تحطيم وازاحة عملائها وتحرير ثروات المنطقة لاهلها. وفي هذا السياق جاءت وصيته التي اذيعت بعيد رحيله عن هذا العالم الى رحاب الله الفسيحة لتكرس هذا العنوان الابرز:

استمرارية الحرب ضد الولايات المتحدة الاميركية رأس الشر في هذا العالم، حيث يقول في وصيته [مقدمة الوصية ص ١٠]:

«وعلى رأسهم أميركا.. هذه الإرهابية ذاتا، هذه الدولة التي أضرمت نارها في جميع انحاء العالم، وحليفتها الصهيونية العالمية التي ترتكب بتحقيق مطامعها جنايات تخجل الاقلام والألسن عن كتابتها وذكرها، ويحملها الخيال الأبله بإسرائيل الكبرى على ارتكاب أية جريمة».

لقد وضع ذاك القائد الإمام شعب إيران المسلم في خندق المواجهة، وترك له كلماته في الوصية، وهو يعلم مدى احترام وتقديس هذا الشعب له، لكي يواصل السير على منهجه، رغم صعوبة خوض معركة كهذه، وكلفتها الكبيرة من مقدرات شعب خارج لتوه من اتون حرب استمرت ثماني سنوات. كان يدرك ان لا مفر من خوض تلك المعركة مع أميركا، لانها معركة الصمود في وجه الالغاء والاستئصال الذي تسعى اليه تلك الدولة الامبريالية الظالمة ضد الشعوب المستضعفة. ويؤكد الإمام (رضوان الله عليه) ان قدرَ الشعب الإيراني وقد اصبح الرائد بعيد تفجير الثورة، ان يكون قدوة لكل شعوب المنطقة، وهو يشدد دوما على مسألة القوة هذه فيقول مخاطبا الشعب:

«احفظوا واحرسوا النعمة التي حصلتم عليها بجهادكم العظيم ودم شبابكم، اعرفوا قدرها كأعز ما لديكم، وابذلوا الجهد من اجلها، فهي النعمة الإلهية العظيمة، والامانة الإلهية الكبيرة، ولا تخافوا من المشكلات التي تواجهكم في هذا الصراط المستقيم، فان تنصروا الله ينصركم» [الوصية ص ٢٧].

هي صرخة حق لدعوة الأمة الى عدم التواكل في النضال في هذا الصراع المرير المفروض من اجل احقاق الحق وهزيمة الظالمين الامبرياليين.

مواجهة الاختراق الثقافي

لقد ظلت بؤرة اهتمام الإمام (رضوان الله عليه) ان يتحصن الشعب الإيراني وشعوب المنطقة من الغزو الثقافي الغربي، فاعلن منذ البدء اصالة الافكار النابعة من الإسلام

ومقدرتها على ان تكون سلاح المواجهة والتقدم وقيادة الجماهير نحو الأمام. وكان بيصيرته النافذة يعلم مدى تأثير وسائل الاعلام الغربية على الشباب، ومقدرتها . وأميركا تسيطر على معظمها . على غرس الحلم الرأسمالي الأميركي في عقولهم. وتنبأ في وصيته بما حدث في طهران في تموز ١٩٩٩ عندما تمكنت قوى خارجية من استغلال هؤلاء الشباب ودفعتهم للتظاهر، فقد حذر بحزم من الفصل بين الحوزة والجامعة. وكان (رحمه الله) يعلم ان الحوزة تعني تراث المنطقة وذاكرتها، ومنبع نشر والحفاظ على هذا التراث، وتحصين الشباب به حتى لا ينبهر بالغرب وثقافته. قال في وصيته مقيما عهد الشاه الذي سعى الى دفع طموحات الشاب باتجاه الغرب «احرصوا على عدم اختيار المعلمين والمدراء والاساتذة ورؤساء الجامعات من المنبهرين بالغرب او الشرق..» وكان يعلم بكل جلاء ان فصل الشباب عن تراثهم وعن روحية الحضارة العربية الإسلامية العظيمة، ان كتب لها النجاح، سوف تؤدي الى تحطيم الثورة مؤذنة بعودة الامبريالية الى إيران بوسائل جديدة، وان الفتن ستجتاح الشوارع، وكم كان وعي الإمام مرهفا حين سجّل تلك الفقرات في وصيته التي نتمنى ان تكون مرشدا للجميع على صعيد التطبيق.

يقول الإمام واصفا الانبهار بالغرب «من جملة المؤامرات [...] جعل الدول المنكوبة بالإستعمار تعيش الغربة عن هويتها [...] بحيث انها لا تقيم اي وزن لنفسها وثقافتها وقوتها.. وتعتبر قطبي الغرب والشرق العنصر المتفوق وثقافتها الاسمى [...] بحيث لم نعد نجرؤ على المبادرة الى اي ابداع، وسلمنا لهم بكل شيء واودعناهم مصيرنا وبلادنا.. وان نقلد الغرب والشرق تقليدا أعمى[...] فمن الواضح انهم حرمونا طوال التاريخ غير البعيد كثيرا، وخصوصا في القرون الاخيرة، كل تقدم.».

لهذا اوضح الإمام سبل المواجهة انطلاقا من استنهاض التاريخ والتراث والشخصية الوطنية لشعوب المشرق العربي الإسلامي، وعلى هذا الطريق اوصى بان يحصّن الشباب، خصوصا من الغزو الثقافي الغربي، ويتم ذلك بغرس القيم النضالية التي تحتوي معركة مستمرة حتى هزيمة الغزو الأميركي الغربي ثقافيا وإقتصاديا.

ومن هنا كان تركيز الإمام دوما على فلسطين باعتبارها القضية المركزية.

فلسطين والقدس

كلمات الإمام (رضوان الله عليه) الشهيرة بأن الكيان الصهيوني غدة سرطانية لابد من استئصالها، لا زالت تتردد على مسامع العالم وقد أطلقها قبل انفجار، الثورة الإسلامية بزمن بعيد.

لقد شاهد هيمنة الحركة الصهيونية على مقدرات إيران في عهد الشاه المقبور وكان المستشارون اليهود يحركون الحاكم وحاشيته كدمى تأتمر باوامرهم، فحولوا طهران الى وكر لكل رذالات وحثالات العالم. كانت إيران في قبضة رموز الحلف الأميركي الصهيوني الغربي بكاملها.. وهناك يكمن الخطر الحقيقي على الوطن، في (اسرائيل) فأطلق نداءه الذي يتردد صداه حتى اليوم، ولهذا السبب أعلن يوم القدس العالمي، وأسس جيش تحرير القدس، ودعم كل المناضلين الذين يقاتلون لتحريرها.

لم يفرق الإمام بين القدس وبقية فلسطين، ولكن هذه المدينة المقدسة بما تحمله من دلالات على وحدة المسلمين، أولى القبلتين وثالث الحرمين ومعراج رسول الله(ص) لابد ان تصبح رمزا لصراع طويل الأمد، فهي مركز جذب لمسلمي العالم الذين يصلون الى المليار ونصف، وعندما تتحرر القدس تتبعها باقي فلسطين.. تماما كما حدث قبل ثمانية قرون عندما حررها المسلمون بقيادة صلاح الدين الايوبي، ولم يلبث الفرنجة الذين قاتلونا باسم الصليب طويلا بعد ذلك فغادروا المنطقة، حتى جاءت الغزوة الغربية الافرنجية الجديدة (باسم التوراة) في مطلع هذا القرن.

القدس قلب فلسطين وعاصمتها، وقد بذل العرب والمسلمون عشرات الالوف من الشهداء لتحريرها بعد ان لبثت في قبضة الافرنج سبعين عاما.. موقعها بؤرة الصراع وقطب الرحى.. وفلسطين نقطة الوصل بين مشرق الوطن العربي ومغربه.

كان الاستعمار يعلم وهو يؤسس للمشروع الصهيوني بانه يغرس كيانا استيطانيا عنصريا مسلحا باساطير توراتية، لتكون جذبا لملايين الافرنج اليهود اليها، تحت ايحاءات تلك الاساطير.

(اسرائيل) أصبحت ثكنة الغرب وخندقه الأمامي للانطلاق إلى باقي أرجاء العالم العربي الإسلامي، وظلت ثروة إيران النفطية، وكذلك ثروة العرب النفطية أحد أهم أهداف الامبريالية لاستخدام هذا الكيان الصهيوني ذراعا.

في كل أحاديثه عن فلسطين والقدس تبرز شخصية الإمام الاستراتيجية المسلحة بوعي تاريخي عميق لمجريات الصراع وتطوراته المقبلة، لهذا ساند العمل الفدائي الفلسطيني دائما بجواز دفع الزكاة للفدائيين الذين يقاتلون العدو الصهيوني، وكان ذلك من منفاه في النجف الاشرف حيث مكث زمنا طويلا.

وقبل ذلك وفي عام ١٩٦٣ وقبيل دخوله سجن الشاه ونفيه القى الإمام خطابا جماهيريا في مدينة قم لعله اجرأ ما واجه به (رجل دين) حاكما ظالما كشاه إيران وقال

«تعال نتحاسب (يخاطب الشاه) لنعرف اي الفريقين احق ان يوصف بالرجعية، انت الذي تدعي بأن دولتكم امدن دولة، وتحتفل بمرور الفين وخمسمائة من السنين على تأسيسها ولا تزال تتبجح بعظام نخرة ورفات بالية قذرة تريد احياءها خلافا للإسلام، وانت الذي تفتخر باتبراطوريتك وقدمها تتقهقر الآن في اواخر عمرك لتعاهد اسرائيل، واذا قلنا لا تعاهد (إسرائيل) قلت انكم رجعيون.. تبا لك لهذا المنطق وتبا لك .. سود الله وجوهكم..»

والمعروف ان الشاه يومذاك أراد عملا استعراضيا صرَفَ من أجله الملايين إحياء لذكرى (كورش) الملك الفارسي الذي ورد ذكره في (العهد القديم) بانه انصف اليهود اثناء السبي البابلي واعادهم الى فلسطين، وتلك حركة مشبوهة من الشاه لكسب ثقة الصهيونية ودعمها في وجه انتفاضات الشعب الإيراني المسلم ضد الظلم والهيمنة الامبريالية على مقدراته.

لقد أعلن الإمام (رضوان الله عليه) ان الشاه يحالف (اسرائيل) وذلك يعني بجلاء انه وضع الجماهير في صورة المعركة المقبلة وحدد العدو الرئيسي وهو الكيان الصهيوني المتحالف مع الشاه ضدها، وحذره مما يعنيه ذاك التحالف من تحد لإيران رغم بعد الكيان الصهيوني عن حدودها.

هنا علينا ان نعترف بأهمية قيام الثورة الإيرانية في ظروف عقد اتفاقية كامب ديفيد بين مصر والكيان الصهيوني، فقد تولت إيران الثورة دورا كبيرا في كبح وعدم تعميم نهج كامب ديفيد.. واستحقت صفة زلزال المنطقة.

في ذاك الزمن.. قبل ستة وثلاثين عاما . وفي الخطاب الشهير الذي اسلفنا يتابع الإمام اشاراته وتحذيراته عندما ربط الصراع في سبيل نشر الإسلام بقتال الكيان الصهيوني ومن يقف وراءه.

يقول «اننا نعارض الفساد ونقول بصراحة ان برامج الحكومة تنظمها اسرائيل.. اجل اسرائيل.. انكم تأتون بالخبراء العسكريين من (إسرائيل) وترسلون الطلاب ببعثات دراسية الى اسرائيل.. [...] يا شعوب العالم اعلموا ان شعبنا يعارض التحالف مع (إسرائيل) وان حلفاء (إسرائيل) ليسوا منا ولا من شعبنا وليسوا من علمائنا وان ديننا يلزمنا بمعارضة اعداء الإسلام ومخالفتهم.»

فهل يمكن ان نجد اوضح من تحريض كهذا ضد الكيان الصهيوني وعملائه؟

تلك كانت فتوى الإمام للمسلمين ملزمة بشن الحرب على (إسرائيل) واضعا بذلك

لبنة أساسية في بنيان المستقبل لتفجير التحدي في وجه الشاه العميل وحلفائه. وها هي إيران المسلمة اليوم قلعة نضالية شامخة بدعمها للنضال والمناضلين ضد الكيان الصهيوني.. متحملة الحصار والمؤامرات وبؤر التوتر حولها شرقا وغربا، ولكنها وعلى ضوء تعليمات الإمام حافظت على شرف خوضها لمعركة عادلة تكبدها الكثير من التكاليف ومن ذلك وضع اسمها على لائحة الدول الداعمة للإرهاب في العالم باستمرارية موقفها من الكيان الصهيوني وعدم الاعتراف به ودعمها كل الذين يناضلون من أجل تحرير بلادهم في فلسطين وجنوب لبنان.

الإمام الخميني (رضوان الله عليه) كان يدرك ان المعركة طويلة ومستمرة بهدف وحيد هو النصر، هي قضية اجيال وليس هذا الجيل وحسب. كان يعلم انه يغادر الساحة قبل ان يهدأ ضجيج المعركة، ولكل ذلك قرر احياء يوم القدس في الجمعة الاخيرة من رمضان من كل عام. لقد اختار الشهر المبارك لانه يلهب مشاعر المسلمين في كل ارجاء العالم في بوتقة واحدة تتجه نحو المدينة المقدسة لتذكرها بان تحرير المدينة فرض عين على كل مسلم ومسلمة.. وها نحن نحتفل بمئوية الإمام القائد الإسلامي الذي عمل من اجل المستقبل مستلهما الماضي مستنهضا الشعب من على حصيره المتواضع في منزله في مدينة قم الهادئة.. قلب إيران.

خاتمة

الإمام العظيم يقف رمزا إسلاميا الى جانب رموز عديدة مجاهدة كالقسام وعبد الناصر وعمر المختار وعباس الموسوي وفتحي الشقاقي.. انه ونحن في الذكرى المئوية لميلاده، في نهاية الالفية الثانية لميلاد السيد المسيح نذكر ان الغرب وضع قائمة بعظماء هذا القرن.. ورغم تجاهله للكثيرين من العرب والمسلمين ورجال العالم الثالث فلم يستطيعوا تجاهل الإمام (رضوان الله عليه) فقد وضع إيران في الطليعة بعد ان كانت ذيلا لأميركا.

انه بمواقفه الجهادية النضالية التي أكد عليها حتى في وصيته جعل من إيران بلدا مستهدفا في اطار تطويق استراتيجي من خلال توسيع الاحلاف حولها واتهامها بالإرهاب وتقوم أميركا بحصارها لمنعها من امتلاك اسلحة الردع ناهيك عن محاولات العبث بالجبهة الداخلية.

ان هذا يستدعي بالتأكيد تعزيز وتطوير علاقة إيران مع العرب والمسلمين في كل العالم ومساهمتها الاشد في دعم قوى الصمود العربي في حلقات الدفاع المباشرة عن الأمة، وكذلك دعم قوى الشعب الفلسطيني المناضلة، والسعي الدؤوب الى انشاء محور

دمشق بغداد طهران الذي نأمل في تحقيقه جميعا.

وهكذا استحق الإمام (رضوان الله عليه) مكانته التي أهلته شخصيته المؤمنة الرائعة عندما جعل التمسك بالثوابت والقيم شعارا نضاليا وقاعدة أساسية لكل أولئك الذين يسعون لصنع المستقبل والتأثير في مسار الاحداث.

وهنا لابد من القول ان معظم الباحثين المنصفين وهم يدرسون ملامح المستقبل يقرون ان المعركة المقبلة مع الولايات المتحدة الأميركية ستكون أشرس المعارك لأنها ستكون معركة الدفاع عن التراث العربي الإسلامي الذي تسعى الامبريالية لتدميره واقتلاعه من عقول الأمة، معركة استئصال بالغة الشراسة والهمجية لابد من التصدي لها.. انها حرب ضد الايديولوجيا والتراث، لتحطيم الهوية والاستقلالية والمستقبل تماما كما فعل الأميركيون البيض للهنود الحمر، وكم كان الإمام ملهما وهو يتحدث عن تفاصيلها منذ زمن بعيد.

إن اصحاب المبادئ والثوابت والقيم هم الذين يصنعون التاريخ هذا ما أكدته مسيرة حياة الإمام. وهو عندما جعل من قضية فلسطين قضية إيران الإسلامية وجوهر الصراع في العالم فانه يساهم في صنع التاريخ محددا ملامح المستقبل.

لقد غادر الساحة والمعركة لما تزل مشتعلة ولكنه حقق نصرا مؤزرا سيبقى مهما لكل المناضلين عبر رؤيته ومبادئه وعزيمته واصراره على احقاق الحق والعدل، وبذلك فان الإمام القائد (رضوان الله عليه)، حي باق في ضمير وإرادة الشرفاء والمجاهدين من اجل حريتهم وحقوقهم وإنسانيتهم.



الامام الخميني : اسرائيل غدة سرطانية لابد من
ازالتها من الوجود .

عام الخميني في إيران

الأستاذ خالد الفاهوم

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى صحبه وآله أجمعين، وبعد فإن الحديث عن الإمام الخميني (قدس الله سره) في يوم مولده الأغر وفي عامه الشموس، لحديث ذو جلالة وقداسة لإمام تاريخي، وحقيقة ساطعة من حقائق حياتنا الإسلامية، فالإمام (قدس الله سره) شخصية نادرة الخواص ومن طبيعة تجمع فيها عناء الذات وقساوة المواجهة الى جانب مسيرة من الفقه تكللت الى أن أصبحت مدرسة تحرك الملايين من المسلمين، وتنطوي على ابعاد روحية ارشادية غيرت مجرى الاحداث في منطقة عرفت بركودها.

فالإمام (رضوان الله عليه) من الشخصيات الاستثنائية ذات الخصب والعمق، تتعدد فيها الجوانب وتتفاعل بتناغم اعجازي فهو أستاذ الفقه والأصول والفلسفة والأخلاق الإسلامية وهو المفكر الإسلامي، الروحي والدنيوي الذي لا يدانى والمؤلف الحاني على أبنائه والاديب الذي يبذل في سبيل نقاوة الأدب وارشاديته الروحية، والخطيب المفوه الذي لا يقارع، والعارف العابد، الزاهد المتنسك المترفع عن مباهج الدنيا ثم هو الى ذلك كله أبرع من فهم السياسة وكونها جزءا لا يتجزأ من الدين، وبتوجيهاته الفذة اعطى السياسة بعدا حيويا يحقق أهداف الشريعة التي تدعو الى إنقاذ المسلمين من الاستعباد العالمي واستئصال الشر والفساد.

وهكذا كان الإمام الخميني(قدس سره) نبراساً يجمع في شخصه الجليل، مرجع التقليد الذي يستوعب الزمان والمكان، والمجدد الذي يلتقيه المسلمون في كل قرن، وقائداً لحركة تحرر الأمة، والزلزلة التي زلزلت عرش اقدم الطغاة، ومفجر أول ثورة إسلامية

(*) الرئيس السابق للمؤتمر الوطني الفلسطيني (برلمان المنفى).

كبرى، ومؤسس أول جمهورية إسلامية حقيقية.

وبروحه الثورية الخلاقة والمعجزة دخل المسلمون عصرا جديدا من الجهاد الحقيقي والمقاومة الفعلية للطاغوت العالمي وبفضله، وبفضل جهاده وتضحياته، وصبره وطول اناته، صار الإسلام الراية التي تظلل الثوريين الحقيقيين في العالم والشوكة التي تنقض على المنافقين والمستكبرين جميعا وتهدد احلامهم الشريرة واطماعهم الخبيثة.

إن شخصية بهذه السمات النادرة الإجتماع، لا يمكن لأحد ان يقيم عصرنا بأحداثه ومفاعيله ومؤثراته وان يعي ابعاد السياسة الدولية، وموقع الإسلام الجهادي فيها بمعزل عن التأثير التاريخي العميق المدلول لشخصية الإمام (قدس سره) الدينية والجهادية والسياسية ومواقفه من احداث عصره وتقييمه لمسيرتها وصيرورتها.

وبعد، فان شخصية بهذه المواصفات الاستثنائية، والمنطوية على اهتمامات عالمية، بل كونية، فان قضية فلسطين المقدسة وكفاح شعبها وآلامه ومعاناته كانت من اولويات اهتمامات الإمام الخمنيني (قدس سره) ومن اولويات القضايا التي بادرت الى الاهتمام بها الثورة الإسلامية واعطتها مواقع متقدمة في سياستها الخارجية، فهذه القضية والدعوة الى محاربة الصهيونية والدعوة الى الوحدة الإسلامية، كانت من جملة اهتمامات الإمام (قدس سره) ومن عام ١٩٦٣ ، حيث بدأ الإمام معارضته للنظام الشاهنشاهي، المرتبط بأميركا والمتحالف مع الكيان الصهيوني الغاصب، كنا نرى ونسمع في بياناته وتوجيهاته الدعوة لإزالة الكيان الصهيوني من الوجود.

ان اهتمام الإمام الراحل بقضية فلسطين بلغ درجة حيث سمى في الشهر الاول من انتصار الثورة آخر يوم جمعة من شهر رمضان المبارك بيوم القدس العالمي، كي تبقى هذه القضية رمزاً مقدسا لجميع المسلمين. لقد كان لهذا التقدير والاهتمام بقضية الشعب الفلسطيني الاثر الابلغ في ارتقاء اهميتها في داخل الجمهورية الإسلامية وخارجها، وكان هذا أيضاً ديدنا للمسؤولين في الجمهورية الإسلامية، حيث وضعوا الاهتمام بالقضية الفلسطينية أولوية على سلم برامجهم، بحيث ان دعم الشعب الفلسطيني المظلوم وقضيته حظيت دائما باهتمام القيادة الايرانية الرشيدة في معظم نشاطهم الرسمي والسياسي والجماهيري.

وبعد رحلة الإمام الراحل (قدس سره) خلفه آية الله السيد علي خامنئي بالاهتمام بالقضية الفلسطينية بنفس القوة واعلن مساندته لانتفاضة الشعب الفلسطيني، وبهذا استمر نهج الإمام (قدس سره) ازاء قضية الشعب الفلسطيني.

ان الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وجريا على نهج الإمام الخميني (قدس سرّه) قد سعت الى طرح قضية فلسطين في المحافل الدولية، وفي هذا المجال قامت بعقد المؤتمرات والندوات الدولية المختلفة في داخل إيران الإسلامية وشاركت مشاركة نشطة وفاعلة في المؤتمرات التي عقدت خارجها، واستمرت تحيي في كل عام في شهر رمضان المبارك، وتدعو المسلمين من مختلف بقاع الأرض للمشاركة فيه.

والى هذا فقد حفلت حياة الإمام بنشاطات غفيرة في مقارعة الإستعمار، وله مواقف مشهودة في الحرب التي شنها على الطاغوت والاستكبار العالمي وخاصة الأميركي، فمنذ ان بلغ اشده وهو يقارع الإستعمار البريطاني أيام رضا خان ومن ثم مواقفه المشهورة أثناء الحرب العالمية الثانية ونتائجها التي كان من ابرزها تبدل الاستعمار البريطاني بآخر أمريكي وتطور التحالف مع الكيان الصهيوني، وكان من نتائج موقفه هذا المميز الاعتقال والطرد والنفي.

ان الإمام الخميني (قدس سره) لم يحصر اهتمامه ونشاطه الاعتراضي على إيران، بل كان، (رحمه الله) يوزع نشاطه ودعوته على كل المستضعفين في العالم، ولم يألُ جهدا في هذا المجال، فكان السباق الى الوقوف والدعوة لنصرة هذا الشعب او ذاك. واذا ما كان في بعض نشاطه مركزا على الوضع في إيران كان له تأثير في عموم المنطقة، فالإستكبار الأميركي – الصهيوني جعل من نظام الشاه المقبور، قاعدة للعدوان على شعوب المنطقة وثرواتها وأداة تكبل وتعيق هذه الشعوب من التطلع الى غد افضل وكل ذلك بمؤازرة الاعوان المتنفذين هنا وهناك والتي جاءت الثورة الإسلامية في إيران لتفضحهم وتفضح تواطؤهم وانخراطهم في المؤامرات الدولية ضد شعوبهم.

فالإسلام الذي وعاه وفهمه الإمام الخميني (قدس سره) هو إسلام الجهاد، إسلام الفضيلة والأخلاق الحميدة وإسلام الحقوق والواجبات، فالإسلام كما يقول الإمام: «الإسلام ليس جانبا تعبديا ينحصر في اطار الصلاة والصيام والدعاء والتسبيح، هذا هو باب واحد من ابواب الإسلام، ان الإسلام له منهج خاص وسياسة خاصة به، «الإسلام يعني ادارة البلاد وادارة الأمور العامة» وفيما يتعلق بأهمية المساجد، يقول الإمام: «المساجد في عهد الرسول وفي الصدر الاول كانت كلها قواعد سياسية للإسلام، وفي المساجد كانت توضع مخططات الحروب.. في المساجد كانت تدار أمور البلاد.. وكانت خطب الجمعة تدور حول السياسة والحروب وادارة البلاد.



دور الإمام الخميني في بعث الحركة الإسلامية

المهندس ابراهيم غوشة

ها نحن على وشك مغادرة القرن العشرين الميلادي لدخول القرن الحادي والعشرين ولا يستطيع أي باحث او مؤرخ في قضايا الحركة الإسلامية الا ان يضع الإمام الخميني والإمام حسن البنّا والعلامة ابو الاعلى المودودي في قائمة أبرز القادة للحركة الإسلامية في القرن العشرين.

فاذا امتاز الإمام حسن البنّا بالتصدي للردة العلمانية الغربية ممثلة بالغاء الخلافة العثمانية على يد مصطفى كمال اتاتورك المدعوم بالغرب حيث توجه الإمام البنا لبناء الشباب والفتيات على معاني الإسلام الحركي باعتباره دينا ودولة، مصحفا وسيفا مادة وروحا، ووجه اولئك الشباب لأمرين أساسيين هما: مقاومة الإستعمار (بما فيه الصهيونية) في بلاد المسلمين واقامة الدولة الإسلامية لتطبيق الشريعة .

واذ امتاز العلامة المودودي بنشر الفكر الإسلامي الواعي الشامل في القارة الهندية وتصدى للاستعمار الانجليزي والافكار، وتكوين نخب مثقفة من الباكستانيين والهنود تحمل الإسلام الصافي وكأداة قابلة للتطبيق.

فان الإمام الخميني قد جعل الإسلام أساس ثورته التي أعلنها على الغرب ممثلا بحكم الشاه الدكتاتوري الذي جعل من دولة إيران شرطيا على الخليج وعلى المنطقة مدعوماً بالولايات المتحدة والصهاينة.

وكان الإمام الخميني حرباً لا تهدأ ولا تتوقف عليها حتى كان النصر المؤزر والنجاح المبين في ثورة شباط المباركة عام ١٩٧٩ .

استطاع الإمام الخميني ان ينجح في اقامة اهم دولة إسلامية في القرن العشرين وقضى

(*) الناطق الرسمي لحركة المقاومة الاسلامية الفلسطينية (حماس)، مقيم في عمّان.

على الفكر الغربي والشيوعي وتصدى لمؤامرات الولايات المتحدة وخاض الحروب التي فُرضت على الجمهورية الإسلامية بصبر وثبات وانتقلت هذه الثورة الى مرحلة الدولة التي تستطيع ان تعتمد على نفسها وتنشئ مشاريع التنمية الصناعية اللازمة لنجاح الدولة بالاضافة الى انتهاج خطة إسلامية متميزة ترفض الشرق ممثلا بالشيوعية وترفض الغرب ممثَلاً بالرأسمالية، أما الزعيمان الإمام البنا والعلامة المودودي فما زال على أتباعهما تحقيق ما حققه الإمام الخميني من اقامة الدولة الإسلامية ولا شك انه باقامة الدولة الإسلامية في مصر وفي باكستان يتعزز موقع الحركة الإسلامية في العالم سيما وان دولا اخرى مثل السودان الذي يتعرض لنفس المؤامرات قد سار في طريق تجسيد أهداف الحركة الإسلامية العالمية.

ولقد تميز الإمام الخميني بميزات كثيرة اهمها:

* الثقة الكاملة بالنفس بعد الثقة بالله وبالإسلام الذي حمله للشعب الإسلامي في إيران تلك الثقة التي ربما كان يراها البعض خيالية او غير واقعية في ظل هيمنة الامبراطور الإيراني على كل شؤون الحياة في إيران المسلمة.

* الإيمان بقدرة الشعب: كان الإمام (رحمه الله) يؤمن بقدرة الشعب على التغير مهما كانت التضحيات، وفعلا فقد قدم الشباب المسلم والنساء المسلمات الكثير من التضحيات حتى ارتفعت راية الإسلام عالية خفاقة في سماء إيران مزينة بشعار (الله) شعار الجمهورية الإسلامية في إيران.

* رفض انصاف الحلول: لم يوافق الإمام الخميني على أقل من الهيمنة الكاملة للإسلام. كيف لا والعقيدة الإسلامية هي المحرك الحقيقي للجهاد والتضحية فلا أنصاف حلول ولا مساومة على رسالة السماء حتى كان النصر المدوي قبل عشرين عاما.

* الانفتاح على العالم الإسلامي حيث ان إيران جزء لا يتجزأ من العالم الإسلامي ولا يمكن الوصول لتحقيق أهداف الإسلام الا بوحدة وتكاتف المسلمين جميعا.

* الانتباه للخطر الصهيوني: وكان دائما يكرر بضرورة ازالة دولة الكيان الصهيوني السرطانية باعتبارها دولة غاصبة مدعومة من الغرب ولا حل الا بالجهاد وعودة الشعب الفلسطيني الى كامل فلسطين ولذلك فاننا نجد الآن ان الموقف السياسي للجمهورية الإسلامية في إيران هو الموقف الوحيد الذي لا يتردد في المطالبة بعودة فلسطين كل فلسطين ويرفض ما يسمى بقرارات الشرعية الدولية مثل قرار ٢٤٢ الذي يعطي اليهود ٧٠٪ من مساحة فلسطين.

خطاب الثورة والصمود عند الامام الخميني

الدكتور طلال ناجي

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين﴾ [٣٣ فصلت].

جمع الإمام بين دفتي خطابه الاسلامي كل فكر الثورة والمقاومة والصمود، وجعل من استعادة الجهاد آية من آيات الاسلام المعاصر، لا بل أعاد الى الإسلام روحه الدفّاقة بالخير والعطاء ووهجه الإلهي ليلهم المسلم المعاصر القوة للجهاد والدفاع عن حقوقه وأمله بحياة حرة كريمة وليزهو بها فوق طمع الطامعين وليستعيد ما اغتصبه المغتصبون.

ان هذه اليد الكريمة التي خطّت للمسلمين طريق الثورة والصمود، طريق الجهاد المعاصر هذه اليد لم تمس يد الظالمين والمستكبرين، هذه اليد رفعها الإمام الراحل على رؤوس القوى المستكبرة فصفعتها وطردتها من أرض إيران المسلمة، وإن شاء الله وبعونه وقوته تبارك وتعالى وبعون وقيادة الخلف الصالح من دوحة الإمام الراحل وبجهاد جميع المسلمين سوف نطردها الى أبد الآبدين.

لقد مدّ الامام الراحل يده الكريمة لتصافح المؤمنين بكل حرارة الإيمان على مدى الدهر عملا بقوله تعالى **﴿إنما المؤمنون إخوة﴾** [١٠ الحجرات]، هذه اليد حينما ارتفعت لتشد من أزر المستضعفين في كل أنحاء المعمورة، قد بثت في المؤمنين القوة والصلابة وبعثت فيهم روح الجهاد والثورة، روح المقاومة والصمود بوجه المستكبرين الجائرين وفي سبيل إقامة الدولة الاسلامية العصرية الملتزمة بالقرآن الكريم وسنّة رسوله الأعظم دستورا في أرض

(*) الأمين العام المساعد للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين - القيادة العامة.

الاسلام الواسعة. هذه هي دعوة الامام الراحل (قدس الله سره) وهذه هي جميع حياته وقفها في خدمة الاسلام والمسلمين، وكما قال سبحانه وتعالى في محكم ترتيله الكريم ﴿**ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين**﴾[٥ القصص].

لاشك أن دراسة حياة الامام الراحل وما أنجزه في مختلف مجالات العلم وعلى صعيد تطبيق الشريعة وممارساتها، كما ان دراسة مواعظه وفكره النير الخصب ومطالعة بياناته وخطبه العصماء بدقة وتمعن، تنير الطريق أمام المؤمنين ليعرفوا ماهية الثورة المقدسة التي دعا لها الإمام توضح الأهداف النبيلة التي جاهد الإمام في سبيل تحقيقها طوال حياته.

يقول الإمام رضوان الله عليه في خطاب له سنة ١٣٨٣ هجرية أي قبل ٣٨ عاما «هدفنا الاسلام واستقلال البلاد وطرد عملاء اسرائيل والاتحاد مع الدول الاسلامية» وهل أنبل واكرم من هذا الهدف السامي؟ استعادة وحدة الأمة الاسلامية هذه الوحدة التي حطمتها الأطماع والأنانية وسحقتها سنابك المستكبرين حيثما دهمت المسلمين وهم غفل عما يبيّت لهم من دسائس ومخططات تستهدف دينهم وثرواتهم وقيمهم الروحية والحضارية.

ويقول (رضوان الله عليه) في الدرس الخاص من دروس (الحكومة الاسلامية) في محاضرات ألقاها سماحته في النجف الأشرف سنة ١٣٨٩ هجرية: «علينا ان نسعى من الآن لوضع حجر الاساس للدولة الاسلامية الحقة وندعو لها حتى تحصل موجة ثم تتبعها موجات لتخلق شيئا فشيئاً أمة عاملة بواجباتها» هذه الواجبات بينها الله عز وجل في محكم تنزيله الكريم: الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وصيانة الاسلام من عبث العابثين، والحفاظ على حقوق المسلمين ونصرتهم في كل ما يواجههم من جور وإجحاف.

ان المحافظة على الاسلام بوصفه دين الله كما يبين في محكم التنزيل، لهو الهدف الاسمى من أهداف الرسالة الخمينية، فهو يقول في الدرس السادس من (الحكومة الاسلامية): «واجبنا المحافظة على الاسلام وهذا من الفرائض الهامة وأهم حتى من الصلاة، هذا الواجب الذي يوجب التضحية بالدماء من أجل الاسلام ولا يوجد أسمى من دم الامام الخميني إذ أريق في سبيل الاسلام وهذا بسبب تلك المنزلة التي للإسلام».

وفي خطاب أثير لسماحته وكدعوة لعامة المسلمين يبصّرهم بواجباتهم التي وضعها الله على كاهلهم، يقول سماحته في هذا الخطاب التاريخي الذي أُلقي في شهر ذي الحجة

الحرام من عام ١٣٨٣ هجرية: «علينا ان نزيح ذلك الغموض الذي يوجد بالنسبة للاسلام، ولو لم نخرج هذا الإيهام من الأذهان، لا نستطيع ان نعمل شيئا» ويضيف سماحته: «علينا ان نستنهض أنفسنا ونستنهض الجيل القادم ونوصيهم بأن يأمروا الأجيال التي تأتي من بعدهم ليزيحوا ويزيلوا الإبهام الموجود في أذهان الكثير من مفكرينا نتيجة الدعايات السيئة التي استمرت مئات السنين، وعليهم ان يعرفوا الاسلام والحكومة الإسلامية على حقيقتها، حكومة تنبع من الاسلام ولتبقي تعاليم الاسلام الحنيف».

ان هذه التوجهات العظيمة لا يمكن ان تكون الا دستورا وقانوناً مقدساً في حياة الشعب المسلم وعلى المسلمين تنفيذها لأنها مستمدة من منبع الوحي الإلهي أي من السنة النبوية الكريمة وتوجيهات أئمة الهدى (رضوان الله عليهم). فالإمام الراحل (قدس الله سره) ومنذ بدأ يعي ذاته النبيلة قد تربى في أحضان العلم والدين وعاشر القرآن والحديث وهام في دوحة الفقه وسبَر أغوار الكتب الفقهية والتفسيرية وأخرج لآليها ودررها حتى أصبح المرجع العام للمسلمين يأخذون منه أصول دينهم ودنياهم، لأن الاسلام دين عبادة وعمل، ودين حكومة وسياسة، وهذا ما جهد الامام الخميني الى ان يعيده الى الاسلام ويبعث الاسلام الحقيقي من بين أكداس الأضاليل التي ألحقت به وهو منها منزه. يقول الامام في كلمته المشهورة: «ان تحديد واجبات الفقهاء وعلماء الدين بمراسيم العبادات وبيان أحكامها وشرائعها من طهارة ونجاسة ودعاء ومناجاة فحسب، هو من مخلفات سموم المستعمرين أعداء الإسلام قاتلهم الله أنى يؤفكون.

ان واجبات الفقيه العارف بأحكام الشريعة الإسلامية هو النهضة والعبادة من أجل إعلاء كلمة الله في الارض والجهاد المستمر لتطهير أرض الله من أعداء الله عزّ وجل ومن واجبات الفقيه حمل السلاح وقيادة الجيوش ومكافحة أعداء الاسلام في ميادين الجهاد المشرفة. ان من صلب واجباتنا الدينية العمل الدائب من أجل تشكيل حكومة إسلامية صحيحة قائمة على أساس العدل والمعرفة»[1].

وعلى هذا فالاسلام دين العمل والجهاد لا دين الاتكال والتهرب من الواجبات بحجة العبادات ومراسيمها والعزوف عن فهم مشاكل الناس وحاجاتهم والنهي عن المنكر والأمر بالمعروف لا التذرع بقول؛ (كل عليه بنفسه)، وهذه عين الأنانية والعزوف عن واجب الجهاد وما يرتبه من التزامات، هي التزامات تجاه الخالق عز وجل. فالاسلام كما هو معروف دين عمل ودنيا كما هو دين عبادة ونسك. وبوصفه دين الفطرة والرسالة

(١) المحاضرة الثانية من محاضرات الحكومة الاسلامية

السمحة، فهو يهتم بكل شؤون الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وهذه أمور - كما وضحتها الرسالة الاسلامية - وظفتها الحكومة الاسلامية الاولى جليّة في اهتماماتها بأمور الحياة الدنيا كما في أمور العبادة، وعلى هذا يقول سماحة الامام الخميني(قدس الله سره): «فالاسلام دين السياسة بشؤونها.. يظهر ذلك لمن له أدنى تدبر في أحكامه الحكومية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية. فمن توهم أن الدين منفك عن السياسة فهو جاهل لم يعرف الاسلام ولا السياسة»[٢].

وهكذا كما مرّ معنا من هذه الدرر الثمينة، فإن الامام لم يترك وجها من وجوه الجهاد او وجها من وجوه الحياة الدنيات والآخرة، وجرياً على السنة النبوية والشريعة الاسلامية السمحاء، بحث في كل موضوع يتعلق بشؤون الناس معنويا كان أم ماديا، وبوصفه فقيها تأخذ الامور الروحية الجانب الأهم والأكثر من أحاديث الامام وكلها تبصير وتوجيه بواجبات المسلم الدينية تجاه بارئه وتجاه إخوانه في الدين، غير ان سماحته لا تنفصل عنده أمور الدين والدنيا، فكل حديث روحي او معنوي يجب ان يمتحن في الدنيا وكل تبصير وتوجيه في شؤون الدنيا يجب ان يُمتحن بما أنزل الله على الرسول الكريم والسنة التي استنّها، لأنها وحي هي أيضا، وبما يلمّ به الأئمة.

فالثورة الاسلامية وانتصارها والتي يكثر الحديث عنها، ولم ينس الجانب الروحي او المعني لانتصارها، وهو الاستمداد من قدرة الله تبارك وتعالى حيث منّ على الشعب الايراني المسلم وسهّل لهم كل الصعاب حتى يتمكنوا من الوصول الى مبتغاهم الذي كانوا ينادون به صباح مساء في تظاهراتهم المليونية؛ الحرية، الاستقلال، الجمهورية الاسلامية. وبوصفه قائدا استراتيجيا في معركة الثورة وانتصارها، كان سماحته يركز على جانب مهم من جوانب انتصار الثورة، جانبها الجماهيري، فلولا الحضور الجماهيري الملاييني في ساحات الجهاد ولولا تعاطف الشعب مع الثورة وقائدها لكانت الثورة منتفية بانتفاء العلة.

فالجانب الجماهيري بوصفه الركن الاساسي للثورة إعدادا وممارسة وانتصارا، كان ما يركز عليه سماحته، فالاساس الذي تستند عليه الثورات هو الحضور الجماهيري في الميدان، حضور وانغماس في معمعان الهيجان الجهادي، وتعاطف الى حد التماهي مع الثورة من حيث هي الأمل والغاية في آن واحد وهذا ما كان يهيّؤه سماحته طيلة الفترة التي انبرى فيها لقيادة الجمهور العريض المستضعف بوجه الاستكبار الشاهنشاهي ومن

(٢) تحرير الوسيلة ص ١٢٤

يدعمه علناً وسراً من الطاغوت العالمي.

وكما هو حاصل فإن الفتور الذي يحصل لدى بعض الشعوب بعد القيام بالثورات، فذلك بسبب عدم احتواء تلك الثورات وقياداتها على الجانب الروحي والمعنوي ومن ثم ركونها واتكالها على قوة دولية معينة، دون الرجوع الى مرجعيتها الحقيقية والسليمة (الشعب والجماهير)، صاحبة المصلحة الحقيقية بالثورة ودون الاعتماد على الله، لذلك نلاحظ في كثير من الثورات وجود حد فاصل بين القيادة وزعماء الثورة وبين الشعوب، الأمر الذي يفقد الشعوب عطفها على الثورة وهذا ما يؤدي لفقدان الثورة قيمتها المادية والروحية.

ولأن الشعوب المؤمنة بالباري عزّ وجل لا يمكنها ان تتجاهل القوة الروحية التي تستمدها من هذا الايمان الفطري، فإن النور الإلهي الذي يشعّ على الحركات القائمة على التوحيد يخرجها من الظلمات الى النور ويهديها الى برّ الامان، غير أننا نرى كثيرا منها بعد ان قدمت الشعوب كواكب نيّرة من الشهداء وأراقت أنهرا من الدم على مذابح الثورة والحرية والاستقلال، تنحرف ثوراتها عن الصراط المستقيم وتقع في حبائل اللعبة الدولية، وبهذا تفقد بوصلتها الروحية وتنقلب على ما جاءت من أجله **﴿وإذا مسّكم الضر في البحر ضلّ من تدعون الا إياه فلما نجّاكم الى البر أعرضتم وكان الانسان كفورا﴾**[٦٧ الاسراء].

أما الثورة الاسلامية الحقيقية ثورة التوحيد، ثورة الإنسان المسلم المستضعف كما في الجمهورية الاسلامية الايرانية، فهي ثورة لا يمكن ان تنفصل عن الشعب يوما واحدا، إذ خرجت من صميم الشعب المسلم وتعمل من أجل الاسلام والمسلمين، وتسير على الصراط المستقيم الذي يرتضيه الشعب المسلم بوصفه صراطا قائما على السنّة والشريعة الاسلامية. كما ان من الخطأ الفاحش التصور بأن ثورة من هذا النوع يمكن أن تنكفئ على حالها، او يمكن حرفها عن طريق اغتيال زعمائها الذين هم خدامها وخدام الشعب المسلم، أنصارها وأنصار الاسلام والمسلمين الذين يمسكون اليوم بزمام الأمور.

لقد علمنا الاسلام منذ بدء الرسالة - وها هي الثورة الاسلامية في ايران المسلمة تعلمنا - ان كل من يذهب او يغيب عن ساحة الجهاد يأتي مكانه إنسان مسلم آخر في مستواه وربما اعظم منه، فالشعب لا يمكن ان يخلو يوما من عظماء يقودون سفينته الى برّ الأمان، قال تعالى: **﴿ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها او مثلها﴾**.

والثورة - أية ثورة - لا تنتصر الا بحشد اكبر وأوسع تأييد شعبي، فهي ثورة للشعب

ومن أجل الشعب، وليست ثورة رغم الشعب، لا توجد مثل هذه الثورات، إنها انقلابات بونابارتية. ففي ظل حاكم مستبد وتابع كما في النظام الشاهنشاهي المقبور، لا يمكن للاحرار المؤمنين السكوت على الجور والظلم ولا على المنكرات من اعمالهم، «فالساكت عن الحق شيطان اخرس»، والواجب الشرعي يحتّم عليهم ان يقوموا بكل ما يستطيعون لمقاومة الظالمين الطغاة وإقامة العدل والقسط. يقول تعالى في محكم تنزيله: ﴿**قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله**﴾ [٤٦ سبأ].

ان الله يعظنا موعظة واحدة وهي القيام لله وفي سبيل الله ومثل هذا القيام لابد ان يتبعه النصر: ﴿**إن تنصروا الله ينصركم ويثبّت أقدامكم**﴾ [٧ محمد]. والنصر يستدعي الشهادة ولا يلزم ان يكون ظاهريا، فلرب شهداء استشهدوا في سبيل الله يحافظون على الاسلام بدمائهم الزكية الطاهرة، أما الفوز الظاهر فينبغي إقامة الحكومة الاسلامية، واذا اقيمت الحكومة الاسلامية دولة الحق والعدل، فإن دولة الباطل تنتهي وتزول: ﴿**وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا**﴾ [٨ الاسراء]. وفي ظل حكومة اسلامية ينتشر فيها العدل والقسط الذي دعا اليه الله تعالى ورسله وملائكته: ﴿**وأنزلنا الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط**﴾ [٢٥ الحديد].

وفي هذا المجال فإن دور رجال الدين يحتّم عليهم أن يرشدوا الناس الى واجبهم الديني الذي أمرهم به المولى عزّ وجل، وهو القيام الجماعي ضد المستكبرين والظالمين. وينقل الراحل الخميني (رض) رواية الإمام المعصوم المنتظر (عليه السلام) تقول: «اما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها الى رواة أحاديثنا فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله». والحوادث الواقعة تعني هذه المصائب والبلايا التي يتعرض لها المسلمون. ولاشك ان رجال الدين الحقيقيين وطوال التاريخ الاسلامي لم ينسوا واجبهم وما يتحتم عليهم من إرشاد الناس وقيادتهم ضد الطغيان.

وكما هو إبراهيم جدّ الانبياء وقف في وجه النمرود، وموسى (عليه السلام) قام لمواجهة فرعون، والرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) حطم أصنام زمانه وحارب المستكبرين، وعلي (عليه السلام) قاتل طاغوت عصره والمشركين والقاسطين والمارقين، والامام الحسين (عليه السلام) ضرب أروع مثال للتضحية والفداء في سبيل نقاوة الاسلام وحقوق المسلمين، فكل نبي ورسول وإمام حارب طاغية عصره إجابة لدعوة ربانية. وإمامنا الخميني (قدس الله سره) وقف في وجه فرعون إيران وحارب وحطّم الطاغوت العالمي وعملائه.

ان الإمام الخميني (قدس الله سره) ومنذ مذبحة خرداد عام ١٩٦٣ استهل عصر الثورة الإسلامية، فهو لم يسكت، انه كالجبل الراسخ لم تحركه العواصف ولا تزعزعه القواصف، فبدأ بتوعية المسلمين وتدريسهم ألف باء الثورة، فسُجن ثم أقصي الى تركيا ومنها الى النجف الاشرف. وفي النجف قام بتدريس ولاية الفقيه او الحكومة الاسلامية تدريسا استدلاليا عميقا، وبين كل فترة واخرى كان يصدر بيانا او خطابا عاما لتوعية عامة الشعب، وأصدر أوامره لجميع العلماء وخطباء الجوامع بالقيام بتفهيم الناس بمقدمات الثورة في جميع المدن والأرياف، وهكذا بدأ الشعب يتعلم دروس الثورة الاسلامية.

لم يتهاون الجمهور على مختلف طبقاته؛ من رجل الدين الى الطالب الى الفلاح والعامل والموظف والتاجر الى كل ابناء الشعب، لم يتهاونوا في الدفاع عن الاسلام ولم يسكتوا لحظة واحدة، لأن شمس الإمام المشرقة كانت تنير لهم الطرق المظلمة وتخرجهم من الظلمات الى النور.

رفعت راية الاسلام المنزّه عن كل ما يبيتون، وبقيادة إمام الأمة، سمع العالم هدير الشعب الإيراني المسلم الغاضب، سمع صرخات ملايين الحناجر المظلومة يجسّدها الامام الراحل بخطاباته ومقابلاته الصحفية والإذاعية والتلفزيونية، ليطلع العالم بأجمعه على ثورة إيران على أنها ثورة جديرة بالاحترام والتقدير، فهي ثورة بدون سلاح الا سلاح الإيمان بالله وبرسوله والأئمة المعصومين، ثورة وقفت بوجه أعتى ترسانة عسكرية حديثة في المنطقة، انها ثورة الحناجر والايدي المرفوعة، أنه أسلوب جديد حقا للثورة اذ يقوم الناس بالتظاهرات المليونية التي لم يسبق لها مثيل في العالم كله في وحدتها وانسجامها وإيمانها، وبهذا الصدد كتبت مجلة الاوبزرفاتور تقول: «ينبغي ان ينظر الى الثورة في ايران على انها إحدى غرائب العصر الحديث، وذلك لأن أمواجا من الجماهير غير المسلحة استطاعت ان تفرض ارادتها على إمبراطور ديكتاتور يستمد قوته من أحد أقوى الجيوش في العالم».

إن أهم عاملين لانتصار الثورة الاسلامية في ايران - كما يؤكد الراحل في الكثير من خطبه وبياناته - هما:

١- الاتكال على الله وحده ﴿**ومن يتوكل على الله فهو حسبه**﴾ [٣ الطلاق].

٢ - الوحدة الجماهيرية ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا**﴾ [١٠٣ آل عمران].

فالاستعانة بهذين العاملين، استطاعت الأمة الاسلامية في إيران ان تحطّم الطاغوت وتغير النظام الجاهلي السائد في ايران، وان تغيّر بالتالي توازن القوى وان تحضر النظام

الاسلامي في الساحة على أساس قوة عظمى، واعترفت بذلك رئيسة وزراء بريطانيا تاتشر عندما قالت: «نحن الغربيين لا نخشى اليوم المعدات العسكرية والتجهيزات الحربية للاتحاد السوفياتي ونظيراتها.. ولكننا نخشى الثقافة الاسلامية للثورة الايرانية».

وهكذا نرى إمامنا الخميني يرسم لنا لوحة كاملة للإسلام الحقيقي، إسلام الجهاد، إسلام الحق، إسلام البناء العصري للانسان المسلم في كافة خطبه وبياناته، ويعتبره العامل الاساسي والوحيد لتحطيم الاعداء، وما علينا الا ان نتّبع خطى هذا القائد العظيم ونعتبر من حركة الشعب المسلم في إيران الذي يقول عنه الامام: «شعبنا شعب الدم ومدرستنا مدرسة الجهاد».

نسأل الله التوفيق للإسلام والمسلمين.. اللهم اهدنا الى صراطك المستقيم والحمد لله والصلاة على نبيه الكريم وآل بيته المكرّمين وكل من اتبعهم الى يوم الدين.

فلسطين في المشروع التحرري للإمام الخميني

الأستاذ خالد عبد المجيد

ان سياسات الجمهورية الإسلامية في إيران نابعة من المفاهيم والدور الريادي الذي اضطلع به الإمام(رض). ونحن نعيش ذكرى مئوية ميلاد مفجّر الثورة الإسلامية في إيران. أعتقد أن هذه المناسبة في هذا العام لها معان ودلالات كبيرة عن الاعوام السابقة واذا ربطنا هذه المناسبة بالقضية الفلسطينية فإننا نشهد أن هناك تحولا كبيرا في الموقف والممارسة على صعيد مواجهة أعداء الأمة، وهذا الترابط بين الشخصية الخمينية وفلسطين له تجسيد عملي، لاحظناه جميعا ولا حظه أبناء أمتنا العربية الإسلامية ولاحظه كل المخلصين والشرفاء في العالم من خلال العديد من الخطوات والعديد من الفعاليات في العالمين العربي والإسلامي في تعميق المفاهيم والمبادئ والقيم التي طرحها الإمام الخميني (رضوان الله عليه) وفي تعميق الالتزام بقضايا الأمة وفي مقدمتها قضية فلسطين والقدس الشريف. هذه النقطة الاولى.. لذلك نعتقد بالرغم من حجم أعداء الأمة، اننا لمسنا في مواقف الإمام الراحل تحولات كبرى في الالتزام بقضايا الأمة وفي تعميق مفاهيم الإسلام والالتزام.

النقطة الثانية وهي رؤية الإمام الخميني(رض) لمفهوم (إزالة اسرائيل) وفي هذا المجال أعتقد أن هذا الالتزام المبدئي للامام الخميني هو التزام مرتبط بمفاهيم الدين الإسلامي والتي وردت في آيات القرآن الكريم. وبناء عليه فان الالتزام العقائدي للامام الخميني وما تعمق فهمه لدى جماهير الأمة، قد تجسد بخطوات عملية خلال المسيرة الطويلة من الكفاح والجهاد الذي خاضه أبناء الأمة سواء على الصعيد الفلسطيني أم على الصعيد العربي أم الإسلامي بشكل عام، وتجسد كذلك من خلال موقف يترسخ يوما بعد يوم بعيدا عن

(*) أمين عام جبهة النضال الشعبي الفلسطيني

المهادنة لهذا الكيان. فهذا الكيان يمثل غدة سرطانية لا بد من ازالتها، والتزام الأمة بهذا المفهوم الذي يزداد يوما بعد يوم وعاما بعد عام وهذا ما يبشر الأمة الإسلامية بتحقيق أهدافها ومواجهة أعدائها في المرحلة القادمة.

الجانب الآخر، أعتقد أنه يتعلق بالمشروع الإسلامي بشكل عام والمشروع الإسلامي على الصعيد الوطني. وان المشروع الإسلامي في هذه الحقبة الزمنية تجلّى في تعميق مفاهيمه وفي نجاحاته على صعيد الأمة من خلال سياسات جسدتها الجمهورية الإسلامية في إيران، نابعة من المفاهيم التي طرحها الإمام الخميني والموقف والدور الريادي الذي تضطلع به الجمهورية الإسلامية في إيران في هذه المرحلة يجب أن نفتخر به ويعتز به كل مسلم على صعيدين: الاول يتمثل في تعميق أواصر التعاون والتنسيق بين الجمهورية الإسلامية الإيرانية وبين الأمة العربية، وهذا ما أرعب الولايات المتحدة وأعداء الأمة يعملون ليل نهار لفك هذا الترابط الذي يتعمق يوما بعد يوم والذي له معان ودلالات في المستقبل اذا ما تجسد على صعيد العمل وعلى صعيد تعزيز هذا التعاون في المجالات المختلفة وليس في مجال واحد.

الجانب الآخر في هذا المجال هو ما وصلت اليه الجمهورية الإسلامية الإيرانية على الصعيد الإسلامي في هذا الموقف الطليعي والريادي في قيادة الأمة وقد تمثل ذلك في نتائج مؤتمر القمة الإسلامية الذي عقد في طهران والذي كان في عداد التراجع قبل هذا المؤتمر الا أن اضطلاع الجمهورية الإسلامية بهذه المسؤولية وانعقاد المؤتمر في طهران، وما صدر عنه من قرارات ومتابعة طهران لهذه القرارات وعلاقتها المتطورة مع الدول الإسلامية جعل من هذا الدور والعمق الإسلامي الكبير دورا تخشاه الامبريالية الاميركية ويخشى ذلك أعداء الأمة.

أعتقد ان المعادلات التي جرت على أكثر من صعيد، ولا أريد تكرارها سواء في القضاء على نظام الشاه وضرب ركيزة أساسية من ركائز الامبريالية العالمية التي كانت تعمل ضد الأمة الى معادلة تكون لصالح الأمة الإسلامية وتكون جسرا للترابط مع الأمة العربية في مواجهتها للمشاريع المعادية. هذه القضايا هي التي قلبت المعادلات، وأهميتها تتأتى من كونها تتعمق يوما بعد يوم وتحقق نجاحات يوما بعد يوم وتجني الثمار على مختلف الصعد، والتي ينبغي لنا أن نفخر بها.

لا بد من تعميق المفهوم الصحيح والرؤية السليمة لمفهوم إزالة (اسرائيل) لدى الأمة والعالم. واني أعتقد أنه يجب ان يتم البحث بشكل معمق حول هذا العنوان، مع

الاضافات المحدودة التالية: ان هذا الشعار الذي طرحه الإمام الخميني (رضوان الله عليه) هو مسؤولية مواجهة محاولات تشويه مستمرة من قبل الغرب والصهاينة بدعوى انه مفهوم إرهابي، الى آخر العبارات التي يستخدمونها.

انها مسؤولية تقع على عاتق كل المخلصين والشرفاء في الأمة العربية والإسلامية. والعديد من الاجهزة الاستخباراتية والاعلامية والاذاعات والمحطات الفضائية تحاول - وهناك في فلسطين المحتلة توجد إذاعة أميركية تنطق بالفارسية، ويوميا تبث ٢٤ساعة بالفارسية في محاولات مستمرة لتشويه هذه المفاهيم، وهذه الطروحات سواء على هذا الصعيد أو على صُعُد أخرى. ولذلك أعتقد أن مسؤوليتنا في هذا المجال، تقع في تعميق المفهوم الصحيح والرؤية الصحيحة لهذا الشعار لدى جماهير أمتنا ولدى المخلصين والشرفاء في العالم أجمع، حتى نستطيع أن نعمق في أذهان العالم هذه المسؤولية التاريخية وهذا الحق التاريخي لشعب فلسطين ولأمتنا في أرض فلسطين وحقنا في مقدساتنا في فلسطين. لذلك أعتقد أن النقطة الأساسية هي مواجهة هذه الحملات المشبوهة من الغرب والصهاينة حول هذه المفاهيم، وتعميق المفهوم في الحق التاريخي لأمتنا في أرض فلسطين. الجانب الآخر يتعلق بضرورة دحض كل الادعاءات المزيفة، سواء فيما أشاروا له بالسابق في أرض الميعاد من الناحية التي تتعلق بالتوراة المزيفة أو فيما يتعلق بالمرحلة الراهنة بالسلام المزعوم. السلام الذي يحاولون أن يقنعوا العالم به والعديد من دول العالم تتحرك لإنقاذه.

مسؤوليتنا الآن تقع في دحض مقولات هذا السلام المزيف، والتركيز على الحق التاريخي لشعب فلسطين والتركيز على حق أمتنا في مقدساتنا في فلسطين وليس شعب فلسطين فحسب، بل الأمة العربية والأمة الإسلامية هذه قضيتها، كيف يتعمق هذا المفهوم، وكيف تتحمل الأمة مسؤوليتها؟

الجانب الآخر الذي أود الاشارة اليه أن الأمة الإسلامية في هذه المرحلة بالذات وبعد عصور مختلفة قامت فيها الدولة الإسلامية قديما وجاءت على هذه المنطقة حملات صليبية وجاء بعد ذلك المشروع الصهيوني لاقامة الكيان الصهيوني. الان نحن بحاجة الى نموذج جديد لمشروع إسلامي يتعمق في المنطقة العربية ويطرح على الاصعدة المختلفة مفاهيم ومبادئ وقيما إنسانية تستطيع أن تصل الى شتى المعمورة، وبحيث تستطيع أن تحقق هذه المرجعية التي يجب أن تتم القناعة بها. مرجعية إسلامية بمفاهيم وقيم إنسانية حضارية تستطيع أن تواجه الحملات المعادية لامتنا. وأنا أرى من المسؤولية أن تضطلع بها الجمهورية الإسلامية في إيران الآن رغم أن العديد من الانظمة العربية التي تسير في فلك الولايات المتحدة الاميركية يحاولون أن يشوهوا هذا الدور الريادي للجمهورية الإسلامية

في إيران. ان على شعوبنا سواء على الصعيد العربي أو الإسلامي، مسؤولية تعميق هذا الدور الريادي والاضطلاع بواجباتنا تجاه قضايا الأمة. وبالتالي نحن كأبناء للشعب الفلسطيني وأبناء للثورة الفلسطينية واخواننا في الحركات الوطنية أو الإسلامية سواء في لبنان أو الاقطار الاخرى بالقدر الذي نستطيع مطالبون أن نعمق هذا الفهم لدى كل هذه الحركات حتى تستطيع الجمهورية الإسلامية في إيران الاضطلاع بمسؤوليتها لتشكل مرجعية لهذه الحركات على شتى تياراتها وبذلك نستطيع أن نحقق مشروعنا في مواجهة أعداء أمتنا ونحقق النجاحات على الأصعدة المختلفة.

اني أؤكد أهمية الإرشاد الثقافي الذي تقوم به مؤسسة كيهان للصحافة والنشر والمراكز الثقافية الإيرانية في العالمين العربي والإسلامي على صعيد تعميق الالتزام بمقدساتنا وبحقوقنا وأرضنا وبدورنا. هذا كان له نتائج إيجابية خلال السنوات الماضية، وقد لمسناه جميعا لأن الدور الاعلامي في هذا المجال له معطيات ايجابية.

الجانب الآخر الذي أود الاشارة اليه هو مسؤولية الجمهورية الإسلامية الإيرانية في تحشيد وتصحيح أوضاع التيارات الإسلامية المختلفة والمتباينة في العالم بين العرب والإسلام.

الآن في ظل هذه الاوضاع تقع على الجمهورية الإسلامية الإيرانية وعلينا جميعا مسؤولية تصحيح وفضح وتعرية بعض الاتجاهات المشبوهة وتوحيد التيار الإسلامي الملتزم العقائدي الذي يقوم بدوره في سبيل الدفاع عن حقوق الأمة. ان مسيرة الثورة الإسلامية في إيران مليئة بالانجازات العظيمة للشعوب الإيرانية فعلى الصعيد السياسي. شهدت إيران حالة من الاستقرار السياسي أمّن ظروفا داخلية للمجتمع الإيراني استطاع من خلالها تطوير أوضاعه على كل المستويات السياسية والإقتصادية والإجتماعية والحياتية وأصبح المواطن يشعر بالطمأنينة الكبيرة التي لم تتوفر له في عهود سابقة. وساهمت الثورة الإسلامية في إعادة بناء المجتمع الإيراني استنادا الى القيم الإسلامية الحنيفة والتي تؤكد على التضامن والتكاتف والتعاون والاخوة والمحبة لكل الناس مهما كانت اتجاهاتهم وفئاتهم ولا فرق بين مواطن وآخر. الا بما يقدمه وينجزه وبما يتحلى به من قيم عظيمة حفرت مجراها الثورة الإسلامية بأسلوب حضاري مبني على مفاهيم الإسلام.

كما حققت الثورة الإسلامية نهضة على المستوى الإقتصادي والإجتماعي والحضاري...الخ من القفزات النوعية الكبيرة التي تحققت بفضل قيادة الإمام الخميني (قدس) وبفضل الإمام خامنئي حفظه الله. وبفضل القيادات الإيرانية المخلصة والتي

اختارها الشعب الإيراني على الصعيد الرسمي والشعبي وفي مقدمتهم الرئيس خاتمي واخوانه ممن يقودون الحكم في هذه المرحلة الدقيقة من تاريخ المنطقة. حيث ترسخت مفاهيم ديمقراطية حقيقية بعيدة عن الديمقراطية المزيفة التي يدعو لها الغرب المعادي للثورة والإسلام.

وعلى الصعيد الإقتصادي والإجتماعي والحياتي فان ثروات ومقدرات إيران النفطية وثرواتها ينعم بها الشعب الإيراني وتستخدم في خدمة الإنسان وتطوره وفي برنامج للتنمية الإجتماعية التي تساهم في بناء مجتمع مبدع وخلاق حريص على المواطنية والإنسانية بمعناها الكبير.

وعلى صعيد القدرات العسكرية وصمودها في وجه المؤامرات. فقد أصبحت إيران اليوم الدولة الاقليمية العظيمة التي احبطت كل اشكال المؤامرات التي كانت تستهدف المنطقة وهي اليوم تمثل القلعة الشامخة التي تواجه المخططات المعادية لإيران والمنطقة. وأصبح ينظر اليها بأنها القوة الاقليمية التي لا يستطيع أحد تجاوزها او القفز عنها ويحسب لها الأعداء والاصدقاء كما ان الثورة الإسلامية في إيران حققت تقدما كبيراً في المحافل الدولية والاقليمية واصبحت لها مكانة عالية بين الامم. الأمر الذي يجعل كل أبناء الأمة يعتزون ويفخرون بهذا الدور الكبير، فبعد ان احبطت كل المؤامرات التي كانت تستهدف احتواء إيران من خلال العدوان اصبحت إيران اليوم تمثل دولة إقليمية عظمى تقود منظمة المؤتمر الإسلامي وتحظى بتقدير عالٍ من الدول العربية والإسلامية ودول العالم. كما ان مبادراتها في إقامة علاقات تعاون وتنسيق مع العالم العربي، شكلت العمق الاستراتيجي للأمة التي تناضل من أجل مواجهة المؤامرات التي تستهدف كيانها ووجودها ومقدراتها.. فالعلاقات العربية - الإيرانية المبنية على الرؤية المشتركة والمصالح المشتركة تمثل اليوم القاعدة الصلبة للدفاع عن حقوق أمتنا وثرواتها ووجودها.

ان دعم ومساندة إيران للحقوق الوطنية والقومية للامة العربية، جعلت من قوى الصمود والممانعة العربية قادرة على مواجهة المؤامرات التي تستهدف وجود الأمة العربية وكياناتها ومقدراتها وثرواتها ومستقبلها. وبالرغم من ان قوى الإستعمار الصهيوني - الاميركي استطاعت النفوذ الى جسم الأمة العربية من خلال الوجود الأميركي في المنطقة والمشاريع الاستسلامية التي تتسق معها عبر بعض الحكام المستسلمين من الأمة. الا ان القوى المعادية لم تستطع استكمال حلقات مؤامراتها بفضل صمود عدد من الدول العربية وفي مقدمتهم سوريا والقوى الشعبية العربية التي رفضت الإذعان لإرادة الاعداء. وبفضل التنسيق والتعاون في المواقف والخطوات مع إيران التي تلتزم بحقوق الأمة في فلسطين

والجولان وجنوب لبنان وتعتبر النضال الوطني الذي يخوضه أبناء الأمة في فلسطين جنوب لبنان وسوريا من أجل استعادة الحقوق المغتصبة، مهمة كل المخلصين من أبناء الأمة. انطلاقا من هذا فإن مساندة إيران لجبهة الصمود العربية وفرت القاعدة الصلبة للدفاع عن حقوق امتنا واستمرار النضال من أجل استعادتها.

وبمناسبة الذكرى المئوية لميلاد الإمام الخميني(قدس سره) فإن شعبنا وقواه الحية والمناضلة ومنها جبهة النضال الشعبي الفلسطيني سيبقون أوفياء للثورة الإسلامية الخالدة ولكل الشعوب والدول والقوى التي ساندت نضالنا العادل وتأتي إيران المسلمة في مقدمتهم والتي تعتبر ان الكيان الصهيوني وكما قال الإمام الخميني الراحل هو غدة سرطانية لابد من إزالتها، وهي تدافع بكل ما تستطيع من أجل قضية القدس التي هي قضية الأمة وتدافع عن حقوق شعبنا وأمتنا.

المشروع الإسلامي الخميني لتحرير القدس

الشيخ عبد الرحمن مراد

للامام الخميني زعيم إيران المسلمة العظيم منزلة خاصة لدى جميع الفلسطينيين يذكرون اسمه مقرونا بمشاعر الحب والوفاء والتقدير ويشيدون بمواقفه المبدئية الصادقة والشجاعة من قضيتهم قضية فلسطين قضية الحق والعدل وفي مقدمتها قضية القدس الشريف بلد المسجد الاقصى المبارك الذي كان الإسراء من مكة المكرمة اليه والعروج الى السماء منه. كما كان القبلة الأولى للمسلمين وثالث الحرمين الشريفين الذي تشد الرحال اليه.

كما يذكرون للإمام الخميني مواقفه الداعمة لكل قضايا العالم الإسلامي في مشارق الأرض ومغاربها، ويقدرون عاليا مشروعه الإسلامي لتحرير فلسطين وتشكيل جيش إسلامي عظيم مؤلف من عشرين مليون جندي معززين بالإيمان والكفاءة القتالية للقيام بمهمة التحرير كما يذكرون له ما اصدره من فتوى شرعية بجواز دفع المال وتقديم السلاح والعون للمناضلين الفلسطينيين على اعتبار أن ذلك يندرج تحت مصرف من مصارف الخمس المبينة في القرآن الكريم، يضاف الى ذلك ما قامت به إيران المسلمة بقيادته من قطع علاقاتها مع (إسرائيل) وهي التي كانت في زمن الشاه المخلوع من أمتن العلاقات وأقواها، وكذلك تحويلها مقر السفارة (الاسرائيلية) في طهران لمنظمة التحرير الفلسطينية في طهران واعتبار آخر يوم جمعة من رمضان كل عام يوما للقدس الشريف تنظم فيه المسيرات الشعبية والإجتماعات العامة ويذكر فيه ما حل بالمدينة المقدسة وما أصابها من ويلات من جراء الاحتلال (الاسرائيلي) البغيض لها. ويتدارسون أحسن الطرق والوسائل لإنقاذها وتحرير فلسطين من براثن العدو الصهيوني الغادر. وكذلك يذكر الفلسطينيون وغيرهم من

(*) مفتي وخبير في القانون الاسلامي/ أحد قدماء المجاهدين الفلسطينيين

المسلمين ما تقوم به إيران المسلمة من تقوية لوسائل الدفاع عنها باسلحة متطورة وصواريخ بعيدة المدى وسعي دؤوب لامتلاك القدرة النووية الرادعة التي تستأثر (إسرائيل) بامتلاكها منذ زمن طويل وتختزن مئات الرؤوس النووية الموجهة لعواصم الدول العربية والعالم الإسلامي ولا حسيب ولا رقيب عليها من أحد، في حين يحرم على أي بلد عربي أو إسلامي امتلاك ذلك السلاح ولو للدفاع المشروع عن النفس إذ ان أميركا تكيل بمكيالين وتزن بميزانين و(إسرائيل) لديها مدللة فوق القانون ولا يمسها أي عقاب مهما اقترفت من آثام، كما ان أميركا تعاقب (إسرائيل) بإرسال مزيد من الأموال لتمتلئ به خزائنها وكثير من أحدث أنواع الأسلحة المتطورة تغدق بها عليها، لتكون أقوى دولة في عالم الشرق العربي والإسلامي تمتلك أقوى وأحدث سلاح متفوق على ما تمتلكه الدول والشعوب العربية والإسلامية.

وفي هذه المناسبة فإننا نطالب إيران المسلمة بالعمل على جمع شمل العرب والمسلمين وازالة كل خلاف بينها وبين اي دولة عربية او إسلامية ليكون المسلمون كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى. واستجابة لأمر الله تعالى في قرآنه الكريم (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا). كما إننا نطالب ببرنامج عمل يضع مشروع الإمام الخميني على محك التطبيق وتهيئة إيران والعالم العربي والإسلامي لحرب مقدسة ضد العدو الصهيوني ومن يواليه ويدعمه إن في معارك السلم أو معارك الحرب والقتال.

إن لنا ثقة كبيرة بالمرشد الحالي للثورة الإسلامية الإيرانية آية الله سماحة الإمام علي الخامنئي بأنه سيقود السفينة إلى شاطئ الأمان ويهيّء أسباب النصر والنجاح لشعبه ولأمة الإسلام، نكبر فيه غيرته على القضية الفلسطينية كما نجد لزاماً علينا أن نقدم للزعماء الإيرانيين الحاليين وإلى الشعب الإيراني المسلم العظيم كل محبة وتقدير وثقة. ونحن كفلسطينيين عربا ومسلمين نكرر تمسكنا بفلسطين كل فلسطين، كل شبر من ارض فلسطين ولن نفرط بأي حق من حقوقنا الثابتة فيها مهما طال الزمن وكثرت التضحيات وسقط من سقط وتخاذل من تخاذل فاننا على العهد باقون حتى يتم التحرير والنصر باذن الله.

﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين ولينصرنّ الله من ينصره ان الله لقوي عزيز﴾

والحمد لله رب العالمين.

الإمام الخميني قائد ثورة المدرسة الإمامية

الدكتور زهير غزاوي

لا تمر أيام الذكرى الا وتعبرنا صورتان عظيمتان... وجه الإمام روح الله الخميني (قدس سره) وملايين شعب إيران المسلم تملأ شوارع المدن الإيرانية من الأول من شباط (بهمن) . صدفة عجيبة ان يخلد التاريخ وجه ذاك الطيار الفرنسي الذي كان يتكئ على ذراعه هابطا درج الطائرة ليلامس أرض الوطن، أعظم قائد ثورة شعبية حقيقية في هذا القرن المشرف على الزوال.

ولن ينسى وجه قائد الشعب الخالد في ضمير الأمة، ذاك الإمام الشيخ رافع راية التحدي في وجه الامبريالية الاميركية وقوى الإستكبار العالمي.

تتلازم الثورة والقائد هنا في وهج الذكرى، لا تنفصلان أبداً.. قاد أمة من أقدم أمم المشرق تراثا وحضارة في وجه الطاغية من على حصيره المتواضع في المدرسة الفيضة في مدينة قم الصغيرة الهادئة المتشحة برداء العلم حول ضريح المعصومة (رحمها الله).

كانت أيامنا مجيدة زلزلت عالم الجنوب الساكن بروح الشعب التي فجرت ثورة قادها الإمام في أيام ذروتها من منفاه في فرنسا.

لا تنفصل ثورة عن قائدها فهو رمز روح الشعب الذي فجرها بقيادته الإسلامية في إيران، هي أول ثورة إسلامية شعبية تقودها الايديولوجيا الإسلامية أو ببساطة - دين الإسلام المترسخ عميقا في شعب عريق يحمل على كاهله تراثاً حضارياً عظيماً يضرب جذوره في أغوار التاريخ وتنامى عبر عناق الإسلام ليحمل رسالته إلى المشرق بعيداً نحو الصين وشمالي آسيا وجنوبها وليتصدى للغزاة القساة على تخومه الشرقية.

(*) باحث في الفكر والتاريخ الاسلامي واستاذ في التربية، وقاص.

الإمام الخميني(قد) لم يكن رجلاً غير عادي... فهو من الأمة الإسلامية - وتشكل إيران بحد ذاتها أمة إسلامية - اتسم بصدقه وعلمه اللذين اهلاه ليكون قائداً، كان من الشعب وليس منفصلاً عنه صادقاً إلى درجة محبة الناس العجيبة له وإلا فكيف أمكنه من مدرسته البسيطة في مدينة قم أن يتحدى أكبر طغاة المشرق المدعوم من الامبريالية الاميركية والمتخم باسلحتها المسلح بمخابراتها ثم ينتصر عليه ويفك آلته العسكرية ويجبره على مغادرة البلاد إلى منفاه لا يجد قبولاً من أية دولة في العالم لإيوائه إلا أنور السادات؟

الإمام الشيخ تحدى الشاه ببساطة في نزال غير متكافئ مادياً وتمكن من بناء هيكل نظام بشري ثوري ليس له مثيل في العالم هذا النظام تشرّب روح الإيمان العميق بالشعب والإسلام من ذات الإمام واستمر على نهجها رغم غياب الإمام عن الوطن ما يزيد على ربع قرن من الزمن، هل كان لنظام ثوري كهذا أن يستمر حياً لولا اعتناقه لمنهج مدرسة الائمة بالذات؟

طوال مرحلة الغيبة الكبرى نهضت هذه المدرَسة لتصبح شعار التعددية المرجعية والعقلانية والفكر الحر في إطارها، لهذا استمرت حية ومتجددة بتجدد الاجتهاد ومواكبة المستجدات والبعد عن القسر الفقهي والسياسي طالما كان المرجع هو المرجع في شؤون الحياة جميعا ليتحول الحاكم أي حاكم إلى مجرد أداة للسلطة يرضخ لسيطرة المراجع الإسلامية ولا يجرؤ على تحديهم أو قتلهم إلا بطرائق بالغة السرية والتعقيد وتلك الحالة ترسخت في مجتمع إيران الإسلامية منذ قرون ويشهد تاريخها على ذلك.. نظام مدرسة أهل البيت.. اتسم بالعدالة والحرية وإلا فما الذي يجبر الاتباع على الطاعة والأمان بعدالة المرجع؟

وكان الإمام الخميني محبوباً لكل تلك الأسباب وكانت طاعته في الاجتهاد ضد الظلم في إيران ركناً من اركان العقيدة التي تبناها الأئمة قبله واستمدها من روح الإسلام وكلمات الأئمة ورائدهم وأولهم الإمام علي بن ابي طالب (ع) في قداسه الحرية والعدالة والمساواة بين الناس والتوزيع العادل لثروة الأمة. وهكذا تحولت كتب الإمام محمد باقر الصدر(قد) مرجعاً ثورياً للمسلمين جميعاً وهي تلاقت مع أفكار الإمام الخميني كأسس راسخة في مدرسة أهل البيت مستقاة من الإسلام المبني على سلسلة اجتهادية تتصل بالرسول محمد (ص) منقولة بأمانة للامام علي وأبنائه حتى يومنا.

لقد قدمت المدرسة الإسلام هكذا: الحرية... التعددية.. عدالة توزيع الثروة لهذا لم يهنأ طاغية في إيران أبدا في تاريخها الإسلامي عبر أربعة عشر قرناً وكان الشاه (آخرهم)

يعلم ذلك ولكنه كان يحاول هزيمة التاريخ بالاستقواء بأميركا وتمكّن الإسلام عبر قيادة مرجع ديني عظيم وصادق كالإمام الخميني من هزيمته وأميركا معا.. بالإسلام عبر مدرسة أهل البيت (سلام الله عليهم جميعا).

في ١١ شباط ١٩٧٩ كان نصر الشعب الإيراني المسلم بقيادة الإمام مؤزرا ليس له مثيل، ومن اجل النصر دفع الشعب آلاف الشهداء وتخلى عن ادوات الطاغية ومزقها وبنى غيرها وتمكن بعد عقدين من الزمن رغم غياب الإمام في رحاب الله الفسيحة.

لقد اثبت استمرار الثورة ونجاحها لانها ثورة الأمة بكاملها وليست ثورة رجل تتحطم بغيابه وتتفتت. لقد ظن بعض من شارك في الثورة بداية خطأ انها سوف تنهار برحيل قادتها ولكنهم وياللغرابة تجاهلوا روح شعبهم ومدرسة اهل البيت التي تقوده، قالوا ان رحيل الإمام وعدد محدد من المجاهدين حوله سيؤدي الى موت القضية الثورية.. ولكن ها قد رحل الإمام وغاب الكثيرون من رجال الثورة اغتيالا او رحيلا واستمرت إيران الإسلامية كما هي... فأي روح عظيمة تلك التي استقرت وترسخت في هذا الشعب من خلال مدرسة الائمة والمراجع الكثر الكبار واي جهل دمر اولئك الواهمين، الذين يجلسون الآن في المنافي الغربية يتآمرون على بلادهم مع عدوها ويُهزمون واحدا اثر الآخر.

لقد كان الإسلام شرط الثورة.. وقد قبل الشعب ذلك منذ البداية فهل من ديمقراطية اوضح من تلك؟ فلماذا يحاول بعضهم تضليل العالم بابراز شروط الاقلية الساحقة في الداخل ويتهم الثورة بالاستبداد وقهر الحريات؟

وللأمانة أمام التاريخ.. يجدر بنا الاعتراف حتى وكثيرون لا يعجبهم النظام الإسلامي - ان إيران الإسلامية - تحكم من قبل ممثلي الاغلبية التي حققت الثورة الشعبية بشرطها الإسلامي وانها شرط إسلامي ملتزم بمدرسة اهل البيت فلماذا لا يتم الاقتراب من فكر المدرسة ذاتها من قبل النظم العربية والإسلامية للتعرف على الحقيقة بدلا عن محاولات الاتهام والحذر والتشكيك.

لقد تمكن فكر مدرسة اهل البيت من قيادة ثورة شعبية منتصرة هي الاولى في هذا القرن من خلال قيادة محترمة وموثوقة كالإمام الخميني، أليس في ذلك بحد ذاته دليل على المصداقية للفكر والقائد معا؟

وان نظرة متفحصة للواقع الإجتماعي والسياسي في إيران الإسلامي بعد عقدين مضيا تنبئ ببساطة أن الدولة - رغم كل ما جرى من أخطاء، تتمتع بديمقراطية وتعددية وحرية صحافة لا مثيل لها في دول المشرق أو عالم الجنوب.

ان إيران عصية على الانحراف عن ثوابت الإسلام الثورية.. ليس لأن الحاكمين معصومون بل لأن الايديولوجيا تتمتع بالمصداقية نهجا وتطبيقا ومرونة، وان حملتها من المراجع يتمتعون بنظافة اليد والفكر وهما ميزتان تعصمان من الانحدار والانحراف والانفصال عن الأمة وروحها لهذا يظل الحاكم في اطار جمهورية تحكمها مدرسة كهذه متصلا بنبض الجماهير لأنه ان انفصل عنها فقد فقدَ كونه مرجعا لها ومقراً لتقديسها لتمتعه بالأعلمية والنظافة، عندما ينفصل المرجع الحاكم انتهى كسمكة تخرج من الماء الذي هو حياتها.

لا مفر للمرجع من الالتصاق بالناس والمقلدين ولا بديل للناس عن مراجعهم، هذا هو الإسلام على منهج المدرسة، وتلك سمة الدولة عندما يتحول المرجع الى حاكم ويخضع لرقابة نظرائه مقلديه ومقلديهم.. رقابة متصلة تحد من الانحراف وتجعل الدولة ساحة فسيحة للحوار والمراقبة والعقاب... وذلك ما يجري الان من دولة إيران الإسلامية شاؤوا الاعتراف بذلك ام أبوا.. ولهذا يبدو مستحيلا عودة الجمهورية الى تحالف او مصالحة ما مع انظمة الإستكبار العالمي وعلى رأسها أميركا.

لقد قاد الإمام الخميني (رحمه الله) ثورة شعب بشرط الإسلام وقبل الكل في إيران شرطه هذا فأصبح بعد ذلك شرط الاغلبية العظمى، لا مندوحة للأقلية من التكيف معه وتلك هي روح الديمقراطية الغربية وعلى هذه القاعدة يمكن القول بعد عشرين عاما اننا حتى ونحن ننتقد ونلوم ونثمن او نغضب لا بد من الاعتراف ان القائد الراحل ترك لنا تراثا ثوريا نعتز به.

قدم لنا الإسلام على حقيقته في التطبيق واشرقت بوجوده واستمرت مشرقة بعد رحيله دولة إسلامية حقيقية تعتنق الديمقراطية والتعددية وتحتمل في داخلها من لا يعجبهم نهجها وحتى من لا يرضون فكرها ومع ذلك فقد استمرت نهجا للمقاومة والثورة والتقدم والصراع معا.

بقي ان نقول بأن مرحلة ما بعد الإمام الخميني استمرت على نهج أممية إسلامية نشطة تكبح العصبوية القومية المتطرفة وتطرح الإسلام في تطبيقه الناجح في حياة الأمة الإيرانية بديلا وحيداً في عالم العولمة وهيمنة القطب الواحد الذي يمتلئ بالبدائل.

وللانصاف..لا يملك مراقب منصف ذاته من توجيه التحية لانسان عظيم عبر هذه الحياة كشهاب ثاقب ثم مضى الى الرفيق الاعلى ... سلاما على الإمام الخميني في ذكرى مئوية ميلاده.

المرأة في ضوء الطرح الإسلامي الثوري للإمام الخميني

السيدة فتحية الخياط

اعتمد منهج الإمام الخميني فكراً وتطبيقاً، حيزاً واضحاً للمرأة المسلمة وقد أراد الإمام لهذا الحيز ان يرسم مكانة المراة في المجتمع ويتيح لها دورا يتناسب مع تكليفها المناط بها. ولأن المرأة والرجل يشتركان في الإنسانية ويختلفان في تفاصيل الخلقة والمهام المناطة بكل منهما، فإن دور المرأة يكمل دور الرجل ولعل الآية الكريمة التالية توضح وبشكل حاسم ان المرأة والرجل هما من نفس إنسانية واحدة: ﴿**ومن آياته أن جعل لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة**﴾.

وقد لا نريد هنا الخوض في مسألة المساواة وندخل في جدلية هذه القضية لكن واقع الحياة يؤكد ان المرأة تكمل الرجل والرجل يكمل المرأة والاثنان هما نفس إنسانية واحدة فهي - أي المرأة - مساوية للرجل في الخلق (الطين وروح الله)، مساوية في الإنسانية وفي التكريم الإلهي (سجود الملائكة) وفي التكليف الشرعي والواجبات وفي الثواب على العمل الصالح وفي العقاب على اقتراف الآثام والمعاصي، فاذا كان الهدف من خلق الإنسان هو خلافة الله في الأرض ﴿**وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون**﴾ فإن المرأة حينما تشترك مع الرجل في الصفة الإنسانية لا يمكن ان تكون خارج هذه الخلافة بل في صميمها، ومن هنا تتحمل المرأة دورا كبيرا في الخلافة التي هي المشاركة في بناء الحياة وتنظيمها وفق قواعد التشريع الإلهي العادل.

وطالما ان خلافة الله في الأرض تتجسد عبر المشاركة بين الرجل والمرأة فلا بد للمرأة ان تأخذ دورها في الحياة وفق النظرية الإسلامية التي حددت وفق أساليب غاية في الدقة

(*) زوجة الشهيد الدكتور فتحي الشقاقي.

إنطلاقة هذا الدور على أساس مجموعة من الحدود القيمة التي تحفظ كرامة المرأة وإنسانيتها من الإمتهان، يقول الإمام الخميني (قدس سره) في كتاب (الحكومة الإسلامية) تحت عنوان إثبات ولاية الفقيه عن طريق النص:

قال تعالى ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة...﴾.

فبدأ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة منه لعلمه بأنها اذا أُديت وأُقيمت استقامت الاغراض كلها هيّنها وصعبها. وهذا لا يتحقق الا بالمساهمة الفعلية للرجل والمرأة معا لأن الولاء لله وفي الله يتجسد عندما يوالي المؤمنون والمؤمنات بعضهم بعضا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اي الدعوة الى الإسلام مع رد المظالم ومخالفة الظالم»(١).

رؤية الإمام الراحل(رض) الى مكانة المرأة في المجتمع الإسلامي هي رؤية الإسلام التحررية التي تضع المرأة في مكانها الطبيعي فيقول «لا فرق بين المرأة والرجل فكلاهما إنسان أما ما يوجد من فوارق طبيعية بينهما فلا علاقة له بالطبيعة الإنسانية لكلا الجنسين». ولقد ركز الإمام على الطبيعة الإنسانية للمرأة ولعل إيمانها بما تفعل هو وضوح الهدف الذي تسير نحوه وشعورها بإنسانيتها وانها عضو فاعل في المجتمع، ذلك ان ما يحبط المرأة وأي إنسان آخر ويمنعه من ان يكون فاعلا هو عدم وضوح الأهداف وعدم شعوره بفاعليته وأهميته، ولكن الإمام حض النساء في يوم المرأة على الوصول الى الكمال ولم يسمح بتهميش المرأة واستبعادها اذ قال: «للمرأة أبعاد مختلفة كما للرجل وللانسان عموما، وهذا الوضع الطبيعي هو أدنى مراتب الإنسانسة والعبودية للرجل والمرأة لكن الإنسان يتحرك من هذه المرتبة باتجاه الكمال. الإنسان موجود متحرك يبدأ من مرتبة الطبيعة الى مرتبة الغيب ثم الفناء في الألوهية»(٢).

كلمات الإمام هذه قالها في يوم ميلاد السيدة فاطمة الزهراء(ع) الذي جعله عيدا ويوما عالميا للمرأة المسلمة وقد أكد على دورها من جوانب متعددة من خطاباته السياسية فمرة يحفزها ويطرح قضيتها بشكل حاسم كما في مبادرته لاعتبار يوم ولادة الزهراء عيدا للمرأة المسلمة، ومرة يحرض على تفعيل دورها في الدولة والمجتمع معا عبر ترسيخ مشاركتها السياسية في دولة المؤسسات ويؤكد الإمام على هذا الدور بصيغة عرض المفهوم

(١) الحكومة الإسلامية للامام الخميني (ص ١٥١ – ١٥٢).
(٢) المصدر السابق (ص١٤٨).

الإسلامي عندما يتناول دورها في المجتمع، يقول (رض): «الإسلام أناط بالمرأة دورا مهما وحساسا في بناء المجتمع الإسلامي ورفعها الى المستوى الذي تستطيع فيه ان تتبوأ منزلتها الإنسانية في المجتمع لتخرج من كونها مسلمة الى كونها إنسانا وعلى أساس هذا التفكير تستطيع ان تتولى مسؤوليات داخل الحكومة الإسلامية»[٣].

ان مشاركة المرأة المسلمة في إيران وبكثافة في مسيرة الثورة والدولة وتنظيمها تلك المظاهرات البركانية قد كشف عن صعوبة تدجين مجتمع مسلم يتمسك بعاداته وأعرافه العريقة وكشف أيضاً ان الثورة الإسلامية التي خطط لها الإمام الخميني(رض) قد أعطت للمرأة دوراً كبيراً في تفجير شرارة التظاهرات الواسعة وهذا يعني ان الثورة كانت خلاصة وعي عميق لقائد لا تنجبه الأمة بسهولة وقد وجدنا ان هذا القائد لا يترك مناسبة الا وأكد فيها على دور المرأة وضرورة مشاركتها في جميع النشاطات السياسية والإجتماعية والإقتصادية وحتى العسكرية بالمقدار الذي سمح به الإسلام.

وفعلا أتاح نظام الجمهورية الإسلامية للمرأة ان تأخذ دورها على كافة الأصعدة وأوجد لها فرصا ثمينة لتأكيد نظرة الإسلام للمرأة وهي نظرة تسمح للمرأة بممارسة نشاطها ولكن وفق معايير تمنع من التجاوز على خصوصيتها كإمرأة وكأم وكمربية وكزوجة، فالمرأة المسلمة الإيرانية وكما خاضت الحرب تحت عنوان المرأة المسلمة المقاتلة ضربت مثالا رائعاً لصورة المرأة التي تدافع عن حياض الإسلام ومع ان شكل مشاركة المرأة في جبهات القتال قد تم تعيين حجمه ونوعيته حسب قواعد الشرع الإسلامي الذي يجيز مشاركة المرأة في جبهات القتال ولكن تحت عناوين التموين والعلاج وكافة الأعمال الإسنادية الاخرى.

الا ان ظاهرة التطوع الفريدة من جانب المرأة الايرانية للاشتراك في الحرب كانت بحق ظاهرة تعكس مستوى الوعي الثوري الاسلامي لدى النساء بشكل عام (ص٦ الفجر)[٥].

ان نظرة الإسلام للمرأة وفق معايير تمنع من التجاوز على خصوصيتها كأم وكمربية وكزوجة نصّ عليها دستور الجمهورية الإسلامية في إطار جملة من المعايير والحقوق حيث تشكل الشريعة الإسلامية والدستور والقانون المدني وقانون العقوبات والنظام السياسي

(٣) عبرات وعبارات المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية / بيروت (ص٢٠٤).
(٤) المصدر السابق (ص٢٠٥).
(٥) الفجر نشره خاصة تصدرها سفارة الجمهورية الاسلامية الإيرانية في دمشق (ص٦).

والأواصر التنفيذية والادوات القانونية الرئيسية التي تحمي حقوق المرأة في إيران.

ان الدستور والقانون المدني اللذين شُرعا على هدي مبادئ الإسلام الحنيف المنصوص عليها في القرآن الكريم وفي الحديث النبوي الشريف وكذلك القوانين الاعتيادية هي التي تؤمّن - في إطار المبادئ الدينية والدستور - تنسيق العلاقات الإجتماعية وتأمين حاجات الشعب.

الدستور

تنص مقدمة الدستور على ان الأسرة هي اللبنة الأساسية للمجتمع والمهد الطبيعي لنمو الإنسان وتقدمه، وعليه فإن الاتحاد في العقيدة والهدف أمر أساسي في تشكيل الأسر وطاقة حيه لحركة الإنسان نحو التكامل والنمو، وعلى الحكومة الإسلامية ان توفر الفرص لبلوغ هذه الغاية.

وبهذا المفهوم عن الأسرة تخرج المرأة عن كونها شيئاً جامداً او اداة عمل تستخدم في إشاعة روح التبذير والاستغلال الإقتصادي وتستعيد مسؤوليتها الخطيرة والهامة كأم تعمل على تربية الإنسان الصالح وتشارك في ميادين الحياة العملية الى جانب الرجل في إطار الإسلام وفي النهاية تستطيع المرأة ان تتحمل مسؤوليات أكبر وان تحصل - بنظر الإسلام - على قيمة وكرامة أرفع.

وتؤكد الفقرة الرابعة عشرة من المادة الثالثة من الدستور على ان المرأة والرجل سواسية أمام القانون وتنص على: ضمان الحقوق للجميع نساء ورجالا وإيجاد الضمانات القضائية العادلة لهم ومساواتهم أمام القانون.

اما المادة العاشرة فتنص على ما يأتي: حيث ان الأسرة هي الوحدة الأساسية في المجتمع الإسلامي فيجب ان يكون هدف جميع القوانين والقرارات والبرامج المرتبطة بالأسرة تسيير بناء الأسرة والحفاظ على قدسيتها وتمتين العلاقات العائلية على أساس الحقوق والأخلاق الإسلامية.

وتقول المادة العاشرة من الدستور: «حماية القانون تشمل جميع أفراد الشعب نساء ورجالا بصورة متساوية وهم يتمتعون بجميع الحقوق الإنسانية والسياسية والإقتصادية والإجتماعية والثقافية ضمن الموازين الإسلامية». وأخيراً فإن المادة الحادية والعشرين من الدستور تنص على ما يأتي: «الحكومة مسؤولة -في إطار الإسلام -عن تأمين حقوق المرأة كافة في المجالات وعليها القيام بما يلي:

١ - ايجاد الظروف المواتية لتكامل شخصية المرأة وإحياء حقوقها المادية والمعنوية.

٢ - حماية الامهات ولا سيما في مرحلة الحمل وحضانة الطفل ورعاية الاطفال الذين لا معيل لهم.

٣ - إيجاد المحاكم الصالحة للحفاظ على كيان الأسرة واستمرار بقائها.

٤ - توفير ضمان خاص للأرامل والنساء العجائز وفاقدات المعيل.

٥ - إعطاء الامهات الصالحات القيمومة على أولادهن عند فقدانهنّ الولي الشرعي من أجل رعايتهم».

وحسب الدستور فإن الرجال والنساء يتمتعون بحقوق متساوية في العمل وخدمات الضمان الإجتماعي والتعليم المجاني ومواد الدستور الخاصة بهذا الموضوع، كما في المادة الثامنة والعشرين والمادة التاسعة والعشرين والمادة الثلاثين.

٢ - القانون المدني والقانون الجنائي وباقي التشريعات

أ - القوانين والتشريعات الخاصة بالضمان الإجتماعي وحماية العائلة والقضاء على التميز العنصري ضد المرأة.

ب - قوانين وأنظمة استخدام المرأة.

ج - قوانين وانظمة حول الصحة والرعاية الطبية.

د - قوانين وأنظمة حول تعليم المرأة.

٣ - معاهدة إزالة جميع أشكال التميز ضد المرأة.

ثانيا: المرأة ووسائل الاتصال الجماهيرية

لقد بذلت وسائل الاتصال الإيرانية على الدوام جهدها لعرض قضايا المرأة ولزيادة معارف المرأة في المسائل القانونية ولقد قوم كل من الراديو والتلفزيون - عبر برامج متنوعة - وضع المرأة في المجتمع الإيراني وبث حوله التقارير كما حاول إغناء فهم المرأة ومعارفها حول حقوقها الإجتماعية والسياسية والإقتصادية والثقافية وحيث تصدر حاليا بانتظام (٥٥٠) مطبوعة في إيران، فإن عشرا منها تملكها وتديرها نساء وتجهد في معالجة قضايا المرأة. وتهتم هذه المطبوعات او الصحف بعرض الأوجه المختلفة لشؤون المرأة ونشر مقالات تناسب مختلف الأعمار والمستويات الثقافية ويشير مسح أجري حديثا الى ان ١٣٪ من

الصحافيين في إيران هم من النساء.

وتعمل العديد من النسوة الإيرانيات كمخرجات وممثلات في حقلي السينما والمسرح وهن يلعبن أيضاً أدواراً في حقول فنية أخرى(٦).

وعلى صعيد المشاركة السياسية فقد أصبحت المرأة المسلمة اليوم في إيران عضوة في مجلس الشورى ومعاونة لرئيس الجمهورية وأستاذة في الجامعة ورائدة في الاعلام ورئيسة لجمعيات ومنتديات كثيرة ومتنوعة، وفوق كل ذلك تتمتع بدعم قوي من قيادة الثورة الإسلامية بحيث انه من المؤمل ان تترأس جانباً مهماً من الجهاز القضائي الاسلامي وكل ذلك لأن الثورة تشترط في تطبيق نموذج الدولة إعطاء الدور المناسب للمرأة وضمن ما سمح به الإسلام. (٧).

وفي فلسطين راقب الشباب الفلسطيني أحداث الثورة الإسلامية في إيران حدثا حدثا وسجلوه إنجازا إنجازا وكتب الدكتور فتحي الشقاقي في كتابه (الحل الإسلامي والبديل الخميني) يشرح جميع عوامل انتصار الإمام الخميني في تحقيق الثورة وإقامة الدولة (الحكومة الإسلامية) في إيران الإسلام وكانت كتاباته عبر صحيفة (المختار الإسلامي) باسم عز الدين الفارس حيث يسجل فيها أحداث الجمهورية الإسلامية ومنجزاتها عاما بعد عام. ولأن الإمام (قدس سره) كان يقود ثورة شعبية طاقاته البشرية والتضحيات العظام التي قدمتها المرأة المسلمة في إيران فقد ركزت كتابات الدكتور عبر مجلة (الطليعة الإسلامية) التي كانت تصدر في لندن ويعاد طباعتها في فلسطين السليبة على هذا الجانب باسم د.عز الدين ابراهيم. وقد كتب الشقاقي في المرأة المسلمة موضوعاً هاماً في مجلة المختار الإسلامي التي كانت تصدر في مصر خلال فترة تلقيه دراسة الطب في جامعة الزقازيق وكان عنوان المقال: (المرأة المسلمة) تيار جديد مهام جديدة، يظهر فيه ان الله عز وجل جعل أمة الإسلام أمة وسطا : **﴿كذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾**.

هذه الشهادة تتطلب من المرأة ان تتسلح بالوعي والثورة لتكون شاهدة على الناس فلا يمكن ان يكون الشاهد جاهلا وان تمارس المرأة دورها في ضمن حدود الشرع وان تبتعد عن كل ما ينتقص من كرامتها الإنسانية.

---

(٦) حقوق المرأة في الجمهورية الإسلامية الإيرانية. اعداد: المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية في لبنان، نقلا عن (دستور الجمهورية الإسلامية الإيرانية).

(٧) الفجر: سفارة الجمهورية الإسلامية الإيرانية في دمشق (ص٧).

وبمجرد ظهور بوادر الصحوة الاسلامية في فلسطين في زمن انتصار الإمام الخميني (قدس سره) وإقامة الحكومة الاسلامية، ظهرت المرأة المسلمة الشابة في ساحات المسجد الأقصى المبارك وفي ثانويات الأقصى الشرعية للبنات وفي الجامعات ونشطت في مجال الدعوة الى الإسلام في المساجد وخرجت في المظاهرات والاحتجاجات وخاصة ضد الاعتداءات الصهيونية من استفزازات والاستيلاء على المسجد الأقصى المبارك فدخلت السجون. وما إن توالت الاحداث في فلسطين وتفجرت الانتفاضة (الثورة الإسلامية في فلسطين) كانت المرأة إحدى ضحايا الاحتلال الصهيوني اذ سقطت شهيدة طالبة في شوارع غزة. وشاركت المرأة الرجل في مواجهة الاحتلال وأصيبت واستشهدت ودخلت الى سجون الاحتلال الصهيوني وقدمت أبناءها شهداء ومعتقلين وتضامنت مع الشعب في حصاره ومعاناته وأدارت دورات التعليم في المساجد لتعويض الطلبة عما يفوتهم جرّاء فعاليات الانتفاضة، وجمعت أموال الزكاة من المزارعين والتجار وكفلت الايتام والمرضى والجرحى والعاطلين عن العمل وقدمت الهدايا للأيتام في مدارس الأيتام في الاعياد، وتضامنت مع المعتقلين ووفرت لهم ما يحتاجونه من ملابس وكتب وقرطاسية داخل السجون ووفرت مصروفاتهم داخل السجن وما يحتاجه زملاؤهم من سجناء الدوريات من لبنان والاردن وتقوم بزيارة السجناء المحرومين من زيارة أهليهم وذويهم وأدارت عجلة الإقتصاد في ظروف غاب فيه المعيل شهيداً او أسيرا.

واعتنت المرأة بفكرها ووعيها فحملت المجلات ووزعتها ونشرتها في المخيمات وأوصلت فكر الحركة الإسلامية الى كل البيوت وقدمت خدماتها للمجاهدين من الشعب الفلسطيني في مجالات شتى، منها نقل الرسائل وتوفير الاموال وتوزيعها في أبوابها المختلفة ضمن تعليمات قيادة الحركة.

كما كانت تقام تجمعات خاصة بالعنصر النسوي من قبل القيادة للتوجه والتوعية ومناقشة القضايا المستجدة والنشاطات المقترحة خاصة لطالبات الجامعات وطباعة النشرات الخاصة بالحركة للتوعية بالفكر والإسلام السياسي ومستجدات الاحداث في الوطن العربي والإسلامي.

كانت المرأة المسلمة في فلسطين رائدة العمل الاستشهادي حيث ان الاخت المجاهدة (عطاف عليان) هي أول من حاول القيام بعملية استشهادية في العام ١٩٨٧ م. واعتقلت على هذه الخلفية وأمضت في سجون الاحتلال ما يقرب من عشرة اعوام.

وفي لبنان حيث جاءت حركة المقاومة الإسلامية حازمة في مواجهة الاجتياح

الاسرائيلي للبنان واخرجت الغاصبين من بيروت ومن كل لبنان حتى الحزام الامني أيضاً برز نشاط العنصر النسوي في داخل لبنان وفي المنتديات النسوية، وما تزال المرأة المسلمة في فلسطين ولبنان تقدم فلذة كبدها وزوجها في سبيل عزة الإسلام وتحرير الأرض المسلمة من العدوان حتى تحرير آخر شبر من ديار الإسلام ورفع راية الإسلام في ربوع الأرض كل الأرض.

وأخيراً نتبين مكانة المرأة المسلمة في خط الإمام (قدس) في وصيته (ص١٠) حيث يقول الإمام (قدس): نفخر بالنساء الزينبيات:

نحن فخورون بأن السيدات والنساء، الهرمة والشابة الصغيرة والكبيرة حاضرات في الميادين الثقافية والإقتصادية والعسكرية وجنبا الى جنب مع الرجال او افضل منهم يبذلن الجهد من أجل اعلاء كلمة الإسلام وأهداف القرآن الكريم.

القادرات منهن على الحرب يشاركن في التدريب العسكري للدفاع عن الإسلام والدولة الإسلامية الذي هو من الواجبات المهمة... وقد حررن أنفسهنّ من أنواع الحرمان التي فرضت عليهنّ بل على الإسلام والمسلمين نتيجة تآمر الأعداء، بكل شجاعة والتزام وأخرجن أنفسهنّ من أسر الخرافات التي أوجدها الأعداء بواسطة الجهلة وبعض المعممين الذين لا يفهمون مصالح المسلمين.

وغير القادرات منهنّ على الحرب منصرفات الى الخدمة خلف الجبهة بنحو قيم يهز قلب الشعب شوقاً وشغفاً ويزلزل قلوب الأعداء والجهلة، والأسوأ من الأعداء غضباً وحنقاً وقد رأينا مراراً ان نساء جليلات يقتدين بزينب (عليها السلام) يهتفن أنهن فقدن أبناءهن وأنهن ضحّين بكل شيء في سبيل الله تعالى والإسلام العزيز ويفتخرن بذلك ويعلمن ان ما حصلوا عليه أسمى من جنّات النعيم فضلا عن قناع الدنيا الحقير(٨).

(٨) الوصية الإلهية السياسية لإمام الأمة الراحل الإمام الخميني (قدس سره) (ص١٠).

الإمام الخميني: نهج التحرر من رعب أميركا و(إسرائيل)

الأستاذ عبد العزيز أبو السعيد

في مئوية الإمام الخميني العظيم، واستجابة للدعوة المباركة التي أطلقها الإمام الخامنئي بأن يكون عام ١٤٢٠ هـ عاماً للامام الخميني، نود أن نشير بإيجاز الى بعض الملامح التي ميّزت الإمام الراحل (رضوان الله عليه)، وتفرد بها في تاريخ الأمة الإسلامية الحديث والظواهر التي ارتبطت بحركته الثورية.

لقد اكتشفت الأمة مجددا، عبر جهاد الإمام في مواجهة قوى الفساد والتبعية في إيران الشاه وأعوانه، وفي مواجهة قوى الإستكبار والنهب العالمي التي تتصدى لقيادتها أميركا، ان الإيمان بالله والثقة به مصدر طاقة لا تضاهى ولا تقهر ولا تقاوم، وان الإنسان المؤمن الذي يكرّس ذاته لله سبحانه يغيّر التاريخ بإذن الله ويبدّل مجراه. وهذا ما فعله الإمام حين أعاد الإسلام الى الصدارة على مسرح حياة الأمة والعالم.

لقد تجلّى الإسلام العظيم في ثورة الشعب الإيراني المسلم التي أشعلها وقادها الإمام، فكان الإسلام هو وقود الثورة وغايتها العليا. لقد عكست الثورة تلك النقلة الهائلة التي انتقل بها بالإسلام حديثاً من المطرح النظري الى الممارسة الفعلية على أرض الواقع الحي. برز الإسلام باعتباره مالكاً لا يناظر وينبوعاً لا ينضب للقدرة والطاقة على تزويد الشعوب والأفراد بالدوافع الكافية والأهداف الملائمة لها التي تعترف بها وتؤمن بها لإخراجها من حالة السلبية واللامبالاة، وتفعيلها ودفعها للتصدي لأعتى قوى البطش والظلم والجبروت، وإشعارها بالأمل والإقتدار على التغلب على هذه القوى وتحقيق الإنتصار عليها.

وقد تجلّت بالذات القدرة الفريدة التي يمتلكها الإسلام وآمن بها الإمام وعاشها ونجح في نقلها للجماهير الإيرانية المسلمة الا وهي القدرة على التحرر من الرعب من أميركا

* مسؤول العلاقات الخارجية في حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين

و(إسرائيل). هذا الرعب الذي عمدت قوى الظلام والطغيان على إشاعته وتكريسه لدى شعوب الأمة المستضعفة عبر عملائها الأذلاء وأعوانها الذين لجأوا الى أميركا هرباً من شعوبهم وحفاظا على مصالحهم وامتيازاتهم الأنانية التي انتهبوها من عرق هذه الشعوب وشقائها، وخشية من توق هذه الشعوب للحرية والكرامة ودفاعها عن حقوقها المنهوبة في وجه العدوان والإذلال الأميركي و(الإسرائيلي).

كان انتزاع هذا الرعب من قلوب الجماهير مقدمة أولية لتحقيق الانتصار الكاسح. هذا الرعب الذي يجرى الآن ترويجه من قبل كثير من الأنظمة في المنطقة التي تخشى البطش الأميركي ومن ثم (الاسرائيلي)، لتخويف شعوبهم وكبح تطلعاتهم ولتبرير انهزامهم أمام (إسرائيل) وتفريطهم بحقوق شعوبهم ومصالحها. وعبر ثورة الإمام وما شكله موقفه الشجاع والمصمم من أميركا و(إسرائيل) غاصبة فلسطين والقدس من أداة تمييز وفرز، غدا ممكنا التمييز بين من يسكنه الرعب من أميركا و(إسرائيل) ويستسلم لهما وبالتالي يتواطأ معهما، وبين من يرفض الاستسلام والتواطؤ. لقد قدمت ثورة الإمام للأمة أداة تمييز وفرز لا تخطئ على هذا الصعيد.

كما أظهرت ثورة الشعب الإيراني المسلم التي اشتعلت بفضل إيمان وحكمة وتصميم الإمام ان جماهير الأمة المستضعفة جديرة بالإحترام وتختزن طاقات أدبية ومعنوية بالغة الأهمية وإمكانات للتضحية والفداء حريّ بالمتصدرين للإسلام تلمّسها والتعرف عليها والتعاطي معها بحكمة وتقدير، تماماً كما فعل الإمام فكان أنموذجا في ذلك.

ان كفاح الجماهير وتضحياتها ودمائها واعتمادها على ذاتها بعد اعتمادها على الله سبحانه، كما اثبتت ثورة الشعب الإيراني المسلم المظفرة بقيادة الإمام الخميني، هي الوسيلة المعتبرة لتحقيق أهدافها في الحرية والاستقلال والقضاء على سلطة الفساد والتبعية وكبح جماح الإستكبار الأميركي وإهانات ربيبته (إسرائيل). لقد ضربت الثورة في ذلك مثلا حياً يمكن احتذاؤه من قبل الشعوب المستضعفة في المنطقة والعالم.

كما أكدت هذه الثورة بما انطوت عليه من زخم واتساع وعمق حركة الملايين من الشعب الإيراني المسلم المنبعثة للشهادة والفعل والانتصار بالإسلام وقيمه وتعاليمه ورؤاه واتساع مساحة الاستجابة له من الأمة والمستضعفين في الأرض، ان الإسلام في عالم اليوم، عالم التقنية والتطور، عالم الرأسمالية الجشعة والإستعمار الجديد، عالم الحداثة الغربية والعولمة، عالم المادية والولع بمتعها، يمتلك القدرة على طرح البديل عالمياً وعلى تزويد الإنسان المعاصر بالأمل بسيادة طريقة حياة مختلفة وأكثر إنسانية وكرامة، بل وحتى أكثر

فعالية حضارية حيث يتلاشى مفهوم الهدر الذي تعيشه الحضارة الراهنة.

لقد أثبتت حركة الإمام ونهضته ان أزمة الحضارة الراهنة حيث تسود قيم التبادل المادية يمكن تجاوزها بالإسلام وعالميته المؤسسة على كرامة الإنسان ومساواته، وذلك دون تنازل عن مكاسب الإنسان التقنية او انجازاته الحضارية حيث يكسبها الإسلام قيمه الخاصة وفي الذرى منها قيمة الرحمة التي كتبها الله سبحانه على نفسه، ويفتقدها واقع الإنسان راهنا بحكم هيمنة المادية وقيمها التبادلية.

واخيراً، فقد حدد الإمام الراحل - (رضوان الله عليه) - عبر مسيرته النضالية الطويلة بدقة بالغة القوى الثلاث المعادية للأمة الإسلامية والشعب الإيراني المسلم، في ترابط عضوي وتداخل في العمل والمصالح، ممثلة في: الإستكبار العالمي بقيادة أميركا، و(إسرائيل) وسلطة الشاه المتواطئة معهم ضد شعبها وأمتها، وكان تركيز خطاب الإمام على (إسرائيل) بالغاً فهي التجسيد المكثف والكامل لقوى الشر والطغيان والبهتان في العالم والتاريخ، وبالتضاد مع دعوة الأنبياء والرسل (عليهم السلام)، وهي الحضور الكثيف للحضارة المادية الغربية التي تتزعمها وتقودها أميركا راهناً، في أفظع صورة من العنف والعدوان والاغتصاب، وهي أداة الإستكبار العالمي الوحشية في المنطقة الإسلامية في إطار برنامج للتخريب والهيمنة.

فإسرائيل،كما يقول الإمام، هي «جرثومة فساد» والغدة السرطانية التي يجب ان تزول» لذلك يقول: «ما أفضل ان تقوم دول المنطقة بتوظيف جميع قواها لمحو (إسرائيل) من صفحة الوجود، ويقول: «ان (إسرائيل) يجب ان تمحى من الوجود وان بيت المقدس ملك المسلمين وهو قبلة المسلمين الاولى».

إنها أوصاف دقيقة ومطابقة للواقع، لا ريب مطلقاً في صوابها، حددها الإمام، وتنطوي على مهام كفاحية مكافئة، عيّنها - (رضوان الله عليه) - وتركها لمن بعده من الأحرار لتنفيذها.



زعيم الثورة و قائد الدولة الاسلامية .

وعي الواقع عند القائد الواعي

الأستاذ حسن حميد

- ١ -

تقاس الشعوب والامم بحضاراتها، ووثباتها الحضارية، كما تقاس بانتصاراتها وامجادها، ووعيها التاريخي لدور اعلامها البارزين، كما تقاس بانتصارها للقيم الإنسانية النبيلة وتوكيدها.

وما قام به الإمام الخميني(قدس سره) من ثورة إسلامية في إيران هي انتصار للحضارة الفارسية، وانتصار للحضارة الإسلامية، وانتصار للقيم الإنسانية الخالدة، فقد وعى الإمام الخميني منذ تفتحه الثقافي والفكري والسياسي والإجتماعي والديني بأن ما يحدث في إيران من ظلم من قبل الاسرة الشاهنشاهية لكل فئات الشعب الإيراني يجب ان لا تكتب له الديمومة، ولذلك شكل بمفرده حالة إنسانية راقية يتقدم وعيها الحضاري من اجل الاطاحة بالظلم والطغيان الشاهنشاهي الذي يتحكم بالناس وكأنهم عبيد. فناضل عبر الكلمة، وعبر الاجتهاد، وقاد المظاهرات، ونمّى الوعي الإسلامي، والحضاري، والفكري وطوره في حقب تاريخية عديدة من اجل انضاج الظروف الموضوعية لاقامة صرح الحضارة الإسلامية، واعادة مجدها مرة اخرى وهي بكل ثباتها على الحق، وتطلعه نحو التطور والتقدم وحجز المكانة اللائقة في الحضارة الإنسانية الراهنة.

وهذا ما كان فعلا مع اواخر حقبة السبعينات في هذا القرن حين فجر الإمام الخميني الثورة الإسلامية المباركة في إيران، واطاح مع جماهير الشعب الإيراني الباسل بالطغمة الشاهنشاهية الحاكمة آنذاك في إيران، وبذلك اعاد الإمام الخميني (سلام الله عليه) الوجه الحقيقي لإيران، وجهها الإسلامي الاصيل، ودورها الواقعي الذي ينطلق من داخل الرؤية

(*) مؤلف وأديب، عضو اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين.

الإيرانية لا الرؤية المستوردة من الغرب والعاملة من اجله.

- ٢ -

ان نظرة اولية لواقع الحال الإجتماعية ، والثقافية، والسياسية ، والدينية التي سبقت عهد الثورة الإسلامية في إيران بقيادة الإمام الخميني، تؤكد على مدى وجود الظلم، والعدوان على الحريات العامة للانسان الإيراني، ومدى التفرد البشع للسلطة الحاكمة بالقرارات التي لا تضمن الا حقوقها وتوفير المناخات لتحقيق نزواتها ومشاريعها الاستهلاكية الباحثة عن القيم الرخيصة.

لقد كان المجتمع الإيراني كله مستلبا من قبل تلك السلطة، ولذلك فان وعي الإمام الخميني كان يجول في دراسة هذا المجتمع، لتفعيل بؤر القوة وبناء صروحها، ودراسة المفاتيح الأساسية المؤدية لنهوض ثورة شاملة في جميع الاطر البشرية، والمؤسساتية وهذا ما كان فعلاً.

ان وعي القائد الشامل بالظروف الإجتماعية، وشرائح الفئات البشرية، وحالات الاستلاب القائمة.. هو الذي ادى الى توليد الوعي الإجتماعي لهذه الفئات البشرية، والذي اسهم في توحيد الصف الشعبي الإيراني وراء قيادة الإمام الخميني كقائد يعيد للإسلام والحضارة الإسلامية مجدها في زمن اندياح الامبرياليات وقوى الاستبكار، واشكال المادية الشرسة بضغطها وسحقها لكل ما هو روحي وقيمي وإنساني.

- ٣ -

ان امتلاك الوعي التاريخي، بكل اشكاله ومفاتيحه هو الذي هيأ للشعب الإيراني الخروج من دائرة الظلم الشاهنشاهية بقيادة القائد التاريخي الفذ الإمام الخميني الذي نقل التاريخ الإيراني من واقع امتلأ بالجور والظلم وسفك الدماء والتضييق على الحريات، الى واقع القيم الإسلامية النبيلة الناهضة، والى واقع العدالة والمساواة والوحدة الإجتماعية، وبذلك حرر الإرادة الإيرانية من قبضة الامبريالية العالمية، وجعلها إرادة هي ملك للشعب الإيراني وحده، ومن هنا نبعت القوة الإيرانية ومن هنا تجلى دورها العالمي بكل وزنه السياسي، والديني والفكري والإجتماعي.

ولعل من اهم المفاهيم الأساسية التي اشتمل عليها وعي القائد يتمثل في معاداة الامبريالية العالمية باعتبارها قوة ساحقة للشعوب، والقيم، والحريات والثقافات الإنسانية الاخرى. ومعاداة الصهيونية باعتبارها غدة سرطانية ومشكلة من افرازات الامبريالية

العالمية. وتوحيد الجهود الإسلامية ودفعها باتجاه بناء الحضارة الإسلامية المشرقة المبنية على العدل والمساواة والرحمة، ونصرة الشعوب المستضعفة والاخذ بأيدي أبنائها للنهوض والتطور.

- ٤ -

ان وعي الواقع بكل ارتباطاته وظروفه وقواه ومفاعيله عند القائد الواعي الإمام الخميني هو الذي أسس لحضارة إيرانية حديثة بكل ما تعنيه هذه الكلمة، حضارة مبنية على قيم الإسلام وسماحته وتطلعه نحو بناء مجتمع إنساني خال من العدوانية والظلم.

لقد قيضت الفرصة التاريخية الحاسمة للشعب الإيراني المسلم بانه حظي بقائد واع اخترق عوالم التاريخ وعوالم المجتمع فقام بثورة فاتحة في تاريخ البشرية كلها ستظل حروفها مكتوبة بنور القيم وعظمتها.



الإمام الخميني والصحوة الإسلامية

الأستاذ فوزي حميد

مرت مئة عام على ذكرى ولادة سيد الأئمة، ومرجع العلماء في الدين، قائد الثورة الإسلامية، وباعث صحوة المسلمين، روح الله الموسوي بن السيد مصطفى بن احمد الموسوي (قدس الله سره). فقد ولد في ٢٠ جمادى الثانية سنة ١٣٢٠ في مدينة (خمين) بإيران.

استشهد أبوه بعد عدة اشهر، وكان من كبار العلماء المجتهدين، وكان مرجعا دينيا قويا، وفقد امه أيضاً سنة ١٣٣٦ هـ.. ولم تؤثر هذه النكبات المتتالية على رسالته وطموحه، بل زادته تأكيدا وعلمته دروسا واقعية، وجعلت منه رجلا يحمل على كاهله رسالة تحرير بلاده من النظام المستبد، نظام الشاه الامبراطوري.

لقد كان الإمام حقا في طموحه ونشاطه، وفهمه للرسالة الإسلامية كما يريد الله ورسوله، معقل علم غزير، واطلاع واسع في علمي الأصول والفقه، وفي العلوم الإنسانية والفلك، ولقب بالفقيه والفيلسوف، وله مؤلفات كثيرة.. فهو يتمتع بدرجة عالية من الجرأة العلمية والحرية الفكرية في قول الحقيقة، وهو يمتاز في عمله الاجتهادي بشدة الاهتمام بالنصوص الشرعية - القرآن والاحاديث النبوية - واستنطاقها في كل قضية، والتعمق في دراستها، والتحقيق في اسانيدها.

لقد سلك منذ نشأته الطريق السليم برشده الى الله، فتأدب بآداب القرآن وتعاليمه، وتحلى بأخلاق الرسول الاعظم، وبها قاد الثورة الإسلامية، وهو في الثمانين من عمره، استطاع بحكمته ان يهزم امبراطورية امتدت جذورها في اعماق التاريخ اكثر من ٢٥٠٠

(*) باحث وكاتب في الشؤون الاسلامية والعربية.

سنة، وان يقتلع امبراطورا عاتيا، ارسى جذوره على مدى ٥٤ سنة ، ووطد سلطانه في كيان جيش من اقوى جيوش العالم، تدريبا، وتقنية، عدة وعددا، وغرس اركانه في كل دائرة من دوائر الدولة، وفي كل مصنع من مصانعها، وغرف من بحر النفط وخيرات البلاد ما يغطي رقعة بلاده ذهبا وفضة، وتحالف مع اعتى المعسكرات، تمده بدفع سياسي لا يقهر، ودفع حربي جعل منه اكبر قوة ضاربة في الشرق الاوسط.

وبكلمة واحدة قالها الإمام (نرفض الشاه)، حرك مشاعر المسلمين المظلومين المقهورين من حكم الطاغوت والهب حماسهم.. وكانت المفاجأة الكبرى في الاول من شهر شباط من عام ١٩٧٩ ، حينما تناقلت وسائل الاعلام العالمية، نبأ انهيار الامبراطورية، كما تناقلت وقائع استقبال الملايين من الشعب الإيراني للامام الخميني العظيم، بعد عودته الظافرة الى ارض الوطن، من المنفى، وهي تهتف بصوت واحد مرتفع: «اننا ندشن عصرا جديدا هو عصر الإسلام».

لقد قهر الملوك، وحطم الطغيان والاستبداد بالصبر والحكمة، ونقل بلاده من خانة الخيانة الى خانة الامانة، وبذلك صنع الإمام الخميني تاريخا بأكمله، وكان اقوى من كل الظروف والمحن، لقد كان رجلا في امة، بل كان امة في رجل وله مكانة مرموقة في قلوب الاحرار المستضعفين والمحرومين في العالم كله.

لأنه استطاع ان يقدم مشروعا سياسيا إسلاميا، يتناسب مع متطلبات العصر الراهنة، فتوسعت البؤرة الثورية الإسلامية، واستبشر بها المستضعفون من المسلمين خيراً.. وقد برهنت هذه الثورة العملاقة بقيادتها الفذة انها لازالت تعيش عنفوان شبابها، رغم مرور اكثر من عشرين عاما عليها. وانها قادرة على ان تبعث التجديد في صفوف المسلمين، وان تحمل لواءهم، لتنقذهم من تشرذمهم وضعفهم. وانطلقت مسيرة السلام من جديد، وعمت بلاد المسلمين، ووجدت في هذه الثورة مبتغاها، لانها وقفت الى جانب الضعفاء من المسلمين، تعرضوا الى تمييز عرقي بسبب دينهم، والى تصفية جسدية بسبب عقيدتهم - مثل ما حصل للمسلمين في فلسطين - والمسلمين في البوسنة والهرسك، وللمسلمين في كوسوفا، وفي البانيا وفي اندونيسيا، وأفغانستان والفيلبين، وفي كل بلاد المسلمين، بغض النظر عن هويتهم وما اكثر اعداء الإسلام والمسلمين، الذين يزرعون الخوف والرعب في صفوف المسلمين. .. ونحت قوى الطغيان الى تمزيق الصف الإسلامي بزرع حكومات موالية تقوم على قهر شعوبها والاستبداد بها، تارة بالعلمانية وتارة بالالحاد، وتارة بالديمقراطية الزائفة، فضاع المسلمون بين تيارين متلاطمين متخاصمين متناقضين، بين اليسار واليمين، بين الغرب والشرق، فانهارت كل القيم اليسارية، ولم نتمكن من تأمين

السعادة للبشرية، وفشلت في تحقيق الرفاه والاستقرار والطمأنينة الإنسانية.

وكذلك المجتمعات الغربية، تبين انها غير قادرة على ان تبني مجتمعا بشريا مأمونا لأن الفساد الأخلاقي والجريمة تفشت فيها وطغى التحلل الإجتماعي، وتفككت الأسر وانحلت عراها، وان ملكت قوة التدمير والخراب، وان انتصرت على المستضعفين والمضطهدين، وفرضت عليهم الهيمنة والتسلط، والسيطرة بالبطش والغدر والعدوان.

وتبين للعالمين خطأ انه لا يوجد سوى هذين الأسلوبين من الحياة، فمن لا يكون رأسماليا يكون اشتراكيا وقد كشف هذا التفكير عن مدى جهلهم بالإسلام وعقيدة المسلمين وقوتهم.

فالطريق القويم المأمون، هو الطريق الى الله، هو الانبعاث من جديد لقوة المسلمين الذي يقوم على اسس العودة الى الدين الإلهي، الذي اكمله الله تعالى بفضله، واتم نعمته، ورضيه للبشرية دينا، كاملا شاملا لكل مناحي الحياة ولا طريق الا اياه.

فالعودة الى الدين والأخلاق ضرورة عالمية، للحفاظ على المجتمعات البشرية، وحماية الإنسانية.. ولابد لذلك من العودة الى جذور النهضة الإسلامية، التي تألقت عبر قرون طويلة، وعمّت أرجاء العالمين واستنار بنورها الشرق والغرب، ونهلوا من علومها، وأخذوا عن علماء المسلمين كل أنواع العلوم، ولم تخمد شعلة الإسلام، بل ضعف المسلمون وخمدوا، وتفرقت بهم السبل وضاعوا لما ابتعدوا عن دينهم واعتمدوا على الآخرين من غربيين وشرقيين، وتفرقوا احزابا، وأفلت شمس حضارتهم، وغابت المنهجية الإسلامية في كثير من البلدان والاقاليم، وتفشت العلمانية عند بعضهم، وانتشرت الشيوعية والالحاد عند البعض الآخر، والانهزامية واللامبالاة عند من تبقى منهم.. الى ان قامت على ايدي الشرفاء من المسلمين، الذين اوقدوا شعلة الإسلام من جديد، فتنبه الغافلون من المسلمين، وقاموا بصحوة إسلامية، لفتت انتباه العالم، وشكلت خطرا جديدا على دروب الكفر، لما حققوا من انتصارات عظيمة في كل مجالات الحياة.

وكان لبزوغ فجر الثورة الإسلامية في إيران دور عظيم وبارز في عودة المسلمين الى أصول دينهم، والتفافهم حول قيادتها الفذة، حيث قامت بتأسيس نظام مبرمج لدولة إسلامية ناهضة، في قلب العالم الإسلامي الكبير.

لقد قامت الصحوة الإسلامية، وانبعثت من مرقدها، كقوة جديدة عالمية، قامت في التصدي امام الاعتداءات المتكررة على المستضعفين والمظلومين، فخافها اعداء الإسلام، وحاربوها لاقتلاعها من جذورها كما انبعثت، ولكنهم لم يستطيعوا ان يطفئوا جذوة هذه

الصحوة الإسلامية الشعبية، التي بعثها الله من مرقدها، واراد لها ان تبقى مستقلة تسير الطريق امام الآخرين الذين ارادوا ان يطفئوا نور الله، ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون.

لقد آمن الإمام الاعظم بمقدرات الشعوب، وعظمتها، وان دورها هو الأساس في حركة التاريخ وصنع الانتصارات، وهو لا يرى للحكومات اي دور في سبيل ذلك، بل قال (رحمه الله): «ان مشكلتنا تكمن في حكوماتنا»، ولذلك قام بدعوتها للثورة والتمرد وتحطيم الأعداء بقوله: «يا ايها المسلمون في كل ارجاء العالم، ايها المستضعفون الرازحون تحت سيطرة الظالمين، انهضوا، وتعاضدوا متحدين، ودافعوا عن الإسلام ودافعوا عن مقدراتكم، ولا تهابوا ضجيج الطواغيت».

ودعا شعوب المسلمين جيمعا الى الوحدة فيما بينهم، للصمود في وجه الظالمين والتصدي لهم فقال: «ان واجب المسلمين اليوم يتركز في وحدة الكلمة، يجب ان تكون كلمة المسلمين واحدة». فالوحدة الإسلامية تمثل أساسا استراتيجيا في توجهات الإمام (قدس سره).

وهو يدعو الى التحرر من الولاء والتبعية، لا الى الغرب ولا الى الشرق، ودعا الى الاعتماد على الذات الإسلامية، والاعتصام بحبل الله، بقوله: «انني اكرر مساندتي لجميع الحركات، والجبهات، والمجموعات التي تناضل من اجل التحرر من مخالب القوى العظمى اليسارية واليمينية». ان قضية الوحدة عند المسلمين، وانقيادهم تحت لواء واحد، ونظام واحد للوقوف بوجه الأعداء ستكون قضية حياتية للمسلمين لا يمكن التخلي عنها بأي شكل من الاشكال.

ان أرباب النظام الدولي يستخدمون كل أسلحتهم العسكرية والإقتصادية والسياسية، لكبح نضال المسلمين لأتفه الاسباب والمبررات، ويحاربونهم في لقمة عيشهم وفي مسكنهم، وفي عقيدتهم.

ان المسلمين الاوائل في عهد الرسول الاعظم لاقوا كل وسائل التعذيب والاهانة والتهجير، لكنهم صمدوا في وجه الطغيان الكافر، وفازوا، وحققوا انتصاراتهم على كثير من العالمين.. واليوم يلقى المسلمون كل وسائل التعذيب والحرمان، ولكن الله سينقذهم، وعلى الباغي تدور الدوائر. لقد تنبه الغافلون من المسلمين، وصحوا من غفوتهم ليطردوا شياطين الكفر من بينهم، ويوحدوا صفوفهم، رغم كل المعاناة والمآسي.. لأن القوانين التي شرعها الإسلام لهداية البشرية وحمايتها منذ بزوغ الإسلام بقيت محتفظة بحيويتها

ومرونتها، صالحة لكل زمان ومكان رغم كل التحولات التي طرأت على المجتمعات على مر الزمن.

ان الإمام الخميني باق في نضالنا ووجداننا انه لا يزال حيّا في واقعنا وايامنا، انه لم يفارقنا أبدا، لأنه من الشهداء الذين نذروا دمهم في سبيل الله، والوصول اليه، والشهداء هم عنوان الحياة لأنهم لا يموتون بل هم أحياء عند ربهم يرزقون.



زعيم الثورة الأسلامية الراحل كان يتابع أحداث أيران و العالم يومياً

مصر

- الدكتور حسن حنفي
- المرحوم الدكتور ابراهيم الدسوقي شتا
- الدكتور عبد العظيم المغربي



قراءة عربية في الحكومة الإسلامية للامام الخميني

الدكتور حسن حنفي

١ـ الإسلام السياسي

تبرز اهمية الإسلام السياسي بعد الثورة الإسلامية العظمى في إيران بعد ان جرب العالم الإسلامي الايديولوجيات المعاصرة من وطنية ضيقة او قومية اوسع او ليبرالية غربية او اشتراكية عسكرية او ماركسية تقليدية.

قدمت الثورة الإسلامية في إيران اخيرا (الإسلام الثوري) باعتباره اختيارا للمسلمين يحفظون من خلاله حريتهم. ويتحدون به امام الإستعمار والصهيونية والرأسمالية والعنصرية والقوى التي تمثلها والتي ما زالت اخطر اعداء الإسلام.

فمنذ سقوط الخلافة الإسلامية عام ١٩٢٤ على يد كمال اتاتورك بعث الامل من جديد في المسلمين خاصة بعد ان رفعت الثورة الإسلامية في إيران شعار «إيران اليوم وفلسطين غدا» وبعد ان اصبح الطريق الى طهران مارا بالقدس.

وكانت قيادة الإمام الخميني عنصرا حاسما في نجاح الثورة الإسلامية بإيران. اذ يتمتع الإمام بإرادة حديدية لا تعرف العجز او المهادنة، ذو موقف صارم لا يعرف المساومة او انصاف الحلول. ومع ذلك فهو صاحب فكر منذ صباه، وله تآليفه في السياسة التي هي علم الفقه، وأصول السياسة.. وهي علم أصول الفقه في تراثنا القديم. وغلب على تدريسه في جامعة قم وعلى مؤلفاته، ومعظمها ما زال مخطوطا لم ينشر، هذا العلم، ولم تغلب عليه الفلسفات النظرية من كلام وفلسفة او للنزعات الصوفية مع انه أستاذ الفلسفة

(*) مفكر واستاذ جامعي

والعقيدة. فهو رجل عمل اكثر منه رجل نظر وفقيه مناضل وليس فيه السلطان، وعالم باحوال المسلمين الحاضرة وليس عالما باحكام الحيض والنفاس.

ويتصف منهج الإمام الثوري بأنه منهج انقلابي مثل منهج الإمام أبي الاعلى المودودي، ومنهج الإمام الشهيد سيد قطب. فتغير المجتمعات الإسلامية ممكن فقط بعد قلب أنظمة الحكم في الدول الإسلامية الراهنة وتغيير السلطة السياسية فيها. وقد تم ذلك في إيران باسقاط الشاه اولا ورفض أية حكومة دستورية او برلمانية او وطنية في ظله طبقا لقول عثمان المأثور «ان الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن» . وسيرا في طريق جمال الدين الافغاني بضرورة قلب انظمة الملوك والسلاطين والامراء في العالم الإسلامي، عملاء الإستعمار وناهبي ثروات الشعوب، وعلى خلاف المناهج التربوية الطويلة للشعوب الإسلامية التي طالب بها محمد عبده، لذلك يصدر الإمام الخميني كتابه بالآية الكريمة: ﴿ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون﴾.

والفقيه هو الذي يناط به إحداث هذا الانقلاب، فهو الذي يتصدى للحاكم الظالم، ويقاوم التسلط والطغيان، ويوعي الناس، ويقود الثورة، فالعلماء في نهاية الأمر هم حصون الأمة وورثة الانبياء، وان اعظم شهادة عند الله هي كلمة حق في وجه سلطان جائر. هؤلاء الفقهاء الذين قاموا بولايتهم قد لاقوا ربهم بعد السجن والتعذيب حتى نالوا الشهادة، ولم يركنوا الى الدنيا طالبين الغنم والجاه مثل فقهاء السلطان.

وكتاب (الحكومة الإسلامية) او (ولاية الفقيه) يدخل ضمن هذا التراث السياسي الإسلامي المعاصر . نشرته الحركة الإسلامية في إيران ويحتوي على دروس فقهية القاها الإمام الخميني، المرجع الاعلى للشيعة على طلاب علوم الدين في النجف الاشرف تحت عنوان (ولاية الفقيه) في ١٣ ذي القعدة الى غرة ذي الحجة ١٣٨٩ هجري وهو يشابه كتاب ابن القيم (اصلاح الراعي والرعية) وغيره من الكتب الفقهية الإسلامية التي تتحدث عن النظم الإسلامية مثل (الاحكام السلطانية) للماوردي او لأبي يعلى او (ادب الدنيا والدين) للماوردي، ولكن كتاب الإمام الخميني يمتاز عن هؤلاء، بانه يركز على دور الفقيه في الثورة الإسلامية وعلى ضرورة اقامة الحكومة الإسلامية وتأسيس الدولة الإسلامية في مواجهة الإستعمار والصهيونية. فالإمام الخميني فقيه مجدد، يبغي الاصلاح من اجل الثورة، وليس فيها مقلدا يبغي الاصلاح من خلال النظام القائم.

والكتاب صادر عن تجارب شخصية ونضال سياسي طويل للامام الخميني مثل معظم فقهاء أهل السنة وعلى رأسهم ابن تيمية والأفغاني، يجمع بين المنقول والمعقول والمعاش،

واصبحت أحوال المسلمين الحضارية مقياسا لاختيار المنقول، ومادة للمعقول، فالكتاب دعوة للفكر ودعوة للنضال المشترك في آن واحد.

٢ - الإستعمار والصهيونية

وترجع أهمية هذا الكتاب الى انه تجديد للفقه الإسلامي فيما يتعلق بقضايا العصر المصيرية وعلى رأسها الغزوات الإستعمارية والصهيونية والمؤامرات التي تحاك ضد الإسلام كدين وضد المسلمين كثروات، وامكانيات بشرية ومواقع جغرافية، وقيم حضارية.

فاليهود منذ البداية لم يريدوا بالإسلام وبالمسلمين خيرا، وبدلوا نشاطهم المعتاد لتشويه الإسلام والافتراء عليه والوقيعة بين المسلمين، ويعملون لذلك افرادا وجماعات، ويتعاون في ذلك كل قوى الإستعمار وعملائه من الحكام الخونة والصهيونية والمادية الملحدة على تحريف الإسلام وتشويهه.

يقول الإمام الخميني: «ها نحن نرى اليهود يعبثون بالقرآن، ويحرفون الكلم عن مواضعه في طبعات للقرآن جديدة ينشرونها في الأرض المحتلة وغيرها. علينا ان نكشف تلك الخيانة، ونصرخ باعلى اصواتنا حتى تفهم الناس ان اليهود وسادتهم الاجانب يريدون بالإسلام كيدا، ويمهدون السبل ليسود اليهود على هذا العالم كله، واخشى ما اخشاه ان يصلوا الى مآربهم بسبلهم الخاصة، وبسبب من ضعفنا قد نصبح ذات يوم لنجد حاكما يهوديا يحكم بلادنا لا سمح الله.

وقد استشرى نفوذ الصهيونية (في إيران خاصة) مباشرة من خلال احتلال الاراضي او بطرق غير مباشرة عن طريق نهب الشركات الرأسمالية لثروات المسلمين. يقول الإمام الخميني ايضا: «نشتري طائرات الفانتوم ويتدرب عليها الاسرائيليون. وبما ان (إسرائيل) في حالة حرب مع المسلمين، فكل من يساعدها ويساندها يكون هو بدوره في حالة حرب مع المسلمين، وقد بلغ النفوذ الاسرائيلي في بلدنا حدا لا يطاق حتى ان العسكريين الاسرائيليين يتخذون من اراضينا قواعد لهم، واسواقا لبضائعهم مما سيؤدي الى اندحار اسواق المسلمين تدريجيا، حرقوا المسجد الاقصى وآثار الجريمة ما زالت باقية. ويفتتح الشاه اكتتابا في البنوك لاعادة بنائه وترميمه فيملأ جيوبه وخزائنه من اجل ستر جريمة الصهيونية، في حين ان الإسلام امرنا بالدفاع عن اراضينا «واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ...» فاذا التزم المسلمون باحكام الإسلام، لم يكن في ميسور حفنة من اليهود احتلال اراضينا، وتخريب مسجدنا الاقصى واحراقه من غير ان يقابل ذلك ادنى مقاومة.. لم يكن باستطاعة شراذمة اليهود وصنائع أميركا وبريطانيا ان ينتهوا الى ما انتهوا اليه مهما اعانتهم

أميركا وبريطانيا.

وكان القصد من تشويه الإسلام في ذهن المسلمين عن طريق الجماعات والهيئات العلمية، القضاء على حيويته حتى لا ينتبه اليه المسلمون، فيظلون في خمودهم، ولا يفكرون في تأسيس دولة إسلامية وإقامة حكومة للدفاع عن استقلال المسلمين والمحافظة على هويتهم، كان الهدف من ابعاد المسلمين عن الإسلام الابقاء على تخلف المسلمين وضعفهم وبؤسهم، واستنزافا لثرواتهم، وطمعا في أراضيهم وقواهم البشرية ليظل المسلمون في فقرهم ويتمتع المستعمرون باموالهم وحتى لا يعلم المسلمون ما شرعه الإسلام في الفقر والغنى وفي الجهاد والقتال للاعداء، لم يستطع احد من المسلمين الحديث عن الحكومة الإسلامية والا قضى عليه عملاء الإستعمار واتهموه بقلب نظام الحكم والخروج عن الدين والملة، والاعتداء على الحرمات، والجنون والعته، والقتل وسفك الدماء كما حاول ذلك عملاء الشاه في العراق بعد صدور الطبعة الاولى من هذا الكتاب.

وقد انخدع المسلمون بذلك حتى تخلوا عن تقاليدهم وهويتهم حتى اعتبر البعض لباس الحرب والقتال منافيا للمودة في حين كان الائمة يلبسون للحرب، ويمتشقون لها السيوف، وقد بلغ الأمر بالبعض الآخر الى احتقار النفس والاحساس بالصغر أمام تقدم الغرب المادي، وأربكوا تصورنا الى الدين وانه لا سبيل الى التقدم واللحاق بالغرب الا بنبذ الدين والخروج عن تعاليمه. فالدين هو الذي منعنا من الوصول الى القمر، ونبذ الدين لديهم هو الذي مكنهم من الوصول اليه!

وقد ركز الإستعمار تشويهه للإسلام في اتجاهات اربعة:

١- قالوا: ان الإسلام لا صلة له بتنظيم الحياة الإجتماعية او تأسيس حكومة او اقامة دولة بل انه يعنى فقط باحكام الحيض والنفاس! واقصى ما فيه بعض الاخلاقيات لتهذيب النفس، كما يدعو الصوفية وعملاء الإستعمار من حكام العالم الإسلامي داعين أيضاً الى فصل الدين عن السياسة مثل اسيادهم المستعمرين، يروج عملاء الإستعمار من المسلمين ذلك أيضاً من اجل القضاء على الإسلام كنظام شامل للحياة حتى يسهل على الإستعمار ابتلاع المسلمين ونهب ثرواتهم عن طريق تقليد المسلمين لهم والتعاون معهم وتصديق انظمتهم التي يكون فيها المسلمون الضحية، وثرواتهم المطمع والهدف بل ان حكام المسلمين ما زالوا يروجون لهذه المقالة الابليسية كما سماها رشيد رضا التي تدعو الى الفصل بين الدين والسياسة، بين الإسلام والدولة، وارادوا للإسلام ان يكون مجرد عبادات لا معاملات واخلاقا فردية لا نظما إجتماعية، وكأن الإسلام اصبح مسيحية، ودولته

كهنوتا حتى يخلو الجو للحكام فيفعلوا ما يشاؤون بالمسلمين، يتحكمون في ثرواتهم، ويسيطرون على مقدراتهم، في حاضرهم ومستقبلهم دون ان يكون للإسلام في ذلك رأي لانهم يعلمون رأي الإسلام فيهم فيما يفعلون، ويخشونه، ويريدون القضاء على قوته اذا ما فهمه المسلمون على حقيقته مباشرة من القرآن والحديث، وهما المصدران الأساسيان للتشريع في الإسلام، المنظمان لشؤون الحياة لا عن طريق المستشرقين ورجال الكهنوت والمبشرين المؤتمرين بأوامر الإستعمار.

إن آيات المجتمع في القرآن تزيد أضعافا مضاعفة عن آيات العبادات، وأبواب الحديث التي تمس الإقتصاد والسياسة والإجتماع لا تقل عن آيات العبادات والاخلاق، فالإسلام ليس مسيحية، والمسجد ليس كنيسة، والفقيه ليس قسيسا، ولقد صرخ عمر في رجل متعبد: لا تمت علينا ديننا، لقد ظهر الإسلام في مقابل اقوى امبراطوريتين قديمتين: امبراطورية الفرس وامبراطورية الروم، وكلاهما عرفا بتنظيم شؤون الحياة، فأمر الإسلام بنظام إجتماعي على مستوى العصر، وما كان الإسلام بمنكر لعبقرية العصر في القانون والتشريع.

٢- واحيانا اخرى يقولون: ان الإسلام ناقص، ولابد من استكماله بالقوانين الوضعية التي ابدع فيها الغربيون فاصبحت دساتير المسلمين مستعارة من النظم الغربية، واقروا النظم الملكية الوراثية في حين انه لا يوجد لهذه النظم أي أساس في الإسلام. لقد أبطل الإسلام النظام الملكي ونظام ولاية العهد وكل الانظمة الوراثية لان الله وحده هو المالك والوارث وصاحب الامر، وقد قام سيد الشهداء الحسين بن علي بالثورة على النظام الملكي الوراثي الاموي معطيا القدوة للخلف. وقيل أيضاً ان من مظاهر النقص عدم تنظيم قوانين للربا وللخمور وللفحشاء لذلك أخذ المسلمون بالقوانين الغربية في هذه الامور. والحقيقة ان الإسلام وضع قوانين لها بالتحريم ووضع لها الحدود فهناك حد للسكر وحد للزنا ولا يعيب الإسلام على الاطلاق غياب قوانين للربا فالإسلام يحرمه وله قوانينه ونظمه المصرفية الاخرى. لقد كان هدف الإستعمار من ذلك هو تقليص الإسلام وابعاده عن الحياة العامة خاصة عن ميدان التشريع من اجل احلال القوانين الغربية محله. وقد سببت هذه القوانين الغربية للمسلمين مشاكل عدة على رأسها طول الوقت للحكم في اية قضية. فقد يقضي الإنسان عمره كله وعمر ابنائه من بعده للوصول الى حكم في قضية. وقد دهشت اجهزة الاعلام في الغرب بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران من سرعة الحكم على القتلة من جند الشاه وشرطته السياسية في حين ان حكم القتل والتعذيب في الإسلام معروف. وجريمة الافساد في الأرض حدها معروف، ولا تحتاج الى وقت لاستخراجها ما دام

الشهود حاضرين وما دامت القرائن متوافرة. ومنها أيضاً التلاعب بالقوانين. وكسب اصحاب النفوذ والثروة ما يريدون لصالحهم حتى اصبحت القوانين لا تطبق الا على الضعفاء، ويهرب منها الاقوياء، ولم يعد الناس سواء امام القانون.

٣- ويقولون: ان احكام الإسلام خشنة قاسية نظرا لحالة البداوة التي كان يعيشها المسلمون الاوائل، ولا يمكن تطبيقها في العصر الحاضر، في حين ان الغرب يقضي باعدام من يهرّب عشر جرامات من الهيروين، يحلل ذلك لنفسه درءا للفساد ولا يبيحون ذلك لغيرهم، وبالمقارنة بعقوبة الجلد ثمانين سوطا لشارب الخمر يبدو حكم الإسلام لينا للغاية، فالخمر أساس كثير من المفاسد الإجتماعية وفي نفس الوقت يحللها الغرب. وقد وضع الإسلام حدودا مثل الزاني غير المحصن او المحصن منعا للفحشاء والمنكر في حين تركها الغرب واعتبر ذلك جزءا من الحريات الفردية. ولما تهاون المسلمون وقلدوا الغرب استشرى الفساد في الأمة. لذلك طبق الإسلام حدوده في حضور عدد من المؤمنين يقولون إن في ذلك خشونة اما مجازر أميركا في فيتنام فلم يصفها احد بانها خشونة. اذا ما دافع الإسلام عن نفسه يقولون اعتداء ووحشية اما مجازر الغرب واعتداءاته على الشعوب فدفاع عن الحرية والمدنية، فيحللون لهم ما يحرمون لنا، ويحرمون علينا ما يحللون لانفسهم.

٤- وقد قيل أيضاً ان الإسلام لا يتضمن تشكيل حكومة او مؤسسات دستورية. وعلى فرض وجود بعض النظم والتشريعات فإنها تفتقر الى ما يمكن لها التنفيذ وبالتالي يبقى الإسلام في أحسن الاحوال تشريعا لا تنفيذا. والهدف من ذلك إبعاد المسلمين عن السياسة والحكم والادارة، وإقامة الحكومة الإسلامية لتنفيذ القوانين.

ولاية الفقيه لا تعني فقط تشريع الاحكام فقد كان يمكن ايداع ذلك في كتاب تشريع وكفى الله المؤمنين القتال. ولكن الحاجة الى الخليفة هي حاجة تنفيذية أساسا وليست تشريعية، فالتشريع من الله، ولا يمكن تنفيذ القانون الا بسلطة، يقوم ولي الأمر بتنفيذ القانون كما فعل الرسول والخلفاء من بعده وكما فعل عمالهم في الاعصار المتباعدة، لم يكتف الرسول ببيان الاحكام بل نفذها وطبق الحدود. ليس الرسول والخلفاء مجرد مبلغين بل مطيعين للاحكام ومنفذين للحدود. لذلك فان إقامة الحكومة الإسلامية والمؤسسات التنفيذية جزء من الإسلام.

ولكن الإستعمار اراد ان يفصل بين الدين والسياسة وان يجعل علماء الإسلام مجرد دارسين لاحكام الحيض والنفاس. وأوهم الناس ان علماء الدين غير قادرين على التدخل في شؤون السياسة، واشاعوا ذلك في برامج التعليم في حين لم يفرق الرسول ولا الخلفاء

ولا الائمة بين دين وسياسة بل إسلام كلي واحد متكامل.

أراد الإستعمار للمسلمين ذلك حتى لا يلتفتوا الا الى الدين ويتركون السياسة فيستمر الإستعمار ناهبا ثروات المسلمين. وما دام الاذان للصلوات الخمس والنفير للحج ودق الطبول لصوم رمضان لا تقلق الإستعمار فليعكف المسلمون عليها وليكثروا منها وليعضوا عليها بالنواجذ وليتباروا في بناء المساجد وإقامة الموائد وللتسابق على الحج وبالتالي يبتعدون عن التحرر من الإستعمار والعمل من اجل الاستقلال الوطني. ومادامت صلوات المسلمين لا تمنع الإستعمار من نهب اموال المسلمين او ترويج بضائع المستعمرين واستثمار رؤوس اموالهم فليكثروا منها فرضا وسنة، ولتعمل الحكومات العميلة على ذلك أيضاً فتسمح للمستثمرين الاجانب باستمرارهم في استنزاف الثروات. وتجعل التصنيع قاصرا على التجميع او الاستيراد، يكفّرون من يكشف امرهم حتى لا يؤثر في الناس ويقوض دعائم نظمهم العميلة. يقتلونه او يخرجونه او ينفونه من الأرض لانه يخلط بين العلم والسياسة وعلى هذا يكون النبي اولى بالاخراج!

٣- ضرورة تشكيل الحكومة الإسلامية

ان بداية الإسلام كحركة سياسية في مواجهة الإستعمار والصهيونية هي في ضرورة تشكيل الحكومة الإسلامية واقامة المؤسسات التنفيذية لتطبيق الاحكام كما فعل الرسول والخلفاء والائمة من بعده. اذ ان أحكام الإسلام نافذة في كل عصر، ليس فقط في عصر النبوة او الخلافة او الإمامة بل في كل عصر. فتنفيذ الاحكام يتضمن استمرارية التنفيذ في الزمان حتى في غيبة الإمام حتى ظهور المهدي المنتظر.

ان الإسلام جاء ليقيم دولة، واحكامه وضعت لاقامة مجتمع كما هو واضح في الكتاب والسنة وكما هو مفصل في كتب الفقه. ولا يمكن تنفيذ هذه الاحكام الا بواسطة حكومة مثل الاحكام المالية. فالخمس هو مصدر المال العام للدولة وليس فقط لسد حاجات الفقراء. والجزية والخراج أيضاً مصدران للمال العام وليست مجرد ضريبة ارض على المسلمين وغيرهم. وتتطلب احكام الدفاع عن اراضي المسلمين اقامة حكومة لتنظيم الجيوش واقامة الثغور. فلا قوام للإسلام الا بحكومة ولا كيان للمسلمين الا بدولة.

وبصرف النظر عن الضرورة الفلسفية العامة لاقامة الرئاسة كما بان ذلك في الفلسفة خاصة عند الفارابي في (المدينة الفاضلة) وابن سينا في نظرية النبوة وضرورتها للمجتمع. وكما بان ذلك أيضاً في الفلسفة السياسية العامة ونظريات العقد الإجتماعي والامارة و السلطة وغيرها فان تشكيل حكومة إسلامية واقامة الدولة الإسلامية يقوم على ضرورات ثلاث:

١ - ضرورة الثورة السياسية، فمنذ ثورة علي على الامويين، وثورة الائمة على العباسيين بعد ان تبدلت الخلافة وتحولت الى سلطة الاقلية الموروثة اشبه باكاسرة الفرس واباطرة الروم وفراعنة مصر لايمكن ترك الحكومات وشأنها حتى لا يتعطل نظام الإسلام. فكل نظام غير إسلامي شرك. والحاكم او السلطة فيه طاغوت. ونحن مسؤولون عن ازالة الشرك والقضاء على الطاغوت وتربية النشء على ذلك، والقضاء على الفساد في الأرض. فليس امام المسلم الا خيارات ثلاثة: اما ان يسير في ركب الطاغوت كما يفعل غالبية المسلمين من الجمهور والعلماء واما ان يتمرد عليه ويحاربه كما تفعل الاقلية من الجمهور والعلماء فيلاقوا في ذلك اشد صنوف العذاب والهوان واما ان يقلل من آثاره وهو ما يتحقق في النوايا الحسنة ولا يتحول الى فعل حقيقي وينتهي الى العزلة والسكينة والصمت وانتظار حسن الختام. ولا سبيل امام المسلمين الا الخيار الثاني من اجل العمل على هدم الانظمة الفاسدة والمفسدة، وتحطيم زمرة الخائنين والجائرين من حكام الشعوب. هذا واجب يكلف به المسلمون جميعا اينما كانوا من اجل خلق ثورة سياسية إسلامية ظافرة منتصرة.

٢- ضرورة الوحدة الإسلامية: لقد جزأ الإستعمار البلاد، وحول المسلمين الى شعوب متفرقة، وبعد ان دفن الإستعمار الخلافة تحالف الروس والانجليز لتقسيم الغنائم. صحيح ان الدولة العثمانية كانت تنقصها الكفاءة ومملوءة بالفساد. وكانت أشبه بالمملكة المطلقة وحكم الطاغين ومع ذلك خشي الإستعمار اصلاحها ونهضتها للدفاع عن المسلمين وحرمانهم الملكية فقضوا على وحدتها. ونهبوا ثرواتها، واضاعوا قوتها، ونالوا من هيبتها فقسموها بعد الحرب الاوربية (العالمية) الاولى ووضعوا على كل منها عميلا لهم. لا مفر اذن من اعادة الوحدة الإسلامية والقضاء على الإستعمار وعملائه في البلاد الإسلامية، فالثورة الإسلامية واحدة، تبدأ في إيران ولا تتوقف حتى تأتي على النظم في الدول الإسلامية كلها وتعود اليها وحدتها وهيبتها وقوتها، فيرهبها الإستعمار وتنحصر اطماع الصهيونية.

٣- ضرورة إنقاذ المظلومين والمحرومين، بعد ان استعان الإستعمار بعملائه في البلاد وتم له نهب ثرواتها والاستحواذ عليها اصبح الموضوع كالآتي: اقلية مترفة تملك كل شيء وأغلبية محرومة لا تملك شيئا.

مئات الملايين من الجياع والجهال وفي مقابلها أفراد ذوو ثراء فاحش وفساد عريض. الدول الإسلامية إذن حبلى بالثورة الإجتماعية، اذ تثور الاغلبية المحرومة ضد الأقلية المترفة. ولما كانت هذه الأقلية الحاكمة بيدها السلطة فإنها تستعمل أشنع أساليب القمع

والاضطهاد. «اما نحن فمكلفون بإنقاذ المحرومين المظلومين، نحن مأمورون باعانة المظلومين ومناوأة الظالمين، كما فعل الائمة والعلماء بعد الرسول، كيف يسوغ لنا اليوم ان نسكت عن بضعة اشخاص من المستغلين والاجانب المسيطرين بقوة السلاح، وهم قد حرموا مئات الملايين من الاستمتاع بأقل قدر من مباهج الحياة ونعمها، فواجب العلماء وجميع المسلمين ان يضعوا حدا لهذا الظلم. وان يسعوا من اجل سعادة الملايين من الناس في تحطيم الحكومات الجائرة وازالتها بتأسيس حكومة إسلامية عاملة مخلصة» مهمتنا اذن تشكيل حكومة إسلامية لتحطيم الحكام الخائنين والمفسدين واقامة الدولة الإسلامية لتحمي الحمى وتذب عن البيضة وتصون الديار.

٤- نظام الحكم الإسلامي

يتصف نظام الحكم الإسلامي بثلاث مزايا:

أ- ليست الحكومة الإسلامية حكومة مطلقة يستبد فيها رئيس الدولة برأيه عابثا باموال الناس ورقابهم بل حكومة دستورية ليس بمعناها الغربي بل بمعنى ان القائمين بالأمر يتقيدون بمجموعة من الشروط والقواعد المبينة في القرآن والسنة تفترض وجوب مراعاة النظام وتطبيق احكام الإسلام.

فالحكومة الإسلامية حكومة القانون الإلهي. الحكومة الدستورية بالمعنى الغربي، ملكية او جمهورية تقضي بأن يكون ممثلو الشعب او ممثلو الملك مصدر التشريع في حين ان الحكومة الإسلامية تعني ان الله هو المشرع. فالمجلس التشريعي في الغرب يقابل مجلس التخطيط في الإسلام الذي يعمل على تنظيم سير المصالح لا تبعا للهوى ولكن تبعا لشريعة الله.

ب - في الحكومة الإسلامية طاعة الجميع واجبة لله في حين ان الحكومة الدستورية الغربية الطاعة فيها للاغلبية بل وبالقوة اذا لزم الامر. فالحكومة الإسلامية اذن تمثل مبادئ مساواة الجميع امام مبدأ واحد في حين ان الحكومة الدستورية تعني سيادة الاغلبية على الاقلية طبقا لقانون الاقوى، وبالتالي فهي حكومة تسلطية لا يستوي فيها الجميع. فالمجالس النيابية البرلمانية في النظم الغربية مجالس مزيفة لانها تلبس ثوب الديمقراطية وتمارس شتى الوان التسلط والقهر ضد الاقلية المعارضة.

ج - الحكومة الإسلامية ليست ملكية ولا شاهنشاهية ولا امبراطورية لان الإسلام لا يفرط او يستهين بارواح الناس واموالهم. فلا توجد قصور او بلاط او ديوان او خدم او استراحات في الريف او على شواطئ البحار تبتلع ثروات البلاد. كانت حياة الرسل بسيطة

وكذلك حياة الخلفاء حتى جاء الامويون فحولوها الى ملك عضوض. واستمر الحال عند ملوك المسلمين حتى الآن. ومعظم المفاسد الإجتماعية من مفاسد الاسرة الحاكمة لان الناس على دين ملوكهم مما يسبب عجز الدولة ثم الاستدانة من أميركا وانجلترا وما يصاحب ذلك من مذلة ومهانة ولدينا النفط والثروات في باطن الأرض. بالاضافة الى اسراف الدولة في الاحتفالات ومظاهر العظمة والملك في حين ان الدولة كانت بسيطة في الإسلام وكان حاكمها يعيش كأفقر فقرائها تحت جذع نخلة وتحت رأسه خف، وعلى عكس حكام المسلمين، قياصرة كسرى واباطرة الروم وفراعنة مصر.

والحكومة الإسلامية وسيلة لتحقيق الأهداف السامية، فالحكم ليس غاية في ذاته بل وسيلة لتحقيق أهداف سياسية وإجتماعية، إن تحويل الوسيلة الى غاية يعتبر جريمة، ومن يفعل ذلك يكن مجرماً، والقيام بشؤون الدولة ليس ميزة او رخصة بل مسؤولية اقرار النظام وتنفيذ الاحكام. والإمام غير متهافت على الامارة او الرئاسة ولا هو مشغوف بها، بل ان من شروط الإمام عدم طلب الرئاسة كما يقول ابن تيمية طبقا للقول المأثور (والله لانول هذا من يطلبه). مسؤولية الفقهاء اذن القيام بالولاية، وتشكيل الحكومة لتنفيذ أمر الله. واقرار النظام العادل وطاعة الله.

الحكومة الإسلامية حكومة ملزمة بالقانون عكس حكومات اليوم التي يعيش فيها الإنسان خائفا على حياته ورزقه. يهجمون عليه وينتزعون روحه وامواله منذ معاوية حتى الآن، الإسلام ليس حكومة على الورق في كتب الفقه فهذه نهايته بل دولة وشريعة ابتداء من حكومة ملتزمة بالقانون تعطي الامان للناس على عكس حكومات اليوم، حكومات التسلط والاثرة، مصدر الخوف والرهبة.

ومع ذلك فهناك شروط للحاكم تنبع من طبيعة الحكومة، فبالاضافة الى الشروط العامة كالعقل والبلوغ وحسن التدبير هناك شرطان:

١- العلم بالقانون الإسلامي نظرا لأن الحكومة الإسلامية حكومة قانون، ولا تكفي معرفة العلوم الطبيعية والعلوم العقلية بل لابد من العلوم النقلية، وقد جرت العادة من قبل على التركيز على اهمية العلوم العقلية بالاضافة الى العلوم النقلية، فالجاهل بالقانون متبع للهوى او للتقليد. ولما استحالت معرفة جميع القوانين فانه يكفي تلك التي تنفع الحاكم في عمله وللقيام بمسؤولية الحكم. الجهل مضاد للحكم، والجاهل لا يكون حاكما للمسلمين.

ب - العمل بالعدل، لأن العدل أساس الحكم، والعدل صفة في النفس وملكة للانسان تصاحب سلامة الاعتقاد وحسن الاخلاق، وان من يتصدى لتطبيق القانون لا

يمكن ان يكون ظالما متعديا طبقا للآية الكريمة «ولا ينال عهدي الظالمون» والعدل شرط لتأدية الامانة، والحكم امانة. امانة على مصالح الناس وتنفيذ احكام الشريعة طبقا لها. وفي الكتاب الكريم ﴿**ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ان الله نِعمّا يعظكم به ان الله كان سميعا بصيرا**﴾.

ليست الامانة فقط في ردّ الاموال، وليس العدل فقط في القضاء ولكن الامانة والعدل في الحياة العامة، والسلوك اليومي ونظام الدولة.

وولاية الفقيه ولاية اعتبارية خالصة ليست محددة في شخص بعينه. هي مجموعة من الصفات يمكن ان تتوافر في كل فقيه وليس فقط في الحاكم في زمان الغيبة لأنه لا يمكن تعطيل احكام الإسلام. ولاية الفقيه وظيفة عملية سياسية يقوم بها الفقيه العالم العادل بأمر الادارة والرعاية لمصالح الناس، هي حكومة الناس، وادارة الدولة، وتنفيذ الاحكام، وليس محاباة او استمرارا للنبوة او وراثة. ولاية الفقيه أمر اعتباري خالص، صفة بلا موصوف واسم بلا مسمى، ومنصب بالتعيين، الفقيه مثل اصغر الناس، وللخلاف في الوظيفة فحسب، فالحاكم ليس له اية ميزة على المحكوم، معنى الولاية ان تكون الاحكام نافذة في الجميع لادارة شؤون البلاد.

والولاية الحالية موجودة لدى الفقيه، والفقيه قادر على القيام بها، ولكن الولاية على الفقهاء الآخرين لا تكون عليهم بحيث يستطيع عزلهم او حبسهم لان الفقهاء في الولاية متساوون من ناحية الأهلية. وكل فقيه يعترف بأهلية الآخر للولاية دون تنافس او حقد.

يعمل الفقهاء ذراري او مجتمعين من اجل اقامة حكومة شرعية لاقامة الحدود والدفاع عن الثغور، واقرار النظام، فان كانت الاهلية محصورة في فقيه واحد كانت واجبا عينيا عليه وان كانت شائعة وعامة الفقهاء جميعا كانت واجبا كفائيا.

وفي حالة تشكيل حكومة لا تسقط الولاية بل على الفقيه ان يقوم بولايته بأخذ الخمس والخراج لانفاقه في مصالح المسلمين واقامة حدود الله ان استطاع. ولا يعني العجز الوقتي عن تطبيق الاحكام التخلي عند تنفيذها اذا ما توفرت القدرة والاستطاعة واذا ما حانت الظروف.

والفقهاء أمناء الرسل من حيث مسؤوليتهم في تنفيذ الاحكام. فأهداف الرسالات ليس فقط بيان وتوضيح الاحكام بل تنفيذها واقامة العدل والقسط بين الناس. وذلك لا يتم الا بالحكومة في شخص النبي او الرسول ثم في الائمة من بعدهم ثم في الفقهاء والعلماء. ليس المقصود بالرسالة الابلاغ فحسب بل التنفيذ، وطاعة الرسل لا تعني السماع

والتصديق للرسول. الرسول ولي المؤمنين يتلوه الإمام ثم الفقيه. الفقهاء أمناء الرسل في قيادة الجيوش، وادارة المجتمع. والدفاع عن الأمة، والقضاء بين الناس، يناط بهم مهمة القضاء، فالقضاء من شؤون الفقيه العادل ولا يتولى منصب القضاء الا نبي او وصي نبي او شقي. وبعد النبي وبمقاومة الشقي لا يبقى الا وصي للنبي وهو الإمام. الفقهاء هم المرجع في حوادث الحياة. وهم القادرون على حل المشكلات الإجتماعية المعاصرة وتطورات حياة الناس. الفقهاء اليوم هم الحجة على الناس كما كان الرسول حجة عليهم، وكما كان يناط بالنبي فقد اناطه الائمة بالفقهاء. ليست الخلافة منصب الافتاء فقط بل الولاية والحكومة فالائمة خلفاء الرسول، والفقهاء العدول خلفاء الائمة، علماء الإسلام هم مرجع الامور، منصوبون للحكم، ولا يعزل العلماء عن منصب الحكام بوفاة الامام بل منصب العلماء محفوظ دائما، فالإمام لا يسهو ولا يغفل، والعلماء لا يتهاونون في اداء مهمتهم، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي تعني في عصرنا رد المظالم، اخذ حقوق الفقراء من الاغنياء وتحرير المضطهدين من التسلط والطغيان وليس الغرض من التقية حفظ النفس بل حفظ المذهب من الاندراس، فالولاية قائمة ولا يمكن للفقيه ان يغيب او يعتزل، «اذا اعتزل الفقيه الناس في امورهم، وقبع في زاوية من داره، ولم يحافظ على قوانين الإسلام، ولم ينشرها، ولم يعمل في اصلاح شؤون المجتمع، ولم يهتم بالمسلمين فهل يمكن اعتباره حصنا للإسلام او سورا له؟» وظيفة الفقيه اقامة الحدود، والدفاع عن الثغور، وجمع حقوق الفقراء من اموال الاغنياء، «نقرأ القرآن لنتغنى به، ونترك الواقع الإجتماعي الفاسد وانتشار الظلم والطغيان» ولا يمكن الانتظار حتى ظهور الحجة فمقاومة الظلم لا تنتظر الحجة كالصلاة، يقول الخائفون، كلما كثرت الفواحش ظهر الحجة، والحقيقة انه كلما كثرت الفواحش دعا ذلك الفقيه الى القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

والفقهاء أمناء الرسل بمعنى انهم الولاة على الشرع وحماة الإسلام ضد جور الحكام وطغيان السلاطين طبقا لحديث «الفقهاء أمناء الرسل ما لم يدخلوا في الدنيا. قيل يا رسول الله: وما دخولهم في الدنيا؟ قال: اتباع السلطان، فاذا فعلوا ذلك فاحذروهم على دينكم».

الفقهاء حكام على الملوك. واذا كان السلاطين على جانب من التدين فما عليهم الا ان يصدروا في اعمالهم واحكامهم عن الفقهاء، وفي هذه الحالة فالحكام الحقيقيون هم الفقهاء، ويكون السلاطين مجرد عمال لهم.

ولكن فقهاء اليوم وفي مقدمتهم علماء الحديث يروجون الاحاديث التي تروج للحكام

الطغاة والسلاطين الجائرين، ويفترون على الفقهاء المناهضين للظلم والطغيان، ولعل راوية لا يمتنع ان يروي آلاف الاحاديث في فضل الحكام الجائرين وحسن سلوكهم عن طريق اعوان الظلمة وعلماء البلاط تمجيدا بالسلاطين وتزكية لاعمالهم» ومثل هذا واقع الآن.

المؤمنون الفقهاء حصون الإسلام في مواجهة اعتداء السلاطين على حرمات الأمة. وقد أمر الله موسى بمعارضة فرعون كما يقول القرآن الكريم. وأمر الفقهاء والعلماء بمحاربة الملوك الظالمين ومقاومتهم كما يقول الحديث الشريف. اما علماء اليوم المزيفون فانهم يضيعون حقوق الضعفاء، ولم يطالبوا بحقوق الفقراء، ولم يبذلوا المال ولا خاطروا بالنفس، ولا عادوا عشيرة في الله. ولا يفزعون لنقض عهود الله. ولا يفزعون لذمم الاباء ويهملون المحتاجين، ويداهنون الظلمة، ولا يصبرون على الاذى، ويأكلون الزور. ويسكتون على اعمال الجور والظلم «لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الآثم واكلهم السحت. لبئس ما كانوا يصنعون».

ان تقاعس العلماء أشد ضررا على الأمة من تقاعس غيرهم لأن العلماء حصون الأمة. ويقع البلاء من العلماء بقول الاثم واكل السحت، والإثم اليوم هو معاونة السلاطين وتأييد حكام الجور، والسحت هو نهب ثروات الشعوب.

ان المعاهدات والاتفاقيات المعقودة بين الحكام الخائنين مع الدول او الشركات الاجنبية لتنصب في جيوب الحكام ملايين كثيرة، واخرى مثلها في جيوب الاجانب دون ان يحصل ابناء الشعب على حقهم في ثروات بلادهم. يحدث ذلك من شركات النفط واستثمار الغابات والموارد الطبيعية، والشركات العمرانية وشراء الاسلحة من الإستعمار الغربي او الشرقي. ويكاد الريف يموت جوعا وفقرا وبؤسا، فلا يكاد يوجد في كل مائة قرية او مائتين مصح او مستشفى في حين ان الإسلام قد حل مشكلة الفقراء باسترداد اموالهم من الاغنياء. مهمة العلماء محاسبة حكام الجور وكل حكومة منحرفة عن تعاليم الإسلام، يأخذونهم بما كانوا يكسبون، ويحاسبونهم على اموال المسلمين فيم انفقوها، ويحاسبونهم على ما بددوه من الاموال في حفلات التتويج ومظاهر البذخ والترف والنعيم من اجل الشهرة والصيت.

ان الفساق هم القضاة الذين ينصّبهم ولاة الأمر لتبرير اعمالهم في الجور والظلم، ولكن الإسلام قد حرم التحاكم الى حكام الجور. وبالتالي تكون مهمة المسلمين ترك مراجعة السلطات الجائرة واجهزتها القضائية حتى تتعطل أدوارهم اذا هجرها الناس ويفتح السبل امام الائمة الى العصيان المدني. وتكون مهمة العلماء التكاتف معا للوقوف امام اهل

الطغيان يدا واحدة، واصدار الفتاوى دفاعا عن مصالح الناس واستردادا لحقوقهم كما فعل المرحوم الميرزا الشيرازي بفتواه الشهيرة بتحريم التنباك، عملا بولاية الفقيه، كما افتى المرحوم الميرزا محمد تقي الشيرازي باعلان الجهاد.

٥ - سبيل النضال من اجل تشكيل حكومة إسلامية:

ولا يكفي التأكيد على ضرورة الحكومة الإسلامية وبيان خصائص الحكم الإسلامي بل ان تشكيل هذه الحكومة واقامة هذا النظام جزء منها، ولتحقيق ذلك يورد الإمام الخميني عدة سبل للنضال نوجزها في ست:

أ- توعية الناس بمخاطر الإستعمار والصهيونية ومحاولاتها المقصودة لتشويه الإسلام، اذ تتعاون كل قوى الإستعمار وعلمائه من الحكام الخونة والصهيونية المادية الملحدة على تحريف الإسلام وتشويهه. كما يتعاون المستشرقون مع المؤسسات الإستعمارية على تحريف حقائق الإسلام وتضليل الشباب وتنصيرهم او تهويدهم وافسادهم لنبذ الدين والوقوع في اللامبالاة التامة. فكثرت مراكز التبشير الكنسي والصهيوني والبهائي في العالم الإسلامي تحت أعين المسلمين وبصرهم.

لابد اذن من توعية الناس لدحض هذه الافتراءات وتوضيح الإسلام وتقريب احكامه الى الافهام. واعطاء النماذج من الحكومة الإسلامية الاولى حيث ساوى الحاكم المحكوم في السلطة وفي المال.

ان أول شرط لثورة الجماهير هو فكها من عقالها، وعقالها تزييف وعيها وتشويه ثقافتها واغترابها عن تراثها وحضارتها، فالجماهير الإسلامية لا تتحرك الا بالعقائد، والعقائد افكار لم تستنر بعد ولم تدرك بعد ادراكا عقليا او ادراكا حسّيا ولم تتحول بعد البواعث للسلوك وغايات للتحقيق.

ب - الإجتماع من اجل نشر المبادئ، وما اسهل ذلك في الإسلام، فالهدف من العبادات هو تحقيق خدمات إجتماعية وسياسية مثل صلاة الجماعة. تنفق الدول غير الإسلامية الملايين لعمل مثل هذه الإجتماعات. وهي موجودة لدينا في الجمع والاعياد والحج. ويجتمع المسلمون لدينهم ولكن للاسف لا يستفيدون من هذا الجمع نظرا لان الإمام مغترب عن واقعه، لا يعلم الا احكام الحيض والنفاس، او مشترى من اولي الأمر او يخشاهم ويرهبهم، وبالتالي تضيع على المسلمين فرصة الإجتماع لتدارس شؤونهم وحل مشاكلهم وتحرير اراضيهم في فلسطين وغيرها. ليس الهدف من الخطب هو التذكير بالوعد والوعيد والترغيب والترهيب والجنة والنار والدعاء والابتهالات من القعدة

والعاجزين بل دعوة الى الجهاد واخذ حقوق الفقراء من الاغنياء، وتقوية المستضعفين ومواجهة الصهيونية والإستعمار، فالجامع حزب، والصلاة خلية، والإمام مرشد للشعب، والدين سياسة.

ان يوم عاشوراء ليس يوما للحزن والبكاء بل يوم لحث الجماهير المظلومة على الكفاح، فالناس ناقمة والعالم حصن الإسلام، مصائب المسلمين اليوم ليست في احداث تاريخية مضت، مقتل امام او استشهاد فقيه بل هي مصائب البؤس والفقر والقهر والتسلط. ان يوم عاشوراء هو يوم تفجير الغضب لدى الجاهير واعلان الجهاد وبداية التحرر والاستعداد للتضحية والفداء.

جـ - المقاومة على الامد الطويل كما هو الحال في المذهب الشيعي الذي لم يتوقف عن نضال الظلم والطغيان منذ مقتل علي واستشهاد الحسين. سيد الشهداء، وذلك لا يحدث في يوم وليلة. فالعبرة بالبداية وحتما ستأتي النهاية. فالتخطيط للثورة ضرورة حتى تتوالى خطواتها، ولا عبرة بتقية، فقد يتم التخطيط في السجون والمعتقلات.

ان الثورة مهمة عدة اجيال وليست من عمل جيل واحد. فثورة الدين قام بها الانبياء، وثورة الشيعة قام بها الائمة وقد تحقق ذلك في الثورة الإسلامية الكبرى بإيران والتخطيط للثورة في مرحلتها الاخيرة منذ الانقلاب العسكري ضد مصدق في ١٩٥٤ حتى انتصارها اخيرا في ١٩٧٩ بعد ربع قرن من الزمان.

د - اصلاح الهيئات وتطهير المراكز الدينية وذلك لان قادة الثورة هم رجال الدين، فهم من الشعب، ويعيشون وسط الجماهير في الاسواق، تثق بهم الناس وتعطيهم بشرط اهلية العلماء والفقهاء الى هذه المهمة وتقدرهم على تحقيق المسؤولية، وذلك يستلزم ضرورة تكامل نشاطهم التعليمي ومعرفتهم بالمعقول والمنقول والمعاش والاعتماد على النفس والثقة بها، وتجنيد الجماهير وتطهير نفوسهم من براثن الإستعمار وزيف الصهيونية، وبالتالي وجب أيضاً تخليص المراكز الدينية من فقهاء السلاطين واعوان الحكام الجائرين واسقاط التقية، فلا تقية في ظلم او طغيان والا كانت خوفا ورهبة من السلطان او وهنا وضعفا من الفقيه.

كما وجب طرد فقهاء السلاطين الذين باعوا دينهم بدنياهم وتعريتهم وفضح اعمالهم. ويأمر الإمام الخميني «اطردوا فقهاء السلاطين» فهم ليسوا بفقهاء بل البستهم دوائر الامن والاستخبارات العمائم. وقد ورد في الحديث «فاخشوهم على دينكم» كما وجب اصلاح المتقدسين او كما نقول اصلاح الصوفية الذين يوهمون الشعب ويخدعونه

بالافكار البلهاء وبالخزعبلات التي يود الأعداء نشرها بينهم. فالمتقدسون اعداء الأمة من الداخل كما ان المستعمرين والصهاينة اعداؤها من الخارج. يدعون الى الكسل والتخاذل، ويغرقون انفسهم في المواجد والاذكار، والخطر الصهيوني والانكلوامريكي يمد الكيان الاسرائيلي بمقومات الحياة. هم أقرب الى النصارى في بحثهم في الاقانيم والتثليث منهم الى المسلمين الذين يضيئون أنفسهم بنور العقل.

هـ - إزالة آثار العدوان الإستعماري الفكري والخلقي، وهو ما علق بنفوس المسلمين وعقولهم وتراكم عدة اجيال. فمنذ بداية الإستعمار الغربي على العالم الإسلامي . وهو ما سموه بالكشوف الجغرافية لتحويط العالم الإسلامي من خارجه بعد فشل غزواتهم له من الداخل اثناء الحروب الصليبية . واجهزة التربية والجمعيات العلمية تبث في المسلمين السموم. وتحول الإستعمار العسكري والإقتصادي الى إستعمار ثقافي وحضاري. فنشأ من بين المسلمين فريق مستغرب مقلد يأخذ بحضارة الغرب، ونشأ لدى فريق آخر من المسلمين احساس بالنقص والصغر بالنسبة للغرب فتكاسل وتخاذل. والحقيقة ان حضارة الغرب ما هي الا تراكم حضاري إسلامي. فالإسلام دين الحرية والاستقلال، ورسالة الجهاد والحق والعدل، وكل ما يشد المسلمين في الغرب على مستوى المبادئ، لا الوقائع موجود في الإسلام من علم وعقل وحرية ومساواة، ويوجه الخميني رسالته الى شباب الإسلام القادر على التخلص من الاغتراب الحضاري ونبذ الكسل والخمول، وحثه على تحمل مسؤولياته والا يستجيب لمقولة الإستعمار وعملائه بفصل الدين عن السياسة.

و - تدمير الحكومات الجائرة، وذلك لاقامة الحكومة الإسلامية العادلة. ويتم ذلك «بمقاطعة المؤسسات التابعة للحكومات الجائرة» وترك التعاون معها، والابتعاد عن كل عمل يعود نفعه عليهم، وتأسيس مؤسسات قضائية ومالية وإقتصادية ثقافية وسياسية جديدة.

ان محاربة الطاغوت واجب إسلامي، ومقاومة سلاطين الجور أمر الهي. لم يقم الائمة بذلك وحدهم بل تابعهم الفقهاء والعلماء وانضم اليهم الطلاب والاساتذة من شباب الجامعات «فالجامعيون اشد الناس عداوة للتسلط والعمالة والخيانة وعمليات نهب الخيرات والثروات واكل السحت وسيجدون في الإسلام ما يستميلهم الى جانبه». وعلى هذا النحو تقوم الوحدة بين العلماء بين رجال الدين ورجال العلم. بين الائمة والعلماء، بين الفقهاء والاساتذة، فالثورة الإسلامية هي ثورة العقل والعلم ضد حكومة الجهل والطاغوت. العلماء ورثة الانبياء، والائمة امناء الرسل، والفقهاء حصون الأمة.

٦- تطوير واستكمال:

ان الثورة الإسلامية الكبرى في إيران ليست ثورة المذهب الشيعي ولكنها ثورة الإسلام الذي لا يفرق بين شيعي وسني، هذه التفرقة التي لعب عليها الإستعمار والصهيونية ففرقت المسلمين وغرزت بينهم الاحقاد على مر السنين. فالإمام الخميني مثل الافغاني. يقود ثورة إسلامية تتجاوز حدود المذاهب والاختلافات المذهبية، وتعود الى ثورية الإسلام الاولى والكامنة في اصوله في القرآن والحديث. وكتاب «الحكومة الإسلامية» لا يبدو فيه المذهب الشيعي المتوارث والمعروض في كتب العقائد السنية من قول بالوهية الإمام وعصمته وتقيته وتعيينه وطاعته بل يعرض الحكومة الإسلامية للمسلمين بصرف النظر عن مذهبهم. فلا فرق بين الشيعة والسنة في العصر الحاضر في ضرورة الحكومة الإسلامية في مواجهة الإستعمار والصهيونية ونهب ثروات المسلمين والحكام الجائرين. فولاية الفقيه ولاية اعتبارية لا تنطبق على احد بعينه، باسمه او برسمه وهي وظيفة سياسية يقوم بها الفقيه العالم العدل وليس فقيه السلطان، لا يشترط فيه التعيين او العصمة. وليس الها ولا تحل فيه روح الائمة. لم يرث علما ولا يورث علما الهيا لا يعلمه احد. الائمة خلفاء الرسل بعلمهم وفقههم وامرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر فهم فقهاء مثل باقي الفقهاء، امناء الرسل وحصون الأمة.

ولاية الفقيه مهمة عملية لا نظرية، لتنفيذ الاحكام أساسا وليس فقط لبيانها واستنباطها من الاصول. فولاية الفقيه تجمع بين الخليفة والإمام في استنباط الاحكام وتنفيذها. لا شيء خفي لا يعلمه احد بل ان الإمام يقسم بان جميع ما يحتاج اليه الناس موجود ولا يصح انتظار عودة الإمام المنتظر حتى يقوم الشرع وتنفذ الاحكام. ولا تقية حين يعم البؤس والفقر. فاولو الأمر منها في الآية المشهورة «وأطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الأمر منكم» ليسوا هم حكام الجور ولا الائمة الغائبون بل هم الفقهاء الذين يقومون بولايتهم في العصر الحاضر فقهاء الأمة وحصونها لا فقهاء السلطان وتابعيه.

الثورة الإسلامية في إيران ثورة المسلمين جميعا داخل إيران وخارجه لا ثورة شيعة دون سنة، لا ثورة الإمامية دون الاخوان بالرغم من تشويه اجهزة الاعلام لها وحصرها من اجل حصارها ومنع انتشارها.

ومع ذلك يمكن استدراك بعض الأمور «في الحكومة الإسلامية» منهجا وتطبيقا من اجل تطويرها واستكمالها تأكيدا لتعاون الفقهاء فيما بينهم والاسترشاد المتبادل بينهم.

أ - بالرغم من اعتماد الإمام الخميني على المعقول الا انه اعتمد كثيرا على المنقول

وبالرغم من دخوله مباشرة في مآسي العصر الأساسية، الإستعمار والصهيونية والطغيان والفقر الا انه يعتمد في تبرير الحكومة الإسلامية وضرورتها وفي تأسيس النظم الإسلامية على الرواية. والمنهج النصي له عيوب كثيرة منها : الرجوع الى الخلافات القديمة بين السنة والشيعة في تضعيف الروايات ووضع الاحاديث وتعارضها والترجيح بينها وتضييع المشكلة الرئيسية في الخلافات بين الرواة تعديلا او تجريحا. ومنها أيضاً اضعاف المعقول الذي يقبله كل الناس من جميع المذاهب والذي لا يمكن الخلاف حوله خاصة اذا علمنا ان العقل أساس النقل عند السنة والشيعة. فضرورة تشكيل الحكومة الإسلامية لا تحتاج الى الاعتماد على الاحاديث كما ان ولاية الفقيه لا يحتاج اثباتها الى الاعتماد على الاحاديث وكلاهما ثابت بالقرآن حتى لا يأتي احد فيضعف الاحاديث او يشكك فيها.

ب - بالرغم من ان ولاية الفقيه أمر وضعي وان الشريعة الإسلامية كلها شريعة وضعية اذ انها تقوم على المحافظة على الضروريات الخمس: الدين، والحياة، والعقل، والعرض، والمال، وبالرغم من مواجهة الفقيه لمشاكل العصر الأساسية وهي مشاكل إجتماعية وسياسية وإقتصادية الا ان الحكومة الإسلامية لم تخل من بعض الجوانب الميتافيزيقية التي قد لا يؤمن بها كل الناس، وبالتالي أرست مراراً بعض الجوانب من المذهب الشيعي الفلسفي القديم. فولاية الفقيه بالرغم من انها اعتبارية أي وظيفة سياسية عملية الا انها أيضاً ولاية تكوينية اي لها أساس نظري ميتافيزيقي خالص. فالخلافة التكوينية تخضع لولاياتها جميع ذرات الكون، لا يبلغ مقام الإمام ملك مقرب ولا نبي مرسل. كان الرسول والائمة قبل العالم أنواراً محدقين بالعرش(*). هنا تبدو ولاية الفقيه اسطورة اكثر منها نظاما سياسيا وضعيا بالرغم من تأكيد الإمام الخميني ان ولاية الفقيه

(*) هامش المعد: تبدو في هذه النقطة ملاحظة مهمة لابد من توضيحها لابقاء البحث في دائرته الاهم وهو محور ولاية الفقيه او (الحكومة الإسلامية). ولاشك ان هذه الملاحظة لن تقلل من قيمة البحث واهمية الموضوع وجهد الكاتب الكريم، بل ستساعد على تمركز النظر في فقراته العملية وموضوعاته المستجدة. فولاية الفقيه، المقصودة في مبحث الحكومة، والتي هي حاجة إنسانية مباشرة وفق هوية الأمة التي تنتمي اليها؛ اطروحة فكرية سياسية حول الحكومة الإسلامية وكيفية ادارة شؤون البلاد ورعاية مصالح العباد. ولا دخل لهذه النظرية ولا ارتباط لها بالعوالم الميتافيزيقية الا بمقدار ارتباط الإنسان العام بعالم الغيب.

ولهذا فلا اثر للبحث في موضوع الولاية التكوينية او مقامات الائمة في تحديد الموضوع السياسي للنظرية، فولاية الفقيه ليست ولاية تكوينية ولا امتداد لها، حيث يجمع الفقهاء ومنهم الإمام الخميني، على ان المقامات الخاصة للائمة - بعد الاتفاق على حدودها - هي خاصة بالائمة (عليهم السلام) وحدهم، ولا تنتقل الى نوابهم من الفقهاء والعلماء، أما المقام الذي ينتقل حتما والذي يعطي للفقيه ولايته، فهو القيادة السياسية وفق الشرع الإسلامي، والاشراف على شؤون الحكومة، ومنع الانحرافات المحتملة في المسيرة وفق نظام محدد يرسمه الدستور الدائم.

فالفقيه ليس هو الإمام المعصوم ولا تحل فيه روح الإمام، واي منهما ليس إلها. كما لا تحل روح الاله في الائمة ولا في اي عبد من عباد الله، وليس للفقيه علم خاص بل هو طالب علم يسلك الطريق الطبيعي لذلك، وبمقدار جهده ومجاهدته يحصل على العلم الشرعي الذي يؤهله للفقاهة. وقد ورد في الاثر المشهود «الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، خليفة الله في ارضه، وخليفة رسوله وخليفة كتابه» والخلاصة كما قالها الكاتب الكريم نفسه: «ولاية الفقيه مهمة عملية لا نظرية، لتنفيذ الاحكام أساسا وليس فقط لبيانها واستنباطها من الاصول».

«فكرة علمية واضحة قد لا تحتاج الى برهان».

ج - يركز الإمام الخميني على الحكومة الإسلامية اكثر من تركيزه على النظم الإسلامية او الشعوب الإسلامية اي انه يركز على القمة اكثر من تركيزه على القاعدة. فالتغيير الإجتماعي يبدأ بتغيير السلطة السياسية في البلاد وليس قبلها. هذا المنهج الانقلابي الذي ساد العالم الإسلامي منذ الافغاني حتى سيد قطب أدى الى حركات إسلامية قوية ولاشك انتهت بصدامها مع السلطة القائمة فتراجعت وخسرت الدعوة الإسلامية عدة اجيال، فلولا الإمام لتحول الناس الى وحوش ضارية ولتعدوا على حدود الله، ولسعوا وراء اللذة الشخصية ونشروا الفساد في الأرض وهضموا حقوق الضعفاء، فالإمام يمنع الظلم والتجاوز والفساد، ويتحمل الامانة، ويهدي الناس الى صراط الحق، ويبطل بدع الملحدين والمعاندين، يمنع الفساد في الأرض ويحمي المسلمين من نفوذ الأعداء وتدخلهم في شؤونهم. فكأن الطبيعة البشرية شر، والناس اشرار بطبيعتهم وفي حاجة الى امام او امير يكبح جماحهم ويجمعهم على الخير، وهي نظرية شبيهة بنظريات سياسية مشابهة في الغرب. فالتحول الإجتماعي لا يتم الا من خلال السلطة السياسية، وهو ما حدث في ثوراتنا العربية الاخيرة او ان الاولوية للسياسة كما حدث في الثورة الصينية. وقد يكون من الاجدى التركيز على دور تنوير الشعوب الإسلامية وتوعيتها بحقوقها وهو شرط قيام الحكومة الإسلامية والسبيل الى النضال من اجلها.

د - ما زالت النظرية السائدة في الإسلام السياسي هي نظرية الحاكمية لله عند المودودي وسيد قطب. وهي نظرية لها فائدتها من الناحية السلبية فحسب وهي انتزاع الحاكمية من البشر ولكن تنقصها بعض الجوانب الايجابية في السنن الوضعية للحكم أي البناء الإجتماعي والإقتصادي. صحيح ان الإمام الخميني يركز على الثورة السياسية ثورة الجماهير ضد الطغيان في الحكم والثورة الإجتماعية، ثورة الفقراء ضد الاغنياء ولكنه لم يعط نظريات تفصيلية عن البناء الإجتماعي، والتركيب الطبقي، وملكية وسائل الانتاج، وسياسة الاجور، وعلاقة الفلاح بالأرض، والعامل بالمصنع الا من خلال بعض النظريات الشرعية مثل تحريم الربا واقامة بنوك بلا فوائد وبعض القرارات الوطنية العامة مثل تأميم البنوك وشركات التأمين. كما يغيب الاحصاء والبيانات عن توزيع الثروة في المجتمع الإسلامي بإيران او المجتمع الإسلامي العام حتى تكون لدى الجماهير والحكومات صورة دقيقة لواقع العالم الإسلامي. فالحاكمية اذن في حاجة الى تطوير واعادة صياغة كنظرية إجتماعة وإقتصادية لمجتمع إسلامي معين للامة الإسلامية كلها حتى تتحول من الشعار الى التطبيق.

هـ - بالرغم من حديث الإمام الخميني عن الثورة ضد الطغيان السياسي والطغيان الإجتماعي، والتركيز على ثورة المضطهدين وثورة الجياع الا ان النظرة الاخلاقية التقليدية لم تختف تماما. فنحن اقوياء بروحنا واخلاقنا والغرب تعيس شقي لضياع روحه وانحلال اخلاقياته. مقياس بعدنا عن الإسلام هو مقدار ما يتفشى فينا من فحش وفجور وخمر وزنا واقترابنا من الصلاة والصيام، وكان الإسلام السياسي ما زال قائما على الإسلام الاخلاقي وليس على برنامج سياسي ونظريات في الإقتصاد والسياسة والإجتماع.

ولقد ظهر ذلك إبّان الثورة الإيرانية في إصدار قرارات بشأن الحجاب، والنوادي الليلية، وشرب الخمور، وارتكاب الزنا، وتقديم العاهرات الى المحاكمة والحكم عليهن بالاعدام، وما زالت مشاكل الفقر والبطالة وتأميم النفط وحقوق القوميات داخل الأمة الإسلامية وتحرير فلسطين.

وبالرغم من أهمية التأكيد على الهوية الإسلامية ورفض ذوبان الشخصية الإسلامية ونقد (الاستغراب) إلا ان رفض كل ما هو غربي مثل النظم البرلمانية والمجالس النيابية والاتجاهات الديمقراطية والحركات الليبرالية تجعل الثورة الإسلامية تنتقل من الفعل الى رد الفعل من الإستعمار الى معاداة كل ما هو غربي، في حين ان العقلانية والعلمانية، والعلمية، والديمقراطية والطبيعية والإنسانية والتقدمية كلها اتجاهات إسلامية اذا ما اعيد بناؤها وتوسيعها خارج النطاق المحلي الاوربي وارجاعها الى مصادرها الإسلامية الاولى التي اخذ منها الغرب في العصر الوسيط وفي عصور الاصلاح الديني والنهضة والعصور الحديثة، وبالتالي يمكن التلاحم مع الثورة في كل زمان سواء في الفكر والثقافة او الواقع المحلي، ثورة العقل في الغرب، وثورة القساوسة في أميركا اللاتينية.

أضواء على سيرة وفقاهة الإمام الخميني

المرحوم الدكتور ابراهيم الدسوفي شتا

لم يكن آية الله الخميني (قدس) مجرد زعيم او قائد ظهر في مرحلة من مراحل تاريخ إيران، وقاد فيها ثورة جذرية اشبه بالمعجزة، وطرح فكرا جامعا وحديثا قائما على التيار الحي في الجماهير وهو الإسلام. كان آية الله الخميني ظاهرة، وليس معنى الظاهرة ما يقصد بها في علم النقد الحديث، أي الشيء المنبت عن بيئته المؤقت بزمن معين وبيئة معينة، بل المقصود هنا انه كان نسيج وحدة من كل الزعماء الذين قادوا الثورات في العصر الحديث.

الواقع انه مهما قيل عن دور الإمام في نجاح الثورة الإسلامية فلن يوفيه حقه. ان ظاهرة الخميني قد منحت أملا للشعوب المستضعفة، فعندما يشتد الظلام ويسرع كل انسان الى جحره يحمد الله على عافية وقتية، ويسود الضعف والتسيب والتواكل والفردية أمة ما، يمكن ان يحركها رمز، اجل مجرد رمز، وأي رمز أبلغ في أمة إسلامية من إمام ديني يقف وحيدا في وجه الطوفان. يتعرض للسجن والنفي والتهديد وفقد الولد في ظروف مريبة ثم لا تلين قناته ولا يحنى هامته.

كانت مجرد وقفته كالجبل الاشم لوما وتعذيبا وفضحا للخائفين الذين يأكلون خبزهم بالمذلة، وكان قادرا على تقبل كل التيارات، وعلى الصفح حتى عن من تعاونوا مع

(*) الرئيس السابق لقسم الدراسات الشرقية في جامعة القاهرة / واستاذ اللغة الفارسية في كلياتها.

(*) تعليق المعدّ: هذه الدراسة القيمة تعد آخر ما قدمه الباحث المصري المغفور له الدكتور ابراهيم الدسوقي شتا عن شخصية الإمام الخميني(قدس سره) وذلك في المؤتمر الدولي الذي اقامته سفارة الجمهورية الإسلامية الإيرانية في سورية والذي انعقد في مكتبة الاسد بدمشق في الفترة ٦-٧ / ٨/ ١٩٩٧ تحت عنوان (الثورة الإسلامية والمشروع الحضاري للامام الخميني). ويبدو ان الظروف الصحية للباحث لم تتح له المجيء الى دمشق والمشاركة في المؤتمر آنذاك.

ونظرا للقيمة العلمية لهذا البحث وتكريما لدور صاحبه الكبير في تبيان فكر الثورة الإسلامية ورجالاتها بشكل سليم، ومساهماته الجليلة في ترويج وترجمة الثقافة الإيرانية في الجامعات المصرية، فقد احسسنا ان من الواجب ان تكون لمساهمة هذا الأستاذ المؤمن (رحمه الله) مكانها المناسب في هذا الكتاب والله من وراء القصد.

النظام في مرحلة من المراحل في سبيل الهدف الاسمى والاعظم الذي كرس له حياته وهو اعادة إيران الى حظيرة الإسلام.

وكنت بعد نجاح الثورة، أُكبر ان يكون نجاحها قد قام على أكتاف فرد، الا ان دراستي للمعارضة الإيرانية وحجمها قبيل الثورة، واكتشافي ان المعارضة الجماعية للشعب لم تكن منظمة ولم تمتلك حزبا قويا او جبهة تحرير قوية، قد طرح على الفور اهمية دراسة دور آية الله الخميني في نجاح الثورة، فمهما كان اهتراء نظام او فساده، الا ان النظم المهترئة لا تسقط وحدها، ولا تنهار دون ان يساعد عامل او عدة عوامل في انهيارها، وكانت كل هذه العوامل موجودة داخل إيران، داخل البنية الإجتماعية والإقتصادية والسياسية، وكانت مكبوتة في قلوب الجماهير الصامدة الصابرة، وكان الذي نقلها من القوة الى الفعل، ومن القلوب الى المجتمع هو آية الله الخميني(قدس).

ولو كان الإمام الخميني سياسيا عظيما محترفا او قائدا عسكريا او ثوريا ناريا محترفا، فلا مجال هناك للعجب. العجيب في الأمر انه كان شيخا كبيرا ورجل دين هدته السنون، أخذ يقاتل وحيدا أعتى الحكومات وأكثرها عنهجية وغلظة وتسلطا طيلة خمس عشرة سنة دون ان تلين له قناة وعن طريق الكلمة، ولم تكن كلماته بالبليغة او النارية لكنه نفخ فيها من روحه العظيمة، والقاها في قلوب الملايين من شعبه، وبعث فيهم الامل، فكأنه اسرافيل نفخ في الصور، فاذا بأبناء شعبه من الأجداث قد قاموا سراعا ينسلون.

وفي القرن الحالي، عصر المؤسسات العسكرية العظمى حيث لا أمل في تغيير الا عن طريق الجيش، كان الإمام يعمل وحيدا، وكان العامل الذي يميز شخصيته هو صموده ونقاؤه وحسمه في مواجهة الظلم دون اي نوع من المهادنة والتراجع والرضا بانصاف الحلول، وبقدر من التحمل الشديد للشدائد والمظالم والمصائب والآلام التي تصل الى حد الاستعداد للشهادة وبذل الروح، ومن هنا لقب في إيران بالشهيد الحي، لم يهن عزمه يوما او ساعة او لحظة من خلال المواقف العديدة التي وقفها في مراحل كفاحه. كان يدرك انه ان وهن لحظة او تفاهم او تقهقر خطوة، فسوف يفقد الظهير القوي: التأييد الشعبي، او على حد تعبيره هو نفسه، يكون قد انزل الايدي المرفوعة عاليا وارتكب الخيانة العظمى. ومن هنا صار عالم الدين المنفي في فترة تقل عن اربعة شهور مثالا للصمود ومظهرا للنضال والمقاومة، ثم الزعيم الشمولي السياسي والديني للثورة بلا منازع.

ومن أهم أبعاد شخصية الإمام انه عالم دين ومرجع تقليد أي واجب الطاعة، ومن ثم ففتاويه وتوجيهاته أوامر، وتصرفاته مجال تأسٍّ واقتداء، والبنية التحتية للشعب الإيراني بنية

دينية، وأن يكون عالم دين على رأس الثورة ليس بالأمر الهين في المجتمع الإيراني، فالإمام لم يكن في يوم من الايام قابعا في مقره الديني، بل كان من اوائل المشايخ في العصر الحديث الذين استطاعوا ان يكشفوا النقاب عن الوجه السياسي التقدمي للإسلام، وجعل قضايا الدين المطروحة من القضايا التي تهم الفرد العادي في حياته اليومية، فمؤلفاته عن العبادات قليلة وميدان علمه الرئيسي التشريع، ولاشك ان هذا التنسيق العظيم بين الزعامة السياسية والزعامة الدينية وجمعهما في شخصية واحدة، كان له اقوى الاثر في نجاح الثورة، فان وجه الإسلام الذي قدمته الثورة يعد من اهم انجازاتها.

ومن أهم ما يميز شخصية الإمام كظاهرة ثورية فذة، وضوح الرؤية عنده سواء بالنسبة للعوامل التي أدت الى تخلف الشعب الإيراني كجزء من تخلف الأمة الإسلامية، ونفاذه الى أساس هذا التخلف، هو العلاقة الوثيقة التي تربط النظام الإيراني الذي كان يقاتله بالطاغوتية الأميركية، وادرك ببصيرته النفاذة ان كلا منهما يعتمد على الآخر، وانه ينبغي محاربتهما معا، وفوق كل ذلك كان الإمام يعي تماما مصائب سياسة الوفاق بين الدول الكبرى، وكان يدرك بعمق نظرته النفاذة اخطر النتائج التي تكمن خلف اقل القرارات أهمية في نظر اولئك الذين كانوا يعتبرون انفسهم ضالعين في السياسة، او اولئك الذين قضوا اعمارهم في المجالس النيابية او اللجان العليا في الاحزاب او فوق كراسي رئاسة الوزارة، وكان مما يثير الدهشة لدى الكثيرين في إيران ممن يعتبرون انفسهم على علم ببواطن الأمور ويمسكون في ايديهم بأساس (اللعبة) ان هذا الشيخ اقوى بصيرة منهم جميعا، وانه كان يقرأ في كتاب الغيب ما يكمن خلف بريق القرارات وضجة الدعاية الشاهنشاهية التي كانت تخلط بين الالوان، وتقوم بشعوذة لا يستطيع اولئك السياسيون المحترفون تبين ما كمن خلفها. لماذا؟ لان الإمام استطاع ان يعبر عما يدور في خوالد الناس العاديين المطحونين، وان يطرح التساؤلات التي كانت تدور بينهم همسا، وبذلك استطاع ان يبدل الاحساس الديني الى رؤية دينية للامور، فنجا بحركته من مجرد الوقوف عند الاحاسيس والعواطف التي تفور في فترة من الزمن ثم تقمع لانعدام التنظيم وعدم وضوح الايدلوجية، واستطاع ان ينقل الى ادنى الجموع ثقافة في إيران ان الدين ليس صوما او صلاة وعبادة فحسب، وان المصلي والصائم والمتعبد ان سكت على الظلم، فلا صلاة له ولا صوم له، ولا عبادة له.

ولعل مما يجلّي هذه السمة من سمات شخصية الإمام(قدس) ذلك الترابط بين مفهومي الدين والوطن عنده، والذي يلحظه الباحث في اعماله العلمية، وتدور في كتبه في هذا المجال محاولة للربط بين ادق المسائل الدينية وبين المجتمع وتقريب الدين الى افهام

العامة، لم يفهم المرجعية العظمى على انها غوص في كتب الدين وخوض في المسائل الدينية (العليا) بلغة كهنوتية، بل كان كل همه ان ينقل الدين الى تيار المجتمع وكان يدرك ان الدجل الديني توأم للدجل السياسي وان سياسة خداع الجماهير من الممكن ان تتم من فوق كرسي الوزارة او المجلس النيابي، لكنها تكون ابعد اثرا ان تمت من فوق المنبر، ومن هنا حاول ان ينقي المنبر ومركز الافتاء من هذه الشبهة، وبذلك اعاد للدين مركزه في القلوب ودوره الحقيقي في المجتمع.

ومن هنا فان اعظم انجازات الإمام الفقيه، وابعدها اثرا في تطوير الفكر الفقهي انه فتح باب الفتوى المغلق على المسائل الدينية امام كل القضايا السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثورية، ومن هنا استطاع ان يطرح الإسلام في الساحة، واحيا الإمام (قدس) الفقه السياسي، واطلق الصيحة الإسلامية العظيمة التي نسيت عندما نسي الإسلام (لا سمع ولا طاعة)، واعاد للسلاح القديم سلاح الفتوى مجده ومضاءه، واخرج الفقهاء والعلماء من كل بلد إسلامي الى الساحة التي كانت قد مُلئت بكل انواع الايديولوجيات الوافدة بينما يتوارى فيها الإسلام . تيار الجمهور الحي . داخل المساجد ودور العبادة، فاذا خرج كان غريبا في لغته وافكاره وقضاياه، وانتبه الإمام (قدس) الى انه من الممكن ان تتوسل النظم في مقاومة الدين الثوري ببعض رجال الدين من اتباعهم، ومن ثم كان عليه ان يصفي الجبهة ويحدد للناس الجانب الذي ينبغي عليهم طاعته، وهي نقطة في غاية الاهمية، فبعض الحركات السابقة التي كان على رأسها رجال دين قد صفيت وبمعونة رجال دين أيضاً استطاعت السلطة شراءهم، ومن اهم فتاوى الإمام في هذا المجال:

مسألة ٢٧٩٣ : اذا حدثت بدعة في الإسلام مثل المنكرات التي ترتكبها الحكومة باسم دين الإسلام القويم، فالواجب خصوصا على علماء الإسلام اظهار الحق وانكار الباطل، ولما كان سكوت العلماء الاعلام يوجب هتك حرمة العلم، واساءة الظن بعلماء الإسلام، فالواجب إظهار الحق بأي نحو ممكن، حتى وان كانوا يعلمون انه لا يؤثر.

مسألة ٢٧٩٤ : لما كان سكوت العلماء من المحتمل ان يجعل المنكر معروفا والمعروف منكرا، فالواجب على العلماء اظهار الحق، وليس السكوت جائزا.

مسألة ٢٧٩٥ : اذا كان سكوت العلماء يسبب تقوية الظالم او جرأته على سائر المحرمات، فمن الواجب اظهار الحق وانكار الباطل، حتى ولو لم يكن لاظهاره تأثير فعلي.

مسألة ٢٧٩٦ : لما كان سكوت علماء الإسلام يمكن ان يدفع الناس الى اساءة الظن بهم واتهامهم بممالأة جهاز الجبار، فمن الواجب اظهار الحق وانكار الباطل حتى وان

علموا ان هذا لا يقف في وجه الظلم، وان موقفهم لن يؤثر في القضاء على الظلم.

مسألة ٢٧٩٧ : اذا كان دخول بعض العلماء الاعلام في معية الظلمة يسبب الوقوف ضد المفاسد والمنكرات، فلهم ذلك الا اذا كان في الأمر مفسدة اخرى اهم مثل تزلزل عقائد الناس او انعدام ثقتهم في العلماء، فلا يجوز لهم في هذه الحالة الدخول في معية الظلمة.

مسألة ٢٨٠٨ : في تصدي هذا الصنف من المعممين وهم عمال الظلمة مفاسد عظيمة سوف تتضح نتائجها بالتدريج، ولهذا ينبغي على المسلمين الا يهتموا بالاعذار التي يقدمونها لتبرير اشتراكهم، وعلى العلماء الاعلام ان يخرجوهم من مراكزهم الدينية والا يختلطوا بهم، وعلى كافة العلماء الاعلام وطلاب العلوم الدينية والخطباء المحترمين وسائر الطبقات المطلعة على دسائس الاجانب ان يبصّروا الأمة بهؤلاء الفاسقين وان يحذّروا الناس من شرورهم.

وهناك جانب آخر من فتاوى الإمام(قدس) لا يقل اهمية عن الجانب الذي سبق ذكره، وهو جانب الفتاوى الثورية التي تتعلق بتحديد مراحل مقاومة النظام، وهي تتدرج من تحريم قوانين النظام الى مرحلة المقاومة السلبية الى مرحلة المقاومة المسلحة على النحو التالي:

مسألة ٢٨٣٥ : ان القوانين التي صدّق عليها المجلس ويصدّق عليها المجلسان بأمر عملاء الاجانب خذلهم الله تعالى، والتي تخالف صراحة القرآن الكريم وسنة الرسول(ص) هي قوانين ملغاة من وجهة نظر الإسلام ولا قيمة لها قانونيا، وعلى المسلمين الاعراض عن الآمر بها والمصدق عليها بكل طريقة ممكنة، وعليهم الا يعاملوهم او يختلطوا بهم، فهم مجرمون، والعامل بآرائهم عاص وفاسق.

مسألة ٢٨٣٦ : ان القانون الذي صدّق عليه المجلسان اخيرا بأمر من عملاء الاجانب باسم قانون الاسرة من اجل هدم احكام الإسلام وافساد أسس الاسرة المسلمة غير قانوني وغير شرعي ومخالف لاحكام الإسلام، ومن أمر به او صوّت عليه مجرم في نظر الإسلام، والنساء اللاتي طلقن من قبل المحكمة، طلاقهن باطل، والمتزوجات منهم اللاتي تزوجن ثانية زانيات ومن يتزوج بهن عن علم زان ويستوجب الحد الشرعي، واولادهن ابناء غير شرعيين لا يرثون، وتجري عليهم كل احكام اولاد الزنا، لأن المحكمة هي التي تطلّق مباشرة او تأمر الزوج بالتطليق.

مسألة ٢٨٣٧ : على العلماء الاعلام (أيدهم الله تعالى) ان يعترضوا بشدة على امثال

هذه القوانين التي لا قيمة لها في نظر الإسلام والقانون، لا ان يستعطفوا المجرمين الاصليين ويتظلموا الى المكلفين بتنفيذ اوأمر اعداء الإسلام، لأن هذا النحو من الطلب والتظلم وتوجيه الجرم الى الموظفين الصغار يسبب تطهير المجرم الاصلي وتبرئته وجرأته على هدم الاحكام الإلهية، وعلى كافة المسلمين ان يقاوموا هذه القوانين التي تهدد دينهم ودنياهم وأسرهم وتأخذ بناتهم الى التجنيد، وتضيع جهود الانبياء العظام والاولياء الكرام (صلوات الله عليهم) هدرا، عليهم ان يظهروا كراهيتم لهذه القوانين، والا يعملوا بها، وعليهم الدفاع عن احكام الإسلام بكل وسيلة ممكنة، حتى لا يبتلوا - لا قدر الله - بالمستقبل الاسود المخيف الذي يهدف اليه عملاء الإستعمار – خذلهم الله تعالى – للإسلام والمسلمين.

وفي باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ادخل الإمام (قدس) سلاح الفتوى في المقاومة على النحو التالي:

مسألة ٢٨٠٤ : للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مراتب، ولا يجوز العمل بالمراتب الاعلى اذا صح احتمال بلوغ الهدف بالمراتب الادنى.

مسألة ٢٨٠٨ : اذا صح الاحتمال عند العلماء الاعلام ان الاعراض عن الظلمة والسلاطين الجائرين يصير سببا في تخفيف ظلمهم، فمن الواجب ان يعرضوا عنهم، وعليهم ان يفهموا المسلمين لماذا اعرضوا عنهم.

مسألة ٢٨١٢ : على المسلمين ان يقوموا بنهي الاشخاص الذين يقومون بترويج مقاصد الظلمة ومساعدتهم على معاصيهم واحتفالاتهم من قبيل بعض التجار والكسبة، فان لم يرتدعوا عليهم ان يعرضوا عنهم ولا يخالطوهم او يعاملوهم.

مسألة ٢٨١٦ : لا يجوز مقاومة المعصية بارتكاب معصية كالفحش والكذب والتحقير، اللهم الا اذا كانت المعصية مجال اهتمام الشارع المقدس، ولا يرضى عنها بوجه من الوجوه مثل قتل النفس المحرمة، ففي هذه الحالة تجب المقاومة على نحو ممكن.

مسألة ٢٨١٨: المرتبة الثالثة هي التوسل بالقوة والاجبار، فان صح العلم انه لم يترك ما هو فيه من منكر، وانه لن يعود عما هو فيه الا بالقوة والاجبار، فالقوة والاجبار لازمان دون تعد واعتداء.

وعلينا ان ننظر الى هذه الفتاوى باعتبارها قد وردت في كتاب من كتب الفقه دون ان تكون دخيلة عليه كما قد يتبادر الى الذهن، فكلها وردت في باب من ابواب الفقه

الإسلامي وهو باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتي لا يزال فقهاؤنا يصرون على انها تعني فحسب تارك الصلاة وشارب الخمر، ويتغاضون تماما عن نهي الحاكم الظالم والذي يعد من اعلى مراتب الجهاد.

وبنفس هذه القدرة والفهم العميق لرسالة الإسلام الشمولية، اصدر الإمام (قدس) فتاويه الشهيرة بالجهاد ضد الاجانب المستعمرين وضد (إسرائيل) على النحو التالي:

مسألة ٢٨٢٦: اذا هجم العدو على بلاد المسلمين، فمن واجب كل المسلمين الدفاع عنها بكل وسيلة ممكنة من بذل للروح والمال، ولا حاجة هناك لاذن من حاكم الشرع في هذا الامر.

مسألة ٢٨٢٧ : اذا خاف المسلمون ان يكون الاجانب قد رسموا خطة للاستيلاء على بلادهم سواء عن طريق مباشر او عن طريق عملائهم في الداخل والخارج، فمن الواجب عليهم الدفاع عن بلادهم بأية وسيلة ممكنة.

مسألة ٢٨٢٨: اذا رسمت خطة ما داخل بلد إسلامي تهدف بسط سيطرة الاجانب عليه فعلى المسلمين العمل على احباطها بكل الطرق الممكنة.

مسألة ٢٨٢٩: اذا كان يُخشى ان يسيطر الاجانب على بلاد إسلامية عن طريق توسيع نفوذهم السياسي او الإقتصادي، فمن الواجب على المسلمين الدفاع بكل وسيلة ممكنة، والعمل على قطع ايدي الاجانب سواء مباشرة او من قبل عملائهم في الداخل او الخارج.

مسألة ٢٨٣٠ : اذا كان يخشى ان يسيطر الاجانب سيطرة سياسية او إقتصادية عن طريق العلاقات السياسية بين دولهم والدول الإسلامية، فعلى المسلمين ان يظهروا عداءهم لذلك بأية طريقة ممكنة، وعليهم ان يلزموا الدول الإسلامية بقطع هذه العلاقات.

مسألة ٢٨٣١ : اذا خشي على سوق المسلمين من لطمة إقتصادية عن طريق العلاقات التجارية مع الاجانب، ويمكن ان تؤدي الى الإستعمار التجاري او الإقتصادي، فمن الواجب قطع كل صنف من هذه العلاقات، وتحريم هذا النوع من التجارة.

مسألة ٢٨٣٢: اذا كانت اقامة اية علاقة سواء سياسية او تجارية بين احدى الدول الإسلامية والاجانب مخالفة لمصلحة الإسلام والمسلمين، فمثل هذا النوع من العلاقات ليس جائزا، واذا اقدمت عليها دولة ما، فعلى سائر الدول الإسلامية ان تلزمها قطع هذه العلاقات.

مسألة ٢٨٣٣ : اذا كان بعض رؤساء الدول الإسلامية او بعض النواب في المجلسين سببا في بسط نفوذ الاجانب سياسيا او إقتصاديا او عسكريا بما يخالف مصالح الإسلام والمسلمين فهو معزول لهذه الخيانة من المنصب الذي هو فيه مهما كان هذا المنصب، ولو فرض انه نُصب في هذا المنصب عن طريق شرعي، فعلى المسلمين عقابه بأية طريقة ممكنة.

مسألة ٢٨٣٤: لا تجوز اقامة علاقات تجارية وسياسية مع بعض الدول التي هي أداة في يد الإستعمار مثل اسرائيل، وعلى المسلمين الاعتراض على هذا النمط من العلاقات على اي شكل ممكن، والتجار الذي يتعاملون مع (إسرائيل) وعملاء (إسرائيل) خونة للإسلام والمسلمين واداة لهدم احكام الإسلام، وعلى المسلمين ان يقطعوا علاقاتهم مع هؤلاء الخونة، سواء كانوا في شكل دولة او تجار، وعليهم الزامهم بالتوبة وبقطع علاقاتهم مع هذا الصنف من الدول.

هذه هي بعض فتاوى الإمام المعلم الذي حاول الاعلام الغربي واذنابه تصويره بأنه مجرد مهيّج ديني او رجعي يحاول الوقوف ضد حركة التحديث التي يقوم بها الشاه التقدمي (!!) واذا علمنا ان من اهم اسباب فشل حركات عديدة في الماضي هو انعدام اللغة المشتركة بين الزعامة والجماهير، ادركنا الى اي حد كانت لصياغة الإمام الخميني(قدس) لأفكاره في صورة فتاوى تأثير عظيم جدا في نشر هذه الافكار من ناحية، وفي توفر عنصر الالزام لها من ناحية اخرى، وهو ما غاب عن اذهان الكثيرين، فلم يعترفوا بأن للامام دورا فكريا في الثورة، في حين ان معظم الافكار التي تناولها مفكرو الثورة، كانت تنبع من هذه الفتاوى ومن الخطب العديدة التي ألقاها الإمام(قدس)، ومن ثم فان العنصر المهم من عناصر نجاح الثورة هو تكتل الجماهير من خلف زعيم واجب الطاعة، يتحدث بلسان الجماعة وكانت ظروف البنية الدينية في إيران، والتشكيل الطبيعي لعلماء الدين، سببا في انتشار هذا الفكر، ليس هذا فحسب، بل وفي منح الشعب الإيراني والناس العاديين تشكلا لا يمكن قمعه، فهو تشكل ليس في خلايا او منظمات او جمعيات سرية بل خلية واحدة تجتمع في المسجد، وتستمع الى زعيم واحد يحدثها بلسان تفهمه، وماذا تكون الثورة الا جماهير متكتلة خلف زعيم مفهوم ذي فكر يجد صدى عندها، وليس غريبا عنها؟

وفضلا عن كل هذا فقد كانت للامام (قدس) سماته الشخصية التي استوعبت كل هذه الأبعاد ومنحتها مذاقا فريدا، فالإمام لم يحن رأسه قط امام الظلم، ولم يخش قط من سيطرة الجبار، ولم يضحّ قط بكلمة الحق امام سلطان جائر، ولم يطأطئ رأسه مستسلما في مقبرة الصامتين والخائفين والمحافظين ونهّازي الفرص والطامعين والمتفاهمين امام جاذبية

المال والسلطة، ولم يشته قط ان يغير ركنا من سجن في طهران، او حجرة من الطين في النجف وفي حرارة تلك الديار التي تفل الطاقة وخبزه وزباديه وسفرته الخالية، بقصر نياوران وخدمه وحشمه.. هذا الموقف في مجتمع كانت الهيئة الدينية فيه منكوبة من قبل النظام، وكل صاحب رأي راض بجيفة من النظام، هذا الموقف في نظام كان معيار الترقي فيه هو الملق والنفاق وانتهاز الفرص او على الاقل السكوت والرضا والتسليم للسلطة والقمع، هذا الموقف هو اكثر المواقف الإنسانية ازدهارا ومجدا وعظمة في التاريخ الإيراني المعاصر.

ولعل من الأمور المضحكة ان يحسب حسم الرجل عليه ولا يحسب له، وهذا أمر مفهوم من العالم الغربي ومن الاعلام الغربي، فلاشك ان الذي يوجه هذا الاتهام، لا يعلم ما الذي ادى اليه اللين والتساهل خلال الخمسين سنة الاخيرة في تاريخ إيران، فلم يكن النظام يترك فجوة او هفوة او غفلة يجدها في شخصية سياسي ما، حتى ينفذ من هذه الفجوة ويقوم بتوسيعها حتى يقضي على ذلك السياسي تماما، كانت عمليات الاحتواء تفتك بالزعماء واحدا بعد الآخر، وكانت التجربة الحية امام الإمام (قدس) انه ان قدم للنظام ثمرة فسوف يطمع في الشجرة، وان اقترب منه شبرا فسوف يقضي عليه تماما، وفي عام الثورة، وهي قاب قوسين او ادنى من النصر، كان يمكن ان تراجع الإمام خطوة واحدة ان تنتكس الثورة نكسة خطيرة، وكان قبوله حلا من الحلول التي طرحت وتحفظ له كرامته شخصيا كفيلا بأن يؤدي الى كارثة، لكن الكرامة الشخصية لم تكن في الميزان او الحسبان، كانت كرامة الناس، وكانت كرامة الإسلام.

ان الذي يفهم الروح الإسلامية حق فهمها يستطيع ان يدرك أبعاد شخصية الإمام(قدس) ومكوناتها الثقافية.

ان الذي عرف سعيد بن جبير وابا حنيفة وابن حنبل والعز بن عبد السلام والافغاني والشيخ عليش وميرزا الشيرازي وعبد الكريم الحائري وسيد حسن مدرس وعشرات غيرهم على مدى تاريخ الإسلام يمكن ان يفهم ابعاد هذه الشخصية، والذي قرأ تاريخ التشيع، يستطيع ان يفهم هذه الشخصية الفذة، اما الذي لم يتعرف الا على شخصيات دينية من امثال آل بورجيا وبابوات روما قديما وحديثا، او ينظر الى وعاظ السلاطين والائمة (بقرار) جمهوري ويظن ان الدين هو هذا، فقد يصدّق ما اشاعه اعلام الغرب عن الإمام وحاشاه ان يكون، فان طراز علماء الدين المجاهدين والفقهاء الثوار، لا يفهمه الا مسلم حقيقي قرأ تراث الإسلام الحقيقي، ورعاه، وامتزج هذا التراث بدمه قبل ان يتسلل اليه ماكيافيلي وماركس واشباههما.

هذا هو البعد التاريخي في شخصية الإمام الخميني وعلينا كمسلمين ان نفخر بأن الإسلام لا يزال خصبا معطاء يستطيع ان يربي هذه الشخصية متعددة الأبعاد، فهو الرجل الذي اعاد للسياسة الإسلامية كرامتها في هذا العصر الذي ديست فيه بالاقدام، ومما يوجه للرجل من مناقد انه لم يكن سياسيا، ولعل هذا الاتهام صحيح الى حد كبير بالمفهوم الرائج للسياسة والذي لم يعد له معنى في عالمنا المعاصر الا التسلق والتلون وانتهاز الفرص وقبول انصاف الحلول او الحلول الظاهرية والتسليم امام الأمر الواقع وغير ذلك مما يوصف بالحكمة والشجاعة وما اليها من الالقاب التي يسبغها العالم الغربي على من يخدمونهم ويخدمون أهدافهم، لكن اذا وضعنا المفهوم الحقيقي للسياسة في الاعتبار، والذي يعني شعور الفرد بالانتماء الى جماعة ونطقه بلسانها والتعبير عن امانيها والذود عنها وعن مصالحها الحقيقية باستقلال وإرادة، فيكاد الإمام (قدس) ان يكون السياسي الوحيد في الشرق في تاريخنا المعاصر، ذلك ان آراءه السياسية قد تناسقت مع افعاله ونضاله ومراحل كفاحه تناسقا تاما، لم يتغير ولم يتلون، ولم يوصف قط بأن بين افعاله واقواله تلك الفجوة الموجودة على الدوام بين اقوال الساسة الحكماء وافعالهم.

وعلى الذي يريد ان يدرك «صوفية الثورة» ان يدرس شخصية الإمام، لكنها صوفية واعية، فلم يكن الإمام مجرد رجل دين بالمعنى الذي نفهمه نقلا عن الغرب الذي اصبح يعلمنا كل شيء حتى ديننا، لم يكن نقده للنظام من قبيل الوعظ، بل تنبئ عن نظرة نفاذة وكشف والهام في كل مناحي الحياة، وطوال عام الثورة، كان الإمام في صموده لحيل النظام وتكتيكاته مثالا حيا وعظيما للرؤية الشاملة والوعي الذي يصل الى حد الالهام، ثم: هل الذي يفكر ويصدر فتوى والثورة على وشك الانتصار يوصي الفلاحين بأن يقوموا بزراعة اكبر قدر ممكن من القمح خشية ان يفتعل النظام قحطا، هل الذي يفعل ذلك انسان يفكر فحسب بنطاق الدين وغير ذي برنامج؟ هل الذي يأمر التجار بعدم رفع الاسعار والناس مشغولون بالجهاد يفكر فحسب في نطاق الدين وغير ذي برنامج؟ وعشرات وعشرات من المواقف يضيق هذا الحيز الضيق عن ذكرها.

واثبتت الايام ان الإمام كان يتميز بذلك النوع من الحدس السياسي والذي يصل الى حد الالهام، وقد تنبأ باحداث كثيرة حدثت على الساحة العالمية والإسلامية بعد انتقاله (رحمه الله) الى العالم الباقي، ثم في هذا الزمن الذي تطلع فيه اجهزة المخابرات العالمية على عورات الزعماء، لم تجد فجوة واحدة تنفذ منها الى الزاهد العابد المفكر المتصوف الواعي الذي ذاب في حب وطنه ومنحه عمرا طويلا مديدا من الجهاد والرفض والتمرد والثورة والفكر والوعي.

وكان الإمام (قدس) هو الذي حفظ للثورة وجهها الإسلامي، اروع ما قدمته واعظم تراث لها، ومما يثبت ان الرجل لم يكن رجل سياسة بمعناها المفهوم ولم يكن رجل فرص، اصراره على بقاء الوجه الإسلامي للثورة نقيا لا تشوبه شائبة، كان يعلم انه يواجه أميركا بكل عنفوانها، لكنه لم يحاول قط ان يتقرب الى السوفييت ليستبدل سيدا بسيد وطاغوتا بطاغوت، وكان يحلو للاعلام الغربي والثورة على اشدها ان يصورها كثورة ماركسية، ثم غير لهجته واخذ يبدي خشيته عليها من التحول الى الماركسية، وكان الإمام عندما يبدي الصحفيون مخاوفهم المصطنعة ذات الأهداف المعلومة يرد بهدوئه المعهود الذي لم يفقده قط في اكثر خطبه ثورية وفي أشد اوقات القهر وسيطرة الجبار، فينفي عن الثورة هذه الصفة ولا يعترف لها الا بوجهها الإسلامي، ونفى اكثر من مرة التفاهم المزعوم الذي اختلقته الصحافة الغربية بين الجناح الماركسي والجناح الإسلامي ولا يساوم ولا يجامل فيقول: «لا .. لا نستطيع ان نقبل الماركسيين، ان خطرهم على الوطن اشد من خطر الشاه» وفي مدرسته تربت هذه الكوكبة من الرجال المفكرين القراء السياسيين في الوقت نفسه والتي تقدم في كل مكان توجد فيه معركة للإسلام الدم والمال والحياة، ومثل هذا الذي أحيا أمة، لا توفيه هذه الوريقات حقه، ان هي الا خطوط عامة، واضواء على شخصية فذة، قل ان يجود التاريخ بمثلها، واجزم بأنه لم يوف حقه من الدراسة حتى الآن: الرجل والفكر والصمود والنقاء والسمات الاخلاقية وجوانب العبقرية الإنسانية في اسمى صورها، ولن يصبح العالم الإسلامي بعد ظهور الخميني مثلما كان قبله ابدا، فإن الشجرة الوارفة التي زرعها ورباها تنبت فروعا وفروعا في كل مكان من العالم الإسلامي وهي الحركات الإسلامية المعاصرة التي تستمد من فكره ومن حركته وفعاليته، وهذا في حاجة الى مبحث خاص، والله من وراء القصد.



الإيمان والارادة والصدق في شخصية الإمام الخميني

الدكتور عبد العظيم المغربي

ان الثورة الإسلامية الإيرانية هي بطبيعتها وذاتها ثورة متميزة ومتفردة وليست كغيرها من الثورات، ولاشك ان الذي منحها هذا البعد وأعطاها هذه الصورة هي ملامح قيادة هذه الثورة التي تجسدت في شخصية الإمام الخميني (رض).

فالإمام الخميني لمن يعرفه عن بعد - ولا ادعي انني تعمقت في دراسة شخصيته - كان شخصية مشعة بخصائصها، وهو انسان آمن بالله إيمانا حقيقيا واسلم إسلاما حقيقيا وتعبد كمسلم عبادة حقيقية وتحول الى ان يكون (صوفيا) مشعا اكثر منه انسانا ماديا.

ارتبط بذلك تمتع الإمام الخميني بقوة الإيمان، القوة التي تتغلب على اية قوة اخرى، القوة التي لا تكسرها قوة، القوة التي تمنح صاحبها الحق والقدرة والثقة والصبر واليقين بتحقيق النصر، وقد تحقق هذا كله في الإمام الخميني(رض) والثورة الإسلامية التي انتصرت على يديه.

الحزم القيادي للامام الخميني

هذه القدرة والقوة الإيمانية ميزت شخصية الإمام بالابتعاد عن انصاف الحلول والمساومات وما يمكن ان يطلق عليه في علم السياسة بالممكنات حتى لو كان في ذلك تقديم التنازلات الى العدو.. كان يحدد الهدف ويرسم الطريق ويتوكل على الله مؤمنا به واثقا فيه، ولانه كان قائدا مؤمنا حقا فقد آمنت به الجماهير والتف حوله الشعب الإيراني بأكمله، فكان هو المظهر المادي للقوة التي فاقت قوة الشاه بأجهزته وآلياته واسلحته ومعداته .

(*) الامين العام المساعد للحزب العربي الناصري/ نائب رئيس اتحاد المحامين العرب

واذكر ان رئيس الوزراء الاخير قبل نجاح الثورة (بختيار) راسل الإمام في منفاه في باريس وطلب ان ينتقل اليه كي يتفاهم معه حول ما يسمى ب(الحل السلمي) للصراع القائم آنذاك، وارتباطا بما سبق قوله من ان الإمام كان قد حدد هدفه بوضوح، وانه يتمسك بالثوابت ولا يساوم عليها، وبرغم كونه فردا اعزل في الغربة (في باريس) لا يربطه بشعبه الا آلية بسيطة جدا تسمى (الكاسيت) كانت اعظم وسيلة اعلام توصل رسائل الإمام الى جميع افراد الشعب الإيراني من الرجال والنساء وفي الحضر وفي الريف، كان رد الإمام عليه هو انه لا يقبل ان يلقاه في باريس طالما انه يتوشح بصفة من صفات النظام الذي يتعين سقوطه وازالته، واخبره انه لا يلقاه الا اذا قدم استقالته اولا.

حدث هذا بالنسبة لرئيس الوزراء، حدث كذلك بالنسبة لرئيس البرلمان الإيراني آنذاك، والحقيقة تقتضي ان اقول في هذه اللحظة انني في هذا الزمن البعيد وحدبا مني على الثورة ورغبة مني في سرعة نجاحها تخوفت ان يكون موقف الإمام هذا فيه قدر من التشدد وقد يعطل هذا التشدد النتيجة المرجوة ولم اكن اعرف - واعترف الآن بذلك - ان ذلك كان هو الموقف الصحيح الثوري الكامل الذي بدونه لا تتحقق هذه الأهداف العظيمة، وقد كان للامام ما حققه.

ولو ان الإمام (رض) كان رجل سلطة ربما فكر كما فكر الآخرون ولو ان الإمام كان رجل دنيا فقط ربما فكر كما فكر الآخرون، لكنه حينما يكون مدركا انه يؤدي رسالة الهية ربانية قبل اي شيء آخر، وانه لا مجال في ذلك ولا مفاوضة ولا مساومة ولا تنازل عن اي حق من حقوق الثوابت، فان التمسك بالحق هو الوجه الآخر للتمسك بالقضية وعوامل النصر، وقد كان له ما اراد.

هذه هي بعض الملامح الفريدة لشخصية الإمام (رض) والتي انعكست بعد ذلك على مجمل الثورة الإسلامية الإيرانية بما تتميز به عن غيرها من الثورات.

مقارعة الشيطان الاكبر

لقد كان النظام الإيراني قبل الثورة يحكمه الشاه، وكان اكبر قوة موجودة او هكذا تبدو الصورة على الساحة في إيران، فتعامل الإمام مع هذه القوة التي تدعي انها قوة عظمى بما تستحقه من عداء فناصبها العداء كل العداء وبالوضوح كل الوضوح طالبا هدفا محددا هو زوال الشاه ونظامه، وقد تحقق له هذا.

والأمر الثاني، وهو انه بعد زوال النظام الشاهنشاهي كان طريق الإمام واضحا وهدفه محددا فأدرك ان للثورة اعداء وليس عدوا واحدا وان زوال حكم الشاهنشاه لا يعني زوال

خصوم الثورة بل ان الخصم الاكبر او (الشيطان الاكبر) كما سماه الإمام (رض) كان هو الولايات المتحدة الاميركية وبالرغم من ان الولايات المتحدة كانت ولا زالت تبدو هي القوة العظمى على الأرض فان الإمام لم يخش ذلك ولم يقدم اي تنازل ولم يغير لغته في وصفها وتحديد صفاتها، لكنه كان يعرف جيدا من هم الاعداء، كما كان يعرف من هم الاصدقاء. وفي هذا الخصوص ادرك الإمام ان الصهيونية والكيان المدعى به (اسرائيل) هي الوجه الآخر لعملة الشيطان الاكبر، وكمسلم حقا وكنصيف ونصير للمستضعفين في الأرض حقا اعتبر القضية الفلسطينية قضية مركزية للجمهورية الإسلامية فانتصر لها.

ولم يتحدد الإمام (رض) ولم يتخفف من اعبائه لمقولة ان هذا الحاكم او ذاك حاكم إسلامي بل فضح هؤلاء الحكام وهذه النظم التي تتخذ من الإسلام رداء لكي تتستر به على مخازيها واستسلامها وعلى تفريطها بحقوق الأمة.

واذا نظرنا الى معسكر الثورة نجد:

أ- مجموع الشعب الإيراني.

ب - المحيط الإسلامي الذي يفهم الإسلام جيدا والذي يصول على اعداء الإسلام حقا وفي هذا تجلى الإمام في مواقف اربعة:

١- علاقته بالثورة الليبية.

٢- علاقته بقيادة الرئيس حافظ الاسد.

٣- علاقته بالمقاومة الإسلامية والوطنية في لبنان.

٤- علاقته بالمجاهدين داخل فلسطين سواء في حماس او الجهاد الإسلامي.

وهنا يبدو حسن الاختيار والنجاح في آن واحد، فلم يراهن على قضية خاسرة ابدا، فلقد وضع نصب عينيه ان القضية المركزية هي القضية الفلسطينية واعتبر نفسه والثورة والشعب الإيراني مكلفين بتحرير فلسطين، وبعد انتصار الثورة كان النموذج العملي لذلك ان يحل مقر منظمة التحرير الفلسطينية مكان السفارة الاسرائيلية في طهران، وان يعلن الموقف العدائي الواضح الذي لا لبس فيه من الكيان الصهيوني والولايات المتحدة الاميركية، وان يدعو المسلمين كل المسلمين ثم المستضعفين كل المستضعفين للاتحاد بوجه هذه وتلك. ثم اقامة الدولة الإسلامية التي كان يدعو اليها من منفاه وهو متمسك بالثوابت.

وكثيرا ما كنا نجد ثورة ترفع شعارات ثم يأتي التطبيق مخيبا للآمال، لكن في اطار هذه النسبية نقول ان الثورة الإيرانية هي من ابرز الثورات التي وضعت شعاراتها على ارض الواقع التطبيقي وثبتت في مواجهة اعدائها وفي كل يوم يمر عليها تحقق انتصارا اكبر من سابقه.

مشروع الإمام الثوري:

واني لاعترف بان الإمام الخميني(رض) والثورة الإسلامية في إيران كانا حدثا فريدا على الساحة العربية الإسلامية والدولية، بل اعترف – كناصري – ان فكرتي عن الإسلام السياسي قبل الإمام الخميني والثورة الإيرانية كان يشوبها بعض الشوائب والمثالب وكان احد اسباب ذلك هو موقف بعض الجماعات الإسلامية من ثورة ٢٣ يوليو بقيادة الزعيم المصري الراحل جمال عبد الناصر.

من هنا كانت عظمة الإمام الخميني(رض) وثورته لانه اعطى نموذجا متميزا لما يتمناه المسلم حقا من إيمانه وحكومته ونظامه وكيف يكون الانتصار الحق للمستضعف، وكيف يكون الموقف الحق في مواجهة المستكبر، وكيف يكون التمسك بالثوابت وبالعدل وكيف يكون الزهد في الحياة لحساب المستضعفين، ولذلك كان وضوح الفكرة في التطبيق قاسما مشتركا بين الثائرين الإمام الخميني وجمال عبد الناصر. وهذا يفسر لنا الرؤية الموضوعية لمفهوم العروبة والإسلام لدى الإمام الخميني (رض) فهو بالرغم من ان دعوته كانت دعوة إسلامية اممية يطالب بوحدة المسلمين بعيدا عن سمفونية القومية الفارسية، الا انه لم يقف الموقف المعادي من الأمة العربية لانه كان يدرك ان نصرة الأمة العربية هي نصرة الإسلام وانها خطوة في تحقيق الهدف الاسمى في وحدة المسلمين ككل، لذلك كان إيمانه بالقضية الفلسطينية وانتصاره للمجاهدين هنا وهناك يوضح الأبعاد المتميزة التي لابد من الاعتراف بان الثورة الإسلامية كانت فريدة وجديدة فيما قدمته بالقياس للتجارب السابقة التي حاولت ان تقدم نفسها باسم الإسلام.

الانفتاح على القضايا العربية:

ومن هنا، فان الإمام الخميني لم يجد تناقضا بل وجد تكاملا بين العروبة وبين الإسلام، وبالتالي فقد نظر الى العروبة من خلال منظاره الاشمل الى المسلمين.

ومن جانب آخر، رأى ان المنطقة العربية بتاريخها وجغرافيتها هي مهد ومحط الرسالات السماوية، هي مقر لكنوز البشرية وهي صانعة لحضارات إنسانية وهي في ذات

الوقت مستهدفة من قبل قوى الشر والطغيان، لذلك كان لابد من التعامل معها في اطار العمل معها ضد اعدائها الذين هم اعداء الإسلام واعداء الثورة الإسلامية في إيران.

وكنقطة ثالثة، نرى ان الإمام قد اعتبر ان القضية الفلسطينية وتحرير القدس قضية مركزية لكل مسلم وبالتالي فهي قضية عربية لكل عربي، ومن اجل ذلك كان التكامل بين العروبة والإسلام، وكان الإمام يدرك جيدا ان نكسة ٦٧ هي نكسة للامة العربية والإسلامية ونكسة لمشروع ثورة كان يحلم به، وكان لزاما عليه وهو صادق في إيمانه ان ينتصر لصاحب الحق وان يتمسك بالثوابت، ولم يكن يتنازل عن ثابت من الثوابت مهما كانت التضحيات او الصعاب التي تواجهه، لذلك كان طبيعيا ان يأسف لما حدث في عام ١٩٦٧ وان يدفع ويدعو الى نصرة الأمة العربية والإسلامية ضد خصمها السرطاني المتمثل في العدو الصهيوني المتحالف مع الشيطان الاكبر الولايات المتحدة الاميركية. وكان لتوجيه الشعب الإيراني المسلم بدفع الخمس (الحقوق الشرعية) الى الفصائل المقاتلة والمقاومة في فلسطين دوره المؤثر في سبيل ادامة القتال لتحريرها.

الرد على النهج الاستسلامي:

لابد من القول انه خلال عهد عبد الناصر تم تأسيس دار التقريب بين المذاهب الإسلامية بمساهمة من علماء الازهر وعلماء الحوزات العلمية في قم والنجف الاشرف، وكان ذلك احد عناصر الوحدة الفكرية بين الزعيم جمال عبد الناصر (رحمه الله) وبين الإمام الخميني(قدس سره) وحينما وجهت الضربة القاسية المؤلمة في ٦٧ والتي استتبعها خيانة السادات مما وصل به الحد الى ان يفعل ما كان لا يخطر على عقل مسلم او عربي، وهو الاعتراف بالكيان الصهيوني واقدامه على زيارة تل ابيب وابرام اتفاقات كامب ديفيد مع العدو. ولم يكن غريبا استضافته الشاه في مصر معلنا موقفه المناهض للثورة الإسلامية وانحيازه للمستكبرين ضد المستضعفين.

وفي هذا الوقت اعترف ان المواطن العربي كان في حيرة من امره، لان إيمانه لم يكن واضحا فقد استشعر الفراغ واهتزت ثقته بنفسه وتطلع الى رسول الله(ص) وفي هذه الحالات عادة ما يكون توقع الإنسان للخلاص توقعا دينيا، وربما لم يعكر صفو هذه الرؤية، ما كانت تدعي بعض الحركات الإسلامية، وكان هناك سؤال: ألا يمكن ان نعيش نموذج علي بن ابي طالب او عصر الخلفاء الاوائل او عمر بن عبد العزيز، ثم كانت المفاجأة في الإمام الخميني(رض) والثورة الإسلامية الإيرانية، ولعل الاشقاء في إيران يحسون ويدركون حقا مدى فرحة الشعب العربي بصفة عامة والمصري بصفة خاصة بهذه الثورة.

فلقد رأى المصريون فيها ثأرا لنكسة ثورتهم وأملا كان مفتقدا لانتصار هذه الثورة. وبطبيعة الحال فان لكل ثورة سماتها وظروفها ومميزاتها وخصائصها لكن حينما اتكلم عن التشابه والوحدة بين مصر وإيران فاني اتكلم عن الثوابت فهي واحدة: الإيمان بالله وبرسله وبالحق والعدل والتحرر ومواجهة الكفر والظلم وحتمية الانتصار على الظلم والدعوة في سبيل ذلك الى وحدة المسلمين مرورا بوحدة العرب في هذا الخصوص.

الانتصار للمستضعفين

لكننا نرى ان هناك من يقرأ فكر الإمام الخميني(رض) قراءة خاطئة ويتصور انه فكر مهيمن ولا يحسبه فكرا إسلاميا إنسانيا عادلا وشاملا. ولقد اشرت الى انتصار الإمام الخميني لبعض المستضعفين في الأرض حكاما او محكومين او ثورات.

لكن ما أود تبينه هو البعد الاشمل والاوسع إنسانيا لهذه الرؤية في الانتصار للمستضعفين، وهو من أعظم الأبعاد التي يتجنب الخصوم الاقتراب منها، كما في النظر الى المرأة كأمة وعبدة ومتاع وليس النظر اليها كانسانة مكلفة كما يكلف الرجل المؤمن حقا، في حين ترى ان الثورة الإسلامية الإيرانية تعاملت مع المرأة كتعامل المسلمين معها في زمن الرسول الاعظم(ص) فمثلما شاركت في ذلك العهد بالغزوات فانها في زمن اندلاع الثورة الإسلامية جندت للجهاد ضد العهد الفاسد، والمرأة التي تجاهد في مرحلة الثورة يحق لها ان تشغل كافة مواقع العمل وقد رأينا - كما في الثورة الإسلامية الامية الاولى - في عهد الرسول (ص) كيف كانت المرأة كالسيدة زينب محرضة للرجال على القتال والشهادة في سبيل ما آمنوا به بالله وبالإسلام.

ولقد لاحظنا ان دور المرأة الإيرانية في الثورة كان قبل انتصارها وبعد انتصارها، وكانت تمثل ٥٠٪ من مستضعفي الشعب الإيراني وهو من أعظم ما توصف به الثورة والإمام الخميني في انتصاره للمستضعفين. ومن هنا كانت الوحدة الإسلامية الشاملة التي كان يدعو اليها الإمام (رحمه الله) لا من اجل فرض الإسلام بالسيف ولكن من اجل اشاعة الإسلام الحق على مجمل الكرة الأرضية.

واعتقد ان الثورة الإسلامية الإيرانية بدأت بداية لم تنته بعد، وأرى بعيني هذه النهاية تقترب يوما بعد يوم. والمهم ما كان حلما اصبح واقعا، وما كان بعيدا عن الفكر اصبح محتملا الى حد القرب والتحقق وهو ان يقوم نظام إنساني عادل يؤمن بالله وبرسله ويطبق تعاليمه ويتمسك بثوابته ويحارب خصومه وينتصف على اهله. كل هذه ملامح الثورة الإسلامية وتمثل املا قابلا للتحقق في نظر كل المسلمين، وما كان يمكن ان يتحقق ذلك

لولا وضوح الفكر وثبات الإمام وقوة العزم لديه والنجاح الذي حققه للثورة واستمرارها.

وفي مقابل ذلك، كان العداء الذي شنته الولايات المتحدة الاميركية ضد الثورة، وكان عداء الغرب المتصلب وعداء الصهيونية والرجعيين المتسترين بالدين، وكان الكبرياء في مواجهة هذه الخصوم والصمود والانتصار على كل هؤلاء، فلم يكن موقفا شعاراتيا متعصبا يؤدي بصاحبه الى التهلكة، ولكن كان موقف المؤمنين الصابرين الواثقين بنصر الله.

المبدئية المناهضة للمشروع الإستكباري

وفي تقديري ان الرؤية الحقة في وصف الخصم الذي يتعين زواله تقتضي ان لا تقرّ له بالوجود، والا فالإقرار بذلك يعتبر هزيمة مبكرة، وهذا ما ادركه الإمام الخميني، واذا اردت ان اضرب مثالا تطبيقيا على ذلك، اقول انه يوجد في صفوف الثوار طابور خامس من المتخاذلين الاستغلاليين المنافقين غير القادرين على مواجهة الخصم وغير المستعدين للتضحية، وهؤلاء يقولون: لا مانع من ان نندرج في النظام، ونحاول تغييره من الداخل، فتكون النتيجة انهم بدخولهم في هذه الآلة الجهنمية الظالمة يتحولون الى ترس من تروسها.

وهذا ما ادركه الإمام الخميني (رض) في امكانية التعامل مع الولايات المتحدة الاميركية. ولم يثبت في التاريخ منذ انزل الله الإنسان على الأرض وحتى الآن ان المستكبر تحكّم بالعقل او بالحكمة او بالإيمان، وانه اذا قدّم تنازلا فهو لا يقدمه الا مضطرا، اي ان أسلوب القوة . وهي ليست العسكرية والإقتصادية السياسية والثقافية وحدها بل هذه كلها. ولقد فهم الإمام الخميني ان الانتصار على الولايات المتحدة لا يكون بان يحاربها عسكريا، ولكن في ان يصمد بوجهها ويجبرها على الاعتراف به وعدم امكانيتها القضاء عليه، وهذا هو الانتصار الذي حققه الإمام الخميني. ولم يكن هذا الانتصار قابلا للتحقق بهذا الشكل لولا الحذر الذي اخذه الإمام الخميني في التعامل مع الشيطان الاكبر، لان التعامل معه سيكون (تعامل الحمل مع الذئب) حسب كلامه (رض) بالقطع لا يؤدي الى نتيجة في صالح الثورة بل سيكون لصالح المستكبرين، وفي ذات الوقت فان منهج الإمام يمكّن المراقب العام من قراءة الرسالة ويعرّفه من هو الصديق ومن هو العدو لأن الاعلام العالمي الآن، يحاول ان يمارس هذا النمط كما يمارسه في القضية الفلسطينية. فالكل الآن في الدول العربية يتعامل على ان اميركا هي راعية السلام، وحقيقة الأمر ان اميركا هي راعية الكيان الصهيوني وهي الآمرة للنظم العربية على الاستسلام لشروطها، او شروط الصهاينة.

وان تصور بعض النظم العربية ان اميركا راعية السلام احدثت ارباكا في اذهان كثير من المواطنين، وهذا الارتباك والتضليل في الرؤية تبرأت منه تماما الثورة الإسلامية بفضل الرؤية الرشيدة للامام الخميني الذي حدد ان اميركا هي الشيطان الاكبر وينبغي ان يكون التعامل معها باستمرار من خلال ذلك، طالما اصرّ على ثوابته فهو عدونا الاول لنا ولكل المستضعفين في الأرض.

وينبغي القول في الختام ان قضيتنا المركزية تمر بمنعطف خطير جدا لأن عدونا يحلم بإمكانية قرب فرض شروطه، واستسلام العرب والمسلمين له، ولكي يحقق ذلك، ولن يستطيعه الا والأمة العربية في اضعف حالاتها، واخشى ان تكون كوسوفو تجربة لكوسوفو اخرى قد تتحقق في القريب العاجل في المنطقة، ومنهج العدو في ذلك هو ارباك المنطقة باشعال الفتن والحروب في داخلها، فكيف يمكن ان يكون هناك نزاع بين إيران وباكستان او افغانستان، وكيف يكون هناك نزاع بين إيران وتركيا، وبين إيران والعراق وكيف يمكن ان نفصل جنوب السودان عن شماله، وكيف يمكن ان تكون سوريا ولبنان محاطتين بتحالف صهيوني - تركي وخصومة سورية - عراقية، وكيف يمكن ان تختلف مصر مع السودان ومع ليبيا وهكذا دواليك.

واعتقد، وهو ما تطابقت فيه وجهات النظر اننا في مرحلة تقتضي الإيمان بثوابت نضالنا وتأكيدها على دول المنطقة ومنها إيران، والتأكيد على ان صراعنا ضد الإستكبار هو صراع واحد صراع المستضعفين ضد المستكبر الاكبر الولايات المتحدة الاميركية والصهيونية واعوانهما، واعتقد لو تفهم الاخوة والأشقاء ذلك، لا سيما في الثورة الإسلامية الإيرانية وقادتها فان ذلك سوف يكون من ابرز مظاهر الاحتفال بمئوية الإمام الخميني(رض).

المغرب	▪ الدكتور إدريس الكتاني
البحرين	▪ العلامة السيد كامل الهاشمي
الجزائر	▪ الدكتور مصطفى الغُماري
الـهـند	▪ العلامة السيد محمد الموسوي
الاردن	▪ الدكتور نشأت حمارنة
انكلترا	▪ الدكتور منصور الجمري



الإمام الخميني.. القائد الملهم

الدكتور إدريس الكتاني

اسئلة قبل ان ندخل القرن ٢١

هل يمكن للعالم الديني التقليدي، والعنصري الفخور بقوميته، والسياسي المتعصب لحزبه، والمثقف المرتزق بأدبه، ورجل الأعمال المهتم بتجارته، والموظف الذي يعيش مشاكل عمله، وحتى الطبيب والمهندس والأستاذ والمحامي الذي لا يكاد يهتم او يفكر بغير مجال تخصصه.

وهل يمكن لعامة الناس في عالمنا العربي والإسلامي اليوم - وهم عادة قلّما يقرأون - ان يستوعبوا تاريخ أمتهم وحضارتها، ورسالتها الإسلامية، وموقعها بين الأمم والحضارات الأخرى، وان يدركوا معنى انتمائهم لها، وواجبهم نحوها، طبق معيار منطقي عقلي، او منهج علمي يقوم على الملاحظة والمقارنة والتحليل؟

وهل يمكن لأغلبية شعوبنا التي لا تقرأ ولا تكتب في غيبة قادتها الأكفاء المخلصين، ان تقرر مصيرها بنفسها دون ان تكون ضحية استغلال حكام ظالمين، او ديمقراطيين مزيفين؟

بل هل استطاعت الأقلية المتعلمة الملتفة حول الحكومات والاحزاب الساسية المسيطرة على الشعوب وثرواتها في طول عالمنا العربي الإسلامي وعرضه، ان تعيد قراءة تاريخها وحضارتها ودينها وان تنهض بها بعد سقوط، وتعزها بعد ذل، وتوحدها بعد شتات، وتغنيها بعد فقر، وتنصرها بعد هزيمة؟

(العالم الغربي) كله يتحدث ويستعد لدخول القرن الواحد والعشرين، بكل طاقاته العلمية والصناعية، وباسلحته المدمرة، وبوحدة دوله وشعوبه القوية والغنية، والمعتز بهيمنته

(*) أستاذ الفكر الإسلامي في جامعة محمد الخامس / الرباط.

وسلطانه على العالم الثالث!!

لكن المهزلة، والمأساة المسرحية، ان يتحدث (العرب والمسلمون) في المشرق والمغرب عن استعداداتهم – هم أيضاً – لدخول هذا القرن!

بأي شيء سيدخلونه؟

كيف اذن كان حالهم في القرن العشرين؟

لماذا صنّفهم الغرب مع الشعوب البدائية كعالم ثالث؟

وكيف قبلوا جميعا هذا التصنيف، ولم يعترضوا عليه؟

هل هم حقا يشعرون بانتمائهم الى أمة إسلامية، هم جزء منها لا يتجزأ حيثما كانوا، وأرضها هي أرضهم حيثما كانت؟

لقد عرف النصف الاول من القرن العشرين صعودا قويا للاستكبار العالمي، اقترن بضعف وانهيار الخلافة العثمانية، والحكومات الإسلامية، وظهور اسرائيل، ليبدأ (رد فعل) الشعوب العربية والإسلامية في ثوراتها التحررية بالمشرق والمغرب، مع النصف الثاني لهذا القرن، لكن الإستكبار العالمي استطاع ان يهيمن على حكوماتها وأحزابها ويوقف نهضة هذه الشعوب.

واذا كانت تجارب الثورات العربية التي نادت بالقومية والاشتراكية قد منيت بسلسلة من الهزائم طيلة نصف قرن لم تتوقف حتى اليوم، مع (إسرائيل) وحلفائها، فإن هزيمتها المدمرة في تحقيق (الوحدة العربية) ليس لها الا تفسير واحد، يفرض العودة لقراءة تاريخ العرب قبل الإسلام، هذا التاريخ يقول: ان الإسلام هو الذي علم العرب (معنى الوحدة)، وحول «العقل العربي الجاهلي» الى «عقل إسلامي علمي».

ان قراءة التاريخ الإسلامي بمنهج البحث العلمي الموضوعي، تقدم لنا هذه الحقيقة: «العقل الإسلامي» لم يمكن ان ينهزم، وكلما ابتعدت الشعوب او الحكومات او قادتها عن الإسلام وتخلت عن «عقلها الإسلامي» فان سقوطها هو (قانون عقابي) إلهي أعلنه القرآن الكريم بقوله تعالى: **﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنّهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكننّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأؤلئك هم الفاسقون﴾** [النور ٥٥]. **﴿وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين﴾** [الانبياء ١١]. **﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم**

عذاب أليم﴾ [النور ٦٣]. **﴿وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا﴾** [الكهف ٥٩].

هذا القانون تؤكده وقائع التاريخ الإسلامي القديم، نذكر نموذجين منها فيما يلي:

١- بعد هزائم «العقل العربي القبلي الطائفي» لأمراء الطوائف بالاندلس، استنجد علماؤهم بالسلطان يوسف بن تاشفين أحد مؤسسي (دولة المرابطين العظيمة) الذي عبر مضيق جبل طارق بجيشه الإسلامي الى الاندلس وحقق انتصارا ساحقا على جيوش الفونس السادس ملك قشتالة في معركة «الزلاقة» الشهيرة سنة (٤٧١هـ . ١٠٨٦) استمر بفضلها الوجود الإسلامي في الاندلس أربعة قرون أخرى، أي الى ٨٩٧هـ . ١٤٩٢م).

٢- بعد مائة عام من هذه المعركة، وعجز «العقل العربي» في الشرق الاوسط عن دحر الصليبيين، وتحرير فلسطين، جاء القائد الإسلامي العظيم السلطان صلاح الدين الأيوبي ليسجل انتصاره الحاسم على الصليبيين في معركة (حطين) الشهيرة سنة (٥٨٣هـ . ١١٨٧م).

السلطان يوسف بن تاشفين كان مغربيا بربريا.

والسلطان صلاح الدين الأيوبي كان عراقيا كرديا.

انتصرا معا بفضل «العقل الإسلامي» الذي ظل متوهجا وطافحا بالإيمان وعقيدة الجهاد داخل المجتمع العربي نفسه. هل كانا ينتصران بالعقل (القومي البربري) او بالعقل (القومي الكردي)؟

اما في التاريخ الحديث فقد عشنا جميعا ثلاثة نماذج منها:

١ - الثورة الإسلامية الجزائرية:

بعد ١٣٢ سنة (١٨٣٠ . ١٩٦٢م) من عمليات الإبادة الكاملة لكل مقومات الشعب الجزائري المسلم، وإدماجه سياسيا وإقتصاديا وثقافيا بفرنسا، تأتي «الثورة الإسلامية الجزائرية» في موعدها المقدر لها في علم الله، لتقدم مليونا ونصف مليون من الشهداء خلال ثمان سنوات (١٩٥٤ - ١٩٦٢م) من الجهاد، لتحرير الشعب الجزائري المسلم من طغيان الإستعمار الفرنسي.

كان انتصار الشعب الجزائري باسم «الجهاد الإسلامي المقدس» خاليا من أي شعار مذهبي غربي، او مساندة غربية او شرقية، باعتراف فرنسا نفسها، التي عبأت له مليون

جندي نظامي، ومليون مستوطن إستعماري مسلح، لتواجه أكبر هزيمة في تاريخها الإستعماري انتهت بسقوط الامبراطورية الفرنسية نفسها الى الأبد.

٢- الثورة الإسلامية الأفغانية:

لم تمض الا ثمانية عشر عاما على انتصار الثورة الإسلامية الجزائرية، حتى شهد العالم بداية الثورة الإسلامية الافغانية ضد الانقلاب الذي قام به الحزب الشيوعي للسيطرة على الحكم في افغانستان، وبعدها اقدم الاتحاد السوفياتي على غزو افغانستان بجيش مؤلف من ١٢٠,٠٠٠ جندي مزود بآلاف الدبابات والطائرات والصواريخ لدعم حكومة عميلة. ولكنها عجزت تماما عن مواجهة الثورة الإسلامية، والتي حققت خلال ثمانية اعوام أيضاً انتصارها الساحق على الاتحاد السوفياتي، وكانت السبب المباشر في استنزاف طاقاته الإقتصادية والعسكرية، وتفكيك وحدته النفسية والمذهبية والسياسية، وسقوطه النهائي كثاني قوتين عالميتين تتحكمان في مصير النظام العالمي.

واذا كانت (الثورة الإسلامية الجزائرية) قد عرفت انقلابا مفاجئا في وقت مبكر بعد إلقاء القبض على (زعمائها الخمسة)، وتم تحويلها الى (ثورة اشتراكية) بالتعاون مع قادة (دول عدم الانحياز) يومئذ: (نهرو وتيتو وعبد الناصر) في مؤامرة دولية لا تزال غامضة، ضد صعود الإسلام في شمال افريقيا وغربها.

فإن (الثورة الإسلامية الافغانية) كانت أيضاً ضحية تآمر دولي أشد مكراً ودهاء، استعمل سلاح «العصبيات القومية الأفغانية الثلاثة» لتمزيق وحدة المجاهدين، وتم توظيفها وتشجيعها بالمال والسلاح، وفرض سيطرة بعضها على بعض مثلما فعل الإستعمار الغربي دائما بهدف تأخير وعرقلة قيام «الجمهورية الإسلامية الافغانية»، وخاصة بالنسبة لروسيا الخائفة من انتقال العدوى الى الجمهوريات الإسلامية التي لا تزال تابعة لاتحادها. فلم تتردد في إرسال الاسلحة الى الرئيس رباني للتغلب على خصومه المتشددين، فضلا عن رغبتها في التشفي والانتقام من هذا الشعب الذي أيقظ بجهاده شعوب الاتحاد السوفياتي المضطهدة من سباتها، ودفعها لوضع الحبال على أعناق تماثيل (لينين) وإسقاطها على الأرض.

ومع الأسف فإن بعض الإسلاميين اتخذوا من تطور الوضع الافغاني موقفا ساخرا ينم عن غفلة وجهل بقانون (الابتلاء) القرآني في مثل قوله تعالى: ﴿**ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض**﴾ [محمد ٤]. ﴿**ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم**﴾ [محمد ٣١]. ﴿**وليبتلي الله ما في صدوركم**

ويمحّص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور﴾ [آل عمران ١٥٤].

٣- الثورة الإسلامية الإيرانية:

بعد الثورتين الجزائرية والافغانية، جاءت الثورة الإسلامية الإيرانية بزعامة وقيادة الإمام الخميني (رحمه الله)، بعد نضال استمر خمسة عشر عاما (١٩٦٣-١٩٧٩) لتطيح بالنظام الشاهنشاهي البهائي الخاضع للهيمنة الأميركية - الصهيونية، بعد ان جعلت منه أميركا (خلال ٣٦) سنة أكبر قاعدة عسكرية - فضلا عن تركيا - لحماية أوربا من هجوم محتمل للاتحاد السوفياتي، ولتركيز سيطرتها على دول الخليج والشرق الاوسط العربية الإسلامية.

وتركزت هذه الثورة - بعد انتكاسة الثورتين الجزائرية والافغانية - بإشراقها الروحاني الرباني الذي عم العالم الإسلامي قاطبة، وأذهل العالم الغربي.

شيخ طاعن في السن، عالم إسلامي كبير، يلجأ في نهاية نضاله الإسلامي الى قرية بفرنسا، يحرك منها شعبه الاعزل الثائر، ضد خامس قوة عسكرية في العالم، ويقودها شاه متسلط طاغية، وسفاك لدماء شعبه، وعميل للاستكبار العالمي.

في عصر الطغيان السوفياتي الذي اكتسح العالم العربي والإسلامي بفلسفته المادية الالحادية، وامتد عبر الشرق والغرب بقوته العسكرية المدمّرة، شهد العالم كله، بعيون لا تكاد تصدق، ميلاد (دولة إسلامية إيرانية) من عصر الخلافة، دولة من العلماء بعمائمهم ولحاهم وثيابهم الإسلامية التقليدية، إنها دولة الإيمان والإسلام المتجدد المجاهد القوي.

يوم لقاء القائد بشعبه المجاهد:

كان يوما عالميا مشهودا من أيام سنة ١٩٧٩، اتجهت فيه انظار جميع الدول والشعوب، لمشاهدة (الحدث التاريخي) الذي لم يعرف العالم نظيرا له او شبيها به، وقد لا يتكرر مرة أخرى، عندما قرر آية الله الإمام الخميني ان يعود بمفرده لعاصمة بلده طهران، غير عابئ بتهديدات جيش الشاه المدجج بالاسلحة، والذي يقبض على البلاد بيد من حديد.

ورغم الخطر الذي كانت تتعرض له طائرة القائد المغامر، فان خمسين صحفيا عالميا ركبوا معه الطائرة ليشهدوا (حدث الصدام الهائل المروع) بين القائد العائد وانصاره، وبين الجيش الذي سينقض عليه، كانوا هم في حالة قلق نفسي، وترقب للمفاجآت المخيفة، لكنهم اندهشوا بغرابة لهدوء الشيخ واطمئنانه النفسي،كما لو كان في رحلة سياحية،

توضأ وصلى وقرأ ما تيسر من القرآن، وتناول طعامه ونام، دون ان يبدو عليه اي سلوك غير عادي.

ونزلت الطائرة في مطار طهران ليشهد العالم كله (معجزة الحدث): ملايين المستقبلين تغطي الفضاء الفسيح، وتحمل سيارة القائد على الاكتاف، بينما الجيش يتجمد في مكانه، لم تنطلق منه رصاصة واحدة، كان يوما من ايام الإسلام الخالدة، استسلم فيه الجيش لإرادة الشعب المؤمن، وانتصرت الثورة الإسلامية لتبايع قائدها على مواصلة الجهاد ضد اعداء الإسلام.

عناصر القوة في شخصية الإمام الخميني:

مما لاشك فيه ان الإمام الخميني كان يتوفر على شخصية ذات مواهب نادرة بين رجال السياسة وعلماء الدين، اهلته علميا ودينيا وسياسيا ليس فقط للقيام بثورة ضد نظام الشاه الطاغية، وانما لبناء دولة إسلامية قوية نموذجية، في عصر انكمش فيه المسلمون على انفسهم، ويخجل مثقفوهم وزعماؤهم من اعلان انتسابهم اليه، شعورا بالنقص والضعف والهوان امام اعدائهم الاقوياء المستكبرين في الأرض، وكانت نظراته القوية الفاحصة تخترق الحجب الخفية عند الناس، تزيد المؤمنين منهم إيمانا، وتدخل الرعب في قلوب المنافقين.

ومضت الثورة الإسلامية تشق طريقها نحو النصر النهائي بدماء شهدائها الذين لم تتوقف قوافل جهادهم، لتعيد الثقة والامل عند جميع المسلمين بانتصار الإسلام، اذ لأول مرة، منذ سقوط الخلافة العثمانية سنة ١٩٢٣، وخلال القرن العشرين كله، تقوم دولة باسم الإسلام كاملة السيادة والاستقلال، غير خاضعة ولا تابعة لاي دولة إستعمارية، يتزعمها علماء الدين بدون شعارات من صنع الفكر الغربي العلماني، تختلف في ظروفها وبنيتها عن جمهورية باكستان الإسلامية.

وتتميز شخصية الإمام الخميني بعنصرين قلما يجتمعان عند قادة المسلمين في القرون المتأخرة.

العنصر الاول: (قوة الإيمان بالله).

على خلاف اغلب القادة والزعماء السياسيين الذين حققوا انتصارات باهرة في تاريخ العالم الحديث، لم يكن الانتصار الذي حققه الإمام الخميني يعتمد على جيش كان يقوده، ولا على حزب سياسي تولى زعامته، ولا على حكومة انتخب رئيسا لها، ولا على

قبيلة او قومية استغل عصبيتها الطائفية او العنصرية، ولا على ثروة مالية او إقتصادية يستطيع بها شراء اصوات الناخبين، كان فقط عالما دينيا استاذا في (الحوزة العلمية) بمدينة قم، يملك قوة نادرة المثال في هذا العصر، تخترق كل السدود الإنسانية، والاسوار البشرية المحصنة، هي (قوة الإيمان بالله) والثقة في نصره:

﴿ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم﴾ [محمد ٧].

﴿ولينصرنّ الله من ينصره ان الله لقوي عزيز﴾ [الحج ٤٠٩].

﴿ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن الذي ينصركم من بعده﴾ [آل عمران ١٦٠].

من مظاهر قوة الإيمان بالله عند الإمام الخميني:

وما نعنيه هنا بقوة الإيمان الإيمان الذي يستوعب عواطف القلب، ويستغرق مكامن العقل، بان الله تعالى طوق الإنسان بما لا يحصى من النعم، التي لا تستوجب فقط شكره عليها، وانما تفرض عليه . اخلاقيا . حبه وطاعته وعبادته ، وحب دينه ورسوله وآل بيته، ودعوة الآخرين أيضاً لمعرفة ربهم والإيمان برسالته. وقد قرأت اليوم لاول مرة ، احد مظاهر قوة الإيمان عند الإمام الخميني في الرسالة التي بعث بها الى السيد غورباتشوف آخر رئيس لمجلس السوفيات الاعلى، بتاريخ ١٩٨٩/١/١ وأثار فيها قضايا المعرفة الإنسانية، والجدل الفكري القائم بين الإسلام والماركسية، وهي من ابلغ دروس الدعوة للإسلام في مستوى عالم الفكر والمعرفة، والجدل العلمي - الفلسفي، ارجو ان تكون قد قررت في مناهج التعليم الثانوي والعالي بشعب التاريخ او الفلسفة او الحضارة الإسلامية بالجمهورية الإسلامية الإيرانية، اقتطف منها بعض الفقرات الدالة على سمو الفكر الديني عند صاحبها:

«مشكلتكم ليست الملكية، والإقتصاد والحرية، بل عدم الإيمان بالله».

«لقد بات واضحا للجميع انه يجب بعد الآن البحث عن الشيوعية في متاحف التاريخ السياسي في العالم».

« نحن نعتبر مسلمي العالم كمسلمي بلدنا، ونعتبر انفسنا شركاء في مصيرهم».

« ندعوكم لارسال خبرائكم الاذكياء والمتضلعين في المعارف الإسلامية الى قم حتى يطلعوا على عمق منازل المعرفة اللطيفة التي هي ادق من الشعر».

«إيران تعد اكبر واقوى قاعدة في العالم الإسلامي بامكانها ان تملأ بسهولة الفراغ العقائدي في النظام السوفياتي».

«اطلب منكم ان تحققوا بدقة وتمعن في الفكر الإسلامي، وهذا ليس لان المسلمين والإسلام بحاجة اليكم، بل لاجل القيم العالمية الرفيعة للإسلام، التي بامكانها إنقاذ كل الشعوب واسعادها».

هذه الفقرات نموذج للخطاب الإسلامي السياسي المعاصر الذي يرقى لتحديد طبيعة الحوار بين الإسلام والحضارات او الشرائع والمذاهب الاخرى. هو حوار لدعوة الآخرين لفهم الإسلام، والاقتناع بسمو دعوته الإنسانية . الاخلاقية، وليس للتنازل عن مبادئه او التسامح بشأنها.

والرسالة بنصها الكامل جديرة بان تقرر وتدرس في جميع مؤسسات التعليم الإسلامية، كوثيقة سياسية إسلامية معاصرة في مجال الحوار بين الحضارات.

وتأثرا بهذه الرسالة، وبقوة الإيمان المتدفقة عند صاحبها، نشرت صحف لندن يوم (١٩٩٩/٦/١٧) نص الدعوة التي وجهتها الحركات الاصولية في بريطانيا للدخول في الإسلام الى ملكة بريطانيا وولي العهد الامير تشارلز (المعروف بمواقفه الشهيرة نحو الإسلام) ورئيس الحكومة توني بلير والى الوزراء والنواب وعامة الشعب البريطاني:

العنصر الثاني: موهبة العقل الإسلامي:

أعتقد أن العالم العربي أحبط ودمر أكثر من سبعين عاما من تاريخه الحديث، ذهبت هباء منثورا، منذ سقوط الخلافة العثمانية، ونجاح السياسة البريطانية يومئذ في تعويض فراغه الروحي من (الفكر الإسلامي) بعد انفصاله سياسيا عن هذه الدولة الإسلامية بـ(الفكر العربي القومي) ونُضحه بتأسيس (الجامعة العربية) كبديل لـ(الجامعة الإسلامية). وهكذا نجحت السياسة الإستعمارية البريطانية، في سحب وتهميش العقل الإسلامي، وأبقت العالم العربي في دوامة التفكك والصراع القومي، ليصبح (قوميا اشتراكيا) او جماهيريا شعبيا، او ديمقراطيا ليبراليا، وتوسع الفلاسفة والكتاب العرب في تحليل مفهوم العقل العربي ووسائل تحديثه وتحديده بتزييف وتحريف التاريخ الإسلامي، بينما كان هؤلاء واحزابهم في طليعة المعترفين بـ(إسرائيل) والداعين لتطبيع العلاقات معها.

ومن حسن حظ الإسلام والمسلمين ان قائد الثورة في إيران لم يتبن القومية الفارسية (رغم ما يعرفه العالم عن الحضارة الفارسية قبل الإسلام وبعده، وما قدمه الفرس من

فلاسفة وعلماء في كل العلوم الإسلامية) ولم يتحدث قط عن شيء اسمه (العقل الفارسي).

تفاعل الغرب مع صدمة الثورة الإسلامية الإيرانية:

بعد ٢٠ سنة من انتصار الثورة الإسلامية الإيرانية وقيام الجمهورية الإسلامية الإيرانية كدولة قوية مستقرة، واعتراف جميع دول العالم بها، بدأت تظهر نتائج تفاعل الدول الغربية ، بصفة خاصة . مع صدمة الثورة الإسلامية الإيرانية ودعوة قائدها لتصحيح الفكر الإنساني، واعادة التوازن اليه عن طريق الإيمان بالله.

فهذه الدعوة بدأت تشق طريقها في عقول المفكرين الغربيين، نذكر من بينهم شخصية وزير الخارجية البريطاني (روبن كوك) الذي ألقى محاضرة في أحد المراكز الثقافية بلندن اخيرا عن الإسلام جاء فيها: ان الغرب مدين للإسلام بالشيء الكثير، فالإسلام هو الذي وضع الاسس الفكرية لمجالات مهمة وكبيرة في الحضارة الغربية، وان الغرب احوج ما يكون الى الإسلام كصديق في ظل التحديات المعاصرة، وان اهم ما يشغل باله كوزير للخارجية ما أعلنه في مؤتمر حزب العمال، وهو كيفية تشكيل علاقة ايجابية مع العالم الإسلامي. وقال في ختام محاضرته: «في بلادنا مجتمع إسلامي مزدهر، يتوفر على اكثر من ٩٠٠ مسجد، ونحن نفخر بذلك، وحق للمدارس الإسلامية ان تتلقى الدعم المادي من الدولة وكذلك نجد حوالي مليون ونصف مليون مسلم بريطاني يقومون بدور كبير في الحياة الثقافية والسياسية والإقتصادية للامة، وهو دور آخذ في الازدياد المستمر».

هذا هو الوجه المنفتح للإسلام وحضارته اليوم في اغلب العواصم الغربية فضلا عن الصحوة الإسلامية العالمية، وخاصة منذ (صدمة الثورة الإسلامية الإيرانية) والدور الكبير الذي قام به زعيم هذه الثورة وامامها وعالمها في الانتقال بها الى بناء الدولة ومؤسساتها لتصبح الدولة الإسلامية النموذجية الاولى في هذا العصر إيمانا وتشريعا وسلوكا اخلاقيا، وامرا بالمعروف ونهيا عن المنكر ودعوة صادقة الى الله، لا يرجو من وراء ذلك – وهو مقيم في بيته الصغير المتواضع بجانب زاويته الحسينية بطهران – الا ثواب الله.

فهل وعى الشعب الإيراني المسلم (رسالة هذه الثورة) ومسؤوليته في الحفاظ عليها، والدفاع عن مكتسباتها؟

هل أدرك سر (التوازن الديني – السياسي) القائم على ازدواجية توزيع المسؤوليات والسلطة في نظام الحكم والدولة الإسلامية – الاول من نوعه في الانظمة الإسلامية –

ليظل الإسلام والحكم بما أنزل الله هو المتحكم في سياسة الحكم في الدولة الإسلامية، فاذا انعكست الآية، واصبحت مصالح الحكم هي المتحكمة في سياسة الدولة، فهذه لن تكون دولة إسلامية.

ملامح مشروع التغيير السياسي عند الإمام الخميني

العلامة السيد كامل الهاشمي

تمهيد

مما لا شك فيه ان الإمام الراحل السيد روح الله الخميني يعد صاحب أهم مشروع سياسي عملي يشهده العالم الإسلامي في نهايات القرن العشرين الميلادي وفي بدايات القرن الخامس عشر الهجري، وبالرغم من ان المشروع السياسي للامام الخميني والمتمثل عمليا في دولة الولي الفقيه قد شارف على انهاء عقدين من الزمن في ادارة الحكم والدولة والمجتمع في جمهورية إيران الإسلامية، الا ان التعقيدات النظرية والعملية - التي ما انفكت عن ملازمة المشروع منذ اليوم الاول لتأسيسه وخروجه الى النور الى الوقت الراهن - تجعل من الصعب بل من المتعذر تقديم حكم نهائي عليه بالسلب او الايجاب.

والصعوبة او التعقيد اللذين يواجههما الباحث والناظر في مسار التجربة الإسلامية في إيران، ينبعان من صور الغموض والإبهام وعدم التحديد التي قدر لها ان ترتبط بشكل او بآخر بالكثير من المقولات والافكار والمبادئ التي نادت بها او دعت اليها الثورة الإسلامية في إيران. وربما يكون هذا الغموض وذاك الإبهام أمرين طبيعيين في ظل حركة إجتماعية وسياسية تختبر لأول مرة تصوراتها وأفكارها الخاصة بها على مستوى عملي.

ومن المعلوم ان التجديدات والتوضيحات التي يمكن ان تعطيها التجربة العلمية لأية فكرة حينما يمارسها الفرد والمجتمع عمليا هي اكثر دقة وموضوعية من تلك الاستخلاصات والاحكام الصادرة قبل مرور الفكرة باختبار عملي يكشف عن نواقصها واشكالياتها. ولذا قد يكون من الطبيعي جدا ان يغير الإنسان أفكاره وتقييماته النظرية المجردة بعد امتحانها واختبارها، وليس في ذلك اي عيب ما دام الإنسان لا يجد بدّا من المرور بتجارب متنوعة

(*) باحث إسلامي ومن كبار علماء الدين في البحرين.

من أجل ان يتعلم ومن أجل ان يراكم معرفة عملية دقيقة ومثمرة عن الواقع ومتطلباته تعينه على تجاوز الاشكاليات المستقبلية التي يقدر له مواجهتها والاصطدام بها.

ومسار التجربة الإسلامية في إيران لا نعتقد انه يخرج عن هذا السياق، فالصورة التي نادى بها الإمام الخميني – كمصلح ديني وسياسي – لم يزعم لها صاحبها انها كاملة ومتكاملة وانها تعلو على النقد وحتى لو كان – اي الإمام – كذلك في مرحلة التنظير للفكرة، الا انه حتما لم يكن كذلك في مرحلة التطبيق والممارسة والامتحان العملي للفكرة وهذا ما تؤكده الشواهد العلمية العديدة التي أبدى فيها الإمام الراحل استعداده التام لتغيير فكرة كان يعتقدها او التنازل عن رأي كان يراه، مما يدلل على ان الرجل كان يعتقد ان للتجربة دورا مهما وكبيرا في رفد عملية التنظير بمستلزمات تصحيح وتطوير الفكرة.

وفي مقالتنا هذه نحاول ان نلقي الضوء على بعد مهم وخطير من أبعاد حركة الإمام الراحل السياسية والدينية ويتجسد هذا البعد في إشكالية العلاقة بين الدين والسياسة كما تبلورت في أطروحة التغيير السياسي عند الإمام الخميني (قدس سره) وهي الأُطروحة التي عنت تمام العناية بتحديد ورصد الخط الفاصل والدقيق بين مقولتين؛ الاولى: مقولة تسييس الدين والثانية مقولة تديين السياسة.

وبعبارة أخرى بين فكرة الدين المسيس وفكرة السياسة المتدينة، وهذا الفصل بين الاطروحتين او الفكرتين هو ما سنعني ببيانه في النقاط التالية من المقالة:

الدين والسياسة توأمان لا ينفصلان

لم تكن عدم امكانية فصل الدين عن السياسة والسياسة عن الدين مجرد فكرة تجد ضرورتها في فكر الإمام الخميني من موقع الضرورة التاريخية والإجتماعية التي تفرض على مصلح ثوري مثل الإمام الخميني، ان يعتقد بها ويدافع عنها، والا فإنه يعجز عن تقديم تبرير منطقي معقول لحركته ذات البعد التغييري الإجتماعي والسياسي الصارخ والواضح. فحركة الإمام كان من الواضح منذ اليوم الاول لانطلاقتها انها استهدفت الاعتراض على الكثير من الممارسات والقيم التي رمت الحكومة الشاهنشاهية لترسيخها وتعزيز فاعليتها في المجتمع الإيراني. وهذه الممارسات والقيم لم تكن تطال الوضع الديني فحسب بل كانت تأثيراتها السيئة والسلبية تمتد لتشمل العديد من مناحي الحياة الإجتماعية والسياسية والثقافية.

ولقد كان بإمكان الإمام – لو أُراد ان يبقى رجل دين بالمعنى الضيق والمحرف لرجل

الدين – ان يغض الطرف عن تلك الممارسات في ما تطاله من مناح قد لا تعتبر من شؤون رجل الدين واهتماماته، ولكن الإمام الخميني كان يرى ان مسؤولية (العالم الديني) لا يمكن ان تتحدد وتتأطر بنوع من المهام ذات الصبغة الروحية والاخلاقية المجردة.

فالدين في نظر الإمام الراحل حقيقة إلهية أنزلها الله تعالى على أنبيائه ورسله (عليهم السلام) من اجل ان يقوم الناس بالقسط والعدل. وإقامة القسط والعدل لا يمكن ان لا تصطدم برغبات المتسلطين والحكام مما لا يبقي فسحة لعدم المواجهة بين الدين بما هو مشروع تغييري شامل يستهدف تحطيم قيود العبودية والرق التي يرفل في اغلالها البشر، وبين مشاريع الطغاة والجبابرة التي ترفض ان تسلم للآخرين بحقهم في العيش الحر والحياة الكريمة. وهذا ما يستوحيه الإمام الخميني من قوله عزّ وجل: **﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوي عزيز﴾** [الحديد ٢٥].

فحينما يتحدث الإمام (رض) عن المعاني التي تثيرها هذه الآية المباركة في الذهن يقول: «ان الله تبارك وتعالى يقول: **﴿لقد بعثنا الانبياء واعطيناهم البينات والآيات وكذا أعطيناهم الميزان وبعثناهم ليقوم الناس بالقسط﴾** فالغاية هي قيام الناس بالقسط وان تتحقق العدالة الإجتماعية بين الناس وينتفي الظلم ويزول الظالمون ويعنى بالضعفاء فيتحقق القيام بالقسط. وبتبعه قال **﴿وانزلنا الحديد﴾** فما التناسب بين هذا وذاك؟ ان التناسب يكمن في الاشارة الى ان تلك الأهداف ينبغي ان تحقق بالحديد فبالبينات وبالميزان وبالحديد تتحقق تلك الأهداف. وقوله: **﴿فيه بأس شديد﴾** يعني انه اذا وجد شخص او جماعة يبتغيان إفساد مجتمع ما او افساد حكومة عادلة فانه يلزم محاورتهم بالبينات وان لم يصغوا فبالموازين اي الموازين العقلية والا فبالحديد»[1].

وهكذا يتضح لنا ان الارتباط بين الدين والسياسة في وجهة نظر الإمام الخميني مسألة لا يمكن ان تنفصل عن صميم الرؤية الدينية التي كان يعتقد بها الإمام ويرى انها تمثل الصورة الحقيقية للدين. «فالعقيدة الإسلامية في الوقت الذي تهدي الإنسان لعبادة الله وكيفية هذه العبادة فانها توضح له كيف يعيش وكيف ينظم ارتباطاته وعلاقاته مع بقية الناس بل وحتى ارتباط المجتمع الإسلامي مع بقية المجتمعات كيف يكون فلا توجد حركة او عمل فرديان او إجتماعيان الا ويوجد لهما في الإسلام حكم مقرر، ولذا من الطبيعي ان

(١) من بيان الإمام الخميني لأئمة الجمعة في محافظة خراسان وغيرها. صحيفة نور، مجموع توجيهات وبيانات الإمام الخميني، ج١٥. ص١٤٦، انتشارات سروش إيران – طهران. الطبعة الاولى ١٣٦٩هـ.ش

يستوعب مفهوم القيادة الدينية ورئاسة علماء الدين كل شؤون المجتمع، لان الإسلام يتعهد بتوجيه المجتمع في مختلف الشؤون والأبعاد الحياتية»(٢).

وهذا الربط المحكم بين الدين والسياسة الذي أكد عليه الإمام الراحل لا شك انه يوجب اختلالا في التصور على مستوى آخر وهو مستوى إمكانية استغلال الدين لأجل أغراض سياسية من قبل البعض ممن لا يهمهم الدين وقيمه بقدر ما تهمهم مصالحهم الذاتية والوصول الى رغباتهم الشخصية عبر جسر الدين. ولا ريب انها قضية خطيرة ما كان بالامكان ان لا تستدعي وقفة تأمل من قبل شخص مدرك وواع مثل الإمام الخميني(رض) وهذا ما حدث بالفعل وهو ما سنعرض له في النقطة الآتية من مقالتنا.

تجاذبات الدين والسياسة في مشروع الإمام الخميني التغييري

الاهمية الكبرى التي انطوى عليها المشروع التغييري للامام الخميني هو انه مشروع أراد الجمع بين المتنافرات والمتضادات في عالم البشر فالناس حينما تتسيس تفتقد الدين عادة وكذا الناس حينما تتدين تفتقد الوعي والحنكة السياسية اللازمة لفهم مسارات السياسة وتقلباتها، ومن الصعب جداً ان يستطيع المرء ان يوفق بين مقتضيات الدين ومتطلبات السياسة مما يضطره في نهاية المطاف الى ان يرجح أحدهما ويتخلى عن الآخر.

ومما لا شك فيه ان مشاريع التغيير السياسي مشاريع محفوفة بالكثير من المخاطر والهفوات ورغبة الإنسان في الخروج دائما من مشاريعه مرفوع الرأس وبشكل سريع وحاسم توحي اليه في الكثير من الاحيان بلزوم التخلص من ضغوطات الواقع السياسي والإجتماعي التي ترهقه وتتعبه نفسيا ومعنويا فيبادر من أجل ذلك اما للتنازل عن المبادئ والشعارات التي رفعها ودعا اليها في بداية الطريق، او لتحويرها واخضاعها لمنطق الضرورات وربما لاستبدالها بشعارات ومبادئ جديدة تتنافى مع الاولى وتناهضها وكل هذه التغيرات تصبح مبررة ومقبولة في ظل المنطق السياسي حينما يريد الانفصال عن منطق الدين وذلك لان صاحب المنطق السياسي المجرد اهم ما يعنيه هو تحقيق النصر بكل قيمة ومهما كانت الوسيلة.

وتجريد المنطق السياسي من تأثيرات الدين يخول الممارسة السياسية الى ان تكون غاية في حد ذاتها تتناسى من أجلها وفي سبيلها الأهداف الحقيقية والاخيرة لمشروع التغيير وما يمنع حدوث هذا التحول هو ما يتوفر عليه السياسي من وعي وإدراك بطبيعة هذه المعطيات

(٢) صحيفة نور ج٤، ص ١٦٧-١٦٨

التي لا تنفك عادة عن مواجهة احتمالاتها أية ممارسة سياسية وهذا ما كان يعنيه الإمام الراحل حينما لم يتناس ولا لحظة واحدة ان السلطة السياسية لا ينبغي أبدا ان تتحول الى غاية في حد ذاتها. وقد أفصح عن تمسكه بهذا المبدأ حينما قال: «ان تحمل مهام الحكم في حد ذاته ليس تشريفا ومقاما تكريميا: ولكنه وسيلة لتحقيق مهمة اجراء الاحكام واقرار نظام الإسلام العادل.. فالإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول لابن عباس في شأن نفس الحكومة والقيادة: كم تساوي نعلي هذه؟ فيقول: لا شيء. وحينئذ يقول الإمام: ان قيادتي وإمرتي عليكم هي اقل قيمة من هذا النعل الا ان اتمكن من خلال هذه الامارة والحكومة ان أقيم حقا، أي ان أقيم نظام وقانون الإسلام وأزهق باطلا أي ان أنفي القانون والانظمة الظالمة وغير المناسبة»[٣].

وانطلاقا من هذه الرؤية التي يحملها الإمام الخميني (عليه السلام) للسلطة ووظيفتها فانه يوصي قياديي البلاد بالقول: «ان من جملة التحولات التي لابد ان تتحقق وان عليكم تحقيقها ايها السادة هو ان لا تغتروا بكلمة (آمر) حينما تقال لكم فان هذه الكلمة تجد فاعليتها حينما يكون هناك آمر ومأمور وتنتفي الاخوة فيكون هناك طبقة من الناس طواغيت وسائر الناس مأمورين لهم في الوقت الذي لا يؤمن الإسلام بهذه الفكرة اصلا»[٤].

وعبر نظرة الإمام الخميني للسلطة والممارسة السياسية بما هي خدمة تقدمها جهة معينة في المجتمع لبقية أفراده، تمكّن من تجذير هذا المفهوم وربط مضمون السلطة بمفهوم الخدمة وهو الأمر الذي يؤكد عليه عبر قوله في لقاء له مع بعض المسؤولين: «اسعوا من أجل ان يكون لكم دور وطني ولا تعتقدوا ان هذا انما يكون بكونكم اصحاب مقام وسلطة ومن خلال ذلك تفرضون ذواتكم على الناس. ان كل من يكون صاحب مقام أعلى، عليه ان يكون خادما للآخرين بصورة أكبر»[٥].

ويجعل الإمام مفهوم الخليفة من صميم تعاليم الدين حينما يقول: «ان الانبياء كانوا ينظرون لانفسهم على انهم خدام ولم يكونوا ينظرون لأنفسهم على انهم حكام للناس، فليس في البين حكومة وسلطة ان أولياء الله والانبياء العظام كان لديهم هذا الاحساس

(٣) مرآة الثورة الإسلامية مختصرات من آراء وافكار الإمام الخميني، مؤسسة نشر وتنظيم آثار الإمام الخميني، الطبعة الثالثة ١٣٧٤هـ ش، ص ١٤١
(٤) صحيفة نور ج ٨ ، ص١٤٥ .
(٥) نفس المصدر ج ٧ ص٦

وهو انهم جاءوا لهداية الناس وارشادهم ومن اجل ان يخدموهم»[٦].

ومن خلال هذا الفهم لدور السلطة استطاع الإمام (رض) ان يبقي خط التواصل بين الدين والسياسة قائما وفاعلا في كل تجربته السياسية التي خاضها من قبل ان يصل الى السلطة ومن بعد وصوله اليها. ولقد كان (رحمه الله) صادقا مع نفسه ومع الآخرين ووفيا لقيمه ومبادئه حتى في أصعب المواقف وأحرج الظروف التي واجهته كقائد لمسيرة ودولة. فحينما لم يجد بدّا من ايقاف الحرب التي شنها النظام العراقي على جمهوريته الفتية ظلما وعدوانا وبايعاز من الإستكبار العالمي لم يتنكر لمحاولة الاعتراف بمرارة الصدمة التي واجهها ولم يسع - كما يسع الكثير من السياسيين - للتحلل عن مسؤوليته في تحمل العبء الاكبر في ما فرضته عليه الظروف من خيارات صعبة وثقيلة فقال بالحرف الواحد: «انني اعلن ان موافقتي على هذه المسألة كان بالنسبة لي أشد إيلاما من تجرع السم ولكنني راض برضى الله وانني أتجرع هذه الجرعة لأجل رضاه»[٧].

وهذه المواقف الكبيرة التي تمثلها الإمام الخميني (رض) هي التي أفصحت عن استقامة هذا الرجل العظيم وإصراره على التمسك حتى آخر لحظة من حياته وعبرها أبدى قدرة بارعة على رفض تسييس الدين والتلاعب به من اجل المصالح السياسية واكد في الوقت نفسه انه يتحرى اولا وأخيرا الانطلاق من الواجب الشرعي الملقى على عاتقه مهما كانت النتائج وهذا ما حدا به للقول: «ان الله كلفنا بان نجاهد مخالفي الإسلام وأمة الإسلام. فاما ان نتقدم او لا. فإن انتصرنا فلله الحمد فلقد قمنا بتكليفنا ووفقنا للنصر واذا متنا فقد أدينا وظيفتنا أيضاً لماذا نخاف؟ فنحن لا يوجد عندنا هزيمة فان الهزيمة لا تخرج عندنا عن حالين فاما ان نتقدم وبالتالي ننتصر واما ان لا نتقدم فنكون قد حفظنا ماء وجوهنا عند الله فأولياء الله يهزمون فأمير المؤمنين هزم في حربه مع معاوية وهذا أمر غير معيب وكذا الإمام الحسين سلام الله عليه هزم في حربه وقتل أيضاً في حربه ضد يزيد، ولكنهما بحسب الواقع انتصرا فلقد كانت الهزيمة ظاهرية والنصر هو الواقعي واذا كنا نحن الذين نريد العمل لله قد نهزم فان المهم هو ان نقوم بتكليفنا وسيكون النصر من نصيبنا بحسب الواقع»[٨].

وهكذا يتحدد مفهوما النصر والهزيمة في رؤية الإمام الخميني من خلال تأدية التكليف

---

(٦) نفس المصدر ج ١٥ ص٢١٧

(٧) صحيفة نور ج ٢٠ ص ٢٤١

(٨) صحيفة نور ج٦ ص ١٦٤ - ١٦٥ .

الإلهي او التقاعس عنه وعبر ذلك تتحدد معالم النهج السياسي في حركة الإمام الخميني فهو النهج الذي يراعي اولا وقبل كل شيء رضا الله تعالى والالتزام بما تمليه الوظيفة الشرعية على الإنسان.

الأخلاق والسياسة في النهج التغييري للامام الخميني

من اللازم للقائد السياسي الذي يبتغي لمشروعه التغييري ان لا يتحول الى مشروع انتهازي وتبريري ذرائعي ان يؤطر مشروعه برؤية أخلاقية معنوية. ولا نبالغ اذا قلنا: ان الإمام الخميني (رض) يعد واحدا من أهم القادة السياسيين الذين استحوذ البعد الاخلاقي والمعنوي على اهتماماتهم بصورة بالغة ومكثفة ومن خلال تأكيده على البعد الاخلاقي في الممارسة السياسية استطاع الإمام ان يحدد بشكل دقيق الحد الفاصل بين السياسة المتدينة والدين المسيس.

واذا ما أردنا ان نتعرف على الأهمية البالغة التي ينبغي ان تحظى بها الأخلاق في أي مشروع سياسي علينا ان ننظر الى مشاريع التغيير السياسي لا بوصفها مجرد مشاريع تستهدف الاستحواذ على السلطة في مجتمع ما وانما بوصفها مشاريع تستهدف السمو بالإنسان وتغيير وضعه الداخلي بنحو يحقق ثورة حقيقية في مفاهيمه الفكرية وقيمه الاخلاقية وممارساته الإجتماعية. ولقد كان الإمام الراحل (قدس سره) يستهدف تحقيق هذه الأمور كلها من خلال حركته التغييرية ولذا لم يكن عجبا ان يفصح الرجل عن التزامه بمبادئ اخلاقية في كل الاعتبارات السياسية. بل وتعلوها وتتقدم عليها وهو ما افصح عنه في العديد من كلماته وخطاباته ومواقفه فحينما تحدث عن مبدأ الاخوة الإسلامية الذي يربط بين كل المسلمين نظر اليه ضمن بعديه الاخلاقي والسياسي فقال: «احكام الإسلام الاخلاقية هي سياسة وهذا الحكم الذي يتعرض له القرآن ويعتبر من خلاله المؤمنين اخوة[٩] هو حكم اخلاقي وإجتماعي وسياسي.. فاذا كان المسلمون طوائف مختلفة كما هم كذلك، ولكنهم يؤمنون بالله ونبي الإسلام فانهم يكونون اخوة. فكما ينظر الاخ الى اخيه بنظرة المحبة فكذلك الجماعات تنظر الى بعضها نظرة محبة وهذا الحكم بالاضافة الى كونه خلقا إسلاميا مهما وله نتائج اخلاقية كبيرة فهو أيضاً حكم إجتماعي عظيم وله نتائج إجتماعية مهمة»[١٠].

---

(٩) اشارة الى قوله تعالى: ﴿إنما المؤمنون اخوة﴾.

(١٠) صحيفة نور، ج١٣ ص٢٣ .

ولقد كان الإمام حريصا كل الحرص على ان لا تتحول المنافسة السياسية بين المتنافسين في المجتمع الإسلامي الى منافسة تفتقد القيم الاخلاقية وتتوسل بكل الامكانيات المشروعة وغير المشروعة لاسقاط الطرف المقابل ليتحول عبر ذلك المنصب السياسي الى منصب يطلب بحد ذاته وتتناسى الغاية الحقيقية التي من اجلها يسعى الإنسان لاحتلال منصب سياسي وهي خدمة الآخرين والفوز برضا الله تعالى وهو ما حذر الإمام (قدس سره) من يرشحون انفسهم لمهام الحكم والسلطة من الوقوع فيه قائلا: «اني انتظر من المرشحين ومؤيديهم ان يراعوا الأخلاق الإسلامية والإنسانية في الدعوة لانفسهم ولمرشحيهم وان يبتعدوا عن اي انتقاد للطرف المقابل يوجب الاختلاف وهتك الحرمات وحتى لو كانت الغاية إسلامية فان ذلك لا يبرر القيام بما يخالف الأخلاق والثقافة فهو أمر مرفوض ولا يمكن ان يكون له دافع من الإسلام»[١١].

وهذا الاحساس الاخلاقي المرهف الذي أبداه الإمام الخميني (قدس سره) في التعامل مع القضايا السياسية عكس منهجا إسلاميا أصيلا أرسى الإمام قواعده وأكد من خلاله على ضرورة ان تتدين السياسة لا أن يتسيس الدين. ولأجل ذلك لا يمكننا الا ان نقول: ان الإمام الراحل (قدس سره) وفق أيما توفيق في تحديد وبيان الخط الفاصل والدقيق الذي يربط بين الدين والسياسة ولم يسمح لنفسه ولا للحظة واحدة ان تستجره مغريات السلطة والحكم التي يقع فيها الكثيرون بوعي او من دون وعي.

وهذا المنهج الخميني نعتقد انه أهم ما تحتاجه الحركات الإسلامية المعاصرة التي تسعى لاعلاء كلمة الله عز وجل وتوجيه الجموع البشرية في كل مكان للقيام بالقسط والعدل وليس من سبيل لتحقيق هذا المبتغى الديني والسياسي والاخلاقي الا من خلال تثوير الأبعاد الاخلاقية والمعنوية التي جاء الدين أساسا من اجل تفعيلها في حياة ووجود البشر واي تغافل او تجاهل لهذا المبدأ لن تكون نتيجته الا خسارة كبرى تتحملها الإنسانية التي لم تلجأ الى الإسلام الا انها تعتقد انه يوفر لها ما تفتقده في المبادئ الاخرى من قيم اخلاقية ومعنوية تشعر بمسيس الحاجة اليها وبعدم قدرتها على الاستغناء عنها.

---

(١١) نفس المصدر ج١١ ص١٨٧ - ١٨٨ .

الإمام الخميني ومنهج المثالية الواقعية

الدكتور مصطفى محمد الغُماري

قليل ان يُلتفت الى الاحتفاء بمواليد البشر العاديين وان كانوا من العباقرة الملهمين.. لما في هذا الاحتفاء والاحتفال من معنى القداسة والكرامة لا ينالها الا الانبياء المعصومون، الذين كانت مواليدهم إرهاصا بميلاد فجر جديد، وإيذانا بقرب تنزل ملك الوحي حاملا بشائر الرسالات الإلهية بلسان المرسل المولود المشمول بالرعاية الإلهية، الموسوم بسمات الكمال، حيث جمال الفطرة، وجلال العصمة، وعظمة الخلق، وطهارة المنبع، وصفاء المنتمى. ولا كذلك البشر العاديون الذين هم مظنة الهوى، ومحل الخطأ، ومناط الشهوات، مهما سما نبل مقاصدهم، وتعلقت هممهم بالمثال، فانهم دون ان يُحتفى بمواليدهم لهذا الاعتبار.

على ان الإمام الخميني ان لم يذهب ذاهب الى عصمته ولا الى الحاقه بذوي القداسة من الأنبياء والمرسلين او الأئمة الطاهرين المعصومين فإن ما ظهر على يديه من كرامات، الفضل فيها يعود الى التزامه بالإسلام العظيم منهجا وسلوكا وفكرا وبصيرة.. والى وقوفه الذي لا يعرف التردد او التذبذب عند خط الانبياء وعند خط الائمة من اهل بيت العصمة الطاهرين. على تكالب الأعداء وتنمّر الخصوم، وتنكر القريب، وكيد الدخيل الغريب، وحسد الحاسدين من سدنة الطائفيات الجامحة، والمذهبيات الجانحة.. وارجاف المرجفين ممن نشأوا على العوج، ومردوا على المكابرة.. وعلى إنكار فضل ذوي الفضل.

كل ذلك أعطى للإحتفاء بمولده الكريم معنى الثبات على المبدأ، والوقوف دونه، وإنزال المثالية الحقة الى الواقع من دون ان ينال غبش الواقع من ألق المثال.. بل ان هذا الواقع ينسجم مع المثال انجساما رائعا، جعل كثيرا من الحيارى او المدخولين يعيدون قراءة

(*) استاذ جامعي وأديب ومحقق معروف.

أطروحة الإسلام في الحكم، ويشككون في ما بين أيديهم من أحكام قيمية على الإسلام، أصبحت عندهم مسلمات، وما هي من المسلمات في شيء.. ان هي الا أحكام بنيت على قراءات غرضية للإسلام، وأصبحت تقليدا متبعا، صاغتها نظرات حاقد او جاهل بالإسلام.. والإسلام من كل ما يرمى به براء براءة الذئب من دم ابن يعقوب.

ان الإسلام ليس مثالية يلحظ الواقع من مجهول سحيق.. حيث يقف أهل الأرض دونه مبهورين.. وحيث تعجز ان تنزل على أهل الأرض فتحيي منهم الموات، وتزيل عنهم الإصر والاغلال والعنت.. ولا هو واقعية تبدل كل آونة لبوسا.. وتنسخ كل فترة ما ثبتته في فترة أخرى.. بدعوى التجديد، والتكيف.. وما ذاك الا من إملاءات الاهواء، وتخرصات المتخرصين بلسان التدجيل والتجديف، بالظهور بمظهر المشرع حيث يستغني الإنسان عن ربه، ومن عطل حكم الله الثابت بالنصوص والدلالات، فقد عطل قيموميته على مخلوقيه.. وجعل من نفسه شريكا لله في خلقه.. وهذه حال الوثنيات المعاصرة تصبح معها الوثنيات القديمة ضربا من الإيمان، لأن تلك معذورة بالجهل والجهالة.. وقد يصلح الجهل عذرا في بعض الاحوال، أما هذه فهي محجوجة بالعلم، ولا عذر لعالم معاند.

ان الإمام الخميني - حُشرت روحه في الخالدين - جاء والذاكرة الإسلامية مثقلة بالرهق الى حد البله، وبالكسل الى حدّ الاحباط، حيل بينها وبين دينها الحق، فلا تكاد تراه الا وهما، ولا تكاد تتقراه الا طيفا، ولا تكاد تعيشه الا مكاء وتصدية حاسبة ان ما هي عليه عين الإسلام.. وحيل بين الإسلام وبين أهله بالوان من العصبيات والوثنيات والايديولوجيات لم يعد معها الا استجابة لدعاويها، والا تسويغا لأوهامها، وتمريرا لأطروحاتها.. فاصبح الإسلام محكوما بعد ان كان حاكما.. واصبح المسلمون مستبدا بهم بعد ان كانوا سادة ظاهرين.

لقد جاء الإمام الخميني، فأعاد الى الأمة ثقتها الضائعة بنفسها، وصدع بالإسلام الحق فانصدعت لصدعه قلوب المستبدين وانفتحت له قلوب المؤمنين المستضعفين، وأعاد للكلمة الإسلامية حيويتها وحياتها، وللحكم الإسلامي مصطلحه ومضمونه، فأصبح على كل لسان مذكورا، بعد ان ظل قرونا في بطون الكتب مطمورا، مهجورا.. وأخذت السياسة الإسلامية مكانها الريادي، في الحضور السياسي المعاصر، صداما او حوارا.. وأقول: السياسة الإسلامية، تنبيها الى خطر المصطلح الوافد (الإسلام السياسي) وتحذيرا منه، لأن الإسلام ليس مثل قطع الغيار، مفصول بعضها عن بعض.. تأخذ منه ما تشاء، وتترك منه ما ينقض هواك او يصدم رؤاك. ولا شك اننا نعيش في عصرٍ، حربُ

المصطلحات فيه لا تقل خطرا عن حرب المصفحات!! فليحذر المسلمون ما يراد بهم، وما يكاد بهم، وليقرأوا المصطلحات الوافدة بعين الحيطة واليقظة.. حتى لا يكونوا مع عدوهم على انفسهم.. وحتى لا يحسبوا ما يداف لهم من سم دسما.. وما ينصب لهم من حبالات طريقا الى الرقي والكمالات!

اعيـذها نظرات منـــك صادقة ان تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

ان الإمام الخميني لم يكن ليبلغ ما بلغه من مكانة تنقطع دونها رقاب الطالحين من صنعة التاريخ، وارباب الدول، ولم تكن ثورته لتظل ثابتة شامخة شاهقة تؤتي اكلها كل حين، لو لم يكن امة في رجل، وقليل من تصدق فيهم هذه العبارة فقد بلغ في الحديث مبلغ الحفظ علما واستقراء واستنباطا وعن هذا العلم الجليل صدرت نظريته في الحكم في ولاية الفقيه، وهي نظرية لا يردها الا مكابر او جاهل او حاسد.

وما النــــاس الا حاسد ومكذب ومـضـطـغـن ذو إحنـة وتـرات

اذ ليس بعد ولاية الفقهاء الا ولاية الصعاليك!

فلينظر امرؤ ما يختار!! وكان الفقه مرجعا عز نظراؤه فهو - على تمسكه الشديد بالنصوص الثابتة عرف كيف يعالج - باقتدار - الواقع، فيلحق الأشباه النظائر.

اما في العرفان فحدث عن البحر ولا حرج، فقد كان ربانيا متجردا لله، متخلقا بأخلاق السلف الصالح فرز من طغى فيه سلطان المادة حتى استبد بريقه بالعلماء فضلا عن العوام واشباه العوام!!

رحمك الله ايها العالم المجتهد الحر.

يا من أعاد الى الإسلام مسيرته الاولى.

ونفخ في روح الأمة فحركها بعد سكون وأحياها بعد موات، وعرفها بنفسها بعد ان أنكرت ملامحها او كادت، وقال لها: كوني فكانت.



الإمام الخميني.. القائد الفذ

العلامة السيد محمد الموسوي

ستظل الصحوة الإسلامية في هذا العصر مدينة لذلك القائد الفذ الإمام الخميني (رض) بما منحها من زخم لم تشهد مثله الأمة الإسلامية منذ قرون طويلة وبما زودها من تجارب في مقارعة الظلم هي بأمس الحاجة لها وهي تخوض صراعها المرير ضد قوى الشر والطغيان.

والإمام الخميني مدرسة فريدة من نوعها تتميز بالريادة في مواصفات القيادة الإسلامية والريادة في أسلوب الثورة ضد الظلم والريادة في مواجهة أشكال الإستعمار السياسي والثقافي والإقتصادي والريادة في تربية النفس وتزكيتها والريادة في طرح الإسلام الأصيل بعيدا عن ركام التاريخ ومخلفات الاحداث السياسية.

لقد جاء هذا القائد الفذ بحلقة الوصل (المفقودة) بين عظمة تعاليم الإسلام وبين واقع الحياة المعاصرة. وقد كان الإسلام مقصورا على العبادات البحتة وبعض المعاملات التي لا تضايق المعاملات الجاهلية الغربية. ولم يكن المسلمون فضلا عن غيرهم يحلمون ان تتقدم دولة في القرن العشرين ترفع راية القرآن وتدعو الى تطبيق الشريعة الإسلامية.. هذا بالرغم من وجود حركات إسلامية كبيرة في بلاد المسلمين، لم تتمكن وهي في ذروة نشاطها ان تؤسس اي نموذج او بداية او حتى بذرة لدولة إسلامية.

ولا نبالغ اذا قلنا ان هذا المشروع الإسلامي للحكومة كان ضربا من الخيال في أذهان كثير من المسلمين، ناهيك عن غير المسلمين الذين كانوا يعتبرون ان قيام دولة إسلامية أمر مستحيل، ولذلك كان تعامل الغرب مع نهضة الإمام الخميني ودعوته للحكومة الإسلامية تعاملا منطلقا من هذا الفهم الذي بدأ يتصور هذا الهدف الإسلامي مستحيلا، ثم ما لبث

(*) من كبار أساتذة الحوزة العلمية ورئيس مجلس علماء الهند.

بعد ان شاهد الغربيون الجماهير المليونية المطالبة برحيل النظام الغربي الذي كان الشاه يمثله وبقيام حكومة إسلامية استجابة لدعوة الإمام الخميني والعلماء في إيران، ما لبث الغرب ان غير اللهجة من التقليل بأهمية المطالب الإسلامية في إيران، الى الصراخ والتهويل من أخطارها على أمن المنطقة والعالم أجمع.

لقد تمكنت هذه الجماهير الإسلامية بقيادة قائدها الفذ الإمام الخميني ان تصيب العالم الغربي وقادته بزلزال افقدهم صوابهم وجعلهم يقفون مرعوبين أمام إرادة صلبة تطالب بعودة الإسلام لكل شرايين الحياة وتسعى لقطع وسائل الهيمنة والاستغلال والإستكبار التي مارستها الحكومات الغربية على الشعوب الإسلامية.

فالإمام الخميني هو القائد الوحيد في هذه العصور الذي صفع الحكومات الإستكبارية صفعات موجهة لم تذق مثلها منذ بداية عصر الإستعمار الغربي للعالم منذ عدة قرون، وسيبقى الغرب والشرق متأثرا بآثار هذه الصفعات الى وقت غير قليل.

كما ان الإمام الخميني هو القائد الوحيد الذي أنعش آمال المسلمين وبعث فيهم الثقة بأنفسهم وبقدرة الإسلام على قيادة الحياة في كل العصور، وبشكل خاص في هذا العصر الذي كادت فيه الهمم ان تموت والآمال ان تنطفئ أمام الهجمة الغربية والشرقية المتفوقة على المسلمين ماديا.

والزخم الذي منحه جهاد الإمام الخميني وانتصاراته للامة المسلمة ولحركتها لا يمكن اكتشاف حدوده وآثاره بسهولة خصوصا وان اظهار المسلمين لأفكارهم وطموحاتهم ليس مسموحا في كثير من بلدانهم، وهذا ما يجعل هذه الآثار تظهر بشكل تدريجي وحسب ظروف المسلمين في بلدانهم. لكن هذا الأثر قد ظهر في بعض البلاد ومنها لبنان في مواجهة الاحتلال اليهودي بشكل رائع جعل قائد جيش العدو يعترف بقوله «لا يمكن الجيش (إسرائيل) ولا لأي جيش في العالم من مواجهة حزب الله» وكذلك في الهند اذ يعيش مئات الملايين من المسلمين في شبه القارة الهندية بدايات نهضة إسلامية منطلقة من المساجد والحسينيات والحوزات العلمية ومتوجهة الى الحياة السياسية والإقتصادية والتعليمية بعد ان بعث الإمام الخميني الثقة في نفوسهم ودعاهم الى العودة الواعية الى الإسلام.

والمسلمون في أوروبا هم مثال آخر للزخم الذي منحه الإمام الخميني وحركته الرائدة في تحريك مشاعر حماة الأمة. وقد رأينا في بعض الدول الاوروبية آباء سموا أبناءهم باسم (الخميني) تعبيراً عن الحب والولاء، كما ان المشاعر الإسلامية المتفانية في البوسنة

والهرسك وكوسوفو ليست بعيدة عن الحركة الإسلامية الرائدة التي قادها الإمام الخميني. ونحن على ثقة بأن الغد الإسلامي القريب سيحمل معه فتوحات على مختلف المستويات وفي مختلف البلدان بعد ان كسرت نهضة الإمام الخميني جدار الخوف الذي بناه المستعمرون فانطلقت الأمة بعد تلك النهضة أمام آفاق واسعة من العمل النافع في تثبيت هويتها الإسلامية وفي نشر كلمة الإسلام في الأرض وان كانت تلك الآفاق الإسلامية غير مستقرة الا قليلا، لكن المستقبل سيحمل وبعون الله مزيدا من الانتصارات ما دامت القلوب مخلصة لله والسواعد عاملة لنصرة دين الله **﴿ولينصرنّ الله من ينصره﴾**.

والإمام الخميني نموذج للقائد المسلم الذي يدعو المسلمين بمختلف مذاهبهم ومشاربهم للانضواء تحت الوحدة الإسلامية دون إرغام أحد على ترك مذهبه الفقهي او مسربه الفكري، بل بالتركيز على الأصول الإسلامية والدعوة الى حكومة إسلامية تحقق للمسلمين هويتهم وكرامتهم. فهو يصرح في حديثه عن الحكومة الإسلامية بقوله؛ «لا سبيل لنا لتحقيق وحدة أمتنا الإسلامية ولإخراج وطننا الإسلامي وتحريره من سيطرة ونفوذ المستعمرين والدول العميلة لهم الا بتأسيس دولة . اذ لكي نحقق الوحدة والحرية للشعوب الإسلامية يجب اسقاط الحكومات الظالمة والعميلة ومن ثم اقامة الحكومة الإسلامية العادلة التي تكون في خدمة الناس. فتأسيس الحكومة هو لاجل حفظ نظام ووحدة المسلمين كما تقول الزهراء (ع) في خطبتها من ان الإمامة هي لاجل حفظ النظام وتبديل افتراق المسلمين الى اتحاد» (الحكومة الإسلامية ص ٧٤)، وخلافا لاكثر القادة السياسين بإطلاق شعارات لا ينفذها مطلقوها فإن الإمام الخميني الذي تحدث بهذا الحديث قبل سنوات طويلة من انتصار الثورة الإسلامية نفذ ما قاله وجسده عمليا بعد ان أسس الجمهورية الإسلامية واعطى الشيعة والسنة على حد سواء حقوق الانتخاب والمواطنة التامة في ظل الحكومة الإسلامية التي أرسى قواعدها.

واذا حاولنا استكشاف بعض الريادة في شخص القائد الإسلامي كما جسدها الإمام الخميني فإننا نرى فيه الزهد في متاع الحياة الدنيا كما كان عليه السلف الصالح، الى درجة لا يصدقها غير المسلمين لأنهم لا يعرفون كيف يعيش قائد لبلد يمتلك النفط وتجبى له المليارات كيف يعيش حياة كأبسط إنسان مأكلا وملبسا ومسكنا. واصبحت إيران التي كانت محكومة من قبل الشاه بيذخه الاسطوري محكومة من قبل قائد مرجع ديني يعيش التواضع والبساطة بشكل يعتبره الغربيون أسطورة أخرى يصعب تصديقها، ذلك لأن الإمام الخميني تربى في مدرسة النبي(ص) والإمام علي(ع) والائمة من أهل البيت الطاهرين(ع) تلك المدرسة التي عرفت حقيقة الدنيا فلم تعطها اكثر من حقها.

ان زهد الإمام الخميني وهو قائد ثورة عالمية الاصداء وهو مؤسس حكومة إسلامية في بلد من أهم بلدان الشرق الاوسط، أعطى الأمة الإسلامية دروساً أعادت الى ذاكرتها دروس الحياة النبوية والسيرة العطرة التي سرعان ما غابت من حياة الحكام الذين حكموا بسم الإسلام وولغوا في زخارف الحياة الدنيا وشهواتها حتى أصبحت صورة حكام تلك العهود الطويلة تقترن بالبذخ والانغماس في الملذات. والمناهج الدراسية الغربية تتحدث عن حياة الخمور والفجور للحكام المسلمين من أمويين وعباسيين وسلاجقة وأيوبيين ومغول وعثمانيين وغيرهم... فكيف يمكن ان تنسجم تلك النماذج المنحرفة الحاكمة باسم الإسلام مع هذا الحكم الإسلامي الذي يمثل القمة التي تصل اليها الانظار؟

لقد شهد العالم قادة رفعوا شعار الفقراء لكنهم عاشوا حياة القياصرة ومنهم النموذج الفريد ماو تسي تونغ وستالين لكن النموذج الخميني في حياة القائد هو النموذج الفريد حقا في هذه العصور لانه يعيد الى الحياة حياة اولياء الله الذين لا يريدون من الحكم سلطة او منفعة، بل يريدون احقاق الحق ومحاربة الباطل ويعيشون كما عاش الإمام علي الذي اكتفى من طعامها بقرصيه ومن لباسها بطمريه.

لقد تشرفت بلقاء الإمام الخميني في منزله المتواضع في طهران بعد انتصار الثورة الإسلامية فرأيت بيته اكثر بساطة من بيته الذي كنت التقيه فيه عندما كان يعيش في النجف الاشرف في العراق منفيا.

وإضافة الى زهده العلوي في متاع الدنيا فإننا نرى في شخصية هذا القائد الفذ حزما وصلابة وثباتا لا يمكن ان توجد الا في قلب من لا يقيم للدنيا وزنا ولا يخشى في الله لومة لائم. وهذا الحزم القيادي ميزة هامة من ميزات هذا القائد التاريخي على طول مراحل جهاده ضد الظلم والظالمين، فقد كان حازما ضد حكومة الشاه وكان حازما ضد حكومة صدام لا يأبه بما يمكن لهذا الحاكم الغاشم ان يسببه من اذى بليغ للثورة الإسلامية وهي في ايامها الاولى وحازما ضد أميركا الطاغية والمتغلغلة في اكثر بلاد العالم، وحازما ضد (إسرائيل) «الغدة السرطانية» التي لا يمكن التعايش معها، وحازما ضد القوى العميلة للغرب والشرق، وحازما ضد الغزو الثقافي الذي يريد تشويه افكار المسلمين وافسادهم، وحازما ضد الذين ارادوا تمييع الإسلام وترويج إسلام يرضى عنه اليهود والنصارى، بل وحازما حتى في وصيته الرائعة التي صدع فيها بحقائق عقيدية وفكرية وسياسية لم يذكرها غيره من قادة هذا العصر المسلمين الذين يخاطبون الناس باسم الإسلام، وقد وصفهم الإمام الخميني في وصيته التي ابتدأها بحديث الثقلين «الانانيون والطواغيت اتخذوا القرآن وسيلة لاقامة الحركات المضادة للقرآن ورغم ان نداء (واني تارك فيكم

الثقلين) كان في آذانهم فقدا ابعدوا بالذرائع المختلفة والمؤامرات المعدة سلفا المفسربن الحقيقين للقرآن والعارفين بالحقائق الذين تلقوا كل القرآن عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وفي الحقيقة انهم عملوا على ابعاد القرآن بالقرآن الذي هو أكبر دستور للحياة المعنوية والمادية، حتى الورود على الحوض، وابطلوا حكومة العدل الإلهي التي هي إحدى أهداف هذا الكتاب العظيم وأسسوا الانحراف عن دين الله والكتاب والسنة.

والحزم القيادي الذي يميز الإمام الخميني لا ينحصر في جانب دون آخر، فتراه يوجه ويوصي الأمة الإسلامية بالتمسك بحديث حاولت حكومات قرون الظلام ابعاده وطمسه فيقول بعد ان يذكر حديث الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي:

لعل جملة لن يفترقا حتى يردا علي الحوض» اشارة الى ان كل ما جرى على احد هذين الثقلين بعد رسول الله(ص) فقد جرى على الآخر، وهجران اي منهما هجران للآخر الى ان يرد هذان المهجوران على رسول الله(ص) الحوض».

وهو اذ يوجه هذه الوصية الرائعة لا يحصرها في الشعب الإيراني بل يخاطب بها جميع الشعوب الإسلامية ومظلومي العالم من اي شعب ودين، فيحذرهم من التبعية للشرق او الغرب ويضع يده على جرح هو اخطر من اخطر الجروح التي اوجدها الإستعمار في تربية الشعوب المغلوبة على الشعور بالنقص ومحاولة تقليد المستعمر كسبيل وحيد للتخلص من الضعف والتخلف، ولعل هذه التبعية والانهزامية اخطر من وجود الجيوش الغازية اذا ما كانت النفوس ترفض وجودها.

ان هذه السطور غير قادرة على الالمام بجوانب الريادة التي تمثلت بالإمام الخميني واحسب ان استكشاف مزيد من هذه الجوانب المشرفة مقرون بمزيد من البحث المتأني في حياة هذا القائد العظيم .

نسأل الله تعالى ان يوفق المسلمين للمزيد من الاستنارة بأنواره التي هي فرع من الدوحة النبوية.





مع القرآن الكريم حتى أخر أيام عمره الشريف

الإمام الخميني.. نصير العرب ومُظهر الإسلام الصحيح

الدكتور نشأت الحمارنة

يتوجب على المناضلين العرب سواء كانوا من أهل الفكر الديني او من أهل الفكر القومي ان يتأملوا المعجزة الكبرى التي حصلت بفضل اجتهاد الإمام الخميني. فالإسلام الرسمي في كل البلدان الإسلامية كان موظفا في خدمة الحكام، معاديا للكادحين والمستضعفين، فحق القول (ان الدين افيون الشعوب). لكن الإسلام الحقيقي ليس إفيونا، انه دين يحضّ على استعمال العقل، ويخدم العلم، ويكرم العلماء. وهو دين العدل والمساواة والاخاء والسماح، ولا ينبغي له ان يكون اداة لخدمة الطغاة واستغلال الجماهير.

لكن المؤسف ان عددا كبيرا من (رجال الدين) ربطوا مصيرهم بمصير الفئات الحاكمة، ودافعوا عن الاوضاع البالية وراحوا يحثون الشعب على طاعة السلطان مهما طغى هذا السلطان او تجبّر. لذلك صار الناس يتعدون عن الإيمان ويعلنون الالحاد، صاروا يخلطون بين الدين وبين القائمين على طقوس الدين، فكاد المسلمون ينسلخون عن دينهم ويبتعدون عن تعاليمه السمحة.

واذا اردنا ان نعطي بعض الامثلة على هذا المصير المؤسف الذي آل اليه الدين، فإننا نذكر كيف ان بعض رجال الدين قالوا بأن النضال ضد العدو الاسرائيلي لم يحن وقته بعد، بل يجب علينا ان ننتظر قيام (الدولة الإسلامية) لكي تقوم هي بأعباء القتال وتحرير الأرض. وهكذا فإن هذا الصنف الرديء من (رجال الدين) أعفى الحكام الخونة من واجبهم في مقاومة الغزو الصهيوني وجمّد الاوضاع على ما هي عليه، وخذل المجاهدين واظهرهم بمظهر المغامر او المتهور.

(*) شخصية مسيحية وطنية أردنية، باحث في الطب وتاريخ العلوم.

ما الذي فعله الخميني؟

انه أعلن ان شاه إيران بتحالفه مع العدو الاسرائيلي إنما يتخلى عن واجباته كمسلم. ويخون أبسط واجبات الوطن.

أعلن ان الإسلام ضد الظلم وضد الاستغلال، وضد التبعية، أعلن ان الإسلام دين الكرامة والعزة والحرية.

وبذلك أعلن - باسم الإسلام - الحرب ضد طاغية إيران عميل الغرب، حليف الصهيونية.

هذا هو (الإسلام الحقيقي) الذي بشر به الإمام الخميني، فأعاد للناس الثقة بدينها، اعاد لها الثقة بالرسالة السماوية السمحاء التي يمثلها الإسلام.

وبعد ان كان (رجال الدين) يعلنون الحرب على الحركة الوطنية القومية المعادية للإستعمار المنطلقة الى التحرر والكرامة قال الخميني ان المجاهد الإسلامي ينبغي له ان ينفتح على كل التيارات الشريفة في الشعب وان يتحاور مع اصحابها، وان ينهي حالة العداء القائمة بينه وبينها. وها نحن نرى كيف صار الحوار مطلبا إسلاميا: الحوار مع التيار الوطني التحرري، مع التيار القومي الذي يتطلع الى الاستقلال الحقيقي الناجز، ويرفض التبعية الإقتصادية او الثقافية للغرب المعتدي.

وها نحن نرى كيف بدأ هذا الحوار وكيف انهى مرحلة طويلة من الخسران والضياع وتشتت القوى الوطنية.

لقد حرص الغرب المستعمر على اذكاء نار الخلاف بين اصحاب المشروع القومي النهضوي واصحاب المشروع الديني النهضوي، فانقسمت الأمة الى قسمين يناجز كل منهما الآخر، وتعطل طاقة كل فريق طاقة الفريق المقابل، فاصبحت الأمة مشلولة عاجزة عن المقاومة وصارت فريسة سهلة للافكار المسمومة التي يروج لها العملاء الذين باعوا انفسهم للعدو، وراحوا ينفثون سمومهم ضد الوحدة القومية وينشرون الافكار الاقليمية والطائفية والمذهبية في مواجهة وحدة الأمة ونهضتها ورغبتها في التحرر والانعتاق، ويثبتون التجزئة البغيضة والفرقة القاتلة.

لقد جاء الإمام الخميني بفكره النير ونظره الثاقب المستوحى من جوهر الإسلام ليعلن ان الأمة مدعوة للوحدة والشعب مدعو للتضامن والمناضلين الصادقين مدعوون للجهاد من اجل الحرية والعدالة، ومن اجل تحرير فلسطين.

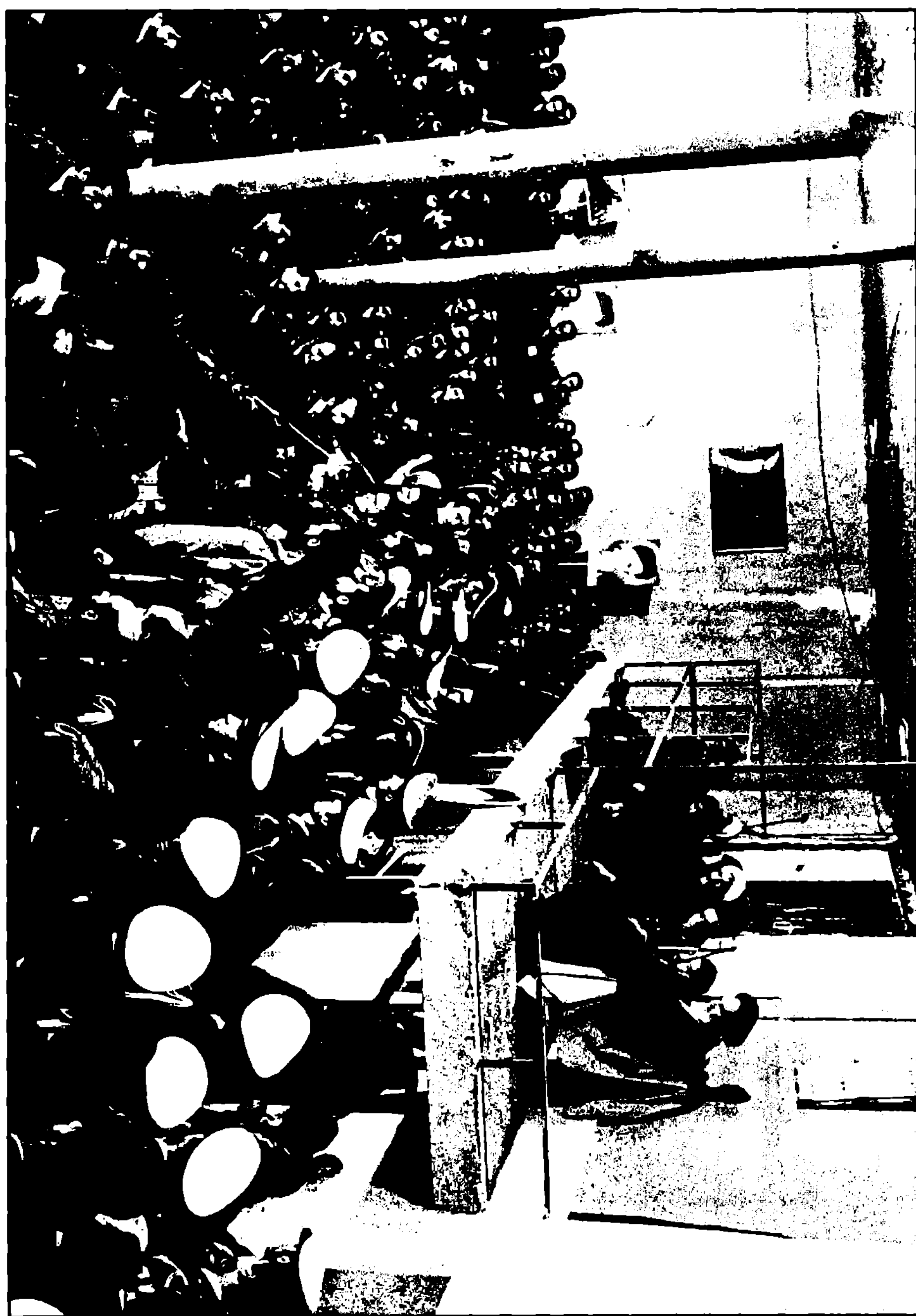
لقد صار الإسلام بذلك سلاحا بيد الأمة، سلاحا بيد المناضلين، سلاحا بيد الكادحين.

وصار الإسلام الحقيقي - إسلام الخميني - المشجع الاول لمكافحة الظلم والظالمين وصار الإسلام يكرم الشهادة والشهداء والنضال والمناضلين.

وانني على ثقة بأن فكر الإمام الخميني سينير الطريق امام المفكرين والاحرار في كل البلدان الإسلامية فيعرفون اخيرا ان الإسلام يجب ان يوحد نضالهم مع العرب ضد الغزو الصهيوني، وان الغرب هو الذي يريد ان يضعهم في مواجهة الأمة العربية لعرقلة نهضتها. وسيدرك جميع المسلمين ان الحضارة الإسلامية العريقة ومثلها السامية هي التي توحد بين العرب وبين سائر المسلمين وان التاريخ الإسلامي كان دائما مفخرة لنا حينما كان القوامون على الإسلام يدركون حقيقته ويفهمونه كما فهمه الإمام الخميني(رض).

لذلك فانني لا ابالغ ولا اغالي اذا قلت انه بمجيء الإمام الخميني حدثت معجزة هامة على طريق التحرر، وان الأمة العربية وجدت فيه خير نصير، وان الإسلام قد عاد لنا بوجهه المشرق وحقيقته الناصعة.

لذلك فان الإمام الخميني(رض) علم من اعلام الإسلام عموما، وعلم من اعلام هذا القرن، لا يكاد التاريخ الإسلامي يعرف له نظيرا.



الإمام المجدّد

الدكتور منصور الجمري

البحث حول شخصية الإمام الخميني ليس بالأمر السهل نظرا لما صاحب حياته (قدس سره) من أحداث جسام أثرت على المجريات السياسية والإجتماعية في كثير من بقاع العالم.

ولتركيز الموضوع حول جانب من تلك الجوانب يمكن استقراء نظرة الآخرين للإسلام والتفكير السائد قبل الإمام الخميني وكيف استطاع الإمام تغيير ذلك.

يشير بعض المستشرقين الى عدة أسباب ادت لضمور الحضارة الإسلامية ونهوض الحضارة الاوروبية قبل خمسمائة عام. من تلك الاسباب ان البلاد الإسلامية ظهرت فيها طبقات الحكام والعلماء والعسكر وهؤلاء ساهموا بشكل او آخر في تأخر الحضارة عن الركب.

فالحكم بعد استشهاد الإمام علي بن ابي طالب(ع) تحول الى ملك وراثي قائم على العصبية القبلية بدلا من الاخوّة الإيمانية. هذه التركية القبلية للحكم سرعان ما خلقت الحاجة للعسكريين الذين اعتمدت عليهم الدولة الإسلامية لاستقرار حكمها. وهكذا نرى ان العباسيين أصبحوا بعد ذلك أداة طيعة بيد أمير الامراء (القائد العسكري).

بين هاتين الطبقتين نشأت طبقة العلماء الذين مارسوا القضاء ودوّنوا الحديث ونشروا تعاليم الدين في أوساط الناس وعلماء الدين (شيعة وسنة) اتصفوا بالحساسية من الحكام، ووصلت الدرجة – لدى الشيعة مثل ا– بتقييم درجة العالم بمدى ابتعاده او قربه من الحاكم وكلما ابتعد عالم الدين عن الحاكم كلما اصبح مقبولا لدى عامة الناس. والحال

• باحث بحريني – عضو المنبر الدولي للحوار الإسلامي في لندن.

كذلك لدى السنة حيث احتفظ العلماء باستقلالهم قدر الامكان حتى استطاع الحكام فرض سيطرتهم عليهم من خلال تعيينهم او فصلهم كقضاة.

هذه العلاقة غير السليمة أدت لضمور الفكر الإسلامي، وبدأ الفلاسفة والعلماء يختفون مع القرن الخامس عشر، وأدى اغلاق باب الاجتهاد لدى أكثر المسلمين لانغلاق أبواب الابداع والتفكير ويمكن الاشارة الى التخلف الذي أصاب المسلمين عندما نذكر كيف أصدر السلطان العثماني في نهاية القرن الخامس عشر أمرا بمنع المطابع، وأصدر العلماء فتوى تحرم طبع الكتب الإسلامية في المطابع بحجة ان المطابع قد تؤدي لتحريف القرآن الكريم والسنة النبوية في الوقت نفسه سمحت الدولة العثمانية لليهود فقط بامتلاك وطبع الكتب باللغة العبرية واللغات الاوروبية. وكان اليهود يتمتعون بهذه التكنولوجيا في ظل الدولة الإسلامية بينما بقي المسلمون محرومين من طباعة الكتب لمدة تقارب القرنين والنصف حتى مطلع القرن الثامن عشر.

في تلك الفترة صعدت الحضارة الاوروبية وانتشرت العلوم وأصبحت الحضارة الإسلامية معرضة للخطر الخارجي انتهى بتقسيم البلاد الإسلامية ودخول الأوروبي مستعمرا ومجزئا البلدان حسب المصالح الأنانية للدول المستعمرة.

في نهاية القرن التاسع عشر بدا ان البلاد الإسلامية جاهزة للانهيار، فانبرى عدد من المجددين الإسلامين على رأسهم السيد جمال الدين الافغاني لإنقاذ الحضارة الإسلامية. فقد رأى السيد جمال الدين الافغاني بأن المشاكل التي تحول دون تجديد الحضارة هي سيطرة المستعمر ودكتاتورية الحكام المسلمين وجهل عامة المسلمين. لم يستطع السيد جمال الدين الافغاني تحقيق ما هدف اليه ولكنه زرع البذرة الصالحة لتخريج جيل من المجددين والمفكرين الذين سعوا للاستفادة من تطورات الخبرة الإنسانية في الوقت الذي حاولوا الالتزام بأساسيات الدين الإسلامي. لقد كان من نتائج ذلك ظهور الحركات الدستورية في إيران ومصر وتركيا في مطلع القرن العشرين. ولكن المد الغربي كان قويا والنخبة في البلاد الإسلامية كانت قد التحقت بركب الحضارة الاوروبية وانسلخت من أصولها الإسلامية وهكذا انهارت الدولة العثمانية بعد الحرب العالمية الاولى وتقسمت البلدان الإسلامية وتعرضت لتطبيق قاس من أعلى قمة السلطة لعملية غريبة عن الثقافة الإسلامية تجلت فيما قام به أتاتورك في تركيا ورضا خان في إيران.

وبالرغم ان الأخير كان أقل نجاحا من أتاتورك الا ان حركة العلمنة المضادة للدين بصورة متطرفة ركزت نفسها بقوة الى الدرجة التي اصبح فيها المسلم يخاف او يخجل

من ذكر اسم الإسلام في بلاد المسلمين.

أمام هذا الوضع البائس كان هناك شخص يدرس في الحوزة العلمية في قم المقدسة ويعتصر قلبه كلما شاهد التراجع للامة الإسلامية وكلما رأى ان مسقط رأسه أصبح مركزا مضادا لكل ما هو مرتبط بالإسلام دينا وحضارة.

شخصية الإمام الخميني تميزت بالثورية الحاسمة وبالذكاء المتطلع لفرص سانحة للخروج من هذه الدوامة الفارغة التي تدور حول عدم امكانية عودة الحضارة الإسلامية. الإمام الخميني كان يشعر بحساسية شديدة من اولئك الذين يستعيرون الثقافة من خارج الجسد الإسلامي من أجل المجتمع الإسلامي دون فهم معمق للثقافة الأساسية لذلك المجتمع. ولهذا اتسمت بالحذر الشديد من تسربات فكرية معينة، لا سيما وان الحالة التأسيسية للنهج التغييري تتطلب الدقة في كثير من المعطيات.

معالجة فقهية لأزمة سياسية

الحساسية المفرطة التي تغلغلت في أوساط علماء الدين تجاه السلطة والحكم تعمقت مع الايام ولا سيما في الوسط الشعبي وكان الإمام الخميني يعالج هذه الحساسية بالأساس عندما طرح كتابه حول الحكومة الإسلامية في الستينات فقد اوضح رأيه في هذا المجال واستخدم الأسلوب الفقهي لمخاطبة الفقهاء لاقناعهم بأن على علماء الدين الدخول في السياسة دون خوف بل لأن يمارس عالم الدين حماية الدين من خلال الدخول الى ساحة الحكم هذه المعالجة الفقهية قد يختلف معها فقهاء آخرون ولكنها أوجدت ملجأ لأولئك الذين أرادوا خوض الساحة السياسية دون الاضطرار للجوء الى مرجعية غير إسلامية.

لقد أراد الإمام الخميني من عالم الدين ان يفهم السياسة والإقتصاد والإجتماع كما يفهم أحكام المعاملات والعبادات. وأراد لعلماء الدين ان يتعلموا علم رجال السياسة لعالمنا اليوم كما يتعلمون ويدرسون علم رجال الحديث.

والحركات التجديدية الإسلامية كانت تواجه السقف الاعلى الذي لا تستطيع تخطيه وهذا السقف الاعلى عادة يكون مجموعة من الاحاديث التي تنص على محدودية الدور الذي يمكن ان يلعبه القائد الإسلامي في غياب النص الإلهي المباشر. غير ان الإمام الخميني سعى دائما للقول بأن القائد الإسلامي له صلاحيات واسعة. وقد فهم البعض خطأً بأن هذه الصلاحيات تعني الاستبداد الفردي للحاكم المسلم. الا ان سياق حديث الإمام الخميني كان حول مجال ومدى الساحة التي يستطيع ان يمارس الحاكم الإسلامي دوره فيها.

وبما اننا نعيش في عالم يختلف عن عالم الأمس فان الحاكم الإسلامي ينبغي ان تتوفر له صلاحيات واسعة مماثلة لتلك الصلاحيات التي كانت تتوفر للنبي(ص).

الإيمان بعمل المؤسسات الحديثة

في الوقت الذي عالج الإمام الخميني مسألة الحكم الإسلامي علاجا فقهيا فإنه يعتبر مجددا فعلا بالنسبة لإيمانه بالنظام المؤسساتي. فقد صرّح أكثر من مرّة بأن الحفاظ على النظام من اهم الواجبات. وهذا يعني ان قيام دولة المؤسسات الدستورية على النسق الحديث (برلمان ومؤسسة قضاء مستقلة وهينة تنفيذية وغيرها) جميعها تتلائم مع الطرح الإسلامي دون ان يتحسس من التطور الاداري لهذه الاجهزة القائمة على أساس توزيع السلطات وموازنتها مع بعضها الآخر لكي لا تطغى مؤسسة على اخرى ولكي لا يستبد الحاكم برأيه. ولهذا فإننا نرى ان البرلمان في الجمهورية الإسلامية لديه صلاحيات كبيرة لمراقبة الجهاز التنفيذي كما ان المجلس غير قابل للحل تحت أي ظرف من الظروف. وهذا أمر غير متوفر في اكثر البلدان.

الإمام الخميني نفسه رعى تطوير الدستور الإيراني مع الايام لمعالجة النقص والخلل، وهو بذلك يؤمن بضرورة مواكبة متطلبات العصر وتعقيدات الاوضاع من خلال تطوير نظام المؤسسات ولعل أهم ما حققه الإمام الخميني في هذا المجال هو تعزيز استقلال القرار السياسي لهذه الاجهزة واستقلال القرار يعني أساسا استقلاله عن النفوذ الخارجي المخالف لمصلحة الدولة الإسلامية. وهذا الانجاز لم يتحقق بدون تضحيات كبيرة قدمها الشعب الإيراني بقيادة الإمام الخميني.

المرأة ودورها في المجتمع

عانت ولا زالت تعاني المرأة المسلمة من تمييز واضطهاد الرجل في المجتمعات الإسلامية. والمرأة كائن ليس له قيمة في القرار السياسي والإجتماعي كما تنص على ذلك الممارسات التقليدية غير ان الإمام الخميني استطاع الصعود بالمرأة المسلمة الى أعلى المستويات المتاحة في الفرصة الوجيزة التي عاشها بين الشعب الإيراني. فالمرأة المسلمة عضوة في البرلمان ومديرة تنفيذية سياسية. وهذا كله فتح المجال أمامها للصعود الى أعلى المستويات العليا في الدولة والمجتمع.

هناك الكثيرون ممن تحدثوا عن حق المرأة ولكنهم لم يستطيعوا اجتياز العقبات التي يضعها علماء الدين التقليديون. ولولا شخص الإمام الخميني لما استطاع رجل آخر أن

يصعد بالمرأة الإيرانية المسلمة للمستوى الذي وصلت اليه، لأن أي شخص اخر كان سيسقط أمام هجوم التقليديين.

الإمام الخميني فتح الباب والمرأة اليوم تطالب بالمزيد من حقها حتى تصل للدور الذي أراده الله لها.

الفلسفة أساس الحركة التجديدية

تماما كما فعل الاوروبيون عندما نهضوا من سبا تهم فقد كان الإمام الخميني يلح على ادخال الجانب الفلسفي في النهج الإسلامي.

ولعل رسالة الإمام الى الرئيس السوفيتي السابق غورباتشوف اوضحت اسماء الفلاسفة الذين تأثر بهم الإمام الخميني كابن العربي وابن سينا والملا صدرا وغيرهم. وهذا يدعونا لأن نراجع كثيرا مما نقرأ للخروج بطرح فلسفي لمشاكلنا التي لا يمكن معالجتها بالرجوع الى الاحكام الفرعية فقط. والفلسفة كانت ولا زالت العلم الذي تأسست عليه المفاهيم الإجتماعية والعلمية. فبعض المستشرقين أوضح بأن أحد أسباب فشل الدولة العثمانية في ايامها الاخيرة انها حاولت تحديث مؤسساتها ولكنها ارادت هذا التحديث ان يكون من خلال «ديكارت» الجندي دون «ديكارت» الفيلسوف. وديكارت احد فلاسفة الغرب دفعت مفاهيمه الحركة التطويرية لأوروبا. وكان الإمام الخميني قد شوهد باكيا مرة واحدة (في غير موسم عاشوراء) عندما استشهد الفيلسوف مرتضى مطهري. بينما لم يبك عندما استشهد ابنه السيد مصطفى الخميني. وهذا يوضح ارتباطه الوثيق بالجانب الفلسفي الذي اهمله كثير من علمائنا التقليديين.

وأخيرا فان الإمام الخميني اعتمد في حركته على عاملين هامين هما: العامل الديني والعامل الشعبي. فلولا الإيمان والاخلاص ولولا تفاعل الشعب مع القيادة المخلصة لما استطاع الإمام الخميني ان يؤسس الجمهورية الإسلامية. والشعب الذي أقام دولة المؤسسات هو الآن يواصل جهاده لتأسيس وتطوير مجتمع المؤسسات المدنية القائمة على احترام حكم القانون الدستوري.



الامام يُحيّى الجماهير المحتشدة التى بايعته قائداً للثورة و الدولة

اليمن

- السيد احمد بن محمد عيسى شرف الدين الحسيني
- الاستاذ عثمان ناصر علي



السيرة الخمينية في خط النهضة العالمية المنشودة للإمام المهدي المنتظر(عج)

السيد أحمد بن محمد عبسى شرف الدين الحسيني

المقدمة

﴿ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين﴾

﴿وإن تولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾

لقد حظي الشعب الإيراني خاصة بكرامة لم ينلها أي شعب في هذه المعمورة وبالذات أواخر القرنين العشرين الميلادي والرابع عشر الهجري، وكان لتلك الكرامة التي شرف بها ذلك الشعب العملاق المؤمن ركيزتان من ركائز النور المحمدي وهما الثورة العظيمة والقائد الصمصام المعجزة.

أما الثورة فإنها عظيمة لأنها ليست كأي ثورة، ليست ثورة ماركسية او رأسمالية او بلشفية او عنصرية او مصلحية او دكتاتورية او دنيوية...الخ انها (ثورة محمدية علوية إسلامية) انطلقت من أسمى وأرقى الشرائع السماوية لتجدد أركان التصحيح ضد الظلم والطغيان والفساد داعية لإقامة مبدأ العدل الإلهي على الأرض ماحية غبار القهر واليأس الذي دبّ في نفوس المسلمين والمستضعفين في العالم.

وأما شخصية الإمام القائد فهي تلك الشخصية التي يبقى الفكر حائرا أمام استكشاف حقائقها ويقف القلم عاجزا عن كتابة نشأتها وسيرتها ومنجزاتها ويخرس اللسان عن التعبير الوافي بمعانيها. كيف لا وقد جمعت تلك الشخصية في جوانبها من

(*) رئيس جمعية الزهراء الثقافية الاجتماعية في صنعاء

صفات الأنبياء وأخلاق الأوصياء وحكمة الحكماء ونباهة الفلاسفة وشفافية العرفانيين وشجاعة رموز الثورات في التاريخ العالمي قديمه وحديثه، لذلك لا بد ان نثبت حقيقة هامة نابعة من واجب الامانة، وهي ان أي شيء غيبي في هذا الكون لا تستطيع الامكانات البشرية العقلية فهم أغواره وكشف حقائقه الا من كان له قلب او ﴿**ألقى السمع وهو شهيد**﴾ فنقول ان وجود هذه الشخصية في تلك الفترة وفي ذلك المكان أمر غيبي لا محالة، وذلك لعدة أسباب:

١ - عندما نشأت تلك الشخصية حالفتها الظواهر والاحداث غير العادية وان كانت تلك الشخصية قد وجدت في بيئة كغيرها من أصنافها في المجتمع الإيراني، الا انها تميزت بالكثير من الظواهر والاحداث فيما تمليه الكثير من الكتابات الموثقة عن حياته (ره) لذلك يحق للشعب الإيراني الفخر والاعتزاز بعظمة هذا الإمام بأسمى معاني الفخر والاعتزاز والسير على خطاه ومنهاجيته أبد الدهر حتى ظهور الوصي الخاتم (عج).

٢ - جرأة وسرعة سباحة تلك الشخصية في أعماق بحار العرفان الإلهي والكوني وبمهارة عالية وخطوات وثابة وموقفة في السنوات المبكرة من شبيبته، ذلك ما أذهل الكثير من العرفاء وأساطين العلم في عصره والى الآن والى ان يشاء الله حيث أقدم على تأليف معجزته الاولى الظاهرة (كتاب مصباح الهداية الى الولاية والخلافة) وهو لم يصل سن الثلاثين عاما، وان كان ذلك الكتيب مختصرا الا انه أعجوبة من أعاجيب العرفان سواء من حيث الايجاز البلاغي والبياني او من حيث العمق الشديد في معانيه العرفانية المتميزة والذي يصعب شرحه على الكثير من علماء الإسلام في عصرنا هذا.

ثم تلا ذلك اصدارته المتتابعة من الكتابات الاعجازية وأهمها (الاربعون حديثا)، (سر الصلاة)، (الآداب المعنوية للصلاة)، (الحكومة الإسلامية)، (شرح دعاء السحر)، (الموسوعة الفقهيه)، (تحرير الوسيلة)، (اهم المسائل الفقهية)، (زبدة الاحكام)، كتاب (كشف الاسرار)، (الوصايا الهامة) .... الخ من الكتب التي لم يتم ترجمتها الى اللغة العربية.

بالاضافة الى تركيز اهتمامه العميق منذ ذلك الحين على قضايا الأمة من خلال دراسة حياتها وتحليل وتقييم مسارات الاعوجاج واستلهام الضوابط التشريعية لتقويم تلك الاعوجاجات على واقع الشعب الإيراني خاصة وعلى واقع الأمة الإسلامية بصورة اوسع على واقع مستضعفي العالم بشكل أعم.

٣ - وجود تلك الشخصية في ذلك المكان في قلب الشعب المؤمن بالغيبيات اكثر من إيمانه بالمشاهدات والماديات وتلك هي ركيزة العقيدة السماوية المحمدية كما قال تعالى

﴿ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾.

٤ - وجود البشارات الإلهية والنبوية للشعب والقائد وعلاقتهما الوثيقة بظهور القائم الحجة المهدي (عجل الله فرجه) أرواحنا لمقدمه الفداء.

يقول الله سبحانه وتعالى **﴿ان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم﴾** ذكر الجمّ الغفير من المفسرين من الفريقين (الخاصة والعامة) عند نزول تلك الآية ان الرسول (ص) سئل عن هذه الآية: من يستبدل غيرنا يا رسول الله؟ فوضع يده (ص) على كتف سلمان الفارسي (رضي الله عنه) وقال هم قوم هذا. وقد تظافرت الروايات لدى الفريقين في هذا المعنى بما يفيد التواتر.

٥ - منذ ان بلغت تلك الشخصية مرحلة النضوج الفكري والروحي العميقين المتميزين نادت بالفكر الثوري واختطت منهاج الدين السياسي الاصلاحي التجديدي المستلهم من أهم أهداف الانبياء والاوصياء وانطلاقا من قاعدة المشيئة الإلهية. ولذلك رافق هذه الحركة في كل خطواتها الثورية المعجزات الربانية الغيبية واشتبكت معها قلوب الأمة بأرواحها ودمائها وأموالها مؤيدة ومناصرة حتى تحققت المعجزة العظمى، رغم ان شخصية الثورة لم تكن تحشد الجهود والتنظيمات الحركية والامكانات الانقلابية بشكل مادي كما تفعله كل الحركات والاحزاب الثورية والانقلابية وإنما كانت تقوم بجهد متواضع وبسيط من خلال توضيح بعض جوانب الفساد من جهة وتلجأ الى الله بقلبها وقالبها من جهة أخرى وكانت تحصل على خطوات إيجابية كثيفة ومتسارعة خلال عدة سنوات تفوق بعشرات ومئات ما تحصل عليها أي حركة معتدة بكامل العدّة التنظيمية والبشرية خلال عشرات العقود من الزمن، وهنا يتضح جليا مدى الدعم الغيبي الذي حالف تلك الشخصية العظيمة والتي اصبحت مفتاحا ممهدا وكاشفا لدولة مهدوية قادمة من الغيب الواعد.

وبلا أدنى شك ولا ريب لدى أي باحث واع منصف ان هذين الركنين الأساسيين العظيمين القائد والشعب قد صنعا ثورة عالمية ونتج عنهما ترسيخ دولة إسلامية اصبحت أملا كبيرا لمسلمي ومستضعفي العالم وضوءا كاسحا للظلمات في شتى بقاع الأرض وكهفا يلجأ اليه الاحرار من شتى بقاع المعمورة مما يزيد الشعب الإيراني المسلم المؤمن عزة ومنعة، مما حدا ببقية الشعوب ان تغبط هذا الشعب على ما خصّته العناية السماوية والحكمة الغيبية من شموخ القوة المعنوية وأجمل معاني الحرية والتي على أساسها وقف هذا

الشعب الصامد في وجه الطغيان العالمي متغلبا عليه في شتى المواقف والاحداث العصيبة والتي يعجز أي شعب في الدنيا عن القيام بها وخاصة في ظل أوضاع مأساوية تعصف بكل حريات العالم الإنسانية من قبل الادارة الأميركية الماسونية الامبريالية الخبيثة وحلفائها.

نشاة شخصية الإمام(ره)

بداية دراسته في مدينة آراك على يد آية الله العظمى الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي(ره) والذي انتقل الى مدينة قم المقدسة للقيام بثورة الإحياء التجديدي للحوزة العلمية، وأعقبه عمالقة من تلامذته المتفوقين ابرزهم السيد الإمام الخميني (ره) وآية الله الخونساري. وكان الإمام الخميني حقا يمثل أساسا لحركة الارواح الإنسانية نحو كسب المعارف الإسلامية ومبتكرا مبتدعا للكثير من جوانب الثقافة الإسلامية (تجديدا للاصالة حيث بادر بعد هجرته الى مدينة قم الى تركيز جهوده العلمية حول مواجهة المنحرفين والمشككين بدين الإسلام الحنيف حيث أصدر في تلك الاونة كتابه الذي يعتبر الصرخة الكبرى الذي أصم آذان المنجرفين وأبكم السنتهم وهزّ اقلامهم وذلك هو كتاب كشف الاسرار).

كانت انطلاقة من برامج الانبياء العظام والائمة الاطهار (سلام الله عليهم أجمعين) حين حوت شخصيته شمولية الإنسانية بمعناها الاعمق، بحيث توافرت فيه صفات ظاهرة ومعنوية لم تتوفر في مثله من أهل دهره كالعلم والتقوى والزهد والورع والتواضع والشجاعة والهيبة والحزم والحلم والفطنة وعلو الهمة وحدة النباهة.

فمثلا من حيث العلم لم يترك بابا من ابوابه الا وولجه وأبدع في توسيع فنونه منها: العرفان - والفلسفة - والفقه واصوله - والسياسة - وعلم المجتمع - وعلوم التفسير - علوم اللغة - وفنون الرواية - والمنطلقات العقلية - وفنون علم الادارة والقيادة ومن الطبيعي ان يشترك معه في تلك الفنون او بعضها عدد من فطاحل العلوم سواء من السابقين او من اللاحقين. ولكن الغريب او اللغز السري في شخصيته المعرفية هو تفرده بمعرفة عيون الحقائق ليس احتكارا لها ولكن عجز الآخرين عن فهم مدارج عرفانه ومستويات مفاهيمه. حتى تلامذته المجدون المخلصون المتفوقون كانوا يفهمون شيئا من مظاهر أطروحاته او اجزاء يسيرة منها كلا منهم بمقدار ما يفاض عليه من تجليات روحية وعقلية، وخاصة في كتاباته تلك التي نشرت او لم تنشر ومنها:

كتاب مصباح الهداية، سر الصلاة، آداب الصلاة، شرح دعاء السحر، الاربعون

حديثا، مصباح الانس وشرحه (مفاتيح الغيب)، وله حواش كثيرة على عدة كتب. كما ان له (ره) فن الاستنساخ لكثير من الكتب الهامة في مدارجه العلمية واطلالاته الفلسفية.

مشاعره الوقادة واحساساته الملتهبة بقضايا التاريخ السابق وربطها بقضايا التاريخ المعاصر ببصيرة واعية وبحث عميق جعله يتلمس كثيرا من الحقائق التي لا يعرفها الآخرون والتي كانت تنفذ في اوساط المجتمعات الاسلامية والمستضعفة والذي يتم التخطيط لها من قوى الإستكبار الطاغوتي غربيا كان ام شرقيا، ويتم تنفيذها بواسطة عملائهم في تلك المجتمعات المغلوبة على أمرها بسبب انعدام الوعي الديني السياسي.

بدأ حياته (ره) من القاعدة العقائدية الأساسية النموذجية وهي توحيد الله جلّ شأنه ومفتاح توحيد معرفته ومن عرف الله عرف كل شيء.

فمنذ بداية حياته العلمية والعبادية كرّس جلّ جهده الفكري حول خدمة الإنسانية كل الإنسانية وذلك من خلال نظرته الشاملة حول العالم بأكمله. فأول وأهم اكتشاف وأهم حقيقة توصل اليها قبل ان يسبقه غيره هو التركيز على أكبر خطر عالمي يتهدد كافة المجتمعات الإنسانية على وجه الأرض، قاطبة ذلك اللوبي الماسوني الخبيث الذي كان يتخذ من أميركا ودولتها قاعدته الأساسية للتخطيط والبرمجة بغرض السيطرة على العالم ونهب ثوراته ومقدراته والقضاء على كل معتقدات الخير والفضيلة من خلال الظهور بأزياء الشعارات الخادعة والدعايات المضللة للوصول الى القطبية المركزية واحتكار مراكز القوى الإقتصادية والعسكرية والسياسية حيث كانت الادارة الأميركية وعلى مدار ما يقارب قرن من الزمان تلبس أثواب العطف والحنان والشفقة على الشعوب النامية والمجتمعات الفقيرة وخاصة في قارتي إفريقيا وشرق آسيا من خلال حضورها المركز والمكثف في ثوب ما يسمى بالمنظمات الإنسانية والهيئات التنموية المنبثقة عن منظمة الامم المتحدة او مجلس الامن الدولي.

حيث سعت الادارة الأميركية في تنفيذ مخططها الاجرامي بالتدريج الخفي للسيطرة على المنظمات الدولية واحتكار القرار الدولي بغرض إخضاع كافة القوى العالمية تحت سيطرتها وطوع نفوذها.

ويعد هذا الاكتشاف الهام في ذلك الوقت الحرج - فترة الستينات من القرن العشرين الميلادي - أهم وأثمن اكتشاف آيدلوجي في التاريخ المعاصر. وبدأ الإمام الخميني العظيم (قدس سره) يكشف خفايا الشيطان الاكبر خطوة خطوة من خلال التوعية الفكرية روحيا وحركيا ابتداء بشعب إيران ومرورا بالعالم الإسلامي ثم الى مستضعفي العالم معتمدا في

خطواته تلك على ركائز أساسية في عمق الفلسفة الإلهية والتي كانت ولا زالت منطلقا ناجحا لمنجزات الانبياء والاوصياء وعباد الله الصالحين.

علاقة المجريات والاحداث العالمية بالإمام المهدي(ع) وبشارات ظهوره

يتطلب البحث في إطار هذا العنوان مدخلا وجيزا للدخول في صلب الموضوع. ان قضية الإمام المهدي (عج) وعلاقتها بما جرى ويجري في الساحة العالمية هي أهم جانب من جوانب البحث التي تسترعي الانتباه والتأمل العميقين حيث لا يمكن مناقشتها او فهمها دون فهم مبدأ الولاية.

نحن نعتقد بوجود الإمام المهدي (عج) على هذه الأرض متحركا ينفذ تكاليف إلهية وفقا لمقتضيات ربانية وحكمة سماوية، لا كما يعتقد البعض انه (ع) قاعد مختبئ يأكل ويشرب ويتعبد وينام منتظرا أمر الخروج المرتقب ولا يطال من أمور الإنسانية شيئا لا من قريب ولا من بعيد.

وقد بنيت عقيدتنا على معايير عقلية وبراهين نقلية لا مجال لسردها في هذا البحث الموجز، الا اننا لا ننسى التنويه هنا بأن الولاية بصورة عامة قد ترتبت من حيث أولويتها واهميتها الى اربعة اجزاء:

- الولاية لله تعالى مطلقا بحكم فطرة الخلق ونظام الكون ولمسات الغيب من خيوط العقل.

٢ - الولاية للنبي (ص) بأمر الله.

٣ - الولاية للامام الوصي القائم بلطف الله على الأرض بأمر الله تعالى ورسوله(ص).

٤ - الولاية للفقيه القائم بإدارة شؤون المسلمين بعون الله وإذن الحجة المعصوم.

ولا بد هنا من إشارة هامة في هذا الصدد، اذ ان كثيرا من محترفي التدين والبحث العلمي السطحي يشترطون الدلالة القطعية النقلية فحسب في مسألة ثبوت الإمامة متناسين انهم لم يشترطوها في وجود الله ووحدانيته سبحانه وتعالى ولا في وجود النبي وثبوت نبوءته (ص) وذلك من عدة وجوه:

اولا: أليس الاعتقاد بوجود الله ووحدانيته تعالى اعتقادا حقا ثابتا راسخا، الا من باب العقل للولوج في مفاتيح الإيمان الغيبي، ولولا الوصول الى ذلك الإيمان الغيبي عن طريق

العقل لما وجد الإيمان، او كان إيماناً هشّاً ومتهالكاً بفعل الهزاهز الجدلية والتعدديات الفكرية التي لا تعير الدلالات النقلية أي قيمة علمية وتنكر وجودها بالاصالة سواء كانت تلك الدلالات كتباً سماوية او توجيهات نبوية او أوامر لمشاهير دينية مقدسة، اذ ان القاعدة المعتمدة لديهم هي الحس والتجربة فحسب كما لا مجال للتقليد العرفي والبيئي في اطار العقائد الأساسية (التوحيد، والعدل والنبوة والمعاد في الآخرة) بل مناط الإيمان بها او بعضها هو البحث الفكري العقلي المؤدي الى ثبات الافكار الاعتقادية وللإطمئنانات القلبية المنتجة للروابط الروحية الراسخة اتجاها الى التكامل الإنساني في مدارج الغيب والمعنويات السامية التي من اجلها خُلقت البشرية على هذه الأرض من خلال معرفة بداية خلق الإنسان ودورة حياته النبوية والبرزخية ثم مصير حياته الابدية. قال تعالى ﴿**ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب**﴾.

ثانيا : أليس الاعتقاد بثبوت نبوة محمد (ص) اعتقادا ثابتا راسخا الا من باب الفكر العقلي من خلال الاعتقاد بوجود الله ووحدانيته ومعرفة حكمته في الخلق وكيفية تصريف شؤونهم وتنظيم حياتهم تنظيما دقيقا يتسق مع عظمة الخالق من الحكمة والعدل والخير والفضيلة. ولو تم الإيمان بالنبوة اعتمادا على الدلالات النقلية فحسب لما وُجد على الأرض مؤمن راسخ الإيمان ثابت الاركان قوي الشأن، وقد دلّ على ذلك ما افرزته الفترة الماضية الوجيزة خلال القرن الرابع عشر الهجري من التاريخ الإسلامي عندما احتدم الصراع الفكري ضد العقيدة الإسلامية من قبل الالحاديين من جهة وشبهات المستشرقين حول نبوءة محمد(ص). من جهة أخرى فكانت النتيجة هي ضعف وتهافت إيمان الكثير من المسلمين بنبوءة محمد(ص) ومصداقية الدين الاسلامي كدين سماوي له مقومات تمكنه من الوقوف ضد التيارات الفكرية المعاصرة ويتمشى مع متغيرات واحداث التاريخ المتجدد والمليء بالمجاهيل المفاجئة. فالبعض من المسلمين تحول متأثرا بالافكار الاشتراكية الماركسية واللينينية او الخ ...) والبعض تحول متأثرا بالافكار الامبريالية والبعض تحول متأثرا بالافكار التبشيرية للديانات الاخرى كالمسيحية او اليهودية او ... او ... الخ، كما تحول البعض الآخر متأثرا بالافكار العلمانية اللادينية بشكل عام، فلماذا هذه الهزيمة في صفوف المسلمين ومعتقداتهم في فترة قصيرة؟. أليس ذلك الا بسبب اعتماد الكثير من المسلمين على فكرة الدلالات النقلية والتقليدية فحسب في مسائل العقائد الاصولية الإنسانية؟ تلك الفكرة ليس لها أساس متين ولا تستطيع تحصين العقيدة والمحافظة عليها بأي وجه من الوجوه ولا تستطيع مقاومة المتغيرات المتجددة عبر التاريخ.

ثالثا: كما عرفنا ضرورة اعمال الفكر العقلي الى جانب الدلالات النقلية كركيزة

نسبية لرسوخ المعتقد في وجود الله ووحدانيته تعالى وكذا الإيمان بنبوءة محمد(ص) كذلك بالضرورة في اعمال الفكر العقلي للدخول في الإيمان الغيبي العميق بوجود الإمام القائم بلطف الله في الأرض ويكون أساس هذا البناء للفكر العقلي مجموعة من الركائز الهامة ومنها:

١ - انطلاقا من قاعدة العدل الالهي بضرورة استمرار الحجية بوجهيها النظري والبشري وكلاهما معصومان (الكتاب ،الامام) فلو أختل أحدهما من حيث النقص والخطأ سقطت الحجية الالهية على المكلفين وهذامحال ومناقض لعدل الله سبحانه وتعالى (ان الله لا يظلم الناس مثقال ذرة ولكن انفسهم يظلمون)

٢ - انطلاقا من قاعدة الكمال الالهي في تنظيم حياة البشرية -بحيث لا يعقل ان يتم الاختيار والاصطفاء الالهي لبعض من البشرية كالانبياء والاوصياء السابقين قبل التاريخ الاسلامي الى الحد الذي وصل عدد الانبياء الى مائة واربعة وعشرين الف نبي تقريبا في حين لا حصر لعدد الاوصياء والمصلحين لاتساع كثرتهم وتعدادهم وذلك كله خلال فترة ما يقرب من ستة الف سنة على ما يذكره اغلب المؤرخين فكيف يسوغ للعقل ان يقبل بأن الكمال الالهي في استمرارية تنظيم حياة البشرية لفترة قد توقف عند اختتام النبوة بمحمد(ص) واكتفى بالحجية النظرية مهملا الحجية البشرية لفترة قد تطول الى آلالف السنين حيث اننا مقدمون على العقد الثالث من القرن الخامس عشر الهجري - فما المعيار العقلي في توقف حجية الله على الخلائق في تنظيم شؤونهم الدينية والسياسية والاقتصادية والاداريةاذ ان ذلك مناقض تماما لاهم معايير الكمال الالهي وهذا محال ايضا.

٣ - انطلاقا من الحكمة الالهية في استمرارية توضيح التشريع للامة فاذا لم يوجد على وجه الارض مختار معصوم حاو لكافة علوم التبيين التي تحتاجها الامة واسندت هذه المهمة العظمى بعد النبي (ص)الى من يسمونهم بعلماء الامة فقد بطلت الحكمة الالهية في استمرارية ايضاح عين الحقائق الشريعة للامة ودبت الشكوك والخلافات وانتشرت الفتن وعاشت الامة في التيه والتهافت الفكري والعقائدي المؤدي الى الضلال والاضلال وهذا ما يتعارض قطعا مع الحكمة والمشيئة الالهيتين من عدة وجوه.

الاول :- قد حصل في الامم السابقة قبل الاسلام التغيير والتبديل في الشرائع السماوية كما حصل في امة موسى وعيسى مع وجود الحجية البشرية الاسباط والاصياء والفقهاء ولكن لم يطاعوا فكيف والحال في امة محمد (ص)بدون حجية مركزية للحفاظ على نواميس الشريعة وايضاح مداليلها وفقا للارادة الالهية خاصة وقد ختمت الرسالات

السماوية بنبوة محمد (ص).

الثاني :- اذا كانت الحكمة الالهية تقتضي طريقة واحدة في التشريع وفقا للمعيارين العقلي والنقلي اللذين يقولان باله واحد ونبي واحد وقرآن واحد وقبلة واحدة وعبادة واحدة وموازين معاملاتية تعتمد على مجريات عدلية واحدة في اطار قيادة واحدة، فكيف يترك امر هذه الامة الى العشواء والشورى المحكومة بالنقص الحتمي او الاجتهادات البشرية الخاضعة للاهواء والتي قد تصيب وقد تخطئ حتى وصل الحال بالامة الى ما هم عليه من التفكك والضعف والاختلاف والعجز في مقاومة الافكار والعقائد المضادة للاسلام وانقسام الحكومة الاسلامية المحمدية وتحويلها الى عشرات الدويلات والانظمة المتضادة والمتناحرة.

الثالث :- ان كانت الحكمة الالهية تقتضي امان الامة جمعاء في مجالات معتقدهم واعراضهم واموالهم واستقرار حياتهم وصيانة دمائهم في حين كانت الاجابة الالهية على الملائكة عند بداية الخلق **﴿واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني اعلم ما لا تعلمون﴾** فتركزت اجابة الله على الملائكة ان في علمه شيء لا يعلمه الملائكة في قضية تنظيم حياة البشرية وصيانة دمائهم اذا التزم بنو آدم بما اختاره الله سبحانه وتعالى لا بما تختاره اهوائهم وامزجتهم التي تخطئ حتما. ثم اعقب في سياق الآية قوله تعالى **﴿وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة﴾** ولم يقل ثم عرضها - فقال انبؤني باسماء هؤلاء فتحولت صورة الحال من اسماء الى أشياء بصفة جمع المذكر الحاضر من امام الملائكة - فقالت الملائكة **﴿سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا﴾** قال تعالى بعد ان اخبر آدم باسمائهم **﴿يا ادم انبئهم باسمائهم﴾** فتلا ذلك الحوار مباشرة الامر الالهي الى الملائكة بسجودهم لآدم اكراما لمعرفته ..؟

فهذه اهم قصة يرويها القران الكريم في قضية بداية الخلق ...؟

وكما يعلم الباحث الحصيف ان قضية بداية الخلق هي اهم قضية في حياة البشرية التي من خلالها يتعرف الانسان على الذات البشرية والانسانية..؟ ومن اوجدها..؟ ولماذا اوجدها..؟ ومن خلال ذلك يتضح جليا ان الحكمة الالهية قد اقتضت منذ بداية الخلق اختيار انبياء واوصياء ومصلحين بغرض تنظيم حياة البشرية وادارة شؤونهم الهامة وصيانة حقوقهم واعراضهم ودمائهم و و... الخ وفقا لنظام سماوي محكم ودقيق اعطى للبشرية حرية الاختيار امام خطين / اما خط الرحمن الذي اختاره الله سبحانه من خلال الاصطفاء

للاولياء الواجب طاعتهم فيسعدوا في الحياتين الدنيا والاخرة / واما اختيار خط الشيطان النابع من اهوائهم وامزجتهم فيضلوا ويهلكوا ويشقوا في الدنيا والاخرة قال تعالى (وهديناه النجدين) نجد الخير الذي اختاره الله سبحانه، ونجد الشر وهو من اختيار الناس وفقا للاهواء او الصدفة العمياء.

ولو افترضنا جدلا كما يدعون ان الله تعالى ترك امر الامة دينيا وسياسيا بعد ختام النبوة الى العلماء وعقلاء القوم فقد تعددت ارائهم واختلفوا حول نظرية الحكم بالقيادة والفتاوى الدينية وسائر امور الامة:

- فالبعض منهم قال باختيار اكبر الناس سنا وقبولا في قلوبهم ممن لم يسفكوا دماء العشائر اثناء القتال بين الاسلام والشرك

- والبعض قال بنظرية الشورى والتي استحال تطبيقها منذ ذلك الحين والى قيام الساعة

- والبعض قال بنظرية التداول الدوري للخلافة بين القبائل المشهورة وهذه النظرية اهملت تماما من وقت رحيل شخصية النبوة والى ان تقوم الساعة نظرا لغلبة وسطوة القوة على الحكم واستخدام كافة وسائل الاغراء والتضليل على عامة الناس ومداهنة رؤوس القوم بالجاه والمال.

كما قال البعض بنظرية اختيار من توافرت فيه جم المناقب والفضائل التي تميز بها عن سائر القوم ولكن لم تطبق تلك النظرية مثل سابقاتها منذ ذلك الحين وحتى يومنا هذا وذلك بسبب محدودية القدرة على التمييز عند البشر من جهة وتغليب النزعات الذاتية على عيون الحقائق الظاهرة من جهة اخرى.

والبعض قال بنظرية ثنائية الحكم والولاية - فجعل لمن اختاره الله الولاية الروحية وجعل لمن اعتلى منصب الخلافة بالقهر والغلبة والتضليل الولاية الادارية والتنفيذية في الوقت الذي لم يطبق هذا المنظور الا من شقه الآخر اما الشق الاول فقد تم رفضه من وقت رحيل النبي(ص) الى يومنا الحاضر وخاصة لدى الاغلبية من الامة التي تشكلت من رؤوس القوم الفارضين انفسهم للزعامة وعامة الناس التابعين لهم اما بفعل نشر الدعاية الخادعة وتغطية الحقائق او بفعل غلبة الارهاب والسيف على رقابهم فلا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا وللثبوت العقلي والنقلي ان مبدأ الولاية من المبادئ الاعتقادية الاصوليةوكافة المسائل الاعتقادية يجب فيها الاجتهاد العقلي والقناعات القلبية على كل مكلف وذلك بخلاف المسائل الفرعية التي يجوز فيها التقليد كالعبادات والمعاملات..ومن

كل ما سبق نصل الى نتيجة هامة واساسية وهي ان محور العقيدة يرتكز على قاعدة الولاية كما في قوله تعالى ﴿**انما وليكم الله ورسلوه والذين آمنوا**﴾ ﴿**ومن يتولى الله ورسوله والذين آمنوا.. فان حزب الله هم الغالبون**﴾ ﴿**أطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم**﴾ في هذه الآية الاخيرة كان سبق التحديد والتعيين لأولي الامر من جهة الله تعالى والا لما ذكروا لأن الله سبحانه لا يأمر بطاعة المجهول ولكنه أمر بطاعة المعلوم لأن التلكيف بطاعة المجهول تكليف لا يطاق وفي نفس الوقت مناقض لحكمته تعالى فلو كان الامر بطاعة اولي الامر المجهولين لسقطت الحجة على المطيعين بسبب عدم معرفتهم لاولي الامر الذين قصدهم الله في الآية وتوهانهم عن يقين من حدد الله من اولي الامر على الامة،ومن ثم سقط عنهم التكليف في تقرير الشريعة النبوية السماوية ولو سلمنا جدلا ان الله سبحانه لم يحدد اشخاصا باسمائهم كما فعل بأمر الصلاة حيث لم يحدد عدد فروضها وركعاتها بل قام بهذا الامر الالهي النبي (ص) فاصبح لزاما على النبي(ص) في ذلك الامر توضيح عدد الولاة وتحديد اسمائهم وقد تم ذلك من جهته (ص) ولو لم يفعل لكان مقصرا في اداء واجبه الرسالي وكانت رسالته منقوصة وهذا محال وحاشاه في حين ان مقارنة فرض الصلاة بعقيدة الولاية مقارنة غير عادلة اذ ان الولاية تمثل اساس استقامة الانسانية في كافة العبادات والمعاملات اما الصلاة فهي جزء من تلك العبادات لأن تعدد الآراء حول تحديد احكام الشريعة من خلال تضارب الروايات واختلاف تفسير الآيات يجعل من المستحيل الوصول الى منهاج اسلامي موحد لكافة المسلمين وهذا ما حدث بالفعل بعد وفاة النبي(ص) عند المخالفة لاخيار الله واتسعت خطورة تلك الهوة باتساع المذاهب العقائدية والفقهية والصراعات الفلسفية والكلامية من جهة وتجميد الرؤية العقلية للعقيدة والفقه في حدود ظواهر الآيات القرآنية والروايات المعزوة الى النبي(ص) من جهة ثانية ودعوى العصمة في الكلام لكل الصحابة من جهة ثالثة ومنع تدوين الاحاديث النبوية لاكثر من قرن من جهة رابعة وتكالب القوى المعادية للاسلام والمسلمين في بث الدسسائس واثارة الفتنة والخلاف في صفوف المسلمين من جهة خاصة..و.. و...الخ.

لذلك فقد ثبت بالعقل والنقل ضرورة الالتزام بالولاء لله سبحانه ثم الولاي للنبي (ص) ثم الولاء لمن اختاره الله سبحانه من المؤمنين ولي بعد ولي منذ اختتام النبوة وحتى قيام الساعة كما في قوله تعالى ﴿**قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى**﴾ ﴿**انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا**﴾. وكذلك في قوله تعالى ﴿**انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا**﴾ وكما في قوله(ص) «اوصيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا كتاب الله وعترتي اهل بيتي فانهما لن يفترقا حتى يردا

علي الحوض»، ومن هذا المنطلق الالهي والنبوي اشرقت عقيدة آل بيت المصطفى (ص) واشياعهم المخلصين عقيدة راسخة صلبة ضاربة بجذورها في اعماق الارض وباسقة بفصولها الوضاءة في عنان السماء داحضة بنورها كافة الظلمات والأباطيل والترهات والاكاذيب المزخرفة التي كانت تمثل الشعارات المختلفة لدعم التوجهات الجوفاء، لدى يقول بالاختيار الشورى أو الاختيار البشري من موقع التعصب والاهواء **﴿يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا﴾** وكما قال تعالى في امثال هؤلاء **﴿ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئا﴾ ﴿وما يعدهم الشيطان الا غرورا﴾**.

- ومما سبق يتضح بجلاء ركيزة الدين الاساسية والتي عليها تدور اركان العقيدة وفروعها الا وهي (الولاية بشقيها الخاص والعام):

هذا المبدأ الاساسي كان هو البحث العميق الذي شغل اعظم قائد وارقى عرفاني وافضل مجاهد وناسك وعابد عرفه القرن العشرين الميلادي والقرن الرابع عشر الهجري،هو ذلك الامام الفذ الالمعي روح الله الموسوي الخميني (ره) هذا السباح العملاق الماهر الذي تعرف بخطواته الوثابة ونباهته النادرة وحكمته البالغة وخيوطه المضيئة على اعماق البحر وشواطئه حتى استطاعت خيوطه السرية مناغاة مالك البحر.

وتواصلت اشارات السائل المجيب وكان هذا القبطان هو المالك الوحيد لتلفون حراري يوصله بياب الله (الحجة) ومن ثم برب الحجة والكون الفسيح .

وانطلاقة الامام في تنوير الشعوب الاسلامية والمستضعفة نحو التحرر الانساني نابعة من النظرة الالهية المحمدية التشريعية فكانت افكاره التصحيحية واسعة الأبعاد وشمولية الآفاق انه ذلك الانسان الذي وطأ ارض الوجود قادما من ديار السجود واعيا لمنهاج الانبياء(ص) والاوصياء(ع) وحيث انه وجد في فترة القطبين العالميين الاشتراكية والرأسمالية وان كانا قد اختلفا في منطوق النظرية الاقتصادية واسلوب تنفيذهما،الا انهما (كما ذكر العلامة الشهيد الصدر(ره) (في كتابه:فلسفتنا) انهما كانا يمثلا وجهان لعملة واحدة اذ انهما يتحدان في الهدف الاساسي وهو استغلال طاقة الانسان لمصلحة قلة قليلة مستغلة،اما المنظومة الغربية او الشرقية، وكلاهما قد عمدا الى مسخ الانسانية المعنوية ومصادرة حقوقها الاصلية والمكتسبة وذلك من اخطر انواع الظلم والطغيان في التاريخ الحديث.

لذلك كانت خطوات الامام الفكرية تبحث عن الآيديولوجية الالهية المحمدية الرحيمية لانقاذ حياة الانسانية من الشرين العظيمين لما يعتقده الامام ان في هذا الدين

المحمدي،الرحمة الواسعة لكافة الانسانية من خلال تطبيق المنهاج الالهي المرتكز على قاعدة الولاية المذكورة آنفا وذلك عبر الخيوط والوشائج الغيبية حيث كانت مقالات السيد القائد آية الله الخامنئي (حفظه الله) تشير الى ذلك في كثير من المواقف والاحداث منها على سبيل الايجاز (١) هامش المصدر:

١ - اني احس ومنذ بداية الثورة ان ثمة يد هداية (غيبية)تقوم بفتح السبل امامنا وتسددنا.

٢ - وكان اعتقاد الامام ايضا ان كل اعماله تلك وحركاته هي ا ستجابة منه لتنفيذ التكليف الشرعي حيث يقول (اننا لا نقوم بعملنا من اجل تحقيق النتجية هذه بل نقوم به لنؤدي تكليفنا ونقوم بواجبنا).

٣ - وكما قال ايضا (لقد كان قلب امامنا يتلقى في بعض الحالات الالهامات الغيبية وان كلماته تبدو احيانا وكأنها تستند الى الوحي (الالهام).

٤ -ان تغيير احوال هذا الشعب نفسه الى مثل هذا الوضع لم يكن ممكنا الا من خلال يد مقتدرة لانسان معنوي متصل بمصدر القدرة الربانية.

٥ - انني اعتقد ان امامنا العظيم والمنقطع النظير الذي لا نجد له نظيرا بين اناس هذا الزمان..ويأتي من حيث المنزلة بعد ائمة الهدى وأولياء الله.

٦ - ان النجاح الذي حققه هذا الانسان الفذ مرهون الى حد كبير بارتباطه بالله ورهين بانفتاح قلبه بمصراعيه على الحضرة الالهية والتزامه دائما بالاستغاثة والمناجاة والدعاء.

٧ - لقد من الله علينا بعبد من صالحي عباده وخيرتهم وافضلهم وولى امورنا وابتعثه ليوقضنا او يرشدنا او يقود مسيرتنا الى وادي الدين معتمدا على القدرة الالهية والعزم والارادةو الرحمانية وقد طوينا في هذا الطريق بالاستعانة بالمدد الالهي وتمكنا ولله الحمد من ان نحكم الاسلام.

٨ - وفي اعتقادي ان اهم سر يكمن فيه سر نجاح شخصية الامام (ره) هو الاخلاص والتوجه الى الله والذي جعلاه متصلا بالله ولقد جسد في عمله حقيقه معنى (اياك نستعين) اي انه جعل نفسه متصلا بمصدر القوة الخالدة.

٩ - حقا انه كان يملك (حقيقة)التوكل على الله وحسن الظن به ولم يكن هناك اي عمل في رأيه يخرج عن القدرة الالهية.

١٠ - من الخصائص الممتازة في قائدنا الكبير والفقيد انه كان ذا همة عالية لا يتصور كيفيتها الناس العاد،ين فكان يختار الاهداف العليا ويحث الخطى لبلوغها.

١١ - انه كان يريد الاشياء بوضوح وجلاء لا بالاستدلال وتمهيد المقدمات العادية (بعكس غيره الذين كانوا يبحثون عن معرفة الاشياء كالأعمى (ارجل الاستدلاليين خشبية..؟).

١٢ - كان الامام حكيما (ولقد آتينا لقمان الحكمة) فقد وهبه الله ذلك النوع من الحكمة والبصيرة التي مكنته من رؤية الاشياء بنظرة عابرة وبدون تكلف.

(*) المصدر: (كتاب حديث الشمس) الصادر عن منظمة الاعلام الاسلامي من ص ١١٢ وحتىص ١١٨ .

الولاية والحكومة في نظرة الامام الخميني (ره)ايجازاً:

لقد فطنت هذه الشخصية نابهة متميزة عن غيرها من علماء العصر والمجتمع الاسلامي في اهم قضية من قضايا الانسانية وهي الولاية التي على اساسها مدار اركان الدين اصلا وفرعا..وقد اوضحنا سابقا عمق هذا المبدأ من خلال الارادة الالهية التكوينية - لحقائق عين الوجود وحكمة الخلق وارسال الرسل والكتب واختيار الاوصياء وعباد الله الصالحين فانطلق الامام الخميني (رض) من مقره ومقدار تكليفه الشرعي عن وعي ودراية عميقين من تلك المعايير في فكره وحركته وكانت الشريعة السماوية تجري في دمه وفكره ومعاملاته مع الخالق والمخلوقين،،فكانت قضيته الاسلامية الاساسية هي قضية الانبياء والاوصياء وعباد الله الصالحين العلماء،فاتجه بدافع الشعور بالمسؤولية من موقعه العلمي الى ميدانه العملي واختط في قدوته ونبراس حياته عظماء الدين الاسلامي ابتداء بمحمد (ص) الذي عاش حياته بالاضافة الى كونه مبلغا - قام بالارشاد وتوضيح عظمة الله ووحدانيته في اطار المعارف الالهية - كما قام بدور العالم المفتي كذلك قام بدوره الجهادي في قتال الطغاة والظلمة الجاحدين المعادين لخط الله واتباعه واستمر الرسول الاكرم(ص) على تلك الحال حتى انتقل الى الرفيق الاعلى مخلفا وراءه الثقلين العظيمين كتاب الله والعترة المطهرة التي اولها سيد الوصيين (علي عليه السلام) وآخرها خاتم الاوصياء الحجة المهدي(عج)
وبما ان الامام الخميني (ره) كان شعورا مرهفا وحسا وقادا وبصيرة نافذة، فقد كشف له مخططات الظلم والطغيان التي قهرت الانسانية قاطبة بصورة واضحة لم تنكشف لغيره من اهل عصره بتلك الدقة وذلك الفهم العميق فاسس بنيان فكره الثوري وايضاحاته الاستفهامية وفقا للخطوات التالية والتي نذكرها بالايجاز.

١ - تعريف الامة بدور الاستعمار الجديد في مخططه الشيطاني الذي استهدف اهانة رجال الدين والعلم بغرض فصل الامة عن علمائها وثقافتها النابغين الاحرار بغرض القضاء على روحية الدين.

٢ - تعريف الامة بخطورة مخطط الفكر العلماني الفتاك الذي سعى جاهدا بكل الطاقات والوسائل لاقناع البشرية بنظرية فصل الدين عن السياسة. والسياسة هي الدين..انطلاقا من سياسة التشريع السماوي لا من سياسة الزيف الاستعماري والاستغلالي لكافة قوى الانسان ومقدرات الشعوب المستضعفة رافضا شتى انواع السياسات التي يتم اعدادها في مطابخ الغرب او الشرق والتي هدفها امتصاص دماء الشعوب ومصادرة حقوقها ومسخ مبادئها الانسانية والسماوية واظهارها في ابشع الصور المشوهة بغرض افراغ تلك المبادئ من محتوياتها الجوهرية ومفاهيمها الاساسية حيث استطاعو بذلك ان يسلخوا كثيرا من معتنقي تلك المبادئ عنها او الاعتماد عليها او التفكير بها حتى اصبحوا تائهين عن ايجاد الحلول الفكرية والعملية لمشاكلهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية فوجدت تلك الشعوب نفسها مضطرة وخاضعة تستجدي من خانقيها حلولا عصرية ونظريات مستحدثة تجعل تلك الشعوب مرتبطة وراكعة لاذناب الاستعمار واوكار الظلم والطغيان والفساد.

٣ - قام الامام الخميني(ره) بصيحته الصاعقة المدوية لتوضيح حقيقة العرفان ومعالمه العميقة حيث اوضح ان العرفان الذي يقتصر على التعبد في زوايا المساجد والمعابد والدور،هو عرفان اعور،او بمعنى اصح عرفان اعرج يقف على قدم واحدة؛بحيث لا يستطيع المشي كما هو العرفان الذي ارادته المشيئة الالهية والي يمتلك قدمين صحيحتين من كافة العلل..،هو ان يكون الشخص العرفاني- عارفا بالله وتشريعاته متقربا اليه بكافة انواع القرب المستطاعة من جهة ومتحركا لخدمة البشرية واهمها ازالة الظلم عن كاهل الانسانية من جهة اخرى وذلك هو العرفان الأتم..وهو ما كان عليه الانبياء والاوصياء.

- كما فعل النبي موسى(ع) مع فرعون.

- كم فعل النبي ابراهيم (ع) مع النمرود.

- كما فعل النبي محمد (ص) مع جبابرة قريش وبقية الطغاة في جزيرة العرب وغيرها..

كل ذلك لا من اجل القتال لذات القتال ولكن وصولا الى تحقيق مبدأ العدالة بعد اقامة حكومة سياسية تمنح الامة الامان والاستقرار والحياة الهادئة لأن واقع الحياة بدون

الامن والهدوء لا يمكن العالم العرفاني او الفيلسوف والمبدع ان يمارس نشاطاته تلك كما يجب.

٤ - استشعر الامام الخميني (ره) من اول وهلة في حياته الجهادية اكبر خطر داخلي ينخر في جسم الامة الاسلامية وهو التعمق في الخلافات المذهبية والطائفية والقومية.

وقد نادى بأعلى صوته انه يتوجب على كل المفكرين والمبدعين والمثقفين والعلماء والفقهاء وقادة الدول الاسلامية نبذ كافة الخلافات وتركها جانبا وتركيز الاهتمام على مخططات اعداء الاسلام والمسلمين فحسب لابطال مفعولها.

- وقد كان مفهوم الامام الخنيني(رض) عن الولاية هو نفسه مفهوم الحكومة كما في قول المعصوم(ع) (ما نودي بشيء مثلما نودي بالولاية) وحينما أتم الرسول الاكرم الدين الاسلامي بركيزتي الجهاد والولاية - كان الوصي الاكرم علي (ع) قداستعد لتحمل تلك المسؤولية العظيمة مقتفيا خطوات رسول الله(ص) ولم يكن منكبا في زاوية الدار والمسجد يتلو القرآن الاذكار ويقيم الصلوات بعيدا عن احداث الامة الاسلامية وقضاياها - فقد كان آية في العرفان والتعبد وكان اعرف الناس بالله بعد رسوله(ص) ولكنه ايضا كان مهتما بقضايا المجتمع وتقويم الاعوجاج ومكافحة الفساد حيث نهض بتكليفه الشرعي من وجهين /الاول اسداء النصح والتوجيه الارشادي للقائمين بالسلطة /والثاني نهضته الجهادية العظمى في قتال الناكثين والقاسطين والمارقين حتى اوفى بما عاهد عليه الله وانتقل الى الحضرة القدسية شهيدا مخضبا بدمه كما وعده الرسول الاكرم (ص) وكذا الامامين الاعظمين سيدا شباب اهل الجنة ابا محمد الحسن وابا عبد الله الحسين وكذا بقية الائمة الطاهرين،كانوا يقومون بالاصلاح العملي والاداري في الحكومات كلما اتيحت لهم فرصة تحرك/وخير شاهد في هذا السياق قول سيد الاوصياء (ع) (اما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجوب الناصر وما اخذ الله على العلماء على ان لا يقاروا على كضة ظالم ولا سغب مظلوم لأقيت حبلها على غاربها) وعندئذ قام الامام علي عليه السلام باصدار الامر بالجهاد المقدس للوصول الى ساحل العرفان وشاطئ النجاة وسعادة الانسانية

خاتمة

ان اي عمل انساني عظيم يعتمد على تعاليم السماء،عادة ما يواجه من اغلب القوى البشرية بالصد والمعارضة وكأنها سنة في حياة البشر،،في الوقت الذي تكون فيه الاهداف الانسانية ،في خدمة كافة البشرية ولكن غالبية الناس قد اختاروا مأزق الانانية

والاستكابر وحب الفساد والصد لكل خير ونور يعم حياة البشرية..كما في قوله تعالى **﴿ولتجدن اكثرهم للحق كارهون﴾ ﴿لقد حق القول على اكثرهم فهم لا يؤمنون﴾ ﴿وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين﴾** وهذا ما لمسناه بالفعل في عصرنا الحاضر حيال الثورة الاسلامية ورموزها وشعبها فقد تدفقت كافة القوى الشريرة – لتقويض تلك المسيرة الثورية الانسانية واحباطها بفرض القضاء على دولتها وتشكيك جماهيرها وابعادهم عن مبادئها واهدافها واستمرارية نموها وحيويتها بشتى الوسائل الشيطانية الماكرة وعلى سبيل الايجاز نورد بعض تلك الوسائل والمخططات الخبيثة.

١ – وقوف الاعلام العالمي وخاصة الغرب وفي مقدمتهم امريكا وعملائهم في وجه الثورة منذ بداية احداثها والى الان..حيث تقوم تلك الوسائل الاعلامي بتزوير الحقائق وتشويه المبادئ لتلك الثورة وناول رجالها وقاعدتها الشعبية باسوأ الاكاذيب وطرق الخداع الاعلامي المزيف مستخدمين كافة الامكانات الاعلامية الواسعة من تلفاز ومذياع وصحافة ونشر وكتابات اصحاب الاقلام المأجورة الساقطة في اوحال العمالة والارتزاق حيث انتشرت عشرات ومئات الكتب بعد قيام الجمهورية الاسلامية في ايران معادية لمبادئ الثورة ومنهجها الديني ومشوهة لشخصياتها،ولكن كل تلك الهجمات فشلت في تحقيق مخططات الحاقدين على الثورة والجمهورية ومناهجهما،لان تلك الوسائل الاعلامية بكافة اشكالها لم تستطع ان تثبت للعالم اي مخالفة اقعية للمبادئ السماوية والانسانية من قبل الجمهورية الاسلامية الا ما عثرت عليه من الشتائم والاكاذيب كما يكتب بعض الحاقدين المأجورين مثل كتاب /دجال القرن العشرين وكتاب ابرهة الجديد، وكتاب الصراع بين الشيعة والتشيع،وكتابات بعض الوهابية من عملاء امريكا والصهيونية وكتابات المعارضة ممن غلبت عليهم الانانية والعمالة لاعداء الاسلام في الوقت الذي يدعون فيه انتماءهم الى التشيع ومنهاج اهل البيت. والاغرب من ذلك انهم يطلقون على انفسهم صفة العلماء وما ادراك ما العلمية،كما فعل العميل موسى الموسوي في خدمته للاستخبارات الامريكية والبريطانية وغيره ممن وقفوا ضد الثورة الاسلامية وضد مصلحة الانسانية بشكل عام...

٢ – توجهت قوى الاستكبار بشتى طاقاتها لغرض حصار اقتصادي ضيق الخناق على الجمهورية الاسلامية في كافة جوانبه التجارية والصناعية والمالية والخدمية وعلى نطاق الجو والبحر..،وصلت الحرب الاقتصادية على الجمهورية في ذورة مستواها.

٣ – قامت امريكا وحلفاؤها بالمنطقة بفرض حرب عسكرية شاملة (برا وبحرا وجوا) بعد ان فشلت امريكا في انجاح الانقلابات التشكيكية من الداخل وباءت كل مخططاتها الاجرامية بالخزي والعار والفضيحة والفشل.. عمدت الى حلفائها في المنطقة لاشعال

حرب شاملة ، قام بتنفيذها زعيم الخيانة (صدام) المدعوم آنذاك من اغلب طواغيت العالم وعملائهم في المنطقة وانتصرت فيها الجمهورية الاسلامية على اساطين الكرة الارضية اعتمادا على الدعم والمدد الغيبي فحسب.

٥ – قامت دول الاستبكار العالمي تتقدمها امريكا باستخدام الحرب النفسية بغرض ايقاع الهزيمة النفسية في قيادات الجمهورية الاسلامية من خلال اعمال التخريب الداخلي والتفجيرات ومخططات اغتيال وتصفية رموز الثورة ولكن اعلام الجمهورية صمدت عالية وثابة في احلك الظروف / كما استخدم الاعداء كافة الارهاصات الدعائية والارهاب النفسي ولكنها لم تجد لها مكانا في قلوب كزبر الحديد ...حتى تلك الارهاصات الموجعة التي اشعلتها امريكا اسقاط طائرة الركاب المدنيين التي راح ضحيتها اكثر من ثلاثمائة مدني في بحر الخيلج الفارسي،وقتل الحجاج الايرانيين في مكة من قبل جلاوذة امريكا والصهيونية، كل ذلك لم يجد له اثرا يذكر في عزائم قوم قال عنهم المصطفى(ص) (لا يضرهم من ناوأهم) والى الآن وما زالت قوى الاستكبار العالمي بكل ثقلها وطاقاتها في وجه الجمهورية الاسلامية وضرب مصالحها في كثير من مناطق العالم،وتواجد اساطيلها وقواها العسكرية على الخليج الفارسي من اقوى الدلائل الفاضحة والكاشفة لما تعانيه تلك القوى الشيطانيةمن الرعب والخوف والهزيمة المنكرة والتي لم تستطع ان تحدد اسبابها الى حد الآن وان اعظم منجز في التاريخ الحديث على هذا العالم هو ما صنعته تلك الثورة العملاقة من اعادة اهم مبادئ انسانية وهي اعادة قيمة الانسان في الوقت الذي كان الانسان قبل قيام الثورة لم يعد له أية قيمة تذكر،وانما كانت معايير القيم تقاس على اساس الماديات فحسب سواء في المجتمع الغربي او الشرقي كما استطاعت تلك الثورة ان تعيد للاسلام والمسلمين كيانا عاليا ومعنويا سواء في نفوس المسليمن او في نفوس اعدائهم وقبل قيام الثورة الاسلامية في ايران لم يكن للاسلام ولا للمسلمين اي ذكر ومعنى لدى المجتمعات الغربية والشرقية وبعد قيام تلك الثورة انبثقت الظواهر التالية:

١ – قامت امريكا المهيمنة على العالم بفتح قسم في البنتاغون الامريكي اسمته (قسم الشؤون الاسلامية).

٢ – كما قامت امريكا ايضا بفتح قسم في ادارة البيت الابيض الامريكي يسمى قسم الشؤون السياسية للدول الاسلامية.

وقد حذت حذوها في هذا الاطار بعض الدول الغربية والشرقية وذلك استجابة لاهمية الاسلام والمسلمين وتأثيرهما على الخارطة العالمية بعد قيام الثورة الاسلامية.

٣ -قامت دول الغرب متحالفة بتخصيص جزء كبير من موازناتها المالية السنوية في متابعة وكشف واحباط كافة الحركات الاسلامية كما قامت تلك بتنشيط كافة استخباراتها التجسسية حول محاصرة واحباط الحركات الاسلامية الشيعية بشكل خاص والسنية بشكل عام وهذا الجانب المالي الكبير قد ادى بامريكا وحلفائها في الغرب والشرق الى التوقف النسبي عن التطور التكنلوجية والعلمي في مجال الصناعات والمخترعات واصبحت امريكا تلجأ الى القوة العسكرية والتكتيكية لنهب حق الاختراع من الصين واليابان وغيرها.

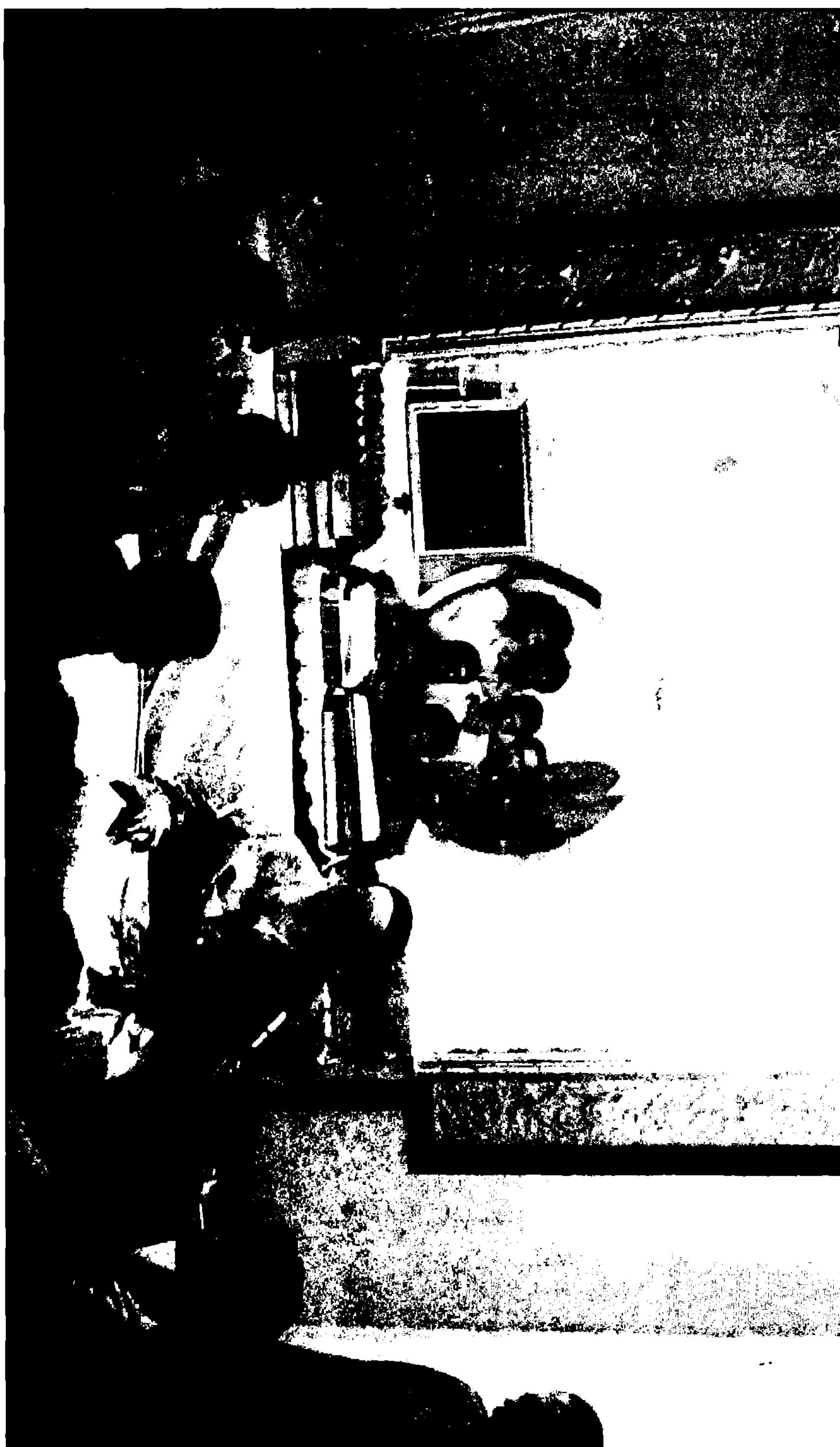
٤ - قامت امريكا وحلفاؤها المواجهة لكل عمل اسلامي تدعمه ايران في كل منطقة من مناطق العالم وكذا تحويل الحرب الباردة من الاتحاد السوفييتي الى ايران، حيث اصبح الصراع العالمي ما بين الماسونية العالمية وتمثلها امريكا وما بين الاسلام العالمي المحمدي الذي تمثله ايران ويكفي المسلمين عزةوكرامة وفخرا وسؤددا ومجدا ان اصبح للاسلام والمسلمين قوة تذكر وكيان مشتهر في الميدان العالمي المعاصر.

٥ - قامت امريكا وبريطانيا بتركيز جهودهما عبر البحوث العلمية حيث قامتا بانشاء مراكز بحثية علمية تركزت مهمتها حول التوصل الى نتائج واضحة عن اسباب نجاح الثورة الاسلامية ،وكيفية الاعداد والتنفيذ لقيامها،واكتشاف الادوات والامكانات الآلية والبشرية،والدوافع والابعاد لتلك الثورة،وشخصية قيادتها - ولكنهما لم تصلا الى نتيجة واضحة وملموسة منذ انشاء تلك المراكز والابحاث والى حد الآن لانهما لا ولن تفهما لغة الغيب من خلال الدراسات والتحليلات اعتمادا على امكاناتهما الحسية والمادية.

قال تعالى ﴿**يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره المنافقون..**﴾

﴿**ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين**﴾.

وصلى الله على سيدنا محمد الأمين وآله الطاهرين واتباعهم المنتجبين والحمد لله رب العالمين.



قيادة الإمام الخميني المرجعية والإرشادية

الأستاذ عثمان ناصر علي

مثلت شخصية الإمام الخميني بعدا مصيريا حاسما في تفعيل المواجهة الشعبية للنظام الشاهنشاهي وإيصالها الى ذروتها العليا: الثورة.

واستطاعت الثورة عبر فاعلية الإمام الراحل وصلابته ودفعه الذي لا يلين وطاقته الروحية الهائلة على المواجهة، ان تكسر السلسلة الامبريالية المسيطرة، ليس في اضعف حلقاتها بل في اقوى حلقاتها الاقليمية في منطقة الخليج والجزيرة خصوصا، وما يسمى في منطقة الشرق الاوسط عموما. وتمكنت خلال فترة وجيزة أن تنقل إشعاعها وآثارها الى كل زوايا العالم الإسلامي المضطهد وان تؤشر الى تغيير جوهري في حركة التاريخ وتطوره واحتمالاته المصيرية الجديدة.

وكانت الثورة الإسلامية في ذلك نوعاً فريداً ومتميزاً من تلك الثورات العظمى في تاريخ البشرية أي الثورات العالمية التي تمس آثارها المصير البشري كله وليس منطقة إقليمية محددة ومحدودة، ومثلت منذ أيامها الاولى منطقا جديدا في الثورات هو منطق «المستضعفين». وقد استعادوا السيطرة على مصيرهم وليس هذا المنطق مجرد المنطق البرجوازي للثورة الفرنسية الكبرى او المنطق البروليتاري للثورة البلشفية بل هو المنطق الشعبي الإسلامي الذي يستوعب تطلعا بشريا كلياً وشاملا. وقد تميزت الثورة الإسلامية بإيمانها بهذا المنطق وبدفعها له عالميا.

وكان على الثورة ان تتجاوز مرحلة النضال السلبي التي تُوّجت باسقاط الشاه وترحيله الى مرحلة النضال الايجابي وبناء النموذج الإسلامي الجديد للدولة الذي أخذ العالم كله يراقب خطواته ومعالمه وتحولاته لحظة بلحظة، وتطلب هذا البناء طاقة إبداعية عظمى

(*) نائب رئيس مركز الدراسات اليمنية والمدير التنفيذي للمركز العربي والدراسات الاستراتيجية فرع صنعاء.

بحكم الشروط التاريخية الجديدة والمعقدة التي تتميز أول ما تميز بمركزية الدول الحديثة ذات المراجع الغربية الاوروبية الاميركية في التجربة الإنسانية المعاصرة.

واذا كان نموذج الدولة الحديثة الاوروبي قد حكم كل نماذج الدول التي قامت في العالم وشكل الوحدة الأساسية للنظام الدولي منذ اواسط القرن السابع عشر على الاقل، فان الإمام الخميني كان يتطلع الى نموذج جديد للدولة لا يقوم على أساس مفاهيم الاندماج او التجانس العرقي والقومي الذي أدى إلى تهميش الآخر وتحويله الى أقليات معرضة دوما للتذويب او التهجير او التطهير او حتى الابادة، بل يقوم على مفهوم إسلامي شامل ينظر إلى الكون في عالميته الإسلامية المساواتية التي لا ترتب الاختلاف ما بين المجموعات البشرية على أساس الاعراق او القوميات الشوفينية المتصلبة والعدوانية. وكانت عالمية الإسلام وأمميته الشاملة محور تفكير الإمام بالدولة وهو يدفع بنموذجها الجديد. واستندت هذه العالمية الى إنسانية الحضارة الإسلامية في عصورها الزاهية وقدرتها على استيعاب مختلف الاقوام والاجناس واللغات والاعراف في نظامها الروحي الثقافي الشامل دون إقصاء أو تهميش أو تذويب بشكل كانت فيه هذه الحضارة محلا لتفتح كافة الهويات والذاتيات الثقافية وازدهارها ونموها الدائم.

وكان النموذج الشاهنشاهي الإيراني الذي واجهه الإمام وقوضه حجراً فوق حجر شكلاً نقياً وصارماً من أشكال نموذج الدولة الحديثة الأوروبية المتصلب بأوهامه عن أساطير الأصل العرقية ومركزيته في الفتك بالثقافة الفعلية للمجتمع ومنطقه الفعلي في التهميش الاجتماعي لصالح سيادة نخبة (متغربة) وغريبة في مجتمع إسلامي.

ومن هنا كان نقض الإمام لهذا النموذج بنموذج إسلامي مضاد يمثل اولا استئنافا فعليا للنموذج الإسلامي للدولة بعد أن تم تقويض الغرب لهذا النموذج وتدميره بكلام آخر.

كان الإمام الراحل مجتهداً متميزاً على غرار المجتهدين الكبار في الفقه الإسلامي أو بكلمة أدق في أصول الفقه الإسلامي التي ليست سوى أصول القانون الإسلامي، وتمثل جانباً من جوانب اجتهاده في مسألة الحكم الإسلامي التي تندرج في إطار فقه السياسة والدولة والحكم. حيث حول الإمام الراحل منظورات هذا الفقه جذريا ورأى من خلال هذا التحويل انه يمثل الفهم الإسلامي لنموذج الدولة التي ينطلق الاجتهاد الإسلامي فيها من سواسية البشر ومساواتهم امام الله خارج أية سلطة ملوكية او استبدادية او كهنوتية.

ومما لا شك فيه أن الإمام الراحل قد أحدث ثورة في فقه السياسة الإسلامي، وَسَمت

هذا الفقه وحددت مفاهيمه السياسية ليس بمعنى العمل السياسي اليومي من إدارة وما شابه ذلك بمعنى أصل الحكم وطبيعته ووظائفه.

لا يمكن فهم موقع الإمام في تحويل الثورة الإسلامية من مرحلة نضالها السلبي إلى مرحلة نضالها الايجابي بمعزل عن استيعاب اجتهاده في مفهوم الحكومة الإسلامية، كما لن يكون ممكنا فهم تجربة الجمهورية الإسلامية الإيرانية بمعزل عن ذلك الاجتهاد الذي مثل وما زال يمثل الأساس الفقهي الإسلامي للجمهورية. وإذا كانت الجمهورية قد أبدت استيعاباً إبداعياً لاجتهاد الإمام الراحل، فانه يمكن القول ان هذا الاستيعاب لم يكن ممكنا لولا ان الإمام كان اصولياً مستنبطاً كما يليق بالمجتهد المطلق في الإسلام والذي هو في وجه أساسي من وجوهه عالم أصول القانون الذي يحكم القوانين الجزئية والتفصيلية والفرعية فيصعب بل يستحيل تصور أي نموذج للدول دون تصور أصول قوانينها وبعض ما انجزه الإمام الراحل كان منصبا بشكل جوهري على تأسيس النموذج الثوري الإسلامي الجديد للدولة على اجتهاده في أصول القانون الإسلامي.

نستطيع القول ان تجربة الإمام الراحل في ارشاد الجمهورية الإسلامية وولايتها المرجعية تقوم بشكل جوهري على بناء نموذج الجمهورية الإسلامية في إيران لاول مرة في تاريخها المعاصر وليس نموذج الدولة القومية الشوفينية من النوع الذي كانت عليه الدولة الشاهنشاهية واصولها في الغرب.

في هذا الاطار تبنت الجمهورية الإسلامية في ظل ولاية الإمام الراحل المرجعية سياسة إسلامية في علاقاتها الاقليمية والدولية، وحولت إيران من اقليم قاعدة لمقاومة يقظة العالم الإسلامي وتحرر شعوبه إلى اقليم قاعدة لانطلاقه ووثوبه الجديد، ومن حلقة في حلقات السلسلة الامبريالية المتسلطة إلى حلقة من حلقات التحرر العالمي للشعوب، ومن مكمل للكيان الصهيوني إلى عدو أساسي له. وهكذا أصبحت القدس في قلب الجمهورية بما تنطوي عليه من معنى للعالم الإسلامي، ولا ادل على رؤية الإمام الراحل الثاقبة لمركزية القضايا الإسلامية من وقوفه ضد تأجيج الروح القومية الشوفينية التي اذكاها إندلاع الحرب العراقية – الإيرانية الظالمة ضد الشعب الإيراني وجمهوريته الإسلامية الجديدة حين أكد انه ليس المهم ان يكون الخليج عربياً أو فارسياً بل إسلامياً لا أمريكياً.

لم يكن الإمام الراحل حاكما على غرار الحكام بقدر ما كان مرشدا مرجعيا للجمهورية. عمل بشكل خاص على تفعيل اجهزتها وترشيد سياستها وكان في مقدمة ما اهتم به الإمام هو ايجاد الآليات المؤسسية للتحرر من التبعية وتسخير المقدرات الإيرانية

لصالح الشعب الإيراني والعالم الإسلامي. ولعل الجمهورية الإسلامية في اطار هذه السياسة هي التي حققت فعليا استقلال إيران بعد ان كانت تابعة على مدى خمسين عاما للغرب وقد كان الإمام وراء اعادة بناء السياسة على أساس معايير الأخلاق والقيم والمصلحة البشرية العليا التي هي هدف الإسلام في كل عصوره ومن هنا كان إحياء الهوية الإسلامية مركزا أساسيا من مراكز هذه السياسة التي زرعت أملا جديدا لدى الشعوب المقهورة والمستضعفة.

فقيام هذه السياسة على مبدأ ان العبودية لله تعالى وحده، كان يعني إلغاء كل انواع التبعية واعادة الثقة بالنفس .

وتميزت مرجعية الإمام لهذه السياسة بالصدقية والقدرة والاستقامة العليا، وما زال الجميع يذكرون بيته المتواضع البسيط في ذلك الحي الشعبي الاليف من إحياء طهران الذي قدم الإمام من خلاله مثلا حيا ساطعا عن بساطة تقبع خلفها إرادة صلبة وثقة تامة. وقد امتلك الإمام الراحل في هذا السياق خصائص نادرة ومتميزة جعلته لا يبالي بروحه إزاء القضية العليا التي وهب نفسه لها وكانت صورة صموده الباسل من أعلى صور الصمود في التاريخ واكثرها إشعاعا.

وجّه الإمام وهو في مرحلة المرجعية ولا سيما بعد انتصار الثورة نداءاته الكبرى الى العلماء كي لا ينعزلوا عن المجتمع وان يساهموا بفهم مشكلات جيل إسلامي جديد وحلها خارج الاعيب الساسة المحترفين وفي الوقت الذي ابدى فيه احتراما لا حدود له لدستور الجمهورية فإنه أوصى دوما بأن يكون ممثلو مجلس الشورى الإسلامي قدوة تمنع أي انحراف او فرض تمثيل بالدسائس والالاعيب السياسية وكانت وصيته بأن المشاركة في الانتخابات تكليف إلهي تعبيرا عن اعادته للشعب الإيراني الى حلبة السياسة للمساهمة في صنعها وتشكيلها حيث نبه الجميع بوصفه مرشدا روحيا للثورة الى ضرورة ان يكون رئيس الجمهورية وممثلو المجلس من شريحة تلمس حاجات مستضعفي المجامع وتنصف المظلومين، وفي الوقت نفسه الذي شدد فيه على سلامة اختيار الخبراء والممثلين للقائد او شورى القيادة.

وكان اخضاع السلطة التنفيذية للرقابة الشعبية المؤسسية الفعالة تعبيرا آخر عن تفكير الإمام الراحل بالجمهورية كجمهورية متحررة ومستقلة وسيدة تحتاج الى مشاركة كل ابنائها المخلصين.

كان جميع اولئك الذين استفزهم انتصار الثورة الإسلامية يترقبون فشلا ذريعا لها في

حل مشكلات ما بعد التحول من الثورة الى الدولة. وعززت المؤامرات الداخلية والخارجية وفرض الحرب العراقية - الإيرانية الظالمة على الشعبين الإيراني والعربي العراقي تلك الترقبات التي واجهها الإمام بصلابة ورؤية ثاقبة واضحة واستقامة ومبدئية. وتمكنت الجمهورية بفضل ذلك من تحطيم تلك الترقبات وإرساء مداميك التحول من الثورة الى الدولة ومن النضال السلبي الى النضال الايجابي وايجاد دولة المؤسسات أي دولة الاطر المؤسسية التي يستحيل على أية دولة ان توجد بمعزل عنها. واليوم تؤكد حيوية الجمهورية الإسلامية ومرونة اطرها المؤسسية واتساع دائرة التمثيل وإيجاد أوسع أطر المشاركة السياسية في إطار روح الدستور الإسلامي ومقاصده ونصوصه عظمة الدور الانشائي الهائل الذي قام به الإمام الراحل والذي هو دور معلم وقائد في انتصار الثورة وبناء الجمهورية الجديدة.

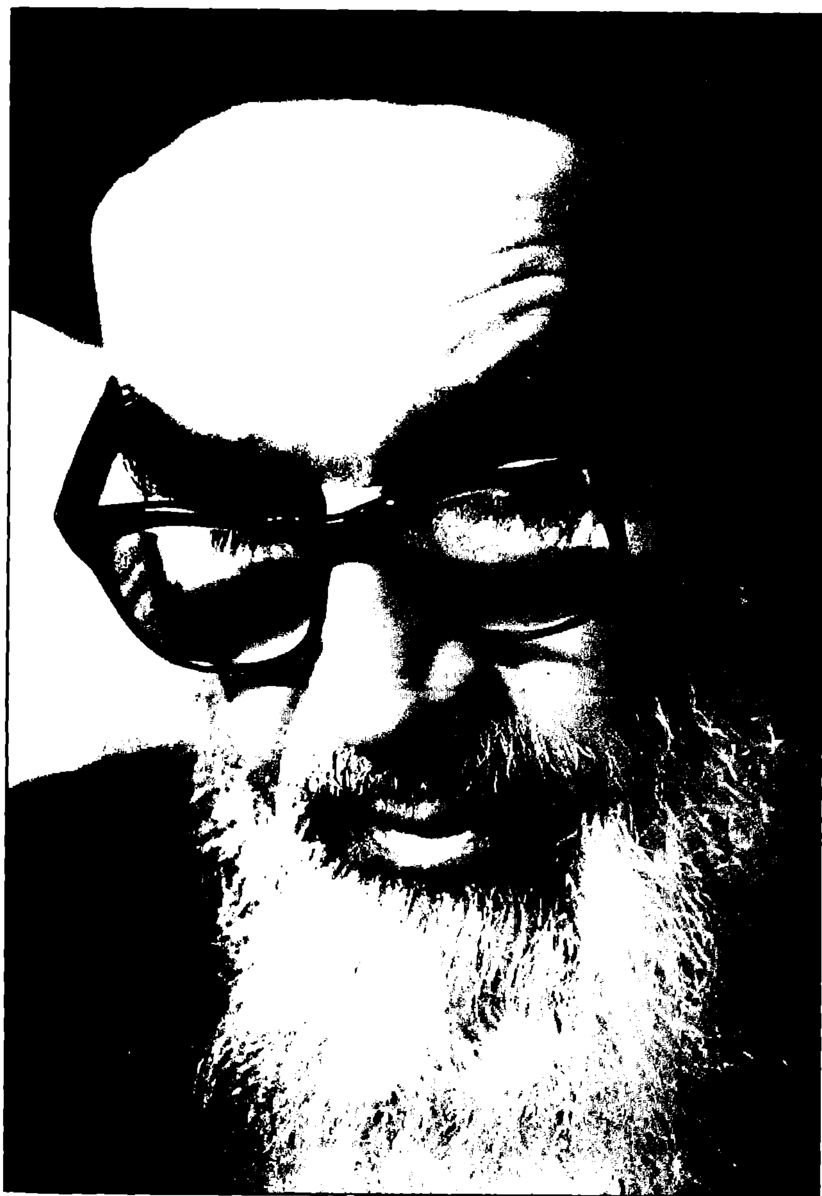
ان بعض جوانب العبرة الكبرى المستفادة من تجربة الإمام الراحل في قيادة الثورة وارشاد جمهوريتها مرجعيا تتجلى في ذلك التفاعل الخلاق والحي ما بين الأمة والقائد فعندما رحل الإمام الكبير وظلت مثله قدوة عليا في الأمة ولحمة نسيجها صمدت فيه الجمهورية واستقرت في تطور داخلي هو نتاج حيويتها ودليل جديد على قدرة الشعوب على اختيار مستقبلها والسيطرة على مصيرها رغم كل التحديات التي يمكن ان تواجهها.



الامام الخميني القائد العام للقوات المسلحة يربت بيده على كتف أحد الضباط بروح أبوية

افغانستان

- العلامة الشيخ محمد ناصري
- العلامة الشيخ أحمد أخلاقي



بالتزام تقوى الله والعمل خالصاً لوجهه الكريم

تجللت النورانية في تراسيم وجه إمامنا الراحل

الترابط الوثيق بين منهج الإمام وقضايا الأمة الإسلامية

العلامة الشيخ محمد ناصري

انطلق الإمام الخميني(رض) في منهجه النهضوي من النصوص الشرعية التي تتجاوز الجغرافية في العالم الإسلامي، وربط بين ضرورة الحكومة الإسلامية وضرورة شمولية أهدافها، التي هي أهداف واسعة تتعاطى مع الشعوب الإسلامية كأمة. وكان الإمام الخميني (رض) شديد التأكيد على مفهوم الأمة، وبتقديرنا فان الإمام(رض) اراد العلاج مرحليًا للواقع الذي يعيشه المسلمون، وفي ذات الوقت حاسما، بمعنى انه اراد إقامة نموذج الحكومة الإسلامية كشرط لامكانية تحقيق مفهوم الأمة الناهضة.

وبالرجوع الى نصوص الإمام الخميني(رض) ، نجد انه وضع إصبعه على أهم الجروح التي حالت دون قيام المشروع الحضاري الإسلامي مقابل المشروع الإستعماري. فهو قَرَن قيام الحكومة الإسلامية بضرورة ان تكون هذه الحكومة مستندة الى مفهوم الأمة الواسع ولهذا قال «لا سبيل لتحقيق وحدة امتنا الإسلامية، ولإخراج وطننا الإسلامي وتحريره من سيطرة ونفوذ المستعمرين، سوى بتأسيس دولة، تأسيس الحكومة هو لأجل حفظ نظام ووحدة المسلمين»[1]، فوفق هذا التأكيد يتضح ان الإمام الخميني(رض) افترض ان الهيمنة الاجنبية عامل في تمزيق الأمة الإسلامية وهو ما حصل منذ سقوط الدولة العثمانية، وتقطيع اوصالها الجغرافية، وقيام الحكومة الإسلامية يعني الغاء الهيمنة والتبعية، وبذلك يزول عامل تقسيم الأمة، ومن هنا كان الدفاع عن الملايين المحرومة من المسلمين منهجا ثابتا في سياسة الحكومة الإسلامية وهذا ما عمل به الإمام(رض)، وثبته كأولوية راسخة في سياسة الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

(*) ممثل حزب الوحدة الإسلامية الافغانية في سورية ولبنان

(١) الحكومة الإسلامية ص ٧٤ .

فعندما انتصرت الثورة الإسلامية في إيران بقيادة الإمام الخميني(رض) بادرت ومنذ اللحظة الاولى الى التأكيد على الوقوف الى جانب الشعوب الإسلامية في قضاياها المصيرية التحررية، وكانت الثورة نصيرا دائما لحركات التحرر الإسلامية، ولم تمنع أصعب الظروف التي مرت بها الثورة الإسلامية من الاخلاص لمبادئها، وكانت القضية الافغانية مثالا مجسما لهذا النهج الذي سارت عليه الثورة الإسلامية الى الآن.

فقبل قيام الدولة الإسلامية بسنين قال الإمام الخميني في كتابه (الحكومة الإسلامية): «نحن مكلفون بإنقاذ الشعب المظلوم والمحروم، نحن مكلفون بأن ندعم المظلومين وان نكون اعداء الظالمين»[٢]. واوضح الإمام في نص لاحق ان هذا الموقف مقتبس من منهج الإسلام قائلا «وهذا هو التكليف الذي ينبه عليه امير المؤمنين علي بن ابي طالب(ع) في وصيته المعروفة لولديه الحسن والحسين حيث يقول: وكونا للظالم خصما وللمظلوم عونا»[٣].

وبعد قيام الدولة الإسلامية وفرض الحرب عليها من قبل النظام العراقي المدعوم آنذاك من الولايات المتحدة الاميركية (الغرب) والاتحاد السوفياتي السابق (الشرق)، فان الإمام الخميني وفي أشرس مراحل الصراع وأدق مراحل المواجهة رفض المساومة مع الاتحاد السوفياتي عندما كان الموضوع المطروح هو احد مبادئ الثورة ومنهجها. حيث طلب القادة الروس من إيران في غمرة الحرب العراقية المفروضة على إيران، وأيضاً في غمرة الصراع بين القوى الإسلامية الافغانية والنظام الشيوعي التابع الى موسكو في افغانستان، طلب هؤلاء القادة ان تتوقف إيران عن دعم المجاهدين الافغان، مقابل توقف الاتحاد السوفياتي عن تزويد النظام العراقي بالصواريخ التي كانت تتساقط على طهران وباقي المدن الإيرانية الاخرى.

لكن ماذا كان جواب الإمام الخميني؟

لقد رفض هذا العرض، رغم انه يؤثر وبشكل واضح في موازين الصراع لصالح إيران، وهذا الرفض طبعا كان مستندا الى ثوابت الثورة، وصلابة المنهج الذي برهن عمليا ان القضايا المصيرية في مستقبل الأمة الإسلامية خارج قواعد المساومة مهما كانت المصلحة المتحققة. وفي هذا نجد ان الإمام ترجم حرفيا أقواله التي تحدث بها قبل قيام الثورة الإسلامية بسنين، حيث قال وهو في مدينة النجف الاشرف «تكليفنا اليوم هو تطبيق

(٢) السابق ص ٧٤ .
(٣) السابق ص ٧٦.

مشروع الحكومة الإسلامية وترجمته في ساحة العمل، لكي يتمكن المسلمون من العيش في أمن وهدوء»[٤].

واليوم، حيث رحل الإمام الخميني(رض) وأعطى الراية لخليفته الامين الإمام الخامنئي (حفظه الله)، لازالت الحكومة الإسلامية ماضية في نفس ثوابتها ومنهجها، رغم دخولنا في مرحلة جديدة نشهد فيها تغييرات سياسية كثيرة، ولا زالت إيران الثورة والدولة الى جانب القضية الفلسطينية، والى جانب الشعب الافغاني في محنته، والشعب الطاجيكي ومسلمي البوسنة، وألبان كوسوفا.

هذا الثبات مصدره قدرة الإمام الخميني على استنهاض النص الشرعي الذي يجعل أهداف الإسلام العظيمة شاملة لكل الأمة والإمام الخميني قاد ثورة وأسس حكومة إسلامية في جزء من الوطن الإسلامي، الا ان مؤشرات النهوض تؤكد ان فكر الإمام قد اصبح منهجا للتغيير في اغلب بلدان الوطن الإسلامي، وهذا ما دفع حتى اعداء الإسلام للاعتراف بأن ما بناه الإمام الخميني ليس من السهل تهديمه.

---

(٤) السابق ص ١٩٨ .



من هنا أعلن الإمام القائد تأسيس الحكومة الإسلامية في إيران

الإمام الخميني وعالمية شعار الثورة الإسلامية

العلامة الشيخ أحمد اخلاقي

المفهوم الإسلامي للدعوة الإسلامية التي حمل لواءها الرسول الاعظم(ص) هو عالمية الدعوة والرسالة الإسلامية وان الرسول(ص) بُعث لتبليغ الدعوة الى البشرية كافة، ولينقذ الإنسانية من الانحرافات والضلالات الى الطريق المستقيم. فالرسول الاعظم هو رحمة للعالمين، أي انه بعث الى جميع البشر لا الى منطقة دون اخرى. وعلى هذا عمل النبي(ص) على توحيد الجميع ورص صفوف الأمة والغى جميع الامتيازات وجعل ميزان التقوى هو الميزان الاوحد لقياس الناس عند الله تعالى وقد ورد في الآية الكريمة: **﴿ان اكرمكم عند الله أتقاكم﴾**. وقد عمل الائمة الاطهار (عليهم السلام) وجميع الصالحين الاخيار الذين حملوا لواء النبي(ص) من بعده على نفس الأسلوب في الدعوة الى الله باعتبار ان الإسلام لا يخص شعبا دون شعب، وان رسالة الإسلام رسالة عالمية شاملة وان الأمة الإسلامية أمة واحدة وجسد واحد.

وفي عصرنا الحاضر انطلقت ثورة إسلامية مباركة في إيران بقيادة فقيه إسلامي وقائد رسالي هو الإمام الخميني (قدس سره) وهذه الثورة المباركة هي في الواقع امتداد حقيقي للثورة المحمدية والحسينية على الجهل والظلم.

ان العامل الأساسي الذي جعل الثورة الإسلامية امتدادا حقيقيا لرسالة النبي(ص) هي القيادة العلمائية الواعية التي تمثلت بالمرجعية الرشيدة التي عملت على اعادة الإسلام الى قيادة الحياة واعلنت عن تشكيل حكومة إسلامية تسير على نهج الرسول(ص) والائمة (عليهم السلام) وبذلك حققت هذه الثورة حلم الانبياء والصالحين.

ان قيادة الإمام الخميني(قدس سره) هي في الواقع السمة البارزة والعنوان العريض

(*) من علماء الدين المجاهدين الأفغان.

للثورة الإسلامية التي لا تكاد تعرف الا باسمه، حيث كان يمتاز بشخصية خارقة، وان شخصية الإمام تتمثل في الأسلوب القيادي الذي لا يهادن ولا يساوم مع ذلك فانه ينتصر، بل في ان يتصدى كرجل دين وكفقيه إسلامي لأعتى القوى المعاصرة في القرن العشرين، ويتصدى للتحديات الداخلية والمؤامرات الخارجية وتكالبات قوى الإستكبار.

وان عظمة الإمام وقيادته الحكيمة والشجاعة للثورة الإسلامية وتصديه لأعتى القوى الاستكبارية ودعوته الصادقة إلى الشعوب الإسلامية إلى الوحدة والتضامن والتخلص من الظلم والاستكبار جعلت الشعوب الإسلامية الرازحة تحت سلطة الانظمة الجائرة الطاغوتية تتطلع إلى الإمام الراحل (قدس سره) باعتباره الأمل والمنقذ وأخذت تسير على نهج هذا القائد الرسالي الشجاع.

ان انتصار الثورة الإسلامية في إيران كان في الواقع بادرة عظيمة في الصراع المحتدم في العالم بين قوى الطاغوت وقوى التحرر.. بين الانظمة الجبارة وبين الشعوب المحرومة المستضعفة ولذلك اصبحت نموذجا لكل أحرار العالم واصبحت إيران قلعة للحرية ومركزا للاشعاع الرسالي في العالم.

لقد فجر الإمام الراحل (قدس سره) ثورة الإسلام ضد الاستبداد والقهر والتعبية والاستغلال وثورة المستضعفين ضد الطغيان السياسي والإقتصادي، وعلى هذا وقفت قوى الاستكبار في مواجهة الثورة خوفا من شبح الإسلام الذي ترفع الثورة الإسلامية رايته. وقد وجدت الشعوب المقهورة وحركات التحرر والاحزاب الجهادية ضالتها في شخصية الإمام الراحل (قدس سره) والثورة المباركة. وبمقدار التحديات الخطيرة التي واجهتها الثورة فإنه اكتسب محبة وولاء الشعوب المقهورة. واستطاعت الثورة أن تشق طريقها دون عناء في أعماق المحرومين ووقفت الجماهير والحركات التحررية الواعية إلى جانب الثورة تذود عنها وتدافع عن كيانها ووجودها.

ان وقوف حركات التحرر إلى جانب الإمام الخميني مؤشر على القدر الكبير من الوعي السياسي والحركي لدى تلك الحركات لأنها باتت تدرك بأن الإمام هو الشخصية الوحيدة في العالم الذي يمكنه ان يحشد الطاقات الجماهيرية في ساحة الصراع والمواجهة مع الانظمة الجائرة. ولم يكن الإمام الخميني (قدس سره) ينتظر المبادرة من جانب الشعوب والحركات التحررية ليعرب عن موقفه الداعم لتلك الشعوب بل انه كان يرى من واجبه الشرعي ومن مسؤولياته القيادية ان يكون مع قضايا المحرومين ويدافع عنهم ويعمل من أجل رفع معاناتهم قدر الامكان.

لقد رفع الإمام الخميني (قدس سره) شعار عالمية الثورة الإسلامية وأعلن بأن الثورة لا تخص الشعب الإيراني بل انها إنجاز تاريخي للأمة الإسلامية.

ان إلقاء نظرة سريعة إلى الرسالة التاريخية للإمام الراحل (قدس سره) إلى الرئيس السوفييتي (السابق) ميخائيل غورباتشوف يكشف مدى اهتمام الإمام الراحل بعالمية الثورة ومسؤوليته التاريخية في مركز قيادة الأمة الإسلامية.

وختاما نورد هنا مقاطع من أقوال الإمام الراحل (قدس سره):

o «أعلن مرة أخرى مساندتي لجميع حركات التحرر في العالم حتى يتحقق لثوارها النصر».

o «نحمي جميع المستضعفين امتثالاً لتعاليم الإسلام العظيم ونساند كل من ينهض في العالم لإنقاذ بلاده، وندعم بشكل كامل نضال إخواننا الفلسطينيين وجماهير الجنوب اللبناني في مواجهة (إسرائيل) الغاصبة».



الامام الراحل جسّد التعايش الاسلامي - المسيحي في مواطن عديدة ، وفي الصورة يظهر المطران كابوتشي مطران القدس في المنفى إلى جانب سماحته في الأيام الأولى لأنتصار الثورة

إيـــران

حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني (رض).
آية الله السيد أحمد الفهري
آية الله الشيخ محمد علي التسخيري
المهندس حسين شيخ الإسلام
العلامة السيد رضا تقوي



الاب والابن

معاً .. في خندق الجهاد ..

وفي رحلة الخلود ..

كلمات في ذمة التاريخ

المرحوم حجة الإسلام والمسلمين
السيد أحمد الخميني (*)

قد يكون من الصعب عليّ، أن أكتب أسطراً يمكنها سبر أغوار رجل كالإمام الخميني "قدس سره"، تمكن من إحياء دين الله في زمن اغتراب الإسلام، وأعاد للمسلمين مجدهم وعظمتهم بعد طول ضياع، وأقضّ مضاجع زعماء الهيمنة والثروة العالمين، وحقق الأمل القديم للأمة في إقامة نظام الجمهورية الإسلامية المقدس، الأمر الذي كان يحسبه البعض حلماً أو صعب المنال.

لكنني أقول وكلامي هذا ليس موجهاً لجيل المستقبل وحسب، وإنما هو أيضا لجيل اليوم، ولكل من ينشد الحياة الطيبة في مواصلة نهج الخميني، ولكل من يخفق قلبه في سبيل تحقيق تطلعات الخميني، ولكل من ضحوا بأعزائهم، علي طريق الخميني، ولكل أولئك الذين كابدوا أنواع المصاعب والمشقات والحصار الظالم للأعداء، وحطموا هذا الحصار بيد من حديد ليعلو صوت الداعي إلى الله و المنادي بالإسلام المحمدّي الأصيل في عصرنا الحاضر، أقول بأن الخميني في غنى عن أي شيء يدعو إلى تبجيله و تعظيمه، لأنه (قدس سره) كان منقطعاً إلى الله عزّ وجل بكل وجوده، مجاهداً هواه، زاهداً في هذه الدنيا، عازفاً عن بهارجها الفاتنة.. هو يرقد بجسده الطاهر تحت التراب لكن روحه تسبح في علّيين، لكن ما أحوجنا إلى معرفة الخميني وكنهه ونهجه وأهدافه، فنحن لا نستطيع

(*) السيد أحمد الخميني (رحمه الله) كان أحد أقطاب الثورة الإسلامية والساعد الأيمن لسماحة إمامنا الراحل حيث كان ينوب عنه في المفاصل التاريخية من حياة الثورة و الدولة الإسلامية في إيران دون أن يكون له أي منصب يعرف به، وقد التحق بأبيه بعد رحيل الإمام وهو مدفون إلى جواره في المقام المشيد الذي يحوي ضريح سيدنا الخميني (قدس سره) في مقبرة (بهشت زهرا) خارج طهران.

الاستغناء عن هذه المعرفة لأننا نعيش هاجس التوق واللهفة إلى ذلك إن أردنا حقاً اتّباع خطاه.

إن كل ما تحقق، سببه هو أن الإمام الخميني كان يرى الحق في حركاته وسكناته، وهو لم يفعل شيئاً قط إلا وفقا لما أملاه عليه التكليف الشرعي. إنه لم يخش أحداً سوى الله، ولم يهدف من تأسيس الدولة إلا إقامة حدود الله وانتزاع حقوق المظلومين من المستكبرين، على هدي سيده ومولاه أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام).

لهذا ليس غريباً حتى لمن هو مثلي، أن يجد مشقة في ترجمة سيرة هذا الرجل كتابة أو حديثاً، إذ كيف يمكن لمن عاش على شاطئ بركة ماء وحسب، أن يصف بحراً عباباً ؟! لقد كان الإمام ذائباً في الله، عارفاً به، فلا عجب – إذاً – أن تتواصل عجلة الثورة الإسلامية، لأنها ثمرة جهاد الإمام الخميني وأنصاره، الذين صرفوا عمرهم دون هوادة حتى أينعت، ولهذا فإن نجاح هذه الثورة في خضم تكالب الأعداء عليها حاضراً ومستقبلا، لايكون إلا عندما نفهم طريقة تفكير صاحبها وأهدافه بدقة.

إنني وكل الذين شاهدوا ما عاناه الإمام وواكبوا الحوادث العصيبة للثورة، مدعوون بجد إلى كشف الحقائق والتعامل بصدق معها، من أجل أن يعرف حملة رايات الجهاد غداً والأجيال القادمة بأن الثورة التي غدت مبعث فخر الأمة واعتزازها وجددت الصعود الإسلامي، لم تقُم في ليلة وضحاها.

وليس الهدف مما قيل إثارة شجون أو لواعج دفينة، بل لأننا نريد اتقاء ما هو أعظم مما قد نبتلى به مرة أخرى إن لم نتحرك بأعين يقظة. ولهذا فإن فضح أسماء الذين أساؤوا إلى الإمام الخميني أو كشف النقاب عن وجوههم، لن يفيدا شيئاً، فالداء لا يكمن في الأفراد أو الوجوه، بل لأننا كنا دائماً وما زلنا، أمام تيار عارم يقف بوجه مسيرة الإسلام الصافي منذ صدر الإسلام وحتى يومنا هذا، وان أتباع هذا التيار يسخّرون قدراتهم ومجالسهم في خدمة ما عبر عنه الإمام الراحل "الإسلام الأميركي"، فهؤلاء يسيرون عكس نهج الخميني ومسيرة الثورة، وهم في كل يوم يغيرون ألوانهم وشعاراتهم ومواقفهم وحتى مسمياتهم وصولاً إلى مآربهم.

إن خطر الانحراف والنكوص، يعرقل دائماً مسيرة أية ثورة، لكـــن بالحفـــاظ علـــى الوحدة والتلاحم، واتباع خطى سماحة قائد الثورة (الإمام الخـــامنئي)، والـــتزام الحـــذر والتراحم والتصابر، وإن أدى ذلك إلى بذل الأرواح دفاعاً عن مبادئ الثورة الإســـلامية، يمكن مواصلة المسيرة.

الكل يعلم بأنه ما أن عاد الإمام الخميني (قدس سره) إلى أرض الوطـــن في شـــباط ١٩٧٩معلناً تأسيس الحكومة الإسلامية في إيران حتى تزايد حجم المؤامـــرات الخارجيـــة لأعداء الثورة من جانب، وتضخمت العراقيل والعداوات الداخلية الناجمـــة عـــن حســـد الحساد وحماقة الجهلة وعمالة المتواطئين من جانب آخر. لقد بلغت تلك الضغـــوط حـــداً جعل أنصار الإمام المخلصين، مضطرين لأن يكون شغلهم الشـــاغل، إحبـــاط المؤامـــرات ومعالجة الأوضاع المتردية الموروثة من نظام الشاه البائد. وقد حال انشغالهم بمثـــل هـــذه المشاكل، دون إتاحة الفرصة لهم لكشف حقائق الماضي وتسليط الأضواء علـــى وقـــائع الأحداث التي سبقت انتصار الثورة الإسلامية.

قد يكون ثمة تقصير أو تلكؤ في هذا المجال ربما لا يصح الإشارة إلى أسبابه، لكنني أرى بأن الكتّاب والمؤرخين وخبراء التوثيق الرساليين الحريصين على الثورة وإنجازاتها، مدعوون إلى نفض الغبار عن تاريخ الثورة الإســـلامية المعمد بالدم، وهم مطالبون بقّوة بأن يعرّفـــوا الجيل الحاضر الذي يفترض أن يكون حامل لواء مواصلة هذه النهضة المقدسة، بالمجريـــات السابقة لوقائع الثورة، باعتباره كان بعيداً عن هذه الأجواء.[1]

---

[1] لقد آثرت عدم التوسع في ترجمة ما كتبه المرحوم السيد أحمد الخميني عن والده الراحل إلى العربية، في هذا المقال دفعاً للتكرار، لأن الكتاب في كلياته ينطلق في تبيان معالم شخصية الإمام الخميني (قدس ســـره) ومواقفه في الأبعاد كافة، وهذا الموضوع مقتطفات من مقال مطول كتبه نجل الإمام الراحل، نشرته مجلـــة جمعية النساء في إيران "زنان" وقد نقلته مجلة "كيهان فرهنكي" (كيهان الثقافي) بالكامل في العـــدد رقـــم ١٥٦بتاريخ مهر ١٣٧٨هجري شمسي / تشرين الأول (١٩٩٩) تحت عنوان "واكويـــه خـــون دل بـــير جماران"(المعد).

إن من الضرورة بمكان أن نستذكر هنا بإجلال، علماء الدين العظام الذيـــــن نـــالوا شرف الشهادة، أو الشهداء الأحياء الذين مازالوا بيننا، ممن ضحوا في تلكم الأيام العصيبة بكل شيء وانتشروا في طول البلاد وعرضها وفي خارج إيران بكل إخـــلاص وصـــدق، لإيصال نداء مظلومية الإمام الخميني ومطالبه الحقّة إلى مسامع الحوزات العلمية والشـــعب الإيراني ومسلمي العالم وأثبتوا مقولة الامام أنه: " في كل نهضة أو ثورة إلهية وشعبية، كان لعلمـــاء الإسلام قصب السبق في خوض الملاحم ومن أوائل الذين وطدوا أنفسهم علـــى نيل الشهادة".

إن خطابات وكتابات الإمام تحكي معاناة رجل همام كان عند النزال يفَـــوت علـــى الخصم فرصة الأخذ بزمام أية مبادرة للتحرك، لكن هذا الجبل الأشم كان يحمل في جوفـــه قلباً يألم من أفعال أولئك المتنسكين الكسالى الذين لم يكونوا أبـــداً بمستوى الأحـــداث والتحديات وكانوا أيضاً عقبة كأداء في طريق الخميني، على امتداد مرحلة النضال قبـــل الثورة الإسلامية وبعدها إلى أن لقي وجه ربه الكريم راضياً محتسباً.[٢]

---

[٢] ومع ذلك فان الامام الخميني (رض)، لم يعبأ بضجيج القوى المعادية الداخلية منها والخارجيـــة. فقـــد استطاع أن يقود سفينة الثورة والدولة بامتياز ، واخرج الجمهورية الإسلامية من دوامة الحرب المفروضـــة وهي شامخة مقتدرة ، حتى غدت ايران اليوم حجر الزاوية في المعادلات الاقليمية والدولية. وهي الآن أقوى شكيمة وثباتاً من ذي قبل، الأمر الذي يفخر به المسلمون والشرفاء والاحرار في كل مكان، رغم تعـــاظم التحديات وتزايد التهديدات ضد ايران والأمة الإسلامية ولاسيما بعد الحوادث التي شهدتها بداية القـــرن الحادي والعشرين . (المعد)

العرفان عند الإمام الخميني

آية الله السيد أحمد الفهري

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق وسيد المرسلين ابي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين

طلب مني ممثل كيهان العربي المحترم في سوريا إعداد دراسة عن عرفانية الامام الخميني. ونزولا عند رغبته أكتب هذه الذكريات والشذرات المهمة في هذا الجانب الحيوي والبارز في حياته(رض).

يقول الشاعر صفي الدين الحلي:

جمعت في صفاتك الاضداد ولهذا عزت لك الانداد

شيم ما جمعن في بشر قط ولا حاز مثلهن العباد

واحاول الغوص في بحر الإمام الزاخر ملتمسا العذر من صاحب الابيات السيد الحلي (رحمه الله) لتعمدي تغيير كلمة من شعره (ولحاجة في نفس يعقوب) أبديها في هذه الاسطر:

ان العرفان اعلى مرتبة من الزهد ولذلك قد يجتمع الزهد مع الحكومة ولكن ان يجتمع العرفان مع الحكومة من اصعب الأمور وأشدها لانها أمر صعب مستصعب لا يحتمله الا نبي مرسل او عبد امتحن الله قلبه للإيمان.

لأن العارف شخصه مع الناس وقلبه مع الله لو سها عنه طرفة عين لمات شوقا وسأشرع في بيان التضاد الموجود في سره:

(*) ممثل الإمام الخامنئي في سورية.

حدثني المرحوم السيد احمد الخميني نجل الإمام الراحل بأن والده كان يستشكل في قتل الذباب او اي حشرة اخرى ما لم تكن مؤذية وقد كان يحدثنا (قدس سره) في ابحاثه عن اشكالية قتل النمل اثناء السير وان على المرء الذي يريد السير ان يتلفت الى موضع قدمه حتى لا يؤذي نملة او أي حشرة اخرى غير مؤذية.

وفي المقابل يحدثنا حجة الإسلام والمسلمين السيد هاشم رسول محلاتي (اطال الله بقاءه) - رئيس مكتب الإمام الخميني والآن هو رئيس مكتب الإمام الخامنئي (دام ظله العالي) - انه دخل بين الطلوعين الى الإمام الراحل،وكان يهم لأن يكبر تكبيرة الاحرام ليشرع بصلاته فقال له بأن خرم شهر قد سقطت في ايدي النظام العراقي، فما كان من الإمام الا ان نظر بطرف عينه ليقول:انها الحرب ويعود،بلا فاصلة متوجها رافعا يديه لتكبيرة الاحرام (الله اكبر) ليدخل في الملكوت وليعرج في صلاته.

أمر آخر فقدكان (قدس سره) من اكثر الناس دعوة للوحدة بين المسلمين والى نبذ التفرقة والخلافات المذهبية، ومع ريادته في هذا المجال الا انه يذكر في بعض فتاواه ان العبادة ما لم تكن مشتملة على الولاية فالعبادة باطلة لأن ما يستفاد من كثير من الاخبار بأن الولاية شرط لصحة العبادة لانها شرط في قبولها كحكم الذابح في فدية الحج.

واما التبديل في كلام الشيخ صفي الدين الحلي فيصبح التالي:

عارف حاكم حليم شجاع　　　فاتك ناسك فقير جواد

واليكم بعض النماذج من عرفانه (قدس الله نفسه الزكية) وهو ما ذكر في سر التكبيرات الافتتاحية: «والنص الشريف باللغة الفارسية واليك ترجمتها»:

فانت يا ايها السالك الى الله والمجاهد في سبيل الله اذا اقمت الصلاة في محضر القرب، واخلصت النية في جناب العزة وصفيت قلبك ودخلت زمرة اهل الوفاء فهيء نفسك لدخول الباب واطلب اجازة فتح الابواب، وتحرك من منزل الطبيعة، وارفع حجابها الغليظ بالتمسك بمقام الكبرياء وارمه وراء ظهرك وكبر وادخل الحجاب الآخر وارفعه الى الوراء وارفع الحجاب الثالث فقد وصلت الى منزل القلب، فقف واقرأ الدعاء المأثور (اللهم انت الملك الحق المبين) الى آخره واسلب المالكية عن غير الحق واحصر مطلق التصرفات بتلك الآيات المقدسة كي لا تحسب نفسك رافعا للحجاب ولائقا لتكبير الحق، فانه اكبر من ان يوصف. ثم اقصر الالوهية على الحق واطلب غفران ذنوبك ثم ارفع الحجاب الرابع والخامس وارمه الى الخلف وكرر التكبير وافتح عين القلب حتى تسمع نداء (تقدم) فان ظهر في قلبك حلاوة المحضر ولذة الورود او هيبة الحضور وعظمته فاعلم انه قد صدرت

رخصة الورود من جانب الغيب. فقل في مجال الخوف والرجاء والابتهال والتبتل والتضرع: (لبيك وسعديك والخير في يديك والشر ليس اليك) الى آخره. وتفكر في حقائق هذه الاذكار الشريفة فان فيها ابوابا من المعارف، وفي نفس الوقت فيها ادب الحضور. وبعد تسبيح الحق وتنزيه مقامه المقدس عن جواز التوصيف ارفع الحجاب السادس وكبر فان رأيتك لائقا ارفع الحجاب السابع وهو اللطيفة السابعة والا فقف واقرع باب احسان الحق واعترف عن القلب باساءتك وقل (يا محسن قد اتاك المسيء) وتوجه بأن تكون صادقا حقيقة، والا فكن حذرا وخائفا من النفاق في محضر ذي الجلال ثم بعد ذلك ارفع الحجاب السابع وارمه وراءك برفع اليد وقل تكبيرة الاحرام واعرف نفسك محرومة عن الغير، فقد دخلت حرم الكبرياء فقل (وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض) الى آخره.. واعلم بانك على خطر عظيم وهو النفاق في اول العبادة في محضر عالم السر والخفيات.

واذا رأيت نفسك عاريا عن هذه المقامات كالكاتب المحجوب عن كل كمال ومعرفة والمقيد بعلائق الدنيا وحب النفس والمشغول بالشهوة والغضب فلا تفضح نفسك في محضر الحق والملائكة المقربين، واعترف بنقصك وعجزك وكن على خجل من قصورك واحتجابك، وادخل بانكسار القلب والانفعال والخجلة. واقرأ الاذكار على لسان الاولياء فانك لست لائقا لها، لانه ما لم تترك نفسك والعالمين لم تكن صادقا في هذه الاقوال وما لم تسلم تسليما حقيقيا بين يدي الله لم تكن مسلما، وما دمت رائيا نفسك لم تخرج عن حدود الشرك.. وما لم تكن فانيا مطلقا في جناب الحق لم تستطع ان تقول (ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين). فان لم تجد نفسك بطل هذا الميدان فلا تدخل في صف أهل المعرفة أصلا ولا توجب خجلتك عند الاحرار، فعن الصادق (عليه السلام) «كبرت فاستصغر ما بين العلا والثرى دون كبريائه، فان الله اذا اطلع على قلب العبد وهو يكبر وفي قلبه عارض عن حقيقة تكبيره قال: يا كاذب اتخادعني؟ وعزتي وجلالي لاحرمنك حلاوة ذكري ولاحجبنك عن قربي والمسارة بمناجاتي، واختبر انت قلبك حين صلاتك فان كنت تجد حلاوتها وفي نفسك سرورها وبهجتها وقلبك مسرور بمناجاته وملتذ بمخاطباته، فاعلم انه قد صدقك في تكبيرك له والا فقد عرفت من سلب لذة المناجاة وحرمان حلاوة العبادة انه دليل على تكذيب الله لك وطردك عن بابه». انتهى

وأما صلاة الاولياء فهي - كما ذكرنا سابقا - خريطة التجليات فاذا جعلوا قلوبهم الصافية شطرا لعالم الغيب، ووجهوا مرآة ذاتهم الى الشمس الحقيقية فبمناسبة قلوبهم يكون التجلي في اول الأمر تقييدياً فيكبرون، فهو اكبر من التجلي التقييدي فيحسبونه من

الحجب النورية ويصرفون قلوبهم عنه ويريدون باليد رفع سر الحجاب القلبي. وبعد رفع الحجاب يتجلى لقلوبهم تجل ارفع واعلى من الاول فيكبرون ويرفعون حجابه وهكذا يرفعون الحجب السبعة حتى يحصل لهم الوصول الى منتهى الكرامة.. فاذا حصل لقلوبهم التجلي الذاتي بلا تقييد حجاب يقولون: (اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض) ويدخلون في الصلاة ويحرمون انفسهم عن كل خاطر غير الحق بتكبيرة الاحرام ويحسبون لانفسهم كل شيء حراما الا الحبيب، ويرون التوجه الى الغير استدبارا للقبلة الحقيقية ومبطلا للصلاة،واذا تمكنوا من هذا المقام واستقاموا على الأمر فقد تم ميقات الرب.

ويقول أهل المعرفة أن ((فلما جن عليه الليل)) اشارة الى كيفية السير المعنوي والسفر الروحاني لابراهيم (عليه السلام).. وقد اشار في الحديث الشريف الى بعض ما سمعت.. فعن العلل باسناده عن هشام بن الحكم عن ابي الحسن موسى (عليه السلام) قال :«قلت لأي علة صار التكبير في الافتتاح سبع تكبيرات افضل؟ فقال (عليه السلام): يا هشام ان الله خلق السموات سبعا والأرضين سبعا والحجب سبعا فلما اسري بالنبي صلى (الله عليه وآله وسلم) فكان من ربه قاب قوسين او ادنى رفع له حجاب من حجبه فكبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وجعل يقول الكلمات التي في الافتتاح، فلما رفع له الثاني كبر فلم يزل كذلك حتى بلغ سبعة حجب فكبر سبع تكبيرات». ويعلم من حديث المعراج ان نور العظمة تجلى للنبي الخاتم صلوات الله عليه ثلاث مرات في التكبيرات الافتتاحية، كما تجلت الانوار التقييدية لخليل الرحمن ثلاث مرات، ثم حصل الوصول بعده وفي هذا الحديث يقول (عليه السلام) «فلما فرغ من التكبير والافتتاح قال الله عز وجل (الآن وصلت اليّ فسمّ باسمي)» الحديث.

والنموذج الثاني من تجلي عرفانه (قدس الله نفسه) هو ما ذكره في سر السجود حيث يقول ما ترجمته: وهو عند اهل المعرفة سر كل الصلاة وكل سر الصلاة، وآخر منزل للقرب ومنتهى النهاية للوصول، بل الاولى الا يعد هو من المقامات والمنازل، ولاصحابه وقت وحال انقطعت عنه جميع الاشارات وبكمت عنه جميع الالسن وقصرت عن مقامه جميع البيانات وكل من اشار اليه فهو غير خبير به. فمن حصل عنه خبر لم يجيء عنه خبر (اشارة الى المصرع المعروف للعارف السعدي الشيرازي: آن را كه خبر شد خبرى باز نيامد) وما ذكر او يذكر في هذا المقام فمن ارباب الاحتجاب بل هو من اسباب الحجاب.

قال العارف المحقق الانصاري: واما التوحيد الثالث فهو توحيد اختصه الله لنفسه

واستحقه بقدره وألاح منه لائحا الى اسرار طائفة من صفوته، واخرسهم عن نعته واعجزهم عن بثه، والذي يشار به اليه على السن المشيرين انه اسقاط الحدث، واثبات القدم على ان هذا الرمز في ذلك التوحيد علة لا يصح ذلك التوحيد الا باسقاطه، الى ان قال فان ذلك التوحيد تزيده العبارة خفاء والصفة نفورا والبسط صعوبة الى ان قال:

ما وحد الواحد من واحد ... اذ كل من وحده جاحد

توحيد من ينطق عن نعته ... عارية ابطلها الواحد

توحيده اياه توحيده ... ونعت من ينعته لاحد

فلا يمكن اكتشاف سر السجود الذي يشير الى آخر مراتب التوحيد،وينتهي في مرتبة التحقق الى مقام اللامقام الذي تشير اليه في مسلك اهل المعرفة الكلمة الشريفة (او ادنى) وما نشير اليه في هذا المقام فمن وراء سبعين الف حجاب من النور، وسبعين الف حجاب من الظلمة التي لم ينكشف لقلوبنا نحن المتأخرين عن طريق اهل الحق والحقيقة واحد من تلك الحجب ولا يرجى خير أيضاً مع هذا الكسل والبرودة والفتور والتموت الذي نحن فيه الا ان يبذل الحق تعالى من خزائنه الكرمية رحمة، ويبسط عناية وينفح نفحة الحياة في قلوبنا الميتة ويهب بارقة ملك نقية لقلوبنا الباردة حتى نجبر الايام الماضية في بقية اعمارنا ونستفيد بعض اسرار صلاة اهل المناجاة.

وبالجملة السجدة عند اهل المعرفة واصحاب القلوب هي غمض العين عن الغير، والهجرة عن جمع الكثيرات حتى كثرة الاسماء والصفات والفناء في حضرة الذات.

وفي هذا المقام ليس من سمات العبودية خبر ولا من سلطان الربوبية في قلوب الاولياء اثر، والحق تعالى بنفسه قائم بالأمر في وجود العبد (فهو سمعه وبصره بل لا سمع ولا بصر ولا سماع ولا بصيرة والى ذلك المقام تنقطع الاشارة) ولها على حسب احوال العلماء بالله مقامات ومراتب وهي بالطريق الكلي وبالاجمال اربعة:

الاول: مقام ادراك هذا المقام علما وفكرا وبطريق التفكر وبقدم البرهان والعلم وهذه مرتبة اصحاب الحجاب الاعظم العلماء والحكماء.

الثاني: مقام الإيمان وكمال الاطمئنان وهذا مقام المؤمنين وارباب اليقين.

الثالث: مقام اهل الشهود واصحاب القلوب الذين يشاهدون الفناء المطلق بنور المشاهدة ويتجلى على قلوبهم حضرة التوحيد التام.

الرابع: اصحاب التحقق والكمّل من الاولياء الذين تحققوا بمقام الوحدة الصرفة، وارتفعت من البين كثرة قاب قوسين وكانوا بالهوية الذاتية بجميع شؤونها مستهلكين في عين الجمع وتلاشوا في نور القدم، واضمحلوا في الاحدية وفنوا في غيب الهوية فتيسر لهم المحو المطلق ويحصل لهم الصعق الكلي ويتفق لهم الفناء التام وتعرض لهم الغشاوة التامة، ويترفع غبار العبودية من البين. وشخص السالك لو كان وعاء قلبه ضيقا ومقام قابليته المعطى في الحضرة العلمية على حسب التجلي بالفيض الاقدس ناقصا،فيبقى في تلك الغشوة وفي ذلك المحو الكلي ازلا وابدا ولا يرجع الى حالة الصحو ولعل قوله :«ان اوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري» يكون اشارة الى هذه الطائفة من اهل السلوك.

ولكن لو كان قلبه واسعا وموردا لتجلي الفيض الاقدس فلا يبقى في حالة المحو هذه وتحصل له الافاقة من هذه الغشوة بالتجليات اللطيفة، ويحصل له التمكين والطمأنينة، ويرجع الى حالة الصحو بعد المحو ويشاهد الحق في هذا المقام بجميع شؤونه الظاهرة والباطنة واللطيفة والقهرية وفي عين حال الوقوع في بحر الوحدة غير المتناهي لا يفنى عن التجلي بكسوة الكثرة، وفي عين حال الوقوع في حضرة الكثرة،لا يكون حجاب اصلا بينه وبين حضرة الاحدية، فلا الخلق يكونون حجابا له عن الحق كنحن المحجوبين والمحرومين، ولا الحق يكون حجابا عن الخلق كالواصلين لفناء الربوبية، والفانين في حضرة الاحدية.

ولا يكون في هذا المقام الاسنى من سلوك السالك اثر وتنقطع قدم العبودية بالكل ولهذه الجهة يشير العارف المثنوي الى هذين المقامين حيث يقول:

از عبادت نـَـي توان الله شد　　　　مى توان موسى كليم الله شد

يمكن الوصول الى مقام الله في العبادة ، لا بل يمكن الوصول الى مقام موسى كليم الله. ففي المصراع الاول اشار الى مقام اهل السلوك واصحاب الوصول حيث ان قدم العبودية دخيلة فيه، وفي المصراع الثاني اشار الى حالة الصحو بعد المحو التي هي خارجة عن افق العبودية بالكلية.

وقد اشار بعض اهل المعرفة الى هذا التجلي للفيض الاقدس حيث قال: الكل يخاف من الآخر وانا اخاف من الاول. والاشارة الى هذا المقام كثيرة في الاحاديث الشريفة وهذا من الاسرار العظيمة للقدر قد منع اصحابها عن كشفه بالبيان وما اجيز لهم من الاظهار.

وبالجملة لا يكون لاصحاب الصحو بعد المحو حجاب من الغيب والشهادة ويكون وجودهم وجودا حقانيا ويشاهدون العالم بالوجود الحقاني ويقولون «ما رأيت شيئا الا

ورايت الله قبله وبعده ومعه» ولا يحجبهم شيء من التجليات الذاتية والاسمائية والافعالية عن الآخر بل يشاهدون في التجليات الافعالية التجليات الذاتية والصفاتية،وفي الصفاتية يشاهدون الآخرين كما انهم يشاهدون في التجليات الذاتية التجليات الافعالية والصفاتية وقد اشار رسول الله(ص) الى بعض ما ذكرنا من حديث صلاة المعراج حيث يقول بعد اتمام الركوع وبيان اسراره فقال «ارفع رأسك فرفعت راسي فنظرت الى شيء ذهب منه عقلي فاستقبلت الأرض بوجهي ويدي فألهمت ان قلت : سبحان ربي الاعلى وبحمده» لعلو ما رايت، فقلتها سبعا فرجعت الى نفسي. كلما قلت واحدة تجلى عني الغشي فصار السجود فيه «سبحان ربي الاعلى وبحمده» وصارت العقدة بين السجدتين استراحة من الغشي وعلو ما رأيت، فالهمني ربي وطالبتني نفسي ان ارفع رأسي فرفعت ونظرت الى ذلك العلو فغشي عليّ فخررت لوجهي واستقبلت الأرض بوجهي ويدي وقلت «سبحان ربي الاعلى وبحمده» فقلتها سبعا ثم رفعت رأسي فقعدت قبل القيام لأنني انظر في العلو فمن اجل ذلك صار القعود قبل القيام قعدة خفيفة» الى آخره.

فيا سبحان الله كم من اسرار مودعة في هذا الحديث لا يستطيع اللسان والكلم بيانها وتقصر عنها ايدي الآمال، فما نور العظمة الذي شاهده هذا السيد في الركوع فغشي عليه، وما الشيء الذي شاهده جنابه في منزل الركوع ولم يعبر عنه حتى بالعظمة، وهل هذا العلو الذي تجلى لقلبه المبارك من الاسماء الذاتية او كان التجلي بلا حجاب الاسماء؟ وهل كان تكرار النظر في العلو لتمكين او كان له سر آخر؟ وهل ان الاسم الذي الهم ذلك السيد في حال الغشوة والصعق بالهام الحق تعالى اي اسم؟ حتى كانت نتيجته التسبيح والتوصيف بالعلو الذي كان اول الاسماء الذاتية الذي اتخذه الحق تعالى لنفسه والتحميد الذي هو من لوازم التجلي بالكثرة؟ والله العالم.

وصل: عن (مصباح الشريعة) قال الصادق (عليه السلام) «ما خسر والله من أتى بحقيقة السجود ولو كان في العمر مرة واحدة، وما افلح من خلا بربه في مثل هذا الحال تشبيها بمخادع نفسه غافلا لاهيا عما اعده الله للساجدين من أنس العاجل وراحة الآجل ولا بعد عن الله أبدا من أحسن تقربه في السجود ولا قرب اليه من أساء اليه ادبه وضيع حرمته بتعلق قلبه بسواه في حال سجوده. فاسجد سجود متواضع لله تعالى ذليل علم أنه من تراب يطؤه الخلق وأنه اتخذك من نطفة يستقذرها كل احد وكن ولم تكن. وقد جعل الله معنى السجود سبب التقرب اليه بالقلب والسر والروح فمن قرب منه بعد من غيره الا ترى في الظاهر انه لا يستوي حال الجلوس الا بالتوازي بين جميع الاشياء والاحتجاب عن كل ما تراه العيون، كذلك أمر الباطن فمن كان قلبه متعلقا في صلاته بشيء دون الله فهو

قريب من ذلك الشيء بعيد عن حقيقة ما اراد الله منه في صلاته. قال الله عز وجل ﴿ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه﴾ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال الله تعالى «لا أطلع على قلب عبد فاعلم فيه حق الاخلاص لطاعتي لوجهي وابتغاء مرضاتي الا توليت تقويمه وسياساته، ومن اشتغل بغيري فهو من المستهزئين بنفسه ومكتوب اسمه في ديوان الخاسرين».

تأمل في هذا الحديث، ولا تتصور صلاة اهل الله كصلاتنا. ان حقيقة الخلوة مع الحق ترك الغير حتى النفس التي هي من اعظم الاغيار واضخم الحجب وما دام الإنسان مشغولا بنفسه فهو غافل عن الحق فكيف يمكن له الخلوة مع الحق. ولو حصلت له الخلوة الحقيقية في سجدة واحدة في جميع العمر فانه ليجبر الخسارات في بقية العمر وتساعده عناية الحق ويخرج عن دائرة دعوة الشيطان، ولو كان القلب في حال السجدة التي هي ترك اظهار الغيرية ورفض الانانية مشغولا بالغير فانه لينسلك في زمرة المنافقين واهل الخدعة اعوذ بالله تعالى من مكايد النفس والشيطان والخسران والخذلان والفضيحة في المحضر الربوبي، وما اكرم به الساجدون وحلاوة الانس مع المحبوب في الدنيا الذي هو خير الدنيا وما فيها عند اهله وكشف الحجب وبذلك الالطاف الخاصة في الآخرة الذي هو قرة عين الاولياء.

فحينئذ نحن العاجزون ومتحيرو وادي الضلالة والمخمورون من كأس الغفلة والعجب اذ حرمنا من صلاة اهل المعرفة وسجود أصحاب القلوب فحقيق بنا ان نتوجه الى حالة قصورنا وتقصيرنا وذلتنا ومسكنتنا ونتأسف على حالة حرماننا، ونتلهف على كيفية احتجابنا ونستعيذ بالحق تعالى من هذا الخسران وتسلط النفس والشيطان، لعله تحصل لنا حالة الاضطراب فتجيب تلك الذات المقدسة ﴿أمّن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء﴾ فنضع رؤوسنا في تراب المذلة الذي هو اصل خلقتنا بحالة مغمومة ومضطربة وقلب محزون مغموم ونتذكر نشأة ذلتنا ومسكنتنا ونطلب بلسان الحال من الحق تعالى ولي النعم جبران نقائصنا ونقول إلهنا نحن قد وقعنا في الحجب الظلمانية لعالم الطبيعة والاشراك لاتباع الهوى والنفس. والشيطان متصرف في عروقنا وجلودنا ودمائنا، وجميع وجودنا من القرن الى القدم تحت سلطنة الشيطان. ولا علاج ولا تدبير لنا للخلاص من هذا العدو القوي الا الالتجاء الى ذاتك المقدسة فخذ انت بيدنا ووجه اليك قلوبنا، اللهم ان توجهنا الى غيرك ليس من الاستهزاء بك فما نحن ومن نحن حتى نستكبر ونستهزئ في المحضر المقدس لملك الملوك على الاطلاق ولكن القصور الذاتي والنقص فينا قد صرف قلوبنا عنك ولولا عصمتك لبقينا الى الازل وليس لنا طريق نجاة. اللهم ماذا نحن وقد قال داود النبي (عليه السلام) :«لو لم تعصمني لعصيتك».

الإسلامي الثوري وتحصين الجمهورية الإسلامية من المخاطر الداخلية والخارجية، فلقد كان يؤكد (رحمة الله عليه) على ضرورة الحفاظ على الحماس الثوري والتواجد الجماهيري المستمر في الساحة ويرى ان للحرارة الثورية دورها الكبير في المحافظة على النظام الإسلامي وهو مبدأ قرآني تؤكد عليه الآيات القرآنية ومنها قوله تعالى **﴿الم يئن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم بذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم﴾** [الحديد ١٦].

فيجب ان لا يؤدي طول الامد وامتداد الفترة بين الجماهير وبين انتصار الثورة الى فقدان الحرارة الثورية وقساوة القلوب وانما يجب ان يدخل الإيمان الى النفوس ويصوغ كل المشاعر والاحاسيس. فهذا المبدأ كان الإمام قد اكد عليه كما اكد على مبدأ ثان لتحصين الثورة وهو ضرورة عدم فسح المجال للعناصر الدخيلة والغريبة عن الروح الثورية حتى لا تتسلل الى كيان الثورة او تحتل مواقع حساسة في هذا الكيان لانها ان فعلت ذلك فانها تضرب بعداء ولؤم.

كما اكد على ضرورة وحدة الشعب ووحدة الطاقات الواعية فيه ووحدة القوى والخطوط الثورية فيه لان هذه الوحدة هي الضمان لديمومة النظام. ونجد في سيرته (رحمة الله عليه) التركيز على مبدأ التزكية والبناء الذاتي النفسي الروحي للافراد والمجتمعات وضرورة اللجوء الى الله تعالى في جميع الحالات والعمل على ابقاء المساجد حية قوية في وجدان الشعب.

واما المبدأ الآخر الذي ركز عليه الإمام كثيرا فهو تذكير كل قطاع من قطاعات الشعب بواجباته وضرورة الالتزام بمبدأ الوظائف والمسؤليات.

وركز الإمام الراحل (رحمة الله عليه) على التمهيد الحكيم لاختيار القائد الذي سوف يخلفه ويحمل الراية من بعده. فلقد خطط بشكل كامل لذلك حيث رأينا كيف ان مجلس الخبراء وعلى ضوء ارشادات الإمام استطاع خلال مدة وجيزة جدا ان ينتخب القائد الكفوء وهو الإمام الخامنئي (حفظه الله).

كما ان تمكين الشعب من الانتخاب يعد من ضمانات ديمومة النظام وقد اعتمدها الإمام الراحل منذ نجاح الثورة وحتى رحيله.

وهناك أيضاً مسألة العمل على اصلاح القانون او الدستور الإسلامي. فبعد ان لاحظ الإمام ان ثمة نقاط ضرورية يمكنها ان تعرقل المسيرة الثورية اشار اليها بالدقة وشكل لاصلاحها مجلسا قويا ثم طرح ذلك للاستفتاء العام وكان ذلك منطلقا جيدا لاستمرار



الامام الخميني العارف بالله في احدى خلواته العبادية

إستراتيجية الإمام في التغيير والثورة والقيادة

آية الله الشيخ محمد علي النسخيري

عمل الإمام الخميني الراحل(رض) على ايجاد الانسجام بين التأصيل والحداثة في كل تطلعاته الفقهية والفكرية، فهو اولا: دعا وعمل على الاخذ بمقتضيات الزمان والمكان ولكن في اطار تسمح الشريعة به وعمل على التأمل الدقيق في تغير الموضوعات وعناوينها. فبتغيير الموضوعات تتغير الاحكام. ففي مسألة (الشطرنج) مثلا عندما تحول من لعبة قمارية الى لعبة رياضية اكتسب حكما جديدا وهو الجواز بعد ان كان بصيغته السابقة محرما.

ومن الأمور التي ركز عليها الإمام الراحل (رحمة الله عليه) انه لاحظ دور الولي الفقيه باعتباره مصدرا للاحكام الولائية ومالئا لمنطقة الفراغ وهي منطقة المباحات على ضوء المصلحة الإسلامية العليا وما تقتضيه مصلحة الأمة. فولي الأمر عندما يصدر حكما ولائياً فهو في الواقع يملأ هذه المنطقة التي يسميها البعض منطقة الفراغ. وعندما يجد ولي الأمر نوعا من التزاحم بين بعض القضايا والقضايا الاخرى فانه يقدم القضايا الاهم على القضايا المهمة عند تزاحمها وكل هذه الأمور هي اساليب شرعية طبقها الإمام بدقة. وبالتالي فانه جمع بين الاصالة وبين الحداثة. بمعنى انه لاحظ مقتضيات الزمان والمكان في ذلك.

الانفتاح على الحركة الاسلامية العالمية

ولا ريب ان الإمام الخميني (رض) كان مطلعا على اتجاهات الحركة الإسلامية في مختلف المناطق وكان يلاحظ ويراقب ظروف تلك الحركات كما يلاحظ ظروف التحرك الإسلامي في إيران وما اعتمده فيها ينسجم مع متطلبات الواقع.

مستشار الإمام الخامنئي عضو مجلس الخبراء .

فمن المعالم الرئيسية في استراتيجيته الثورية عمله المتواصل الدؤوب على تربية الشعب تربية إسلامية واثارة الاحاسيس الإسلامية في وجدان هذا الشعب اولا كما عمل في خط استراتيجي آخر وذلك بفضح ممارسات النظام الشاهنشاهي في إيران وكشف نقاط العمالة وتوضيح الخطط الجهنمية التي كان يملكها هذا النظام ضد الإسلام ومصالح الشعب.

ومن جهة ثالثة اعتمد الإمام في حركته الثورية على الزخم الجماهيري الذي يدخل الى الساحة بكل قوة ولا يمكن الوقوف امام هذا السيل العارم،ومن الأمور الاخرى أيضاً التوظيف الجيد للتراث الشعبي الذي ورثه الشعب الإيراني المسلم من اهل البيت(ع) الذين دعوه للوقوف بوجه الظلم وعدم الركون الى المسيرة الظالمة،فالتوظيف الكامل لهذا التراث الهائل هو احد معالم استراتيجية الإمام الراحل كما اعتمد في استراتيجيته العملية تربية الطاقات العلمية الواعية وتعبئة الخطباء والوعاظ وطلبة العلوم الدينية لتحقيق الهدف المطلوب في اسقاط النظام المنحرف الذي كان يحكم إيران بالحديد والنار.

ومن الخطوط الاخرى زج الطاقات السياسية في الميدان والقبول بالحد الادنى للتوافق على اسقاط الشاه يضاف الى ذلك اعتماده مبدأ التقليد عند الشيعة،أي تقليد غير المجتهدين للمجتهدين وربط الحياة الدينية بآراء المجتهد وكذلك انزال ولاية الفقيه من نظرية تطرح في الكتب الى الساحة. فلقد وظف سماحته هذين المبدأين الاصيلين توظيفا دقيقا وكاملا لقيادة الساحة العملية.

ومن المبادئ الاستراتيجية الاخرى مبدأ التقدم المتدرج نحو الاطاحة بالنظام الشاهنشاهي وذلك بتوسعة المطالبة أي انه كان يطالب بأمر حتى اذا ما تنفذ سعى الى المطالبة بما هو اكبر منه.

وكان الإمام (رض) يعلم ان الساحة هي ساحة صراع جماهيري لا صراع مسلح بعد ان كان النظام البائد مدججا بالاسلحة ومدعوما بالقوى الكبرى، لكن هذه القدرة المسلحة لم تستطع الوقوف امام زحف الجماهير الكثيف الى الميدان الثوري، وهكذا فقد تمكن سماحته من زجها في خضم الصراع ليطيح بأعتى الانظمة في المنطقة.

ضمان ادامة الحكم الإسلامي وتحصينه

ولم يكن الإمام رائعا فقط في مجال تفجير الثورة الإسلامية، بل كان رائعا في مجال قيادة هذه الثورة وادامة حرارتها الثورية والحفاظ على النظام الإسلامي الذي اقامته الثورة.

ففي مجال السيرة العملية للامام نجد انه عمل ما في وسعه لضمان ادامة الحكم

الإسلامي الثوري وتحصين الجمهورية الإسلامية من المخاطر الداخلية والخارجية. فلقد كان يؤكد (رحمة الله عليه) على ضرورة الحفاظ على الحماس الثوري والتواجد الجماهيري المستمر في الساحة ويرى ان للحرارة الثورية دورها الكبير في المحافظة على النظام الإسلامي وهو مبدأ قرآني تؤكد عليه الآيات القرآنية ومنها قوله تعالى ﴿**الم يئن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم بذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم**﴾ [الحديد ١٦].

فيجب ان لا يؤدي طول الامد وامتداد الفترة بين الجماهير وبين انتصار الثورة الى فقدان الحرارة الثورية وقساوة القلوب، وانما يجب ان يدخل الإيمان الى النفوس ويصوغ كل المشاعر والاحاسيس. فهذا المبدأ كان الإمام قد اكد عليه كما اكد على مبدأ ثان لتحصين الثورة، وهو ضرورة عدم فسح المجال للعناصر الدخيلة والغريبة عن الروح الثورية حتى لا تتسلل الى كيان الثورة او تحتل مواقع حساسة في هذا الكيان لانها ان فعلت ذلك فانها تضرب بعداء ولؤم.

كما اكد على ضرورة وحدة الشعب ووحدة الطاقات الواعية فيه ووحدة القوى والخطوط الثورية فيه، لان هذه الوحدة هي الضمان لديمومة النظام. ونجد في سيرته (رحمة الله عليه) التركيز على مبدأ التزكية والبناء الذاتي النفسي الروحي للافراد والمجتمعات وضرورة اللجوء الى الله تعالى في جميع الحالات والعمل على ابقاء المساجد حية قوية في وجدان الشعب.

واما المبدأ الآخر الذي ركز عليه الإمام كثيرا فهو تذكير كل قطاع من قطاعات الشعب بواجباته وضرورة الالتزام بمبدأ الوظائف والمسؤوليات .

وركز الإمام الراحل (رحمة الله عليه) على التمهيد الحكيم لاختيار القائد الذي سوف يخلفه ويحمل الراية من بعده. فلقد خطط بشكل كامل لذلك حيث رأينا كيف ان مجلس الخبراء وعلى ضوء ارشادات الإمام استطاع خلال مدة وجيزة جدا ان ينتخب القائد الكفء وهو الإمام الخامنئي (حفظه الله).

كما ان تمكين الشعب من الانتخاب يعد من ضمانات ديمومة النظام وقد اعتمدها الإمام الراحل منذ نجاح الثورة وحتى رحيله.

وهناك أيضاً مسألة العمل على اصلاح القانون او الدستور الإسلامي. فبعد ان لاحظ الإمام ان ثمة نقاط ضرورية يمكنها ان تعرقل المسيرة الثورية اشار اليها بدقة ، وشكل لاصلاحها مجلسا قويا ثم طرح ذلك للاستفتاء العام، وكان ذلك منطلقا جيدا لاستمرار

المسيرة الظافرة.

ومن خلال رؤية الإمام النافذة حذف بعض العناصر التي علم انها ستعرقل المسيرة من قبيل اقصائه الشيخ المنتظري بعد ان رأى انه لا يستطيع ان يكون في الموقع الذي منح له وبذلك فانه كان قد رفع في حياته عائقا كبيرا من العوائق التي قد تعرقل المسيرة بعد رحيله.

السر في نجاح الثورة بقيادة الإمام

ولا نستطيع ان ننكر ان هناك عوامل موضوعية وقفت امام نجاح التحول الإسلامي في المناطق المختلفة. وربما كان من هذه العوامل يقظة الإستعمار والعناصر العميلة لمدى خطورة التحرك الثوري وعمل هذه العناصر على ضرب التحركات الثورية في مختلف انحاء العالم بحيث لا تقوم لها قائمة. فهذه أمور وعوامل موضوعية لا نستطيع انكارها او اغفالها.

انني اعتقد ان الثورة الإسلامية في إيران اتيح لها عناصر دعمتها بقوة ومنها القيادة الحكيمة للامام الراحل (رض) واذعان جميع الطاقات السياسية والشعبية لهذه القيادة والائتمار باوامرها، يضاف الى ذلك فظاعة الانحراف المستشري في الحكم السابق مما ساعد على نجاح الثورة الإسلامية، وكذلك فان لثقافة اهل البيت(ع) التي كانت منتشرة بين جماهير الشعب دورا كبيرا في نجاح الثورة فهي ثقافة رافضة عبر التاريخ لكل الانحرافات والحكومات الغاشمة.

ومن الأمور اللافتة الاخرى هي نعمة الله في توحيد الشعب واصطفافه خلف القائد، فلقد كان ذلك سببا مهما من اسباب نجاح الثورة. يضاف الى هذا وذلك مسألة التقليد والإيمان بالولاية التي شدت الناس ودفعتهم للالتفاف الحميم حول القيادة.

كما لا ننسى استقلالية الجامعات العلمية الدينية في إيران في تحويل وتموين الثورة بقراراتها الداعمة والمساندة. واعتقد اننا نستطيع ان نجمع كل هذه العناصر في مضمون الآية الكريمة التي تتحدث عن الانتصار الإسلامي الاول بقيادة الرسول الاعظم(ص) **﴿وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين والّف بين قلوبهم لو انفقت ما في الأرض جميعا ما الّفت بين قلوبهم ولكن الله الّف بينهم انه عزيز حكيم﴾** [الانفال/٦٢].

في المئوية الخمينية

وحسنا فعل سماحة آية الله العظمى الإمام القائد الخامنئي -دام ظله- حينما أسمى

هذا العام [١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م] عام الإمام الخميني وذلك لكي نستعيد ذكراه وسيرته ومعالم هذه السيرة وخصائص ذلك العمل الثوري الكبير والفريد في عصره، واعتقد ان على كل المخلصين لهذه الثورة والعاملين لها والواعين للإسلام والمتحرقين له ان يعملوا على تفهم واستعادة هذه السيرة وتجسيدها في وجودهم الفردي والإجتماعي واستطيع ان أشبه الإمام الخميني الراحل (رحمة الله عليه) بالإمام علي(ع) حينما كان مظلوما في حياته وكان متهما من قبل اعدائه في جميع الجهات الا انه بعد ان رحل، اكتشف الناس جميعا مواطن العظمة في سلوكه، وعاد قديسا على مر التاريخ، وهكذا الإمام الخميني الراحل(رض) يعود اليوم مقدسا لدى جميع الناس من مؤيدين ومعارضين له في حياته، كما يعود بطلا تستلهمه الجماهير في مسيرتها الثورية الصاعدة.



الإمام الخميني في مدينة قم بعد انتصار الثورة الإسلامية، يوجه الجماهير ويحدد المسيرة

الإمام الخميني ... واقعية الخطاب السياسي المؤسس على الأصل العقائدي

المهندس حسين شيخ الإسلام

لا يمكن لشخصية مثل الإمام الخميني الا ان تنال الاهتمام المتواصل من الباحثين والمفكرين كما من السياسيين والاكاديميين وبنفس الدرجة او اكثر منها من المظلومين والمحرومين الذين وجدوا في الإمام أمل الخلاص والتحرر. وإنني إذ ارى في دعوة الإمام الخامنئي (حفظه الله) باعتبار هذا العام عام مئوية الإمام الخميني (رض).. ارى ذلك وفاء يتجاوز حدود الوصف وترسيخا لمنهج الإمام في مسيرة الثورة والدولة، فلا يسعني حقا الا ان اتقدم بجزيل الشكر لمؤسسة كيهان الصحفية وممثلها في دمشق الأستاذ حميد حلمي زاده الذي كان له الدور الاول في انجاز هذا الكتاب المتضمن لرؤى وتصورات نخبة من الكتاب والباحثين والمفكرين في العالم العربي الإسلامي حول شخصية الإمام الراحل(رض).

لم يكن الإمام الخميني (قدس سره الشريف) شخصا عاديا حينما صنع التحول التاريخي والعالمي بطريقة اذهلت الساسة والمفكرين معا. ولم يكن أيضاً صانع ثورة عادية ما دامت هذه الثورة هي الحدث الابرز في القرن العشرين ولا زالت تفرض نفسها بقوة على الساحة الدولية. فما حققه الإمام الخميني من انجاز تاريخي تواصل على منهجية القائد الذي امتلك الفكرة والتخطيط وقبل ذلك التصميم الحاسم وشروط الاستمرار والتواصل، هو مشروع حضاري بكل معنى الكلمة. ولئن كانت الظروف الدولية قد طوقت الثورة وحاصرتها في ظل حسابات سياسية وعسكرية وإقتصادية واعلامية غلب عليها طابع القوة

(*) سفير الجمهورية الإسلامية الإيرانية في دمشق/ نائب وزير الخارجية للشؤون العربية والإفريقية سابقا.

والمصالح، فان اجتياز الثورة الإسلامية لمراحل معقدة للغاية ومن ثم اصرارها على الثبات فيما طرحت سواء كان شعارا او هدفا او رسالة إنسانية اخلاقية، يعد بنظر اعدائها كما اصدقائها مصداقا هائلا على قوتها وإرادة قائدها.

فاذا كانت الثورة الإسلامية حدثا استثنائيا وتحولا فريدا، فإن قائد الثورة الإسلامية بنظر المفكرين والخبراء السياسيين كان عبقريا، وقد لا نحتاج هنا للجوء الى النصوص والوثائق التي تؤكد ذلك وهي نصوص تشكل اعترافات صريحة من ألد اعداء الثورة وخصومها فضلا عن شهادات المحايدين المنصفين الذين لم يكونوا حلفاء الثورة او من انصارها، حيث لا زالت قضايا الثورة الإسلامية وانعكاساتها تشغل اهتمام واضعي السياسة الدولية، وأيضاً تخبط توقعاتهم خصوصا بعد مضي قرابة عشرين عاما على انتصارها وتخطيها لكل التحديات، اذ بات واضحا ان الذين تصوروا ان بإمكانهم احتواء هذه الثورة وتركيعها اصبحوا اكثر قناعة باستحالة تحجيمها بل وحتى الوقوف بوجهها. وقد لا نريد ان نستعجل هنا لنسجل المؤشرات السياسية الكثيرة التي توضح ارتباك السياسة الدولية لبعض القوى المتفردة في العالم وحيرتها امام صوت كبير لا زال يرسم مسيرة مذهلة رغم التحديات الكثيرة التي تواجهها.

لقد كان الاقتران بين الثورة الإسلامية والإمام الخميني(قدس سره) شديدا جدا حتى تصور البعض ان رحيل الإمام الخميني الى الرفيق الاعلى، قد يعني رحيل الثورة الإسلامية معه. لكن شيئا من هذا لم يحدث على الرغم من أهمية وموقع ودور الإمام الخميني في صنع الثورة وتأسيس الدولة.

ولعل هذه المسألة تدفعنا للخوض في شخصية الإمام الخميني التي حازت على كل شروط قائد الثورة، وفي ذات الوقت عملت على جعل الثورة الإسلامية قادرة على صنع قائدها في غيابه، وفي هذا المجال سنشير الى منهجية الإمام في حماية الثورة الإسلامية من الانكفاء او الانحراف او التوقف كما حدث في تاريخ الثورات البشرية، فقد يكون الفارق بين الثورة الإسلامية والثورات الاخرى واسعا وكبيرا الا ان خصوصية الثورة وهويتها يجب ان تتخطى الفارق الايديولوجي لترسما معا الفارق الآخر والاهم وهو واقعيتها واستجابتها لهذا الواقع الذي اندكت به واندك بها. وهنا يبرز الجانب المميز لشخصية الإمام حيث كان ينظر للواقع بطريقة تنم عن وعي عميق، واذا كان الجانب الريادي والقيادي قد اتضح قبل ان يمسك بزمام الأمور اثناء الثورة الإسلامية فان هذا الجانب تجلى بشكل فريد عندما كان يقود الثورة والدولة في اصعب الظروف واعقد المراحل دون ان يكون ذلك تكتيكا او مناورة كما يحدث غالبا في السياسة، كما تفرضه السياسة نفسها

من منطلق براغماتي، فلا وجود للمساومات السياسية في مواقف الإمام، وابتعد (رض) عن الأسلوب المعتمد في السياسات التي ترتهن بالمصالح، وتتخلى على ضوء ذلك عن المواقف المبدئية والاخلاقية في السياسة لصالح النفعية والمكاسب الآنية، فهو لم يعمل بسياسة تحييد بعض القوى الدولية ولم يداهن حينما كانت إيران تخوض حربا دفاعية ضروسا لوحدها، فيما وقفت اغلب الدول ربما في ذلك المختلفة فيما بينها مع النظام العراقي، ولقد اراد الإمام بهذه الواقعية السياسية الصارمة ان يصنع مسارا متميزا للثورة الإسلامية من جهة ويعري التناقض الظاهر بين الشرق والغرب بوصفه تناقضا غير اخلاقي او إنساني ولا حتى ايديولوجي انما هو تناقض في المصالح من جهة اخرى.

لقد اراد الإمام ان يعطي الإسلام مضمونه ومحتواه الحقيقي، وان يعزز الوضوح في الطرح الرسالي ويجسم الثقة بالنفس، فهو يعلن رأيه بمنتهى الوضوح للعالم وقبل انتصار الثورة الإسلامية بأسابيع حيث يقول: «في يومنا هذا تقوم كل من الصين الشيوعية والتي تدعي الثورية واميركا مثال الإستكبار العالمي وروسيا مصدر الكذب والرياء وبريطانيا العجوز... بدعم نظام الشاه ضد ثورة ونهضة شعبنا المطالب بالحرية والاستقلال، لكنني على يقين كبير بأن انتصار شعبنا حتمي وقريب بإذنه تعالى»[1].

وفي هذا المقطع الخلاصة الحقيقية لواقعية الطرح الخميني، فهو يشير الى القوى الاربعة باسمائها الحقيقية ويلحق بها الصفات السياسية التي عرفت بها من خلال ادوارها الدولية وفي ذات الوقت يدينها باعتبارها قوى دولية تعمل بعيدا عن شعاراتها البراقة، وقد يكون هذا الخطاب من النظرة السياسية البراغماتية مجازفة، لأنه يأتي في ظرف لم تكن فيها الاحداث في إيران محسومة بعد، لكن الإمام لم يؤسس خطابه على مثل هذه النظرة وهو يقود ثورة رسالية، من شروطها ان تستند الى الاصل الفكري لها، ولهذا لم يكترث الإمام بجبروت هذه القوى وظل يهاجمها وينسب اليها الظلم قبل وبعد انتصار الثورة الإسلامية.
وفي الممارسة السياسية كان الإمام الخميني اشد التزاما بالمبادئ والأصول الفكرية والإسلامية، مرجحا ذلك على لعبة السياسة وحتى المصلحة في الوقت الذي كان بامكان الإمام ان يحقق مكاسب سياسية وعسكرية، حينما كانت الحرب العراقية المفروضة على إيران في اوج تصعيدها حيث عرض قادة الاتحاد السوفييتي آنذاك على إيران الكف عن مساندة المجاهدين الافغان الذين يخوضون مواجهات مسلحة ضد النظام الشيوعي في كابل، مقابل منع تزويد العراق بالصواريخ التي كانت تتساقط على المدن الإيرانية من

(١) الحياة السياسية للامام الخميني ص٣٧ .

ضمنها العاصمة طهران. لكن الإمام رفض هذا العرض رفضا قاطعا مفضلا الوقوف الى جانب المجاهدين حتى لو استمر سقوط الصواريخ(٢). علما ان مواقف الإمام الثابتة امتازت بالتواصل الزمني والمرحلي على رغم انتقال الإمام من موقع المخطط للثورة، في مدينة النجف الاشرف العراقية في الستينات الى موقف القائد للدولة الإسلامية فيما بعد. ففي عام ١٩٦٤ كان الإمام يصف اميركا و(إسرائيل) بما يلي «اميركا هي التي تقف وراء (إسرائيل) واميركا هي التي تساند (إسرائيل) لدحر وتشريد العرب والمسلمين... اميركا هي التي ترى ان القرآن والإسلام خطر عليها وتريد وقفهما...»(٣) وهذا الموقف او الطرح كان ثابتا رغم تغيّر الظروف وانتقاله الى موقف قائد الثورة والدولة، وهي مسؤولية كبيرة تستوجب في نظر علماء السياسة التنازل او على الاقل تأجيل الأهداف وحتى التصورات السياسية لمرحلة لاحقة، اذا كانت المواقف والرؤىٔ تؤدي الى تعبئة القوى الدولية ضد الثورة الإسلامية. الا ان الكلام الصادر عن قائد تاريخي وفقيه ومفكر وعالم رباني لا يمكن ان تستوعبه معايير سياسية مقيدة الى المصلحة، وقد وُضعت برؤية هذا المقياس الوحيد الغربي الذي يقرن السياسة بالمصلحة المتحللة من المبادئ والأخلاق والرسالة.

ولهذا يعترف كاتب غربي معروف مثل «يان ريشار» بأن الإمام الخميني مات دون ان يغير اي شيء في لهجته وكلامه الصلب للدفاع عن الإسلام، لكنه ومن حيث لا يشعر يعود ويلصق بالإمام صفات السياسيين الذين تبرر الغاية عندهم الوسيلة(٤).

لقد كان الإمام الخميني مرجعا وفقيها وعالما لامعا وهو عندما يمارس دوره كقائد مرجعي فانه لا يكتفي بامتلاك الاداة المعرفية ما دام دوره هو اقتحام الواقع وتشخيصه بدقة. والسياسة جزء من الدين وليست مفصولة عنه، وتشخيص الواقع السياسي العالمي بالمعنيين الالمامي والاستشراقي. ولهذا انطلق الإمام الخميني (رض) في الأساس العقائدي الذي يشكل رؤاه السياسية للعالم وقراءة مستقبله السياسي ولهذا فهو يقول: «لقد قررنا ان نشيع في عالم الإستكبار نظام رسول الله(ص) وستشهد الشعوب الاسيرة ذلك عاجلا ام آجلا»(٥).

وعلى ضوء هذه القراءة يخاطب وبثقة مستضعفي العالم بالقول «يا مستضعفي العالم

---

(٢) صحيفة (كيهان العربي) العدد ٣٦٦٨ حزيران ١٩٩٩ .

(٣) الحياة السياسية للامام الخميني ص٤٢.

(٤) انظر كتاب الإسلام الشيعي ترجمة حافظ الجمالي ص٣١و٣٢ .

(٥) في خطاب له يوم ٥ ذي الحجة ١٤٠٨ هـ الحياة السياسية للامام الخميني ص٤٧.

انهضوا وتحالفوا واطردوا الظالمين من الميدان فان الأرض لله وورثها المستضعفون»(٦).

وفي رسالته الى غورباتشوف كان الإمام الخميني (رض) واثقا بان نهاية الاتحاد السوفياتي التي استشرفها سابقا، ستلحقها نهاية مماثلة لكل القوى المتجبرة فيقول «من الممكن جدا ان تبدو خلال السياسة والممارسات الإقتصادية الخاطئة للمسؤولين الشيوعيين السابقين، دنيا الغرب وكأنّها الحديقة الغناء المنشودة، ولكن الحقيقة هي شيء آخر، فلو حاولتم في هذه الفترة ان تحولوا العقد العمياء التي واجهتها الاشتراكية والشيوعية باللجوء الى مركز الرأسمالية الغربية فانكم بالاضافة الى عدم تمكنكم من ازالة معاناة مجتمعكم ستحتاجون الى افراد آخرين لتعويض ما ستقعون فيه من اخطاء في هذا المجال، وذلك لأن الماركسية اليوم واساليبها الإقتصادية والإجتماعية تواجه طريقا مسدودا، وان عالم الغرب هو أيضاً يعاني من هذه القضايا ولكن بشكل آخر كما يعاني من قضايا اخرى»(٧).

ومن خلال هذا المقطع نستنتج مصداقية الموقف المبدئي الغالب على القضايا الاخرى التي قد تطبع الخطاب في مطابع اللاواقعية. وربما استغرب الخبراء والمفكرون مضامين هذه الرسالة وهي تتجه الى زعيم قوة نووية عالمية ثانية، ولم يتوقع هؤلاء ان سقوط الشيوعية كان قريبا جدا من تاريخ الرسالة. لكن عندما انهار الاتحاد السوفياتي ثم المعسكر الاشتراكي برمته، ربما ادرك من استغرب الخطاب الخميني لماذا يقول الإمام في نفس الرسالة «انه يجب البحث عن الشيوعية من الآن فصاعدا في متاحف التاريخ السياسي العالمي، لأنها لم تكن ردا لأي حاجة من الحاجات الواقعية للانسان»(٨).

ان الإمام الخميني عندما ينطلق من الأساس العقائدي في طرحه السياسي اراد ان يجعل السياسة وجها ناصعا للمبادئ الإسلامية التي تقاوم الاحباط من موقع الثقة المطلقة بالنفس من جانب، وتتعامل مع الواقع بروح المقاومة والاقتحام من جانب آخر. على ان هذه المنهجية الواضحة هي التي رسمت معالم السياسة الخارجية للجمهورية الإسلامية الى الآن، فلم تنل ثماني سنوات من الحرب ولا التحديات الدولية والاقليمية ولا التغيرات السياسية الكثيرة من المواقف الثابتة ازاء القضايا المختلفة التي رسمت معالم هذه السياسة، ولا زالت إيران تقول كلمتها الواضحة بملء فمها دون ان تلتفت الى اي ضغط ومهما كانت قوته وحجمه ومصدره.

---

(٦) في خطاب له يوم ١٣\١٢\٧٩م .

(٧) راجع نص رسالة الإمام الى غورباتشوف في: (الدكتور مصطفى الرافعي: الإمام الخميني بنية أساسية في «سوسيولوجيته» و «سيكولوجيته» و«سياسته» وفقهه، الدار الإسلامية «بيروت» ط١٩٩٤.

(٨) راجع نص الرسالة.

ان مواقف واحاديث الإمام تتسلم اليوم ذرى صروح المعارف الإسلامية من عرفان وحكمة وفقه. لا سيما ما صدر عن سماحته من مواقف واحاديث وما أثر عنه في الاعوام الاخيرة من عمره الشريف. واذا كنا نرى نمو شخصية الإمام وفضلها في عرفانه ووعيه الإسلامي بكل ابعاده وفي زهده الفريد وجهاده ضد الظلم، فمما لا شك فيه انه ينبغي البحث عن كمال شخصيته في نظراته العميقة وآرائه الغنية البناءة في قيادته للنظام الإسلامي وحكومته»[٩]. وتبقى حيرة الاستيعاب لشخصية عظيمة مثل الإمام الخميني(طاب ثراه) واضحة حتى عند اكثر الناس قربا من الإمام حيث يقول سماحة قائد الثورة الإسلامية الإمام الخامنئي (حفظه الله): «لقد قيل الكثير حول امامنا العزيز لكنني اعتقد ان من المبكر الآن ان نعرف نحن ويعرف المحللون العالميون إمامنا الجليل الفذ بشكل دقيق وكامل، فهو شخصية عظيمة يندر وجود مثيل لها بعد الانبياء والاولياء كثيرا. لقد قام امامنا الجليل الفذ بأعمال كبرى تتناسب ضخامتها مع عظمة الإمام نفسه»[١٠].

(٩) الدكتور محمد خاتمي (بيم موج) دار الجديد ص٢١.

(١٠) عبرات وعبارات. اصدار المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية في بيروت.. ايار ١٩٩٠م.

البحر في ألق الأنوار

العلامة الحجة السيد رضا نقوي

نبدأ القول ونفتتح العمل بحمد الخالق كما هو حقه، ونثني على الباري الذي لا يمس غبار جلباب ابديته ولا يرى طائر الافهام والظنون مهما حلق في الوحدانية والملكوت سوى جماله وجلاله المقيم. والصلوات الزاكيات الباقيات وافخر التحيات الدائمة على حامل اللواء الاعظم وسفير الشرع المكرم والممهد للسياسة الاقوم، أسوة السالكين ومنار العارفين محمد المصطفى (صلى الله عليه وآله اجمعين).

الكلام حشرجة ساخنة في فراق غائب ما يزال حاضرا فينا خاطرُه، وقصة هجر ما انفك فيها الوصال قائما الى جانب الهجران. انه حديث عن امامنا الراحل الخميني الكبير الذي لم يدخر جهدا ولم يألُ مشقة في ضرب عملات الولاية وتنضيد عقود الفقاهة.

العبارات والاستعارات والفصاحة والبلاغة نظرت كلها الى موضوع الكلام فوجدته من السعة والرفعة، بحيث اذعنت من فورها بعجزها وصغارها امام سبر اغوار هذه الشخصية السامقة.

ناقة الالفاظ خارت قواها بهذا الحمل المعنوي الثقيل وانحنت قامة الشعر امام مهمة رسم صورته الباهرة.

هل سيطالعنا رحم الوجود تارة اخرى بمثل هذا الوليد السعيد؟

أرجل العقل عرجاء في مواكبة مسيرته نحو النور، وانما نحتاج من اجلها الى اجنحة القلوب الوالهة.

(*) عضو مجلس الشورى الإسلامي سابقاً ـــ باحث في الثقافة الإسلامية.

(**) ترجم النص إلى العربية الزميل الاستاذ حيدر نجف، النص نموذج للنثر الحزين في الأدب الإيراني

ايها الإمام .. كيف لي ان انظم لآلئ حبك كلمات وعبارات، وقد قيل قديما ان الحب يحمل في القلب ولا يقال، وسبيل العواطف يسلك ولا يرى.

من أراد سلوك هذا الطريق لا ينفعه زاد سوى قلبه المسجّر بالحب ولا وقود له سوى حرارة الشوق. فكيف نطلب الوصال ونطمع في اللقاء وما زلنا مبتدئين في مدرسة الحب وأميين في لغة الولاء.

ولكن لنقرأ كتاب الحزن من فراقك بناي كسير وصدر متعب بالهموم. كي ترتدي الحقائق والمعاني السواد في مأتمك، ويذرف العلم والعرفان الدموع دما أسفا عليك.

انغام الكلام الذي تطربه روحك الولهى يحيي النفوس كعطر قميص يوسف المسافر من مصر الى كنعان.

ذكرك رمز صمود الاحرار واسمك المقدس امل الابرار ، امام الاحرار.

كنت تغترف الماء من شط التوحيد وتقتبس النور من شموس النبوة، اللهيب الصاعد

من موقد قلبك كان صور إسرافيل الذي أيقظ الموتى وانتشلهم من مقابر اللاأبالية الباردة ليعرج بهم إلى أقصى الهياج والإدراك .

يا حادي ركب الوعاة، لقد طردت النوم عن تراب إيران وعن اجفان الإسلام. الحديد يلين بانفاسك. تتحدث بطراوة وتستمع بسخاء.

اريج تكبيرك انتشر في هذه السماء الزرقاء..

فلقد امتلأت حنجرتك بنداءات النجاة والسلامة..

نظرتك اشبه شيء بانهار الضياء الجارية. فانت من قبيلة النور وسلالة المحبة،امسكت عنان مراكب الهداية الصاعدة الى السماء وعلمتنا التحليق الى الاعالي.

قوس ثورتك الملون صار طاقا للنصر. تمرّ العصور والدهور من تحت ظله الوارف.

في صراع الباطل تمترست بجو من التقوى وواكبت الشفق ولحقت بالفلق وتألقت في افق الحياة في ساحة التهذيب والتسليم. بلغت مرتبة الفرق بعد الصبح والصحو بعد المحو والبقاء بعد الفناء.

بفطرتك الملائكية وطينتك المعجونة بالصدق والاخلاص سرت في اقليم الحب

لتكون القمر في ليل السراة وهادي قوافل الفلاح في عصر الغيبة.

لا حدود لتحليق نظراتك وفي عروقك تنبض الحياة وينتعش العالم.

يا عارف المعارف لم تفش ابدا اسرار الحب للدخلاء المتقلبين في مستنقع النفس الامارة بالسوء، والغارقين في وحول المادة.. وانما فتحت قلبك بالاسرار للذين غسلوا ارواحهم بزلال المحبة وملأوا كؤوسهم بشراب الشجاعة واضاءوا منازل قلوبهم بمصابيح المعرفة.

الدخلاء الذين كانت أوهامهم شرانق حول ديدان وجودهم لم يوفقوا يوما لينهلوا ولو جرعة واحدة من كوثر هدايتك ويثملوا بصهباء ولائك..

انت محيي الدين وصدر المتألهين والسفينة الوحيدة في بحار الانوار. لم يكتب لغيرك تحرير الوسيلة.

انت الكشاف الذي استطاع (كشف الاسرار) فعلى يديك تم تتويج «كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء» و«كشف المحجوب» و«كشف الظنون» تحصلا بدرايتك ونفاذ بصيرتك.

كلمتك الطيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء ولسانك لسان الغيب وانت افصح المتكلمين. برهانك البرهان القاطع الذي يكفي المقصود ويفي بالمطلوب .. ومنهجك «منهج الصادقين» ونهجك «نهج البلاغة» وصحيفتك الشريفة «صحيفة النور».

انت مدينة علوم الثورة وقاموس قرية الباري.

ارشادك «ارشاد المفيد» وأماليك «أمالي الصدوق» وتذكرتك «تذكرة الاولياء» ونفحاتك «نفحات الانس» واشاراتك «لمعات العشق».

انت من وضع «مفتاح الفلاح» في يد شعبنا، وكانت «مفاتيح الجنان» تعشق حرارة يديه.

يراعك الفذ حفر زخارف الحكمة في الواح قلوبنا.

ايها الإمام..

لقد بلغت عين عين عين اليقين. فقد اثبت عيار شخصيتك الكامل داخل نيران آلاف الاختبارات والمعمعات. لقد علمت المقاومة الصبر حتى انهارت قوى الصبر في مقابل صبرك. لقد منحت مفردات الولاية والحكومة والعدل والايثار والجهاد والحب معاني

جديدة ومسحت عن وجه الدين المظلوم غبار الغربة والنسيان.

انت الشجرة الفرعاء التي لم تنحن يوما لفرعون او قارون.

ومن أغضب الله حينما قاد السامري الناس الى عبادة العجل.

سمعت غربة موسى في الأرض الفلسطينية المحتلة وبكيت لمظلومية عيسى وهموم العذراء باجفان الصدق.

كنت يوسف، حطم أسواق زليخا.

جمعت سنابل الغضب بيدرا ضد الأعداء لتحرق دفاعا عن المحرومين بيادر المستكبرين مرارا وتكرارا.

اوصيتنا ان لا نكون «حمالة الحطب».

كنت ترى مدينة التحجر، مدينة الموت، والذين ارتدوا جلابيب الابالسة ،كانوا في احداقك ذئابا في ثياب الحمل ودخلاء يزعمون الاصالة امام الاحرار.

الاحرار يسجدون لتحررك والزهاد يمسحون بقميص عفافك على اعينهم، والعشاق يثملون بشراب حبك الطهور. والعارفون يصلون في محراب عينيك المغرورقتين بالدموع. ومريدوك ومحبوك يرتقون المشانق في سبيل وصالك.

الشكر والمنّة لله ان وقع ميراثك الجم,وهو تراث الانبياء في أيد كفوءة لإنسان جمع في شخصيته الهداية والشجاعة والسماحة والفقاهة والزهد والعرفان.وكأنك تفيض على الوالهين في حسينية جماران بدرر الكلام.

نحثو لنستلهم قيمك وافكارك العميقة. نجتمع مثنى وفرادى.لنقدم للعالم عظمة وحدتنا ونطرد عن امتنا الواحدة اضغاث التفرقة.

نسير نهر الهمة العظيم في سهل الوطن الإسلامي ونشيد الخرائب الباقية عن غارات المغول الوحشية.

نزرع في كل بقعة من البلاد بذور العزة والإيمان ونخلق من المحبة والايثار بستانيا يحرسها ويسهر على انبثاقها.ويحافظ على خضرة اوراق العلوم والأخلاق والصناعة والتقنية.

لن نحتمل ذبول الزهور في حديقة الشهادة ولن نبقى متفرجين على ذبح البلابل

بسيوف الشقاة.ولن نسمح للصقور واكلة الجيف ان تمزق بمخالبها اعناق الحمائم البيضاء رغم ان ارباب الطغيان نصبوا من انفسهم قطاعا لطرق الامن والامان. لكنك نهضت شامخا اخضر وكان خصبك إمارة خلود إيمانك، فرياح المال والقوة والتزوير لن تمسح خضرة ثورتك ومبادئك.

قسما باللحظة التي شربت بها كاس السم حفاظا على مصالح الأمة الإسلامية وتجرعت العلقم لتنقذ امتك من المرارة.

قسما باليوم الذي هطلت فيه غيوم العاطفة امطار الفراق،وسار نعشك الطاهر على بحار الحب فوق امواج الوداد النابض من قلب الأمة،ورسا الى الابد على ساحل الدم «ببهشت زهرا» ليكون بذرة في التراب ويطلع على العالم بخيره في كل زمان ومكان.

اللواء الذي رفعته ما يزال خفاقا وسنبقى نرفعه خلف قائدنا الكبير في حرب الشرك والشيطان. إمام الاحرار.. قسما بالولاية.. لك العهد منا ان لا نترك ولي الدين والثورة وحيدا.

أختتم كتاب الحزن الطويل لأنادي بوجع الفراق في بيت من الشعر:

أيها الثملون في هذا المجلس، اين كبيركم؟

اكاد أجن في حزنه، اين السلاسل التي تقيدوني بها؟



و انتقلت
روحه الطاهرة
إلى الملكوت الأعلى





بعد ثلاث سنوات من انجاز الكتاب ...
إضافات

شهد العالم في المرحلة الإنتقالية ما بين القرنين العشرين والحادي والعشرين، تحولات وتطورات تركت تأثيراتها وبصماتها على مسيرة الأحداث الدولية. ولاشك بأن انتصار المقاومة الإسلامية بقيادة حزب الله، وطرد المحتلين الصهاينة من جنوب لبنان بتاريخ ٢٦ آيار ٢٠٠٠، ومن ثم اندلاع انتفاضة الأقصى في فلسطين المجاهدة بتاريخ ٢٨ / ٩ / ٢٠٠٠ ، أديا إلى تغيير التوازنات والسياسات والاستراتيجيات في مختلف الأصعدة. كما أن أحداث ١١ سبتمبر / أيلول / ٢٠٠١ في نيويورك وواشنطن، أوجدت هي الأخرى اوضاع شائكة فرضتها السياسة الإرهابية الرعناء للإدارة الأميركية برئاسة جورج بوش الأبن.

وبما أن كتاب « ثورة الفقيه ودولته » في طبعته الأولى تناول إلى جانب قراءته شخصية الإمام الخميني (قدس سره)، المتغيرات التي ترافقت مع انتصار الثورة وإقامة الجمهورية الإسلامية في ايران، فإنه في طبعته الثانية حاول من خلال إضافاته أن يلامس التطورات المتسارعة منذ بدايات القرن ٢١ ، مما جرى ويجري في ضوء المستجدات المتتابعة، واشتداد حدة الصراع بين قوى الخير ممثلةً بالأمة الإسلامية وأنصار العدالة والتحرر في العالم من جانب، وقوى الشر ممثلةً بالتحالف الاستكباري الأميركي الصهيوني من جانب آخر.

المعد



حشود من ابناء الشعب الايراني في حسينية جماران، معقل مؤسس الجمهورية الاسلامية

لـبنـان

العلامة السيد حسن نصر الله

فلسطين

الدكتور رمضان عبد الله
الاستا ذ خا لد مشعل
الدكتور جورج حبش

سـورية

الدكتور صا بر فلحوط
الدكتور خلف الجراد
الأب الياس زحلاوي
الاستا ذ بسام العسلي
الأب الدكتور متري هاجي اثنا سيو



مستقبَلاً استقبال الابطال المنتصرين بعد ١٦ عاماً من النفي

المقاومة واستلهام نهج الصمود الخميني

حجة الإسلام والمسلمين السيد حسن نصر الله

في ذكرى الإمام الخميني (قدس سره الشريف)، نعود إليه لنستلهم ونتعلم ونسترشد. في هذه الأيام، نحن ندعو الجميع، إلى إعادة قراءة تجربة الإمام وخطابه وفكره وسيرته ونهجه ومشروعه، عسى أن نجد في ذلك، ما يساعدنا علي تجاوز الكثير من المآزق التي يواجهها، الكثير من حركات النهوض والتحرر والصحوة في العالم العربي والإسلامي. لأن حركة الإمام لم تكن حركة سياسية منقطعة عن الجذور ولم تكن نهضة جهادية بلا خلفية فكرية.

إن حركة الإمام الخميني ونهضته، تستند إلى أسس ومبان نظرية فكرية علمية فقهية متينة جداً، وبالتالي فإنه يمكن أن نغترف من هذا البحر، وأن نتعلم من هذه المدرسة الجامعة الشاملة، ما نستطيع أن نواجه به كل شأن وتحدٍّ وصراع.

ربما يظن الكثيرون، أن مشكلة الإمام الخميني مع الشاه في بدايات سنة ١٩٦١م، عندما بدأت حركته، كانت مشكلة داخلية، وأن الإمام كان يختلف مع النظام الشاهنشاهي الحاكم في إيران آنذاك، حول مسائل الحرية والزراعة والحقوق و ما شاكل ذلك، وكأن

---

* الأمين العام لحزب الله – قائد الانتصار الكبير الذي حققته المقاومة الإسلامية على العدو الصهيوني والذي أدى إلى هزيمة المحتلين واندحارهم من جنوب لبنان بتاريخ ٢٦ أيار ٢٠٠٠ . والموضوع أعلاه، هو الخطاب الذي ألقاه سماحته في الذكرى السنوية الثالثة عشر لرحيل الإمام الخميني (قدس سره) بتاريخ ٢٠٠٢/٦/٤ في مبنى السفارة الإيرانية ببيروت، و قد قمت بتحرير نص هذا الخطاب بتصرف طفيف اقتضته ضرورات نشره كمقال في هذا الكتاب . كما اخترت له العنوان أعلاه (المعد).

المسألة، قطرية بحتة. لكنَّ الأمر لم يكن كذلك. فبالعودة إلى كلمات الإمام وخطبه في بداية حركته ونهضته، نجد بأن مشكلته مع النظام، كانت تنطلق من موقع الأمة، ومن موقع الصراع الكبير، قبل انطلاقها من الأزمات الإيرانية الداخلية.

وحتى في ترتيب العناوين، كنا نجد بأن الإمام كان يتحدث عن نظام الشاه أولاً، على أنه أداة قمعية عميلة للولايات المتحدة الأميركية، وعلى أنه نظام التبعية المطلقة لأميركا. وكان سماحته يقول: على إيران أن تكون مستقلة عن أم المصائب وأم الفساد والشيطان الأكبر.

لقد كان الإيرانيون وكثيرون آخرون في العالم، يعرفون هذه الحقيقة جيداً، بأن الحاكم الفعلي، هم الأميركيون الذين كانوا يستحضرون ٦٠ ألف خبير في كل إدارات ومؤسسات الدولة المدنية والعسكرية والأمنية والسياسية.

وإزاء ذلك كانت خلفية معركة الإمام مع الشاه تنطلق بالدرجة الأولى من أن هذا النظام، هو نظام عميل وأجنبي عن ثقافة وحضارة وتاريخ الشعب الإيراني والأمة.

أما العنوان الثاني الذي كان الإمام يؤكد عليه في خطبه وبياناته، هو موقف نظام الشاه من الصراع مع "إسرائيل". لقد كان هذا النظام متحالفاً مع "إسرائيل" استراتيجياً، وكان يزودها بالنفط مجاناً، ويشكل بالنسبة لها قاعدة خلفية، يمكن أن تستهدف الأمة العربية من خلالها.

كان الإمام الخميني (رض)، يقف ويطالب بقطع العلاقات مع "إسرائيل"، وبقطع إمداد "إسرائيل" بالنفط، وبوقف أي شكل من أشكال التواصل بين إيران و"إسرائيل"، ويدين الشاه على هذا التوجه.

في بداية الستينات، وعندما كان نظام الشاه يعطي نفطاً مجانياً لـ "إسرائيل" دعماً لها، كان الإمام الخميني في مدينة قم آنذاك يفتي بجواز دفع الزكاة والخمس إلى المجاهدين الفلسطينيين بمعزل عن خلفيتهم الفكرية والعقائدية سواء كانوا إسلاميين أو وطنيين أو ماركسيين أو ذوي اتجاهات أخرى، لأنهم يقاتلون الصهاينة ويدافعون عن الأمة كلها، وقد كان هذا من أهم ساحات التناقض التي كانت قائمة في إيران.

العنوان الثالث في حركة الإمام، كان مواجهة عمليات الظلم والطغيان والاستبداد، التي كان ينفذها الشاه، ولهذا السبب رأينا أنه بعد الخطابات الأولى للإمام الخميني في المدرسة الفيضية في مدينة قم سنة ١٩٦٣م، وبعد أن كان رجال الشاه، قد اقتحموا تلك المدرسة الدينية، وأقدموا على قتل الطلاب ورميهم من على الشرفات، وفي أعقاب سقوط الكثير من الشهداء والجرحى، بعد كل ذلك الترهيب، جاؤوا إلى الإمام وقالوا له: إن كنت تريد أن تخطب وتصدر البيانات، فلا مانع من ذلك، لكن هناك ثلاثة خطوط حمراء، لا يجوز أن تتجاوزها أو تتعرض لها.

(أولا: أميركا) (ثانياً: إسرائيل) (ثالثاً: شخص الشاه) وعدا ذلك يمكنك أن تنتقد الحكومة والوزراء والنواب وبرامج الدولة وخطط الوزارات؟! لكن إذا تناولت الإدارة الأميركية أو إسرائيل أو الشاه شخصياً، فهذا خط أحمر ونتيجته الإعدام؟!

بيد أن الإمام الخميني خرج في المهرجان الذي أقيم لإحياء ذكرى شهداء مدرسة الفيضية وقال للناس: لقد جاءني رجال الشاه من السافاك وقالوا لي (كيت وكيت وكيت) وأنا أقول لكم: (أن أميركا هي أم المصائب، و"إسرائيل" غدة سرطانية، وهذا الشاه حاكم ظالم فاسد ويجب أن يحاكم على كل الجرائم التي ارتكبها بحق إيران والأمة).

إذن منذ البداية كانت ثورة الإمام على الشاه، تقوم على خلفية استحضار مواقع الأمة في الصراع، مع الشيطان الأكبر، مع "إسرائيل"، ومع الاستبداد الشاهنشاهي. وقد اختار الإمام طريق الحركة الشعبية الجماهيرية، وكان يثق بشعبه ثقةً عظيمة جداً. واستمرت تلك الثورة من سنة ١٩٦٣حتى سنة ١٩٧٩، أي ستة عشر عاماً من النضال والجهاد والتحديات والمواجهات والدماء، إلى أن انتصرت في نهاية المطاف.

لقد عانت تجربة الإمام الخميني في الماضي، نفس المعاناة التي عاشتها تجربة المقاومة في لبنان، وتجربة الانتفاضة والمقاومة الفلسطينية. فعند بداية الستينات واجه الإمام الخميني أولاً، حملة تشكيك واسعة في هدف انتفاضته الشعبية. وللأسف فان هذا التشكيك لم يكن يصدر من الشاه ودوائر الاستكبار في العالم وحسب، بل شارك فيه بعض الأصدقاء من

البسطاء والطيبين، الذين لا يدركون أبعاد المسائل. لقد شككوا في واقعية الهدف بالقول: (أيها العجوز هل تستطيع وأنت لا تملك سلاحاً طرد أميركا من إيران .. ماذا تقول أنت؟! هل ستخرج "إسرائيل" من إيران، وتطرد هذا النظام الشاهنشاهي المتجذّر في الحكم والمؤسسات والأمن والاقتصاد والإعلام؟! هذا هدف غير واقعي، وهذا جنون وخيال وسراب وبالتالي فأنت تبحث في عالم المثاليات).

وقد واجه الإمام الخميني هذا التشكيك، وكان يؤكد على أنه يحمل هدفاً واقعياً، ويقول للناس – وهو وحيد حينذاك –: (نعم يمكن أن يتحقق كل ذلك بالتوكل على الله .. بسواعدكم وصمودكم سنتمكن من أن نقطع أيدي أميركا عن إيران وسنطرد الصهاينة من بلادنا وسوف نسقط هذا النظام، ونطرد الشاه من أرضنا).

وكان الإمام يضرب للناس الأمثال في جهاد الأنبياء من إبراهيم (ع) وموسى (ع) وعيسى(ع)، وكان يقول: (ألم يذهب موسى (ع) لوحده وليس معه في الدنيا إلاّ أخوه وعصاه، ليواجه فرعون الذي كان ظالماً مستبداً على مصر والجوار؟ ولقد انتصر موسى في نهاية المطاف.. أن رب موسى حاضر مع كل الذين يسيرون في نفس الدرب وفي نفس الطريق).

وهذا ما عانته المقاومة الإسلامية في لبنان منذ سنة ١٩٨٢، عندما ارتفع الهدف الذي يقول: نريد أن نطرد الاحتلال من أرضنا بلا قيد أو شرط وبلا ضمانات وبلا مكافآت وجوائز. وكان كثيرون يقولون: (هذا هدف غير واقعي، هذا خيال وجنون وسراب؟!).

لكن ما حصل أن العدو كان هو الذي يتراجع، بينما المقاومة كانت تتقدم وتتقدم، وبالفعل فقد تحقق هذا الهدف. إن هذا الكلام نفسه هو الذي يقال اليوم بشأن الانتفاضة في فلسطين: (أنك أيتها الانتفاضة أو أنتم أيها المجاهدون، أيها الشعب الفلسطيني المنتفض .. إن هدفكم ليس واقعياً، إذ هل يمكن أن تطردوا إسرائيل ولو من أرض عام ١٩٦٧؟! لا يمكنكم ذلك، فإسرائيل قوية، وأميركا معها، والعالم كله إلى جانب إسرائيل!).

لكن الفلسطينيين سوف يؤكدون بالتجربة والمواظبة على الجهاد، أيضاً، أن هذا الهدف، هو هدف حقيقي وواقعي بكل ما للكلمة من معنى.

كما واجه الإمام الخميني (رض) التشكيك في شرعية الوسيلة. فهو لم يخض حرباً عسكرية في مواجهة الشاه بل انه خاطب الناس و دعاهم إلى النزول إلى الشوارع ليسقطوا بالمظاهرات السلمية نظام الشاه. ولكن في مقابل ذلك كان رد الشاه دموياً وعنيفا للغاية. وجاء بعض الناس وبعض الفقهاء وبعض النخب الدينية والسياسية والثقافية يتساءلون: (لماذا إراقة كل هذه الدماء؟). أنا أتذكر أنه في تلك السنين كان بعض الكبار يقولون: (من الذي سيجيب الله يوم القيامة ويتحمل مسؤولية هذه الدماء؟). وقد وصلت هذه التشكيكات إلى مسمع الإمام الخميني (رض) فكان يقول بكل ثقة: (أنا سأقف يوم القيامة لأجيب عن هذه الدماء، أنها سفكت في المكان الصحيح وفي سبيل الله والحق وفي سبيل كل القيم التي بعث الله الأنبياء والرسل عليهم السلام من أجلها).

ان التشكيك بشرعية الوسيلة حصل في إيران وحصل في لبنان وهو اليوم عنوان بارز من عناوين المواجهة ضد الإنتفاضة والمقاومة في فلسطين، عندما يشكك البعض بأصل الجهاد أو بشرعية العمليات الإستشهادية هناك.

لقد تصدى الإمام الخميني لسياسة الرد الدموي العنيف لنظام الشاه ضد الشعب الإيراني الثائر وهذه ذكريات يجب أن نستحضرها لا لنتحدث عنها فقط بل وأيضاً لنتعلم ونستفيد من هذه التجربة المعاصرة. نحن نتكلم عن أشياء حصلت في النصف الثاني من القرن العشرين وفي الماضي القريب ولا نتحدث عن أشياء حصلت في قرون بعيدة. أنا أقول للذين تحبطهم أعداد الشهداء ويبدأون بالويل والثبور، وشق الجيوب، وندب الصدور، والدعوة إلى الإنهيار والسقوط والإستسلام، أنه في يوم واحد وهو يوم ١٥خرداد سنة ١٩٦٣، أمر الإمام الناس بالخروج إلى الشوارع فخرجوا، وفي مدينة واحدة هي العاصمة طهران، قتل رجال الشاه خمسة آلاف مواطن إيراني من الرجال والنساء والأطفال.

في ساعة واحدة استشهد هذا العدد الكبير من الناس، وكان على الإمام أن يواجه هذا الرد الدموي العنيف. وبالطبع فقد خرجت أصوات تقول للإمام: (هذه هي نتائج

خطبك وبياناتك.. حركتُك هذه كان لها كل هذه التبعات الكارثية على نسائنا ورجالنـــا وأطفالنا ودمائنا؟!). ولكن الإمام كان له نهج آخر في مواجهـــة هـــذه المجـــازر وهـــذه السياسات الدموية.

إن المجزرة سواء كانت في طهران في ١٥خرداد، أو في صبرا وشاتيلا في لبنان، أو في قانا في سنة ١٩٩٦، أو في دير ياسين، أو كما حصل في جنين في آذار ســـنة ٢٠٠٢... المجزرة بشكل عام تحمل الشيء ونقيضه في آن واحد. إنه يمكن أن نأخذ المجزرة ونصبـــغ وجوهنـــا وثيابنا بدماء المقتولين فيها ونندب حظنا، ويتحول الـــدم إلى وســـيلة لتثبيـــط العزائم، ونشر اليأس والإحباط، وللتهويل على الناس، ولإنهاء بقيـــة الأمـــل المتجـــذّر في نفوسهم. لكن في الوقت نفسه يمكن أن نأخذ هذه المجزرة ونصبغ بالدماء المراقـــة فيهـــا، وجوهنا ولحانا، ونحول هذه الدماء إلى غضب وثورة وإرادة، ونقدمها شاهداً على مـــأزق العدو، لأن الجيش الذي يطلق الرصاص على صدور العزل، يبرهن بذلك علـــى ضعفـــه وانهياره وسقوطه في نهاية المطاف. إننا يمكن أن نحمل المجزرة ونجعل منها عـــاملاً تعبويـــاً ومحرضاً قوياً، وحاضراً وجدانياً، أخلاقياً، إنسانياً، لصنع النصر والأمل والثقة، ولإرعـــاب العدو وإخافته. وهذا هو ما فعله الإمام الخميني في إيران.

إن الإمام لم ينس ذكرى ١٥خرداد في يوم من الأيام. فطيلة ١٦عاما بقيت المجـــزرة حاضـــرة في خطابات الخميني وأدبياته ووجدانه، وعندما يستحضر الإمام هذه الذكـــرى فإنه يعلم ما الذي ينبغي أن يقوم به للرد على هذه الجريمة النكراء. وليس كما يحصـــل في عالمنا العربي عندما يستذكر المجازر التي تعرض لها أبناؤه مثلما وقع في دير ياسين وصـــبرا وشـــاتيلا وقانا وحتى مجزرة جنين، حيث تتخذ هذا المناسبات أبعاداً احتفالية عـــابرة، لا تلبث أن تنسى بعد مرور ذكراها.

علـــي أن أقول بأن مواجهة السياسة الدموية الصهيونية، تكون في حمـــل هـــذه المجـــازر

إلى كل قلب وعقل وشريان، لنصنع من خلال ذلك عزماً وإرادة باتجاه متابعة الطريق واستمرار المقاومة. لا يجب أن تكون هذه المجازر، ذريعة للإحباط ونشر اليأس في صفوف الفلسطينيين وأبناء أمتنا الإسلامية.

ان الأمر الآخر الذي اعتمده الإمام الخميني (رض) في حركته، كان مواجهة سياسة عزل انتفاضته عن العالم. ينبغي الاعتراف بان أميركا والعالم الغربي ومعهما "الأنظمة العربية الأميركية الولاء"، نجحوا حينذاك في عزل حركة الإمام. ولذلك فان الشعب الإيراني تبنى المواجهة لوحده منذ عام ١٩٦٣ وحتى عام ١٩٧٩، ولم يكن يحظى بالمؤتمرات والتظاهرات المؤيدة لانتفاضته. لم يكن هناك دعم يذكر سوى بعض الفعاليات التي كانت موجودة في لبنان وأماكن أخرى. وكان لسماحة الإمام القائد المغيّب السيد موسى الصدر دور بارز على هذا الصعيد. لكن عموماً كان الإمام الخميني والشعب الإيراني وحيدين ومعزولين في حركتهما. وكانت الحجج حاضرة لتبرير الابتعاد عنهما. تارة كانت الحجج قومية، باعتبار أن هؤلاء إيرانيون، أو مذهبية باعتبار أن حركتهم شيعية (ولا دخل لنا فيها نحن المسلمين).

لقد تمكنوا من عزل حركة الإمام في إيران ولكنه بقي وفياً لمبادئه وقيمه، ودينه وعندما انتصرت الثورة، أراد أن يعيد إيران إلى الأمة، لأنه كان يعرف الأسباب الحقيقية التي أدت إلى عزل هذه الحركة طوال سنوات.

وهذا ما تعرضت له المقاومة في لبنان أيضاً، وهو ما تتعرض له المقاومة والانتفاضة في فلسطين في إطار سياسة العزل والحصار واستفراد الفلسطينيين، حيث يتهم بالإرهاب كل من يدعمهم بكلمة أو مال أو سلاح، ويعاقب حسب النظام العالمي الأميركي الجديد.

ان الإمام الخميني واجه سياسة التسويات في خضم أحداث الثورة في إيران، بعد أن كان قد خرج من النجف الأشرف إلى فرنسا. فجاؤوا إليه في باريس بعد أن أيقنوا بأن النظام الشاهنشاهي يتداعى، وعرضوا عليه أنصاف حلول، وهذا ما يحصل غالباً مع

الحركات الجهادية والإنتفاضات الشعبية التي تقترب من النصر، فعندما يجد الظالمون أنفسهم في معرض الهلاك يلجأون إلى أنصاف الحلول أو بعض التسويات التي قد يكون بعضها مذلاً وقد يكون بعضها في ظاهره منصفاً.

ومن التسويات التي عرضت على الإمام، هي أن يرجع إلى إيران ويقيم النظام الذي يريده وأن يجري استفتاء للشعب بشرط أن يبقى محمد رضا بهلوي ملكاً رمزياً كالملكة "اليزابيث" لا يتدخل في الشؤون السياسية والإدارية. ولكن الإمام رفض ذلك، حتى أن بعض أصحاب الإمام قالوا له: (أنها تسوية منصفة، وهل يستحق إلغاء هذا المنصب الرمزي أن نستمر بالمظاهرات ونقدم المزيد من الشهداء؟!)، فقال لهم الإمام: (نحن طالبنا بمحاكمه هذا المجرم لا بمكافأته وإعادة تنصيبه برضانا ملكاً على إيران، لأن بقاء هذا الرجل ملكاً رمزياً يعني بقاء المسمار الأميركي الإسرائيلي المستبد في إيران، والذي يمكن فيما بعد أن يكبر وينمو ويستعيد زمام المبادرة.

إن الإمام رفض كل التسويات المذلة، وأصر على طروحاته وواظب عليها وتعاطى معها بنفس طويل، وتحمّل هذا الكم الهائل من التضحيات، ووصل إلى نهاية المطاف، وهذا ما حصل للمقاومة في لبنان أيضاً، حيث عُرض على لبنان منذ عام ١٩٨٣ أن تنسحب "إسرائيل" في إطار اتفاقية سلام، وبعد عام ١٩٨٥ كان صمود المقاومة، يؤدي إلى تراجع الصهاينة من اتفاقية سلام إلى ترتيبات ومفاوضات أمنية، ومن ثم إلى ضمانات أمنية بأن ((لا تتعرض حدودنا لشيء وأن تنتهي المقاومة عند هذا الحد))، ولكن في نهاية المطاف حققت المقاومة الغرض الذي كان يقال عنه في البداية أنه غير واقعي، وخرج الصهاينة بدون تسويات وترتيبات وضمانات أو أنصاف حلول، وبلا قيد أو شرط، فكان الاندحار الذي شاهدناه كلنا سوياً.

إن هذه التجربة، مهمة جداً بالنسبة للشعب الفلسطيني، تصوروا إلى أي بؤس وصلت الحالة في فلسطين؟. لقد كان شعار الدولة الفلسطينية المستقلة يُرفع على الدوام، لكن حتى الآن لا توجد دولة فلسطينية مستقلة. هناك سلطة حكم إداري ذاتي أو – فلنقل – "السلطة الفلسطينية" التي تمارس حكماً ذاتياً إداريا ومع ذلك أين هو الاستقلال؟!.

إن الأميـــركيين والصهاينة الذين ارتكبوا المجازر، هم الذيـــــن يفرضـــون الهيـــاكل التنظيمية والإصلاحات ويأمرون بتوحيد الأجهزة الأمنية، وهم الذين أيضاً يتدخلـــــون في انتخاب المســـؤولين المناسبين. ان أي تنظيم حزبي لا يرضي لنفسه مثل هذا، فكيف يمكن أن يُرضى ذلك لإطار يراد أن يصبح دولة لشعب فلسطين بعد كـــل هـــذه التضحيـــات الجسام طـــوال عقود من الزمن. أننا في مواجهة هذا الواقع القائم لا نتحدث عن عنـــــاد وإنما نطرح رؤية وفكرة وتجربة ومنهجاً ونظرية جربتها شعوبٌ قبلنا وعشـــنا نحـــن هـــذه التجربة في لبنان.

إذن فان العدو يمكن دحره من خلال استمرار الإرادة والصمود والمقاومة. الصحافة "الإسرائيلية" والسياسيـــون والعسكـــريون "الإسرائيليـــون" يتحدثون الآن عن فشــــل عملية"السور الواقي" ولم يعد هناك من يتحدث عن نجاحها. لقد كان كل من بن اليعــــازر وزير الحرب وشاؤول موفاز رئيس أركان الجيش الصهيوني متفائلين عندما تحدثا عـــــن أن المقاومة في فلسطين لا يمكن أن تستعيد بنيتها الجهادية بعد ما لحق بها من ضربات غادرة، لكن ما هي إلا أيام قليلة إلاّ وانطلق المجاهدون الفلسطينيون لينفذوا سلسلة عمليـــــات في الضفة الغربية وفي أراضي ٤٨ التي سمعنا بها جميعا. ولذلك لجأت إســــرائيل إلى سياســـة جديدة سميت سياسة "الباب الدوار" .. فهم يدخلون ويخرجون إلى المـــــدن الفلســـطينية بشكل دائم، لهدم المنازل واعتقال المجاهدين وترهيب السكان، وهنا نعود ونقول: ان الذي أفشل عملية "السور الواقي" بالرغم من كل التضحيات والآلام والأحـــزان اســـتطاع أن يفشل سياسة الباب الدوار وأية سياسات عدوانية قادمة بالرغم من كل المعاناة والمصاعب. لقد كان الرد على المجازر والسياسات الدموية والعنف لاسيما ما حصل في ١٥ خـــــرداد، حيث قتل خمسة آلاف إيراني في ساعة واحدة، هو أن تســـتمر الانتفاضـــة الإســـــلامية المباركة في إيران لتنتصر بعد ١٦ عاماً. كما كان الرد على مجزرة صبرا وشاتيلا (١٩٨٢) أن تنطلق المقاومة في لبنان، والرد على "القبضة الحديدية" في جنوب لبنـــان قبل انسحاب عـــــام (١٩٨٥)، هــــو أن تتجـــــذر المقاومـــــة وتصبــــح أكــــثر عطـــاءا

واستشهاداً وبذلاً وكرماً وجوداً، والرد على مجزرة قانا هو أن تستمر هذه المقاومة.وكما كان الرد على السور الواقي بالإستشهاديين، فان الرد على السياسات الصهيونية سيكون بنفس الطريقة والأسلوب وهو ما يملكه الفلسطيني .. فما الذي يملكه الفلسطيني؟!. هل يملك مجلس الأمن؟ أم مؤسسات دولية؟ أم علاقات إقليمية ترجح مصالح الشعب الفلسطيني على مصالح "إسرائيل"؟ .. أبداً هذه هي الإمكانية الوحيدة التي يملكها الشعب الفلسطيني، والذين يتخلون عن المقاومة فانهم يقتلون الشهداء في جنين ونابلس مرة ثانية. ولو كان اللبنانيون تخلوا عن المقاومة لكانوا شركاء في المجزرة في قانا وفي صبرا وشاتيلا أيضاً. إذن هذا هو الطريق الذي يجب أن نتابعه، والذي تعلمناه من الإمام الخميني (رض). فيجب أن نستمر في الجهاد والنضال والمقاومة والحضور في الميدان وعدم الخضوع، وبعث الأمل وروح التفاؤل في الناس .. علينا أن نحول مسار المعركة إلى الوضع الذي يصرخ فيه الصهاينة المحتلون قتلة الأنبياء والرسل والأبرياء والمساكين ويتراجعوا هم ويندحروا هم وهذا يوم آت لا ريب فيه.

إن المدرسة التي انتمى إليها الإمام الخميني وبعث فيها الحياة وأعاد تأصيلها من جديد في رؤية فكرية وفقهية وسياسية وجهادية واضحة، هذه المدرسة عاشت كل هذه التجربة وكل هذه التضحيات وكل هذه الانتصارات. وبالتالي علينا في ذكرى الإمام الذي لن تغيب شمسه على الإطلاق أن نلتزم هذا النهج، وهذا الطريق الذي قدمنا فيه الشهداء والتضحيات، ولكننا لم نجد في نهايته إلا النصر والعزة والكرامة لنا ولشعبنا ولوطننا ولأمتنا ولكل إنسان مظلوم ومعذب. عهداً للإمام أنه سوف يبقي الحاضر الأكبر في العقل والقلب ومع الدم في الشرايين حتى تتحقق كل الأهداف العظيمة والجليلة.

نهج الإمام والتحديات الراهنة للطغيان الأمريكي

الدكتور رمضان عبد الله*

□ ماذا تقولون في تعريف الخمينية ؟ وما رأيكم في استخدام هذا المصطلح أصلاً ؟

الخمينية في أبسط معانيها هي إعادة انبعاث الإسلام أو استئناف دوره في الحياة على نهج وخط الإمام الخميني رضوان الله عليه. لكن أنا شخصياً لا أفضل استخدام مصطلح «الخمينية»، فهو من ابتكار ماكينة الإعلام الغربية. فالغرب روجه على طريقة الفكر الغربي والتسميات التي درجت فيه مثل «الريجانية» نسبة إلى الرئيس الأمريكي الأسبق «ريجان» أو التاتشرية نسبة إلى المرأة الحديدية رئيسة وزراء بريطانية السابقة مارغريت تاتشر.. هذا إذا أخذنا الجانب البريء في التسمية، لكن الأمر برأينا أكبر من ذلك.. إنها محاولة خبيثة من الإعلام الغربي، والأوساط الموالية له في بلادنا، لتجريد مشروع الإمام من اسمه الحقيقي كمشروع نهوض إسلامي، له إيحاءاته ودلالاته الواسعة وامتداداته في التاريخ، وفي الواقع الراهن، والتركيز على الجانب الشخصي.. إنها محاولة لمحاصرة الظاهرة وحصرها في شخص الإمام لعزلها عن بقية امتدادات الأمة التاريخية والجغرافية والبشرية والعقائدية والسياسية، حتى يقال إن الخمينية هي فهم الخميني للإسلام، هي رؤيته، هي تطبيقه الذي لا يوافقه فيه بقية المسلمين.. ولا حتى بقية الشيعة منهم.

من هنا فأنا أعتقد أن الدلالات السلبية للمصطلح تطغى في الذهن على أية دلالات إيجابية.. ربما كانت مصطلحات مثل "ثورة الإمام" أو "نهج الإمام" أو "خط الإمام"، برغم الفرز والتمييز الذي تدل عليه أيضاً، أفضل أو اكثر إيجابية في إيحاءاتها.

---

* الأمين العام لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين / دكتوراه في الاقتصاد.

☐ كيف يقدم الإمام مشروع الجهاد ضد الاستكبار والطواغيت في ظل التعقيدات الدولية الراهنة؟

بيننا وبين لحظة انتصار مشروع الإمام على الطاغوت المحلي والاستكبار العالمي بالثورة الإسلامية أكثر من عقدين من الزمان. لقد كانت حقبة حافلة بالأحداث المحلية والإقليمية والدولية التي تمخض عنها تحولات كبرى في خريطة المنطقة والعالم، الأمر الذي يجعل استحضار مشروع الإمام لمواجهة التعقيدات والتحديات السياسية الراهنة مسألة في غاية التعقيد..

وهنا يجب أن نلحظ مسألتين جوهريتين: الأولى، أن هناك فرقاً بين استنهاض جماهير الأمة باسم الإسلام لمواجهة طاغوت فاسد وعميل للأجنبي مثل الشاه، وبين استلام الإسلام والمرجعية الإسلامية قيادة الأمة بعد إسقاط الطاغوت وإزاحته .. التحدي الذي يواجه المشروع الإسلامي هنا هو أن يثبت قدرة الإسلام على قيادة الحياة في ظل تعقيدات العصر وصرعات الحداثة وطغيان القيم المادية التي تصادم الإسلام في روحه وجوهره..

فالطاغوت في الحياة المعاصرة ليس حاكماً أو سلطاناً ينتهي بإزاحته عن سدة الحكم.. الطاغوت أصبح منظومة قيم استكبارية طاغوتية متلبسة أجمل الأشياء وأكثرها بريقاً في حياة البشر.. السينما طاغوت.. المسرح طاغوت.. البنك طاغوت.. الجنس طاغوت.. سوق المال والبورصات أكبر طاغوت.. الفضائيات طاغوت.. الانترنت طاغوت.. الجامعات طاغوت.. مراكز البحث العلمي طاغوت.. وهكذا هناك سلسلة وشبكة رهيبة، بل إخطبوط من الطواغيت، التي تضخ منظومة قيمها المادية التي تحرك في الإنسان أبشع غرائز النهم الحيوانية، وتجعل من العالم كتلة من الظلم المتخفية تحت بريق الحداثة الكاذبة..

أنظر مثلاً قضية الفقر في العالم، من بين ستة مليارات يسكنون كوكبنا هناك مليار و ٢٠٠ مليون نسمة في العالم يعيشون بدخل يومي يقل عن دولار واحد، في حين أن هناك

٧ مليون نسمة هم أغنياء وأثرياء العالم يملكون ٢٦ تريليــون دولار (!) أي عالــم هذا ؟! وأية عدالة يمكن أن يتحدث عنها مصاصو دماء وثروات الشعوب المتحكمون في قرار العالم وسياسته وثقافته؟!

كيف يمكن للإسلام أن يحكم في هذه الغابة؟ وهل يمكن أن يترك وشأنه؟ هذا هـــو السؤال، وهذا هو التحدي الذي واجهه مشروع الإمام الخميني مـــن لحظـــة الانتصـــار وتأسيس الجمهورية الإسلامية، ولا يزال إلى اليوم.

إذن سؤال الجهاد ضد الاستكبار والطواغيت لا يكفي التعامل معه بالنظر إلى الجبهة الخارجية، بل إن التحدي الأكبر يبدأ بالجبهة الداخلية، كيف يكون الجهاد على جبهـــة الاقتصاد؟ وعلى جبهة الشورى والحكم، وعلى جبهة الثقافة، وجبهـــة الفـــن، لمواجهـــة منظومة القيـــم الطاغوتية التي تسعى لاختراق كل الأسوار والنفـــاذ إلى داخـــل بيوتنـــا وعقولنا لضـــرب ثوابت ديننا وعقيدتنا.. الفضائيات والانترنت اليـــوم تخـــترق جـــدار الأسرة، وجدار المدرسة، وجدار المسجد، وكل الجدر التي تحمي قيمنا وأخلاقنا وهويتنا.

المسالة الثانية هي، التغيير الكبير الذي طرأ على خريطة السياسة الدولية والإقليمية خلال العقدين الماضيين. لقد مثل انتصار مشروع الإمام انقلاباً كونيـــاً أيقـــظ في الأمـــة الإسلامية روحاً ووعياً مغيباً، وأشعر المسلمين بقدرة الإســـلام علـــى مواجهـــة الظلـــم والاستكبار.

لقد بدا انتصار الإمام وكأنه يعيد رسم الخارطة السياسية في المنطقة والعالم.. لكـــن الولايات المتحدة التي تعتبر نفسها صاحبة الكلمة الأولى في الشرق الأوسط منذ حـــرب حزيران ١٩٦٧، وقفت ضد نشوء خرائط جديدة في المنطقة على أثر انتصار مشـــروع الإسلام في إيران، فوقفت مع العراق في حربه ضد إيران (١٩٨٠ ـــ ١٩٨٨) فكـــان العقـــد الأول من عمـــر الثورة والجمهورية الإسلامية عقد الحرب الأميركيـــة المباشـــرة بكل الوسائل وعبر مختلف الوسطاء ضد المشروع الإسلامي.

لكن عقد التسعينات الذي بدأ بعد انهيار سور برلين وانهيار المعسكر الشرقي شهد

محاولات أميركية محمومة لإعادة رسم خريطة المنطقة بعد حرب الخليج الثانية وبروز أمريكا كقوة وحيدة مهيمنة على العالم.. وقد سعت الولايات المتحدة جاهدة لإطفاء جذوة الصراع مع المشروع الصهيوني وتصفية القضية الفلسطينية، فأطلقت مدريد، لإنشاء أوضاع ملائمة للهيمنة الأميركية والصهيونية على المنطقة، فكانت «أوسلو» عام ١٩٩٣ وطغى التبشير «بالشرق الأوسط الجديد» وتم ملاحقة كل جيوب المقاومة للهيمنة الصهيونية والأميركية على الأمة ووصمها بالإرهاب.. لكن هزيمة الجيش الصهيوني وانتصار المقاومة الإسلامية في لبنان بقيادة حزب الله الذي مثل رأس حربة مشروع الإمام على تخوم فلسطين، كانت بمثابة اختراق كبير، شكل رافعة جديدة لنهوض الشعب الفلسطيني واشتعال الانتفاضة الفلسطينية الثانية.

لقد كانت الانتفاضة انتصاراً لنهج الإمام وخيار الجهاد والمقاومة الذي كان للمشروع الإسلامي في فلسطين بجناحية (حماس والجهاد الإسلامي) دور الريادة لا سيما في العمليات الاستشهادية التي أصبحت نهجاً جهادياً سلكته كل القوى المناضلة والمجاهدة في فلسطين.

لكن أحداث ١١ أيلول/ سبتمبر والضربات التي تعرضت لها الولايات المتحدة في عقر دارها مثلت نقطة فاصلة في تاريخ السياسة الأميركية، تجاه العالم عامة، وتجاه الإسلام والمسلمين على وجه الخصوص. لقد خرجت القيادة الأميركية بعد الضربات وكأنها روما الجديدة التي تريد أن تكتسح العالم بنفس إمبراطوري استعماري بكل معنى الكلمة.. وإذا كانت الولايات المتحدة قد حاولت بعد حرب الخليج الثانية ومنذ مدريد رسم خريطة جديدة للشرق الأوسط، بتفويض الكيان الصهيوني للقيام بهذه المهمة، فإنها بعد أحداث ١١/ سبتمبر قادمة للمنطقة لتدشين خريطتها الجديدة بيدها وبشراكة صهيونية يوكل فيها الكيان الصهيوني بالإجهاز على ما تبقى في الشعب الفلسطيني من رمق الجهاد والمقاومة. وقد عكست مواقف جورج بوش الأبن هذه الروح الأميركية التي تريد وضع كل شعوب ودول المنطقة تحت الوصاية الأميركية

الصهيونية. إنه مشروع لوضع الأمة الإسلامية تحت الانتداب الأميركي، كما الانتداب الفرنسي أو البريطاني في القرن الماضي، فيما دول وحكومات العرب والمسلمين مجرد إدارات مدنية ومخافر شرطة تابعة للمندوب السامي الأميركي الذي حدد لها مهمة واحدة وهي تصفية وملاحقة ما يسمى «الإرهاب» الإسلامي لا سيما في فلسطين كمقدمة لتصفية القضية الفلسطينية.

من هنا، فإن الاستهداف الأكبر للإسلام اليوم، وللمشروع الإسلامي يبدأ من فلسطين. لذا، فإن الإسهام في معركة الدفاع عن فلسطين في هذه المرحلة هو دفاع عن الأمة كلها وعن الإسلام كعقيدة وهوية وانتماء.. إن أميركا التي تمثل رأس حربة الغرب اليوم لم تعد تكتفي بإقصاء الإسلام عن الحياة، ولا بتفريغه من محتواه ومضمونه بحصره في المناسك والشعائر.. إنها تريد شطب الإسلام نهائياً من حياتنا.. تريد الرقابة على الحج والتدخل في عدد الحجاج.. تريد الرقابة على زكاة المال ولمن تصرف ولأي الجمعيات الخيرية.. تريد التدخل في المناهج وحذف المقررات الإسلامية منها وفرض ثقافة غربية أميركية صهيونية تقبل بإسرائيل ككيان مشروع في قلب الأمة وتضع الشرق الأوسط كله في قبضة الهيمنة الأميركية الصهيونية.

□ ما هي تقسيمات الرؤية الغربية الرسمية والشعبية في تعاملها مع الإسلام؟

نحن ندرك أن «الغرب» كمصطلح فيه تعقيد وينطوي تحته قارات ودول وقوميات وسياسات مختلفة، لكن بالمنظور الحضاري نحن نعتقد أن علاقة الإسلام بالغرب، ومنذ دق الإسلام أبواب الأندلس إلى يومنا هذا، علاقة محكومة بسجال يغلب عليه طابع الهجوم والهجوم المضاد.. تارة الإسلام في موقع الهجوم وتارة في موقع الدفاع .. ومنذ الحملة الفرنسية لنابليون على الشرق في أواخر القرن الثامن عشر إلى اليوم، والأمة الإسلامية تتعرض لهجوم غربي كاسح في أحد محطاته وقف الجنرال اللبني عام ١٩١٧ في القدس وقال «اليوم انتهت الحروب الصليبية» ووقف الجنرال غورو على قبر صلاح الدين في دمشق وقال «ها قد عدنا يا صلاح الدين» فهؤلاء كانوا يعتبرون أنفسهم ثورة

جنوداً في هجوم غربي مضاد للهجـوم الإسلامي المضاد للصليبين الذي قـاده صـلاح الدين، وبعد اللنبي وغورو بعشرات السـنين، جاء جورج دبليوبوش وقال كلاماً بنفـس المعنى عندما تحدث عن الحرب الصليبية التي تقودها الولايات المتحـدة ضـد الإسـلام والمسلمين تحت عنوان مكافحة الإرهاب المزعوم..

فالغرب كله مشحون ومعبأ ضد كل ما هو إسلامي وعربي.. ومن الصعب التفرقـة بين ما هو رسمي وما هو شعبي في الموقف الغربي من الإسلام، فالموقف الشعبي والرأي العام في الغرب وبالذات في الولايـات المتحدة يصوغه الإعلام الذي تهيمـن عليـه دوائـر صهيونية ويمينية تدعم نهج الهيمنة الأميركية والصهيونية على العالم.

زوجة رئيس وزراء بريطانيا توني بلير، قالت بضع كلمات أشـتم منهـا رائحـة التعاطف مع الشعب الفلسطيني فوقعت في محنة، وقامت الدنيـا ولم تعقـد عليهـا في الإعلام البريطاني والغرب كله.

□ هل هناك صلة بين وضع إيران في قائمة «محور الشر» وتسمية «الشيطان الأكـبر» التي أطلقها الإمام الخميني على أميركا؟ أعني، هل تعتبرون هذه التسمية الـتي أطلقهـا جورج بوش الابن، ردة فعل أميركية؟ وما مدى تجاوب الشعب الأميركي مع الاتهامـات والأباطيل التي يطلقها البيت الأبيض على ثورة الفقيه ودولته في إيران؟

الإدارة الأميركية لا تعمل بردات الفعل.. هناك عداء أميركي متأصل لكـل مـن يقول: لا لسياسات أميركا ومحاولاتها الهيمنة على العالم. فكوريا الشمالية وضعت في محور الشر وهي لم تطلق على الولايـات المتحدة تسميه «الشيطان الأكبر» ومشـكلتهم مـع كوريا قديمة. لقد فرضت الولايـات المتحدة على كيم إيل سونغ عام ١٩٩٤ تفكيـك المنشآت النووية، واستبدالها بمنشآت وتجهيزات قدمها اليابانيون وكوريا الجنوبية، تضمـن عملياً وتقنياً عدم وصول الكوريين الشماليين إلى امتلاك القنبلة النوويـة. فهـذه هـي الاستراتيجية والسياسة الأميركية: تجريد كل من لا ينضوي تحت مظلتهم من كل أسباب القوة.. التحريض اليوم ضد إيران على أشده والتهويل من الخطـر المزعـوم لامتلاكهـا

سلاحاً نووياً لا يتوقف، في المصادر الأميركية تؤكد أن الكيان الصهيوني يمتلك ٤٠٠ رأس نووي، ولا أحد في أمريكا أو الغرب يحرك ساكناً في يقف العراق في انتظار التدمير والتقسيم بذرائع وأكاذيب واهية تتعلق بأسلحة الدمار الشامل.

إذن سياسة أميركا اليوم تقوم على قاعدة من ليس معنا فهو ضدنا.. وهي تعطي لنفسها الحق المطلق في الكون للتمييز بين الأخيار والأشرار. الاستكبار الأميركي اليوم في أعتى صوره. وهو كما صوره القرآن الكريم «لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتواً كبيراً».

هذا العتو الذي تمارسه الإدارة الأميركية ليس له رادع شعبي، وليس هناك وازع من ضمير غربي يمكن أن ينهض ليضع حداً لهذا الاستكبار والعتو.

الشعب الأميركي من أجهل الشعوب في السياسة فهو لا يتعاطى السياسة الدولية ولا يعرف شيئاً عن قضاياها وإن سمع شيئاً عنها يسمعه من الإعلام الذي يتحكم فيه اللوبي الصهيوني والمسيحية الصهيونية التي تكتسح الولايات المتحدة ويصل أتباعها أكثر من ٥٠ مليون هناك. فلا يمكن الاحتكام إلى الرأي العام الأميركي والغربي وانتظار أن ينصف الإسلام والمسلمين.

☐ ما هي معالم حضور المشروع الإسلامي للإمام الخميني على الساحة الإقليمية والدولية في الوقت الحاضر..؟

بداية أؤكد أن المشروع الإسلامي في المنطقة والعالم هو مشروع متكامل، وحركة الإمام ونهضة الإمام كانت ولازالت جزءاً أساسياً وحيوياً منه. واليوم فإن المشروع الإسلامي للإمام حاضر بقوة بحضوره الذي لم ينقطع في إيران بوفاة الإمام رحمه الله. واستمر بقوة وزخم بقيادة الإمام الخامنئي الذي مثلت قيادته واستلامه الراية بعد رحيل الإمام الخميني نعمة ورحمة بإيران والإسلام في هذا العصر.. والمشروع حاضر في النظام الإسلامي ومشروع الدولة الإسلامية، الذي يقف على رأسه أحد أبناء الإمام ورمز من رموز المشروع الإسلامي، الرئيس محمد خاتمي، الذي أثبت صعوده على رأس الدولة قدرة

الإسلام والمشروع الإسلامي على التجديد والعطاء والاستجابة لطموحات الشعب والشباب، في زمن يعصف بالمتغيرات الاجتماعية والسياسية والحضارية الخطيرة..

وحين ننظر إلى المشروع الإسلامي للإمام بنظرة أوسع، نستحضر فيها دعوة الإمام إلى الوحدة الإسلامية والعودة بالإسلام إلى الأصول والينابيع الأولى، حيث الإسلام النبوي والنهج الراشد، الذي سبق نشأة كل الفرق والمذاهب والطوائف، وأثبت قدرة الإسلام على تكوين أمة تجمع مختلف الشعوب والقبائل في إطار التوحيد .. إذا نظرنا لمشروع الإمام من هذه الزاوية، نجده حاضراً في كل بقعة يتواجد فيها الإسلاميون وأبناء المشروع الإسلامي الذين يجسدون هذا الفهم وهذا الخط، ولعل أبرز حضور من هذه الزاوية هو الحضور الإسلامي في لبنان وفلسطين حيث المقاومة والانتفاضة المباركة.

نظرة إلى المسيرة الجهادية للإمام الخميني

الاستاذ خالد مشعل*

ما أصعب الكتابة عن رجلٍ مثل الإمام الخميني ، رجلٍ أحيا الله به أمـةً ، وأدال بـه عرش الطاغوت ، رجل أشرق كالشمس في رابعة النهار ليبدّد الله به ظلمـات الظـالمين والمستكبرين ، وينـير به دروب المستضعفين والحائرين، وتعجز الكلمات أن توفيه حقه من التقدير ، ونصيبـه الذي يستحقه من التبجيل ، وشرح دوره الهام في إحقاق الحق، وإبطال الباطل.

لقد بغي الشاه المقبور في الأرض وطغى ، وحارب الإسلام والمسلمين ووالي الكفـار والمشركين ، وكان سيف أمريكا والصهاينة علي رقاب العرب والمسلمين ، وجعـل مـن إيران وشعبها المسلم الأبي واقتصادها ونفطها أداة بيد أعداء الأمـة للتـآمر عليهـا ، والكيد لها ، وفاخر بصداقة الكيان الصهيوني الغاصب يمدّه بالمال والنفط ، ويترك له المجال الرّحب لاستغلال أجواء إيران لتدريب طياريه المجرمين علي قتل أبناء فلسطين والعـرب أجمعين ، وكان يمنع أحداً من شعب إيران المسـلم من الهجوم ولو بكلمة علي «اسرائيل»، والدفاع ولو بكلمة عن مظلومية الشعب الفلسطيني المسلم المجاهد ، شقيق شعب إيـران المسلم العزيز .

وكان الشاه محمد رضا بهلوي يُحيي ذكرى الإمبراطور كـورش ويعـتز بأفعالـه وأعماله، ويتمني لو سار علي نهجه وطريقه ، وكورش هذا هو الذي سخّر إيران وجيشها

---

* رئيس المكتب السياسي لحركة المقاومة الاسلامية (حماس) في فلسطين

وماها في خدمة اليهودية الماجنة التي عبثت بعقله ووعيه، وقادته لمحاربة جيرانه البابليين لإعادة اليهود من منفاهم في بابل إلى فلسطين رغم رفض أصحابها الشرعيين ومقاومتهم في ذلك الزمان كما يحصل الآن ، وكأن الشاه أراد أن يؤكد لليهود الصهاينة الغاصبين لفلسطين ، والقاتلين لشعبها المسلم ، والمهلكين للحرث والنسل أن الامبراطورية الفارسية التي ينوي إقامتها هي لنصرتهم ودعمهم وتأييدهم ، وهي التي سوف تكرس وجودهم الاحتلالي في فلسطين .

أما الإمام الخميني (رحمه الله) فقد أراد أن يعيد لإيران وجهها الإسلامي المشرق ، وأن يخلصها من تاريخ القهر والظلم وملوك الفساد ، وأن يجعلها قاعدة للحق ترفع لواءه ، وللمستضعفين تنصرهم وتقف معهم في مواجهة المستكبرين والمحتلين والطاغين ، فكان يُعلّم الجماهير وتلاميذه في الحوزات ودروس العلم أنّ «اسرائيل» مغتَصِبة لأرض فلسطين والمسجد الاقصي، وأن موالاتها وإعانتها كفر وضلال ، وأن مواجهتها وإزالتها هو ذروة الإيمان ، لذلك كثرت فتاواه وخطاباته وأحاديثه عن الشاه وظلمه وضلاله وفساده ، وعن «اسرائيل» كغدة سرطانية لابد من اجتثاثها ، وعن القدس ومسئولية المسلمين في تحريرها ، وعن الشيطان الأكبر أمريكا الداعمة للشاه والمسيطرة على ثروات إيران والمسخرة لكل قوتها وماها وسلاحها وسياستها وإعلامها لخدمة «اسرائيل» ودعمها في عدوانها واحتلالها للمقدسات الإسلامية في فلسطين مما أدى إلى اعتقاله ، ثم إبعاده إلي خارج وطنه ، وهو الذي أبى أن يعتذر للشاه أو أن يسلم عليه مقابل عدم اعتقاله وإبعاده، بل والإنعام عليه بمال الشاه ومناصبه ورعايته ، وقال قولته المشهورة : « والله إني لا أقبل أن تلامس يدي يده مقابل كل كنوز الدنيا ، فإن يد محمد رضا بهلوي لو لامست كل مياه المحيطات لأنجستها » ليضرب لنا مثلاً للعالم المسلم العزيز المجاهد .

ولقد كان حديثه طوال سنوات إبعاده عن وطنه لا يخلو من الحديث عن فلسطين وشعبها المظلوم ومقدساتها الإسلامية، وكان يُفتي للشباب المسلم الإيراني وغيرهم بالانخراط في صفوف الثورة الفلسطينية ، وللأغنياء بالدفع للمجاهدين من زكاة أموالهم ، ومن الأخماس والنذور ، وظلّ يُحذر العرب والمسلمين من خطر هذه الغدة السرطانية »

«اسرائيل» كما سمّاها بحق ، ويدعو الأمة إلى الوحدة الإسلامية بمختلف قومياتها ومذاهبها، لأن الوحدة هي طريق العزة والنصر والتحرير .

ولما نجحت الثورة الإسلامية في إيران كان أول ما صنعه الإمام ــ رحمه الله ــ أن نفّذ ما كان يدعو إليه بالكلام والخطب والتعبئة ، فأغلق سفارة العدو الصهيوني الذي هــرب رجاله وديبلوماسيوه من طهران كالفئران مع بشائر الانتصار ، وسـلّم مبنـى السـفارة الصهيونية نفسه لتكون سفارةً لفلسطين ، وكأنه يعلن أن أرضاً إسلامية لايجوز أن يبقـى عليها علم أو محتل يهودي .

وكان ــ رحمه الله ــ يرفع دائماً الشعار الخالد : " اليوم إيران وغـداً فلسـطين "، والذي غدا شعاراً يتردد على كل لسان في إيران ، بل إنه دعا إلي يومٍ عـالمي للقـدس يتوحّد المسلمون فيه ، ويتظاهرون سنوياً للتعبئة ليوم النصر وتحرير فلسطين والمقدسات .

وكان الإمام الراحل يردد كثيراً مقولته المدوية : " لو أن كل مسلم أخذ دلواً مـن الماء وأراقه على «اسرائيل» لغرقت."ليؤكد بذلك أنّ وحدة المسلمين هي طريق النصـر والعـزة والتحرير، وأن «اسرائيل» الغاصبة وأمريكا الشيطان الأكبر إنما يقوون ويتجبرون بضعفنا وتفككنا نحن المسلمين ، وكان يعلن وبصوت الواثق المطمئن إلي نصـر الله : " إن اسرائيل يجب أن تزول من الوجود ، وإن القدس هي أرض المسـلمين ويجـب أن تعـود إليهم".

بل إنّ هذا القائد الكبير قد أعدّ جيشاً سمّاه " قوات القدس " ، ليكون نواة التحريـر مع جيوش المسلمين ومع المجاهدين الفلسطينيين .

وعندما اشتعلت ثورة الحجارة ، الانتفاضة الإسلامية الاولى عام ١٩٨٧م في فلسطين كان الإمام ــ رحمه الله ــ يرعاها بقلبه ودعائه ودعمه ، ويدعو المسلمين إلي دعم انتفاضة الشعب الفلسطيني المسلم المجاهد بكل ما أوتوا من قوة وقدرة .

ولقد شكّل نجاح الثورة الإسلامية المباركة في إيران أملاً ونموذجاً لنجاح الثورة الإسـلامية في فلسطين بإذن الله سبحانه، وكان هذا النجاح عامل وعي ، وصاعق تفجير لطاقات الأمة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها ، كما كانت رعاية الإمام لتأسـيس حـزب الله في

لبنان والحرص على دعمه وإسناده عاملاً أساسياً في تحقيق انتصار المقاومة الإسلامية في لبنان ، وتحرير جنوبه ، وهزيمة العدو الصهيوني شر هزيمة .

وعلى هذا النهج والطريق سار خليفته وتلميذه سماحة السيد القائد علي الخامنئي ، لتستمر مسيرة إيران الإسلامية المباركة ، عزّةً لشعبها الأبي ، وسنداً لأمتها الإسلامية وقضاياها المصيرية الكبرى ، وفي مقدمتها قضية فلسطين ، ومواجهةً للمشروع الصهيوني الإمبريالي .

رحم الله الإمام وعوّض الأمة عن فقده خيراً ، وسدّد الله خطى خليفته على الحق والهدى ، لما فيه خير إيران العزيزة ، ومصلحة شعبها المسلم ، ولما فيه خير أمتنا الإسلامية ووحدتها وانتصارها على أعدائها وأعداء المسلمين ، ولا سيما على أرض فلسطين الطاهرة المباركة . نحو وحدة الأمة الإسلامية ، ونصر شعب فلسطين وتحرير فلسطين من اليهود الغاصبين لتعلو كلمة الإسلام وتسقط كلمة الكفر والطاغوت .

﴿ يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم
والله متم نوره ولو كره الكافرون ﴾

صاحب انتصار كبير في لحظة

تاريخية حرجة(*)

الدكتور جورج حبش(*)

منذ سنوات، وحين يدور أمامي أي حديث عن الإمام الراحل آية الله الخميني أو أقرأ شيئاً له أو يتعلق به، لا أعرف لماذا لا أستطيع أن أنزع من ذهني سؤالاً يراودني منذ فترة طويلة :

ماهو الإنجاز الأهم للإمام الراحل ؟

تحطيمه لنظام الشاه الذي كان في فترة ما قبل سقوطه واحداً من أهم ركائز الإمبريالية في المنطقة .. أو تأسيسه لدولة إسلامية حديثة .. ام نجاحه في إطلاق صورة كفاحية للإسلام السياسي، بتنا معها أمام إسلام مقاوم، ثائر، يعبئ الجماهير ويحشدها في مواجهة الظلم والعدوان.

ثلاثة انتصارات كبرى تحققت بقيادة الإمام الراحل وحنكته كقائد ومفكر سياسي ورجل دولة وفقيه ..

نظام الشاه المقبور كان قلعة للإمبريالية بكل معنى الكلمة، قدمت له الدعم بلا حدود ليتمكن من القيام بالدور المنوط به كشرطي للمنطقة، يتدخل لقمع الحركات الثورية التي تنهض فيها احتجاجاً على الظلم والقهر والاستبداد .. وعلى مدى عقود أقام العلاقات مع الدول والقوى المعادية لمصالح شعوب المنطقة وعلى رأسها الكيان الصهيوني .. ومن

---

* مؤسس حركة القوميين العرب والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.

ينسى أن انهيار نظام الشاه جاء في لحظة تاريخية خطيرة تمثلت بتوقيع اتفاقية كامب ديفيد التي أخرجت مصر من دائرة الصراع العربي ـــ الصهيوني و أحدثت خللاً استراتيجياً في مجرى الصراع، ومن هنا كانت ثورة الخميني المظفرة نصراً لشعوب المنطقة بأسرها.

أما الإنجاز الثاني المتمثل في تأسيس الدولة الإسلامية الحديثة فما زال يتحدث عن نفسه، فالجمهورية الإسلامية في إيران لم تصمد فقط في وجه الضغوط الإمبريالية الشرسة التي تعرضت لها، بل وتزداد قوة وحيوية يوماً بعد آخر، في مواجهة المخططات الصهيونية والإمبريالية.

لقد وقفت الثورة الاسلامية في إيران إلى جانب قضايا العدل والحرية في العالم أجمع .. ونحن في فلسطين لن ننسى أبداً الدور الذي قام به الإمام الخميني تجاه قضيتنا، والذي جاء منذ اللحظات الأولى للثورة، حين أغلقت سفارة العدو الصهوني، وفتحت مكانها سفارة فلسطين، وبالتأكيد أن هذه الخطوة وما تلاها من دعم إيراني لفلسطين، جاءت في سياق إيمان الإمام الخميني العميق بأن اسرائيل غدة سرطانية تتفشى في جسم الأمة، لا يمكن التعايش معها .. ومن ينسى أيضاً يوم القدس العالمي الذي دعا إليه الإمام الخميني وحدّده بالجمعة الأخيرة من شهر رمضان والذي بات تقليداً سنوياً للدفاع عن المدينة المقدسة.

أما الإنجاز الثالث فقد تمثّل في التأكيد على أن المقاومة هي السبيل لمواجهة الظلم والعدوان وانتزاع الحقوق المغتصبة.

وقد ساهم ذلك مساهمة رئيسية في تحقيق الإنتصار العظيم في لبنان مع طرد الإحتلال الصهيوني من جنوبه، على يد المقاومة اللبنانية الباسلة.

وبالتأكيد فإن انجازات الإمام الراحل تفوق بكثير ما ذكرناه، لكني حاولت تسليط الضوء على بعض هذه الإنجازات.

في كل الأحوال يشكّل كتاب السيد حميد حلمي زادة عن الإمام الراحل آية الله الخميني مساهمة مهمة للمكتبة العربية، فرغم الشهرة الواسعة التي تمتع بها الإمام الراحل والذكرى العطرة التي يحظى بها في العالمين العربي والإسلامي، وخصوصاً من قبل من عاشوا مسيرته النضالية الحافلة، وتحديداً مع انتصار الثورة في إيران عام ١٩٧٩، إلا أنه ينبغي استمرار الكتابة عن الإمام الراحل وأفكاره ومواقفه.

من هنا تأتي أهمية كتاب « ثورة الفقيه ودولته » الذي جمع بين دفتيه مجموعة متنوعة من آراء وتحليلات تعددت جنسيات أصحابها وانتماءاتهم، لكن بالتأكيد جمعهم الاحترام والتقدير للإمام الخميني وأفكاره ومسيرته وظهرت براعة السيد حلمي زادة عندما استطاع بنجاح أن ينسق جهود عشرات الباحثين ليجعل كلاً منهم ينظر عبر زاوية محددة بدقة، لنحصل عبر كل هذه المقالات والدراسات على صورة عميقة من فكر الإمام ومنهجه..

هذا الكتاب...

بقلم: د. صابر فلحوط
رئيس اتحاد الصحفيين في سورية
نائب رئيس اتحاد الصحفيين العرب

لا أستطيع أن أقرر - بتعبير غاية في الإيجاز، بعد قراءة كتاب «ثورة الفقيه ودولته» الذي أعده الأستاذ محمد حلمي زاده - أنه مرجع غني للدارسين، والكتاب، والباحثين، في عظمة ثورة الإمام الخميني. وأبعادها الإقليمية والعالمية...

فقد جاء هذا - السفر الهام - قراءة متأنية، في أعماق فكر الإمام الأعظم، ومدرسته هزت العالم الإسلامي والمستضعفين، ورسمت آفاقاً جديدة لإرادة الجماهير، وقدرتها على

المحدودة على الفصل التوزيع، والتغيير الشفاف لصالح الجماهير الشعبية الطامحة للتقدم ونسف مرتكزات الطغيان، والاستعمار.

وقد جاءت الشهادات التي سجلها الأستاذ زاده لكبار المفكرين وقادة الرأي لتؤكد أن ثورة الإمام الأعظم إنما رسمت الطريق واضحة للأحداث الرحبة في هذا العالم الطافح بالحقد، والظلم، والعنصرية ولابد من تطهيره وتغييره بالسمو الروحي والأخلاقية الفاضلة والقيم النبيلة ليستعيد إنسانيته المفقودة وحضارته الرضية، وعلاقاته المبنية على الرحمة والمساواة، والتوازن والعدل والتصالح بين الحضارات لصالح البشرية جمعاء.

تحية إجلال لروح الإمام الخميني عظيم القرن العشرين.

وتحية للأستاذ - زاده - على جهوده الخيّرة.

هذا الكتاب ..

بقلم : د . صابر فلحوط*
رئيس اتحاد الصحفيين في سورية
نائب رئيس اتحاد الصحفيين العرب

أستطيع أن أقرر بضمير غاية في الارتياح، بعد قراءة كتاب « ثورة الفقيه ودولته » الذي أعده الأستاذ ــ حميد حلمي زاده ــ بأنه مرجع غني للدارسين والكتاب والباحثين والشجعان الذين أمسكوا بقوة وجدارة بدفة السفينة، وأبحروا باسم الله في وسط الأمواج في عظمة ثورة الإمام الخميني وأبعادها الإقليمية والعالمية ...

فقد جاء هذا السفر الهام قراءة متأنية في أعماق فكر الإمام الأعظم ومدرسته التي هزت العالم الرأسمالي والاستكباري، ورسمت آفاقاً جديدة لإرادة الجماهير، وقدرتها غير المحدودة على الفصل الثوري، والتغيير الشفاف لصالح الجماهير والشعوب الطامحة للتقدم ونسف مرتكزات الطغيان، والاستعمار ...

وقد جاءت الشهادات التي سجلها الأستاذ حلمي زادة لكبار المفكرين وقادة الرأي لتؤكد أن ثورة الإمام الأعظم، إنما رسمت الطريق واضحة لإحداث الرجّة في هذا العالم الطافح بالحقد والظلم والعنصرية، ولا بد من تطويره وتغييره بالسمو الروحي والأخلاقية الفاضلة والقيم النبيلة، ليستعيد إنسانيته المفقودة وحضارته الرفيعة وعلاقاته المبنية على الرحمة والمساواة والتوازن والعدل والتصالح بين الحضارات لصالح البشرية جمعاء.

تحية وإجلالاً لروح الإمام الخميني عظيم القرن العشرين وتحية للأستاذ حلمي زادة على جهوده الرائعة ..

---

* عضو مجلس الشعب (البرلمان). تقلّد مناصب مرموقة عديدة، وله عشرات المؤلفات في السياسة والثقافة والأدب وهو من شعراء المعاصرة في سورية.



نذر نفسه للإسلام وللأمة فكان هذا الالتفاف الهائل حوله

ثورة عظيمة .. ومستقبل واعد

الدكتور خلف محمد الجراد

شكلت الثورة الإسلامية الإيرانية في عام ١٩٧٩ بقيادة الإمام الخميني منعطفاً تاريخياً عظيماً وتحولاً في توازنات القوى ورافعة عملية لنهضة شعوب المنطقة وحركتها المضادّة للظلم والقهر والتبعية والاستعباد المعاصر.

إنّ ثورة الإمام الخميني لم تكن وليدة لحظة عابرة منفلتة من سياق قوانين الثورات، ولم تكن مصادفة غير متوقعة واستغفالاً للنظام الاستبدادي الشاهنشاهي التابع لقوى الاستكبار العالمي المنفّذ لمخططاتها واستراتيجياتها التوسعية والنهبيّة في منطقتنا وفي العالم كله.

ومن أتيحت له فرصة قراءة ومتابعة تاريخ الشعب الإيراني المسلم ونزوعه الدائم نحو الحرية، وشخصيته الحضارية .. وانتفاضاته المستمرة ضد الظلم والاستغلال والاستعمار (بأشكاله وتجلياته المختلفة) .. ولا سيما في القرنين الأخيرين، يدرك مدى امتلاك هذا الشعب لإرادة الحرية وقوة الرفض وشجاعة القرار. فإذا أضفنا إلى هذه العناصر الروحية المكونة لهذه الشخصية المتميزة ذات التاريخ الحضاري العظيم والانفتاح الفكري .. الدور التنويري والتحريضي والتعبئة الإيمانية للمجددين من الشخصيات الإسلامية والفقهاء الملتصقين بالطبقات الشعبية، فإننا سنجد عندئذ الإجابات الدقيقة والخلاصات المنطقية التي قادت إلى الثورة الإسلامية والتحولات التي جاءت نتيجة لها.

لقد كانت الأرضية التاريخية والموضوعية والاجتماعية والعناصر الفكرية والتوجهات السياسية والذاتية جاهزة للتآزر والتفاعل والانصهار، والتحول إلى عمل نوعي جديد ..

* باحث وكاتب واعلامي. رئيس صحيفة تشرين الواسعة الانتشار في سورية.

وعندما وجدت الشخصية القيادية التي تحظى بالإجماع العام وبالاحترام الكبير والجاذبية، والقدرات الاستشرافية الكبيرة، والإيمان الرفيع .. والأبوية والمكانة الدينية والروحية الخاصة، و قوة العزيمة والصبر والشجاعة غير العادية في مواجهة أعتى الأنظمة وأشرسها .. أصبحت الثورة حتمية ونجاحاتها مضمونة. وهكذا سقطت قلعة من أكبر قلاع الظلم والاستبداد والتبعية، وموالاة الصهيونية وقوى الاستكبار العالمية.

إن الدور البارز لعلماء الدين الأحرار والحوزات العلمية والقوى الاجتماعية السياسية المعادية للنظام الشاهنشاهي وتضامنها الفعال مع الجماهير وعامة الناس .. شكلت قوة عظيمة أجبرت المستبدين وعملاء الصهيونية وأمريكا على التراجع والانحدار والهزيمة إلى غير رجعة.

لقد رفعت الثورة الإسلامية الإيرانية راية (الله أكبر) عالية وحولت أرض الإسلام إلى مرجل يغلي في وجه الحكام الظالمين والقوى الداعمة لهم. وبدلاً من انكفاء الإسلام وخنقه في أماكن العبادة واقتصاره على تأدية الفرائض والشعائر، أخذ (الإسلام) زمام المبادرة واستعاد روحه الجهادية العظيمة، مستنهضاً عشرات الملايين من الشعوب المستضعفة، التي وجدت في ثورة الإمام الخميني إلهاماً حقيقياً وحافزاً مادياً وروحياً .. وقوة جبارة في مسيرة التاريخ المعاصرة.

الثورة الإسلامية العظيمة التي قادها باقتدار وحكمة وإيمان وعزيمة وشجاعة الإمام الخميني (قدس سره) لم تنجح في القضاء على النظام الشاهنشاهي المستبد التابع .. وحسب بل استطاعت أن تنتقل بنجاحات رائعة إلى مراحل أخرى، مازجة بين شعارات وأهداف الثورة ومتطلبات بناء مؤسسات الحكم والبرلمان والدولة الحديثة. وقد أثبتت السنوات التي أعقبت الثورة، أنها عصيّة على المؤامرات، قادرة على استيعاب المتغيرات والمستجدات بصورة ممتازة، والأهم من ذلك كله أنها تحمل في بنيتها التكوينية الداخلية عناصر تجددها الذاتي وقوة اندفاعها وشمولية توجهاتها.

لقد كانت هذه الثورة قوة عظيمة داعمة للحقوق العربية وفي مقدمتها لحق الشعب الفلسطيني في إقامة دولته المستقلة على ترابه الوطني وعاصمتها القدس. وقد حظيت الثورة الإسلامية الإيرانية بتأييد واسع من جميع الشعوب والبلدان والشخصيات الحرة الشريفة في العالم. ونشير هنا بصفة خاصة إلى العلاقة الاستراتيجية التي قامت بين سورية والجمهورية الإسلامية الإيرانية على يدي القائدين التاريخيين حافظ الأسد والإمام الخميني، وازدادت مع الأيام الانفتاحات رسوخاً وعمقاً وصلابة وهي علاقات يعتز بها الشعبان والامتان العربية والإسلامية، لأنها تشكل قوة لدفع المؤامرات والخطر الصهيوني وتدعم صمود المسلمين في وجه أعدائهم (دعاة صدام الحضارات) وتفرض احترامهم في عالم لا يحسب حساباً لغير القوة والمصالح والأقوياء.

إن العمل التوثيقي الفكري الذي كرس له الصديق والإعلامي المتميز الأستاذ حميد حلمي زادة الوقت والجهد والمثابرة والاجتهاد والصبر والأناة ... تحت عنوان « ثورة الفقيه ودولته » (قراءات في عالمية مدرسة الإمام الخميني ـ قدس سره) يستحق التقدير الرفيع والاحترام العظيم، لأنه يؤكد ومن خلال عشرات الشهادات والقراءات والاجتهادات أن شخصية القائد الاسلامي الامام الخميني مفتوحة لمئات القراءات والاجتهادات وأن غناها الفكري والروحي والمعنوي وتجربتها العملية المتفردة تصلح لأن تكون محوراً للدراسات والتحليلات والرسائل الجامعية ومراكز الأبحاث. فألف تحية للإعلامي الباحث الأستاذ حميد حلمي زادة لهذه الفكرة الرائعة واللفتة الذكية والجهد المتميز، وأرجو أن يكلل مسعاه بكل التوفيق والنجاح..



كان (قدس سره) يدعو الله دائماً لكي ينصر المستضعفين على المستكبرين

ذاك الذي أيقظ بحاراً من

الإيمان الراكد

الأب الياس زحلاوي

لدى إطلاعي على كتاب « ثورة الفقيه ودولته » لمؤلفه السيد حميد حلمي زادة، أحببت أن أقول فيه كلمة بوصفي كاهناً عربياً من سورية.

عن آية الله الخميني، كتب الكثير وسيكتب الكثير ! إنه معلم هام، بل أحد أهم المعالم في تاريخ القرن العشرين !

كلمتي هذه، أشير فيها إلى نقطة واحدة، اخترتها بين مئات، في هذه الشخصية الفريدة، لأني أجدها من الأهمية بمكان، في الظروف الصعبة الراهنة التي يواجهها العرب والمسلمون في الشرق وفي العالم.

الخميني ... إنسان نبت في أرض إيران و ... نبتت فيه !

تشبّع من ارثها الروحي والفكري. واستوعب تاريخها الديني والاجتماعي والثقافي والسياسي.

عرف إيران الشاهانية ... و لم يحرك ساكناً ...لاحظ ما يحقن فيها من حياة هجينة، بل ودخيلة، ولاحظ ما تزج فيه من تحالفات، سرية وعلنية، وعسكرية وسياسية، وغريبة، بل ومريبة، ولم يحرك ساكناً.

لاحظ كل هذا، وسواه من أمور كثيرة ومغلقة، تقتحم المجتمع الإيراني، بل وتهدده في تكوينه الديني والاجتماعي والثقافي، من قمة الهرم فيه إلى أسفل القاعدة، وقد روضت

---

* عالم دين ومفكر مسيحي كبير في سورية.

فيه الطبقة الحاكمة والمتعلمة والإدارية والتجارية بكليتها، بل اتخذتها ركيزة مضمونة لاجتياحات أخرى قادمة ومبررة، ولم يحرك ساكناً... بل كان كل ما فيه يتحرك في الأعماق، في سكينة وصلاة.

وفيما كان كثيرون يغوصون في الإغواء الكبير، وآخرون يبررونه، وآخرون يدعون إليه، في داخل إيران وخارجها، كان الخميني يتأمل في صمت وصلاة ولا يحرك ساكناً.

وعندما أملت عليه الحكمة، أن ينأى بنفسه عن عيون السلطة وأدواتها في إيران، غادر في صمت وصلاة، إيران الجغرافية، وهو يحملها في عينه وقلبه وفكره ...

واستقر مع إيرانه هذه في قلب الغرب، هذا الغرب الذي أغوى بلده ونخبة بلده ..

وظل ذاته ... ظل ذاته، في تأمل وصمت وصلاة، لسنوات طويلة ... سنوات طويلة، صمت فيها، وخطط، ورسم الشباك، وأقام العلاقات، وهيّأ الأجواء ...

وعندما قرر الخروج إلى العالم الواسع، خرج إليه في أسلوب كان من البساطة والفعالية بحيث لم يخطر قبله ببال أحد.

ولما خرج إلى العالم، خرج من كل شيء إلا من ذاته ! ذلك بأن ذاته كانت تحتوي إيران كلها :

إيراناً تاريخياً وديناً ومجتمعاً وفكراً وتطلعاً مستقبلياً !

وها هو ذا يظل في ذاته، ولئن خرج إلى العالم، لأنه شاء هذا الخروج عودة إلى ذاته في إيران. وقد شاء، بادئ ذي بدء هذه (العودة) صوتاً، أجل صوتاً يحمله تسجيل ليس إلا بآلاف النسخ، بالملايين إلى كل أذن في إيران.

وشاءه صوتاً صادقاً، مؤمناً، جديداً، ولكنه صوت يحمل مشروعاً نهضوياً، شاملاً. وكان الصوت مدروساً بإيمان ودقة. فنشرته آلاف (الشبكات)، المعروفة والسرية والعفوية ...

تلك الشبكات التي كان قد نشرها بصمت وحكمة، وتلك أيضاً التي نسجت ذاتها من وحي صوته ومن وحي الدهشة التي أحدثها هذا الصوت في أعماق الروح الإيرانية !

وإذا بالمعجزة تحدث !

وإذا بالصوت الكبير هذا يوقظ بحاراً من الإيمان الراكد في أعماق الجماهير الإسلامية والمؤمنة، في إيران، ثم في الشرق العربي، ومن ثم في العالم ..

ونهضت هذه البحار المؤمنة من ركودها، وارتفع احتقان مياهها تحت سمع العالم وبصره، وهو لا يكاد يصدق !

وقذفت هذه البحار أمواجها الهادرة والهادئة، قذفتها ذات يوم، في غفلة من السلطة في إيران وفي حيرة من رعاتها في العواصم الغربية الكبرى ... قذفتها ... آلافاً مؤلفة من الرجال والنساء والشبان والشابات والأطفال، إلى شوارع إيران، من أقصاها إلى أقصاها، تواجه بلحمها إرادتها وحسب، يوماً بعد يوم، ودونما توقف، دبابات السلطة وجيوشها وأجهزتها ...

تساقطت الضحايا في صفوف الجماهير، ولكنها لم تطلق رصاصة واحدة ... والجماهير هي هي ! في انتشارها وتصميمها وهدوئها وسقوط الضحايا منها ...

حتى كان يوم توقفت فيه جميع السلطات في إيران وخارج إيران، عن مقاومة هذه المقاومة الجماهيرية الجديدة في التاريخ... يومها، ذات يوم، ارتفع صوت الخميني من إيران ووقف العالم مدهوشاً!

أجل فلئن تكالب الغرب كله على الشرق، بسبب بحار النفط في جوف أرضه، ففي الشرق أيضاً بحار من الإيمان في جوف إنسانه، قادرة على مواجهة كل طغيان، لو أتيح لها من يستوعبها ويوقظها ويوجهها !...

من هنا كانت ضرورة الإطلاع على كتاب (ثورة الفقيه ودولته) وأهمية صدوره في مثل هذا الوقت الدقيق من تاريخ العالم.

الامام الخميني (قدس سره):

.. نحن فخورون بأن أئمتنا المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم كابدوا السجن والابعاد في سبيل اعلاء الدين الاسلامي وتطبيق القرآن الكريم، الذي يعتبر تشكيل الحكومة الاسلامية أحد ابعاده، وهم استشهدوا في النهاية على طريق اسقاط الحكومات الجائرة وطواغيت زمانهم.

.. لقد رأينا مراراً بأن نساء جليلات يقتدين بزينب (عليها سلام الله) يهتفن أنهن فقدن أبناءهن، وضحّين بكل شيء في سبيل الله تعالى والاسلام العزيز ويفتخرن بذلك وهن يعلمن بأن ما حصلن عليه أسمى من جنات النعيم فضلاً عن متاع الدنيا الحقير.

.. يا شعب ايران العزيز: اوصيكم بالمحافظة على النعمة التي حصلتم عليها بجهادكم العظيم ودماء شبابكم البواسل والعمل على حراستها ... إعرفوا قدرها كأعز ما لديكم وابذلوا الجهد من أجلها فإنها المكرمة الالهية العظمى والأمانة الالهية الكبرى، ولا تخشوا المصاعب التي تعترضكم في هذا الصراط المستقيم فـ ﴿ ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾ شاركوا حكومة الجمهورية الاسلامية في تحمّل عبء المشاكل، واعملوا على تجاوز الصعوبات جنباً إلى جنب. (من وصيته السياسية العبادية)

قراءة في وثيقة تاريخية

الأستاذ بسام العسلي

يعرف كل باحث في العلوم الإنسانية مدى الصعوبات عند اقتحامه مجال بحث من الأبحاث يفتقر للمراجع الكافية وللمواد الأولية الهامة (الشواهد والأحداث) غير أن هذه الصعوبات تتعاظم بنسبة طردية مع توافر سيل من تلك المصادر والمراجع حيث تكمن الصعوبات الأساسية باكتشاف مالم يتمكن الآخرون من اكتشافه ووضعه تحت الأضواء الكاشفة؛ ولقد كانت حياة الإمام الخميني حافلة بجلائل الأحداث وعظائم الأمور فسارعت الأقلام الباحثة للبحث والتسجيل والتحليل ــ حتى تبقى الشخصية القيادية للإمام الخميني مناراً في دنيا الظلام؛ ونبراساً في عالم المسلمين؛ ورفداً حديثاً لموروث ما توقف عن العطاء عبر الأجيال؛ ومع مرور القرون ــ فكان جهد الكاتب المسلم (حميد حلمي زادة) نتاجاً مميزاً ضمن هذا المضمار حتى تبقى مدرسة (الإمام الخميني) الفكرية والسياسية كما اراد لها مؤسسها ــ ذات جذور راسخة في عمق الأرض وفروع ترتفع في سماء الدنيا لتظل بوارف ظلالها أهل الدنيا.

١ ــ الإمام في عيون عصره :

لقد كان من الرائع حقاً هذا النهج المختار في قراءة أعمال رائد الثورة الإسلامية الإيرانية وقائدها وإنجازاته خلال مرحلة الثورة وبناء الدولة الإسلامية الحديثة التي

---

* باحث سوري كبير، له مائة كتاب وأكثر من ١٠٠٠ دراسة في القضايا العسكرية والاستراتيجية والتاريخية.

أعادت للشــعب الإيراني أصالته الثورية، ووضعته في موقعه الذي يجب أن يكون عليـــه من حيث وضعه الجيواستراتيجي والديموغرافي والتاريخي في قلب الوطن العربـــي والعـــالم الإسلامي. ولقـــد كان باســتطاعة المؤلف ــ وربما كان ذلك أكثر يسراً وسهولة ــ لــو أنه عمل على اختيار الشواهد وصياغة فصول الكتاب في أبحاث تعالج أعمـــال (الإمـــام الخميني وإنجازاتـــه). وهذا عـــادة ما يحرص عليه كثير من المؤلفين والبـــاحثين، غـــير أن استقراء تلك الأعمال والإنجازات في عيون الآخرين قد أظهرت مدى التأثير العميـــق في تكوين الفكر الإسلامي المعاصر وفي العلاقات العربية والإسلامية من خلال التصميم الثابت على إعطاء الثورة الإسلامية الإيرانية إبعادها الحقيقية، فألتقـــت بذلك وجهـــات نظـــر مختلفة ــ ومتكاملة ــ وهي تمثل الاتجاهات الجديدة التي فرضتها الشـــورة الإســـلامية. وأكدت هذه الشواهد بمجموعها حقيقة ما حدث من تحولات في فترة تصـــاعد الهجـــوم العالمي على دنيا العرب والمسلمين ولعل من أروع ما يمكن اكتشافه عبر قـــراءة إنجـــازات

الإمام في عيون عصره، هو ذاك الجهد المثير لتصحيح كل المســـارات الخاطئة والمنحرفة. والاعتماد بالدرجة الأولى على ما يمكن وصفه (بالثورة الفكرية) حيث تبقى الكلمة هـــي القدرة الأقوى والأكثر ثباتاً في صنع كيان الإمام ونهوض الشعوب.

٢ ـــ الثورة الهادفة :

ضم مؤلف الأستاذ (حميد حلمي زادة) قراءات لفكر حوالي (٧٥) باحثاً ومفكراً عربياً وإســـلامياً ــ فما هو القاسم المشترك الذي يمكن توقعه لمجموع الأفكار التي عـــبر عنهـــا هؤلاء المفكرون بكلماتهم وأقوالهم ؟ هذا القاسم هـــو أن أعمـــال (الإمـــام الخميـــني) وإنجازاتـــه كـــانت تأكيداً لحقيقة الثورة من أنها (ثورة هادفة) وليست مجرد رد فعـــل على حكم جـــائر منحرف، ولا عملاً حاقداً هدفه التدمير والحصول على السلطة، وكيف يكون ذلك لمن جعل الإســـلام نهجاً والقرآن نبراساً وهدى وتشـــريعاً لإعـــادة تنظيـــم علاقـــات الدنيا وأهل الدنيا بحقيقة الوجود وهدف الوجود ؟ وأذن ، فقـــد كـــان مـــن الطبيعي أن تأخذ مسيرة الثورة اتجاهات متوازية أحياناً ومتعارضة في أحيان أخرى ولكنهـــا

تلتقي دائماً عند هدف الثورة ـــ بناء المستقبل على قاعدة ثابتة، قاعدة شرع الله على أرض الدنيـــا. فكان تصحيح المسارات والاتجاهات من أفضل الظواهـــر الصحيـــة الـــتي رافقت الثورة في مرحلة تفجرها، ثم في مرحلة الانتقال لبناء الدولـــة، مما يضمـــــن بقـــاء جذوة الثورة متقدة باستمرار، ومما يسمح لقوى الثورة بالتطوير لتكون (إيران الثـــورة) قوية بعقيدتها، قوية بقدراتها، وقوية بعلاقاتها مع محيطها العربي وأفقها الإسلامي. ويبدو أن المؤلف (الأســـتاذ حميد حلمي زادة) كان واضحاً في هدفه عندما استقرأ أبعـــاد الثـــورة وأهدافها من خلال الفكر السياسي والعسكري والاجتماعي والديني قبل كل شيء وبعده، مما أبرزته شخصية (الإمام الخميني) والتي كان من أقوى عوامل نجاحهـــا، تكوين مدرسة فكرية مهمة اعتمادها قادة إيران لتبقى إيران قوة قادرة لبناء مستقبل إيران، ومستقبل العالم الإسلامي.

٣ ـــ صناعة التاريخ :

وتبقى هناك حقائق كثيرة، ولعل من أبرزها هو أن هذا المؤلف ـــ الجامع المانع ـــ قد شكل وثيقة تاريخية في تسجيل إحداث مرحلة هامة من مراحل الأمة العربية والإسلامية التي اقتضت وفرضت توســـيع دوائـــر الحوار (الوطني والقومي والديني ـــ المذهبي ـــ) لمـــا فيه خير العرب والمســـلمين. فالقضايا المطروحة عبر أقلام المفكرين والقادة والباحثين ممن أدلوا بوجهات نظرهم ومواقفهم، إنما هي أقلام تشكل الأرضية المشتركة لبناء المســـتقبل. وإذن فإن ما أنجزه الإمام الخميني لم يدخل ذمة التاريخ ليرسم حدود مرحلة معينة وفـــترة زمنية ضيقة من تاريخ الشعب الإيراني، وإنما كان إنجازاً لصناعـــة التـــاريخ ذي الظـــلال الوارفة في أفق المستقبل غير محدود. ولعل تلك هي أهم فضيلـــة مـــيّزت قـــادة العـــرب والمسلمين عبر التاريخ، حيث شكّلت أعمالهم وإنجازاتهم نسيجاً متصلاً تجاوز حدود الزمان والمكان.

وضمن هذا الإطار تحديداً يمكن قراءة ما تضمنه كتاب الباحث (حميد حلمي زادة) عندما وضع أعمـــال الإمام الخميني في إطار وثائقي يسجل الحاضر لمصلحـــة المســـتقبل. وذاك هو العمل المثمر. ﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ﴾.



رؤية لاهوتية لشخصية الامام الخميني

الأب الدكتور متري هاجي أثنا سيو

في ضوء مطالعتي الشيّقة لكتاب ثورة الفقيه ودولته ــ إعداد وحوار الكاتب الايراني حميد حلمي زادة، وضعت الأفكار الشخصية الآتية :

في هذه السنين العجاف، وفي ظل الانحرافات الدولية والاستعبادات الاستعمارية الخفية الارهاصات الاجتماعية التي يشهدها عالمنا المعاصر، بزغ نجم شخصية تاريخية فذة بظهور الإمام الخميني، شخصية القرن العشرين ومن صنّاع تاريخه وقد فرض بسيرته المتجلية وحياته الزاهدة، نفسه الرائدة ومشروع ثورته المدوية ودعوته العالمية وتعاليمه المضيئة ومنهج بنائه الروحي وفكره الديني المتحرّر.

فكان قائداً فريداً وملهماً مدرسة ورمزاً كونيّاً تمكن من استقطاب الشعوب الطموحة والجماهير الغفيرة ومجموعات المستضعفين والمعذبين والمظلومين والمهمّشين والمحرومين، ومن استيعابهم في بوتقة واحدة لتحريكهم في وعي وصحوة، ولدفعهم في طريق التحرر وكسر القيود وتبديد الأوهام وإزالة روح الهزيمة ورسم مستقبل زاهر متفائل مثمر.

شقّ الإمام الخميني مسيرة انطلاقة نهضوية في الشرق المعاصر إتّصفت بأفقها العالمي، وشكلت منعطفاً في انفتاح الشرق ضد الفئات المتحجرة والرجعية والراديكالية وضد الهجمات الإمبريالية والاستعمارية التي لم تنل منه أي اختراق مجابهاً بجهاده وصموده وصلابته وشجاعته كل أنواع التحديات والمؤامرات العسكرية والاقتصادية والأمنية، الأمريكية والصهيونية، المعتمدة على المادة والقوة والغطرسة والعربدة، وضد الاستكبار

* كاهن ومفكر مسيحي من سورية.

العالمي حيال الشعوب المستضعفة، مفنداً مقولة كارل ماركس " لا إله، الحياة مادة " ومقدّراً قول ماوتسي تونغ : " إن أمريكا نمر من ورق "وفي هذا كله لم يهادن ولم يجامل ولم يداهن على حساب الحق ... وكان النصر حليفه. فما سرّ هذا الإمام ؟ وأين تكمن قدرته؟ وما هو مستند مواقفه المضيئة المحقة والعادلة ؟

لا شك في أن الإمام الخميني استمد دعوته وثورته وشجاعته من الله، فأخلص له وتوكل عليه وحده وعلى القيم الدينية، وفي الله نشد الحق والكمال. ونرى أن أروع ما خلّفه لمعاصريه و للأجيال المستقبلية، تعاليمه الروحية ونشدان الحب الإلهي والتعلق به وقد حقق في مختبر حياته مسيرة العشق الإلهي. وهذا كله قد تكشّف في مؤلفاته الرائعة .

ولما كان تعبده لله نقياً شفافاً، لم يقدر أن يقدم رضا المخلوق على رضا الخالق. وفي منهجه الروحي سلك طريق العرفان وجسده بالمشاهدة القلبية الوجدانية بقلب نابض بحب الله وطاعته. هذا وتجلت غيرته الإيمانية في مواقفه في شتى المجالات وفي شدة التزامه بأمور الدين.

والإمام الخميني كتلة هائلة من القوى الخيّرة الفعّالة، ونار ملتهبة تذوب عشقاً في الله، ورائد وحامل لواء نهضة ثورية، حملت اسمه خاضها بجوارحه، فتم بها انتصار القيم العليا والعدالة والخير ... والإمام من أصحاب المبادئ الثابتة والقيم العليا الخالدة فنُعجب بمواقفه السديدة :

ـ ففي صراع الحضارات رحّب بالحوار الحضاري الهادئ، والشرق في نموذج حياته داعية للحوار والتسامح.

ـ وفي التعايش الإسلامي المسيحي جسد الواقع المعاش وجنّد له طاقاته.

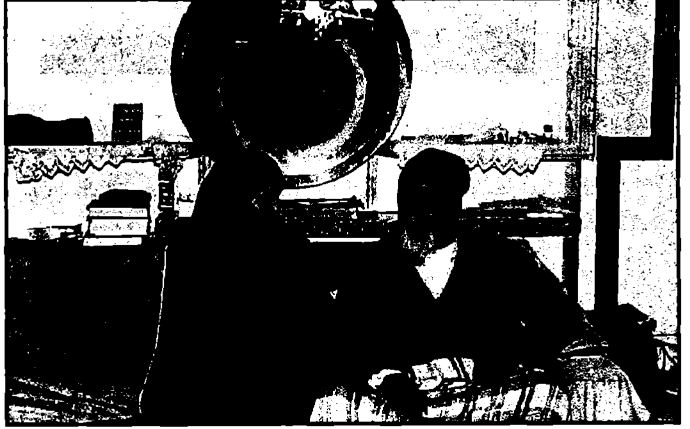
ـ وفي صراعه مع الغرب أجهض الاحتواء الغربي للشرق.

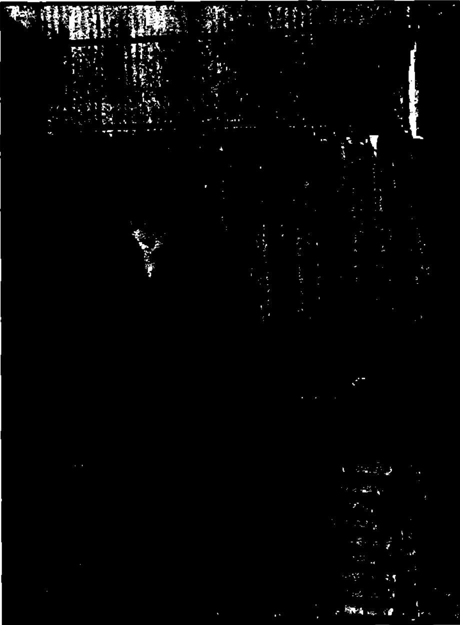
ـ وفي الصراع مع الهيمنة الأمريكية وقف شامخاً للمجابهة.

ـ وفي صراعه مع الكيان الصهيوني كان جذرياً، فهـــذه الغــدة السـرطانية يجـب أن تزول والشوكة في الجسم العربي يجب أن تـــنزع، كـون هــذا الكيــان قائمــاً علـى الإرهاب والاحتلال والغصـــب، وهو غير شرعي ...

والإمام رجل دولة وملهم ثورة ومؤسس مدرسة، ومن عظماء التاريخ إنه خالد بنهجه وإنجازه العظيم وبعده الإنساني ومشروعه النهضوي ومرجعيته المتمــــيزة، دافِعُــهُ إلهــي ومسيرته عشق الله ...

ندعو لهذا الكتاب القيم كل الرواج والإنتشار لقيمته العلمية النادرة.





وقت للعائلة والطفولة
كما
للمسؤوليات
القيادية الجسيمة

إيــران

الدكتور علي المؤمن آل مرتضى

العراق

الاستا ذ الشيخ محمد الآلوسي

المغرب

الاستا ذ ادريس هاني

تونس

الاستا ذ توفيق المديني



هذا ما تركه الامام الخميني من حطام الدنيا ، لكنه خلّف أثراً خالداً في أذهان البشرية على مدى التاريخ

إنجازات العام الأخير من حياة الإمام (رض)

الدكتور علي المؤمن آل مرتضى

كان (روح الله) نهجاً وثورة في حياته، ونهجاً وثورة في موته، ومثلما كانت حياته مليئة بالدروس والأفكار .. فموته كذلك، وفي كليهما كان بليغاً في التعبير عن منهجه، فبلاغته أدهشت عشاقه وأنصاره .. بل وحتى أعداءه.

وكان عمقه وأصالته في نظريته وممارساته وتركته، مدعاة للجميع لمحاولة فهم الإمام الخميني(رض) ومعرفة أبعاد شخصيته أكثر فأكثر، فكان لأهل العلم والدين جولة ولأهل العرفان والأخلاق أخرى، ولأهل القانون والسياسة جولة ولأهل الاجتماع والتاريخ كذلك.

وبرغم الكم الهائل من الدراسات والقراءات التي تمخضت عن تلك المحاولات إلا أنها لم تستوعب جميع جوانب شخصية الإمام الخميني (رض) ونهضته المباركة، وربما لن يحصل هذا أبداً، فبعد كل جهد ناجح في هذا المجال تكتشف أشياء جديدة في الإمام، هي الأخرى جديرة بالبحث والعرفان والتأمل، وهكذا كل لحظة من لحظات حياته.

وهنا يلفت الانتباه مقطع استثنائي قصير من حياة الإمام، تميز بخصوصيات كثيرة، وهو العام الذي سبق الرحيل الفاجع، فخلاله بدأ الإمام الخميني (رض) و كأنه يتحرك على أساس التحضير لسفره الأخير أو أنه يرى بعين البصيرة دنو أجله، بالنظر لما استنبطه هذا المقطع من أفكار ومفاهيم وممارسات ومواقف عظيمة تصب جميعها في مسار ترتيب البيت الإسلامي لفترة ما بعد الرحيل، وذلك لتسهيل مهمة القيادة المستقبلية ومسؤولي البلاد، ورفع أية عقبة يمكن أن تواجههم.

---

* مستشار رئيس منظمة الثقافة والعلاقات الدولية في إيران

ترتيب البيت من الداخل :

على مستوى الوضع الداخلي في الجمهورية الإسلامية اتخذ الإمـــام الخميـــني (رض) أربعة مواقف مصيرية:

أولها: إعلانه الموافقة على القرار (٥٩٨) الصادر عن مجلس الأمن الدولي والذي أدى إلى وقف حرب الثماني سنوات كنتيجة للظروف العصيبة جداً والتي فرضها الاســـتكبار العالــمي مجتمعاً على الجمهورية الإسلامية، إضافة إلى المصلحة الإسلامية العليـــا والـــتي اقتضت الموافقة على القرار، وهو ما يجسد أيضاً نظرة الإمام الواقعية للأحداث، وتعاملـــه معهـــا ببصيرة متفحصة وغاية في الدقة. ويعد ذلك مكسباً كبيراً للجمهورية الإســـلامية التي كانت يومئذ مهددة بحرب إستكبارية عالمية شاملة ضدها.

وعبرت الأمة المسلمة في إيران وخارجها عن طاعتها الكاملة للإمام وأوامره، وقبولها لما يرتضيه، وكان أحد مصاديق ذلك، المظاهرات المليونية التي خرجـــت في جميـــع المـــدن الإيرانيـــة في أوائل أغسطس ١٩٨٨م، أي بعد أقل من أسبوعين على إعلان موافقة الإمام الخميني (رض) للتعبير عن تجديد بيعة الأمة له.

الثاني: بعد الهدوء الذي ساد جبهات الحرب، بدأ الإمام الخميني (رض) يهيئ لقضية خلافته، وبدأ يشير إلى آية الله الخامنئي كشخصية قيادية لائقة يمكنها ملء الفراغ، فحـــين سأله الشيخ الهاشمي الرفســـنجاني عن الفراغ الذي سيحدث بعد رحيله، أجاب الإمـــام: "ان لديكم من يسده .. انه السيد الخامنئي".

الثالث: في السياق نفسه جاءت رسالته إلى آية الله المشكيني (رئيس مجلس الخبراء) في نهاية ابريل ١٩٨٩م بشأن الفصل بين القيادة والمرجعية في الدستور، والتي سمحت للجنة بإعادة النظر في الدستور وتجاوز العقبات التي تقف أمام تغيير هذه المادة، ومن ثم تســـهيل مهمة مجلس الخبراء بانتخاب القيادة الجديدة بعد رحيل الإمام.

وكان الإمام الخميني (رض) قد شكل في ابريل ١٩٨٩ لجنة مـــن كبـــار علمـــاء الديـــن ومســـؤولي البلاد لغرض إعادة النظر في دستور الجمهورية الإسلامية الإيرانيـــة وتعديـــل

بعض مواده ، مؤكداً ضرورة معالجة بعض الثغرات فيه، والتي كانت قد برزتكإشـــكالات ملحة خلال تجربة العقد الأول من عمر الجمهورية الإسلامية، ولعل أهمهـــا كمـــا أشـــار الإمام، هو قضية القيادة وقضية المركزية في السلطتين التنفيذية والقضائية إضافـــة إلى مـــا يتعلق بمجلس الشورى الإسلامي وبمجمع تشخيص مصلحة النظام.

الرابع: أصدر الإمام الخميني (رض) بياناً ثانياً موجهاً إلى علماء الإسلام على جـــانب عظيم من الأهمية كان الإمام فيه غاية في الصراحة والوضوح وتحمل المسؤولية تجاه جميـــع الأشياء التي تحدثت عنها ولاسيما ما يرتبط بموقف العلماء المتحجرين من الثورة والحكـــم الإســـلاميين سواء قبل انتصار الثورة أو بعده وكذلك موقـــع العلمـــاء ذوي الأصالـــة ودورهم كقادة وكطليعة في الجهاد والشهادة.

وأوضح الإمام في البيان أيضاً موقفه من مسار حركة التفقه والاجتهاد في الحـــوزات الدينية، فأكد قدرة الفقه الإسلامي وحيويته على استيعاب كل قضايا العصر ومتطلباته.

لاشك بأن هذه المواقف التي اتخذها الإمام على صعيد الداخل الإيراني كـــانت ذات أهمية وحساسية خاصة بالنسبة للجمهورية الإسلامية، بل هي أشبه بصمام الأمـــان لهـــا، فحققـــت وجودها وكرست موقعها وحفظتها من أية عـــوارض أو هـــزات يمكـــن أن تتعـــرض لها مستقبلاً.

أما على المستوى الثاني أي مواقف الإمام خارج حدود البيت الإسلامي الإيرانـــي، فإنها لم تكن أقل أهمية بل كانت ترتبط بمصير المسلمين دون استثناء مســـتقبلهم ولعـــل أبرز محطتين يمكن الوقوف عندهما بهذا الشأن هما:

أولا: رسالته إلى غورباتشوف التي عبرت عن اتجاه الإمام الخميني (رض) للانطلاق بالدعوة للإسلام على مستوى القيادات العالمية وكانت تحمل طابعاً عقائدياً أكثر منه سياسيا، وجاء توقيتها منسجما مع طبيعة الأوضاع السائدة آنذاك في الاتحـــاد الســـوفيتي والفـــراغ العقائدي الذي يعاني منه، فدعا الإمام الخميني غورباتشوف إلى التعرف إلى عقيدة الإسلام وفهمها، لأنها الكفيلـــة بإنقـــاذ الاتحـــاد الســـوفيتي والعـــالم أجمـــع. كمـــا جســـدت

الرسالة نبوءة الإمام التي تحققت فيما بعد، بانهيار الكتلة الشرقية. لقد قال لغورباتشوف: ان البحث عن الشيوعية ينبغي أن يتوجه من الآن فصاعداً إلى متاحف التاريخ العالمي.

ومن يدري .. فلو قدر للإمام البقاء سنوات أخرى لدعا قادة آخرين للدخول في رحمة الإسلام، ولتبنّيه كنظام اجتماعي بديل عن الأنظمة الوضعية السائدة.

ثانيا: الحدث الآخر الذي أكد موقع الإمام قائداً للعالم الإسلامي، ومدافعاً عن قضاياه و حاملاً لهموم أبنائه ومعاناتهم ، هو فتواه بقتل المرتد سلمان رشدي التي أصدرها في فبراير ١٩٨٩م والتي تحولت إلى موقف عملاق وقضية كبرى تشكل رمزاً آخر للصراع الحضاري بين الإسلام و الاستكبار العالمي ، ثم تحولت إلى إطار لوحدة المسلمين والموحدين تحت راية الإمام من جهة ووحدة معسكر الكفر والشرك تحت راية الغرب من جهة أخرى.

وكان من دوافع إصدار الفتوى – فضلاً عن كونها حكما شرعياً – سّد الطريق على من يحاول مستقبلاً التجرؤ على الإساءة إلى الإسلام ومقدساته بالشكل الذي فعله رشدي، الذي طعن في أقدس الشخصيات الدينية وفي مقدمتهم أنبياء الله (عليهم السلام) فنسب إليهم الكذب والقبائح – والعياذ بالله – وقد رفض الإمام توبة رشدي، وأصر على معاقبته، وعدم التراجع عن الفتوى مطلقاً، لأنها قضية عقائدية وشرعية لا عودة فيها، كما حال دون تمييع القضية، وتمرير المؤامرة الكبرى التي صيغت في الغرب بعناية فائقة، كما حال دون تحولها إلى قضية سياسية ترتبط بمواقف الجمهورية الإسلامية السياسية، لكونها ذات علاقة أساساً بحكم الإسلام في موضوع الردة.

وحين شارفت حياة الإمام على النهاية، كان قد استكمل معظم إجراءاته، ضمن قرارات ومواقف قد لا يجرؤ أحد من المسؤولين – مستقبلاً – على اتخاذها، بحيث مهد الطريق على أفضل وجه – لتسليم الأمانة الكبرى. فكانت الإنجازات الفردية لذلك العام الحزين، مكرمة منه وعطية للأمة ولقيادتها المستقبلية، ومنقبة أخرى تضاف إلى سجله المشرف الحافل بالعطاء والكرامات.

وأغمض الإمام الخميني (رض) عينيه إلى الأبد .. ليلتحق بحبيبه الأعلى بنفس مطمئنة وروح فرحة باللقاء.

البعد الوحدوي في فكر الإمام الخميني

الشيخ الأستاذ محمد الآلوسي[1]

في العام ١٩٦٤ جاءنا الشهيد عبد العزيز البدري[2] في قصبة الأعظمية في بغـــداد فرحاً مسروراً يحمل إلينا بشارة وجود عالم مجتهد من علماء إيران في مدينة النجف اسمـــه روح الله لخميني أُخرج من بلده بسبب معارضته لحكم الشاه يدعو لإقامة دولة إســـلامية لجميع مسلمي العالم من خلال أطروحـــة فقهية بعنوان ـــ ولاية الفقيه ـــ وقد كنـــا في حينه لا نزال شبابا لم نتجاوز الثلاثين مـــن أعمارنا منخرطـــين في العمـــل الإســـلامي، متطلعين إلى هذا الهـــدف الكبير الوارد في ثنايا كتابات الإسلاميين أمثال الشيخ حســـن البنا وأبو الأعلى المودودي والشهيد سيد قطب ونعتبره حلماً من الأحـــلام لا بـــد وأن يتحقق عاجلاً أو أجلاً على يد من يريد الله به خيراً ..

لقد كان هؤلاء الذين ذكرتهم وأمثالهم من، أهل السنة، ولم نكن في حينه مطّلعـــين على ما يراه الشيعة، وما كتبوا عنه بهذا الشأن. ولذلك كانت فرحتنا بالخبر الذي حملـــه إلينا الشـــهيد البدري شديدة، فقررنا التوجه بمعيّته إلى حيث يقيم السيد الخميني طيـــب الله ثراه، وفي زيارتنا الأولى له استمعنا منه ما يؤكد هذا التوجه وحدثنا بإيجاز عن ولايـــة الفقيـــه التي ينـــادي بها ويلقيهـــا دروساً على طلبة العلم في ـــ حوزته ـــ فوجدناهـــا مضموناً وحدوياً .. لأن مـــن يتـــولى أمـــر المســـلين خـــلال غيبـــة الإمـــام الثـــاني

---

[1] زعيم الكتلة الإسلامية في العراق ـــ مقيم في السعودية.

[2] الشيخ عبد العزيز البدري من كبار علماء أهل السنة ومن دعاة التقريب بـــين المذاهـــب الإســـلامية استُشهد في العراق عام ١٩٦٩.

عشر في عقيدة الشيعة الإثنى عشرية يشترط فيه أن يكون فقيهـا عـادلاً، و هـذان الشرطان هما من ضمن شـروط أهل السنة التي يجب أن تتوفر في ولي أمـر المسـلمين إضافة للشروط الأخرى، مثل الحرية والبلوغ والإسلام والعقل، وأحسـب أنهـا عنـد صاحب الأطروحة من قبيل تحصيل الحاصل التي لم يجد داعياً لذكرها في كتابه الحكومـة الإسلامية وولاية الفقيه ـ لذلك تكررت زياراتنا له للاستزادة منه، وكادت أن تكـون دورية شهرية إلى أن استشهد الشيخ البدري وتعرّض الإسلاميين في العراق لحملة إبـادة جماعية لم ينج منها سني ولا شيعي ثم قامت الثورة في إيران وسـقط حكـم الشـاه بزعامته وقيادته الصلبة الصادقة، فقدمنا له ونحن خارج العـراق ـ مذكرة ـ تتضمـن آليات تحويل الأطروحة إلى واقـع لإقامة الدولة الإسلامية في إيران على نفس الأسـس التي قامت عليها دولة الإسلام الأولى في المدينة عالمية منذ أول تكوينها .. بلال الحبشـي، وصهيب الرومي، وسلمان الفارسي، وعلي بن أبي طالب العربي الهاشمي القرشـي بقيادة الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى آله الطيبين وصحابته وأتباعه الصادقين، ثم عقبناهـا بزيارة إلى إيران، فوجدنـا أن وقعها في نفس السيد الخميني ومشـاعره كـان جيـداً

فحمدنا الله وشكرناه ثم كان صدور الدستور فوجدنا المادة الحادية عشرة منه تنص على ما يلي :

ـ بحكم الآية الكريمة ﴿ وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون ﴾ فإن المسلمين أمة واحدة وعلى حكومة جمهورية إيران الإسلامية إقامة سياستها العامة على قاعدة ائتلاف واتحاد الشعوب الإسلامية، وأن تواصل جهودها من أجل تحقيق وحدة العـالم الإسـلامي السياسية والاقتصاديـة والثقافية .. فوجدنا في منطوقها ومضمونهـا، فكـر الخميـني، ونَفَسَه، وعندما تحرّينا عن ذلك علمنا أن السيد الإمام هو الذي أصرّ علـى إثباتهـا في الدستور وأن صياغتها عرضـت عليه أكثر من مرة إلى أن اعتمدها بصيغتهـا النهائيـة، فقلنا الحمد لله لقد أثبت الرجل أنه صادق الوعد إبراهيمياً محمدياً حسينياً وحدوياً.

أذكر أنه بعد قيام الثورة ونجاحها بأسابيع أصدر المرحوم أبو الأعلى المودودي أمير الجماعة الإسلامية في باكستان بياناً يدعو الإسلاميين فيه إلى مساندة الثورة وقائدها السيد الخميني الذي وصفه بالمسلم الصادق الذي يسعى لتحقيق وحدة المسلمين، فقررنا الاتصال بما لا يقل عن مائة شخصية إسلامية، لها وزنها وتأثيرها للذهاب إلى إيران وعقد البيعة للسيد الخميني إماماً للمسلمين، وعرضنا المشروع على من علمنا أنهم على نهج الإمام حقا أمثال بهشتي وباهنر وقدوسي ومفتح ومحمد علي رجائي فلاقت قبولاً منهم وتشجيعاً، إلاّ أن آخرين مثّبطين عارضوها. ثم جاء العدوان العسكري على إيران وانشغالها بالحرب واستشهاد الذين هم على نهج الإمام الوحدوي في ساحات المعارك أو الاغتيال، ثم أضيف إلى ذلك عامل الشيخوخة والمرض، فتوقف المشروع عملياً. والذي أريد الإشارة إليه أن الإمام الخميني، قد خطا في حياته خطوات عملية وحدوية رغم كثرة المشاكل التي أحاطت بإيران الثورة. ولم يكن نظريا فقط ولا متاجراً بشعارات الوحدة لتحقيق أهداف موضعية مؤقتةّ، أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي :

فتواه الموفقة للشيعة الذين اتخذوه مرجعاً دينياً لهم بالصلاة خلف أئمة الحرمين الشريفين من أهل السنة، وهي فتوى قطعت ألسنة كثيرة كانت تهمز وتلمز وتشكك في وحدوية الرجل إن لم تشكك حتى في صحة إسلامه وصدق إيمانه.

أما الموقف الوحدوي الكبير فهو موقفه من القضية الفلسطينية الذي قلب به الطاولة على المتاجرين بها والمتآمرين عليها.

لقد ألغى اعتراف إيران بالكيان الصهيوني وحوّل سفارة الكيان الصهيوني إلى سفارة دولة فلسطين. وجعل أخر جمعة من رمضان من كل عام يوماً للقدس يذكّر فيه المسلمين بمسؤلياتهم لتحريرها، ولم يكتف بذلك وإنما قرر تكوين جيش القدس ليضم أربعين مليوناً من المسلمين لتحرير فلسطين، فأعاد بهذه الممارسات الوحدوية إلى القضية الفلسطينية بعدها الإسلامي الأصيل نطاقاً ومضموناً بعد أن حولها المتآمرون المزايدون إلى قضية عربية أولاً ثم فلسطينية خاصة بالفلسطينيين لكي يخلو لهم الجو لإبرام الصلح والاعتراف بالكيان الصهيوني الغاصب، ولكي يتحولوا إلى وسطاء بين الكيان

والفلسطينيين، وأخرى قضية منظمة التحرير التي جعلوها الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني بعد أن ضمنوا لها زعامة تقدّم التنازلات تلو التنازلات للعدو الغاصب.

يقيناً لو أن الله قد أمدّ بعمر الإمام ولم يقع فريسة المرض ولم تداهمه الشيخوخة لأقدم على خطوات وحدوية ورد النص عليها في الدستور وتضمنتها أطروحة ولاية الفقيه، لأنه كان يؤمن إيماناً صادقا راسخا بأنّ وحدة المسلمين فريضة شرعية، وضرورة حياتية أيضاً الآن لمواجهة الهجمة الصليبية الصهيونية على المسلمين من دون تمييز. رحم الله السيد الخميني وجزاه خير الجزاء على خطواته الوحدوية يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

الفقيه الجماهيري

الاستاذ ادريس هاني

حينما طلب مني الزميـــل الكاتب والصحفي حميد حلمي زادة، المســـاهمة في الطبعة الثانية لكتابه القيم (ثور ة الفقيه ودولته) كان في الواقع قـــد وضعـــني في الزاوية الحرجة، وأمام اختبار حقيقي، لأن الكتابة حول رجـــل عمـــلاق كالإمـــام الخميني، هي صعبة مستعصية، يدرك ذلك من أدرك سيرة هذه الشــــخصية الـــتي تركت بصمات غائرة على صفحة التاريخ الحديث. ليس غريباً على صحفي نشـــط وذكي كالأخ الأستاذ حلمي زادة أن يختار لصدور كتابه هذا وقتاً مناســـباً شـــأنه شأن كل المحاور التي اعتاد أن يمتع بها قراءه على صفحـــات (كيهـــان العربـــي)، فالكتاب نجح في أن يضم بين دفتيه شهادات لفيـــف مـــن العلمـــاء والمفكريـــن والمثقفيـــن العرب، الذين استوعبوا اللفظة الخمينية وأهميتها في ظل التطورات التي شهدتها المنطقة، وهي شهادات تتسم بالإجماع ويعترف بها الخصم قبل الموالي.

أثناء زيارة سابقة لإيران، استلفتت انتباهي مفارقة عجيبة. فـــالضريح الـــذي يحتضن جثمانه الطاهـــر، بـــجوار الشهداء الذين ازدانت بهـــم مقـــبرة بهشـــت الزهراء، هو صـــورة مناقضـــة تماماً للبيت الذي كان يقطنه في جمـــران أو البيـــت الذي لا يزال شاهداً على زهده في مدينة قم المشرفة.

---

* استاذ باحث في الفكر العربي المعاصر، عضو اتحاد الكتاب العرب في المغرب ــ من مؤلفاته محنة التراث الآخر، العرب والغرب، ما بعد الرشدية، حوار الحضارات.

فبقدر زهد هذا العظيم، تشمخ الذكرى ومراسيم، التخليد بعد وفاتـــه إنـه بجدارة حكيم إيران المعاصرة : عكازة، عباءة، نظارة متواضعة، أستطيع أن أجزم بأن كل ما تركه من أغراض قد لا يســـاوي ثمن قارورة عطـــر، انتصبـــت شـــامخة في متحف، أما بيته في جمران فهو أقل أثاثاً من عابر سبيل.

حكيم إيران المعاصرة، واضع فلسفة جمهوريتها، ومعلم قادتها وأبنائها ... الأب الروحي لشـــعب وضع ثقته في قائده، جاعلاً من إيران ــ الرجل المريـــض زمـــن الشـــاه، بؤرة التحول في المنطقة وفي العالم الحديث. حكيم إيران المعـــاصرة الـــذي زرع في نفوس شعبه الثقة بالذات، جعل المستقبل واعداً على الرغـــم مـــن كـــل الصعوبات.

أن يكون المرء فقيهـــا، معناه، أن يكون عالماً بالأحكام. وفي العرف العلمي الحوزاتي، أن يكون مجتهداً حائزاً على ملكة استنباط الحكم الشرعي. فإذا اتســـعت هذه الملكة واشـــتدت لتبلغ اقتداراً إضافياً على تشخيص ما استجد من موضوعات، صار هذا الفقيه فقيها عضوياً.و أعني بالفقيه العضوي هاهنا، المعنى الـــذي أطلقـــه المفكر الإيطالي غرامشي على المثقف العضوي الذي يجيد السباحة في بحر الجماهـــير، ويتحمل معاناة مجتمعه ويحمل قلباً كبيراً ينبض بنبضهم، الفقيـــه العارف بالأحكام – بلا شك – كان ولا يزال وسيظل بين ظهرانينا، لكن الفقيه العضوي نـــادر نـــدرة الكبريت الأحمر، شأنه تماماً شأن المثقف العضوي.

ولعل الزهد هو واحد من أهم الركائز التي تنهض عليهـــا شـــخصية الفقيـــه العضـــوي. إن حكيم إيران الذي أمسك بناصيـــة الأمبراطوريـــة الشاهنشـــاهية ومقدراتها عاش كما كـــان من قبل ذلك، أقل مستوى من حيـــاة أبســـط زعيـــم إسلامي في حركة إسلامية. لقد مات رحمه الله في أمبراطوريـــة فـــارس الغارقـــة في الديباج دون أن يترك بيتاً. قائد دولة عظمى يدفع إيجار اً لبيت شـــعبي في جمـــاران.

وقائد دولة عظيمة يغضب حينما فكروا في تخصيص بيت مهيـــب لـــه، ويرفــض التدفئـــة في المســـتشفى في آخر أيامه، لأن ثمة في أطراف إيران فقـــراء لعلهـــم لم ينعموا بهذه التدفئة، و كأنه يستحضر عبارة لأمـــير المؤمنين علي بن أبي طـــالب : كيف أبيت مبطاناً وحولي أكباد تحن إلى القدّ ... أو لعل باليمن من لا عهد له بالشبع ... أو قوله : أأقنع من نفسي بأن يقال أمير المؤمنين ولا أشاركهم في جُشوبة العيش ومكاره الدهر.

لفت انتباهي أن (بهو) الحسينية التي كان يقيم فيها في مدينة قم غير مزلج ... وأخبـــرني بعضهم أن البلاط بعد أن تقادم وحاول بعضهم تغييره، اقـــترح عليهـــم الإمام (رض) بأن يســـتعملوا البلاط نفسه، وقلبه مستخدمـــين وجهـــه الآخر ـــ الأسفل ـــ إنه زهد ما بعده تفنن في الزهد ... وإبداع ما بعده إبداع في القناعة.

هو صنيعة محلية لا يمكنها أن تمنح من الخارج، لقد حدد حكيم إيران مهماتهـــا الحضارية وكشف عن عودها الحقيقي وشخصّ شياطينها المتربصة.

حكيم إيران المعاصرة هو واضع القوانين الجديدة لشعبه وتدابيرها، من تدبـــير النفـــس كعارف قدير، مرورا بتدبير العقل كمفكر وفيلسوف وفقيـــه، إلى تدبـــير المدينة كمناضل وقائد سياسي مجاهد.

استطاع الإمام الخميني أن يجعل من إيران قلعة صـــامدة في وجـــه الاســـتكبار العالمي، في إصرار لم تبلغه إرادة قائد أو دولة أخرى من الدول، ليكون قوام مشروعه (الجهاد) بتفريعاته الثلاث : الجهاد، المجاهدة، الاجتهاد . الثلاثية التي تمثـــل أمـــتن قاعدة لنهضة الأمم وسيادة الخير في مواجهة الشرور. فمفتـــاح التحـــرر وتقريـــر المصيـــر والعزة والكرامة والاستقلال، هو الجهاد، فما ترك قوم الجهاد إلا ذلـــوا، وقد كان حكيم إيران أكبر مجاهد شهده التاريخ الحديث إصراراً و صمودا وتحديا.

ومفتاح الخير والصلاح (إصلاح النفس)، هو المجاهدة (مجاهدة النفس = الجهاد الأكبر). وقد كان حكيم إيران هو أكبر العارفين الذين شهدتهم إيران المعاصرة، الحكيم الذي تتبع نفسه بالتدبير وانتصر على النفس وحقق معجزة العروج الروحي.

ومفتاح الحداثة والعمران والبناء هو الاجتهاد. وقد كان حكيم إيران أكبر المجتهدين فقيهاً مجدداً. محور الخير كله في ثلاثية الجهاد والمجاهدة والاجتهاد، أقام الخميني عليها بنيان المعاصرة في هذا الممشى المعطر بحب الله والمتطلع إلى الرضا من آل محمد (ص).

وطبيعي أن يطالعنا راعي البقر الجديد، واصفاً إياها كواحدة من ثلاثة يشكلون محور الشر. لأنها لا زالت واحة يسكنها الأشراف والأحرار، ولأنها ما زالت متمنعة باسم حكيمها الشاهد، على الانخراط في دورة الشر العالمي الذي تقوده إدارة رعاة البقر.

لفت انتباهي تواضعه الكبير، مع أنه شامخ بكبرياء في جهاده ضد المتغطرسين، لقد كان الإمام يدرك كيف يخفض جناحه لشعبه، وكيف يرى نفسه صغيراً أمام عظمة ذاك الطفل الذي حصدته الآلة العسكرية في ثورة خرداد (حزيران ١٣٦٣). إنه أكثر تواضعاً من أبسط قائد أو زعيم لحركة إسلامية.

لم يكن في العرفان راويا متعلما ... أو هاوياً ... بل كان صاحب سفرات عقلية وتحليق في الملكوت ... ولم يكن منزوياً، سلبيا، طرقيا متكهنا ... بل كان حيوياً. ومع ذلك لم يشأ أن ينشئ علاقة بأتباعه وطلبته على أسس عرفانية أو على اساس علاقة الشيخ والمريد ... بل كانت علاقته بهم علاقة علمية فقهية مبنية على مسؤولية الأعلم في أن يبادر، وعلى مسؤولية الطالب في أن يتعلم. لم يستثمر الإمام الخميني خبرته العرفانية وكراماته وحالاته التي تفيض بالأسرار، للتسلط على

من حوله. بل كان يعتبر ذلك سراً مكنوناً بينه وبين معبوده. ودعماً إلى أن يكـــون الطريق إلى العرفان، الفقه والشريعة.

لقد بنى قلعة للصمود ... وضخّ روحاً جديـــدة أعـــادت الثقـــة إلى نفـــوس المستضعفين ... وهزّ جذوع المستكبرين وأدخل الرعب في نفوسهم ... مات الخميني وتـــرك إيران قلبا نابضا بالمسؤولية والطموح والتحدي ... مات ولم يترك بيتـــاً أو رصيـــداً في البنك ... مات وقد أوصى بأن لا يكون لولده شيئاً بعـــده ... مـــات مجاهداً ونظيفـــاً وبطلاً ... وقد برهن على أن البلد الذي أنتج سلمان، قـــادر وفي كل زمن، أن ينتج خمينيّاً ...

ولكن إلى متى نصدق بأن الإمام الخميني مسكين مات ولم يترك ثروة وراءه ؟! إن هذا الكتاب الذي بذل الصديق حميد حلمي زادة، صبراً كبيراً، في تأليفه دليـــل واضح على مدى تعلق الأمم والشعوب والقوى الحية، ممثلة برموزها وشـــخصياتها، بالامـــام الراحل لأنه كان بالنسبة لهم أمثولة دهره في النقاء والصـــدق والقيـــادة الرائدة التي ينبغي الاهتداء بها.

كلا مامات الإمام، لأنه ترك أكبر ميراث ممكن، إنه ترك جماهيراً عريضة في إيران وفي بلاد الأرض كلها وهي مابرحت تهتف باسم الخميني صباح مساء ...

الامام الخميني (رض):

.. ليعلم العلماء المحترمون والمراجع العظام، بأن أعداء الاسلام والدول الاسلامية، وهم القوى الكبرى، الناهبون العالميون، يتغلغلون تدريجياً وبدقة في بلدنا والبلاد الاسلامية الأخرى، ويوقعون الدول طعماً للاستعمار بأيدي أبناء شعوبها ... كونوا على حذر وتنبهوا، وحالما تشعرون بأول خطوة تغلغل، هبّوا للمواجهة ولاتمهلوا الأعداء، وربكم هو حافظكم ومعينكم.

.. لا تظنوا أن القيادة في حد ذاتها، هدية أو مقام سام، بل هي واجب ثقيل وخطير، والزلة فيها إن كانت -لا سمح الله- اتباعاً لهوى النفس، تستجر العار الأبدي في هذه الدنيا ونار غضب الله القهار في الآخرة.

.. السادة علماء الدين المحترمون : لا تظنوا ان معجزة ستقع ليتم اصلاح العالم في يوم واحد، أي اليوم الذي يظهر فيه المصلح العام ان شاء الله تعالى .. بل يجب عزل الظالمين والقضاء عليهم بالجهود والتضحيات. وإذا كنتم تقولون مثل بعض العوام المنحرفين؛ إنه من أجل ظهور ذلك العظيم (الامام المهدي المنتظر)، ينبغي العمل على ترويج الكفر والجور حتى يملأ الظلم الأرض، وتتحقق علامات الظهور، فانا لله وانا إليه راجعون. (من وصيته السياسية العبادية)

الإمام الخميني ومحاربة نهج التسويات الإستسلامية

الاستاذ توفيق المديني

في ذروة المأزق التاريخي للحركة القومية العربية ، ظهرت الثورة الإسلامية الإيرانية بزعامة مرشد الثورة آية الله العظمى الخميني . و لم يكن مصادفة أن تنجذب الثورة الإسلامية الإيرانية نحو العلامة الأكثر تذكيرا و الأكثر محاذاة للوجه المشرق من القومية العربية ، أي نحو الثورة الفلسطينية ، باعتبارها أقوى بؤر المناعة الوطنية الجادة في منطقة الشرق الأوسط .

و تميزت الثورة الإيرانية منذ انطلاقتها بحضورها القوي و الفاعل على المسرح الإقليمي ، و ذلك من خلال الخط الجهادي الذي أرسى أسسه الإمام الخميني دام ظله، و الذي يقوم على مواجهة أعتى هجمة استكبارية من الغرب ، متجسدة في قوة الإمبريالية الأميركية ، التي عملت و لا زالت تعمل على إفراغ الثورة من مضمونها الرسالي الذي أنعم الله به عليها . فالإمام الخميني القائد أكد و لمرات عديدة " أن أمريكا هي سبب كل مصائبنا و هي أم الخبائث ... و نحن إذ نحاربها فلا نمارس إلا حقنا المشروع في الدفاع عن إسلامنا و عزة أمتنا " .

و لم يجد رئيس الاستكبار العالمي الحالي جورج دبليو بوش أي حرج في وضع الجمهورية الإسلامية الإيرانية ضمن " محور الشر " في المؤتمر الذي انعقد في ٢٩ كانون

---

* باحث وكاتب تونسي

الثـاني عقب أحداث ١١ أيلول ٢٠٠١ . و الطريف في الأمر أن مفـردة " الشـر " كانت و لا زالت حكرا على القادة في الإدارة الأمريكية دون غـيرهم مـن قـادة دول الغرب ، فضلا عن أن القادة الأمريكيين يتشبثون بهذه المفردة في كل لحظة إلى درجـة اقحامها,و للابد في ثقافتهم السياسية المختلفة عن ثقافة الشعوب السياسية.

و ها هي الولايات المتحدة الأميركية تضع الخطط الجهمنيـة مـن أجـل مهاجمـة الجمهورية الإسلامية الإيرانية ، بهدف النيل من استقلالها الوطني ، و حرفها عن المسـار السياسي و الإيديولوجي و النضالي الذي رسمه لها الإمام الخميني ، مـن أجـل مقارعـة الاستعمار الأمريكي الجديد .

و بعد أن كانت الشيوعية هي العدو الرئيسي للولايات المتحدة إبان الحرب الباردة ، ها هي الإدارة الأمريكية عادت إلى مقولاتها المعهودة مقولات السياسة المزدوجة " الخير و الشر " ، و ذلك في كل مرة يظهر لها عدو جديد ، و هذه المرة الإسلام الجهادي الـذي طوره الإمام الخميني — حيث يعد جورج بوش العدة لمهاجمة العراق بذريعـة امتلاكـه أسلحة الدمار الشامل ، و كذلك إيران أيضا، بدعوى أنها ترفـض و تقـاوم المخطـط الأمريكي — الصهيوني للتسوية الاستسلامية، التي تريد تصفية القضيـة الفلسـطينية، و تدعم الحركات الجهادية الإسلامية المستمرة في النضال من أجل تحرير فلسطين .

و منذ انتصار الثورة الإسلامية في إيران ، أعطى الإمام الخميني الأولويـة الكاملـة للقتال ضد الكيان الصهيوني و لتحرير الأراضي المحتلة . و هو ما انفك يؤكـد دائمـا ضرورة تعبئة جميع القوى الوطنية و الإسلامية داخل فلسـطين المحتلـة و خارجهـا ، و توظيف جميع الطاقات الموجودة لاستئصال " الغدة السرطانية " دون تضييع الوقـت . و في خطابه عام ١٩٨٢ بمناسبة الذكرى السنوية لانتفاضة (١٥ خرداد) . وصف الإمـام الخمينـي معاهدة (كامب ديفيد) و (مشروع فهد) الهـادفين لدعـم" إسـرائيل" و جرائمها بأنهما من " أخطر الأمور " ، و وصف المعاهدة المذكورة بأنها مخالفـة لمصـالح المسلمين و خيانة للإسلام.

و في رأي الإمام الخميني إن تأييد مشروع اعتراف المسلمين " بإسرائيل " هو كارثة للدول الإسلامية و ليس فخرا ، و إن معارضته " فريضة إسـلامية كـبرى " و وقفـت الجمهورية الاسلامية الإيرانية المستلهمة و المهتدية بخط الإمام الخميني ، موقفا حازما مـن مؤتمر مريد، و من اتفاقية أوسلو ١٩٩٣ ، و من اتفاقية وادي عربة ١٩٩٤ ،بوصفهـا سـياسات تعكس رضوخ الإدارة العربية و الفلسطينية الرسمية ، و هذا لا يقره الإسلام، و هذه السياسات تقود إلى تصفية قضية فلسطين . و لذلك فإن خط الإمام الخميني لا يقر مؤتمر مدريد ، و لا يوافق عليه ، و يرفض و يقاوم اتفاقات الإذعـان و الاستسـلام ، و يدعو إلى دعم الانتفاضة و إلى خيار المقاومة في فلسطين المحتلة, من أجل هزيمة المشـروع الصهيوني ، و تحرير القدس .

و على هذا الأساس فإن العدوان الصهيوني المستمر لا يرد إلا بالتضحيات من كـل المسـلمين . و الحرية لا تعطى و إنما تسترد ببذل المهج و الأرواح . و هذا هـو نهـج الإمام الخميني فيما يتعلق بطرد المستعمرين الغزاة الصهاينة و حلفائهم الأمريكيين، و تحرير فلسطين، و تقرير الشعب الفلسطيني مصيره بأيديه .



رسالة الإمام الخميني إلى السيد غورباتشوف

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة السيد غورباتشوف رئيس المجلس الأعلى لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية.

مع التمنيات بالتوفيق والسعادة لكم وللشعب السوفياتي.

لقد وجدت أنه من الضروري التذكير بأمور بعد تسلمكم السلطة، لشعوري بأن حضرتكم قد بدأتم دوراً جيداً من التحليل السياسي وإعادة النظر والتعامل مع قضايا العالم وقضايا الاتحاد السوفياتي بشكل خاص، وأن جرأتكم وشجاعتكم في التعامل مع الأحداث العالمية، التي كثيراً ما تكون سبباً لتطورات جديدة، وسبباً لاضطراب المعادلات الجارية التي تسود العالم، لهي جديرة بالثناء.

مع أنه من الممكن أن يكون إطار تفكيركم وإجراءاتكم الجديدة مجرد طريقة لحل المعضلات الحزبية، وبازائها حل بعض المشاكل التي يعاني منها شعبكم، ولشجاعتكم ــ ولو بهذا الشكل المحدود ــ في إعادة النظر في مذهب ظل لسنين طوال يكبّل ثوار العالم بقيوده الحديدية، لهي جديرة بالتقدير.

وإذا كنتم تفكرون في أبعد مما ذكر، فإن أول أمر سيحقق النجاح لكم يقيناً هو أن تعيدوا النظر في سياسة أسلافكم، التي تركزت على أبعاد المجتمع عن الله والدين، هذه السياسة التي ألحقت في الحقيقة أقسى الضربات وأخطرها بكيان المجتمع السوفياتي، واعلموا بأن التعامل الواقعي مع قضايا العالم لا يتيسر إلا من خلال هذا الطريق.

من الممكن جداً أن تبدو، « من خلال السياسة والممارسات الاقتصادية الخاطئة للمسؤولين الشيوعيين السابقين » دنيا الغرب وكأنها الحديقة الغناء المنشودة، ولكن الحقيقة هي شيء آخر، فلو حاولتم في هذه الفترة أن تحلوا العقد العمياء التي واجهتها الاشتراكية والشيوعية باللجوء إلى مركز الرأسمالية الغربية، فإنكم بالإضافة إلى عدم تمكنكم من إزالة معاناة مجتمعكم، ستحتاجون إلى أفراد آخرين لتعويض ما ستقعون فيه من أخطاء في هذا المجال، وذلك لأن الماركسية اليوم وأساليبها الاقتصادية والاجتماعية تواجه طريقاً مسدوداً، وإن عالم الغرب هو أيضاً يعاني من هذه القضايا، ولكن بشكل آخر، كما يعاني من قضايا أخرى.

حضرة السيد غورباتشوف : يجب البحث عن الحقيقة، إن مشكلة بلادكم الأساسية هي ليست قضية الملكية والاقتصاد والحرية، بل إن مشكلتكم هي فقدان الاعتقاد الواقعي بالله، وهذه هي ذات المشكلة التي جرّت الغرب أو ستجره إلى الانحطاط والطريق المسدود.

إن مشكلتكم الأساسية هي التورط في صراع لا طائل تحته مع الله مُبدئ الوجود والخلق.

السيد غورباتشوف : من الواضح للجميع أنه يجب تحنيط الشيوعية من الآن فصاعداً في متاحف التاريخ السياسي العالمي، لأنها لم تعد تلبي أي حاجة من الحاجات الواقعية للإنسان، ولأنها مذهب مادي، ولا يمكن للمادية أنت تنقذ البشرية من أزمة عدم الاعتقاد بالمعنويات، هذه الأزمة التي تعد أهم أساس لمعاناة المجتمعات البشرية في الشرق والغرب.

السيد غورباتشوف : من الممكن أن لا تصرفوا النظر ـ ظاهراً ـ عن بعض الجوانب للماركسية، بل لعلكم ستحاولون من خلال تصريحاتكم إبداء اعتقادكم الكامل بهذا المذهب، ولكنكم تعلمون أن ما هو ثابت ليس كذلك.

إن زعيم الصين كان أول من أنزل ضربته بالشيوعية، وأنتم الشخص الثاني، ويبدو أنكم قد أنزلتم آخر ضربة بها. لقد أصبح العالم اليوم لا يرى شيئاً يسمى الشيوعية، ولكننا نريد منكم وبشكل جاد أن لا تقعوا في حِبال وقيود الغرب والشيطان الأكبر، وأنتم تكشفون زيف الأوهام الماركسية.

وأني لأرجو أن تنالوا حقا مفخرة إزاحة القشور البالية لسبعين عاماً من عوج عـــالم الشيوعية، من وجه التاريخ وبلادكم، لأن الدول اليوم لم تعد مستعدة أن تواكبكم مــــع حرصها.

السيد غورباتشوف : حين سُمع نداء (الله أكبر) بعد سبعين عاماً من مآذن مســاجد بعض الجمهوريات السوفياتية، وسُمع نداء (أشهد أن محمداً رسول الله (ص))، فإن هذا النداء أهاج أعين أنصار الإسلام المحمدي الأصيل بالبكاء شوقاً، ولهذا الســبب مــن الضروري أن أذكركم بهذا الموضــوع، وهو أن تعيــدوا النظر مرة أخـــرى في نــوع النظرة الكونية المادية والإلهية، وتفكروا في ذلك.

لقد عرف الماديون مقيــاس المعرفة في نظرتهم إلى الكون، وهم يطردون كل ما هو غير محسوس من محيط العالم، ويرون أن الوجود هو قرين للمادة، ويرون أن لا وجود لكل ما ليس بمادي.

وهم يرون عالم الغيب ووجود الله والوحي والنبوة والقيامة من الأساطير. في حين أن مقياس المعرفة في النظرة الإلهية للكون أعم من الحس والعقل وإن كل معقول يدخــل في محيــط العلم، حتى ولو لم يكن يدرك بالحس، فلذلك فإن الوجود يعتبر أهم مــن عــالمي الغيب والشهادة، وإن كل ما لا مادة له يمكن أن يكون موجوداً، وكمـــا أن الموجــود المادي يعتمد في وجوده على مجرد، فإن المعرفة الحسّية أيضاً تعتمد على المعرفة العقلية.*

* المعد (يورد السيد حميد انصاري في كتابة / حديث الإنطلاق / صفحة ٢٧٤ - ٢٧٥ طبعــة عــام ١٩٩٦ طهران واقعة مهمة ومثيرة للاهتمام في هذا المضمار يقول فيهـا : مـن الجديـر بـالذكر أن إدوارد شـيفاردنادزه وزير خارجية الاتحاد السوفيتي آنذاك، حينما وفد إلى طهران يحمل ردّ الرئيـس السوفيتي إلى الإمام الخميني، أذهله أن رأى أن هذا العملاق الصلب الذي يوجه التحذيرات بصــراحة عجيبة إلى قادة ثاني قوة في العالم ، يعيش في بيت صغير بسيط في جماران في غرفــة لا تتجـاوز مساحتها ١٢ متراً مربعاً. مكتفياً بوسائل وأثاث في منتهى البساطة ودون وجود أي أثر مـن المراسـم والتشريفات المعمول بها أذهلــه أن يرى الإمــام جالساً باطمئنان واسـتقامة كالطـود يضــع إلى ←

إن القرآن المجيد ينتقد أساس الفكر المادي، ويقول للذين يظنون عدم وجود الله لعدم إمكان رؤيته حيث يقول القرآن الكريم على لسان هؤلاء : (لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) (البقرة، ٥٥)، ويجيبهم القرآن : (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير) (الأنعام، ١٠٣).

لست الآن بصدد سرد دلائل القرآن الكريم في مجال الوحي والنبوة والقيامة، فهذا قد يكون في رأيكم أول البحث، ولم أكن أرغب في الأساس أن آخذكم إلى الطرق الملتوية الوعرة التي اتبعها الفلاسفة، وبخاصة الفلاسفة الإسلاميون، وإني لأكتفي هنا بمثالين بسيطين فقط، أحدهما فطري، والآخر وجداني حيث يستطيع حتى السياسيون الاستفادة منها:

إنه لمن البديهيات أن المادة مهما تكن، فهي لا تدرك شيئاً عن كنهها، وأن أي تمثال مادي للإنسان فإن كل جانب منه محجوب بالنسبة إليه عن الجانب الآخر، في حين نشاهد بالحس أن الإنسان والحيوان بإمكانهما الإحاطة بكل أطرافهما، وهما يعرفان مكانهما وماذا يحصل في محيطهما، ويدركان ما يدور في العالم الذي يحيط بهما، ولهذا فإن في الإنسان والحيوان شيئاً آخر هو فوق المادة، ولا صلة له بعالم المادة، وهو لا يموت بموت المادة، بل هو باقٍ.

إن الإنسان ليصبو فطرياً وبشكل مطلق إلى نيل كل كمال، وأنتم تعلمون جيداً أن الإنسان يميل إلى أن يكون قدرة مطلقة في العالم، ولو أمسك هذا العالم في قبضته وبسط سلطته، فإن قيل له أن هناك عالماً آخر غير هذا، فإنه مع ذلك يصبو فطرياً ليتسلط على

جانبه نسخة من القرآن الكريم وسجادة صلاة و مسبحة وعدداً من الصحف ومذياعاً صغيراً وقد ازدادت حيرة (شيفردنادزه) و تعجبه أكثر حينما التفت إلى أنه لا يوجد كرسي آخر ليجلس عليه مرافقه الروسي ذو المنصب الهام و أن على الأخير أن يجلس على الأرض (ولو لمرة واحدة) ولعل وزير الخارجية السوفيتي ظن بأن قدح الشاي مع حبتي القند (قطعتا السكر) الذي قدمه له الشيخ العجوز الذي كان في خدمة الإمام، كان أمراً متعمداً واستثنائياً، غير أن الحقيقة غير ذلك، فالإمام لم يغير ←

ذلك العالم أيضاً، وهكذا ومهما اكتسب الإنسان من العلوم فهو يتسوق أيضاً إلى كسب علوم أخرى إن أخبر بوجودها، ولهذا يجب أن تكون هنالك القدرة المطلقة والعلم المطلق وكلاهما هو الله تعالى، الذي نتوجه كلنا لوجوده حتى ولو لم نعرف ذلك.

وإن الإنسان ليريد الوصول إلى (الحق المطلق) وأن يفنى في ذات الله، وإن الشوق للخلود في حياة أبدية مترسخة في أعماق كل إنسان، وهذا دليل على عدم وجود عالم خالد لا موت فيه أبداً.

وإذا رغبتم في البحث عن هذه العلوم، يمكنكم أن تأمروا أصحابها بأن يراجعوا بالإضافة إلى كتب فلاسفة الغرب، ما كتبه الفارابي وابن سينا (رحمهما الله)، في الحكمة المشائية ليتضح أن قانون العلية والمعلولية الذي تعتمد عليه كل المعارف، هو قانون معقول وليس بمحسوس، وأن إدراك المعاني الكلية والقوانين الكلية أيضاً اللذين يعتمد عليهما كل استدلال، هما من الإدراكات المعقولة غير المحسوسة.

وليراجعوا أيضاً كتب السهروردي (رحمه الله)، في الحكمة الإشراقية، وليشرحوا لكم حيث يتضح فيها، أن كل جسم أو موجود مادي بحاجة إلى النور المحض المنزّه عن الحس، وأن إدراك ذات الإنسان الشهودي لحقيقة نفسه لا علاقة له بأية ظاهرة من ظواهر المادة..

ولاأثقل عليكم هنا، فكتب أهل العرفان، وبخاصة كتابات محي الدين بن عربي كثيرة، فإذا أردتم أن تستفيدوا من مباحث هذا الرجل العظيم، فابعثوا عدداً من خبرائكم الأذكياء والضليعين في مثل هذه المعارف إلى مدينة قم، حتى يطلعوا، وبعد التوكل على الله، وبعد أعوام، على عمق منازل المعرفة اللطيفة التي هي أدق من الشعر، لأنه ليس بالإمكان الإطلاع على هذه المعرفة بغير هذا الشكل.

أسلوبه في العيش ببساطة خلال جميع أدوار حياته سواء حينما كان و حيداً ومغترباً ومنفياً أو خلال عهد زعامته الدينية وقيادته السياسية وحتى آخر لحظة من عمره. و لم يقبل لنفسه أن يغير من أسلوبه أمام المقامات الدنيوية الاعتبارية مهما عظمت وتسامت.

السيد غورباتشوف : إنني وبعد ذكر هذه المسائل والمقدمات، أطلب منكم أن تحققوا بدقة وتمعنوا في الفكر الإسلامي، وهذا ليس لأن المسلمين والإسلام بحاجة إليكم، بل لأجل أن تتعرّفوا على القيم العالمية الرفيعة للإسلام التي بإمكانها إنقاذ كل الشعوب وإسعادها وحل المشكلات الأساسية للبشرية.

إن النظرة الجادة للإسلام، بإمكانها إنقاذكم إلى الأبد من قضية أفغانستان وما شابهها من القضايا في العالم، ونحن نعتبر مسلمي العالم، كمسلمي بلدنا ونعتبر أنفسنا شركاء في مصيرهم دائماً.

لقد أثبتم من خلال الحريات النسبية التي أعطيت للطقوس الدينية في بعض الجمهوريات السوفياتية، أنكم لا تعتقدون بعد الآن بأن الدين أفيون الشعوب، فهل يا ترى الدين الذي جعل من إيران الجبل الصامد أمام القوى الكبرى، هو أفيون الشعوب ؟

هل الدين الذي يطالب بإقامة العدل في العالم، ويطالب بحرية الإنسان من القيود المادية والمعنوية هو أفيون المجتمع ؟ أجل إن الدين الذي يصبح وسيلة لنهب الثروات المادية والمعنوية للبلدان الإسلامية وغير الإسلامية، ويضعها تحت تصرف القوى الكبرى وباقي القوى العالمية، وينادي بفصل الله عن السياسة هو أفيون الشعوب، لأن مثل هذا الدين ليس ديناً واقعياً، بل هو دين يسميه شعبنا (الدين الأمريكي).

وفي الختام، أعلنها بصراحة أن الجمهورية الإسلامية في إيران تعد أكبر وأقوى قاعدة في العالم الإسلامي، بإمكانها أن تملأ بسهولة الفراغ العقائدي في نظامكم، وعلى أي حال، فإن بلادنا تؤمن كما في السابق بحسن الجوار وتحترم العلاقات المتبادلة.

والسلام على من اتبع الهدى

روح الله الموسوي الخميني

٢٢ جمادي الأول ١٤٠٩ هـ

نبذة عن حياة الإمام الخميني ومؤلفاته

الإمام الخميني سليل أسرة هاشمية، انحدرت من سلالة الإمام موسى الكاظم، ابن الإمام جعفر الصادق، ابن الإمام محمد الباقر، ابن الأمام علي زين العابدين، إبن الإمام الحسين بن الإمام علي بن طالب (سلام الله عليهم أجمعين).

ولد السيد روح الله ابن السيد مصطفى ابن السيد أحمد الموسوي الخميني في العشرين من جمادى الثانية سنة ١٣٢٠هـ في مدينة خمين بإيران وتوفي سنة ١٤٠٩هـ في مدينة طهران ودفن فيها.

أسرته

أبوه الشهيد السيد مصطفى الموسوي ابن السيد أحمد الموسوي، درس في النجف الأشرف وسامراء وعاد إلى خُمين، والتزم رعاية المسلمين فيها وفي ضواحيها. وبعد ولادة ابنه روح الله بأربعة أشهر و ٢٢ يوماً أي في ١٢ ذي القعدة سنة ١٣٢٠هـ اغتيل وهو في طريقه من خمين إلى مدينة أراك.

وقد تم نقل جثمانه إلى النجف الأشرف حيث دفن فيها وكان له ثلاثة أبناء وثلاث بنات وأبناؤه هم :

١ ــ السيد مرتضى

٢ ــ السيد نور الدين، وكان يسكن طهران

٣ ــ السيد روح الله وهو أصغر أولاد أبيه

في طريق العلم

كان شغوفاً منذ طفولته باكتساب العلم والحكمة، بدأ الدراسة لدى معلم اسمه (الميرزا محمود) وهو لم يزل طفلاً صغيراً. وكان هذا المعلم يأتي إلى المنزل

ليعلم هذا الطفل الذكـــي دروساً في القراءة والكتابة، ثم انتقل إلى معلم آخر اسمه (الملا أبو القاســـم) وذهب بعد ذلك إلى مدرسة حديثة.

وفي أوائل بلوغه فقد أمه، وبذلك ظلّلت سحابة كئيبة وجهه ولما يمض من عمـــــره سوى ستة عشر عاماً وأصبحت حياته محفوفة بالمخاطر بين مخالب الوحدة والغربة، ويتـــم الأبوين وفراق الأحبة ... ولكن هذه الأحزان والهموم لم تستطع أن تحطم معنوياته وهمته العالية، فبقي صامداً قوياً ولم يستسلم أمام الأحداث واستمر متوكلاً على الله ومعتمـــــداً على نفسه في مواجهة المصير المحتوم.

تلقى بعض مقدمات العلوم الإسلامية لدى أخيه السيد المرتضى المشهور بلقـــب بسنديدة، ثم توجه سنة ١٣٣٩ إلى مدينة أراك حيث كانت الحوزة العلمية هناك وقتئـــذ تحت زعامة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي ودرس هناك آداب اللغـــة العربية (البلاغة والنحو والصرف والمنطق).

وفي عام ١٣٤٠ ذهب إلى مدينة قم حيث نقل الشيخ الحائري الحوزة العلمية إليها، واســـتمر بكل جد واجتهاد في مدارس قم حتى أنهى مرحلة (السطوح) في الحوزة لـــدى استاذه علي اليثربي الكاشاني وبدأ بعدئذ الفصل الأخير مـــن الدراســـة الاســـتدلالية في محضـــر الاستاذ الأكبر الحائري حتى بلغ درجة الإجتهاد.

وعندما توفي الشيخ الحائري (قدس سره) في سـنة ١٣٥٥هـــ كان الإمام يعد مـــن المجتهدين والعلمـــاء الكبار، وامتاز عن غيره من العلماء بتخصصه في علوم كثيرة، لقـــد جمع ما بين المعقول والمنقول وسبق غيره في الفقه والأصول.

ولإحاطته الواسعة في العلوم العقلية، كان الإمام الأستاذ الأول في الفلســـفة علـــى الإطلاق في الحوزة العلمية بمدينة قم وكان أول من يجيـــب علـــى الشـــبهات العقليـــة والاشكالات والاعتراضات التي كان المنحرفون يتهجمون بها على الإسلام.

ولقد انتشرت في زمانه بعض الكتب السفسطائية منهـــا كتـــاب بالفارســـية اسمـــه (أسرار هزار ساله) أي أسرار ألف سنة. وكانت الإشكالات الواردة فيه مرتبطة بالمسائل

الفلسفية. وفي مقام الرد على هذا الكتاب ومؤلفه، رجع إليه العلماء فبدأ بتأليف كتاب قيم أسماه (كشف الأسرار).

التدريس:

بدأ تدريس خارج الفقه والأصول (وهي أعلى درجات الدراسة الحوزوية) سنة ١٣٦٤هـ وهو في الرابعة والأربعين من عمره، وتزامن بدء مرحلته هذه مع مجيء آية الله العظمى السيد البروجردي إلى مدينة قم زعيماً للمرجعية.

وكان يمتاز بتعرضه أثناء الدرس للإشكالات الواردة، قبل أن يسبقُهُ بها غيره من الطلبة، كما امتاز بالشرح المبسط الوافي وعدم خلطه دروس الأصول بالفلسفة بالرغم من إحاطته الواسعة بهذا العلم. وامتاز أيضاً بعدم تقليده أسلافه في تكرار نظريات القدماء، فقد أبدع في التحقيق مع ما كان يكن من تقدير للفقهاء الماضين وكان يأتي على ذكرهم بكل إجلال وإكبار.

أما تدريسه الفلسفة والعلوم العقلية فكان بدأ به قبل زواجه أي قبل عام ١٣٤٨هـ وكان يسكن في مدرسة (دار الشفاء) يومئذ. ولم يمض من عمره أكثر من ثلاثين عاماً حتى صار يعد من الأساتذة الكبار والمتخصصين في الفلسفة والحكمة الإلهية،وكانت حلقة درسه مقصورة على العلماء والأفاضل ، وكان يهمه كثيراً في الدروس أن يكون طلابه من خيرة الطلاب وأكثرهم إيماناً وذكاء، فقد كان يمتحنهم بين الحين والآخر تحريرياً وشفوياً ليصفيّ مجلس درسه من غير المؤهلين.

وبعد فترة من تدريسه الفلسفة، بدأ بتدريس (العرفان) سراً لنخبة صالحة من الطلاب المعتمدين لديه، ثم عقد جلسة أسبوعية ليدرس علم (الأخلاق).

ورغم معارضة حكومة الشاه رضا بهلوي لمثل هذه الجلسات، لم يبال بذلك بل ازداد صلابة وعزماً في مسيرته حيث اشتهرت هذه الجلسة وانشدَّ الفضلاء والطلاب وحتى عامة الناس إليها وتوسعت تدريجياً لتستوعب مئات العلماء والفضلاء والموظفين والتجار والعمال الذين كانوا يأتون من قم وطهران.

وبعد الإقبال الشديد على الجلسة، اضطر إلى إقامتها مرتين أسبوعياً (يومي الخميس والجمعة) حتى تستطيع كل شرائح الشعب، الإستفادة منها، وعندها أرسل الشاه رضا بهلوي إليه يطلب منه إلغاء هذا الدرس فوراً، فأجاب الإمام بالحرف الواحد : (أنا ملزم بإقامة هذه الجلسة مهما كان الأمر. لتأت الشرطة وتمنع إقامتها). وبعد أن لاحظت الحكومة مدى صلابته ومدى تعاطف الشعب معه، امتنعت عن التدخل المباشر إلا أنها شددت من ممارساتها التعسفية بطرق غير مباشرة فاضطر الإمام إلى نقل الجلسة من المدرسة الفيضية إلى مدرسة الحاج ملا صادق وقلّص الحاضرين فيها دفعاً للإيذاء والعراقيل. لكن بعد اقصاء الشاه رضا بهلوي (والد الشاه محمد رضا بهلوي الذي أطاح به الإمام الخميني خلال الثورة الإسلامية) انتقلت الجلسة مرة اخرى إلى المدرسة الفيضية (مركز الحوزة العلمية الدينية في مدينة قم).

المرجعية

بعد وفاة آية الله العظمى السيد البروجردي (قدس سره)، اجتمع حول الإمام الخميني رواد العلم والفضيلة من مريديه وعارفي مكانته يطلبون منه بإلحاح طبع الرسالة العملية (فتاواه الشرعية في العبادات والمعاملات)، فامتنع عن ذلك، وطبع حاشيته على كتاب وسيلة النجاة للسيد أبو الحسن الأصفهاني ثم حاشيته على كتاب العروة الوثقى.

وبعد وفاة آية الله العظمى السيد محسن الحكيم (قدس سره) زعيم المرجعية الشيعية في العالم وكان في النجف الأشرف، كثر مقلدوه وتألق نجمه بعد زمان وجيز، حتى استطاع أن يطوي سجل أقدم امبراطورية شهدها التاريخ، تمتد جذورها إلى قرابة ألفين وخمسمائة عام، واستطاع أن يقود ثورة ويدير جمهورية وأصبح مرجعاً عاماً ودانت له الأمة بالولاء قائداً للمسلمين كافة.

بعض مشايخه في اجازة نقل الروايات

١ ــ الشيخ محمد رضا الأصفهاني النجفي، آل الشيخ محمد تقي الأصفهاني، من الميرزا حسين النوري من الشيخ الأنصاري.

٢ ــ السيد محسن الأمين من السيد محمد هاشم الموسوي الرضوي الهندي من الشيخ الأنصاري.

٣ ــ الشيخ عباس القمي من الميرزا حسين النوري من الشيخ الأنصاري.

٤ ــ السيد أبو القاسم الدهكروي الأصفهاني من الميرزا محمد هاشم الأصفهاني من الشيخ الأنصاري.

مؤلفاته

١ ــ مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية : كتاب في العرفان والمسائل العقلية، ألفه وهو في السابعة والعشرين من عمره.

٢ ــ شرح دعاء السحر لشهر رمضان : ألفه عام ١٣٤٧ هـ وهو في التاسعة والعشرين من عمره.

٣ ــ كتاب (الأربعون حديثاً): سبعة أحاديث منها في المسائل العقلية و ٣٣ حديثاً في الأخلاق.

٤ ــ حاشية على فصوص الحكم للقيصري ومصباح الأنس : في العرفان.

٥ ــ حاشية على مفتاح الغيب : في العرفان.

٦ ــ أسرار الصلاة أو معراج السالكين : مجلدين. وكان تأليفه سنة ١٣٥٨هـ.

٧ ــ رسالة في الطلب والإرادة.

٨ ــ حاشية على رسالة شرح حديث رأس الجالوت للقاضي سعيد وشرح مستقل على الحديث نفسه.

٩ ــ كشف الأسرار.

١٠ ــ شرح حديث جنود العقل والجهل.

١١ ــ آداب الصلاة.

١٢ ــ الرسائل : كتاب يبحث في قاعدة لا ضرر ولا ضرار، الاستصحاب، التعادل والتراجيح، الاجتهاد والتقليد والتقية، في جزأين طبع في قم سنة ١٣٨٥هـ وتم تجديد طباعته عدة مرات.

١٣ ــ كتاب البيع : دروس فقهية له في النجف الأشرف : خمسة مجلدات

١٤ ــ كتاب الطهارة : طبع منه ثلاثة أجزاء.

١٥ ــ تهذيب الأصول : في بيان قاعدة لا ضرر ولا ضرار : تقريرات درسه في أصول الفقه في قم ــ ٣ أجزاء.

١٦ ــ نيل الأوطار في بيان قاعدة لا ضرر ولا ضرار : تقريرات درسه بقلم تلميذه الشيخ جعفر السبحاني.

١٧ ــ رسالة في الاجتهاد والتقليد.

١٨ ــ توضيح المسائل : رسالة عملية فقهية باللغة الفارسية.

١٩ ــ زبدة الأحكام : رسالة عملية فقهية باللغة العربية.

٢٠ ــ كتاب المكاسب المحرمة : في جزأين طبع في قم سنة ١٣٨١هـ .

٢١ ــ رسالة تشتمل على فوائد في بعض المسائل المشكلة.

٢٢ ــ تحرير الوسيلة : نصّ كامل لدورة فقهية. ألفه وهو في المنفى بتركيا.

٢٣ ــ جهاد النفس أو الجهاد الأكبر : توجيهات وإرشادات في الأمور الروحية والمعنوية. طبع في النجف الأشراف سنة ١٩٧٤م.

٢٤ ــ الحكومة الإسلامية أو ولاية الفقيه: محاضرات فقهية سياسية ألقاها (قدس سره) على طلاب العلوم الدينية في النجف الأشرف وذلك خلال شهري ذي القعدة و ذي الحجة سنة ١٣٨٩ هـ .

٢٥ ــ تفسير سورة الفاتحة : ولم يتمكن من إتمامه لمرضه وانتقاله من مدينة قم إلى طهران، بعد عام ونصف العام من انتصار الثورة الإسلامية تقريباً.

٢٦ ــ مناسك الحج.

٢٧ ــ مجموعة خطبه وبياناته وإرشاداته، جمعتها وزارة الإرشاد الإسلامي الإيرانية تحت عنوان (صحيفة نور).

٢٨ ــ حاشية على الأسفار.

٢٩ ــ الدماء الثلاثة : تقريرات درسه.

٣٠ ــ ديوان شعر : لم يطبع.

الجمهورية العربية السورية
مجمع اللغة العربية بدمشق
ص.ب (٣٢٧)
رقم: ٤٨٠١/م

REPUBLIQUE ARABE SYRIENNE
ACADEMIE ARABE
B. P. (327)
DAMAS
No:

السيد الأستاذ حميد حلمي زاده المحترم

تحية طيبة وبعد

فإني أشكر لكم أجزل الشكر هديتكم القيمة التي زودتم بها مكتبة المجمع وهي :

- ثورة الفقيه ودولته: قراءات في عالمية مدرسة الإمام الخميني (ق).

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام وبالغ التقدير .

٩/ ٤/ ١٤٢٣هـ
٢٢/ ٦/ ٢٠٠٢م

رئيس مجمع اللغة العربية
الدكتور شاكر الفحام

الهاتف ٣٧١٣١٠٣ – ٣٧١٣١٤٥ – ٣٧١١٤٢٩/ الناسوخ (فاكس) ٣٧٣٣٣٦٣/ البريد الإلكتروني E-mail: mla@net.sy

بسم الله الرحمن الرحيم

الاتحاد العالمي للمؤلفين باللغة العربية

World Union of Writers in arabic *Union Mondiale des Ecrivains en Langue Arabe*

www.manofparadise.com E-mail:Dr-fls@scs-net.org

بتاريخ 17/6/2002م
7/4/1423هـ

الأخ العزيز حميد حاجي زاده المحترم

شكراً لمائدة "الثقافة الخمينية" تجمع حولها أربعة عشر بلداً، يستبق منها الذائقون لتحية الفقيه المجدد..!
تسعة وسبعون عنواناً، تتلو تطلعات الرجاء..!

الأخ حميد.. وُفقت بباحثيك العباقرة المخلصين، فوجه المثقف بالله، شعّ من روح الله في حروف القراءات المستلهمة من عالمية المؤمن بالرحمة العالمية.. والشجرة تعرف بالثمرة..!
عندما تشرفت بلقاء سماحة الإمام.. وقدمت له باسم الاتحاد.. "كتابي [في أضواء القرآن]: دار حديث، خلاصته، بعبارته الشريفة [صرت مشغوفاً]...
عندما قلبت أوراق "ثورة الفقيه ودولته"، لمعت بوارق قسماته في خاطري.. فكرتكم.. وكأنني أنقل إليك وإلى الباحثين البررة، شغف روحه بالوفاء الذكي، الذي يشتاق لعيال الله ينابيع الرحمة العالمية..
سنعيد الاتصال، إن شاء الله، ومقالك، تحيات من خبراء مجمع البلاغة وتنسيق المؤلفات العالمية.. ملتمسين الدعاء
لأحقر الفقراء..

مؤسسة ثقافية غير ذات منفعة تجارية بموجب قانون 1901 الفرنسي.. الجريدة الرسمية الفرنسية: 1981/11/27 - N. C. 10385

116 Rue de patay : 75013 Paris; FRANCE, Fax: 0033 147 881 828, Tel.: 0033 611 708 778= 0033 613 439 685
P.O.Box: 359 Cabin John 20818-0359 MARYLAND; USA.
The Threshold Society; 5075 Porter Gulsh Road, Aptos, California 95003 Fax: 831 465 1057; Tel.: 831 465 0105; USA
W.U.W.A 2120 Blue Ridge, Pickering Ontario L IX ; CANADA
Fax: 001-905-6151611 Tel.: 001-905-2704558 ; CANADA
MAHDI HOUSE: 21, the green; southgate; London, N14, 7AB;Fax: 0044 208 882 7366; Tel.: 0044 208 886 3304 ENGLAND
Mobile: 0044 794 627 7275=25, Athenaeum Road; Whetst One; London N. 20; 9AA; ENGLAND
P.O.Box 34600 – Fax- Tel.: 6616 789 Tel.: 6666455; Damascus; SYRIA

دمشق – السيدة زينب (ع) – الدرداره – شارع زين العابدين – بناء المصطفى – هاتف 6415370

حول الكتاب

بقلم الدكتور أسعد علي

الأخ العزيز حميد حلمي زاده المحترم

شكراً لمائدة الثقافة الخمينية .. تجمع حولها أربعة عشر بلداً، يستبق منها الذائقون بتحية الفقيه المجدّد .. !

تسعة وسبعون عنواناً : تتلو تطلعات الرجاء .. !

الأخ حميد .. وُفّقتَ بباحثيك العباقرة المخلصين، فوجهُ الثقة بالله شعٌ من روح الله في حروف القراءات المستلهِمة من عالمية المؤمن بالرحمة العالمية .. والشجرة تعرف بالثمرة .. ! عندما تشرّفتُ بلقاء سماحة الإمام .. وقدّمتُ له باسم « الاتحـــاد » كتابي { في أضواء القرآن } : دار حديـــــث، خلاصتـــه، بعبارتـــه الشـــريفة { صرتُ مشغوفاً } ...

عندما قلبت أوراق « ثورة الفقيه ودولته » لمعتْ بوارق قسماته في خـــاطري .. فكـــررتها .. وكأنني أنقل إليك وإلى الباحثين البررة : شَغَفَ روحـــــه بالوفـــاء الذكيّ، الذي يشقُّ لعيال الله ينابيع الرحمة العالمية ..

ســـنعيد الإتصال، إن شاء الله، ومعنا لك : تحيات من خـــبراء مجمـــع البلاغـــة وتنسيق المؤلفات العالمية .. ملتمسين الدعاء لأفقر الفقراء.

توقيع أسعد علي

---

* استاذ دراسات عليا في كلية الآداب في جامعة دمشق ــ رئيس الاتحاد العالمي للمؤلفين باللغة العربية.



الامام الخميني (رض) والقائد الخامنئي (دام ظله) ..
استمرارية النهج والأداء على طريق تحقيق اهداف الامة الاسلامية



حرس الثورة الاسلامية (پاسداران انقلاب) : قرة عين القيادة والشعب في ايران لحماية المسيرة الصاعدة

جدول الخطأ والصواب

الخطأ	الصواب	السطر	الصفحة
أول	هو	٣	١٠٢
ويبن	ويبيّن	٢٠	١٤٩
إلى (في الآية)	إلّا	٢٢	١٦٨
بمحاولة	بمحاربة	١٦	١٩٠
عميقاً	عقيماً	١٣	١٩٥
الخامئني	الخامنئي	١١	٢٠٩
هل	هي	٩	٣١٠
القرب	الغرب	١٦	٣١٨
والاعترافات	والإعتداءات	١٠	٣٣٣
الأمانات	الامكانات	٤	٣٧٢
تنصورا	تنصروا	٨	٣٨١
وداعياً في	واعياً من	١٣	٤٠٦
وتدفع بادارتها	وتدفع بأدواتها	١١	٤١٠
وأنزلنا (الآية)	وأنزلنا معهم	١٣	٤٣٨
الإعصار	الأمطار	٢٢	٤٨٢
البيضة	بيضة الإسلام	٨	٤٨٥
الولاي	الولاء	٢٤	٥٦٩
الإسلام	باسم الإسلام	٢٢	٥٧١

ملاحظـــة :

الجدول يتعلق بالكلمات التي اقتضت الضرورة تصويبها ، وقد تم ترك بعض الأخطاء الأخرى لنباهة القارئ اللبيب.

الفهرس

** العــراق

** الأردن

** انكلترا

** اليمن

** أفغانستان

** إيران

** لبنان

** فلسطين

** سورية

شخصيات صور الغلاف

من اليمين إلى اليسار

السيد حسن نصر الله ــ السيد محمد حسين فضل الله ــ المرحوم الشيخ محمد مهدي شمس الدين ــ الشيخ أحمد كفتارو ــ السيد محمد باقر الحكيم

الشهيد الدكتور فتحي الشقاقي ــ الاستاذ أحمد جبريل ــ الدكتور جورج حبش ــ الدكتور رمضان عبد الله ــ الاستاذ خالد مشعل

□ الشيخ محمد مهدي الآصفي ــ الدكتور فتحي يكن ــ المهندس حسين شيخ الاسلام ــ السيد أحمد الفهري ــ الشيخ محمد علي التسخيري

□ الشيخ وهبة الزحيلي ــ الدكتور ادريس الكتاني ــ الدكتور عبد الكريم الأشتر ــ الدكتور حسن حنفي ــ السيد كامل الهاشمي

□ الشيخ محمد الآلوسي ــ الدكتور علي عقلة عرسان ــ السيد محمد الموسوي ــ الدكتور خلف الجراد ــ الأب الياس زحلاوي

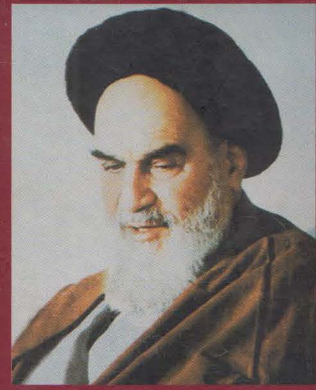
□ الدكتور محمود عكام ــ الشيخ محمد مهدي الخالصي ــ الأستاذ ادريس هاني ــ السيد حسين الموسوي ــ الدكتور عبد الكريم اليافي

□ الشيخ محمد عبد اللطيف الفرفور ــ الدكتور نشأت الحمارنة ــ الدكتور منصور الجمري ــ الدكتور مصطفى العماري ــ الدكتور مطانيوس حبيب

□ السيد عبد الله نظام ــ الشيخ نبيل حلباوي ــ الدكتور عزت السيد أحمد ــ الأستاذ بسام العسلي ــ الدكتور جورج جبور

□ المرحوم الشيخ عبد الرحمن مراد ــ الدكتور عبد العظيم المغربي ــ الاستاذ عز الدين سليم ــ الشيخ عفيف النابلسي ــ الدكتور محمد جمال طحان

□ الاستاذ حسن العلوي ــ الدكتور زهير غزاوي ــ الاستاذ نصر شمالي ــ الاستاذ حسين شرف الدين ــ الأستاذ توفيق المديني



هذا الكتاب

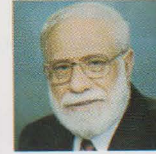
توليفة متميزة لقراءات متعددة الجنسيات والأديان والمذاهب والاتجاهات الفكرية عن شخصية رجل خلَّد في أذهان المعجبين والخصوم على حدّ سواء، بهيئة القائد الشجاع والفقيه البارع، الذي صنع ثورة كانت بمستوى التحول التاريخي والعالمي، والذي ألهم المظلومين والمعذبين، بمشروع التحرر القائم على أرضية الارادة والايمان بحرية الانسان والمجتمع، وهذه الشخصية قد تبدو للباحثين والدارسين وللرأي العام، صورة فريدة من القيادة الواثقة بمبدئها وشعبها ومستقبل بلادها، لكنها من وجهة نظر تلامذته وأصحابه وأنصاره شيء آخر، فهي ترسم لهم الأمل القادر على كسر القيود مهما كثُرت، وترسم لهم أيضا التفاؤل بمستقبل المشروع الحضاري الاسلامي الذي جعله الامام، حقيقة ماثلة في عالم اضطُر بسبب صلابة الخميني الفولاذية، أن يعترف بأنه كان يناطح جبلا عملاقا..

حميد حلمي زادة
صحفي وباحث من ايران


الشيخ حسين شحادة


الأستاذ خالد الفاهوم

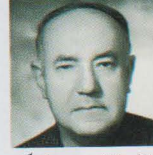

الدكتور صابر فلحوط


الأستاذ أبو خالد العملة


الدكتور أحمد الموسوي


الأب متري هاجي اثناسيو


الشيخ هادي الخزرجي


الأستاذ محمد قجّة


الأستاذ خالد عبد المجيد

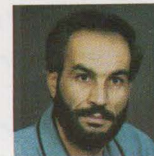

الشيخ محمد الناصري


د. ابراهيم الدسوقي شتا


الدكتور طلال ناجي


الدكتور محمد خير الفوال


الدكتور محمد الحبش


الأستاذ حسن حميد


الأستاذ جواد المالكي


الشيخ محمد حسن تقي


الأستاذ بيان جبر

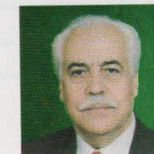

الحاج حسن حدرج


الشيخ جواد الخالصي

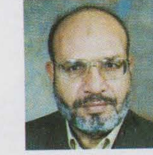

الأستاذ حسان الكاتب


الدكتور علي المؤمن


الأستاذ سالم الشمّري


الأستاذ فوزي حميد


الشيخ راتب عبد الواحد


الأستاذ عبد العزيز أبوالسعيد


الشيخ أحمد أخلاقي